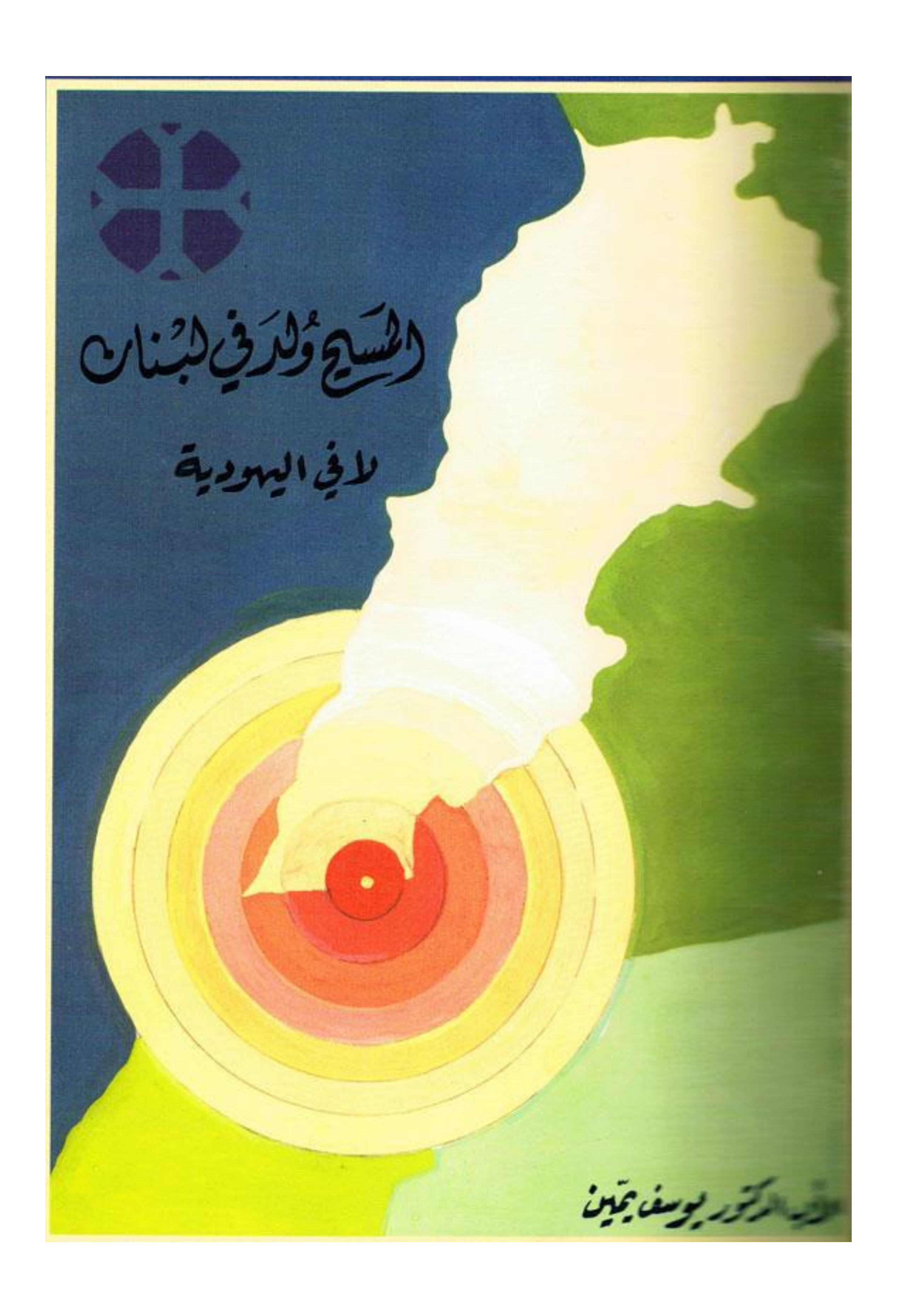

المسيح وُلد في لبنان
لا في اليهودية
الدكتور يوسف يمّين

المسيح ولد في لبنان
لا في اليهودية

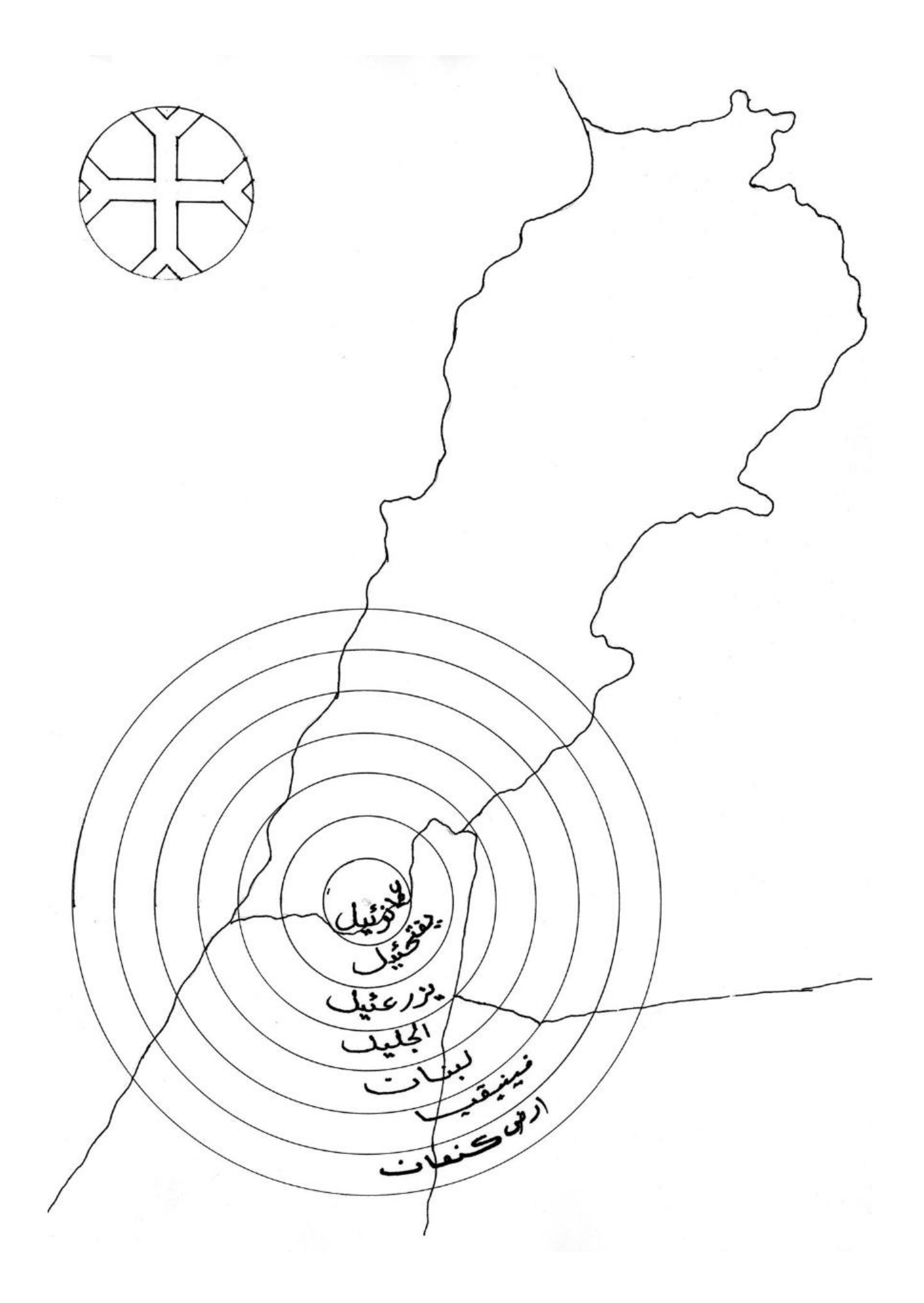
بحث تاريخي جغرافيّ آثاريّ يحدّد علمياً
المكان الحقيقي لولادة يسوع المسيح

الأب الدكتور يوسف يمّين
بالتعاون مع الجمعية الكونيّة "إيلّبنانيّون"

منشورات الجمعية الكونية "إيلّبنانيّون" - اهدن، لبنان
1999

الغلاف :
رسم تعبيري للمهندس أنطوان سمعان

انجزت **مطبعة القارح** – زغرتا
طبع هذا الكتاب
في الأول من تشرين الثاني 1999



عمانوئيل
يفتحئيل
يزرعئيل
الجليل
لبنان
فينيقيا
ارض كنعان

الطبعة الأولى 1999

الإهداء

الى لبنان. وكفى.

المؤلّف

للمؤلف

***في الخواطر:**

-العيد في الداخل – دار البلاد – 1984

-كيمياء الحروف – دار البلاد – 1984

***في الشعر الصوفيّ:**

-وميض في معبد اللحظة – تريدينغ بريس – 1988

***في التاريخ:**

-المردة – بحث تاريخي – الطبعة الثانية – المطبعة البولسية – 1977

-"إيلمارونية" – منشورات إيل – 1 – 1993

-قانا الجليل في لبنان – منشورات إيل –2 – 1994

-"قدّيس اهدن" البطريرك اسطفان الدويهي– منشورات إيل –3-1994

-المسيح ولد في لبنان لا في اليهودية – منشورات إيلبنانيون (1) 1999

-اهدن (دليل تاريخي جغرافي آثاري) – مؤسسة الرعيدي 1999

***في الفكر الحضاري:**

-لبنان بوتقة وحدة البشر (بالعربية والفرنسية) دار الفكر اللبناني-1997

***في العلوم:**

-الأسلحة الكيماوية والبيولوجية – دار الخطيب 1990

-الموسوعة الذريّة (15 مجلّد) – دار نوبيليس 1999

مقدّمة المقدّمات

مقدمة انجيل يوحنا

"في البدء كان الكلمة، والكلمة كان لدى الله، والكلمة هو الله. كان في البدء لدى الله. به كان كل شيء، وبدونه ما كان شيء مما كان. فيه كانت الحياة، والحياة نور الناس، والنور يشرق في الظلمات، ولم تدركه الظلمات. ظهر رجل مُرسَل من لدن الله اسمه يوحنا. جاء شاهداً ليشهد للنور، فيؤمن عن شهادته جميع الناس. لم يكن هو النور، بل جاء ليشهد للنور. كان النور الحق، الذي ينير كل انسان، آتياً الى العالم. كان في العالم، وبه كان العالم، والعالم لم يعرفه. جاء الى بيته فما قبله أهل بيته. أمّا الذين قبلوه، وهم الذين يؤمنون باسمه، فقد مكّنهم ان يصيروا ابناء الله: فهم الذين لا من دم، ولا من رغبة لحم، ولا من رغبة رجل، بل من الله ولدوا. والكلمة صار بشراً فسكن بيننا، فرأينا مجده، مجداً من لدن الآب لابن وحيد ملؤه النعمة والحق. شهد له يوحنا فهتف: هذا الذي قلت فيه: إن الآتي بعدي قد تقدّمني لأنه كان من قبلي. فمن ملئه نلنا بأجمعنا، وقد نلنا نعمة على نعمة. لأن الشريعة أعطيت عن يد موسى، واما النعمة والحق فقد أتيا عن يد يسوع المسيح. إن الله ما رآه احد قط، ألابن الوحيد الذي في حضن الآب هو الذي اخبر عنه..." (انجيل يوحنا 1: 1-18).



المقدّمة

"ليست الكتب الالهية سوى كتاب واحد
وهو يسوع المسيح.
لأن كل الكتب الالهية
تتكلم على المسيح
وكلها تتمّ بالمسيح..."

هوغ دي سان فيكتور

في بداية الكلام

"إن نسبة أسفار التوراة (الكتب الخمسة الاولى من العهد القديم) الى موسى لا تتضمن حتميّة الاعتقاد بأن موسى كتب بيده أو املى على امناء سرّه نصوص هذه الأسفار...

وإن الكتب الخمسة المذكورة قد تعدّلت نصوصها مع مرور الزمان، بحيث أضيفت مثلاً نصوص كتبها كاتب بعد وفاة موسى، وزيدت تفسيرات، وتحوّلت تعابير قديمة الى تعابير مستحدثة، وان هناك أخطاء اقترفها النسّاخون..."!!

"قرار اللجنة الحبريّة التوراتية"
الصادر عن الفاتيكان
في1906/6/27
(الكتاب المقدس – بالفرنسية – مدرسة
اورشليم البيبلية – منشورات سَيرف
باريس 1956 – المدخل ص 4)

العهد القديم

قبل ان تتّخذ أسفار العهد القديم صيغتها النهائية كانت تتناقل شفهياً بين الأفراد والجماعات من جيل الى جيل. والكتب التي خطّت فيما بعد، تباعاً، انتشرت زمناً طويلاً بين الشعب وهي تحمل آثار ردود فعل القراء، في شكل تنقيحات وتعليقات... وحتى في شكل اعادة صيغة بعض النصوص الى حدّ هام او قليل الاهمية. لا بل ان أحدث الاسفار ما هي احياناً الاّ تفسير وتحديث لكتب قديمة...

فبعد الجلاء الى بابل الذي حصل في اوائل القرن السادس قبل المسيح تشتّت بنو اسرائيل في انحاء ما بين النهرين او لجأوا الى مصر... ولكن بعض المجموعات حافظت على تماسكها واستمرت في حياتها الدينية.

وليست المجامع الا نتيجة النظام الذي شمل جماعاتهم. وانتهزت هذه المجموعات فرصة الجلاء فتأملت بالعمق في حياة شعبها وقيّمت تاريخ اسرائيل وبالغت في تعظيم احداثه وحياة رجالاته، وأثمر هذا التامل في تأليف بعض اسفار العهد القديم...

وبعد سقوط الامبراطورية البابلية تحت ضربات الفرس، صدر أمر عن الملك قورش في العام 538 يأذن باعادة بناء هيكل اورشليم، فتجمّع حوله اليهود العائدون من الجلاء. ولم يكوّنوا اذ ذاك الا جماعة صغيرة نمت شيئاً فشيئاً في ظروف خاصة. وحصلت على تنظيمها النهائي على يد نحميا وعزرا في أواسط القرن الخامس قبل المسيح. وفي اثناء هذه الحقبة بالذات وصل معظم أسفار العهد القديم الى صيغته النهائية!...

أما فيما يخصّ نصوص هذه الأسفار، وزيادة في التبسيط والتوضيح، فيمكن القول إن هناك، بشكل عام، نصّين اثنين: "النص المسّوري" والنص القديم. وتطلق عبارة "النص المسّوري" على صيغة النص الرسمية التي قرّرت نهائياً في الدين اليهودي حوالي القرن العاشر بعد المسيح، حين ازدهر في طبريّا أشهر المسّوريّين وكانوا ينتمون الى عائلة ابن اشير. اما النص القديم فهو الذي كتب قبل هذا التاريخ. مع العلم ان هذا النص القديم عرف تنقيحات وتصحيحات وتأويلات متعدّدة خلال القرون السابقة. وفي صيغ هذا النص الذي سبق "النص المسّوري"، نجد احياناً نصاً أوضح من "النص المسوري" نفسه. ومن هنا نشأت رغبة عدد كبير من المفسّرين، لا سيما بين الأعوام 1850 و1950، في الاستعانة بها لتنقيح "النص المسّوري" الذي غالباً ما يعدّ مشوّهاً... ولا شك ان هناك عدداً من النصوص المشوّهة التي تفصل "النص المسّوري" الأول عن النص الأصلي. فمن المحتمل ان تقفز عين الناسخ من كلمة الى كلمة تشبهها وترد بعد بضعة أسطر، مهملة كل ما يفصل بينهما. ومن المحتمل ايضاً ان تكون هناك أحرف كتبت كتابة رديئة فلا يحسن الناسخ قراءتها

فيخلط بينها وبين غيرها. وقد يدخل الناسخ في النص الذي ينقله، لكن في مكان خاطئ، تعليقاً هامشياً يحتوي على قراءة مختلفة او على شرح ما ... والجدير بالذكر ان بعض النسّاخ الاتقياء أقدموا على إدخال تصحيحات لاهوتية، على تحسين بعض التعابير التي كانت تبدو لهم معرّضة لتفسير عقائدي خطير.

وأخيراً، من الممكن ان نكتشف ونصحّح بعض النصوص المشوّهة، باللجوء الى صيغ النصوص غير المسّورية، في حال كونها أَمِنَت من التشوّه...

سفر التكوين

لقد أصبح اليوم من الثابت أن سفر التكوين لم يؤلّف دفعة واحدة، بل جاء نتيجة عمل أدبي استمر عدة اجيال! وقد اعتمد في صيغته الحالية، تقاليد مختلفة تسمى "أليَهْوي" "والإيلوهي" "والكهنوتي"، وقد تراكبت على مرّ العصور كما يظهر ذلك في اسفار التوراة كلها...

فالرواية "اليَهويّة"، العائدة ولا شك الى زمن المملكة التي أسسها داود وورثها سليمان، كانت اول صيغة أدبية لتقاليد محلية وعشائرية، تذكّر أسباط اسرائيل بمواعد إله ابراهيم وبما يعترض طريق إنجازها من عقبات. وإن الانشقاقات التي طرأت على شعب اسرائيل والأحوال التي خلفت تلك الانشقاقات قد طرحت على اسرائيل مشاكل جديدة فرضت عليه ان يستكمل تاريخ آبائه، إن لم نقل: أن يعيد النظر فيه...

والتقليد "الإيلوهي" ليس الا طبقة ثانية يصعب تحديد سعتها وأهميتها. وأسلوبه أكثر اعتدالاً وأقل تفاؤلاً من التقليد السابق. فالله قليل التدخل مباشرة في شؤون البشرية. والطاعة هي اول ما يتوقّعه من خدّامه...

وقد تمّت على يد أوساط الكهنة المنفيّين الى ما بين النهرين إعادة نظر جديدة في مآثر الآباء والملوك، فرضها سقوط اورشليم وزوال الملكية والجلاء...

فالرواية "الكهنوتية" ذات الطابع المجرّد تتناول الوجوه الثقافية والشرعية، وتشدّد على عهد الله لابراهيم، أي العهد التابع للعهد المقطوع لنوح والممهّد لعهد سيناء...

وهي تعطي سفر التكوين إطاره النهائي، جاعلة من خلق العالم بداية التاريخ المقدّس. إنها تبرز تواصل مصير البشرية بفضل المعلومات النسبية والزمنية، وتكشف في الوقت نفسه عن مختلف مراحلها المميزة بعهود او بأنظمة خاصة تمكن شعب اسرائيل، من خلق العالم الى نوح ومن نوح الى ابراهيم، من ان يصبح في وسط الامم ذلك الشعب الذي له هويته الخاصة...

لم يتردّد مؤلفو التوراة، وسفر التكوين بنوع خاص، وهم يروون بداية العالم والبشرية، أن يستقوا معلوماتهم بطريقة مباشرة او غير مباشرة من تقاليد الشرق الأدنى القديم، ولا سيما من تقاليد ما بين النهرين ومصر والمنطقة الكنعانية-الفينيقية. فالاكتشافات الاثرية منذ نحو قرن تدلّ على وجود كثير من الامور المشتركة بين الصفحات الأولى من سفر التكوين وبين كثير من النصوص التاريخية والغنائية والحكمية والليترجية الخاصة بسومر وبابل وطيبة واوغاريت (بنوع خاص...). ولا عجب في ذلك، عند من يعلم ان البلاد التي أقام فيها اسرائيل، وبلاد كنعان بالدرجة الأولى، كانت منفتحة عل المؤثرات الخارجية على انواعها... والى جانب

ذلك، كان شعب اسرائيل في تاريخه على صلة متواصلة بمختلف شعوب الشرق الأدنى...

والذي نودّ ان نلفت اليه هنا، بنوع خاص، هو ان روايات الآباء التي تؤلف سفر التكوين، والتي هي من اصل عائلي وشعبي، قد وضعت، تباعاً، في زمن يبعد كثيراً عن الأحداث العائدة اليها... وأنها عرفت، في فترات متتالية، الكثير من التشويهات والزيادات... والجماعات المختلفة التي تؤلفها عائلات هؤلاء الآباء والتي يخفى علينا ما بينها من علاقات، تحضّرت رويداً رويداً في أرض كنعان بالذات... الذي اغتُصب جنوبها – فلسطين – فأصبح أرض الخَلَف...

وهكذا من الصعب جداً ان نكتب تاريخاً متتابعاً عن سيرة الآباء، لا بسبب البعد الزمني الذي يفصلهم عن الوثائق المتعلقة بهم فحسب، بل لأنهم بنوع خاص عاشوا مع جماعاتهم على هامش التاريخ السياسي، أي "التاريخ الرسمي". فتقاليدهم تعكس قبل كل شيء اهتمامات زمنية كالتي تعود الى كسب معيشة عائلاتهم في منطقة تهدّدها المجاعة أو الى تأمين الاراضي الخصبة لماشيتهم. لذلك لم يروَ عن حياتهم الاّ بعض الاحداث المتفرّقة...

إن أسفار التوراة، ومنها سفر التكوين، (التوراة = الاسفار الخمسة الاولى من كتاب العهد القديم) ليست أسفاراً "تاريخية" بحصر المعنى أي بالمفهوم العلمي الحديث للكلمة، ولو حوت بعض الاحداث التاريخية هنا وهناك. إنها اسفار دينية، وضعت في ظروف معيّنة وفي حقبات طويلة متتالية...

سفر القضاة

يأتي سفر القضاة (مع سفر يشوع) بعد التوراة، فيعطينا لمحة عن حياة أسباط اسرائيل في مرحلة من اشدّ مراحل تاريخ الشعب الاسرائيلي غموضاً، وهي المرحلة التي تلي اغتصاب جنوبي أرض كنعان (فلسطين)، وتسبق ظهور النظام الملكي. وهذا السفر هو بحسب التقليد اليهودي من مجموعة "الانبياء الاولين" (من يشوع بن نون الى الملوك).

واذا صحّ أن بعض الاشخاص قد أجروا القضاء في اسرائيل، فليس من الثابت ان جميع الذين تروى مآثرهم كان لهم هذا المنصب. فهناك فعل آخر يصف عمل الذين نسميهم قضاة، وهو فعل "خلّص"... وبحسب هذه النظرة يسمى القاضيان عتنيئيل وأهود "مخلِّصَيْن". فالله وعلى وجه أعمّ هو الذي يخلص شعبه باختياره رجلاً يحقّق هذا الخلاص فعلاً.

لا يمكننا ان نبتّ بتّاً أكيداً في تأليف هذا السفر، ومع ذلك فبإمكاننا ان نكشف عن تقاليد او حلقات روايات كان لها وجود سابق مستقلّ. منها النّبذ عن صغار القضاة، فلا شك انها عن لائحة قديمة اقتصرت على أخبار مقتضبة. واما الاخبار عن سائر القضاة، فانها تستند الى تقاليد قديمة وُسّعت وأُكملت ودُمجت. فهل جُمعت هذه الاخبار في مجموعة يمكننا ان نسميها "سفر المخلّصين"؟. هذا ما يرجّحه كثير من المفسّرين اليوم. فنحن امام تفكير لاهوتي في التاريخ أضيف في وقت لاحق الى الروايات، ويصحّ في اسرائيل كلّه، غير ان هذا الاطار لا يوافق دائماً ما نعلمه من اخبار القضاة!...

اما القسم الأخير من سفر القضاة (الملحقان فصل 17-21) فهو عبارة عن مجموعة تقاليد اضيفت الى الكتاب بعد الجلاء، لأن فيه مفردات كثيرة نجدها في المؤلفات الكهنوتية المتأخرة، وهو يتأثر تأثراً شديداً بالنزعة الى الدفاع عن سبط يهوذا واظهار تفوّقه بشكل مضخّم...

وبالرغم من المبالغات والغموض القائم حول تأليف سفر القضاة، فانه يبقى المرجع الوحيد، في العهد القديم للحقبة الزمنية الفاصلة بين موت يشوع بن نون وقيام الملكية في اسرائيل. لكن استعماله يثير مشاكل كثيرة. يساعدنا ما فيه من اخبار على تكوين فكرة معيّنة عن زمن القضاة، وهي لوحة تاريخية لبعض الاسباط ليس فيها ما يُجيز لنا الجزم بوحدة سياسية، ولو بشكل تحالف بين الاسباط الاثني عشر. فنحن امام قصص جماعات بشرية تظهر فيها صلات قرابة او عداوة بين بعض الاسباط، وأمام اخبار معارك للمحافظة على الاراضي التي تم الاستيلاء عليها، لكن ذلك كله متقطع ويظهر لنا بوضوح دون أي اهتمام زمني تاريخي. ذلك بأن سفر القضاة لا يحتوي على أي تاريخ كان! لا يذكر فيه الا مدة كل قضاء، لكن ان جمعنا

الارقام الواردة لكل قاضٍ، نحصل على مدة 410 سنين، وهذا امر لا يتفق اطلاقاً مع التاريخ العام ولا حتى مع تاريخ اسرائيل نفسه!؟...

إن اكثر الارقام صادر عن المحرّرين والنسّاخ، واذا كان من الثابت ان كل واحد منهم كان له منطقه الخاص، فيكاد ان يكون من شبه المستحيل ان نهتدي الى هذا المنطق ونتفهّمه. ومن جهة اخرى، فالاستعمال المتواتر للرقم 40، وهو يدل على مدة حياة العمل عند الانسان الفرد، يكشف لنا ما في أقوال سفر القضاة من طابع تقريبي. وفي الحقيقة، إن أردنا الحصول على تسلسل تاريخي لحقبة القضاة، وجب علينا ان نأخذ بعين الاعتبار وفي آنٍ واحد اوائل الحقبة الملكية وتاريخ الدخول الى ارض كنعان. يجب ان نحدّد زمن مجمل التقاليد المنقولة بين السنة 1200 والسنة 1020 قبل المسيح، علماً بأن التاريخ الثاني هو تاريخ قيام النظام الملكي في اسرائيل...

سفر راعوت

يستمدّ سفر راعوت اسمه من بطلة الرواية، وهو يروي قصة اسرة من بيت لحم (؟) هاجرت الى ارض موآب. لم يلبث أليملك، زوج نعمي، ان مات هناك، هو وابناه محلون وكليون اللذان كانا قد تزوجا امرأتين وثنيتين من موآب: راعوت وعرفة. وبعد فترة من الزمن عادت راعوت الى بيت لحم حيث تزوجت رجلاً يدعى بوعز. فولدت له ابناً، وهو عوبيد، أبو يسّى، ابي داود...

لا يزال تاريخ النص موضوع جدال شديد. ويبدو ان ارتقاء الكتاب الى ما بعد الجلاء هو الأرجح اليوم! فالكاتب ينظر الى زمن القضاة نظره الى زمن بعيد جداً. مع ان الكتاب يبدأ بهذه الكلمات: "كان في ايام حكم القضاة مجاعة في الارض. فمضى رجل من بيت لحم يهوذا، لينزل في حقول موآب...!!! كما ان هناك ميزات لغوية توحي بزمن متأخر. يضاف الى ذلك ان تفكير الكتاب اللاهوتي (الشمولية والنظرة الى المكافأة ومعنى الألم وغيرها...) يكون اقرب الى الفهم، إن وضع في زمن بعد الجلاء. فالزمن الذي عاش فيه عزرا ونحميا يناسب ظروف القصة وهي تحبّذ الزواج من النساء الأجنبيات، مخالفة ما أقدم عليه عزرا ونحميا من إصلاح شديد (راجع عزرا الفصل 9 ونحميا الفصل 13).

يعرض الكاتب علينا صورة مثالية لجدّة داود... وهي وثنية، فيقول إنها مثال التقوى والورع... وقد دخلت دخولاً شرعياً في اسره اسرائلية، لا بل داودية، وذلك بفضل زواج موافق لشريعة أخي الزوج، ثمّ بعناية الهية...!؟

والجدير بالذكر ان الكاتب اعتمد الجناس في اسماء العلم: فهناك جناس بين أليملك (إلهي ملك) ونُعمي (جميلتي)، وبين محلون (مرض) وكِليون (زوال) اللذين ينذر اسماهما بموت قريب. اما عرفة فقد توحي بـ "قفا العنق" الذي يديره الانسان عند الانصراف وترمز الى الارتداد، في حين ان راعوت التي تعني "المشدّدة" تنبئ بالتعلّق والتأييد. اسم بوعز (فيه قوّة) يبعث الأمل واسم مُرّة يعبّر عن الشدّة. اما عوبيد فيعني العبد، أي عبد الله. ولا شك ان تغيير اسم نعمي الى مُرّة في 20/1 يدل صراحة على ان الكاتب يضفي على اسماء العلم هذه قيمة رمزية. وقد تأكد اليوم، بما لا يقبل الشك، بان جميع اسماء العلم في كتاب راعوت هي اسماء مختلقة وانها قد استعملت، بشكل رمزي، نظراً الى معانيها! حتى اسم راعوت نفسها، بطلة الرواية، وجدّة الملك داود...!؟

والعجيب حقاً، ان اسم "راعوت" هذه بالذات، يرد في سلسلة نسب يسوع بحسب انجيل القديس متى (5/1)... مع العلم ان نسب داود، الذي يشكل خاتمة سفر راعوت، والذي يربط راعوت (وبوعز) بداود، هو مقطع مضاف الى سفر راعوت،

في فترة لاحقة..!؟ (راجع سفر راعوت، المدخل، و4: 18-21: وسفر اخبار الأيام الأول 2: 5-15)...

سفر صموئيل (الأول والثاني)

يشمل سفرا صموئيل حقبة طويلة من تاريخ اسرائيل، تبدأ بحياة صموئيل والحروب الطويلة بين اسرائيل والفلسطينيين وصولاً الى آخر ايام داود، مروراً بانشاء الملكية في اسرائيل، وحياة شاوول وداود، مع التركيز على حياة وحروب وانتصارات هذا الأخير... اما تحديد الاحداث تاريخياً فهو امر صعب لأن هذه الاحداث يحيط بها الغموض الزمني كما يحيط بقصص سفر القضاة. ليس سفرا صموئيل بسلسلة تاريخية إخبارية تتّبع الاحداث خطوة خطوة. هما عمل ادبي يجمع مواد غير متجانسة، بعضها قديم جداً، ويضم تقاليد شفهية متفرّقة زماناً ومكاناً، وصفحات حرّرت على عهد سليمان، وزيادات واضافات وضعت، دون ادنى شك، بعد الجلاء، تركز بنوع خاص، وبكثير من التضخيم والمبالغة، على سبط يهوذا والملك داود ومدينة اورشليم، جاعلة من هذه الأخيرة المحور الرئيسي لأكثر الاحداث اهمية، وذلك دون مراعاة للدقة الجغرافية والتاريخية...

بعد سقوط الملكية في اسرائيل وخراب اورشليم والهيكل، وخلال فترة الجلاء، حاولت بعض الجماعات الكهنوتية في المنفى ان تعوّض عن هذه الكارثة التاريخية الفادحة، فأخذت تحوك قصصاً جديدة، وتبالغ في الاحداث القديمة، تغيّر وتزيد وتضيف وتبالغ وتضخم... كل ذلك في سبيل ابراز عظمة سبط يهوذا واورشليم والملك داود...

إن وجود الفقرات المزدوجة المتشابهة في نص الكتاب مدهش جداً: فدخول داود في خدمة شاول مثلاً، ومحاولة شاول الفاشلة لاغتيال داود، وتدخّل يوناتان لخير داود، وقدوم داود الى الفلسطينيين، وقصة ابقاء داود على حياة شاول، وتتويج الملك داود، وغيرها كثير...، كل ذلك يروى مرتين اثنتين...!

وهكذا يبدو بوضوح، وفي معظم الحالات، اننا امام تقاليد مختلفة، زماناً ومكاناً، سبق ان استقرّت مشافهة او كتابة، وقد حرص الرواة والمحرّرون والنسّاخ على المحافظة عليها كلّها، وحاولوا ان ينظّموها بعبارات إطارية، وأشاروا باستعمال كلمات أساسية الى الموضوعات السائدة في كل قسم من الأقسام.

إن محاولة إسباغ الكمال المثالي على الملك داود بالذات، انسانياً ودينياً وملكياً وعسكرياً الخ... واضحة وضوحاً شديداً، لا بل فاضحة، وهي قد استمرّت في مراحل متتالية من التحرير والنسخ والترجمة...

يحاول محرّرو السفرين، وهم من المتعصّبين للمذهب الملكي، ولسبط يهوذا والملك داود بنوع خاص، يحاولون الحطّ من قيمة شاول ليظهروا اهمية داود. يركّزون على انتصارات داود على الفلسطينيين، وعلى بطولاته الحربيّة، مع ان نصوصاً أخرى في الكتاب عينه تعزو هذه البطولات والانتصارات الى غيره من الاشخاص...

وهكذا يبدو أنّ النزعات السياسية الداودية هي التي تسيطر على هذين السفرين...

إن الملك المثالي هو داود، ويغلّب عليه هذا الطابع المثالي، ولا سيما في مطلع ملكه، من خلال رواية مراحل حياته، وسرد مآثره وفضائله وصفاته الحسنة وسلوكه امام الله الخ...

إن سفري صموئيل هما اذاً دفاع قوي عن سلالة يهوذا وحفيده الملك داود بنوع خاص. وهذه الفكرة السياسية، التي ظهرت في وقت ساد فيه الاعتقاد بأن حكم يهوذا الملكي مضمون لمستقبل طويل، كتب لها النجاح في تاريخ اسرائيل لوقت طويل...

سفر الملوك (الأول والثاني)

يتناول سفرا الملوك حقبة زمنية طويلة من تاريخ اسرائيل، تمتد من موت داود حوالي سنة 970 الى زوال مملكة يهوذا مع الملك يواكيم حوالي سنة 560. ولكن سفري الملوك هما في عداد "الانبياء الأولين"، وهذا يعني أن سفري الملوك ليسا كتابي تاريخ قبل كل شيء، وان كانا حافلين بالأخبار التاريخية. إن نظرنا الى محتواهما، قلنا بالأحرى انهما تفكير سياسي لاهوتي في حقبة اسرائيل التاريخية التي كان فيها الملوك يحكمون الشعب.

إن ما تقدّم يمكّننا من معرفة اسباب تعدّد محتويات هذين السفرين وتنوع اللّهجة والاسلوب فيهما. يذكر الكاتب نفسه صراحة انه استعمل مؤلفات سابقة متنوعة، ويورد بعض المصادر التي استقى منها: "اعمال سليمان"، "حوليات ملوك اسرائيل"، "حوليات ملوك يهوذا"، "محفوظات الهيكل"، وغيرها... واكثر من ذلك، فالكتاب لم يوضع مرّة واحدة، بل تمّ على مراحل... بأية نسبة كانت هذه المعلومات نصوصاً سبق تأليفها أم صدرت عن تقاليد شفهية؟ هذا امر يصعب كثيراً تحديده بدقة. هناك بعض المغالطات والتناقضات في ما يخصّ التسلسل التاريخي من جهة، وفي طبيعة سلوك بعض الملوك من جهة اخرى!...

أمّا كيف جمعت هذه العناصر المختلفة في مجموعة واحدة، فهذه مشكلة من أعوص المشاكل التي تعترض مفسّري اليوم. من الواضح مثلاً ان الذي كتب 2 مل 25: 27-30 والذي تكلم كلام المعاصر على الاحداث التي يرويها شخصياً في وصف تابوت العهد في 1 مل 9: 13، ليس كاتباً واحداً، والاّ لكان لا بدّ له من ان يعيش اكثر من اربعمائة سنة! ويؤكد اكثر مفسري اليوم ان هناك مؤلفين عديدين وضعوا سفري الملوك تباعاً في فترات متلاحقة. وفي آخر الأمر، وضع بعض المحرّرين والنسّاخ اضافات جديدة اثناء الجلاء او بعده...

يواجه التسلسل في سفري الملوك مشاكل جسيمة، ولم يتم وضعه الا بالاعتماد على قليل من معالم كانت تقيم صلة ثابتة بين تاريخ اسرائيل وتاريخ الشرق الادنى القديم. هناك بعض النصوص المصرية والحوليّات والوثائق الصادرة عن ملوك أشور وبابل قد أفادت في تأريخ بعض الأحداث على وجه أكيد. فما عدا هذه النقاط الثابتة، كثيراً ما يكون تفسير ما ورد في سفري الملوك عسيراً. فتواريخ عهود يهوذا تذكر دائماً بالنسبة الى ملوك اسرائيل، والعكس بالعكس. وهذا ما يؤدي الى عدد من النقاط غير الواضحة. ثم هناك بعض الاخطاء عند النسّاخ (تغيير ترتيب الارقام او الخلط بينها) قد أدخلت هنا وهناك بعض الخلل في ترتيب التسلسل الزمني. واخيراً فقد لوحظ ان ليس في سفري الملوك تسلسل زمني واحد، بل عدة طرق في التسلسل الزمني تتشابك وترقى نشأتها الى مصادر هذين السفرين. وهكذا

نحصل على ثلاث نتائج مختلفة، بحسب ما نجمع اخبار الكتاب، في حقبة محدودة، على عهود يهوذا أو عهود اسرائيل او على الأخبار الواردة في حالات التزامن...

تحلّق فوق سلسلة يهوذا شخصية الملك داود، مُنشئ السلالة، والمدعو أحياناً "عبد" الله. وتقاس امانة وتقوى هذا او ذاك من خلفائه بأمانته (أي امانة داود) وتقواه وقد جعلت مثالية...

وهكذا فان سليمان يسير "على سنن داود ابيه"... اما ياربعام، مثلاً، "فلم يكن كداود"... الخ. وكان عصيان خلفاء داود، في نظر محرّري سفري الملوك، السبب المباشر للانشقاق بين مملكتي اسرائيل ويهوذا (933)، ولخراب مملكة يهوذا (560) على حد سواء. ومن جهة ثانية، فان سفري الملوك، اللذين يركّزان كثيراً على تفوّق يهوذا وداود، يخصّان مدينة اورشليم والعبادة التي تؤدّي في هيكلها بمكانة عظيمة... كما ان للانبياء وتدخلاتهم بالعمل او بالقول مكاناً واسعاً في هذين السفرين...

سفر الأخبار (الأول والثاني)

إن سفري الأخبار كناية عن عرض تاريخي واسع يعود في الزمن الى خلق الانسان ويمتد حتى القرن الخامس قبل المسيح، بعد العودة من بابل، وهو اطول تسلسل تاريخي ورد في كتاب العهد القديم. والسفران يعدّان تكملة لأسفار صموئيل والملوك. وفي الواقع فإن اخبارهما تكرّر كثيراً من اخبار اسفار صموئيل والملوك، وأضيف اليها عناصر تكميلية اخرى، من وجهة نظر تاريخية ولاهوتية مختلفة. وقد أعيد الترتيب المنطقي في الترجمات القديمة واحياناً في الترجمات الحديثة ايضاً.

يحدّد مفسّرو اليوم زمن تحرير سفري الأخبار في الحقبة الهادئة التي سبقت ايام المحن (حروب المكابيين...)، أي بين 330 و250 قبل المسيح. لم يحرّر الكاتب في الواقع رواية استوحاها من معرفته لتاريخ شعبه القديم، بل نقل عدداً من الوثائق التي بين يديه، وصنّفها احياناً في ترتيب يوافق ما يهدف اليه مؤلفه، ونقّحها واضاف اليها، وقد اهتمّ بذكر مراجعه – وهذا امر نادر في ايامه – وأطلعنا على اخبار ثمينة، وإن كانت غير كاملة ويعسر احياناً توضيحها... لقد أخذ الكاتب بطريقة الحذف، فلم يحفظ في مراجعه الا ما أراد ان يرويه وفقاً للفكرة التي كوّنها عن مؤلفه. فكان تاريخ ملك داود وسلالته في نظرة التاريخ الصحيح لشعب الله ومصيره.

ولذلك، فقد اهمل كل ما يتعلّق بتاريخ مملكة اسرائيل بعد الانشقاق واكتفى برواية تاريخ مملكة يهوذا وعاصمتها اورشليم...! وعلى هذا النحو ترك عدداً من الاحداث والوقائع لم يكن لها قيمة في نظره لابراز مجد داود واورشليم...، او كانت غير موافقة لهما (زنى داود وتمرّد ابشالوم والترف وعبادة الاصنام في أواخر ملك سليمان وغيرها...). وهذه الطريقة تفسّر لنا بعض الشيء ما قد نجده من النواقص في هذا العمل التاريخي: فليس هناك أي تلميح الى الجلاء الى بابل، ولا اية معلومات عن حقبات تاريخية طويلة تقع بين الجلاء وإصلاح عزرا ونحميا – ويشكّل ذلك اكثر من قرن! ثم إن العمل الذي قام به الكاتب باستعماله المواد ليجعل منها مراجع هو عمل تكييف للأمور. لم تكن تهمّه دقة التسلسل الزمني، بل كانت آراؤه الوطنية واللاهوتية هي التي توجّه عمله في رواية الأخبار... وكثيراً ما يعسر علينا تفسير التغييرات في الترتيب الزمني، إذ انها تخضع، على ما يبدو، لأسباب لاهوتية اكثر منها تاريخية... فالكاتب أراد ان يعرض لنا "تفكيراً لاهوتياً في التاريخ" أكثر مما أراد ان يقوم بعرض موضوعي تاريخي كامل كالعمل الذي يقوم به مؤرخ من عصرنا.

عرف كاتب سفري الأخبار النص العبري لأسفار صموئيل والملوك في حالة أقدم من النص الذي في ايدينا، ولحقت بأسفار صموئيل والملوك تارة وبسفري الأخبار تارة

أخرى أخطاء تاريخية لا يمكن اجتنابها فارتكبها النسّاخ اللاحقون، مضيفين بعض الفقرات التي تعبر عن أفكارهم الشخصية وتصوّرهم للأشياء.

وتظهر شخصية الملك داود، هنا ايضاً، الشخصية البارزة الموسومة بالكمال المثالي! فكلّ شيء يساهم، مساهمة مباشرة أو غير مباشرة، في إظهاره ملكاً نموذجياً كاملاً بحسب مشيئة الله، وكل ذلك ليبقى على رأس سلالة ملكية لا نهاية لها...، وتبقى مدينة اورشليم العاصمة المثالية ،ويبقى هيكل اورشليم الهيكل المثالي...

لقد اقام المفسّرون نوعاً من التماثل بين وجه موسى في تقليد التوراة الكهنوتي ووجه داود في سفري الاخبار .فهناك في النصوص بعض الشبه بين هذين الرجلين اللذين يصوّران –في حقبتين مختلفين- بصورة رئيسين ومشترعين للشعب من قبل الله ... ان مخطط الكاتب يؤدي، من الجهة اللاهوتية ، الى نظرة اجمالية يمكن ان يعبّر عنها تعبيراً حسناً بكلمة "حكم الهي. "ففي نظره، يشبه تاريخ مملكة يهوذا الصورة المثالية للمملكة ذات الحكم الالهي التي أقامها الله والتي جعل داود على رأسها. إن الله هو الملك الحقيقي الأوحد في الواقع، وإن داود جالس على عرش الله. ومن خلال ما للتاريخ الماضي من حقيقة ارضية، يصف الكاتب مملكة الله كما كانوا يتصورونها في أيامه: كانت العبادة في هيكل اورشليم الأوحد، وهي المدينة المقدسة، تعبّر عن امانة الشعب وفرحه وتسبيحه لملكه، ولا سيما على يد الكهنة واللاويين. وكانت الطاعة لشريعة الله اول واجبات الشعب في حياته اليومية. إن ما قام به كاتب سفري الأخبار هو سمة الماضي بالكمال المثالي ليظهر ما يجب ان تكون عليه حياة الشعب في الحاضر والمستقبل. ان مثل هذا التعليم المتشدّد يظهر طوال تاريخ الملوك خلفاء داود...

العهد الجديد

في البدء كان الكلمة، والكلمة كان لدى الله، والكلمة هو الله. كان في البدء لدى الله. به كان كل شيء، وبدونه ما كان شيء مما كان. فيه كانت الحياة. والحياة نور الناس، ... الكلمة هو النور الحق الآتي الى العالم، والمنير كل انسان، كان في العالم، وبه كان العالم، والعالم لم يعرفه... (يوحنا 1: 1-4، 9-10).

كل ما كان قبل يسوع المسيح، منذ بدء الخليقة الى يوم ميلاده، هو تهيئة له وإعداد وتمهيد. كأن الزمان السابق على ميلاده هو "التساعية الكونيّة الكبرى للميلاد". أما ما كان بعد يسوع المسيح، أو ما سيكون، فهو استمرار له وامتداد حتى نهاية الأزمنة. ومع يسوع المسيح أصبحت الخليقة "خليقة جديدة"...

أمّا ما يسمى بـ "العهد الجديد"، من حيث التأليف والكتابة، فيظهر بمظهر مجموعة مؤلفة من سبعة وعشرين سفراً او كتاباً مختلفة الحجم وضعت كلّها باللغة اليونانية. ولم تجرِ العادة ان يطلق على هذه المجموعة عبارة "العهد الجديد"، في المسيحية، الاّ في أواخر القرن الثاني. فقد نالت الكتابات التي تؤلفه رويداً رويداً منزلة رفيعة حتى أصبح لها من الشأن في استعمالها ما لنصوص العهد القديم التي عدّها المسيحيون الأولون زمناً طويلاً كتابهم المقدس الأوحد وسمّوها "الشريعة والأنبياء"، وفقاً للاصطلاح اليهودي السائد في تلك الايام. واذا انتهى الأمر الى ان يطلق على جملة تلك الكتابات عبارة "العهد الجديد"، فذلك يعود في جوهره الى ان اللاهوتيين المسيحيين الأولين رأوا ما ذهب اليه بولس (2 قور 3: 14) وهو ان تلك النصوص تحتوي على أحكام عهد جديد تحدد عباراته العلاقات الجديدة بين الله والناس في المرحلة الأخيرة من تاريخ الخلاص. وأدّى بالمسيحيين كلامهم على عهد جديد الى اطلاق عبارة "العهد القديم" على المجموعة التي كانت في الماضي تسمّى "الشريعة والأنبياء" فأشاروا بذلك الى أنهم يرون في تلك المجموعة قبل كل شيء ما فيها من احكام العهد الموسوي القديم الذي كمّله يسوع المسيح وجدّده وتخطّاه...

ولا بدّ لنا من النظر الى العهد الجديد في البيئة التي نشأ فيها والى انتشاره في أول أمره. وذلك بشكل مختصر ومبسّط. فلا غنى عن البحث في الأحوال التي حملت المسيحيين الأولين على إعداد مجموعة جديدة لأسفار مقدسة. ولا غنى بعد ذلك عن البحث كيف ان تلك النصوص، وقد نسخت ثم نسخت مراراً ومن غير انقطاع، أمكنها ان تجتاز نحو اربعة عشر قرناً من التاريخ الحافل بالأحداث التي مضت بين تأليفها من جهة وضبطها على وجه ثابت عند اختراع الطباعة من جهة اخرى. ولا بدّ في الوقت نفسه من شرح كيف أمكن ضبط النص بعدما طرأ عليه من اختلاف في الروايات في اثناء النسخ. كما انه من الضروري الحديث عن البيئة التاريخية

والدينية والثقافية التي نشأ فيها العهد الجديد ثم انتشر. وقد جرت العادة ان يقال لهذه المظاهر الثلاثة: مسألة القانون، ومسألة النص، ومسألة البيئة لنشأة "العهد الجديد".

قانون العهد الجديد

إن كلمة "قانون" اليونانية، مثل كلمة "قاعدة" العربية، قابلة لمعنى مجازي يراد به قاعدة للسلوك أو قاعدة للايمان. وقد استعملت هنا للدلالة على "جدول رسمي" للاسفار التي تعدها الكنيسة ملزمة للحياة والايمان. ولم تندرج هذه الكلمة بهذا المعنى في الادب المسيحي الاّ منذ القرن الرابع!... وقد يسأل المرء نفسه ما الذي دعا المسيحيين الأولين الى ان يفكروا في إحداث مجموعة جديدة لأسفار مقدسة، ثم في تحقيق تلك المجموعة، لتكمّل المجموعة التي يقال لها "الشريعة والأنبياء". ويمكن ايجاز هذا التطوّر على الوجه التالي:

كانت السلطة العليا في أمور الدين تتمثّل عند مسيحيّي الجيل الأول في مرجعين، اولهما العهد القديم، وكان الكتبة المسيحيّون الأولون يستشهدون بجميع اجزائه على وجه التقريب استشهادهم بوحي الله. وأمّا المرجع الآخر الذي نما نمواً سريعاً فقد أجمعوا على تسميته "الرب". وكان يطلق هذا الاسم على كل من التعليم الذي القاه يسوع (1 قور 9: 14) وسلطة ذلك الذي قام من بين الأموات وتكلّم بلسان الرسل (2 قور 10: 8 و18). وكان لهذين المرجعين قيمة القياس في امور الدين، ولكن العهد القديم كان يتألف وحده من نصوص مكتوبة. وأما أقوال الرب وما كان يبشّر به الرسل، فقد تناقلتها ألسنة الحفاظ مدة طويلة ولم يشعر المسيحيون الأولون الاّ بعد وفاة آخر الرسل بضرورة كل من تدوين اهم ما علّمه الرسل وتولي حفظ ما كتبوه. وما كان بدّ من ان تثار ذات يوم مسالة المكانة العائدة لهذه المؤلفات الجديدة، وإن حظي في اول الأمر التقليد الشفهي بمكانة افضل كثيراً مما كان للوثائق المكتوبة.

ويبدو ان المسيحيين، حتى ما يقرب من السنة 150، تدرّجوا رويداً رويداً الى الشروع في انشاء مجموعة جديدة من الاسفار المقدسة، واغلب الظن انهم جمعوا في بدء امرهم رسائل القديس بولس واستعملوها في حياتهم الكنسيّة. ولم تكن غايتهم قط ان يؤلّفوا ملحقاً بالعهد القديم... بل كانوا يدعون الروح يوجّههم: فقد كانت الوثائق البولسيّة مكتوبة في حين ان التقليد الانجيلي كان لا يزال في معظمه متناقلاً على السنة الحفاظ، فضلاً عن ان بولس نفسه كان قد أوصى بتلاوة رسائله وتداولها بين الكنائس المتجاورة (1تس 5: 27، قول 4: 16). ومع كل ذلك، فليس هناك قبل اول القرن الثاني (2 بط 3: 16) أي شهادة تثبت ان هذه النصوص كانت تعدّ أسفاراً مقدسة لها من الشأن ما للكتاب المقدّس...

لم يظهر شأن الأناجيل طوال هذه المدّة ظهوراً واضحاً، كما ظهر شأن رسائل القديس بولس. أجل لم تخلُ مؤلفات الكتبة المسيحيّين الأقدمين من شواهد مأخوذة من الاناجيل او تلمح اليها، ولكنه يكاد ان يكون من العسير كل مرة الجزم

هل الشواهد مأخوذة من نصوص مكتوبة كانت بين ايدي هؤلاء الكتبة ام هل اكتفوا باستذكار أجزاء من التقليد الشفهي. ومهما يكن من امر، فليس هناك قبل السنة 140 أي شهادة تثبت ان الناس عرفوا مجموعة من النصوص الانجيلية المكتوبة، ولا يذكر أن لمؤلَّف من تلك المؤلفات صفة ما يُلزم. فلم يظهر الاّ في النصف الثاني من القرن الثاني شهادات ازدادت وضوحاً على مرّ الزمن بان هناك مجموعة من الاناجيل وأن لها صفة ما يلزم، وقد جرى الاعتراف بتلك الصفة على نحو تدرّجي...

وابتدأ نحو السنة 150 عهد حاسم لتكوين قانون "العهد الجديد". وكان الشهيد القديس يوستينوس أول من ذكر ان المسيحيين يقرأون الأناجيل في اجتماعات الاحد وأنهم يعدّونها مؤلفات الرسل، او اقلّه مؤلفات اشخاص يتصلون بالرسل صلة وثيقة، وأنهم وهم يستعملونها يولونها منزلة كمنزلة الكتاب المقدس.

واذا اوليت هذه المؤلفات تلك المنزلة الرفيعة، فيبدو أن الامر لا يعود اولاً الى أصلها الرسولي، بل لأنها تروي خبر "الرب"، وفقاً للتقليد المتناقل. ولكن سرعان ما شدّد على نسبة هذه المؤلفات الى الرسل، وعلى الخصوص لما مسّت الحاجة الى حمايتها من تكاثر المؤلفات الشبيهة بها في ظاهرها (اسفار العهد الجديد المنحولة...).

وكان بعد السنة 150 بقليل ان مسّت الحاجة في الكنيسة الى قاعدة شاملة، فاتجهت الانظار الى مجموعة الأناجيل الاربعة وانها نالت، حتى ذلك الوقت، انتباه الناس، لما تحلّت به من الصفات ولصحة الشهادة التي تؤديها "للرب". وكان تفوّق الاسفار الاربعة عظيماً جداً من جهات كثيرة، حتى انها حجبت بسرعة مجمل المؤلفات المماثلة. فيمكن القول ان الاناجيل الاربعة حظيت نحو السنة 170 بمقام الأدب القانوني، وان لم تستعمل تلك اللفظة حتى ذلك الحين. ولا حاجة هنا الى ان نتتبّع تتبّعاً مفصلاً جميع مراحل التطورات اللاحقة التي أدّت خلال القرن الرابع الى تأليف "قانون للعهد الجديد" هو بعينه الذي نعرفه اليوم!...

أسفار العهد الجديد المنحولة

خصّت بكلمة "منحولة" (خفيّة باليونانية) بعض المؤلفات التي كانت، على ما فيها من الشبه بنصوص العهد الجديد القانونية، تنقل آراء غريبة عن افكار الكنيسة، وعلى العموم "سريّة"، تعود الى بيئة "متحزّبة" كانت وحدها تستطيع التصرّف بها للحصول على معرفة حقيقية، أي "عرفان"... وبعد مدّة عُدّت مؤلفات منحولة تلك التي أبت الكنيسة أن تبني عليها ايمانها وعقيدتها الرسمية، ولذلك لم تأذن بقراءتها في اثناء إقامة شعائر العبادة في الكنيسة يوم الأحد. وقد أُمر ان تبقى تلك الكتب "مخفيّة" في اثناء اقامة شعائر العبادة، وإن أوصي في بعض الأحوال بأن يطالعها الناس فرداً فرداً لحسن تأثيرها التقوي في النفوس...!.

ويمكن ان نميّز، ضمن الأدب المنحول، بشكل عام، اربع فئات من المؤلفات تشابه مختلف أصناف الاسفار القانونية. فهناك اناجيل واعمال رسل ورسائل ورؤى منحولة. نحن لا نعرف أناجيل النصارى والعبرانيّين والمصريّين الاّ ممّا استشهد به منها آباء الكنيسة، وهي مؤلفات تمتّ بصلة قريبة الى الاناجيل القانونية. وانجيل بطرس، الذي عثر على جزء منه في مصر في أواخر القرن الماضي، يحتوي على آثار غنوصيّة ظهرت على وجه تام في مؤلفات تحسّنت معرفتنا لها منذ أن عثر بعد ذلك في مصر ايضاً على اسفار كانجيل الحق وانجيل فيلبّس وانجيل توما، علماً بان انجيل بطرس يحوي أموراً كثيرة مشتركة بينه وبين الاناجيل الازائية. وهذه المؤلفات المنحولة تختلف اختلافاً واضحاً عن الاناجيل القانونية، لأنها تكاد لا تحتوي رواية شيء من الاحداث. والمؤلف المعروف باسم انجيل يعقوب يروي رواية مفصّلة اناجيل الطفولة ويولي اهتماماً خاصاً بما جرى لمريم ويوسف وبأحداث ميلاد يسوع...

وهناك اناجيل الطفولة ويوسف النجار وغيرها، لا مجال لتفصيل ما جاء فيها... اما أعمال الرسل المنحولة (كأعمال يوحنا واندراوس وبولس...) فهي على العموم مؤلفات غايتها القدوة الحسنة للشعب المسيحي، تستوحي عن بعد ما ورد في سفر اعمال الرسل القانوني، تتخيّر التوسّع في جانب المعجزات من سيرة الرسل، وهدفها ان تعظّم شأنهم... وليس لنا الا القليل نقوله في الرسائل المنحولة: لا يمكن تشبيه هذه المؤلفات بالرسائل القانونية، فهي لا تشبه الرسائل، بل هي اشبه بمقالات روحية صغيرة تغلب عليها البساطة والتقوى السطحية، وتفتقر الرصانة والعمق... واما الرؤى المنحولة ("الراعي" لهرماس، رؤيا بطرس، رؤيا بولس...) فهي نوع من التخيلات الروحية للحياة المستقبليّة والنعيم والجحيم...

إن اسفار العهد الجديد المنحولة، وان كانت لا تصلح قاعدة للايمان ولعقائد الكنيسة، لا تزال مؤلفات ثمينة جداً لدرس تطوّر الآراء الدينية في القرنين الثاني والثالث، بالاضافة الى بعض الاحداث التاريخية الخاصة بميلاد المسيح وطفولته

ونشأة المسيحية، هذه الاحداث التي لم تدونها الاناجيل الاربعة وسائر اسفار العهد الجديد القانونية. وذلك لأن الاناجيل وسائر الاسفار القانونية ليست كتباً تاريخية بالمعنى الحصري للكلمة كما نفهمه اليوم. هذا من جهة، ومن جهة اخرى لأن "هناك اموراً اخرى كثيرة اتى بها يسوع، لو كتبت واحداً واحداً لحسبت ان الدنيا نفسها لا تسع الاسفار التي تدوّن فيها..." (انجيل يوحنا – الخاتمة – 21: 25).

نصّ العهد الجديد

بلغنا نص الاسفار السبعة والعشرين – للعهد الجديد – في عدد كبير من الكتب المخطوطة التي انشئت في كثير من مختلف اللغات، وهي محفوظة الآن في المكتبات في طول العالم وعرضه. وليس في هذه الكتب المخطوطة كتاب واحد بخط المؤلف نفسه، بل هي كلها نسخ او نسخ النسخ للكتب التي خطتها يد المؤلف نفسه او أملاها إملاءً. وجميع اسفار العهد الجديد، من غير ان يستثنى واحد منها، كتب باليونانية، وهناك اكثر من خمسة آلاف كتاب خط بهذه اللغة، اقدمها كتب على أوراق البردي وكتب سائرها على الرق. وليس لنا على البردي سوى اجزاء من العهد الجديد بعضها صغير. وأقدم الكتب المخطوطة التي تحتوي النص الكامل للعهد الجديد هو "المجلّد الفاتيكاني"، سمّي كذلك لأنه محفوظ في مكتبة الفاتيكان، وهو مجهول المصدر. والعهد الجديد كامل ايضاً في الكتاب المخطوط الذي يقال له " المجلد السينائي"، لأنه عثر عليه في دير القديسة كاترينا في شبه جزيرة سيناء، وهو محفوظ اليوم في المتحف البريطاني في لندن. هذان المجلدان كتبا بخط جميل يقال له "الخط الكبير الكتابي". وهما الاشهران بين نحو 250 كتبت على الرق بالخط نفسه، وتعود الى عهد يمتد من القرن الثالث الى القرن الحادي عشر، ومعظمها لا يحفظ الاّ جزءًا صغيراً من العهد الجديد...

إن نسَخ العهد الجديد التي وصلت الينا ليست كلّها واحدة، بل يمكن المرء ان يرى فيها فوارق مختلفة الاهمية، ولكن عددها كثير جداً على كل حال. هناك طائفة من الفوارق لا تتناول سوى بعض قواعد الصرف والنحو أو الالفاظ او ترتيب الكلام. ولكن هناك فوارق اخرى، بين الكتب الخطوطة، تتناول معنى فقرات برمّتها...
واكتشاف مصدر هذه الفوارق ليس بالأمر العسير. فان نص العهد الجديد قد نسخ ثم نسخ طوال قرون طويلة بيد نساخ صلاحهم للعمل متفاوت، وما من واحد منهم معصوم من مختلف الاخطاء التي تحول دون ان تتّصف اية نسخة كانت، مهما بذل فيها من الجهد، بالموافقة التامة للمثال الذي اخذت عنه. من النسّاخ من تأثر بمزاجه او بيئته او مذهبه فحذف وغيّر، بدّل وصحّح وزاد بعض الالفاظ والعبارات والاسماء كما يحلو له... يضاف الى ذلك ان بعض النسّاخ، ومنذ البداية، حاولوا احياناً، عن حسن نية، ان يصوّبوا ما جاء في مصادرهم وبدا لهم انه يحتوي اخطاء واضحة او قلة دقة في التعبير اللاهوتي، فأدخلوا هكذا الى النصّ الاصلي قراءات جديدة تكاد ان تكون كلها خطأً. ثم يمكن ان يضاف الى ذلك كله ان الاستعمال لكثير من الفقرات من العهد الجديد في اثناء إقامة شعائر العبادة ادّى احياناً كثيرة الى إدخال زخارف غايتها تجميل الطقس او الى التوفيق بين نصوص مختلفة ساعدت عليه التلاوة بصوت عالٍ...

ومن الواضح أن ما أدخله النسّاخ من التبديل على مرّ القرون تراكم بعضه على بعضه الآخر فكان النص الذي وصل آخر الأمر الى عهد الطباعة مثقلاً بمختلف ألوان التبديل ظهرت في عدد كبير من القراءات...

والمثال الأعلى الذي يهدف اليه علم نقد النصوص هو ان يمحّص هذه الوثائق المختلفة لكي يقيم نصاً يكون اقرب ما يمكن من الأصل الأول. ولا يرجى في حال من الأحوال الوصول الى الأصل نفسه. وأول عمل في علم نقد النصوص هو النظر في جميع نسخ النص. فيجب بعبارة أخرى ان تحصى وترتّب جميع الوثائق التي يرد فيها نص العهد الجديد كلّه او بعضه، ولا يقتصر الأمر على مراجعة الكتب المخطوطة باليونانية، بل تراجع جميع الكتب التي تحتوي ترجمة العهد الجديد التي استعملها المسيحيّون في القرون الأولى (وهي السريانية والقبطية واللاتينية). فقد اعتمد الناقلون في بعض الترجمات أصولاً يونانية أقدم من المجلّد الفاتيكاني او السينائي، فهي تشهد على حالة للنص أقدم مما يمكن الوصول اليه بمراجعة أقدم الأصول اليونانية. فالترجمات القديمة، على قدر ما يمكن استنباط أصلها اليوناني استنباطاً دقيقاً، تساعد مساعدة مهمة على ضبط نص العهد الجديد.

يضاف الى مراجعة الكتب المخطوطة باليونانية والترجمات القديمة ان علماء نقد النصوص يحاولون الاستفادة ممّا في مؤلفات آباء الكنيسة من شواهد كثيرة جداً اخذت من العهد الجديد. والفائدة الاكيدة التي تجنى من هذه الشواهد هي على الخصوص انها تمكّن العلماء في أحيان كثيرة من الرجوع الى النص كما كان قبل اقدم الترجمات. ثم إن تحديد تاريخ هذه الشواهد وأصلها الجغرافي سهل المنال الى حدّ ما. وهكذا يحصل العلماء على وسيلة للاطّلاع على نص العهد الجديد، كما كان يستعمل في وقت من الاوقات في هذا الجانب او ذاك من الكنيسة. غير أن لهذه الشواهد محذورين. فالأمر لا يقتصر على ان كلاّ منها لا يورد الاّ شيئاً يسيراً من النص، بل كان الآباء، لسوء طالعنا، يستشهدون به في أغلب الأحيان عن ظهر قلبهم ومن غير ان يراعوا الدقّة مراعاة كبيرة، وخاصة في مجالات التاريخ والجغرافية...

فلا يمكننا، والحالة هذه، الوثوق التام في ما ينقلون الينا. واذا فرغ علماء نقد النصوص من احصاء وتمحيص ذلك العدد الضخم من الوثائق التي تتألف منها الكتب المخطوطة باليونانية والترجمات القديمة وشواهد آباء الكنيسة، بذل هؤلاء العلماء جهدهم في ترتيبها ليتيسّر لهم استعمالها على احسن وجه، فيرجعوا الى ابعد ما يمكنهم في طلبهم للأصل الأول. وقد أدّى البحث الدقيق، والحالة هذه، بأهل الاختصاص الى اكتشاف هذا الأمر، وهو أن ذلك العدد الكبير من الوثائق المعروفة تنقسم الى عدد محدود من الفئات الكبرى. وهكذا استطاعوا ان يقيموا ثلاث فصائل كبرى من الأصول يبدو جميع ممثليها نسخاً لمثال واحد. ولا يقتصر الأمر على هذه الفصائل الكبرى للكتب المخطوطة فهناك صيغ وسط بين هذه الأمثلة المذكورة.

ولا مجال هنا لتفصيل كل ذلك. حسبنا ان نشير الى الفائدة المتوقعة من تحديد هذه الأمثلة للنص ومعرفة زمانها ومكانها، بالاستناد الى ما نعرفه من **التاريخ والجغرافية** لدى مراجعة الترجمات والشواهد وعلم الكتابات والخطوط القديمة عندما يقتضي الامر ذلك. وهكذا يمكن، لدى البحث في كل قراءة او سفر او العهد الجديد كلّه، معرفة الصيغ الاكثر قدماً والاكثر وروداً والتي يقدّر ان تكون الاقرب الى الأصل الأول...

وهذا النقد الأول الذي يقال له "النقد الخارجي" غير كافٍ. فكثيراً ما يؤول هذا النقد الى الوقوف على فقرة لها في القرن الثاني او الثالث روايتان انتشرتا قليلاً او كثيراً، ومن العسير اختيار احداهما. فلا بدّ من اللجوء الى النقد الباطني. فهو ينظر الى القراءات نظره الى انها تبرز امثلة مختلفة لنص العهد الجديد، بل ينظر الى كل رواية وحدها ويفحصها في حدّ ذاتها، لأنها تَدَخّل لا داعية له قام به الناسخ عن قصد او غير قصد... وهدف اصحاب النقد الباطني ان يوضحوا بجلاء نوع التدخل الذي قام به الناسخ والاسباب التي دعته الى ذلك التدخل. فيسهل بعد ذلك الارتقاء الى القراءة القديمة التي تفرّعت منها سائر الروايات المحرّفة. ولا يحسن استعمال النقد الباطني وحده، لأنه مرهون برأي الناقد. ولذلك جرت العادة الاّ يستعمل النقد الباطني الاّ وسيلة متمّمة للنقد الخارجي. ومهما يكن من امر، فإن النتائج التي حصل عليها علماء نقد النصوص منذ 150 سنة تقريباً جديرة بالإعجاب. وبوسعنا اليوم ان نعدّ نص العهد الجديد نصاً مثبتاً اثباتاً حسناً، وما من داعٍ الى اعادة النظر فيه الا اذا عثر على وثائق جديدة...

إن هذه النتائج مكّنت من التقدم الكبير الذي يراه المرء إذا قارن بين الطبعات الحديثة للعهد الجديد من جهة والطبعات التي ظهرت منذ 1520 الى نحو 1850، قبل العمل المحكّم بقواعد علم نقد النصوص...

والطبعة الأكثر انتشاراً في أيامنا هي طبعة "نستلي-ألاند"، وقد اعتمدت النص العائد للطبعات العلمية العصرية الثلاث، قام بها في النصف الثاني للقرن التاسع عشر تيشندورف، وسكوت-هورت، ووايس. إن العهد الجديد اليوناني الذي نشرته جمعيات الكتاب المقدس وحققه ك. الاند وم. بلاك وب.م. ميتزجر وا. ويكرين بذل الجهد الكبير فيه لإدخال زيادة من التحسين على ذلك النص...

بيئة العهد الجديد

نشأت المسيحيّة في شعب عاش تاريخاً مضطرباً. فاسرائيل بعد جلائه الى بابل، الذي بلغ أثره أعماق نفسه وبدّله، عاد الى فلسطين وأقام فيها ورتّب اموره على قدر ما استطاع. ولكن اليهود تحقّقوا أن الاحوال قد تغيّرت كثيراً وأنه لا سبيل الى العيش كما في الماضي. فأن فلسطين قد أمست اكثر من قبل رهن مصالح تفوق طاقتها وعرضة لتأثير خارجي مستمر، يأتيها من آراء غريبة تعارض معارضة تزداد حدّتها يوماً بعد يوم التقاليد الموروثة عن الآباء والاجداد والتي كانوا يبذلون جهدهم في الحفاظ عليها مهما كلّف الامر. وقد تطوّرت على مرّ الأيام المجابهة بين اليهودية والعالم المحدق بها وازدادت عنفاً...

فقد دخلت فلسطين منذ وفاة الاسكندر الكبير السنة 323 في حكم الملوك الهلّنستيّين، فاختلف موقفهم من اليهود اختلافاً كبيراً. فمنهم من أظهر تسامحاً كبيراً ومنهم من حاول بأعنف الوسائل دمج اليهود بالوثنيين... وكانت ذروة ذلك العنف تحويل هيكل اورشليم الى عبادة الاله جوبيتر الاولمبي، مما تسبّب في ثورة الاخوة المكابيين، التي نجم عنها استعادة قدر من الاستقلال السياسي والديني استمر نحو قرن من الزمن. فان سلالة الحشمونيين التي ينسب اسمها الى أحد أجداد يهوذا المكابي حكمت فلسطين الى العهد الروماني. فقد دخل بومبيوس لحسم الخلافات الداخلية التي كانت تفرّق بين الحشمونيّين، فاستولى على اورشليم السنة 63 قبل المسيح. وسادت سلالة هيرودس في اوائل الحقبة الرومانية، فملك هيرودس الكبير (متى 1:2) من السنة 40 الى السنة 4 قبل المسيح، مستعملاً وسائل الارهاب احياناً كثيرة، وقد أبغضه الشعب اليهودي بغضاً لا هوادة فيه لأصله الإيدومي، فلم يكن من سلالة الملك داود...! ولما توفّي اقتسم اولاده مملكته، فكان نصيب هيرودس انطيباس الجليل (لو 3: 1) والبيرية، فملك من السنة 4 قبل المسيح الى السنة 39 م. عرف بقتله ليوحنا المعمدان (مر 6: 17-29) وباشتراكه في محاكمة يسوع (لو 23: 6-16). اما ارخلاوس (متى 2: 22) وكان نصيبه اليهودية والسامرة، وفيلبس وكان نصيبه البلاد من شمال البيرية (لو 3: 1) فلا تعرف الاناجيل سوى اسمهما.

ولكن السلطة السياسية المسيطرة كانت في أيدي الرومانيين الحكّام منهم او الولاة. وقد ذكر العهد الجديد بضعة منهم: بنطيوس بيلاطس وهو خامسهم، حكم من السنة 27 الى السنة 37، وفيلكس وكان قاسياً فاسقاً تولى منصبه منذ السنة 52 الى السنة 60 وتسبب في اندلاع الحرب الاهلية في البلاد التي كان يليها، ولديه مثل بولس في قيصرية (رسل 23: 23-26)، وخلفه فسطس (رسل 25-26)، وفي حضرته رفع بولس دعواه الى قيصر (رسل 15: 11-12)...

انقطع عهد الحكام بعودة سلالة هيرودس الى الحكم مدة قصيرة، فملك أغريبا الاول، حفيد هيرودس الكبير. وقد عرف، على ما جاء في العهد الجديد، بأنه كان اول مضطهدي الكنيسة الناشئة (رسل 12: 1-23). ثم تفاقمت الاضطرابات السياسيّة في عهد الحكّام الآخرين وتحوّلت الى ثورة حقيقية وآل قمع الرومان السنة 70 الى خراب أورشليم وهيكلها. ولما خرب الهيكل تعذّر على اليهود إقامة شعائرهم الدينية. فقد منيت اليهودية في نظامها السياسي والوطني والديني بأسوأ كارثة أصابتها طوال تاريخها. ويبدو أن الجماعة المسيحية الصغيرة كانت، قبل وقوع هذه الحوادث، قد هربت من اورشليم ولجأت الى بِلاّ في المدن العشر، والى الجليل وجنوبي فينيقية...

بعد خراب أورشليم والهيكل تفرّق اليهود في حوض البحر الابيض المتوسط. وكانت اكبر الجماعات في هذا الشتات تقيم في الاسكندرية وانطاكية ورومة. واستقرت جماعة كبيرة منهم في مناطق الجليل، حيث ترسّخت مع الزمن وعملت، طيلة ثلاثمائة سنة متواصلة، على دكّ وتخريب وطمس كل اثر من آثار المسيحية الناشئة في هذه المناطق الجبلية... وكان المجمع مركز الحياة الدينية والثقافية عند اليهود، فقد كان في الوقت نفسه مدرسة ونادياً ثقافياً ومكان العبادة. وكانت العبادة تقتصر في جوهرها على الصلاة وتلاوة التوراة. ولكن لا بدّ من شرح التوراة وتفسيرها ليسري حكمها على المسائل العملية والفردية. وقد استمر ذلك الجهد في الشرح مدة قرون فآل الى انشاء توراة شفهية تحيط بالتوراة المكتوبة وتتألف مما سمّي "سنّة الأقدمين"، وقيل انه يرتقي الى موسى بشهادات متواترة من الربّانيين. والعهد الجديد يطلق اسم "الكتبة" على اولئك المثقفين الذين يفسّرون التوراة. وكان لهم زمن يسوع سلطة كبيرة عند الشعب، ولا سيما عند الطبقات الوسط. وكانوا يعملون عمل معلّمي اللاهوت والفقهاء في المجتمع، وكان لهم شأن كبير في حياة اليهود. وأخذ الربّانيون منذ القرن الميلادي الثالث يدوّنون سنّة "الكتبة" كلها بعدما ظلّت الى ذلك الحين شفهية. فآل هذا العمل الى تكوين "المثنة" (تكرار الشريعة، تفسير) التي دخلت هي بنفسها في تأليف "التلمود" (التعليم). وهناك امر لا يقبل الجدل وهو ان القطب الآخر لحياة اليهود كان في القرن الاول هيكل اورشليم، وعليه كانت تنصبّ مشاعر الشعب كلها، الدينية منها والوطنية. فقد كانوا ينظرون اليه نظرهم الى مركز العالم، فيه يتجلى الله في اليوم الاخير... وكان يقوم بشعائر العبادة والطقوس كهنة ينتخبون من سليلي اسرة هارون وكان يعاونهم اللاويّون في اعمالهم. فقد كانت هناك طبقة كهنوتية تدور في فلك هيكل اورشليم، وكان لها نظام تسلسل محكم تحت سلطة عظيم الاحبار العليا، وكان يرئس مجلس اليهود وهو جمعية مؤلفة من سبعين عضواً ما بين كهنة وعلمانيين، اليهم يعود الحكم في الشؤون المدنية والدينية. وكان في الوقت نفسه خصام يتفاقم يوماً بعد يوم بين

الكتبة وهؤلاء الممثلين للطبقة الكهنوتية. وكان ذلك الخصام مظهراً من مظاهر الخلاف بين الهيكل والمجمع، أي بين الصدوقيّين والفرّيسيين. وكانت هاتان النزعتان الكبيرتان تؤلفان ما جرت العادة ان يقال له "اليهودية الرسمية". ورأى الصدّوقيون سلطتهم عرضة لمنازعة شديدة منذ زمن يسوع. فقد كانوا محافظين وانصاراً لسيادة النظام في كل وجه من الوجوه، وإن كان ذلك النظام رومانياً، لأنه يضمن لهم جلّ دخلهم... ولذلك كان الشعب اليهودي يتهمهم اتهاماً جدياً بالتعوان، بل بالتواطؤ، مع حكومة الاحتلال الوثنية. وكان الشعب يفضّل عليهم خصومهم الفريسيين وقد رأى فيهم مواطنين مخلصين للرب والشريعة، سليلي "الحسيديم" المشهورين الذين اشتركوا في الثورة على أنطيوخس ابيفانيوس في ايام المكابيين (175-164 ق.م). وأدّى خراب الهيكل السنة 70 الى خراب الصدّوقيين، وكان مصيرهم مرتبطاً به ارتباطاً تاماً. وقد مثّلت منذ ذلك الوقت النزعة الفريسية وحدها اليهودية الرسمية. وكان في زمن يسوع، على هامش هذين "الحزبين" عدة شيع وأحزاب ومجموعات متفاوتة الحجم والتأثير منها الديني شبه الرهباني، منها السياسي الوطني، منها السري ومنها العلني...

ليس لدينا عن "شيعة الغيورين" سوى اخبار جزئية يعسر تفسيرها. يبدو انها كانت جناحاً متطرفاً لحزب الفريسيين، وكان اعضاؤها مصممين على فرض مراعاة أحكام الشريعة اليهودية بجميع الوسائل حتى بالقوة منها. وقد وصفوا احياناً من البعض بقطّاع طرق رعاع، في حين انهم كانوا في حقيقتهم من المتعصّبين الدينيين الذين يعارضون معارضة مطلقة رأي سلطة لا تصدر من الشريعة نفسها. لذلك لم يكونوا يترددون في ان يعاقبوا بالموت كل من كان مذنباً في نظرهم بمخالفات كبيرة لأحكام الشريعة، ولا سيما الذين كانوا يعاونون حكومة الاحتلال الوثنية. وربما كان بعض تلاميذ يسوع، بل بولس نفسه، قبل ان يصيروا مسيحيين، على صلة "بشيعة الغيورين". والانجيل يذكر صراحةً واحداً من الرسل على انه من الغيورين: سمعان "الغيور" (متى 10: 4، مرقس 3: 19، لوقا 6: 15).

وكان هناك الاسّينيّون... الذين طمسهم "التاريخ"، طمساً شبه كامل. طوال الفي سنة!!! وقد انتفضوا مؤخراً من تحت التراب وقاموا، وكانت قيامتهم عظيمة... كما يحصل الآن لتراب وآثار بيروت الكنعانية عاصمة لبنان!...

فمنذ اكتشاف "مخطوطات قمران" الشهيرة على البحر الميت. أخذ العالم أجمع، وقد اخذته الدهشة الدهرية، يتعرف الى هؤلاء الاسينيين الكبار القائمين من القبور... وسوف نتحدث عنهم بالتفصيل في سياق هذا البحث.

كان اكثرهم من "الرهبان"، ولكن كان بعضهم يقيمون في خارج دير قمران، وفي دير جبل الكرمل، يتعاطون الحرف (غير العسكرية) على انواعها. وسوف نركّز على دير جبل الكرمل الاسيني، تركيزاً خاصاً، وذلك لسببين: الأول، لأن التاريخ قد

أغفله وطمسه بشكل عجيب حقاً(؟!)، والثاني، لأنه بنظرنا قد شكل محطّة اساسية وبالغة الأهمية في نشأة يسوع المسيح نفسه، وبالتالي في نشأة المسيحيّة عينها...

كان الاسّينيون أعداء ألدّة للسلطات اليهودية القائمة، وخاصة الدينيّة منها، ولا سيما لعظيم الاحبار. ومع ذلك لا ذكر للاسينيين في العهد الجديد، وليس فيه ما يدل على تأثير مباشر لعقيدتهم في المسيحية... غير ان اناساً مثل يوحنا المعمدان (وقد كان اسينياً دون ادنى شك...) ويسوع والتلاميذ الاولون والرسل، كلهم عاشوا وهم الى بيئة الاسينيّين والشيع اليهودية في القرن الاول أقرب منهم كثيراً الى بيئة اليهودية الرسمية... وكانت هذه البيئات كلها، على قدر ما يتيسّر لنا الاطلاع على الامر، تميل الى آراء الاسّينيّين على درجات متفاوتة، كما كانت الحال مع جماعات "المنذورين" لله، وبعض "الانبياء"، "والناصريّين" (لا نسبة الى الناصرة... بل بمعنى "الاتقياء" "والمنذورين" "والمقدسين" "والمنتظرين" خلاص الله الآتي من خلال مسيحه الروحي...). فمن المرجح جداً ان المسيحية في أول نشأتها قد أفسحت قليلاً في المجال لتلك الآراء الروحية الجديدة، وانه ساد الجماعة المسيحية الاولى في أورشليم تفكير وسلوك مطبوعان بما عند الاسينيين من تفكير وسلوك، ولو مدة من الزمن...

لا شك ان الاسينيين اشتركوا اشتراكاً فعّالاً في الثورة على الرومانيين. وقد زالوا عن التاريخ في عاصفة السنة 70. فإن الاحداث التي أدت الى خراب اورشليم والهيكل تشهد على ما بلغته العداوة بين الجماعات اليهودية والحكام الرومانيين. وكان الغيورون يستغلّون استغلالاً كبيراً ذلك الغيظ الذي كانت تغذيه ايضاً جميع المعتقدات المستوحاة مع الرؤى، وقد نمت نمواً كبيراً في فلسطين منذ القرن الثاني قبل المسيح. فقد ترسّخ يوماً بعد يوم في يقين اليهود ان الله لن يلبث ان يردّ على تحدي وجود الوثنية في الارض المقدسة فيعود الى اقامة عدله ويعيد الى مختاريه امتيازاتهم، إذ يبسط ملكوته على الارض بسطاً يبهر العيون. وهذا التدخّل الالهي يجعل حداً للشدائد الحاضرة ويفتح عهداً جديداً خالياً من الشر والاثم. ويؤذن بقدوم ذلك العهد آخر الامر تضاعُفُ الكوارث والنكبات يرافقها ابتلاع جميع أعداء الله من غير رجعة. كانت اليهودية الرسمية تنتظر مجيء مسيح دنيوي يمسحه "يهوه"، ملكاً من ذرية داود الجسدية... يقوم باعمال سياسية وعسكرية فيطرد الرومان الوثنيين من أرض فلسطين المقدسة ويحقّق بعون "يهوه" تحرير الشعب اليهودي ويعيد اليه مجده وازدهاره...

وبالمقابل، كان الاسينيون والمجموعات التي تدور في فلكهم ينتظرون مجيء "مسيح اسرائيل"، مسيح روحي، غير دنيوي وغير عسكري، يعيد العلاقة الباطنية

بين الانسان والله، ويحيي من جديد العهد الذي كان بين الله والاجداد... وهكذا يتحقّق العدل بين الناس ويعمّ السلام في الارض!

لذلك كان الاسينيون وحلفاؤهم ينتظرون "مسيحاً روحياً"، وقد أطلقوا عليه سلفاً لقب "أمير السلام"...

نظرة خاطفة الى العالم اليوناني الروماني في بداية العهد الجديد

كان العالم الروماني في اول العهد المسيحي الوريث الأول للامبراطورية اليونانية التي انشأها الاسكندر الكبير. فقد بقيت، تحت طلاء روماني، الادارة الاقليمية نفسها واحوال الحياة نفسها عند الجماعات والافراد، وبكلمة واحدة المدنية نفسها، وظلّت اليونانية اللغة المشتركة. ونظرة الى خريطة الامبراطورية الرومانية تظهر سعتها اكثر مما يظهرها كل تعداد. فرحابتها رحابة عالم بأسره وهي ترسّخ كل سنة سلطتها ترسيخاً أمتن بمحو جميع الفوارق وبرد غزوات البرابرة (الجرمانيين والفرتيين...)

ولما كانت الامبراطورية الرومانية حصيلة فتوحات كثيرة، فقد ضمت بلاداً مختلفة النظام: مصر وهي ملك خاص بالامبراطور ينتدب اليها حاكماً هو نائب للملك، والمحميّات وهي ممالك قديمة احتفظت بهيئاتها التقليدية، والاقاليم البعيدة. ولا بدّ من التمييز بين الاقاليم المنوطة بمجلس الشيوخ (آسية، وهي آسية الصغرى) والاقاليم التي ظلّت الجيوش الرومانية معسكرة فيها وحيث يضطلع بالسلطة الحكّام وهم مسؤولون لدى الامبراطور وحده (فينيقية وسوريا) ويدير الولاة شؤون أقطار لها ميزات خاصة (اليهودية).

هذا النظام، نظام التسلط الذي لا يترك للاقطار سوى ظاهر الاستقلال الذاتي (المجالس الاقليمية) يضمن لجميع الناس سلاماً محدوداً ولكنه حقيقي استفادت منه على الخصوص مدن آسية، بفضل التبادل التجاري الذي يزدهر عندما يسود النظام.

ثم ان مدن الاقاليم (صور مثلاً) تتمتّع بشيء من الحرية: فالذي يدير شؤونها مجلس جميع المواطنين أعضاء فيه، ويديرها خصوصاً مجلس الاعيان، وللجمعيات المهنية نصيب كبير في الحياة المحلية. ويحق للمرء ان يكون ابن مدينته وان ينعم فوق ذلك بالجنسيّة الرومانيّة، وقد تكون تلك الميزة وراثية (ذلك شأن بولس) او يحصل عليها بالمال او تمنح على سبيل المكافأة. والمواطن الروماني لا يتعرّض للعقوبات الجسدية المعينة (رسل 22: 25-29) ويحق له رفع دعواه الى قيصر كما فعل بولس (رسل 25: 10). وأخذ الناس قبل العهد المسيحي بقليل، ينظرون الى الاباطرة نظرهم الى كائنات إلهية، ابناء الله، بل آلهة. وهذا التطور، وقد أثّرت فيه تأثيراً كبيراً معتقدات الشعوب الشرقية (فينيقية ومصر وفارس) موافق لمنطق الأمور. فلما كانت الامبراطورية واحدة، لزم ان تُظهر العبادة اساسها الواحد. فَضّلَ طيباريوس وكلوديوس وفسبسيانوس ان يشجعوا عبادة الامبراطور بعد موته فحسب، في حين ان كاليغولا ونيرون ودوميطيانوس تركوا الناس يعبدونهم في اثناء حياتهم. والحقيقة ان رومة لم تفرض هذه الديانة. فلم يكن للامبراطور سوى ان يترك الأمر لتحمّس

الأقاليم والمدن والجمعيات المهنية او شكرها أو تملّقها. وهذا ما يوضح سبب ذلك الازدهار المدهش لتلك العبادة (فقد خصّتها افسس مثلاً بعدة معابد) وكانت تتعايش تعايشاً تاماً مع انواع اخرى من الدين. وكان كبار الاحبار يختارون من بين القضاة المحليين (وهذا شأن حننيا وقيافا في اليهودية...) وكان ذلك المنصب يكلّف كثيراً من المال، ولكنه كان يضمن لصاحبه نفوذاً سياسياً حقيقياً لشدة التشابك بين الدين والادارة. وقد سبّبت تلك الحالة للمسيحيين الاولين مشكلة عسيرة: كيف يمكنهم أن يظلوا مواطنين صالحين من غير ان يقبلوا أن يساقوا الى عبادة الامبراطور. فان عدة اقوال وردت عند بولس الرسول تصبح واضحة اذا قرئت بالنظر الى ذلك، فقد كانت المسالة لا تقلّ عن نبذ نظرية تشمل العالم كله. وفي فصول الرؤيا كلام كثير على هذه المسألة الحامية الوطيس. واول ما تتعلّق به الجماهير الشعبية هو ما يعبد به الآلهة المألوفة التي تحميهم، وهي قريبة جداً من الهموم اليومية. غير ان العبادات الوطنية وعبادة الامبراطور هي التي تُظهر على أحسن وجه ما يمتاز به دين ذلك الوقت: فالدين نافذ الى أعماق الحياة اليومية، فضلاً عن انه الدين الرسمي.

فان مراحل حياة الانسان ، حياته الفرديّة، وحياته عضواً في أي مجتمع كان (الاسرة أو العشيرة او الجمعية الحرفية او المدنية)، تتأثر بالدين تأثراً عميقاً. فكل منصب رسمي يلزم صاحبه بالاشتراك الفعال في العبادة. وذلك الدين دين كثير التنوّع (فالآلهة كثيرة...)، ولكن العبادة تقتصر على الطقوس وحدها. فيحسن تكريم الآلهة وتقريب الذبائح وفقاً للأصول المرعيّة. فهذه هي التقوى...

وقد ساعد اختلاط الناس والافكار على نشر عبادات من أصل شرقي ميزتها انها اقل طلباً للمتعة المادية. نذكر عبادات "إيزيس واوزيريس" وفيها اختبارات متتابعة تصحب "التلقين" وتسير بالانسان الى الاندماج في اوزيريس الاله الذي مات فاعادته اساليب ايزيس السحرية الى الحياة. فقد كانوا يعلنون انها تحتوي ضماناً للخلود...

اما "الاسرار" فهي اوثق ارتباطاً بالعبادة الوطنية وتحافظ على صلاتها المحلية، ولو شاع ذكرها في طول الامبراطورية الرومانية وعرضها. إنها عبارة عن طقوس مقدمة يستعد لها المرء لمدة طويلة في جو يشغل فيها معنى كتم السر مكاناً كبيراً. وما هي في اكثر الاحيان سوى طقوس موسمية غايتها ان تضمن التلقيح وتعطي المؤمنين ضمانات للحياة بعد الموت، وذلك بقوة الطقس وحده فلا شأن للتعليم او العقيدة في الأمر. هكذا كانت "أسرار اليزيس" "وأسرار ديونيزيوس" (باخوس)، وفيها يعبّر تعبيراً غريباً عن الحاجة الى الانعتاق بالانخطاف والهذيان المقدس في اثناء سباقات جنونية وتناول لحوم لا تزال تختلج. فإن إلهاً يمكّن المؤمنين به من الانعتاق الى حين من أحوال هذه الدنيا لا يتركهم بعد موتهم...

تلك بعض أهم صفات العالم الذي كان للمسيحيّين الأولين ان يعيشوا فيه. والشهادة التي أعلنوها في ايمانهم هي ان يسوع المسيح هو وحده الرب وليس الامبراطور او غيره من الآلهة...، وله وحده تجب الطاعة ولو تعرّضوا لأن يخالفوا مخالفة صريحة الدين الذي يسود الحياة كلها في بيئتهم. فلا يمكن المرء ان يعبد الرب الاّ في حياة منذورة له. وهو يسير سيرة مستوحاة كلها من الحب، والمسيح شاهد لذلك الحب، وفيه عربون الحياة الابدية...

الانجيل والاناجيل

ان الانجيل هو قبل كل شيء، وفقاً لمعنى الكلمة في اليونانية (إوَنْجِلْيُون)، "بشرى" الخلاص واعلان هذه البشرى. وهو عبارة عن التبشير بالخلاص البشري في شخص يسوع المسيح ابن الله الوحيد. لم يكن الانجيل في الاصل كتاباً او مؤلفاً ادبياً او تاريخياً. واذا أطلق عنوان الانجيل على الكتب الاربعة المنسوبة الى متى ومرقس ولوقا ويوحنا، فالأمر يعود الى ان كلاً من هؤلاء المؤلفين يعلن تلك البشرى في روايته لأقوال يسوع واعماله ولموته وقيامته.

ان الحقيقة التي نحاول ان نركّز عليها، ونقولها ونكرّرها مرّة ومرتين ومرّات... هي ان الاناجيل ليست كتباً تاريخية بالمعنى الحصري للكلمة، وبمفهومنا العلمي الدقيق اليوم، ولو حوت أحداثاً وحقائق تاريخية لا شك فيها ولا لبس. فالمسيح "صلب عنا على عهد بيلاطس البنطي..."، كما يقول قانون الايمان...

فالذين حرّروا الاناجيل ليسوا بكتّاب انكبوا في مكاتبهم على وثائق تاريخية مبوّبة تبويباً محكماً فأقدموا على وضع تاريخ دقيق ليسوع الناصري، من ميلاده الى موته، كما يفعل المؤرخ اليوم. فطريقة تأليف الاناجيل التي يجب النظر اليها تختلف كل الاختلاف عن هذه الطريقة. لقد ولد يسوع وتكلم وأعلن بشرى ملكوت السماوات وجمع التلاميذ وشفى المرضى واقام الموتى...، وبعد موته، وفي جوّ من الايمان الفصحي، بشر التلاميذ بقيامته، فردّدوا أقواله وروَوا اعماله بحسب حاجات حياة الكنيسة. فتكوّنت تقاليد شفهية مدّة تقرب من خمسين سنة، وحفظت، ونقلت جميع المواد التي نجدها في الاناجيل، بفضل الوعظ والليترجية والتعليم الديني. ومن المرجّح ان بعض هذه المواد كانت قد اتخذت، في هذه المدة، صيغة مكتوبة، امثال العبارات الطقسيّة كشهادات الايمان، او مجموعات من اقوال يسوع، او رواية الآلام التي كونت في وقت مبكّر حلقه محكمة البنية من الروايات.

فالانجيليّون قد انصرفوا الى العمل مبتدئين بتلك الأمور التقليدية التي كانت قد اتخذت صيغاً مختلفة في الحياة المتقلّبة التي عاشتها الجماعات المسيحية الأولى، بقدر ما كانت البشرى، قبل ان تصبح نصاً ثابتاً، كلاماً حياً يغذّي ايمان المسيحيين ويعلّم المؤمنين ويتكيّف مع مختلف البيئـات ويلبّي حاجات الكنائس المحلية ويعبّر عن التفكير في الكتاب المقدس ويصوّب الاخطاء ويردّ عند الحاجة على حجج الخصوم...

لقد جمع الانجيليون ودوّنوا، وفقاً لنظراتهم الخاصة...، ما أتاهم من التقاليد الشفهية. لكنهم لم يكتفوا بذلك، فقد كانوا يشعرون هم ايضاً انهم يعلنون البشرى لأهل جيلهم ويرغبون في التعليم وفي الجواب على مشاكل الجماعات التي كانوا يكتبون لأجلها... ولا بدّ من لفت النظر الى امر جوهري، لم يبق موضوع نزاع منذ

بحوث الاجيال الأخيرة في تاريخ التقليد وتكوين الاناجيل، وهو ان الاناجيل بمافيها من تفاصيل مميزة كثيرة، تعود بنا الى ايمان الجماعات المسيحية الاولى وحياتها...

والمرور في مرحلة التقليد الشفهي يبيّن لنا ايضاً لماذا يبدو الكثير من الفقرات وحدات ادبية صغيرة مركّزة على قول من اقوال يسوع او عمل من اعماله، **بلا اطار زمني او جغرافي دقيق**... تدلّ على ذلك الامر العبارات المدخلية غير الواضحة في حدّ ذاتها: "في تلك الايام"، "وفي ذلك الزمان" "وبعد ذلك" الخ... فكل من هذه الروايات كان لها اولاً وجود مستقل عن الاخرى، وغالباً ما كان تنسيقها من صنع الانجيليين أنفسهم. وبحكم استعمال تلك التقاليد عند الاجيال الاولى، انصهرت الذكريات المرويّة في صيغ أدبية ثابتة الى حدّ ما: هذا شأن الروايات والاحداث التي تحيط بقول من أقوال يسوع وتحدّد ظروفه، وهذا شأن مشاهد الجدال والشفاء والمعجزات وغيرها...

فكيف يجب النظر الى تلك التقاليد، اذا كانت تأثرت مثل هذا التأثر، وهي تستعمل قبل ان تتّخذ صورة ثابتة في الاناجيل؟ وأية ثقة نوليها؟ وما هي الصلة بينها وبين تاريخ يسوع؟ عن هذه الاسئلة يمكننا ان نجيب ان وثائقنا هي شهادات للايمان بيسوع المسيح، وانما يقصد منها ان نلتقي بذلك المسيح الذي نعرفه بالايمان. ومع ذلك، فقولنا ان الاناجيل هي وعظ وان مؤلّفيها – حتى لوقا الحريص على التاريخ – أرادوا ان يكونوا قبل كل شيء شهوداً للبشرى لا يعني انهم لا يبالون بحقيقة (تاريخية) الاحداث التي يروونها، لكنهم اكثر اهتماماً بابراز معناها منهم بالتعبير الدقيق عن المضمون الحرفي لأقوال يسوع (راجع الصيغ المختلفة للتطويبات والابانا وكلام التقديس...) وظروف أعماله وتفاصيلها... وهكذا القول في بعض الاحداث التاريخية والمواقع الجغرافية... إنهم يعرضون تقليداً قد أصبح تفسيراً. ومن النظر الدقيق في النصوص تبدو بعض الاحداث او بعض الاقوال مراجع متينة الى تاريخ رسالة يسوع، وهناك طرق كثيرة في متناول علماء التاريخ والجغرافية يحاولون بها اثبات تلك المراجع...

ومع ان مضمون الاناجيل لا يمكن ان يُحقّق كلّه تحقيقاً تاريخياً دقيقاً، فمن المؤكّد ان هناك أدلة كثيرة تلقي هي ايضاً اضواءً على سائر النصوص، تمكّننا من ان نعرف من خلال التقليد ان الايمان بالمسيح الذي قام من بين الاموات انما هو متأصل تماماً في حياة يسوع المسيح واعماله، في موته وقيامته وخلاصه. ونحن لا نصل الى أقوال وأعمال يسوع الاّ من خلال "الترجمات" التي تأتينا بها التقاليد القديمة ومؤلفات الانجيليين والنسّاخ والمترجمين... فالتعابير باليونانية مثلاً عما كان اصله في الآرامية ليست ابرز مظهر من مظاهر النقل والترجمة هذه. فلا شك انه من الممكن ان نحاول استعادة ما قاله يسوع في لغة مولده، كما انه من الممكن ايضاً ان نحاول استعادة الظروف الدقيقة التي ضرب فيها هذا المثل او جرى فيها هذا

الشفاء الخ... غير ان هذه المحاولات تتأثر عند التفصيل بكثير او قليل من الرجوح. وهذه الحدود المفروضة على التحقيق التاريخي الدقيق تنتج عن طبيعة الاناجيل نفسها. فالايمان بالمسيح الحي كان ينير الذكريات عن يسوع ولم يكن من الممكن ان يعبّر عنه الا بالشهادة الحية بما تتضمنه من روايات جزئية وتكرار وتدخّل الشاهد او الراوي، ومن ثم الناسخ والمترجم...

إن البحث الموضوعي في نصوص الاناجيل- من النواحي التاريخية والجغرافية وما اليها...- يمكّن من تخطّي القراءة الساذجة والدخول في عمق وحقيقة العهد الجديد بكل غناه وابعاده. ومهما ابتعدنا في الرجوع الى الماضي في اثناء البحث والتدقيق فلا يزال هناك مزيد من الدقة – تاريخياً وجغرافياً...- في البيئة التي ولد وعاش فيها يسوع، وفي حقيقة اعماله واقواله. فالقارئ الذي يرضى بأن يطالع الاناجيل وهو ينظر اليها هذه النظرة، ولا سيّما اذا قام بالبحث المقارن للنصوص، لا يكون حائراً متردداً، بل يجد دائماً اكثر مما كان يتوقع قبل ذلك. لأن كلاً من الانجيليين، بفضل عناصر جوابه الكثيرة وطريقة فهمه لما أتاه من التقليد، يوفّر للقارئ سبل التثبّت من معرفته ليسوع واغنائها، وذلك باشراكه في الحركة التي لا تزال تنتقل من ماضي يسوع الى ايمان الجماعة المسيحية الحاضر، ومن يقين الشهود الى ذلك الذي هو مصدره – بالاضافة الى ما استجدّ ويستجدّ من الاكتشافات الآركيولوجية والتاريخية والجغرافية المستمرّة...

تقسم الدراسة الى قسمين: الأول وموضوعه بيت لحم في العهد القديم، في أسفار التكوين، يشوع، القضاة، راعوت، صموئيل، الاخبار، نحميا، عزرا، ميخا، المزامير وإرميا، بالاضافة الى المواضيع التي لها علاقة ببيت لحم في العهد القديم كأفراتة وقبر راحيل وأرض كنعان والجليل وغيرها. والثاني يتحدث بالتفصيل عن بيت لحم في العهد الجديد، في الاناجيل المقدسة وخاصة متى ولوقا، عن بيت لحم في التاريخ المدني القديم والحديث، عن يسوع المسيح: عن أصله وبيئته وموطنه وأقاربه ومولده، وعن كافة الأوضاع والظروف المتعلّقة بمولده.

وتخلص الدراسة الى القول بأن هناك مدينتين باسم "بيت لحم": الاولى في شمال فلسطين، في الجليل، بين الناصرة والكرمل، وهي مدينة كنعانية قديمة جداً، والثانية في جنوبي فلسطين، في اليهودية، قرب اورشليم، وهي مدينة يهودية حديثة العهد: انها بيت لحم المعروفة اليوم. والدراسة تؤكد ان المسيح ولد في بيت لحم الأولى الجليلية الشمالية، وليس في بيت لحم اليهودية الجنوبية كما يظن اليوم جميع الناس. والمغارة التي ولد فيه المسيح كانت في أرض فينيقيا – لبنان، في لحف جبل الكرمل الشمالي الشرقي. وبشارة مريم حصلت في جبل الكرمل، وجبل الكرمل كان في لبنان. وتؤكد الدراسة اخيراً ان المسيح ومريم ويوسف وأهلهم واقاربهم جميعاً اصلهم من لبنان، ومن قانا، الجليل اللبنانية بالذات. اجل! أصل المسيح من لبنان، والتجسد الالهي حصل في لبنان، وميلاد المسيح حصل في لبنان! إنه "عمّانوئيل" – و"إيل" هو إله لبنان!...

هذه الدراسة هي في الواقع بمثابة "مهمّة مستحيلة"... وذلك في كل مرحلة من مراحلها: فكرة ومحاولة وانجازاً. أليست مهمّة مستحيلة اذا كانت تحاول ان تصحّح اعتقاداً راسخاً طوال قرون عند الجميع، وخاصة عند المسيحيين، بأن السيّد المسيح ولد في بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم والتي تقع على بعد حوالي 10 كلم الى الجنوب من اورشليم؟ وهي تحاول ان تثبت ان هذا الاعتقاد – من الناحيتين التاريخية والجغرافية فقط – هو خاطئ لأنه بني على أسس غير ثابتة وغير موضوعية. بل هو ولد في بيت لحم أخرى تقع في الجليل، في السفوح الشمالية الشرقية لجبل الكرمل، وكانت مدينة كنعانية طوال قرون طويلة ، وقد ذكرتها جميع تواريخ وجغرافيات العالم، وهي ظاهرة للعيان في يومنا هذا. وبالتحديد ولد بالقرب من بيت لحم هذه، وعلى طريقها، في مغارة في سفح الكرمل كانت تقع داخل أرض فينيقية-لبنان. أجل! المسيح ولد في لبنان. اوليست اذاً هذه الدراسة "مهمة مستحيلة" إذا كانت تحاول ان تثبت ان المسيح ولد في لبنان؟! واكثر من ذلك، تحاول هذه الدراسة ان تثبت ان التجسّد نفسه – تجسّد الاله الابن – حصل في لبنان، لأن العذراء مريم كانت في جبل الكرمل عندما بشرها الملاك جبرائيل، ومعروف تماماً من جهة بأن التجسد قد حصل فعلاً في نهاية البشارة (فليكن لي

حسب قولك...) ومن جهة ثانية، فان جبل الكرمل كان في الواقع ضمن اراضي فينيقية – لبنان، منذ فجر التاريخ، مروراً بأيام المسيح وحتى السنة 70 بعد الميلاد. وهذا ما تجمع عليه جميع جغرافيات وخرائط العالم. اجل! التجسد حصل في لبنان. أوليست اذاً هذه الدراسة "مهمة مستحيلة" إذا كانت تحاول ان تثبت ان التجسد قد حصل في لبنان؟ واكثر من ذلك، تحاول هذه الدراسة ان تثبت ايضاً ان يسوع المسيح وأمه العذراء مريم ووالده يوسف النجار وأهله وأقاربه جميعاً لم يكونوا أبداً من اليهود، ولا بالتالي من ذرية داود...، بل كانوا لبنانيين من قانا الجليل اللبنانية. نعم من قانا الجليل اللبنانية! ورفات وقبور جده يواكيم (عمران عند المسلمين) وجدته حنّة وسائر آبائهم وأجدادهم موجودة الى اليوم في لبنان، في ضواحي قانا الجليل، في "مقام النبي عمران" القريب من قرية "القليلة". ونحن ندعو الناس أجمعين الى المجيء الى "مقام النبي عمران"، والتأكد شخصياً من صحة ما نقول، وذلك باستعمالهم جميع الوسائل للتثبت من ذلك، وخاصة الوسائل الموضوعية العلمية الآركيولوجية... أوليست هذه الدراسة "مهمة مستحيلة" اذا كانت تحاول ان تثبت ان اصل يسوع ومريم ويوسف والاهل والاقارب هو من لبنان، ومن قانا الجليل اللبنانية بالذات؟ من قانا، نفسها التي حصلت فيها مجزرة نهاية القرن العشرين؟!...

إن العالم المسيحي سيحتفل عما قريب بيوبيل السنة الالفين لولادة المسيح في بيت لحم. وسوف يحجّون، كما كانوا يفعلون منذ الفي سنة، الى بيت لحم اليهودية، في جنوبي فلسطين، قرب اورشليم. وسوف يكون الاحتفال فيها يوبيلياً مميزاً وعلى المستوى العالمي. الا تكون هذه الدراسة "مهمة مستحيلة" اذا هي حاولت ان تقول للجميع: كلا! لم يولد السيد المسيح حيث تحتفلون، في بيت لحم اليهودية، بل هو ولد في لبنان في مغارة بالقرب من بيت لحم الاخرى، في الشمال، في الجليل، في سفوح جبل الكرمل؟

في الحقيقة، هذه الدراسة هي "مهمة مستحيلة". وسوف تصدم الكثيرين... وسوف تلقى استهجاناً لا بل معارضة ومقاومة ومناقضة. ونحن، مسبقاً، نعي ذلك تماماً... غير ان الارض لم تعد مسطحة... كما كان يظن جميع الناس طوال قرون عديدة، وهي ليست ثابتة في مكانها والكون كله يدور حولها، بل هي تدور حول الشمس... كما اثبت غاليليو. وكان جميع الناس يظنّون عكس ما كان يظن هو.. وبعد ان اثبت ذلك أصبح جميع الناس يظنون مثلما يظن هو. هي الحقيقة. ولا يعلو الحقيقة شيء ابداً...

إن هذه الدراسة هي دراسة محض تاريخية – جغرافية، تنحصر ضمن إطار التوبونوميا والتوبولوجيا، ولا تتطرّق، لا من قريب ولا من بعيد، لا بشكل مباشر ولا بشكل غير مباشر، للعقائد المسيحية...

مثال على ذلك: في أي سنة بالضبط ولد السيد المسيح؟ ظلّ المسيحيون، ومعهم العالم أجمع، اكثر من ألف وأربع مائة سنة (منذ القرن السادس ميلادي) يؤرخون انطلاقاً من السنة صفر: سنة ولادة السيد المسيح: ومن هذه السنة – صفر – بدأ التأريخ الميلادي. ولقد أصبح من الثابت والمؤكد اليوم، تاريخياً وعلمياً وحسابياً، ان ذلك كان خطأً –خطأً حسابياً- اقترفه راهب مسيحي مترجم للكتاب المقدس، يدعى "دنيس الصغير"، وان الحقيقة التأريخية هي ان السيد المسيح قد ولد فعلاً قبل السنة "صفر" بست او سبع سنوات! والكنيسة المقدسة نفسها قد صحّحت مؤخراً هذا الخطأ الحسابي – الانساني – الذي ليس له علاقة على الاطلاق بالعقائد المسيحية.

وهكذا فإن هذه الدراسة هي محاولة تصحيح جغرافي محض لمكان ولادة السيد المسيح: في بيت لحم الجليل، وليس في بيت لحم اليهودية، المعروفة اليوم...!

مراجع المقدمة

العهد القديم

-الكتاب المقدس: النسخة الكاثوليكية – اليسوعية – (أنا الالف والياء) – دار المشرق، بيروت، لبنان، 1989 – العهد القديم.

*مدخل الى العهد القديم ص. 39 – 63
*مدخل الى سفر التكوين ص. 64 – 67
*مدخل الى سفر القضاة ص. 463 – 466
*مدخل الى سفر راعوت ص. 510 – 511
*مدخل الى سفري صموئيل ص. 518 – 523
*مدخل الى سفري الملوك ص. 620 – 627
*مدخل الى سفري الاخبار ص. 727 - 733

العهد الجديد

-الكتاب المقدس: النسخة الكاثوليكية – اليسوعية – منشورات دار المشرق، بيروت، لبنان، 1982، الطبعة الثامنة (أعيد النظر فيها بناء على أحدث الدراسات الكتابية) – العهد الجديد.

*مدخل الى العهد الجديد ص. 1 – 17
*مدخل الى الاناجيل الازائية – الانجيل والاناجيل
ص. 21 – 25، 17 – 31، 221 – 227.

القسم الأول

بيت لحم "اللبنانية"
في العهد القديم

"كل ما قبل المسيح هو توطئة وتمهيد له... وكل ما بعده هو امتداد له... انه وحده محور البشرية والكون.

وسيبقى المسيح منازعاً حتى نهاية العالم..."!

بسكال

الفصل الأول

أرض كنعان – الأرض الأم

"إن سفر الخروج، في التوراة – الخروج من أرض مصر الى "أرض الميعاد" في كنعان – هو في الحقيقة ذلك السفر الروحاني الذي فيه يرتقي الانسان، فرداً وجماعة، ويعبر من الجسد الى الروح، من العالم المادّي المظلم الى العالم النورانيّ، من "عبوديّة مصر" الى حريّة أرض الميعاد في "كنعان": أرض السلام والخير والبركات، "أرض الله المقدسة..."

العالم موريس ساشو

"نشأة فكرة المسيح وتكوين الديانة"

صفحة 122

إن البيبليا، أي الكتاب المقدّس نفسه، يقول عن أرض كنعان إنها "ارض مقدسة"، وذلك قبل دخول اليهود اليها:

"...ولمّا كان يشوع عند أبواب أريحا، رفع عينيه ونظر، فإذا رجل واقف امامه، وسيفه في يده مسلولاً، فأقبل عليه يشوع وقال له: أمنّا انتَ أم من أعدائنا؟ فقال، بل أنا رئيس جند الربّ، والآن جئتُ. فسقط يشوع على وجهه على الأرض، وسجد وقال: ماذا يقول سيّدي لعبده؟ فقال رئيس جند الربّ ليشوع: إخلع نعليك من رجليك، فإن الارض التي أنت قائم فيها مقدّسة... فصنع يشوع كذلك..."! (سفر يشوع ابن نون 5: 13-15). الارض المقدسة هي أرض كنعان – قبل مجيء اليهود اليها! كما هو ظاهر جلياً في نص الكتاب المقدس نفسه!

إن لبنان، قلب أرض كنعان، بلد صغير، من حيث الجغرافية، ولكنه من حيث الدور والرسالة والتأثير، بلد كونيّ. لأن تاريخه في الواقع يشكّل جزءاً أساسياً من تاريخ عالمنا المتحضّر... فطبيعة أرضه الجبليّة، وقربه من البحر، وموقعه في مركز متوسط بين القارات الثلاث: آسيا واوروبا وافريقية، وعند التقاء الطرق العالمية، هذه وغيرها كانت عوامل ذات أثر بعيد المدى في تكوين دوره التاريخي. فقد كان بحر لبنان، البحر الابيض المتوسط أول طريق بحريّ مرّت عليه بضائع الشعوب المتحضّرة لتتوزّع على بلدان شواطئه، بضائع ماديّة وبضائع ثقافية. ولتفهم دور لبنان التاريخي تفهماً واعياً تجدر الاشارة الى حقيقتين جغرافيتين – تاريخيتين:

أولاً: إن شواطئه وسهوله الداخلية كانت أبداً مركزاً للاتصال بالعالم الخارجي وللتفاعل الفكري ولتبادل الحضارات وللتغيير الدائم. والحقيقة الثانية هي أن اعالي لبنان، التي يصعب الوصول اليها أحياناً، قد حافظت على اكتفائها الذاتي وعلى حريتها واستقلالها وعلى مناعتها ضد كل شيء يأتيها من العالم الخارجي: انكماش نواة الهوية الذاتية من جهة، والانفتاح على الغير وعلى الكون الخارجي لترسيخ هذه الهويّة الذاتية، من جهة ثانية، انه المبدأ الكوني لجوهر لبنان ووجوده!

إن أقدم شعب استوطن لبنان كان الشعب الكنعاني، الذي انتشر فيما بعد الى البلدان المجاورة. والحضارة الكنعانية أساس ومرتكز قامت عليهما الحضارة الآرامية في سوريا والحضارة العبريّة في فلسطين (جنوبي ارض كنعان). فان كلا الشعبين، الآرامي والعبراني، جاءا الى المنطقة في عصور متأخرة، وكلاهما أخذا عن حضارة الكنعانيين الذين سماهم الإغريق فيما بعد الفينيقيين، واقتبسا الكثير قبل ان يتمكّنا بدورهما من ان يعطيا العالم شيئاً. ولقد اعتبر الناس منذ القديم بفضل ما قدمه العبران للحضارة العالمية، ولكن ظل الناس حتى الفترة الاخيرة يجهلون ما قدمه الكنعانيون للحضارة العبرية. فان العبران الذين اغتصبوا جنوب

أرض كنعان (أي فلسطين) بحجة انها "أرض الميعاد" (أي الارض التي وعد الله اجدادهم بها...؟؟!)، وذلك حوالي 1200 ق.م.، هؤلاء العبران اقتبسوا الكثير عن الكنعانيين في الدين واللغة والآداب والفنون والصناعات والحرف....

ولم يقتصر أثر الحضارة الكنعانية على الشعبين الآرامي والعبراني، اللذين بدورهما أثّرا في حضارة الشرق كله، بل تعداهما الى الشعب اليوناني الذي بدوره أثّر في حضارة الغرب كلها. وبذا أصبحت هذه الشعوب الثلاثة - الآرامي والعبراني واليوناني، وريثة الحضارة الكنعانية. وحسبنا ان نشير فقط الى تلك الرموز السحرية - حروف الهجاء الفينيقية (الابجدية)، التي تعدّ بحق أعظم اختراع حقّقه الانسان. فبواسطة هذه الرموز يستطيع الانسان ان يسجّل افكاره وعواطفه ويبقيها بعده إرثاً للخلف. وبواسطة هذه الحروف شاد الاغريق من كنوز عبقريتهم الادبية والفلسفية صرحاً لا يقدر بثمن. وقد أخذ الرومان بدورهم هذه الحروف الهجائية عن الاغريق، فدوّنوا بها قوانينهم المشهورة التي اتحفوا بها العالم المتمدن. وفي الوقت نفسه كان الشعب الآرامي، سكّان سوريا القدماء، ينشرون هذه الحروف الفينيقية بين الفرس والهنود والارمن... ونحن نركّز هنا على انتشار هذه الحروف الفينيقية وشيوعها بين العبران الذين سجّلوا بها تاريخهم وآدابهم وديانتهم (اسفار التوراة)، وبين العرب أصحاب لغة القرآن الكريم... وحسب اللبنانيين القدماء فخراً واعتزازاً انهم أبدعوا الابجدية، ولو انهم لم يقدموا للتراث الانساني غير هذا الاختراع العظيم لظلّوا بحق وجدارة يتبوّأون المركز الاول في تاريخ الفكر البشري...!

ولكن ارض كنعان – لبنان – قدّمت للبشرية اكثر من ذلك. أليست هي التي قدمت ايضاً، من جملة ما قدّمت، الديانتين السماويتين: اليهودية والمسيحيّة، وذلك في "فلسطين" التي هي جنوب أرض كنعان؟ ثم أليست القدس – اورشليم مركز الاله "شاليم ابن إيل" والعاصمة الروحية القديمة (يبّوس) لليبّوسيين الكنعانيين في الجنوب، أليست القدس ثاني القبلتين وثالث الحرمين الشريفين للديانة الاسلامية؟ أليست ديانة إيل (قبل ابراهيم)، الاله الكنعاني اللبناني الكونيّ الموحّد، هي أم الديانات الكبرى الموحّدة الثلاث: اليهودية والمسيحية والاسلاميّة؟ وبنوع خاص، ألم يسمِّ الانجيل المقدس يسوع المسيح "عمّانوئيل"، أي "إيل معنا" او "الله معنا"؟ بلى! إن يسوع المسيح هو "ايل المتجسّد" في الانسان، فينا معنا وبيننا. هكذا يقول الروح القدس في الوحي والانجيل. ويسوع المسيح نفسه، قبيل موته، دعا "إيل" أباه السماوي بأعلى صوته - حتى يسمعه جميع الناس...، قائلاً: "إيلي، إيلي لمّا شَبَقْتَني؟! أي "إيلي، إيلي لماذا تركتني"، المترجمة عربياً: "إلهي، الهي لماذا تركتني؟"...

(مراجع الفقرة: فيليب حتي "تاريخ لبنان – منذ أقدم العصور التاريخية الى \عصرنا الحاضر"، الطبعة الثانية 1972، دار الثقافة، بيروت لبنان، ص. 6-8، 82-84 مع الحواشي والشروحات).

لبنان الكبير
في الطبيعة والجغرافية والتاريخ

حدوده وأقسامه
(وهي حدود أرض "كنعان" وفينيقية الكبرى)

ان مناطق لبنان وحدوده،المبنية على طبيعة أماكنه وعلاقات سكّانه بعضهم مع بعض منذ بدء التاريخ، هي راسخة في ذاكرتهم وتقاليدهم، أصيلة فيهم، لأنهم يحبّون كسائر أهل الشرق المحافظة على العادات القديمة وابقاء اسماء الاماكن والبلاد على ما سمّاها به آباؤهم وأجدادهم القدماء. وقد تكون مناطق لبنان وحدوده قد اعتراها على كرور الايام شيء من التقلّب والتغيّر والتقلّص في معظمها. فإن الاشوريين والكلدان والبابليين والفرس واليونان والرومان وغيرهم... وغيرهم... الذين مرّوا في لبنان وذهبوا، قد غيّروا وبدّلوا في حدود لبنان وأقسام مناطقه، ووضعوا اسماء جديدة لكل قسم وأوجبوا مراعاتها. ولكن لما انقرض هؤلاء جميعاً عاد اللبنانيون فتمسكوا بأشد من قبل بالاقسام التي قسموها هم والاسماء التي وضعها آباؤهم وأجدادهم. ولمّا افتتح العرب البلاد زادوهم تمسّكاً بها لأنهم لم يتعرّضوا مطلقاً للتقاسيم الجغرافية في كل بلاد افتتحوها، بل كانوا يجرون على عادة أهلها خلافاً لبقية الامم المفتتحة...

وعلى ذلك، فان حدود لبنان الكبير وتقسيم مناطقه، ولو كانت لا تنطبق كلها على ما هو قائم في لبنان اليوم وفي البلدان المحيطة به، هي حقيقة ساطعة دائمة مبنيّة على الطبيعة والجغرافية والتاريخ معاً. وفي الحقيقة، إن حدود لبنان الكبير ومناطقه الطبيعية هي التالية، بحسب الاب مرتين اليسوعي "تاريخ لبنان"، ترجمة رشيد الشرتوني، مطبعة الآباء اليسوعيين 1989، المقدمة – 17 أقسام لبنان – ص. 62-28 مع الحواشي والشروحات:

1ً-جزيرة أرواد وهي مقاطعة بمفردها.

2ً-سهل طرطوس ويمتد من مصب العاصي وأوغاريت شمالاً الى جبال النصيرية واللاذقية والنهر الكبير الجنوبي. قصبتاه: طرطوس وصافيتا.

3ً-قضاء حصن الاكراد. ويشتمل على قسم من الجبل وقسم من السهل اللذين هما على شمالي لبنان حتى عكّار في الجنوب.

4ً-سنجق حماة وهو يتناول جبل الكلبيّة وقسماً كبيراً من وادي نهر العاصي.

ً5-بلاد عكّار وهو يضم الجبل والجونة الممتدين من النهر الكبير الجنوبي الى النهر البارد.

ً6-الزاوية (وكانت تسمّى قديماً "زاوية النعمان" أي "أدونيس"...) وتمتد من النهر البارد الى نهر قاديشا (أي ابو علي).

ً7-بلاد الضنيّة وتضم الجبال الكائنة في شرقي الزاوية.

ً8-مدينة طرابلس الفيحاء وأراضيها.

ً9-الكورة وهي تمتد من نهر قاديشا الى نهر العصفور.

ً10-جبّة بشرّاي (بشرّي) وتشتمل على أعالي لبنان في سفح المكمل. وفيها قنّوبين وقاديشا...

ً11-القويطع وهو يمتد من نهر العصفور الى نهر الجوز.

ً12-بلاد البترون – من نهر الجوز الى نهر المدفون.

ً13-بلاد جبيل – من نهر المدفون الى نهر الفيدار.

ً14-بلاد المنيطرة – وهي تشتمل من الساحل الى الجبل على الاراضي الكائنة بين نهر الفيدار ونهر ابراهيم.

ً15-بلاد الفتوح (فتوح كسروان) وهي تمتد من نهر ابراهيم الى جسر المعاملتين.

ً16-كسروان تمتد من نهر المعاملتين الى نهر الكلب، وتضمّ ما بينهما من الجبال.

ً17-القاطع من نهر الكلب الى نهر انطلياس.

ً18-المتن من نهر انطلياس الى نهر بيروت.

ً19-بيروت وساحلها، من نهر بيروت الى نهر غدير.

ً20-الغرب من نهر غدير الى نهر الغابون.

ً21-الشمّار من جسر القاضي (على نهر الغابون) الى الدامور.

ً22-الجرد من نهر الغابون الى نهر الصفا مع الجبال التي بينهما.

ً23-المناصف من جسر القاضي الى وادي بيت الدين.

ً24-العرقوب من شرقي المناصف الى قمة جبل الباروك.

ً25-الشوف من نهر بتدين الى قمة الجبل.

ً26-إقليم الخرّوب من الدامور الى نهر الأوّلي.

ً27-اقليم جزّين وهو يمتد من الشوف الى جبال جزّين.

ً28-شوف البيادر وهو يشتمل على المنحدر الشرقي الاوسط للسلسلة الغربية من لبنان.

ً29-اقليم التفّاح يتناول ضواحي صيدا فوق الساحل.

ً30-مدينة صيدا وساحلها.

ً31-منطقة جبل الريحان وهي تضمّ منحدري هذا الجبل.

ً32-شومار من نهر الزهراني الى نهر القاسمية أي الليطاني.

ً33-مدينة صور وسواحلها.

ً34-مدينة عكّا وسواحلها.

ً35-بلاد الشقيف وهي تضم المناطق الوسطى من جبل الريحان الى نهر الليطاني.

ً36-بلاد بشارة (من "بيت أشيرة" الإلآهة الام الكنعانية) وتمتد فوق صور من نهر الليطاني الى الجليل الاسفل. ويدخل فيها ايضاً جليل الامم المذكور في الكتاب المقدس.

ً37-بلاد صفد وهي تشمل المناطق الجبلية التي تقع فوق بحيرة طبريا (بحر الجليل).

ً38-مرج عيون وهي تحتوي على سطح جبلي قائم بين نهر الليطاني ونهر الاردن الاعلى.

ً39-الحولة وهي تتضمن وادي الحولة والقرى التي بجوارها، ومنها بانياس.

ً40-وادي التيم وهو ينبسط على طول وادي الاردن الاعلى برمّته أي على طول قاعدة جبل الشيخ الغربيّة.

ً41-سهل البقاع.

ً42-بعلبك ومنطقتها وهي تمتد من البقاع الى سهل حمص.

ً43-مدينة حمص ومنطقتها وهي تحتوي على سهل حمص برمّته من البادية الى اللبنانَين (الشرقي والغربي).

ً44-جبل قلمون.

45ً-وادي بردى ويتضمّن الوادي الذي يسقيه نهر بردى في مجراه الاعلى وسائر الوديان التي تجاوره.

46ً-دمشق وما يليها.

47ً-مرج الغوطه وهو السهل الممتد شرقي دمشق.

48ً-وادي العجم وهو السهل المنبسط على جنوبي دمشق.

49ً-اقليم البلاّن وهو السفح الشرقي من جبل الشيخ (حرمون).

50ً-الجيدور (إيطورية) وهي المنطقة المتاخمة لسهل دمشق وجبل حرمون لناحية الجنوب.

نحن نذكّر هنا، بالمناسبة، أن جغرافية لبنان الكبير هذا، في الطبيعة والجغرافية والتاريخ، مع الحدود والاقسام والاسماء، كانت هي نفسها تقريباً جغرافية لبنان الكبير التي استرجعها الامير اللبناني الشهير فخر الدين المعني الثاني الكبير...!!

الفلسطينيّون

في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد حدث في منطقة آسية الصغرى وفي حوض البحر الإيجي اضطرابات وحروب نتج عنها تحركات شعوب وهجرات بشريّة. وقد كانت نتيجة هذه التحركات والهجرات أن قبائل عديدة هجرت أوطانها الاصلية وعبرت البحر ناشدة مواطن جديدة اكثر أماناً واستقراراً. هذه الشعوب التي انتقلت عبر البحار كانت تنتمي الى العرق الهندو-أوروبي. وهذه التحركات والهجرات لم تكن الاولى من نوعها بل سبقتها انفجارات ديموغرافية مماثلة. وقد طغت على سواحل ارض كنعان جموع وجموع من هذه القبائل النازحة ممّا زعزع قوة الحثيين وحدّد كيانهم. واجتاحت هذه القبائل المنطقة تلو المنطقة على الشاطئ الكنعاني – من الشمال الى الجنوب – وخرّبت مدنها ومرافئها. ومنها مدينة أوغاريت (راس الشمرا) الحاضرة الكنعانية الكبيرة في شمال الساحل الكنعاني.

فانها لم تكد تعيد بناءها ونشاطها بعد أن نكبت بزلزال وحريق حوالي 1365 حتى جاءتها هذه القبائل الغازية وخربتها فلم تقم لها قائمة فيما بعد. وهكذا زالت مدينة أوغاريت العظيمة من التاريخ. وحوالي 1250 وصلت جموع هذه القبائل حدود مصر حيث استطاع الفرعون رعمسيس الثالث صدّ هجومهم. ولكن فلولهم المتراجعة وفقت الى توطيد موطن لهم على الشاطئ الجنوبي من أرض كنعان أي من حدود يافا الى غزّة. هؤلاء هم قبائل الفلسطينيين الذين عرفت بهم بلاد فلسطين (الجزء الجنوبي الساحلي من أرض كنعان) فيما بعد...

وبعد ان احتلّ الفلسطينيون هذه المنطقة الكنعانية الساحلية أخذوا بالتوسّع شرقاً، وذلك بانتزاع الارض عنوة من سكّانها الاصليّين أي الكنعانيّين. وقد كانت بلاد كنعان قبل هذا الغزو الفلسطيني قد أصيبت بالفقر والخراب، وذلك من جرّاء الحملات العسكرية العديدة التي قام بها فراعنة مصر ضد بلاد كنعان، ومن جرّاء فداحة الجزية والغرامات التي كان المصريّون يفرضونها على السكّان. فلم يستطع أهل كنعان أن يصمدوا في وجه الغازي من جهة الصحراء (جموع العبرانيين)، ولا ان يقاوموا هذه الشعوب القادمة من وراء البحار (جموع الفلسطينيين) زد على كل ذلك اعمال القرصنة المتكرّرة التي كانت تقوم بها جماعات من الاغريق ومن سكّان آسية الصغرى، والتي كانت تزداد عنفاً في منطقة البحر الابيض المتوسط الشرقية.

وهكذا يظهر بوضوح تام ان الشعب الفلسطيني هو شعب غريب دخيل اتى هذه البلاد مع "غزوات بحر الشمال" واستوطن عنوة في الساحل الجنوبي لأرض كنعان، خلال القرن الثاني عشر قبل الميلاد، ثم توسّع شرقاً الى المدن الجبلية، منتزعاً اياها من الكنعانيّين سكان الأرض الاصليّين منذ آلاف السنين. وهكذا، عندما خرج العبرانيون، على يد موسى من مصر، ودخلوا أرض كنعان الجنوبية مغتصبين، على يد يشوع ابن نون، كان عليهم أن يحاربوا لفترات طويلة الكنعانيين والفلسطينيين على السواء... (وقد ذكرت ذلك التوراة بالتفصيل في اسفارها التاريخية، وخاصة اسفار: يشوع، القضاة، صموئيل، الملوك والاخبار...)

(مراجع الفقرة : فيليب حتي "تاريخ لبنان..."، الفصل السابع، ص 111-113 مع الحواشي والشروحات).

العبرانيّون

في الوقت الذي كان فيه الفلسطينيون يوطدون حكمهم على الشاطئ الجنوبي من أرض كنعان، ظهر على مسرح الشرق الادنى القديم شعب ثالث وهم العبرانيّون الذين قدموا من مصر، على يد موسى، ودخلوا عنوة ارض كنعان على يد يشوع بن نون خليفة موسى، من الجهة الجنوبيّة الشرقية، وذلك بين سنة 1220 و1200 قبل الميلاد. ورويداً رويداً أخذوا يتسلّلون ويتغلغلون في أرض كنعان، بطريقة الاغتصاب والقتل والتهجير. وقد أسهبت أسفار التوراة التاريخية في وصف هذا الدخول الى أرض كنعان... (راجع اسفار يشوع، والقضاة وصموئيل والملوك والاخبار...). وكان قد سبق هذه الهجرة من مصر هجرة اخرى من الشمال الشرقي من منطقة أور الكلدانيين، بقيادة ابرام او ابراهيم، وقد كان آرامياً يتكلّم اللغة الآرامية (راجع سفر التكوين 25: 20، 28: 5، 31: 20 و24 – وسفر تثنية الاشتراع 26: 5).

أما أصل الشعب العبراني فهو مجهول حتى اليوم... إذ يتعذّر على المؤرّخين المعاصرين حصر هذا الاصل. فقد سبقت دخول هذا الشعب في التاريخ، حوالي السنة 1200 قبل المسيح، حقبة تكوين طويلة (حوالي الثمانية قرون) تكاد تخفى كلّها على المؤرّخين. ومع ذلك فقد حفظ العبران من هذه الحقبة ذكرى حوادث وشخصيات بارزة بقيت في التقليد الشفهي في اخبار وروايات كانت تتناقلها الالسن من جيل الى جيل. ومن شأن هذه الروايات ان توفّر للمؤرخ بعض المعلومات المفيدة، ولو كانت جزئية وغير دقيقة... وبفضل المقارنة بين هذه التقاليد وما هو معروف عن تاريخ الشرق الادنى القديم والوثائق التي يقدّمها علم الآثار، يمكن الوصول الى اطّلاع محدود على هذه الحقبة الحاسمة في تاريخ المنطقة...

يجب البحث عن اجداد العبران بين البدو الساميّين من رعاة الغنم الذين نراهم يتنقّلون، طوال الالف الثاني قبل المسيح، على حدود شبه صحراء ما يسمّى "بالهلال الخصيب". انهم دخلاء وغرباء عن ارض كنعان. وقد انتهى بهم الامر شيئاً فشيئاً الى نوع من الاستقرار، لا بل استطاعوا في بعض الاحيان ان يتحكّموا في منطقة يقيم فيها سكّان آخرون... من شبه البدو اولئك نعرف مجموعتين معرفة خاصة، هما الاموريون الذين استقرّوا في ما بين النهرين وسورية وجنوبي ارض كنعان حوالي السنة 2000 قبل المسيح، والاراميون الذين استقروا في سورية حوالي القرن الثالث عشر قبل المسيح. وتشير وثائق مصر وما بين النهرين الى

مجموعات أخرى كانت تتسلل دون انقطاع الى ما بين النهرين ومصر وجنوبي كنعان...

في هذه الحقبة المعروفة قليلاً، يبرز التقليد العبراني بعض الشخصيات الكبيرة، منها ابراهيم واسحق ويعقوب واجداد أسباط بني اسرائيل. ويتعذّر على المؤرّخين اليوم ان يقدّروا كما يجب تلك المعلومات التي يوفّرها لهم التقليد عن هؤلاء الاجداد والآباء، هذا التقليد الذي اصبح كتابياً فيما بعد. فإن قارنّا بينها وبين معطيات التاريخ وعلم الآثار، أمكننا أن نفترض أن هؤلاء الآباء دخلوا جنوبي كنعان (فلسطين) خلال القرن التاسع عشر والثامن عشر قبل المسيح، وكانوا قادمين من بلاد ما بين النهرين (قدم إبراهيم من أور الكلدانيّين، في سومر، وقدم يعقوب من حرّان على الفرات الاوسط...).

أقام بعض من خلف هؤلاء الآباء في أرض مصر، برفقة مجموعات سامية أخرى. ويصعب تحديد تاريخ هذا التوطّن، اذ لا شك انه جرى ببطء طوال حوالي اربعة قرون. لكنّ هناك أمرين قد ساعدا هذا التوطّن، هما سيادة "الهكسوس" (أو ملوك الرعاة) الذين قدموا من منطقة كنعان وحكموا مصر من العام1700 الى 1550 تقريباً، ثم ضعف السلطة في مصر، وقد تميّز به عهد الفرعون أخناتون (1364 – 1347)...

جاءت نشأة الشعب العبراني تطوراً معقداً بدأ على الارجح حوالي السنة 1250، على عهد الفرعون رعمسيس الثاني. فقد استطاعت بعض المجموعات الساميّة المقيمة في مصر والخاضعة لبعض التسخيرات، ان تخرج من مصر بقيادة موسى (راجع سفر الخروج...). فجمعها موسى حول جبل سيناء ثم حول واحات قادش، ولقّنها عبادة إله يدعى "يهوه"، ونظّمها تنظيماً بدائياً (مع العلم أن "ياو" – الصيغة القديمة "ليهوه" – كان يكرّم كإبن للاله إيل، في كنعان، وخاصة في مدين – أرض مؤآب – حيث اقام موسى فترة وتزوّج من ابنة كاهن مدين واسمه "رعوئيل"، وكان كاهناً للإله إيل...!)

وبعد خروجهم من مصر، على يد موسى، جال بنو اسرائيل طيلة اربعين سنة في صحراء سيناء، ثم وصلوا الى مؤآب، عند ابواب ارض كنعان الجنوبية الشرقية. وهناك توفي موسى وخلفه يشوع بن نون. وعلى يد هذا الاخير دخلت قبائل بني اسرائيل عنوة أرض كنعان، بعضها من الجنوب وبعضها من الشرق. وقد تم الدخول بشكل تنقلات متفرقة وتسلّلات ليليّة أولاً، ثم عن طريق الاحتلال والاغتصاب والقتل والتدمير والتهجير... وفي الواقع، كان هذا الاغتصاب الفريد من ابشع واكبر الاغتصابات في التاريخ البشريّ...!! أجل! ان اغتصاب اليهود جنوبي

أرض كنعان هو، في الحقيقة والواقع، "المحرقة الحقيقية" و"الهولوكوست" الكبير في التاريخ...! (ويكفي فقط قراءة بعض اسفار توراة اليهود أنفسهم).

(مراجع الفقرة: فيليب حتي "تاريخ لبنان..."، الفصل السابع، ص 113-115، مع الحواشي والشروحات).

جغرافية فلسطين (جنوب أرض كنعان)

يمكننا، ان نرى في فلسطين، بإيجاز، اربع مناطق مستطيلة منحدرة من الشمال الى الجنوب:

أ-منطقة ساحلية، أي ساحل البحر الابيض المتوسط: وهي منطقة ضيّقة جداً ولا تصلح كثيراً لانشاء المرافئ، وتقوم على جانبها الشرقي تلال كثيرة تتخلّلها سهول صغيرة.

ب-سلسلة جبال وسطى على جانب من الارتفاع في اليهودية جنوباً (اكثر من الف متر): تنخفض كلما اقتربت من الشمال، لكنها تعود فترتفع اخيراً في أقصى الشمال، قبل أن تمتد الى مرتفعات لبنان. وهناك منخفضات عَرْضيّة تبرز ثلاث مناطق، هي اليهودية والسامرة والجليل. وأهم هذه المنخفضات سهول يزرعئيل (حيث مدينة مجدّو التاريخية) يحدّها غرباً جبل الكرمل الشهير.

ج-منخفض كبير يقع فيه وادي الاردن وبحر الجليل والبحر الميت (بحر الملح): وهذا المنخفض يتّصل جنوباً بوادي عربة المؤدي الى خليج العقبة، وهو امتداد لتصدّعات البحيرات الافريقية الكبيرة، ويعدّ أعمق حفرة قاريّة على وجه الارض. فالبحر الميت هو على انخفاض 390 متراً تحت مستوى البحر الابيض المتوسط.

د-هضبة عبر الاردن التي يطلّ طرفها الغربي على المنخفض الاوسط، قسمها الجنوبي الغربي تمرّ به خوانق روافد الاردن والبحر الميت (أرنون ويبّوق). وهو أقل انحداراً، فإنه عبارة عن سلسلة جبال أقل ارتفاعاً من السلسلة الوسطى، وتمتدّ الى حرمون ولبنان الشرقي...

ظروف المعيشة في فلسطين

للمناخ في فلسطين بعض الميزات المشتركة، وإن اختلف باختلاف المناطق: أيام مشمسة جداً، وأمطار مقسّمة على أيام قليلة، وفصل جافّ من أيار الى تشرين الاول، وعدم انتظام ملحوظ في الامطار قد تتراوح بين كميّة وضعفها من سنة الى سنة.

ومعدّل الامطار ينخفض بسرعة ان انتقلنا الى الشرق أو نزلنا الى الجنوب. فهناك ثلاث مناطق مناخية:

-من الشاطئ الى التلال الوسطى: منطقة تسقى بمعدّل متوسط، وتصلح فيها المزروعات الخاصّة بالبحر المتوسط، من قمح وشعير وكروم وزيتون وفواكه وبقول...

-في المنحدر الشرقي من سلسلة جبال اليهوديّة وفي النقب: منطقة شبه صحراوية تصلح فيها بعض المزروعات الموسميّة وتربية الغنم...

-منطقة صحراويّة تصلح فيها بعض المراعي الموسميّة. وفي المنطقتين الاخيرتين بعض الواحات الخصيبة الصغيرة المساحة.

وان عدّت المناطق المرويّة، في بعض الأيام، "أرضاً جميلة"، "أرضاً تدرّ لبناً حليباً وعسلاً"، فإن المعيشة ظلّت فيها قليلة الاستقرار، ولم يكن في امكانها أن تغذّي عدداً كبيراً من السكان. ويبدو ان هذا العدد لم يتجاوز المليون نسمة على عهد الكتاب المقدس. فاورشليم والسامرة، وهما اكبر المدن، لم يتجاوز عدد سكّانهما الثلاثين الفاً. ولم تكن سائر المدن سوى قرى محصّنة. وكان باقي السكّان يقيمون في مزارع مجمّعة حول عيون الماء...

(مرجع الفقرة: "النسخة الجديدة" للكتاب المقدس، طبعة الآباء اليسوعيّين 1989، دار المشرق بيروت، لبنان ، مدخل الى العهد القديم، ص 40-41).

فينيقية – لبنان
بعد إقامة اليهود في فلسطين

لقد نجم عن صراع اليهود ضد الفلسطينيّين والكنعانيّين – على فترات طويلة – انشاء مملكة يهودية مستقلة زمن داود الملك (1010-970). وهكذا تجزّأتْ بلاد كنعان الجنوبية (فلسطين) بين الشعوب الغريبة عنها والتي دخلتها غازية مغتصبة: وهم الفلسطينيون اولاً ثم اليهود. ولم يبق سوى لبنان بلداً حراً مستقلاً...

في هذه الاثناء كانت الدولتان المصريّة والحثيّة على تأخر مستمر، ولم يكن قد أشرق بعد نجم الدولة الاشوريّة. فأتاحت الاحوال فرصة ذهبيّة للفينيقيين – اللبنانيين لتوطيد استقلالهم وانماء بلادهم. ففي القرون الثلاثة الواقعة بين 1200 – 900 ق.م. – باستثناء فترات قصيرة جداً – شهدت فينيقية – لبنان فترة سلام واستقرار وتمتّعت بحكم مستقل ولم تعترف بسيادة دولة غريبة على أراضيها. وكان هذا العصر عصرها الذهبي. وكانت حدودها، عهد ذاك، تمتد من ارواد الى السفوح الجنوبية لجبل الكرمل...

وكانت حكومات مدنها الكبيرة المستقلة تمارس الحكم حسب نظام او دستور لم يطرأ عليه تغيير اساسي من أول أمره الى آخره. فقد كانت خطوطه الرئيسية كما يلي: كان القاضي الاول يعتبر على العموم ملكاً، ويحكم بحق الهي الامر الذي كان يضمن استقرار الملك وابقاءه إرثاً لبنيه من بعده. وقد ادّعت بعض الاسَر أنها متحدّرة من نسل الآلهة... ولكن الحكم لم يكن مطلقاً، اذ كان هنالك غير عامل يحدّ من سلطته. فقد كانت ثمة جماعة الارستقراطيّين من التجار وأصحاب المال، وفئة الملاّحين الكبار وقباطنة المراكب الذين كانوا يؤلفون جماعة لها نفوذها واحترامها. وكان هنالك ايضاً مجلس للشيوخ. وقد عرفت جبيل مثل هذا المجلس منذ أقدم العهود! وكان لملك أوغاريت 70 مشيراً من الاشراف. واثناء الحكم الفارسي كان مجلس الشيوخ في صيدا يتألف من 100 رجل، وكان لصور مجلس مماثل. وكانت طرابلس عاصمة لاتحاد المدن الفينيقية الثلاث الكبرى ارواد وصيدا وصور، مشكّلة بذلك أول "عصبة أمم في العالم..." ويرجع المؤرخون تاريخ تأسيس مجلس الشورى هذا، الاول في التاريخ، الى القرن التاسع قبل الميلاد، وبالتحديد في عهد "إيتوبعل" ملك صور (887-856 ق.م.)

ولكن عندما وقعت فينيقية – لبنان تحت الحكم البابلي الجديد أصبح الحكم في مدينة صور جمهوريّاً ، وعلى رأس الحكومة موظفون كبار كانوا يُعرفون بالقضاة ،

على نحو ما عرفه العبران فيما بعد ، مستوحين بذلك نظام الحكم من صور الحاضرة الفينيقية – اللبنانية الكبيرة ... وكانت المدن اللبنانية ، في جميع أطوار تاريخها ، مدناً محبة للسلام ، فلا تبدو عليها دلائل تنمّ عن روح عسكرية، بل كان همها الأول توسيع التجارة وانماء الثقافات والفنون، وتعزيز الدين.. والانفتاح والتفاعل بين الحضارات.

ان تقسيم بلاد كنعان الى اجزاء شبه منعزلة مستقلة، وتمتع البلاد بنعمة الاستقلال، بعثا في نفوس اللبنانيين نشاطاً جديداً وأثارا في نفوسهم مطامح واسعة. وقد اظهروا من العزم على تحقيق هذه المطامح ما يثير الاعجاب. فإنهم في هذه الفترة أنشأوا لهم تجارة واسعة مزدهرة، وتقدّموا في الفنون والصنائع تقدماً كبيراً، وأسّسوا لهم مستعمرات عديدة على جوانب حوض البحر المتوسط، وأعطوا البشرية أعظم تقدمة حضارية: حروف الهجاء (الابجدية). وتقدمت ملاحتهم فركبوا البحار لارتياد مجاهل جديدة ولتوثيق علاقات انسانية وتجارية جديدة واسواق يبيعون فيها بضائعهم وبضائع جيرانهم. لم يجبنوا امام اليمّ، ولم يكن المجهول ليثني عزمهم بل كان المجهول يستهويهم. وفي عصور سابقة للفترة التي نتكلّم عنها شرع اهل الشاطئ الفينيقي يجذّفون بقواربهم الصغيرة بمحاذاة الشاطئ ليبيعوا ما فيها من سمك وخزف وزجاج ومصنوعات أخرى محليّة. ولكنهم سرعان ما اصبحوا ملاحين ماهرين، فأنشأوا لهم طرقاً بحرية تجارية في البحر المتوسط وخارجه. وظلّت هذه الطرق البحرية مدة طويلة ملكاً لهم يحتكرون تجارتها لا ينازعهم فيها منازع. وهم الذين اكتشفوا أميركا قبل كريستوف كولومبوس بآلاف من السنين... أولئك الباعة المتجولون بقواربهم الصغيرة أصبح أحفادهم من بعدهم من كبار التجار ومن أمراء البحر. وما عتم التجار أن أصبحوا مستعمرين ينشئون المستعمرات التي لم تكن اسواقاً تجارية ينقلون اليها البضائع والسلع فحسب، وانما كانت مراكز جديدة ينقلون اليها أبجديتهم وأفكارهم وعلومهم وسائر النواحي الثقافية والروحية في حضارتهم الانسانية السامية. فنشروا في الارض، من خلال عبادة الههم "إيل"، وحدانية الإله الكوني وفكرة "عالمية الانسان"... فكأن سفنهم وأشرعتهم كانت تؤلف جزءاً عائماً متنقلاً من تربة لبنان!

هذا النشاط التجاري – الثقافي الذي أبداه الشعب اللبناني بعد القرن الثاني عشر جعل منهم أمهر الملاحين والتجار ورسل الحضارة الانسانية العالمية في تلك الحقبة الحاسمة من التاريخ البشري. يكفي ان نذكر قرطاجة العظيمة فقط، لندلّل على عظمة الانتشار اللبناني...

إن المدينتين اللّتين أصبحتا في الفترة التي نحن بصددها سيّدتيّ البحار هما صيدا وصور.

(مرجع الفقرة: فيليب حتي "تاريخ لبنان.."، ص 115-121).

مدينة صيدا ("صيدون العظيمة")

تعتبر صيدا أقدم عهداً من جارتها صور، لا بل تعتبر أمّاً لها. فقد جاء في سفر اشعيا (23: 12): "إن صور هي إبنة صيدون الكبرى" (صيدا). وكذلك تدعى صيدا، كما هو مثبت كتابة على نقودها، أنها أم لمدينة "هبّو" في شمالي افريقية ومدينة "كيتيوم" في جزيرة قبرص. وقد كانت رئاسة المدن الفينيقية والسيادة البحرية من نصيب صيدا أولاً، فمارست هذه الرئاسة على جنوب لبنان، بما في ذلك صور، واحتفظت بسيادتها البحريّة كما فعلت من قبل جبيل وأرواد في شمال لبنان. وقد وجد من بين نقوش رأس الشمرا (أوغاريت) قصيدة طويلة فيها قصة ملك من ملوك صيدا اسمه "كيريت" كان يحارب غزاة يقودهم أمير اسمه تارح. والى جانب هذا الاسم الوارد ذكره في اسفار التوراة التاريخية نجد أسماء أخرى مثل زبولون وأدوم... وقد كان كتّاب اسفار العهد القديم كما كان هوميروس الشاعر اليوناني يسمّون الفينيقيّين صيدانيّين، مّما يدلّ على أن صيدا كانت اقدم عهداً من صور وذات دور فعّال وسلطة واسعة. وسفر التكوين نفسه (10: 15) يجعل صيدون بكر كنعان: "...وكنعان ولد صيدون بكره وحِثاً...". والمؤرخ العبري الذي كتب سفر يشوع بن نون (عاش في القرن الثاني عشر ق.م.) ووصف فيه فتوحات العبران يشير الى صيدا أنها "صيدون الكبرى" أو "صيدون العظيمة"... (19: 28)...

وفي الالياذة، يقول هوميروس في أشعاره عن صيدا ان تجارة الاقمشة والنحاس هي من احتكار مدينة صيدا، مما يدلّ على أهميتها كمدينة تجارية. وكذلك يمدح هوميروس الفنانين الصيدانيّين، "والثياب المطرّزة صنع الصيدانيات"... ومما جعل مدينة صيدا ميناءً بحرياً ممتازاً ومركزاً تجارياً مزدهراً موقعها الطبيعي على الشاطئ. فانها كانت تقوم وراء رأس داخل في البحر تحيط بجهته الشمالية مجموعة جزر صغيرة طولها نصف ميل وكأنها حائط يصدّ امواج البحر فتقي المراكب شرّها. وقد دلت الصور المأخوذة من الجو أنه كان لصيدا ميناءان: داخلي وخارجي. فهي تختلف من هذه الناحية عن أرواد وصور. وكان لصيدا، كما كان لسائر المدن الفينيقية، بعلها الخاصّ وإلهها الحارس الشفيع: "أشمون" إله الشفاء. وقد عثر على بقايا هيكله عام 1900 خارج المدينة جنوبي نهر الأوّلي...

(مراجع الفقرة: فيليب حتي "تاريخ لبنان..."، ص 117-119).

مدينة صور

كانت صور (ومعنى اسمها بالكنعانية "صخر") مثل صيدا، قائمة على رأس داخل في البحر تحميه "صخرة" طولها قرابة ميل وعرضها ثلاثة أرباع الميل. وهذه الجزيرة كانت ميناءً أميناً للمراكب في العاصفة وملجأً للسكان زمن الحروب. وكان للمدينة ميناءان مستقلاّن، الواحد مدخله الى الجهة الشمالية وكانوا يسمّونه الميناء الصيداوي، ومدخل الثاني في الجهة الجنوبية وكان يعرف بالميناء المصري. يقول حزقيال عن صور: "...الساكنة عند مداخل البحر تاجرة الشعوب الى جزائر كثيرة...". وكانت صور البريّة قوية الحصون، وكان يأتيها الماء من نبع يعرف الآن برأس العين. وازدياد ثروتها واحتمال غزوها حمل أهلها على الاعتماد على صور البحرية، لا كمخزن للبضائع او كملجأ أمين فحسب، بل على أنها المدينة الاصلية. فصارت صور مثل أرواد مدينة على صخرة. وعندما زارها هيرودوتس في منتصف القرن الخامس قبل المسيح أكّد له كهنة "ملقارت" إله المدينة أنه كان مضى على تأسيس مدينتهم إذ ذاك 2300 سنة. وقد أعجب هيرودوتس بهيكل ملقارت، الذي كان يسمّيه هرقل، أيّما إعجاب. فقد كان في هذا الهيكل الشهير، فضلاً عن الهدايا والتقدمات العديدة، عمودان كبيران الواحد من الذهب الصافي، والثاني من الزمرّد الذي كان يلمع في الظلام...

وما أن استهلّ القرن العاشر حتى أصبحت صور دولة قوية كسفت عظمتها مدينة صيدا التي أصبحت مدينة ثانوية. ذلك أن صيدا كانت حوالي 1170ق.م. قد أصيبت بكارثة ساحقة. فإن الفلسطينيين دمروا أسطولها وأحرقوا المدينة. واشهر ملوك صور حيرام الاول (أحيرام 969-926) ابن أبي بعل، صديق الملك سليمان وحليفه. فقد بلغت المدينة ايام ملكه شأواً عظيماً. ويرجّح انه هو الذي بنى اسوارها العظيمة الحصينة جاعلاً منها أحصن ميناء في شرقي المتوسط. وقد كان القسم الرئيسي من المدينة في أيامه في الجزيرة حيث كان يقوم هيكل "ملقارت" والقصر الملكي والاسواق التجاريّة. وقد امتدت سلطة صور ابعد من الشاطئ الفينيقي. خلف حيرام ابنه بعل أتصر، ومن بعده عبد عشترت (918-909) الذي خلع. وبعد مضي فترة اضطراب وقلاقل عادت صور الى الاستقرار اذ تولّى إتو بعل (887-856) العرش. وإتو بعل هذا هو الذي زوّج ابنته إيزابل من ملك اسرائيل آخاب (875-853). وقد امتد ملك إتو بعل شمالاً الى بيروت، وكان يشمل ايضاً جزءاً من قبرص. وذكره وارد في التوراة، في سفر الملوك الاول (16: 31): "ملك الصيدانيين". ذلك لأن الفينيقيّين آنذاك كانوا يعرفون بالصيدانيين. والفينيقيّون كانوا

يسمون انفسهم أحياناً جبيليّين وأحياناً صيدانيّين وأحيانـاً صوريّين، تبعاً لشهرة مدنهم الثلاث: جبيل، صيدا وصور. وقد تزوجت إبنة إيزابل، واسمها أثليا، بهورام ملك يهوذا، ولكنها استولت على العرش، وجلست عليه ملكة على يهوذا فترة مدتها ست سنوات. وقد كانت إيزابل هي التي ساعدت على إدخال عبادة "ملقارت" الى شمال مملكة اسرائيل. ولما اجتاحت الجيوش الاشوريّة الشواطئ اللبنانية في أواخر القرن الثامن، كان ذلك إيذاناً بان نجم صور العظيمة قد أفل وشهرتها قد زالت...

في العصور الذهبيّة كانت المراكب تخرج من صيدا وصور وتتّجه الى مصر، أو شمالاً الى قبرص، ومن هناك كانت تتّجه غرباً محتمية بجبال طورس الى ليقيا فإلى جنوبي جزيرة رودس، ومن ثم الى جزيرة كريت وكورسيرا فصقلية. ومن صقلّية كانوا يتابعون أسفارهم الى مستعمراتهم الجديدة التي انشأوها في شمالي افريقية، ومن شمالي افريقية غرباً في محاذاة الشاطئ الى مستعمراتهم الجديدة في اسبانية. والى جانب هذه الطريق كان هناك طرق بحريّة أخرى من الجنوب الى الشمال مباشرة. واما هذه التجارة البحرية فقد كان قوامها اربع مواد تنقص بلداناً كثيرة من بلدان حوض المتوسط: الخشب والحنطة والزيت والخمر. ولم تكن هذه البضائع جميعها من نتاج أرضهم بل كانوا يشترون الحنطة والزيت من جيرانهم ويدفعون أثمانها بضائع أخرى من الكماليات ومن أدوات التبرّج والزينة. أما الافاويه والعطور فكانت تأتيهم من جنوب بلاد العرب ومن الهند. فقد كانت القوافل البريّة تسلك طرقاً عبر الجزيرة العربية فالصحراء السورية الى أن تنتهي الى المناطق الشرقية من شاطئ المتوسط. وبعد زمن أضاف تجار صيدا وصور الى قائمة بضائعهم سلعتين رئيسيتين من صنعهم: أدوات معدنية وأقمشة. وقد كانت شعوب حوض المتوسط تترقب بلهفة وصول البضائع الفينيقية الثمينة الى موانئها: آنية ومواعين معدنية وأقمشة صوفية وقطنية مصبوغة باللون الارجواني الشهير وأدوات منزلية وأثاث من الإبنوس والعاج المزخرف ذي النقوش والرسوم والتحف الزجاجية وغيرها... ولم تكن غابات لبنان مصدراً غنياً للأخشاب فحسب، بل كانت الاشجار المخروطية مثل الشربين والسرو والصنوبر والارز والبطم مصدراً لمادة الطلاء والصمغ الثمينين، بها تطلى المراكب لحفظها من التآكل، ومنها تستخرج مواد تستخدم في التطبيب والتحنيط وطقوس العبادة... وكان هؤلاء التجار كلما اتسعت مجالات اسواقهم التجارية ازدادت موارد الانتاج عندهم حتى أصبحوا على ممرّ الايام صلة وصل بين الشرق والغرب ينقلون الى الغرب بضائع الشرق ويرجعون الى الشرق ببضائع الغرب. وهكذا أصبح المتوسط بحيرة فينيقية قبل ان يصبح فيما بعد بحراً إغريقياً أو رومانياً...

وهل أدلّ على عظمة هذا العصر الذهبي لصيدا وصور، من أقوال النبي حزقيال، في نصوص التوراة نفسها؟ (راجع سفر حزقيال الفصول: 26، 27، 28). ونحن نقتطف من هذه الاقوال ما يلي:

"... هكذا قال السيّد الربّ: هاءَنذا أجلب على صور نبوكد نصّر، ملك بابل، من الشمال، ملك الملوك، بخيل ومركبات وفرسان وجمع وشعب كثير... فيلقي على أسواركِ (يا صور) صدمات كباشه، ويهدم بروجك بأدوات حربه. ولكثرة خيله يغطيك غبارها ومن صوت الفرسان والعجلات والمركبات، ترتعش أسوارك... وحوافز خيله تدوس جميع شوارعك، ويقتل شعبك بالسيف، وأنصاب عزّتك تهبط الى الارض، ويسلبون ثروتك وينهبون تجارتك وينقضون أسوارك ويهدمون بيوتك الفخمة... وأُبطل جلبة أناشيدك، وصوت كنّاراتك لا يسمع بعد اليوم...

هكذا قال السيّد الرب لصور: أليس من صوت سقوطك ترتعش الجزر، وينزل جميع رؤساء البحر عن عروشهم ويخلعون أرديتهم وينزعون ثيابهم الموشّاة ويلبسون الرعدة، ويجلسون على الارض، ويرتعدون كلّ لحظة ويدهشون عليك، ويرفعون لك الرثاء ويقولون لكِ:

كيف هلكتِ أيتها المعمورة في البحار

المدينة الشهيرة

التي كانت ذات قوّة

في البحر هي وسكّانها

الذين ألقوا رعبهم

على جميع سكّانها...

والآن فالجزر ترتعد يوم سقوطكِ

وتفزع جزر البحر من نهايتكِ...

وكانت اليّ كلمة الربّ قائلاً: وانت يا ابن الانسان، إرفع رثاء لصور، وقل لصور الساكنة عند مداخل البحر، تاجرة الشعوب في جزر كثيرة: هكذا قال السيّد الربّ:

يا صور، إنك قلتِ:

انا كاملة الجمال...
حدودك في قلب البحار
وبانوك أكملوا جمالكِ
بسرو من سنير
بنوا لك كلّ ألواحك
وأخذوا أرزة من لبنان
ليضعوا سارية عليك
صنعوا مقاذيفك من بلّوط باشان
ومتنك من عاج مرصّع في الشربين
من جزر كتّيم...
الكتّان الناعم الموشّى من مصر
كان شراعك ليكون راية لكِ
والبرفير البنفسجي والأرجوان
من جزر اليسّة كانا غطاءك
سكان صيدون وأرواد
كانوا قذافين لكِ
وحكماؤك يا صور
الذين فيك هم بحّارتك
شيوخ جِبْلَ وحكماؤك
كانوا فيك جلافطة لصدوعك
وجميع سفن البحر وملاّحوها
كانوا فيك لترويج بضائعكِ...

فارس ولود وفوط كانوا في جيشك، رجال حربك، وعلّقوا فيك الترس والخوذة، هم أفادوك بهاءً. بنو أرواد مع جيشك كانوا على أسوارك من حولك، والجمّادون كانوا في بروجك وعلّقوا تروسهم على أسوارك من حولك. هم أكملوا جمالك. كانت ترشيش تتاجر معك لوفرة كل غنى، فكانت تقايض سلعك بالفضة والحديد

والقصدير والرصاص. ياوان (بلاد اليونان) وتوبل وماشك كانت تتاجر معك، فتقايض بضائعك بالعبيد وآنية النحاس. وكان بيت توجرمة (بلاد أرمينيا) يقايض سلعك بالخيل والجياد والبغال. وكان الرودانيم يتاجرون معك، وكانت جزر كثيرة من زبائنك، فكانت تسلمك قرون العاج والإبنوس قياضاً لك. وكانت أرام تتاجر معك لوفرة مصنوعاتك، فكانت تقايض سلعك بالبهرمان والأرجوان والوشي والكتّان والمرجان والياقوت. وكان يهوذا وأرض اسرائيل تتاجر معك، فتقايض بضائعك بحنطة منّيت (أرض بني عمون في الاردن) والدخن والعسل والزيت والبلسان. وكانت دمشق تتاجر معك لوفرة مصنوعاتك، لوفرة كل غنى، وتزودك بخمر حلبون وبالصوف الابيض. وكانت ويدان وياوان تقايضان سلعك من أوزال بالحديد المطرّق والسليخة وقصب الذريرة. وكانت ددان تتاجر معك بالنمارق للركوب. وكان العرب وجميع رؤساء قيدار من زبائنك، فكانوا يتاجرون معك بالحملان والكباش والتيوس. وكان تجّار شبأ ورعمة يتاجرون معك، فيقايضون سلعك بأفضل كل طيب وبكل حجر كريم وبالذهب. وكان حاران وكنّة وعادان وتجّار شبأ وأشور وكلمر (مناطق على الفرات الاعلى والاوسط) يتاجرون معك بالثياب الفاخرة وباردية من البرفير البنفسجي والوشي وبالبسط الملوّنة والحبال المفتولة بإحكام، يزوّدون بها أسواقك. وكانت سفن ترشيش ناقلة بضائعك...

من كان شبيهاً بصور؟

في وسط البحار؟

بإنزال سلعك من البحار

أشبعتِ شعوباً كثيرة

وبوفرة أموالك وبضائعك

أغنيتِ ملوكَ الارض...!

وكانت اليّ كلمة الربّ قائلاً : يا ابن الانسان إرفع رثاءً على ملك صور، وقل له: هكذا قال السيّد الربّ:

أنتَ خاتم الكمال

ممتلئ حكمة وكامل جمالاً.

كنت في عدن، جنّة الله (لبنان)

وكان كل حجر كريم كساءً لك

من الياقوت الاحمر والياقوت الاصفر

والماس والزبرجد والجزع

واليشب واللاّزورد

والبهرمان والزّمرّد

وصنع دفوفك ومزاميرك من ذهب

هُيّئتَ يوم خُلِقْتَ

كنتَ كروباً منبسطاً مظلّلاً

أقمتك في جبل الله المقدس (لبنان)

وتمشّيت في وسط حجارة النار

كامل انت في طرقك

من يوم خلقت الى أن وجد فيكَ أثم..."

(مراجع صيدا وصور: تكوين 10: 15، يشوع 19: 28، أشعيا 23: 11، حزقيال الفصول 26-28؛ فيليب حتي تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، الطبعة الثالثة، 1982، الفصل الثامن، ص 88-91).

أثر الحضارة الكنعانية في الشعب العبري القديم

دخل العبرانيون أرض كنعان قبائل بدوية فاتخذوا من حضارة البلاد نموذجاً ينسخون على منواله. فأخذوا عنهم لغتهم وحروف هجائهم. ولم يكن لهم ان ينتجوا أدباً خاصاً بهم قبل ان يتعلموا فنّ الكتابة من جيرانهم. وفي حقل التشريع نجد ان أقدم الشرائع العلمانية كانت شرائع كنعانية الأصل. وعن الكنعانيين أخذ العبرانيون الفنون والصنائع والحرف والزراعة وكل ما تتطلبه الحياة الحضريّة. وعن طريق الزراعة والتزاوج انتقل الى العبران كثير من الطقوس والعبادات الكنعانية التي كانوا يحسبونها ضروريّة لتوفير الخصب والانتاج، كما أخذوا عنهم الانصبة الخشبية وعادة بناء المذابح على التلال والمرتفعات. حتى إن العبران الذين اتخذوا "يهوه" إلهاً لهم ظلوا يعتبرون الآلهة المحلية بيدها خصب الارض ووفر الانتاج. وإننا لنجد أن العبران كانوا يعزون الى إلههم "يهوه" الصفات التي كان يتّصف بها البعل الكنعاني...

فهو ربّ السماوات ومنزل الامطار ومخضع العواصف لقدرته. وبعد فترة طويلة بدأ الصراع بين البعل الكنعاني "ويهوه" العبراني، ودام الصراع عنيفاً زمناً طويلاً...

لم يكن هيكل سليمان من تصميم الكنعانيين وبنائهم وحسب، بل كان جزء كبير من طقوس العبادة التي كانت تمارس فيه من اصل كنعاني. فالغناء والترانيم كانت كنعانية في نماذجها. كما أن ورود النواهي الدينية في كتب موسى الخمسة تدل على أن هذه الامور كان قد اقتبسها العبران عن جيرانهم قبل ان يرى فيها زعماؤهم الدينيون ما يناقض دين العبران. وهكذا كان للدين الكنعاني واللغة الكنعانية أثر ظاهر في دين العبران القدماء ولغتهم. وطبيعي ان يتناول هذا الاثر الادب العبري ايضاً. فاننا نعلم مثلاً ان العبران أخذوا عن الكنعانيين كثيراً من فروض عبادتهم وطقوسهم الدينية. فكان من الطبيعي ان يأخذوا عنهم ايضاً ترانيم وأشعاراً دينية. وطبيعي ان يتأثر الاسلوب العبراني بالاسلوب الكنعاني. فإن في الادب العبري كثيراً من التشابيه والمصطلحات الكنعانية، حتى اننا لنجد أحياناً كثيرة اقتباسات من الادب الكنعاني مباشرة! واكثر ما يظهر هذا الاثر الادبي في سفر نشيد الاناشيد وفي المزامير وفي سفر الامثال وكتب الانبياء...

(مرجع الفقرة: فيليب حتي "تاريخ لبنان..."، ص 168 – 171، مع المراجع المذكورة والحواشي والشروحات).

وخلاصة القول، في هذا الفصل - التمهيدي – أن أرض كنعان هي، في الحقيقة، الارض الاولى، الأرض الأم التي احتضنت الانسان الاول والديانة الاولى والحضارة الاولى. ومن كنفها انطلق البشر والديانات والحضارات. إنها البوتقة الأولى لوحدة البشر، والمنطلق الأول لفكرة "عالمية الانسان". فيها تلاقت الاجناس والشعوب والافكار والديانات والمذاهب والحضارات، ثم تفاعلت وتلاقحت وتناضجت سعياً الى التكامل الشامل... إنها أرض "إيل"، الإله الكوني الأول والواحد، وأرض "عمانوئيل" – إيل معنا أو الله معنا – يسوع المسيح الإله الابن المتجسّد "الذي جمع ابناء الله في واحد": "فلم يبقَ هناك يوناني أو يهودي، ولا ختان أو قلف، ولا أعجميّ أو إسكوتي، ولا عبد ولا حرّ، بل أصبحتم واحداً في المسيح الذي هو كل شيء وفي كل شيء..." (قولسّي 3: 11)!

ولبنان، قلب أرض كنعان، لا يزال الى اليوم يتابع هذه الرسالة السامية الكونية الموحّدة. إنه بوتقة وحدة البشر. "إنه اكثر من وطن، إنه رسالة..."!

الفصل الثاني

بيت لحم "اللبنانية" في التوراة
- النصوص وشروحاتها –

سفر التكوين (35: 16-20، 48: 7)

جاء في سفر التكوين (35: 16-20) ما يلي:

"ثم رحلوا (يعقوب وقومه) من بيت إيل. وبينما هم على مسافة من أفراتة، ولدت راحيل وعسَرت ولادتها. فلما عسرت ولادتها، قالت لها القابلة: لا تخافي، فإن هذا ايضاً ابن لك. وكان قبل ان تفيض نفسها، لأنها ماتت، قد سمّته "بن أوني". وأمّا أبوه فسمّاه "بنيامين". وماتت راحيل ودفنت في طريق أفراته – وهي بيت لحم. ونصب يعقوب نصباً على قبرها، وهو نصب قبر راحيل الى اليوم".

هذا النص الكتابي هو، دون أدنى شك، النص الاول الذي يذكر، في اسفار العهد القديم، مدينة بيت لحم. كما انه النص الكتابي الاول الذي يذكر "افراته"، ويذكرها كمرادف لبيت لحم. وبالاضافة الى ما سبق، انه النص الاول الذي يتحدث عن قبر راحيل (امرأة يعقوب) ويحدّد جغرافياً موقعه بالضبط بالقرب من بيت لحم – "في طريق افراتة، وهي بيت لحم". وهكذا، فجميع النصوص اللاحقة، في العهدين القديم والجديد، والتي تتحدث عن بيت لحم وافراته وقبر راحيل، ترجع دوماً وابداً، بشكل مباشر أو غير مباشر، الى هذا النص الأقدم والأول في سفر التكوين (35: 19)، وهي تستند اصلاً الى هذا النص الاساسي والواضح والمحدّد. فعلى سبيل المثال، ان النص الشهير جداً في سفر ميخا (5: 1) الذي يقول: "وأنتِ يا بيت لحم افراته إنك أصغر عشائر يهوذا ولكن منك يخرج لي من يكون متسلّطاً على اسرائيل...". هذا النص عند ميخا – الذي استند اليه متى الانجيلي (2: 6) وتصرّف به... يعود مباشرة الى ذلك النص الاول في سفر التكوين (35: 19). هذا ما تجمع عليه كل النسخ الكتابية التي بين ايدينا: "النسخة الكاثوليكية الجديدة"، هامش الآية 20 في الفصل 35 من سفر التكوين، ص 122؛ "توراة

اورشليم (باللغة الفرنسية)، سفر التكوين 35، هامش الآية 19، ص 43؛ وغيرها... وهكذا، فجميع النصوص الكتابية تتوافق، في الأصل، حول علاقة بيت لحم وافراته وقبر راحيل، هذه الثلاثة التي تقع، جغرافياً وبشكل واضح ومحدّد، في نفس الموقع.

غير ان هناك نصاً آخر في سفر التكوين (48: 7) يكرر النص الاول (سفر التكوين 35: 16-20)، يؤكده ويلقي عليه أضواء جديدة وهامّة. هذا النص الثاني يقول، وعلى لسان يعقوب نفسه هذه المرّة: "وأمّا أنا ففي عودتي من فدّان (أرام) ماتت بقربي راحيل (زوجته) في **أرض كنعان**، في الطريق، على مسافة من أفراته، فدفنتها هناك في طريق أفراته، وهي بيت لحم"!

يظهر بوضوح من هذا النص ان يعقوب ترك فدّان (أرام)، ودخل ارض كنعان. أجل! الارض هي ارض كنعان منذ آلاف السنين، قبل ابراهيم، الآتي من اور الكلدانيّين، وقبل اسحق، وقبل يعقوب. الارض هي أرض كنعان – فينيقية – لبنان، منذ كنعان بن حام ابن نوح. منذ البدء هي ارض كنعان. وكنعان لفظة كنعانية مكونة من عبارتين: "كن" وتعني: المكان، المسكن، المقام، ومن "أون" الاول، والاقدم والاسمى. وحرف "ع" في نصف الكلمة "كنعان" هي لتسهيل اللفظ في التصحيف الشعبي. فيكون معنى كلمة "كنعان" في الاصل: مَسكن الأول، أي مسكن الانسان الأول!... هذه هي لغوياً وتاريخياً حقيقة كلمة واسم كنعان، بعيداً عن التفسيرات التقليدية المتسرعة وغير العلمية والمتناقضة معاً... الارض هذه كانت اذاً ارض كنعان قبل دخول الغرباء الغازين والمغتصبين اليها، أي قبل دخول الغزاة الفلسطينيّين الآتين كمرتزقة مع "جيوش بحر الشمال"، وقبل دخول الغزاة اليهود مع موسى ويشوع ابن نون. هذه هي الحقيقة التاريخية المجردة والموضوعية. نقولها نحن هنا، على الملأ، وبكل قوة وجرأة!

وماتت راحيل زوجة يعقوب في أرض كنعان، وبالتحديد في "الطريق على مسافة من أفراته، فدفنها هناك في طريق أفراته وهي بيت لحم". إذاً قبر راحيل، بحسب سفر التكوين نفسه (35: 16-20 و48: 7)، هو بالقرب من افراته التي هي بيت لحم. مرة أخرى، أفراته = بيت لحم.

تجدر الاشارة الى أن النسخة الجديدة، في تعليقها على الفصل 35 من سفر التكوين، هذا الفصل الذي يحوي لأول مرة اسم أفراته بيت لحم (16-20)، تقول بالحرف الواحد: "يجمع هذا الفصل، في رحلة يعقوب بين شكيم وحبرون، بعض التقاليد ذات المصادر المختلفة..." (النسخة الجديدة، الحاشية رقم 1، ص 121). وفي الواقع، ودون الدخول في تاريخ وتقنية التقاليد الكتابية الاربع (التقليد اليهوي، التقليد الايلوهي، التقليد الكهنوتيّ، والتقليد الخاص بتثنية الاشتراع...)

نكتفي هنا بأن نشير الى أن الفصول 25-35 من سفر التكوين والتي تسرد سيرة حياة اسحق ويعقوب، هي مزيجٌ متداخل من التقاليد اليهوية والايلوهية والكهنوتية! وللباحث المدقّق يتبين أن التقليد الأصليّ الأول الذي يتحدث عن رحلة يعقوب ومروره بأفراته بيت لحم هو الوارد في الفصل 28: 10-20، والمعروف بـ "حلم يعقوب"، والذي جاء فيه: "وخرج يعقوب من بئر سبع ومضى الى حاران. واتفق أنه وجد مكاناً بات فيه، لأن الشمس قد غابت. فأخذ بعض حجارة المكان فوضعه تحت رأسه ونام في ذلك المكان. وحلم حلماً، فإذا سلّم منتصب على الارض ورأسه يلامس السماء، واذا ملائكة الله صاعدون نازلون عليه... وعندما استيقظ يعقوب من نومه قال: إن الرب في هذا المكان، وأنا لم أعلم. فخاف وقال : ما أرهب هذا المكان! ما هذا الاّ بيت الله! هذا باب السماء! ثم بكّر يعقوب في الصباح وأخذ الحجر الذي وضعه تحت رأسه وأقامه نصباً وصب على رأس الحجر زيتاً. وسمّى ذلك المكان "بيت إيل"، وكان اسم المدينة اولاً لوز ...". ثم يبدأ الفصل 29 بهذا الكلام: "ثم قام يعقوب ومضى الى أرض بني المشرق الخ...". يظهر لنا بوضوح من هذا النص أمور هامة عدّة، نعرضها باختصار في ما يلي:

-اولاً وجهة السفر هي من الجنوب الى الشمال فالشمال الشرقي. فان نقطة انطلاق السفر هي بئر سَبع. وبئر سبع كما هو معروف وظاهر في جميع الخرائط هي مدينة قديمة جداً تقع في أقصى جنوب فلسطين. "خرج يعقوب من بئر سبع ومضى الى حاران..." وحاران، كما هو معروف، مدينة بين النهرين، على نهر بليخ وهو فرع للفرات، وتقع على مسافة 280 ميلاً الى الشمال الشرقي من دمشق. وكانت المدينة مركزاً تجارياً لكونها على أحد الطرق التجارية الرئيسية بين بابل والبحر المتوسط. ولقد تغرّب فيها مدة من الزمن تارح وابراهيم، وسكنت فيها اسرة ناحور ولابان اخو رفقة ، ويعقوب نفسه (سفر التكوين 11 – 12 ، 27 – 29).

-ثانياً إن يعقوب في رحلته من بئر سَبع الى حاران، أي من جنوب فلسطين الى الشمال الشرقي، كان من المفروض ان يمرّ أولاً في بيت لحم اليهودية جنوبي أورشليم (يبّوس عهد ذاك) ثم يواصل سيره الى مدينة لوز التي سماها "بيت إيل" والتي تبعد حوالي 15 كلم شمالي أورشليم. هذا إذا كانت مدينة بيت لحم اليهودية موجودة أيام يعقوب. والبرهان القاطع على أنها لم تكن فعلاً موجودة بعد، هو أن النص نفسه يقول حرفياً:" ثم رحلوا (يعقوب والقوم الذين معه) من بيت إيل (دائماً باتجاه الشمال).وبينما هم على مسافة من أفراته التي هي بيت لحم ولدت راحيل الخ... (تكوين 35: 16-20). وهذا يتطابق تماماً مع الحقائق والوقائع الجغرافية على الارض. أجل ! إن افراته بيت لحم هي في الواقع في الشمال من بيت ايل وليس في الجنوب! كما يتطابق مع جغرافية يشوع (19 :

10 – 16) وسائر الاسفار القديمة التي حددت أفراته بيت لحم في الشمال وليس في الجنوب، في الجليل وليس في اليهودية، في الشمال البعيد من اورشليم وليس في الجنوب القريب منها. (راجع ايضاً الخرائط القديمة لفلسطين والجليل).

-ثالثاً في ايام يعقوب، وبالتالي خلال رحلته هذه، كانت الارض كلها كنعانية للكنعانيّين، من بئر سبع الى الجليل، وذلك بشهادة الكتاب نفسه مرّات عديدة. لم يكن هناك بعد في جنوب كنعان الذي سمّي فيما بعد فلسطين، لا يهود ولا فلسطينيّون. هذه هي الحقيقة التاريخية المجرّدة، بشهادة الكتاب المقدس نفسه وجميع كتب التاريخ. لم يكن هناك يهود بعد في هذه الارض – ويعقوب هو أب الاسباط اليهودية – وبين يعقوب (1800-1700 ق.م.) ودخول اليهود الى ارض كنعان عن يد يشوع (حوالي 1230 – 1220 ق.م.) هناك مئات من السنين! ولم يكن هناك فلسطينيّون ايضاً في جنوب ارض كنعان، لأن هؤلاء أقاموا أولاً على الشاطئ الجنوبي من كنعان حوالي 1200ق.م. الارض كانت كنعانية اذاً ايام يعقوب. لم تكن يهوديّة. فمن اين جاءت، يا ترى، بيت لحم يهوذا او بيت لحم اليهودية؟ هذه لم تكن قد أنشئت بعد! لقد أنشئت بعد مئات من السنين. كان هناك بيت لحم واحدة هي افراتة بيت لحم، المدينة الكنعانية المعروفة، التي تحدثت عنها رسائل "تل العمارنة"، وجغرافية يشوع واسفار الكتاب القديمة، والموجودة في جميع الخرائط القديمة. والغريب حقاً كيف طمست بيت لحم الحقيقية الاصلية الاولى هذه؟ من طمسها؟ ولماذا؟

-رابعاً- عملية الطمس المقصود هذه بدأت على يد اليهود انفسهم، بعد عودتهم من الجلاء في القرن الخامس قبل الميلاد. وقد اعادوا كتابة الاسفار القديمة بعد قرون من وقوع الاحداث الاصلية! ثم توالت عملية الطمس هذه، بشكل سافر ومفضوح، في الترجمة اليونانية –السبعينية- التي حصلت في الاسكندرية على عهد بطليمس الثاني وبأمره (285-246ق.م.). وتقول الرواية ان هذه الترجمة حصلت عن يد اثنين وسبعين شيخاً يهودياً كبيراً، وانهم كانوا كلّهم متّفقين اتفاقاً عجائبياً. وتتناول هذه الترجمة كل اسفار العهد القديم باللّغة اليونانية القديمة. أما النسخة الجديدة، التي بين ايدينا، فتقول في هذه الرواية ما يلي: "...وبالرغم من كون هذه الاسطورة المرويّة خالية من القيمة التاريخية... فإن اليهود الناطقين باليونانية لم يترددوا في أن ينسبوا الى المترجمين إلهاماً إلهيّاً حقيقياً! كما يشهد على الأمر بوضوح فيلون الاسكندري في مطلع القرن الاول من عصرنا... وقد أضيفت الى هذه الترجمات توسّعات جعلت منها تفسيراً حقيقياً للنصوص

مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بتغيير الاطار الثقافي الذي سبّبه الانتقال من اللغة العبرية واللغة الآرامية الى اللغة اليونانية، إلخ..."!

(النسخة الجديدة، مدخل الى العهد القديم، ً3: قانون العهد القديم – تكوين قانون الكتب المقدسة في الدين اليهودي، صفحة 49).

وهكذا، حصل التركيز شيئاً فشيئاً على بيت لحم اليهودية المبنية حديثاً، وذلك تمجيداً وتفخيماً للمثلّث اليهودي المعروف: "داود – أورشليم – سبط يهوذا"، وبيت لحم يهوذا بالتالي... وأخذ التاريخ، المتأثر باليهود، ينسى شيئاً فشيئاً بيت لحم الحقيقية في الجليل!

وقد أصبح اليوم من الثابت والمؤكد، بعد الدراسات التاريخية النقدية، أن "فكرة المسيح – المخلّص" قد نشأت عند اليهود خلال السبي الى بابل (القرن السادس قبل المسيح)، لا قبل ذلك!...

وخلاصة القول هنا، في سفر التكوين، في النصّين المتشابهين تماماً، ان مدينة بيت لحم هي مدينة كنعانية قديمة كانت موجودة قبل دخول يعقوب اليها. والمعروف ان يعقوب عاش في حوالي القرن الثامن عشر قبل الميلاد. أما بيت لحم اليهودية، في ارض يهوذا في جنوبي فلسطين، والتي يظن الناس الى اليوم ان المسيح ولد فيها، فلم تكن موجودة بعد، وهي قد أنشئت بعد مئات من السنين، كما سنبيّن ذلك بالتفصيل فيما بعد. ونذكّر، مرّة أخرى، بأن لقب "أفراته" كان يطلق دوماً وأبداً – وبشكل ملازم – على بيت لحم الشمال، المدينة الكنعانية العريقة.

وموقع بيت لحم التي هي أفراته هو في ارض كنعان، قرب قبر راحيل، في الشمال، في الجليل، حيث سيثبت الكتاب المقدس نفسه ذلك على لسان يشوع (19: 10-16) في المقطع التالي.

سفر يشوع 15: 59؛ 19: 10-16

جاء في النسخة الجديدة – "مدخل" الى سفر يشوع، ص 418-419، ما يلي: "...ليس سفر يشوع محضراً يروي بتسلسل مراحل الفتح واقامة الشعب في كنعان. أجل، إن نقاد عصرنا يعترفون اعترافاً مطّرداً بقيمة التقاليد التي يستند اليها الكتاب. لكن بين الاحداث التي يرويها وتاريخ التحرير النهائي للكتاب بضعة قرون! ومن جهة اخرى، فإن الصورة التي تعرضها هذه الوثيقة من أن الفتح التام لأرض كنعان قد جرى على يد مجمل الاسباط متحالفة لا تثبت للنقد التاريخي... فإن أرض كنعان لم تفتح حقاً الاّ في ايام داود (في القرن العاشر). أما فيما قبل، فإن الكنعانيين لم يبادوا كلّهم، بل ما زالوا في السهول، وهذا أمر يشير اليه الكتاب نفسه. وكثيراً ما ساكنوا بني اسرائيل (راجع يشوع 15: 63، 16: 10، 17: 12 و18 الخ...). ونكتشف عند موت يشوع ان هناك أرضاً واسعة لم يُستولَ عليها، مع انه تم توزيعها بين الاسباط؟! (راجع يشوع من الفصل الثالث عشر الى الفصل الثالث والعشرين...)... وعلى هذا الاساس جدّدت قراءة الكتاب على يد محرّر ينتمي الى المدرسة التي أنتجت سفر تثنية الاشتراع وتستند اليه ليتأمّل في تاريخ اسرائيل الماضي في ضوء الاختبارات الحديثة (القرنان السابع والسادس ق.م.) نرى هذا التأمل خاصة في الخطب الطويلة الواردة في الفصلين الاول والثالث والعشرين، بغضّ النظر عن التنقيحات التي لا تحصى بالنسبة الى الكتاب السابق... وقد يصدمنا هذا التدبير عندما نطالع هذه الروايات، ولكنه تدبير نظري اكثر منه واقعي. فلقد ابتدع فيما بعد، حين اتّضح خطر الوثنية الذي تعرّض له اسرائيل...

يتضمّن الكتاب في قسمه الثاني (من الفصل الثالث عشر الى التاسع عشر) رسم حدود ولوائح مدن لكل من اسباط اسرائيل الاثني عشر. فنحن امام وثائق ثمينة عن تقسيم الارض التقليدي بين اعضاء الشعب. قد يرتقي بعضها الى الزمن السابق لملك داود، ولكن لا يمكننا ان ننفي وجود تكملات لاحقة بالنسبة الى تطوّر الاوضاع في كل من يهوذا واسرائيل في ايام الملكيّة... فإن أخذنا بعين الاعتبار ذلك العمل التحريري الطويل، أدركنا على وجه أفضل ما يجب ان نتوقّعه على الصعيد التاريخي من سفر يشوع..."؟! (النسخة الكاثوليكية الجديدة، مدخل الى سفر يشوع – ص 418-419).

بعد دخول يشوع جنوب أرض كنعان مع العشائر اليهودية، وبعد الحروب التي حصلت بينهم وبين الكنعانيّين، أخذ يشوع يوزّع – بالقرعة! – تلك الاراضي الكنعانية على أسباط اسرائيل الاثني عشر. مع انه ثبت انه عند موت يشوع

بقيت هناك أراضٍ كنعانية واسعة لم يستولَ عليها، مع انه تم توزيعها بين الاسباط! (راجع سفر يشوع من الفصل الثالث عشر الى الفصل الثالث والعشرين). وعندما وصل الدور الى سبط زبولون، الذي يقع مباشرة عند السفوح الشرقية لجبل الكرمل في جليل الامم (راجع خرائط الاسباط)، يقول الكتاب: "وخرجت القرعة الثالثة لبني زبولون بحسب عشائرهم، فكانت حدود ميراثهم الى ساريد. وتصعد حدودهم غرباً الى مرعلة، وتتّصل الى دبّاشت، وتبلغ الى الوادي الذي قبالة يقنعام. ثم تنعطف من ساريد شرقاً نحو مشرق الشمس على حدود كسلوت تابور، وتبعد الى الدبرت وتصعد الى يافيع. ومن هناك تمرّ شرقاً الى شرقيّ جتّ حافر وعتّ قاهين، وتنفذ الى رقون، وتنعطف الى نيعة. وتميل الحدود حولها شمالاً الى حنّاتون، وتنتهي الى وادي يفتحئيل وقطّة ونهلال وشمعون ويرألة **وبيت لحم**: فهناك اثنتا عشرة مدينة بقراها. هذا ميراث بني زبولون بحسب عشائرهم: تلك المدن بقراها..." (سفر يشوع 19: 10-16).

إن أول ما يلفت النظر حقاً في هذا النص هو ورود اسم مدينة "بيت لحم بقراها"، وذلك في ارض زبولون، في شمال فلسطين أي في جليل الامم! وهي مدينة كنعانية كنعانية كانت موجودة قبل دخول يشوع والاسباط الى أرض كنعان... وقد أقرّ يشوع هو نفسه بوجودها في جليل الامم، ولكنه جعلها – في جغرافيته – من نصيب سبط زبولون – والنص واضح تماماً ولا يقبل أي نوع من الشك والريب، ولا بالاحرى أي نوع من التغيير والتأويل والتبديل. هناك مدينة كنعانية في جليل الأمم تدعى بيت لحم. هذه حقيقة تاريخية وجغرافية واضحة وملموسة! (راجع الخرائط القديمة في هذا الكتاب). فلماذا أهملها اليهود؟ لماذا تناسوها أو بالأحرى لماذا طمسوها عن قصد وتصميم؟ لماذا لم تذكرها اسفارهم الحديثة – بعد يشوع؟ واذا أهملها وتناساها اليهود "لغاية في نفس يعقوب"، فلماذا أهملها وتناساها أوطمسها، من بعدهم، المسيحيّون أنفسهم؟ لماذا؟ أإلى هذا الحدّ الفظيع بلغ تأثير "غسل دماغ" المسيحيين من قبل اليهود، حتى انهم أنكروا أبسط وأوضح الحقائق التاريخية والجغرافية؟ وهكذا نحن نفهم لماذا أهمل التاريخ حتى اليوم مدينة بيت لحم هذه، الكنعانية الجليلية. أهملها التاريخ لأن اليهود اهملوها، ومن بعدهم المسيحيّون. ثم أهملها الجميع... وها نحن اليوم من هنا، من لبنان بالذات...، نقيم بيت لحم الحقيقية من سباتها الطويل، من نومها العميق، لا بل من قبرها!(كما قامت من قبرها مؤخراً شقيقتها "قانا الجليل – اللبنانية"، مسقط رأس يوسف ومريم، وذلك بعد أن تحوّلت قانا، الى محرقة بشرية بريئة و"هولوكوسَت" حقيقية عل أيدي اليهود أنفسهم...!). نقيم بيت لحم الكنعانية اللبنانية من قبرها لأنه فيها ولد السيد المسيح مخلص البشرية والكون، لا في غيرها: أي في بيت لحم اليهودية، في جنوب فلسطين، كما يظن

جميع الناس الى اليوم...! أجل! ومن له أذنان سامعتان فليسمع": ان يسوع المسيح هو كنعاني لبناني ولد في بيت لحم الكنعانية اللبنانية، أصله من قانا الجليل اللبنانية مسقط رأس والديه يوسف ومريم. ومن لا يصدق فليذهب ويرَ ويلمس ويقبّل ضريح جدّه لأمّه يواكيم – عمران عند المسلمين – وذلك في "مقام النبي عمران"، في قرية "القليلة" في جوار قانا الجليل – اللبنانية، على بعد حوالي 13 كيلومتر جنوبي شرقي صور العظيمة (وهذا ما سوف نفصّله لاحقاً في هذا الكتاب)!.

واذا عدنا الى نصّ يشوع الذي نحن الآن بصدده، والى الآية 15 التي تذكر بيت لحم، نرى النسخة الجديدة تسارع الى التعليق على هذه الآية بالذات، وعلى اسم بيت لحم الوارد فيها، فتقول بالحرف الواحد: "غير بيت لحم التي في يهوذا (أي المعروفة اليوم)، وكانت في الجليل الاسفل..." (النسخة الجديدة، سفر يشوع 19: 5، والحاشية رقم 2، ص 452). وهكذا اذاً تعترف النسخة الكاثوليكية الجديدة بأن هناك مدينة اسمها بيت لحم في شمال فلسطين، في ارض زبولون أي في الجليل. وتعترف ضمناً انها مدينة كنعانية "بقراها" اذ انها تذكرها في عداد المدن التي سيسكن فيها سبط زبولون وتقول عنها "انها غير بيت لحم التي في يهوذا" أي المعروفة اليوم. اما بقية النسخ والترجمات – على ما نعلم – من قديمة وحديثة، فقد مرّت عليها مرور الكرام، دون أي تعليق وشرح، ودون ان تميّز بينها وبين بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم! لماذا هذا الاغفال والتناسي والطمس المقصود؟ حتى ان "توراة اورشليم" – النسخة الفرنسية – التي تعتبر من أهم الترجمات الحديثة، فقد مرّت هي ايضاً مرور الكرام على بيت لحم الكنعانية، ولم تكلّف نفسها عناء أبسط شرح وتعليق، مع انها أحياناً تستفيض في التعليق على أمور تافهة لا طائل تحتها. إن أبناء وأحفاد المسيحيين المتهوّدين لا يزالون أحياء يرزقون...!

وهكذا يكرّر ويثبت نص يشوع هذا، النصوص الواردة قبله في سفر التكوين (35: 16-20، 48: 7) في الحديث عن بيت لحم أفراته، كما رأينا سابقاً. التكوين يقول: ماتت راحيل زوجة يعقوب وقبرت في ارض كنعان بالقرب من بيت لحم التي هي افراته. غير ان يشوع، في حديثه عن بيت لحم هذه، كان أكثر دقة وتوضيحاً من الناحية الجغرافية بالذات. فحدّد موقعها في مساحة أرض صغيرة نسبياً هي أرض زبولون في السفوح الجنوبيّة الشرقية القريبة من جبل الكرمل (راجع خرائط الجليل والاسباط). ترسم جغرافية يشوع حدود الاسباط وتعدّد المدن الكنعانية التي سيسكنها هؤلاء الاسباط.. ومن البديهي ان تكون هذه المدن الكنعانية، التي يعدّدها يشوع في جغرافيته، مبنية قبل دخول هؤلاء الاسباط الى ارض

كنعان. ان الارض كانت كنعانية، بشهادة الكتاب المقدس نفسه، بالاضافة الى التاريخ والجغرافية المدنية. إن "رسائل تلّ العمارنة" نفسها (القرن الرابع عشر ق.م.) تتحدث عن بيت لحم الكنعانية هذه، وتحدد موقعها في شمال مدينة مجّدو الشهيرة، اذاً في الجليل. ولا تذكر اطلاقاً بيت لحم يهوذا لأنها لم تكن موجودة بعد! وهكذا يثبت بشكل قاطع – تاريخياً وجغرافياً – ان بيت لحم الحقيقية، في سفر يشوع، هي المدينة الكنعانية في الجليل.

والذي يضفي على هذه الحقيقة أضواء إضافية هو النص الآخر في سفر يشوع بالذات (15: 59). فقد جاء في الفصل الخامس عشر، في "جدول مدن يهوذا"، ما يلي:

"...ومعرات وبيت عنون وألتقون: ستّ مدن بقراها. وتقوع وأفراته وهي بيت لحم، وفاغور وعيطم وقولون وتتام وساريس والكرم وجلّيم وبطير ومناح: إحدى عشرة مدينة بقراها..." (الآية 59). ففي تعليقها على "جدول مدن يهوذا"، في نفس الفصل 15، تقول النسخة الجديدة: "لم تحفظ نصوص هذا الجدول حفظاً جيداً، فكثير من أسماء المدن الواردة فيه تصوّب بالرجوع الى النص اليوناني أو الى نصوص كتابية اخرى..."؟! (يشوع 15: 21، والحاشية رقم 5، ص 447). وفي تعليقها على الآية 59 بالذات – في نفس الجدول والتي يرد فيها "أفراته وهي بيت لحم" – تقول: "من تقوع – التي ترد تماماً قبل "أفراته وهي بيت لحم" – الى آخر الآية 59: مأخوذ من النص اليوناني (الحديث)، لأن النص العبري الاصلي لا يذكره..."؟! وهكذا، وللمرّة الالف، يظهر بوضوح التعديل والتغيير والحذف والتحوير في كثير من نصوص الاسفار القديمة، من الناحيتين التاريخية والجغرافية، وذلك بين قديم وحديث، بين نسخة ونسخة، وبين ترجمة وترجمة الخ... ونذكّر، مرة اخرى، ما جاء في مدخل الكتاب: "لكن بين الاحداث التي يرويها وتاريخ التحرير النهائي للكتاب بضعة قرون..."!

يكرّر يشوع في نصه الاول ويؤكّد على ما جاء في نصّي التكوين على ان بيت لحم الاولى والحقيقية هي في الجليل. ثم يزيد في الدقة الجغرافية ويجعلها في سفوح الكرمل الشرقية. وفي نصّه الثاني يبقي كونها هي أفراته فيقول: "وأفراته التي هي بيت لحم...". وهكذا، مرّة أخرى، تظهر العبارتان "أفراته" و"بيت لحم" متلاصقتين مترادفتين: "أفراته التي هي بيت لحم". والعجيب حقاً، ان يشوع في نصه الثاني هذا (15: 59) يطلق على مدينة بيت لحم أفراته عبارة "مدينة بقراها"، كما جاء في نصّه الأول (19: 10-16)، غير انه يذكرها في عداد مدن يهوذا في الجنوب؟! فكيف يكون ذلك، من الناحيتين التاريخية والجغرافية؟ في الحقيقة، انه تناقض فاضح! كيف يعقل ان تكون بيت لحم يهوذا في ايام يشوع،

حوالي 1230، "مدينة بقراها"، مع انها لم تكن قد وجدت بعد؟ وهي الى اليوم، وبعد اكثر من ثلاثة آلاف ومائتي سنة، ليست اكبر من بلدة؟ إن بيت لحم "المدينة بقراها" هي التي ذكرها هو نفسه في النص الاول، كما رأينا (19: 10-16). فكيف ولماذا ومتى انتقلت من الشمال، من الجليل، الى الجنوب الى ارض يهوذا؟ الجواب هو في تعليق النسخة الجديدة التي تقول: "إن ذلك إضافة متأخرة"، أي بعبارة اوضح، ان الآية 59 من الفصل 15، التي تذكر بيت لحم "المدينة بقراها" في عداد مدن يهوذا في الجنوب، هي آية مأخوذة من النصّ اليوناني الحديث، الترجمة السبعينية – 285 – 246 ق.م.، لأن النص العبري الاول الأصليّ لا يذكرها (لا يذكر هذه الآية)...!! والذي يضاعف من العجب ويزيد من الغرابة حقاً، هو ان هذه الآية بالذات (59)، التي تجعل افراته بيت لحم في أرض يهوذا، هي وحدها – نعم وحدها – مضافة الى النصّ الأصليّ العبري القديم (راجع، مرّة أخرى، النسخة الجديدة، الحاشية رقم 8، ص 447)! ولماذا، يا ترى، أضيفت هذه الآية وحدها الى النص الأصلي؟ الواضح انها أضيفت، على يد المحرّرين والنسّاخ المتأخرين، ليجعلوا من بيت لحم يهوذا، في الجنوب، بيت لحم أفراته الحقيقية! غير أن التاريخ والنصوص الكتابية الاصلية نفسها تقول بوضوح ان بيت لحم أفراته الحقيقية هي في الشمال، في الجليل، في ارض زبولون – في ارض كنعان. مرة اخرى، حاول محرّرو ونسّاخ ما بعد الجلاء الى بابل، الذين كتبوا بعد وقوع الاحداث الاصلية ببضعة قرون، حاولوا ان يجمعوا ويختصروا تاريخهم القديم – حتى تاريخ الاسباط الاسرائيلية في الشمال – في اورشليم وجوارها، وذلك، كما رأينا سابقاً، تفخيماً وتعظيماً لمثلثهم المعروف: سبط يهوذا، أورشليم، والملك داود وسلالته... وبما ان فكرة المسيح المخلّص، لم تتوضح عندهم الاّ اثناء الجلاء – إذ إنهم قبل الجلاء كانوا يعتبرون كل قائد وقاض وملك ولو كان أجنبيّاً مسيحاً مخلّصاً – فقد حاولوا، من خلال تحويرهم اقوال الانبياء عن المسيح المنتظر، ان يجعلوه يأتي، تاريخياً وجغرافياً، من هذا المثلث القومي بالذات. وهكذا نقلوا بيت لحم افراته الحقيقية من الجليل في الشمال الى ارض يهوذا في الجنوب، وجعلوا من بيت لحم اليهودية، المبنية بعد الاولى بأجيال، بيت لحم افراته الحقيقية التي تحدثت عنها الاسفار القديمة ونبؤات الانبياء... وعنهم أخذ الانجيليون (عن ميخا خاصة) ثم التاريخ المسيحي الى يومنا هذا...! أجل! كان اليهود يعتبرون قضاتهم مخلّصين (مع ان البعض من هؤلاء القضاة كانوا من الكنعانيين! راجع سفر القضاة نفسه 3: 31، النسخة الجديدة، الحاشية رقم 6، ص 474). فعلى سبيل المثال، يقول سفر القضاة: "...فصرخ بنو اسرائيل الى الرب، فأقام الربّ لبني اسرائيل مخلّصاً فخلّصهم، وهو عتنيئيل بن قناز، أخو كالب الاصغر. وكان روح الرب عليه... فتولّى القضاء لاسرائيل، وخرج للحرب..." (3: 9-

10). وفي مكان آخر: "...فصرخ بنو اسرائيل الى الرب، فأقام الرب لهم مخلّصاً، أهود بن جيرا البنياميني..." (3: 15). اما سفر صموئيل الاول فيسمّي الملك – وهنا شاول – "مسيح الرب" بالحرف الواحد. فقد جاء فيه: "...وقام داود وقطع طرف رداء الملك شاول خفية. وبعد ذلك، خفق قلب داود لقطعه طرف رداء شاول. وقال لرجاله: حاش لي بالرب أن أصنع هذا الامر بسيدي "مسيح الربّ". وردع رجاله بهذا الكلام، ولم يدعهم يهجمون على شاول..." (24: 6-8). حتى ان قورش ملك فارس (551-529)، كان اليهود يعتبرونه ايضاً "مسيحاً"، "مسيح الرب"! فقد جاء في سفر اشعيا: "هكذا قال الرب فاديك وجابلك من البطن: أنا القائل لقورش: انت راعيّ، متمّم كل ما اشاء. والقائل لأورشليم: ستبنَين. وللهيكل ستؤسّس. هكذا قال الرب لمسيحه: لقورش الذي أخذت بيمينه لأخضع الامم بين يديه، وأحلّ احقاء الملوك، لأفتح امامه المصاريع، ولا تغلق الابواب. إني أسير قدامك، (الكلام موجّه دوماً لقورش) فأقوّم المعوّج وأحطم مصاريع النحاس، وأكسر مغاليف الحديد. وأعطيك كنوز الظلمة ودفائن المخابئ، لتعلم اني أنا الربّ الذي دعاك باسمك، إله اسرائيل(!؟). لأجل عبدي يعقوب واسرائيل مختاري، دعوتك باسمك ولقّبتك (بالمسيح) وانت لم تعرفني. أنا الربّ وليس من رب آخر، ليس من دوني إله. شددتك بزنّار، وانت لم تعرفني، لكي يعلموا من مشرق الشمس ومن مغربها، انه ليس غيري. انا الرب وليس من ربّ آخر. انا مبدع النور وخالق الظلام وصانع الهناء وخالق الشقاء. انا الرب صانع هذه كلها..." (سفر اشعيا 44: 28؛ 45: 1-7)! والنسخة الجديدة تستغرب هي ايضاً هذا الامر فتقول: "هذا قول نبويّ ملكي لتنصيب الملك، كالأقوال الواردة في مزمور 2 و 110: يسمى قورش "باسمه" (الآيات 3-4، وراجع 41: 25 +)، ويحصل على لقب "مشيح الربّ"، الذى كان مقصوراً على ملوك اسرائيل فاصبح لقب الملك المخلّص المنتظر. والغريب ان هذا اللقب يطلق هنا على ملك غير يهودي لا يعرف الرب (الآيات 4-5)..." (النسخة الجديدة، سفر اشعيا 45: 1-7، والحاشية رقم 1، ص 1600)!

وجاء في سفر يشوع (12: 7-24)، في ملخّص يعرض فيه الكاتب اسماء الملوك المهزومين غربيّ الاردن، ما يلي:

"وهذا من ضربه يشوع وبنو اسرائيل من ملوك الارض في عبر الاردن غرباً، من بعل جاد في بقعة لبنان، الى الجبل الاقرع الممتدّ الى سعير، وأعطى أرضه لأسباط إسرائيل إرثاً، على حسب أقسامها: في الجبل والسهل والعربة والسفوح والبريّة والنقب، أراضي الحثّيّ والأمّوريّ والكنعانيّ والفرزيّ والحويّ واليبوسيّ: ملك أريحا واحد. ملك العيّ التي بجانب بيت إيل واحد (الى الشمال

الشرقي من اورشليم) ملك اورشليم واحد. ملك حبرون واحد (الى الجنوب من اورشليم). ملك يرموث واحد. ملك لاكيش واحد. ملك عجلون واحد. ملك جازر واحد. ملك دبير واحد. (بالقرب من اورشليم على طريق أريحا). ملك جادر واحد. ملك حرمة واحد. ملك عراد واحد. ملك لبنة واحد. ملك عدلاّم واحد (بالقرب من بيت لحم يهوذا اليوم). ملك مقيدة واحد. ملك بيت إيل واحد. ملك تفّوح واحد. ملك حافر واحد. ملك أفيق واحد. ملك لشّارون واحد. ملك مادون واحد. ملك حاصور واحد. ملك شمرون مراؤون واحد. ملك اكشاف واحد. ملك تعناك واحد. ملك مجّدو واحد. ملك قادش واحد. ملك يقنعام في الكرمل واحد. ملك دور في سفح دور واحد. ملك جوئيم في الجليل واحد. ملك ترصة واحد. مجموع الملوك واحد وثلاثون".

تعلّق النسخة الجديدة على هذا النص فتقول: "إن الفصل الثاني عشر كلّه (أي الفصل الذي نحن بصدده هنا) من عمل محرّر سفر تثنية الاشتراع. ففي الآيات 1-6، يستعمل الكاتب المعلومات الواردة في تثنية الاشتراع 2-3، وفي الآيات 7-24 (التي نركّز عليها نحن هنا)، يجمع الكاتب لوائح من الملوك المهزومين، بحسب روايات فتوحات يشوع 1-10، لكنه يضيف بعض أسماء المدن المأخوذة من جداول إدارية قد تكون من عهد الملك سليمان (972-933). (النسخة الجديدة، سفر يشوع 12، ص 441، الحاشية رقم 1).

يعدّد الكاتب إذاً أسماء الملوك والمدن التي ضربها يشوع في غربي الاردن، من اقصى فلسطين الى الجليل في الشمال. وتغطّي لوائح الممالك والمدن – غربي الاردنّ – المسافة الزمنية الممتدة من بداية عهد يشوع حوالي 1250 الى نهاية ملك سليمان 933، أي زهاء 300 سنة. والملفت حقاً انه في كل هذه اللوائح، وبالتحديد في لوائح مدن غربي الاردن، لم يرد اسم بيت لحم يهوذا او بيت لحم اليهودية، أو شيئاً من هذا القبيل! مع انه يذكر بالاسم مدينة عدلاّم، التي هي بجوار بيت لحم المعروفة اليوم، كما انه يذكر ايضاً بعض المدن القريبة والمحيطة باورشليم، ولا يذكر بيت لحم المعروفة اليوم، مع انها قريبة جداً من اوشليم! لماذا؟ لماذا لم يذكر الكاتب بيت لحم اليهودية؟ وما هي الأسباب؟ وكيف حصل ذلك؟ ولماذا؟ أليست غربي الاردن؟ حتى يشوع نفسه، خليفة موسى وموزّع أراضي الاسباط، لم يذكر بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم بالقرب من اورشليم؟

أليست مدينة يسّى وداود؟ كما جاء في سفر صموئيل؟ اليست مدينة كبيرة لها أبواب وشيوخ وشعب، كما جاء في سفر راعوت؟ أليست تلك التي سوف يأتي منها المخلّص، كما جاء في سفر ميخا؟ الخ... الخ... أين بيت لحم المعروفة اليوم، في هذا النص؟

الجواب على كل تلك الأسئلة "المحرجة" واحد، وذو شقين. الشق الأول من الجواب هو، وبكل بساطة، ان مدينة بيت لحم يهوذا، أو بيت لحم اليهودية، المعروفة اليوم، لم تكن قد بنيت بعد. انها بنيت في أواخر القرن الرابع أو في أوائل القرن الثالث قبل المسيح. والشق الثاني من الجواب هو ان عبارة "يهوذا" او "اليهودية" المضافة الى لفظة "بيت لحم"، كما ورد في اسفار العهد القديم، هي دون ادنى شك زيادة اضيفت الى النصّ الاصليّ، كما رأينا سابقاً، وذلك في "الترجمة السبعينية" اليونانية، التي تمّت في الاسكندرية على عهد بطليموس الثاني وبأمره (285-246). في هذه الاثناء، أي بين اواخر القرن الرابع واوائل القرن الثالث قبل الميلاد، كانت قد بُنيت "مدينة بيت لحم يهوذا". فأصبحت تذكر هكذا "بيت لحم يهوذا أو بيت لحم اليهودية"، ابتداء من "السبعينية" وفي الترجمات اللاحقة حتى اليوم. ولكن في الاصل، في النص العبري الاصلي، لا توجد عبارة "يهوذا او اليهودية" بعد كلمة "بيت لحم"، بل كانت تذكر فقط "بيت لحم".
وبخصوص إهمال النص العبري الأصلي لتلك العبارة وإضافتها في الترجمات اللاحقة، راجع "النسخة الجديدة"، سفر يشوع 15: 59-60، ص 447، والحاشية رقم 8. من هنا أساس اللّغَط والالتباس بين بيت لحم الحقيقية الاصلية أي المدينة الكنعانية القديمة في الجليل، وبين بيت لحم الحديثة في الجنوب قرب أورشليم في أرض اليهودية، أي بيت لحم "اليهودية" المعروفة اليوم. ذلك لأن الناس، وهذا أمر طبيعيّ جداً، أخذوا يستعملون الترجمات اللاحقة الحديثة التي تتضمن تلك الاضافات والزيادات. وهكذا، رويداً رويداً، نسي الجميع بيت لحم الاصلية الحقيقية، ولم يعودوا يقرأون ويسمعون الاّ ببيت لحم الحديثة، بيت لحم "اليهودية" المعروفة اليوم. وحتى هذه الساعة، إذا قلت لأحد، وخاصة من المسيحيين، بأن هناك بيت لحم أخرى في فلسطين أو في الجليل، لَفَغَرَ فَاهُ كثيراً وارتبك واخذت الدهشة منه كل مأخذ. واذا قرأت له نصوص "الترجمة الجديدة" في "النسخة الحالية"، الخاصة ببيت لحم "الاخرى"، تعطّل عنده الكلام وصمت...! ولقد اختبرنا شخصياً هذه التجربة، مئات المرات، طوال سنين عديدة، خلال إعداد هذه الدراسة...

في الحقيقة، انه لأمر في غاية الغرابة! كيف نسي المسيحيون، والتاريخ والعالم من بعدهم، كيف نسوا تماماً بيت لحم الاخرى، الكنعانية والاولى والاصلية، طوال ألفَي سنة، مع انها مذكورة اكثر من مرّة، بالحرف الواحد، في نصوص أسفار الكتاب المقدس نفسه، وبشكل واضح وجليّ ومحدّد جغرافياً على الارض؟ كيف حصل ذلك؟ ولماذا؟ الجواب في هذه الدراسة بالذات!

وخلاصة القول في سفر يشوع الهامّ جداً بالنسبة الى هذه الدراسة، حول بيت لحم وموقعها الجغرافي، هو ان بيت لحم مدينة كنعانية قديمة، تقع بشكل واضح محدّد ودقيق في الشمال، في الجليل، وفي القسم المحدد من الجليل الذي اصبح أرض زبولون فيما بعد. وهي مدينة كنعانية كبيرة "بقراها"، من المدن الكنعانية الاثنَتي عشرة التي وقعت داخل حدود سبط زبولون، عند توزيع الاراضي على الاسباط. فنص يشوع يقول في ذلك: "هناك اثنتا عشرة مدينة بقراها. هذا ميراث بني زبولون بحسب عشائرهم : تلك المدن بقراها" (يشوع 19: 15). بيت لحم في سفر يشوع هي هي نفسها بيت لحم في سفر التكوين: التي هي "أفراته" والتي بقربها دفن يعقوب زوجته راحيل. يعقوب كان أول من تكلم على بيت لحم في الكتاب المقدس وحدد موقعها: انها أفراته، وان قبر زوجته راحيل بني بالقرب منها. وجاء يشوع وأثبت أقوال يعقوب في بيت لحم، ولكنه كان أكثر تدقيقاً في تحديد موقعها الجغرافي... على الارض. ثم جاء الكتبة والنسّاخ، بعد العودة من جلاء بابل، وكتبوا بعد الاحداث التاريخية الاصلية، بمئات من السنين، فغيّروا وبدّلوا وحذفوا وأضافوا... فَقَرَأنا نحن وصدّقنا!

سفر القضاة (12: 8 و10؛ 17: 7-9؛ 19: 1-2 و 18)

جاء في "مدخل" سفر القضاة، في النسخة الجديدة، ص 463 – 465، ما يلي:

"يلي سفر القضاة سفر يشوع وهو ايضاً مجموعة "الانبياء الاولين". إنه يعطينا لمحة عن حياة الاسباط في مرحلة من أشدّ مراحل تاريخ الشعب الاسرائيلي غموضاً، وهي المرحلة التي تلي الفتح وتسبق ظهور النظام الملكي (1200 – 1030 تقريباً)... لا يمكننا ان نبتّ بتّاً أكيداً في تأليف السفر، ومع ذلك فبإمكاننا أن نكشف عن تقاليد أو حلقات روايات كان لها وجود سابق مستقل. ومجمل اخبار السفر تستند الى تقاليد قديمة وسّعت وأُكملت ودُمجت... أما القسم الأخير من الكتاب: الفصول 17-21، فهو ايضاً عبارة عن مجموعة تقاليد قديمة أضيفت الى الكتاب اثناء الجلاء أو بعده... لكن ذلك كله متقطّع ويظهر لنا من دون أي اهتمام بترتيب زمنيّ ..."! (النسخة الجديدة "سفر القضاة" – مدخل ، ص 463 –465).

ان أحداث سفر القضاة قد حدثت في غالبيتها في شمال فلسطين، وذلك قبل الملكية وتوحيد اسباط الشمال (اسرائيل) وأشباط الجنوب (يهوذا). وكان الكنعانيّون، سكّان الارض الاصليّون، يشكّلون الاكثريّة الساحقة في تلك المنطقة آنذاك، رغم دخول الاسباط وانتشارهم واستقرارهم في الارض. ويعترف سفر القضاة بذلك فيقول : "...ولم يطرد منسّى أهل بيت شان وتوابعها وتعناك وتوابعها ومجدّو وتوابعها. فأصر الكنعانيون علىالاقامة في تلك الارض ... ولم يطرد أفرائيم الكنعانيّين المقيمين بجازر، فبقي الكنعانيون في وسطهم بجازر. ولم يطرد زبولون سكان قطرون ونهلول، فبقي الكنعانيّون في وسطهم... ولم يطرد أشير أهل عكاء وصيدون وأحلب واكزيب وحلبة وأفيق ورحوب . فأقام الاشيريون في وسط الكنعانيين، سكان الارض الاصليين، لانهم لم يطردوهم. ولم يطرد نفتالي سكان بيت شمس وبيت عنات، ولكن أقاموا في وسط الكنعانيين، سكان الارض الاصليين..." (سفر القضاة 1 : 27 – 33 مع الحواشي والشروحات). ونشير هنا ايضاً الى ان عدداً من القضاة – قضاة بني اسرائيل كانوا من الكنعانيّين أو من أصل كنعاني ! ...

ويتحدث سفر القضاة عن القاضي التاسع فيقول : " وتولّى القضاء بعده (أي بعد يفتاح الجلعادي)، على اسرائيل ، إبصان من بيت لحم. وكان له ثلاثون ابناً وثلاثون ابنة، فزوّج بناته الثلاثين الى غرباء وادخل ثلاثين كنة زوجات لبنيه. وكانت مدة قضائه في اسرائيل سبع سنوات ومات ابصان ودفن في بيت لحم ." (سفر القضاة 12 : 8 –10 والحاشية رقم: 4 ، ص 493).

هذا أول ذكر لبيت لحم بعد يشوع : في سفر القضاة . والنص يقول : " بيت لحم " فقط لا غير . لا يقول : بين لحم يهوذا او بيت لحم اليهودية. وتقول توراة أورشليم الفرنسية " – التي تستند اليها الترجمة الجديدة التي بين أيدينا - في تعليقها على هذا النص بالذات ما يلي : " ان بيت لحم التي يتحدث عنها سفر القضاة هنا هي بيت لحم زبولون (في الشمال ، في جليل الامم) كما جاء في سفر يشوع 19 : 15 ، وهي بالقرب من الناصرة " (توراة اورشليم الفرنسية ، سفر القضاة 12 : 8 ، والحاشية رقم 5 الخاصة بالآية 8) !

والذي يؤكّد، بالاضافة الى ما في سبق ، كون بيت لحم هذه هي في زبولون ، في الجليل ، أن القاضي العاشر هو ايضا من زبولون نفسها ، على حسب ما جاء في سفر (القضاة 12 : 11 –12 ، ص 493) : " فتولّى قضاء اسرائيل بعده (أي بعد ابصان الذي هو من بيت لحم) أيلون الزبولونيّ وكانت مدة قضائه في اسرائيل عشر سنين . ومات أيلون الزبولونيّ ودفن في أيّالون ، في أرض زبولون."

غير اننا في ملاحق الكتاب نقرأ عبارة : "بيت لحم يهوذا " اكثر من مرة ؟! نقرأ أولا في 17 : 7 –9 ما يلي : " وكان فتىّ من بيت لحم يهوذا من عشيرة يهوذا، وهو لاويّ، وكان نزيلاً هناك فذهب الرجل من المدينة ، من بيت لحم يهوذا ، ليسكن حيث يجد منزلاً . فانتهى الى جبل افرائيم ، الى بيت ميخا ، وهو سائر في طريقه فقال له ميخا : من اين أقبلت ؟ فقال له : انا لاويّ من بيت لحم يهوذا ، ذهبت لاسكن حيث أجد منزلا ... "

ثم نقرأ في 19 : 1 –2 و 18 ما يلي : وفي تلك الايام ، لم يكن في اسرائيل ملك . وكان رجل لاوي مقيما في اقصى جبل أفرائيم، فاتخذ امرأة سريّة ... من بيت لحم يهوذا . فغضبت عليه سريّته وخرجت من عنده الى بيت أبيها ، الى بيت لحم يهوذا ، ومكثت هناك مدة أربعة أشهر ... ثم التقى اللاوي شيخاً في الطريق ، فقال الشيخ: الى اين ذاهب ومن اين أتيت؟ فقال له: نحن عابرو طريق من بيت لحم يهوذا الى اقصى جبل افرائيم، لأني من هناك، ولكني كنت قد ذهبت الى بيت لحم يهوذا، وانا خادم في بيت الرب، وليس من يستقبلني في منزله...".

فلكي نشرح ونفسّر كلمة "يهوذا" المضافة الى بيت لحم هنا في سفر القضاة – وفي كل نصوص العهد القديم – ولكي نعلّل هذه الاضافة اللاحقة، نعود الى شروحات النسخة الجديدة التي بين أيدينا. تقول النسخة في مدخل سفر القضاة ما يلي:

"اما ملحقا الكتاب (17-21)، وهما ايضاً عبارة عن مجموعة تقاليد قديمة، فقد أضيفا في أثناء الجلاء أو بعده... أمّا أخبار القضاة، فإنها تستند الى تقاليد قديمة

وسّعت وأكملت ودُمجت... فنحن امام قصص جماعات بشرية تظهر فيها صلات قرابة او عداوة بين بعض الاسباط، وامام اخبار معارك للمحافظة على الاراضي التي تم الحصول عليها، لكن ذلك كلّه متقطّع ويظهر لنا من دون أي اهتمام بترتيب زمني..." (سفر القضاة، مدخل، ص 464-465).

وهكذا يظهر بوضوح تام، وبشكل دقيق ومحدّد، ان النص العبري الاصليّ (12: 8و10) الذي يتحدث عن بيت لحم، يذكرها هكذا: "بيت لحم"، دون اضافة "يهوذا" او "اليهودية" اليها. أما النصوص التي تقول: "بيت لحم يهوذا" (17: 7-9؛ 19: 1-2 و18)، فإنها تقع ضمن الملحقين المضافين الى سفر القضاة، والتي تقول عنهما النسخة الجديدة (المدخل ص 464-465): "وهما أيضاً عبارة عن مجموعة تقاليد قديمة، قد أضيفا في أثناء الجلاء او بعده... وهي تقاليد قديمة وسّعت وأكملت ودمجت... ولكن ذلك كلّه متقطع ويظهر لنا من دون أي اهتمام بترتيب زمني...".

وبالاضافة الى ذلك، وزيادة في التأكيد، فان النسخة الجديدة، في سياق النصّ، تعلّق من جديد على الملحقين المضافين الى سفر القضاة، فتقول: "إن الروايتين في سفر القضاة (17-18 و19-21)ن ولهما أصل مختلف، قد أضيفتا في هذا المكان لأنهما ترويان أحداثاً سبقت الملكية. ولربما ضمّت هذه القصص القديمة الى سفر القضاة بعد الجلاء.." (النسخة الجديدة: عناوين الفصل السابع عشر: ملحقان، والحاشية رقم 1، ص 500).

وفي التفاصيل، عندما يتحدث الفصل السابع عشر (المضاف) عن "بيت لحم يهوذا"ـ، ويقول في الآية 7: "وكان فتىً من بيت لحم يهوذا من عشيرة يهوذا، وهو لاويّ، وكان نزيلاً هناك"، تعلّق النسخة الجديدة مباشرة على الآية 7 فتقول: "لا يجوز للفتى ان يكون لاوياً وعضواً من عشيرة يهوذا في آن واحد، ما لم نسلّم بأن كلمة "لاويّ" تدل هنا على وظيفة، لا على أعضاء سَبط لاوي الكهنوتي، وهذا ما يخالف 18: 30 (التي تقول: "ونصب بنو دان التمثال المنحوت، وكان يوناتان بن جرشوم بن موسى هو وبنوه كهنة لسبط الدانيّين الى يوم الجلاء عن الارض"). ولكن كان للفتى ان يعيش في بيت لحم وهو "غريب نزيل"...؟! (النسخة الجديدة، 17: 7، الحاشية رقم 6،ص 501).

وتعليقاً على الملحق الثاني لسفر القضاة، تقول النسخة الجديدة: "قام بعض المحرّرين بالتوفيق بين تقليدين يظهر ازدواجهما ظهوراً واضحاً في الفصلين 20-21. أحدهما يرتبط بمعبد المصفاة والآخر بمعبد بيت إيل. وهذا الامر يفسّر وجود روايتين لهزيمة بنيامين وسقوط جبع، والطريقتين لضمان بقاء سبط بنيامين (21: 1-12 و15-23) (النسخة الجديدة، عناوين الفصل التاسع عشر، 19: 1-2، الحاشية رقم 1، ص 503).

خلاصة القول في سفر القضاة حول تحديد موقع بيت لحم، انها المدينة الكنعانية التي ذكرها يشوع في جغرافيته، والتي تقع في سبط زبولون، أي في الشمال، في الجليل – جليل الأمم. انها هي هي بيت لحم سفر يشوع وبيت لحم سفر التكوين، وانها الى الآن، المدينة الوحيدة بهذا الاسم: بيت لحم. اما بيت لحم يهوذا، او بيت لحم اليهودية، في جنوب فلسطين، التي يظن الناس الى اليوم ان المسيح ولد فيها، فقد بنيت بعد ذلك بمئات من السنين...

سفر راعوت (1: 1-2، 19 و22؛ 2: 4؛ 4: 11)

جاء في "مدخل" سفر راعوت، في النسخة الجديدة (ص 510-511) ما يلي: "يبدو أن ارتقاء الكتاب الى ما بعد الجلاء هو الارجح... فالكاتب ينظر الى زمن القضاة نظره الى زمن بعيد جداً. وهو مضطرّ الى تفسير عادة قديمة سقط العمل بها، كما أن هناك ميزات لغوية توحي بزمن متأخّر. يضاف الى ذلك ان تفكير الكتاب اللاهوتي (الشمولية والنظرة الى المكافأة ومعنى الألم) يكون أقرب الى الفهم إن وضع في زمن الجلاء او بعده، أيام عزرا ونحميا... واذا استثنينا النسب (اجداد داود واجداد المسيح – 4: 18-22، والذي ورد ذكره في سفر الاخبار الاول 2: 5-15)، والذي يبدو انه قد أضيف (!)، تبقى لسفر راعوت وحدته الادبية... ولا شك أن تغيير اسم نعمي الى مرّة في 1: 20 يدلّ صراحة على ان الكاتب يضفي على أسماء العلم هذه قيمة رمزيّة..."!

يبدأ سفر راعوت هكذا: "كان في ايام حكم القضاة مجاعة في الارض. فمضى رجل من بيت لحم يهوذا، لينزل في حقول موآب، هو وزوجته وابناه. وكان اسم الرجل أليملك، واسم زوجته نعمي، واسما ابنيهما محلون وكليون، وهم افراتيون من بيت لحم يهوذا. فأتوا حقول موآب وأقاموا هناك..." (سفر راعوت 1: 1-2).

يجدر بنا ان نذكّر اولاً بأن راعوت – واحداث سفر راعوت – "كانت في ايام حكم القضاة"، التي امتدت من سنة 1200 الى سنة 1030 تقريباً. اما كتابة النص الحالي الذي بين ايدينا فتعود الى ما بعد الجلاء... الى ايام عزرا ونحميا في القرن الرابع قبل الميلاد. فيكون الفرق الزمني بين وقوع الاحداث وتحرير الكتاب اكثر من 700 سنة! وهكذا قلْ في اكثر كتب العهد القديم بنصوصها الحالية التي هي بين أيدينا اليوم. نكرّر: الفرق الزمني بين وقوع أحداث هذه الكتب وبين تحريرها يمتد الى اكثر من 700 سنة! بالاضافة الى زيادات وتحويرات وإضافات وتغييرات حصلت فيما بعد ايضاً – وعلى فترات لاحقة ومتتالية – من الترجمة الى اليونانية – "السبعينية" – من أواسط القرن الثالث قبل الميلاد الى أوائل القرن الرابع بعد المسيح...!؟

فكان من الطبيعي، والحالة هذه، ان تحصل مغالطات تاريخية وجغرافية وما الى ذلك، في النصوص الكتابية الاخيرة التي بين أيدينا. أضف الى ذلك – وهذا ما نكرّره نظراً لأهميته – ان يهود ما بعد الجلاء تصرفوا كثيراً بالنصوص القديمة والاصلية، فزادوا واضافوا وحوّروا وغيّروا عن قصد كثيراً من النصوص، كل ذلك

لتفخيم وتعظيم تاريخهم القديم وبنوع خاص تاريخ سبط يهوذا والملك داود ومدينة اورشليم في الفترة التي كانوا فيها. لقد سخّروا كل شيء – من النواحي التاريخية والجغرافية وما اليها – في سبيل إبراز هذا المثلث اليهودي المترابط: سبط يهوذا، الملك داود، ومدينة أورشليم...

من هذه الكتب التي تصرّف بنصوصها فيما بعد المحرّرون والنسّاخ،كتاب راعوت الذي نحن بصدده. فقد رأينا أن أحداثه حصلت في ايام حكم القضاة، أما تحريره الاخير فقد حصل بعد مئات من السنين: بعد الجلاء الى بابل. الكاتب يضفي على اسماء العلم قيماً رمزية. كما ان هناك اضافات الى النصوص الاصلية كتبت فيما بعد. اما الذي يعنينا مباشرة من سفر راعوت أمران اثنان: قضية بيت لحم ونسب داود والمسيح...

يبدأ سفر راعوت بالحديث عن رجل من "بيت لحم يهوذا". يسمّيها هكذا: "بيت لحم يهوذا"! وكان اسم الرجل أليملك، واسم زوجته نعمي، واسما ابنيهما محلون وكليون، وهم أفراتيون من "بيت لحم يهوذا". فأتوا حقول موآب واقاموا هناك...

تسارع النسخة الجديدة الى التعليق على هذا المقطع بالذات فتقول: "قد تكون جميع هذه الاسماء مختلقة وانها استعملت نظراً الى معانيها..." (سفر راعوت 1: 1-2 الحاشية رقم 1، ص 512 – راجع ايضاً: مدخل الكتاب، ص 511، المقطع الثاني)! فاذا كانت جميع هذه الاسماء مختلقة، فعلى أي اساس تاريخي، يا ترى، نبني كتاب راعوت، وما جاء في هذا الكتاب؟ وعندما نقول: "اساس تاريخي" نقصد المفهوم الحصري العلمي للتاريخ كما نفهمه نحن اليوم.

أما "بيت لحم يهوذا"، في سفر راعوت، فيظهر بوضوح انها مدينة، إذ ان النصوص تقول: "وكان عند وصولهما الى بيت لحم ان المدينة كلها تحركت بسببهما..." (1: 19)، "ولم تسعَ راعوت وراء الشبان فقراء كانوا او أغنياء" (3: 10)، "وصعد بوعز الى باب المدينة وجلس هناك... ثم أتى بعشرة رجال من شيوخ المدينة وقال لهم... ثم قال بوعز للشيوخ ولكل الشعب... أجاب كلّ الشعب الذي في باب المدينة والشيوخ: نحن شهود... الخ" (4: 1-2، 9، 11).

يتبيّن هكذا من نصوص الكتاب أن بيت لحم هذه كانت مدينة لها بابها وشعبها وشيوخها... وأحداث الكتاب حصلت ايام حكم القضاة. ففي هذه الايام – اذا عدنا الى التاريخ والجغرافية – نجد، وبما لا يقبل الشك إطلاقاً، ان مدينة بيت لحم يهوذا، أي بيت لحم اليهودية في جنوب فلسطين لم تكن قد أنشئت بعد، فهي قد انشئت بعد مئات من السنين. اما بيت لحم التي كانت موجودة، ايام راعوت

وايام حكم القضاة فهي بيت لحم الشمال في جليل الامم، وهي التي ذكرها يعقوب في سفر التكوين، ويشوع في جغرافيته في ارض زبولون، وسفر القضاة كمسقط رأس القاضي إبصان، كما ذكرنا كل ذلك سابقاً.

فإذا كانت بيت لحم المقصودة هنا، في سفر راعوت، "أيام حكم القضاة" هي بيت لحم يهوذا أي بيت لحم اليهودية، فكيف يكون ذلك صحيحاً؟ هي حتى اليوم بلدة كبيرة لا أكثر. فكيف تكون يا ترى، منذ أكثر من ثلاثة آلاف ومائتي سنة، "مدينة"، لها بابها وشبابها وشعبها وشيوخها...؟! المقصود في سفر راعوت هي طبعاً بيت لحم المدينة الكنعانية "بقراها"، المدينة الكبيرة التي ذكرها يشوع في جغرافيته والتي تقع في ارض زبولون أي في الشمال: في جليل الامم. اما عبارة "يهوذا" او "اليهودية" التي ألحقت ببيت لحم، هنا، وفي العديد العديد من نصوص كتب العهد القديم، فهي زيادة على النص الاصلي أضافها اليهود بعد الجلاء، في القرن الرابع ق.ب.، او محرّروا "السبعينية" – الترجمة اليونانية –في القرن الثالث ق.م. والاضافات حصلت كلها لغاية في "نفس يعقوب"...! (راجع تكوين 35 حاشية رقم 1، ص 121؛ يشوع 15: 59 حاشية رقم 5 و8 ص 447؛ قضاة 17: 1، حاشية رقم 1، ص 500؛ راعوت "المدخل" – ص 510-511؛ صموئيل الاول 17: 12-15 حاشية رقم 2و3، ص 553؛ الخ... الخ... – راجع ايضاً جميع "مداخل" اسفار العهد القديم في النسخة الكاثوليكية الجديدة...).

خلاصة القول، ان بيت لحم راعوت هي في الحقيقة بيت لحم الشمال، بيت لحم المدينة الكنعانية، المدينة الكبيرة "بقراها"...، وليسَت بالطبع، بيت لحم اليهودية التي لم تكن موجودة بعد...!

من جهة ثانية، نجد في ختام سفر راعوت (4: 18-21)، مقطعاً يتحدث عن نسب داود. ويستنتج من هذا النسب ان راعوت الغريبة قد اصبحت جدة داود...؟ وهذا النسب، في راعوت، هو الذي ورد ذكره في سفر اخبار الايام الاول (2: 5-15). وعن هذين النصّين، المتعلقين بانساب داود، أخذ متى في جدول نسب يسوع (1: 3-6)، ولوقا (3: 31-33). غير ان النسخة الجديدة تقول في "مدخل" سفر راعوت (ص 511) ان هذا "النسب"، الذي يشكل خاتمة لسفر راعوت، هو مقطع زائد أضيف الى النص الاصلي في وقت لاحق، وذلك اثناء الجلاء او بعده...!

أما فيما يخص نسب داود في سفر أخبار الايام الاول (2: 5-15)، والذي يكرّر نص راعوت (4: 18-21)، فإن النسخة الجديدة تعلق عليه قائلة: "يبتدئ محرّر سفر الاخبار بيهوذا، سبط داود... (الآيات 3-17). واما بقية الفصل فانه مجموعة انساب مختلفة! (نسبان اثنان لبني كالب؟) عن المجموعات التي دمجت في يهوذا... ومن الراجح ان ذلك كلّه إضافات..." (ص 736 والحاشية رقم 1)!؟ وهكذا،

فالاضافات كثيرة: هناك اضافات... ثم اضافات زائدة، ثم اضافات لاحقة، ثم... اضافات. فأي تاريخ هذا، يا ترى، يبنى ويرتكز ويقوم ويستمر على هكذا اضافات واضافات...؟!

وإذا اخذنا برواية راعوت وبنسب داود – المضاف – في آخر الرواية، من جهة، واذا كانت بيت لحم راعوت هي في الشمال، كما بيّنّا آنفاً، من جهة ثانية، لظهر ان آباء داود وأجداده هم من بيت لحم الشمال، وليس من بيت لحم الجنوب التي أنشئت فيما بعد. وذلك للأسباب التالية، وانطلاقاً من نصوص رواية راعوت نفسها: اولاً إن اليملك هو من مدينة بيت لحم (1: 1-2)، ولم يكن في ذلك العهد- "أيام حكم القضاة" – الا مدينة بيت لحم في الشمال. ثانياً: ان بوعز زوج راعوت وجدّ يسّى والد داود هو من عشيرة أليملك (2: 1 لنعمي قريب لزوجها، ثري جداً، من عشيرة أليملك، اسمه بوعز...). فبوعز هو اذاً من بيت لحم الشمال ايضاً. وفيما يخص بوعز تقول الرواية: "فاتّخذ بوعز راعوت وصارت زوجة له، ودخل عليها، فرزقها الرب حبلاً وولدت ابناً... وسمّته الجارات باسم قائلات: قد ولد لنعمي ابن، ودعونه عوبيد، وهو ابو يسّى، ابي داود" (4: 13، 17).

أما "نسب داود" – المضاف – في آخر رواية راعوت فهو التالي: "وهذه مواليد فارص: فارص ولد حصرون، وحصرون ولد راماً، ورام ولد عمّيناداب، وعمّيناداب ولد نحشون، ونحشون ولد سلمون، وسلمون ولد بوعز، وبوعز ولد عوبيد، وعوبيد ولد يسّى، ويسّى ولد داود" (4: 18-21). فداود واجداده وآباؤه هم من مدينة بيت لحم الشمالية في الجليل!

من هذا النص في راعوت، ومن سفر أخبار الايام الاول (2: 5-15)، أخذ متى في جدول "نسب يسوع" (1: 3-6)، كما اخذ لوقا ايضاً (3: 31-33)!؟...

وبالاضافة الى كل ذلك، وزيادة في التأكيد على ان بيت لحم راعوت هي المدينة الكنعانية في جليل الامم، وليست بيت لحم اليهودية في الجنوب، فإن سفر راعوت نفسه يعترف – ويا للغرابة! – ان بيت لحم هي افراته، وبالتالي ان افراته هي بيت لحم، كما يؤكّد الكتاب المقدس نفسه في سفر التكوين (35: 19، و 48: 7). فيقول سفر راعوت: "فقال كل الشعب الذي في باب المدينة (بيت لحم) والشيوخ: نحن شهود. ليجعل الرب المرأة الداخلة بيتك كراحيل وليئة اللّتين بنتا كلتاهما بيت اسرائيل. فكن صاحب قدرة في افراته، وأقم لك اسماً في بيت لحم..." (سفر راعوت 4: 11). وهكذا اذاً، وبحسب سفر راعوت نفسه، ان بيت لحم هي افراته وافراته هي في الشمال. واذا كانت بيت لحم هي افراته، فان بيت لحم هي في الشمال، في الجليل، في زبولون (وليس في اليهودية، في الجنوب)، وقرب قبر راحيل، كما يقول الكتاب المقدس نفسه في سفر التكوين

35: 19، و48: 7، وسفر يشوع 19: 15-16، وسفر القضاة 12: 8-10، وسفر راعوت نفسه 4: 11، الخ...

وهكذا، عندما يقول سفر راعوت: "كن صاحب قدرة في افراته، وأقم لك اسماً في بيت لحم"، فانه يعود الى سفر التكوين (35: 19-20) الذي جاء فيه "وماتت راحيل ودفنت في طريق افراته التي هي بيت لحم". وهكذا فإن افراته هي بيت لحم، وبالتالي بيت لحم هي افراته. وبعودة سفر راعوت الى سفر التكوين يؤكد ان بيت لحم افراته هي في الشمال – كما جاء ايضاً في سفري يشوع والقضاة. غير ان مدخل سفر راعوت (1: 1-2) يقول عن بيت لحم: إنها "بيت لحم يهوذا"، أي في جنوب فلسطين. وهذا تناقض فاضح من الناحيتين التاريخية والجغرافية. فإذا ادركنا ان عبارة "يهوذا" قد أضيفت بعد الجلاء، زال التناقض وظهرت الحقيقة واضحة بسيطة. والنسخة الجديدة نفسها، التي بين أيدينا، في تعليقها على الآية 11 نفسها من سفر راعوت: "كن صاحب قدرة في افراته، وأقم لك اسماً في بيت لحم"، تربطها مباشرة في نص سفر التكوين (35: 19-20) حيث بيت لحم هي افراته، التي بقربها قبر راحيل زوجة يعقوب، أي في الشمال، وحيث يؤكد على ذلك يشوع ويقول انها في زبولون – الشمال... (النسخة الجديدة – سفر راعوت 4: 11 آية سفر التكوين الموازية في الهامش، الى الشمال، ص 516).

وهكذا يتبين من نصوص الكتاب المقدس نفسه، وبعد التكوين ويشوع والقضاة، ان بيت لحم الحقيقية في سفر راعوت ايضاً هي بيت لحم المدينة الكنعانية "بقراها"، والتي تقع في شمال فلسطين، في الجليل، جليل الامم، وليس في الجنوب أي بيت لحم اليهودية التي لم تكن موجودة بعد...

سفر صموئيل الاول (10: 1-2؛ 16 و17)
والثاني (2: 32، 23: 14 – 16 و24)

جاء في "مدخل سفر صموئيل، في النسخة الجديدة، ما يلي: "تكشف المقارنة بين النصّ العبري والترجمة اليونانية (السبعينية) اختلافات هامة. ومن المستبعد كثيراً ان يكون المترجمون السبعون قد قاموا من تلقاء أنفسهم بما نلاحظه في النص اليوناني من اضافة وحذف...! ليس سفرا صموئيل بسلسلة إخبارية تتّبع الاحداث خطوة خطوة. هما عمل ادبي يجمع موادّ غير متجانسة بعضها قديم جداً، ويضمّ تقاليد شفهية، وصفحات يرجح انها حرّرت على عهد سليمان، واضافات زيدت بعد خراب الدولة في السنة 587... لقد جمعت في هذا الكتاب عناصر من مصادر مختلفة... وسفرا صموئيل هما تعليم اكثر من تاريخ لاسرائيل القديم... ومن الاهداف الاساسية للكتاب إسباغ الكمال المثالي على الملك داود... إن سفري صموئيل هما اذاً دفاع عن سلالة يهوذا..."! (النسخة الجديدة – المدخل الى سفري صموئيل، ص 518-523)! اليس هذا الكلام الواضح جداً غنياً عن أي شرح وتفسير؟

من المعروف أن أيام صموئيل تشكّل الحقبة الاخيرة من ايام حكم القضاة (1225-1030 تقريباً ق.م.). وكان صموئيل النبي قاضياً اخيراً في اسباط الشمال (حوالي 1040 ق.م.). وكان من الرامة في سبط أفرائيم، وقضى اكثر ايامه في اسباط الشمال. وفي أواخر ايامه بدأ عهد الملكية في اسرائيل. فصموئيل هو الذي مسح شاول ملكاً (حوالي 1030 ق.م.) ثم مسح داود ملكاً (حوالي 1010 ق.م.).

وفي سفر صموئيل الاول (10: 1-2) نقرأ ما يلي: "فأخذ صموئيل قارورة الزيت وصبّ على رأس شاول وقبّله وقال: أما أن الرب قد مسحك قائداً على ميراثه؟ فإذا فارقتني اليوم، تصادف رجلين عند قبر راحيل في حدود بنيامين، في صلصلح...". ففي تعليقها على هذا النص، تقول النسخة الجديدة: "لا يعرف معنى هذه الكلمة (صلصح). واما "الحدود"، فهي الحدود بين بنيامين وأفرائيم، من حيث أتى شاول. كما ورد في إرميا 31: 15، إنه التقليد القديم عن قبر راحيل الذي حدّد مكانه بالقرب من بيت لحم حيث يرى الى هذا اليوم... (راجع تعليق تكوين 35: 19)" (النسخة الجديدة، سفر صموئيل الاول 10: 1-2، الحاشية رقم 1، ص 538).

إن نص صموئيل هنا لا يذكر بيت لحم بالاسم ولا يحدد بالتالي موقعها الجغرافي. ولكنه يذكر قبر راحيل ويحدّد موقعه: في حدود بنيامين، في صلصح... فكلمة صلصح لا يُعرف معناها ولا يحدّد بالتالي موقعها؟ غير ان قبر راحيل زوجة يعقوب، فمن الواضح والثابت والمحقق انه يوجد تحديداً وبكل دقة قرب بيت لحم – أفراته، في الشمال، في الجليل، في زبولون. (راجع تكوين 35: 19، 48: 7؛ يشوع 19: 15-16؛ قضاة 12: 8-10؛ راعوت 1: 1-2؛ صموئيل الاول 16: 1، 4، 18، 58، وغيرها...). فلماذا يضع الكاتب قبر راحيل اذاً في حدود بنيامين؟ وهو يقصد حدود سبط بنيامين؟ انه قرأ جيداً الاسفار التي سبقت زمانه، فكلها تحدّد بشكل واضح ودقيق موقع قبر راحيل: بالقرب من بيت لحم أفراته، في الشمال، في الجليل، في زبولون؟ ومن المعروف أن حدود سبط بنيامين تبعد بضع كيلومترات الى الشمال من اورشليم، فهي بالتالي بعيدة جداً عن بيت لحم أفراته الحقيقية التي تحدثت عنها جميع الاسفار القديمة. من هنا الغموض والالتباس – لا بل التناقض الظاهر – في نص صموئيل هذا، من النواحي الجغرافية والتاريخية وما اليها. أما التناقض الذي أوقع محرّر صموئيل الاخير ذاته وغيره فيه، فيعود بنظرنا وبنظر الحقائق التاريخية والجغرافية الموضوعية الى الاسباب التالية: أولاً إن الفارق الزمني بين تاريخ كتابة النص الاخير لصموئيل وتاريخ وقوع الاحداث في الاسفار القديمة، هذا الفارق التاريخي هو كبير جداً ويتعدى الالف ومائتي سنة على الاقل! المحرّر كتب النسخة الاخيرة التي بين ايدينا بعد الجلاء في القرن الخامس ق.م.، وأحداث الاسفار القديمة تعود الى القرن الثامن عشر ق.م. ثانياً: ان جميع محرّري الاسفار – وليس فقط محرّر كتاب صموئيل – حاولوا تضخيم وتفخيم تاريخهم، وخاصة تاريخ مثلثهم: "سبط يهوذا، الملك داود، وعاصمتهم اورشليم"، فجعلوا أهم الاحداث التاريخية تدور حول هذا المثلث ونقلوا أهم الأماكن التاريخية فجعلوها بالقرب من عاصمتهم اورشليم – التي كانت عاصمتهم لفترة قصيرة من الزمن فقط، لأنه من الثابت تاريخياً ان اورشليم كانت منذ آلاف من السنين مدينة كنعانية ثم يبوسيّة (واليبوسيون كما هو معروف هم قبيلة من الكنعانيين). وداود أخذها من اليبوسيين كما يشهد الكتاب المقدس نفسه: "وزحف الملك داود ورجاله على اورشليم، على اليبوسيين سكّان تلك الارض..." (سفر صموئيل الثاني 5: 6+). ثالثاً: يضع محرّر صموئيل قبر راحيل في حدود بنيامين ويقصد حدود سبط بنيامين المتاخم لأورشليم شمالاً. فيقع في التناقض حين يجعل قبر راحيل بالقرب من اورشليم في حين ان قبر راحيال هو بالقرب من بيت لحم افراته في الشمال، في الجليل، في زبولون كما تقول الاسفار القديمة، وكما قلنا سابقاً. غير ان هناك مدينة باسم بنيامين تقع بالقرب من بيت لحم افراته في الجليل (راجع خرائط الجليل القديمة). وهذه المدينة القديمة بنيت

على اسم بنيامين ابن يعقوب وراحيل. وقد ماتت راحيل عند ولادة ابنها هذا بنيامين. والظاهر ان محرّر صموئيل الذي كان يعرف الاسفار القديمة جيداً، خلط عن قصد بين "حدود" مدينة بنيامين هذه وبين "حدود" سبط بنيامين شمال اورشليم.. رابعاً اذا كان قبر راحيل هو دوماً بالقرب من بيت لحم افراته في الشمال، في الجليل، في زبولون، بشهادة جميع الاسفار القديمة، كما رأينا، فكيف يمكن وكيف يعقل ان يكون قبر راحيل هذا بالقرب من اورشليم الى الشمال حيث لا وجود لبيت لحم على الاطلاق: هناك موقعان اثنان فقط باسم بيت لحم، الاولى مدينة بيت لحم الكنعانية في شمال فلسطين، والثانية وهي قرية صغيرة بنيت بعد الاولى بمئات من السنين وتقع في الجنوب، في جنوب اورشليم على بعد 10 كيلومتر تقريباً. فكيف وضع المحرر قبر راحيل في الشمال القريب لأورشليم حيث لا وجود لبيت لحم على الاطلاق؟ فاذا عرفنا هذه الاسباب الاربع زال الغموض والالتباس وبطل التناقض في نص صموئيل الذي نحن في صدده. الحقيقة الناصعة هي أن محرّر صموئيل الذي كتب بعد مرور الاحداث القديمة بحوالي الف ومائتي سنة، نقل بشكل اعتباطي قبر راحيل من الشمال الى الجنوب. وقد فعل ذلك عن قصد ولغاية في نفس "يعقوب"، وكل ذلك بغية تضخيم وتفخيم مثلّثه اليهودي المعروف جداً: سبط يهوذا وداود الملك "وعاصمته" اورشليم...!

وجاء في سفر صموئيل الثاني ما يلي: "ونزل ثلاثة من الثلاثين (من ابطال داود)، وأتوا الى داود أوان الحصاد في مغارة عدلاّم. وكانت قوة فلسطينية معسكرة في وادي رفائيم. وكان داود حينئذ في الحصن ومفرزة عسكرية للفلسطينيين في "بيت لحم"..." (23: 13-14). يتبين لنا من النص أمور هامة تلقي الضوء على ما سمّي بيت لحم في جنوب فلسطين. أولاً ان هذا النص يتحدث عن حروب داود مع الفلسطينيين، وتحديداً عن مطلع عهد داود، قبل ان يصبح ملكاً على اسرائيل ثم على اسرائيل ويهوذا معاً. ثانياً كيف يعقل ان يكون داود من بيت لحم في الجنوب – بيت لحم اليهودية – ولم يكن قد وصل اليها بعد، فهي الى الآن بايدي الفلسطينيين، "وكانت مفرزة عسكرية للفلسطينيين في "بيت لحم"؟ ونذكّر تكراراً ان الآية التي تقول ان داود هو من بيت لحم: "واما داود، فكان يذهب ويرجع من عند شاول (وشاول في الشمال وليس في الجنوب!!؟) ليرعى غنم ابيه يسّى في "بيت لحم"..." هذه الآية هي اضافة وتعليق من المحرر..! (راجع النسخة الجديدة، سفر صموئيل الاول، 17: 15، الحاشية رقم 3، ص 553). ثالثاً: يظهر بوضوح تام من النص ان "بيت لحم" هذه في الجنوب كانت بأيدي الفلسطينيين، "وكانت مفرزة عسكرية للفلسطينيين في "بيت لحم". رابعاً: ان بيت لحم هذه، لم تكن مدينة بل كانت حصناً او قلعة عسكرية رمّمها الملك

رحبعام (933-916) حفيد داود، مع سائر القلاع في مدن يهوذا، كما جاء في سفر الاخبار الثاني (11: 5-12)، وكما سنبيّن ذلك بالتفصيل لاحقاً... خامساً: ان هذا الحصن كان يسمى دوماً "بيت لحم"، ولم يكن يسمى لا مدينة بيت لحم ولا حتى قرية بيت لحم. مع ان النصوص القديمة التي تتحدث عن بيت لحم في التكوين ويشوع والقضاة وراعوت الخ... كانت تقول "مدينة بيت لحم وقراها"، وان لها ابواباً وشيوخاً. سادساً: ان هذا الحصن، كما يستدل من النصّ عينه، كان حصناً كنعانياً قديماً. والدليل على ذلك ان التسمية او العبارة نفسها "بيت لحم" هي عبارة كنعانية خالصة وتعني: "بيت الخبز والغذاء" او "إله الخبز والغذاء". بالاضافة الى ان هذا الحصن كان قائماً قبل داود وقبل الفلسطينيّين ولا نَنْسَ ان الارض هي ارض كنعان – وبالتحديد جنوب – كنعان، قبل أن يلجأ اليها طارئون كاليهود والفلسطينين، بآلاف من السنين. ومن جهة ثانية، هل يعقل ان يطلق اليهود او الفلسطينيون اسماءً كنعانية خالصة على امكنة في ارض لجأوا اليها او اغتصبوها؟ المعقول والواقع هو انهم أطلقوا على الامكنة التي حلّوا فيها اسماءً بلغتهم وانطلاقاً من تاريخهم وتراثهم الخاص. مع ان العديد من اسماء المدن والقرى والمواقع والاماكن الكنعانية القديمة بقيت تحمل اسماءها الاصلية الى يومنا هذا.

وهكذا، فان بيت لحم في الجنوب كانت في الاصل قلعة كنعانية عسكرية – بالنسبة الى موقعها الاستراتيجي كخطٍ اول للدفاع عن يبّوس التي سميت أورشليم بعد احتلالها. ثم استخدمها الفلسطينيون كقلعة عسكرية في حروبهم مع داود، ثم ضمها داود الى مملكته بعد انتصاره على الفلسطينيين واصبح ملكاً على اسرائيل ويهوذا. ومن ذلك الوقت دعيت "بيت لحم يهوذا" – كقلعة لا كمدينة الى ان رمّمها رحبعام حوالي 925 ق.م. كما رأينا سابقاً...

وهناك نصوص عديدة أخرى في سفري صموئيل تذكر بيت لحم ذكراً عابراً دون ان تحدّد موقعها الجغرافي، وذلك في الحديث عن الملك داود وابيه يسّى... (راجع صموئيل الاول 16: 1، 4، 18، 17: 12، 15، 58 وصموئيل الثاني 2: 32، 23: 14-16 و24).

جميع هذه النصوص تذكر بيت لحم بالاسم هكذا: بيت لحم، دون ان تضيف الى الاسم اية عبارة، مثل بيت لحم يهوذا، او بيت لحم اليهودية او أفراته أو أية عبارة أخرى... ما عدا نصاً واحداً فقط يقول: "وكان داود ابن ذلك الرجل الافراتي من بيت لحم يهوذا الذي اسمه يسّى..." (17: 12). الاّ ان هذا النص بالذات – ويا للغرابة مرة اخرى – هو نص حديث جداً ومضاف الى النص العبري الاصلي ولا يوجد حتى في الترجمات اليونانية القديمة! والنسخة الجديدة التي بين ايدينا تعلق على

هذا النص بالذات (17: 12) والذي يقول "بيت لحم يهوذا"، بما يلي: "أهملت الترجمة اليونانية القديمة الآيات 12-31 (المقطع الذي يحوي هذا النص) العائدة الى التقليد الوارد فيه ان داود لم يكن يعرفه شاول الى ذلك اليوم (راجع 16: 14+)! (النسخة الجديدة، صموئيل الاول 17: 12-31، الحاشية رقم 2، ص 553). وبالمناسبة هناك تقليدان متناقضان تماماً حول معرفة شاول بداود. التقليد الاول يقول ان داود كان عازفاً في بلاط شاول ثم أصبح حامل سلاحه، وبهذه الصفة رافقه في حروبه. اما التقليد الثاني فيقول ان داود كان راعي غنم لا يعرفه شاول، وقد حارب الفلسطينيين طويلاً قبل ان يستدعيه شاول الى بلاطه. واثباتاً لذلك ننقل هنا بالحرف الواحد ما تقوله النسخة الجديدة حول هذا الموضوع: "كان هناك تقليدان في بدء داود بالعمل لدى شاول. دُعي داود، بحسب التقليد الاول، ليكون عازفاً في بلاط شاول وأصبح حامل سلاحه (صموئيل الاول 16: 14-23)، وبهذه الصفة رافق الملك في حربه على الفلسطينيين (17: 1-11)، واشتهر في مبارزة جليات (17: 32-53). وكان داود، بحسب التقليد الثاني، راعي غنم لا يعرفه شاول. جاء ليفتقد إخوته في المعسكر، ساعة أخذ البطل الفلسطينيّ يتحدّى بني اسرائيل (17: 12-30) (الآية 31 هي آية وصل، ثم تتابع الرواية الاولى 17: 32-53! فاستدعى شاول البطل الشاب وألحقه بخدمته (17: 55-18: 5)! (النسخة الجديدة، صموئيل الاول 16: 14، الحاشية رقم 4، ص 551).

وبالاضافة الى ما تقدّم، هناك روايتان مختلفتان تحولتا مع الزمن الى اسطورتين حُفظتا في ذاكرة الشعوب كافة، اكثر من ألفين وخمسمائة سنة، وكأنهما من الاحداث التاريخية التي حصلت فعلاً: الاولى كون دواد كان راعي غنم في بيت لحم، والثانية كون داود هو الذي قتل جليات الجبّار. فلا داود كان راعي غنم في بيت لحم، ولا هو الذي قتل جليات الجبار! واليكم البراهين من الكتاب المقدّس نفسه: فيما يخصّ داود ورعاية الغنم في بيت لحم، هناك آية واحدة فقط وردت من سفر صموئيل الاول (17: 15). وهذه الآية تقول: "واما داود، فكان يذهب ويرجع من عند شاول ليرعى غنم ابيه في بيت لحم...". غير ان هذه الآية، هي في الحقيقة، حاشية مضافة الىالنص الاصلي وتعليق من قبل المحرّر! هذا ما تقوله النسخة الجديدة في تعليقها على هذه الآية بالذات: "هذه الآية هي تعليق من المحرّر للتوفيق بين التقليدين" (حول بدء عمل داود مع شاول كما سبق آنفاً) (راجع النسخة الجديدة، صموئيل الاول، 17: 15، الحاشية رقم 3، ص 553)! وهذه الآية نفسها، التي تقول ان داود كان راعي غنم في بيت لحم، هي والمقطع الذي يتضمنها (17: 12-31) نص حديث جداً ومضاف الى النص العبري الاصلي ولا يوجد حتى في الترجمات اليونانية القديمة. يوجد فقط في النص اليوناني الحديث. هذا ما تقوله ايضاً النسخة الجديدة، صموئيل الاول، 17: 12-

31، الحاشية رقم 2، ص 553). والعجيب حقاً، ان جميع الناس قد صدقوا فعلاً ان داود كان راعي غنم في بيت لحم طوال ألفين وخمسمائة سنة، وذلك انطلاقاً من حاشية اضافية زائدة وتعليق شخصي من محرّر الكتاب!

اما بخصوص مصرع جليات الجبّار الفلسطيني على يد داود فهي ايضاً اسطورة مختلقة ورواية مضافة الى النصوص القديمة الاصلية للكتاب، ولا علاقة لها بالتاريخ. فلا داود صرع جليات ولا جليات صارع داود. واليكم البرهان على ذلك من النسخة الجديدة التي بين أيدينا، فهي تقول بالحرف الواحد: "إن 2 صموئيل 21: 19 ينسب الانتصار على جليات الى أحد المحاربين الاسرائيليين، ويبدو أن هذا التقليد هو الأقدم. وأن التقليد القديم الذي نجده في صموئيل الاول، الفصل 17، لم يكن يذكر أصلاً الاّ انتصاراً لداود على خصم مجهول، على "الفلسطيني". وقد أضيف اسم جليات الى الآيتين 4 و23 من الفصل 17"! (النسخة الجديدة، صموئيل الأول، 17: 4 والحاشية رقم 1، ص 552). والحقيقة ان الذي صرع جليات الجبّار هو الحانان بن يا عريّ، كما يقول الكتاب المقدس نفسه! فقد جاء في سفر صموئيل الثاني ما يلي: "ثم كانت ايضاً حرب في جوب مع الفلسطينيّين، فقتل الحانان بن يا عريّ من بيت لحم جليات الجتّيّ الذي كانت عصا رمحه كنول النسّاج"! (صموئيل الثاني 21: 19، ص 613). وتزيد النسخة الجديدة على هذا فتقول معلّقة: "هذه الاحداث من الحروب الفلسطينية قد يكون مكانها الاصلح لها بعد 5: 17-25 من نفس السفر، في مطلع عهد داود"! (النسخة الجديدة، صموئيل الثاني 21: 15-22، الحاشية رقم 9، ص 613)!.

وإذا عدنا الى تحديد موقع بيت لحم الحقيقية في سفري صموئيل الأول والثاني، نجد أن جميع النصوص التي تذكر بيت لحم، تذكرها هكذا: "بيت لحم" دون ان تضيف اليها عبارة "يهوذا" او "اليهودية". ما عدا نصاً واحداً فقط يقول: "بيت لحم يهوذا". فقد تبيّن لنا ان هذا النص بالذات هو نص مضاف وحديث جداً وجد لأول مرة في النسخة اليونانية الحديثة، وذلك بشهادة الكتاب المقدس نفسه (النسخة الجديدة). وإذا عرفنا ان زمن صموئيل، زمن الاحداث الاصلية، كان في ايام حكم القضاة (1225-1025)، تبيّن لنا بشكل واضح، ومن خلال النصوص الكتابية نفسها، ان بيت لحم المذكورة في سفري صموئيل، بيت لحم الحقيقية، هي بيت لحم المدينة الكنعانية، بيت لحم التي تحدثتْ عنها وحدّدَتْ موقعها في الشمال أي في الجليل وزبولون جميع الاسفار السابقة: التكوين ويشوع والقضاة وراعوت. وذلك لأن مدينة بيت لحم يهوذا او بيت لحم اليهودية- في جنوب اورشليم – لم تكن قد وجدت بعد!... كان هناك في جنوب اورشليم حصن عسكري قديم فقط، وكان يدعى "بيت لحم" منذ عهد الكنعانيين. اما متى بُنِيَ

هذا الحصن، فليس هناك، على ما نعلم، في التاريخ المدني، أي ذكر لتأسيس هذا الحصن. غير انه يمكننا انطلاقاً من نصوص اسفار الكتاب المقدس نفسه – والكتاب المقدس ليس كتاباً تاريخياً بحصر المعنى – يمكننا القول بكل تأكيد انه لم يرد اسم بيت لحم الجنوبية في جغرافية يشوع، التي وضعت حوالي 1225 ق.م.ن والتي يذكر فيها بالتفصيل المدن والقرى التي سكنها ابناء الاسباط اليهودية الاثني عشر في الشمال والجنوب معاً. (راجع جغرافية يشوع في سفر يشوع، الفصول 14-21)!

اما المرة الاولى التي ورد فيها اسم بيت لحم، القلعة العسكرية الصغيرة في جنوب اورشليم، فكانت في اول عهد داود، حوالي السنة 1000 ق.م. (راجع سفر صموئيل الثاني (23: 13-14). وحتى هذا التاريخ لم يرد ذكر "لمدينة" تدعى بيت لحم في ارض يهوذا كلها...!

سفر أخبار الأيام الاول : الفصل الرابع 21-22

وسفر أخبار الايام الثاني :الفصل الحادي عشر 5-12

جاء في "مدخل" سفري أخبار الأيام ما يلي: "... وفي الواقع فإن أخبار سفري أخبار الأيام تكرّر كثيراً من أخبار أسفار صموئيل والملوك، وأضيف اليها عناصر أخرى، من وجهة نظر تاريخية ولاهوتية مختلفة... وقد أعيد الترتيب المنطقي في الترجمات القديمة وأحياناً كثيرة من الترجمات الحديثة أيضاً... والأحرى أن يحدّد زمن التحرير بين 330 و250 ق.م....! لم يحرّر الكاتب في الواقع رواية استوحاها من معرفته لتاريخ شعبه القديم، بل نقل عدداً من الوثائق التي بين يديه، وصنّفها أحياناً في ترتيب يوافق ما يهدف اليه مؤلّفه، ونقّحها استناداً الى وثائق أخرى اطّلع عليها او بحسب نظرته الى التاريخ ومعناه... وقد دخلت على السفر بعد اكتماله بعض الاضافات اللاحقة... وقد اخذ المحرّر بطريقة الحذف، وهذا ما يفسّر لنا بعض الشيء ما نجده من النواقص في هذا العمل التاريخي... وكثيراً ما يعسر علينا تفسير التغييرات في الترتيب الزمني، اذ إنها تخضع، على ما يبدو، لأسباب لاهوتية أكثر منها تاريخية... وهناك بعض الفقرات في النصّ تعبّر عن أفكار المحرّر الشخصية وتصوّره للأشياء... فهو يوجه مجمل الرواية بمهارته في الحذف...! فكان تاريخ مُلك داود وسلالته في نظرِهِ التاريخ الصحيح لشعب الله ومصيره. ولذلك، فقد أهمل كل ما يتعلّق بتاريخ مملكة اسرائيل بعد الانشقاق واكتفى برواية تاريخ مملكة يهوذا وعاصمتها اورشليم... فكل شيء يساهم في اظهاره داود ملكاً بحسب مشيئة الله، موسوماً بالكمال المثالي... الخ... (النسخة الجديدة، مدخل الى سفري الاخبار، ص 727-733)

ورد اسم بيت لحم-هكذا: بيت لحم، دون اضافة يهوذا او اليهودية اليها-مرّة واحدة فقط في سفر أخبار الايام الاول (4: 21-22) على الشكل التالي:"وبنو شيلة بن يهوذا: عير، أبو ليكة، ولعدة، أبو مريشة، وعشائر بيت عاملي الكتّان الناعم من بيت اشبيع، ويوقيم وأهل كزيبا ويوآش وساراف، وهم سادة موآب، وعادوا الى بيت لحم (وهذه أحداث قديمة)..." يلاحظ اولاً أن المحرّر قال: بيت لحم، ولم يقل بيت لحم يهوذا او بيت لحم اليهودية...، مع انه حرّر كتابه بين سنة 330 و250 ق.م. وفي هذه الفترة من الزمن كانت بيت لحم يهوذا –في الجنوب_ قد بنيت! فلماذا اذاً قال: بيت لحم فقط، ولم يقل بيت لحم يهوذا، وهو الذي يركّز اهتمامه ويبالغ في تفخيم يهوذا وداود واورشليم؟ لماذا لم يربط بيت لحم، تاريخياً

وجغرافياً، بهذا المثلث اليهودي المعروف: يهوذا، داود واورشليم؟ الجواب هو أن المحرّر نفسه يقول شارحاً ومفسّراً: "وهذه أحداث قديمة..." هذا يعني أن الاحداث التي يذكرها، وفيها ذكر بيت لحم، هي أحداث قديمة جداً تسبق بكثير زمن تحريره الكتاب. ففي هذه الايام القديمة التي يذكرها لم يكن هناك سوى بيت لحم واحدة، بيت لحم الحقيقيّة في الشمال، في الجليل، في زبولون، كما تجمع الاسفار القديمة التي سبقت سفري أخبار الايام...

والنسخة الجديدة، هي ايضاً، تعلق على نصّ بيت لحم الذي نحن بصدده وعلى الفصل الذي يتضمن هذا النص، أي الفصل الرابع، فتقول: "ان النبذ عن يهوذا وحور وكالب موازية لنبذ الفصل الثاني، ولكن معظم أسمائها مختلف عن أسماء ذلك الفصل. أضيف اليها نبذ جديدة تتعلّق بأشحور وشيلة (نبذة شيلة هي التي تتضمن ذكر بيت لحم). من المحتمل أن يكون هذا القسم إضافة هو ايضاً، وقد استعمل فيه ذكريات قديمة... وأن يكون الكتاب الأصلي قد انتقل مباشرة من النبذة عن يهوذا (2:1-17) الى النبذة عن شمعون (4-24ت)". (النسخة الجديدة، سفر الاخبار الاول، الفصل الرابع، عنوان الفصل، الحاشية رقم1،ص 739). ثم تضيف النسخة الجديدة، في تعليقها على نبذة شيلة بن يهوذا، هذه النبذة التي تذكر بيت لحم، فتقول: "تختلف هذه النبذة عن الانساب السابقة. في صموئيل الاول 22: 3 وفي سفر راعوت ايضاً، تشديد على العلاقات القائمة بين بيت لحم وموآب..." (النسخة الجديدة، سفر الاخبار الاول، الفصل الرابع، العنوان: شيلة، الحاشية رقم 4، صفحة 740).

وهكذا يتضح لنا، في سفر الاخبار الاول ايضاً، أن بيت لحم المذكورة هي بيت لحم المدينة الكنعانية اياها التي ذكرها التكوين ويشوع والقضاة وراعوت وصموئيل، المدينة المعروفة الموجودة في الجليل، في الشمال وفي زبولون... ولا يمكن ان تكون قرية بيت لحم يهوذا او اليهودية في الجنوب،لسبب بسيط جداً وهو انها لم تكن موجودة بعد. مع ان كتاب اخبار الايام وضع في الفترة التي تمتد من سنة 330 الى سنة 250 ق.م. فإذا كانت موجودة في هذه الفترة، الم يكن من البديهي ان يذكرها ويركّز عليها، وهو الذي كان همّه الوحيد ان يعظّم المثلث اليهودي اياه: سبط يهوذا والملك داود وأورشليم عاصمته...؟!

أما في سفر أخبار الايام الثاني، فإننا تقرأ أول نصّ، في أسفار الكتاب المقدس، يتحدّث عن "بناء" بيت لحم الجنوبية، في سبط يهوذا: في اليهودية. أي بيت لحم الحالية التي تبعد حوالي 10 كيلومتر الى الجنوب من اورشليم، والتي يظن الناس جميعاً الى اليوم ان المسيح ولد فيها... مع ان المقصود في النص هو بناء "بيت لحم" هذه كحصن عسكريّ وليس كمدينة! اليكم النصّ أولاً:

"... وأقام رحبعام (ابن سليمان وحفيد داود) في أورشليم، وبنى مدناً حصينة في يهوذا. وبنى بيت لحم وعيطم وتقوع وبيت صور وسوكو وعدلاّم وجتّ ومريشة وزيف وأدورائيم ولاكيش وعزيقة وصرعة وأيّالون وحبرون التي في يهوذا وبنامين، مدناً محصّنة. حصّنها تحصيناً وجعل فيها قواداً وخزائن طعام وزيت وخمر ومجانب ورماحاً في كل مدينة، وحصّنها جداً، وكان معه يهوذا وبنيامين"... (سفر أخبار الايام الثاني 11: 5-12)

تعلّق النسخة الجديدة على هذا النصّ قائلة: "ليس لهذه القائمة باسماء مدن رحبعام المحصّنة ما يوازيها في سفر الملوك الأول، لكن مصدرها التاريخي ثقة... وقد يكون أن عمل رحبعام هذا قد أتى في أعقاب حملة شيشاق (12: 9) التي أظهرت الى أيّ حدّ كانت الارض معرّضة للهجوم. لم تكن القلاع المذكورة هنا منتشرة في جميع حدود المملكة، بل كانت قائمة في أماكن استراتيجية...". (النسخة الجديدة، سفر أخبار الايام الثاني، 11: 5-12، الحاشية رقم 1، ص 792).

يتبيّن لنا من النص والتعليق كليهما عدة أمور هامة تتعلّق بموضوع بيت لحم، موضوع دراستنا هذه. أولاً أن مصدر هذا النص وبالتالي مصدر قائمة اسماء المدن الذي يحويها هو مصدر تاريخي ثقة، بعكس العديد من لوائح وقوائم الانساب والمدن الواردة في الاسفار القديمة. ثانياً إن بيت لحم المذكورة هنا في النص هي دون ادنى ريب بيت لحم يهوذا أي بيت لحم اليهودية في جنوب اورشليم، بيت لحم المعروفة اليوم من الجميع.لأن النص يتحدث صراحة وبشكل واضح ومحدّد عن أرض سبط يهوذا في الجنوب: "وبنى رحبعام المقيم في اورشليم مدناً حصينة في يهوذا...". ثالثاً إن هذا النص بالذات هو أول نصّ في الأسفار القديمة كلّها الذي يرد فيه، ولأول مرّة، ذكر "بناء" بيت لحم يهوذا، بشكل واضح وصريح ومحدّد. اذ إن بيت لحم الشمال في الجليل أي بيت لحم المدينة الكنعانية كانت مبنية منذ آلاف السنين...! وبيت لحم هذه، المدينة الكنعانية في جليل الأمم، هي اذاً التي ذكرتها وتحدثت عنها وركّزت عليها جميع الاسفار القديمة في الكتاب المقدس من التكوين الى يشوع الى القضاة الى راعوت الى صموئيل الاول والثاني الى سفر الاخبار، وهي بالتالي، في الحقيقة، التي تحدث عنها الانبياء – وخاصة ميخا الذي عنه اخذ متى – وقالوا ان منها سوف يأتي المسيح... وهل من الممكن والمعقول ان تتحدث جميع الاسفار والانبياء عن بيت لحم يهوذا ويقولون ويتنبأون – مخاطبين إيّاها – أن المسيح سوف يأتي منها وهي لم تكن موجودة بعد؟؟! وهكذا يظهر جلياً، ودون أي شك ولبس، ان بيت لحم المذكورة في الاسفار والانبياء والتي منها سوف يأتي المسيح هي بيت

لحم المدينة الكنعانية في شمال فلسطين وليس في جنوبها، أي بيت لحم جليل الامم، بيت لحم زبولون، وليس بيت لحم في جنوب فلسطين، جنوبي اورشليم أي بيت لحم يهوذا او اليهودية. وهذه الحقيقة التاريخية والجغرافية تظهر هكذا جلياً انطلاقاً من نصوص الكتاب المقدس نفسه، بالاضافة ايضاً الى نصوص التاريخ المدني – كرسائل تل العمارنة وغيرها – التي سوف نتحدث عنها في مكان آخر، أي في باب تحديد موقع بيت لحم الحقيقية في التاريخ المدني...!

رابعاً: إن بيت لحم المذكورة هنا في النصّ، وزيادة في التوضيح والدقة، لم تكن مدينة بالمفهوم العادي لكلمة "مدينة" كما يتبادر الى الذهن لأول وهلة. بل كانت، في الحقيقة، قلعة عسكريّة وليس مدينة. فالنص نفسه يقول: "وبنى رحبعام مدناً محصّنة... حصّنها تحصيناً وجعل فيها قواداً وخزائن طعام وزيت وخمر ومجانب ورماحاً في كل مدينة، وحصّنها جداً...". والنسخة الجديدة تقول ايضاً، من جهتها، معلّقة على هذا النص وشارحة: "ليس لهذه القائمة باسماء مدن رحبعام المحصّنة ما يوازيها في سفر الملوك الاول، لكن مصدرها التاريخي ثقة. وقد يكون ان عمل رحبعام هذا قد أتى في اعقاب حملة شيشاق (12: 9) التي أظهرت الى أيّ حدّ كانت الارض معرّضة للهجوم. لم تكن القلاع المذكورة هنا منتشرة في جميع حدود المملكة، بل كانت قائمة في اماكن استراتيجية..." (النسخة الجديدة، سفر الاخبار الثاني، 11: 5-12، الحاشية رقم 1، ص 792). والمعروف أن شيشاق أو شيشانق هو الفرعون المصري الاول للسلالة 22. وقد قام بحملة عسكرية على فلسطين، حوالي عام 925ق.م.، ولم يحارب اليهودية ربما بسبب الجزيةالتي دفعها الملك رحبعام المقيم في اورشليم... إذاً عندما نقرأ في النص "ان رحبعام قد بنى مدناً حصينة في يهوذا..."، ومنها بيت لحم، هذا يعني انه بنى حصوناً او قلاعاً حربية وليس مدناً بالمفهوم العادي لكلمة "مدينة"، كما سنرى بالتفصيل في المقطع التالي.

خامساً: ان الذي يثبت بما لا يقبل الشك والأخذ والردّ، كون رحبعام بنى قلاعاً وليس مدناً، هو ان جميع هذه المدن – باستثناء بيت لحم – كانت مبنية وقائمة قبل مجيء رحبعام نفسه بفترات طويلة متفاوتة! قسم من هذه المدن كانت مدناً كنعانية قديمة العهد جداً، والقسم الآخر كانت مدناً قائمة قبل عهد رحبعام (933-916). فعيطم كانت قائمة قبل داود (1010-970) بفترة طويلة (راجع قاموس الكتاب المقدس، مجمع الكنائس في الشرق الادنى، الطبعة الثانية، 1971، ص 650). وتقوع كانت قائمة في ايام حكم القضاة (1225-1030)، (القاموس ص 221). وسوكو في ايام حكم القضاة ايضاً (القاموس ص 495). أمّا عدلاّم فكانت مدينة كنعانية قديمة سبقت ايام يعقوب ابي الاسباط (القرن الثامن عشر ق.م.)

(القاموس ص 613) وجثّ كانت قائمة ايام صموئيل أي أواخر ايام القضاة (القرن الحادي عشر ق.م.)، (القاموس ص 248). مريشة كانت قائمة في ايام يشوع (القرن الثالث ق.م.)، (القاموس ص 856). وزيف من ايام يشوع ايضاً (القاموس 442). أما ادورائيم فكانت مدينة كنعانية قديمة العهد بنيت في زمن حبرون، أي قبل سنة 1850، وقبل ابراهيم (القاموس ص 39). لاكيش في ايام يشوع (القرن الثالث عشر ق.م.)، (القاموس ص 813). عزيقة وصرعة وايّالون من ايام يشوع ايضاً (القاموس ص 627، 542، واطلس الكتاب المقدس، هـ.هـ. رولي، 1983، ص 12). أما مدينة حبرون الشهيرة فقد كانت قائمة قبل ابراهيم، قبل 1850 ق.م. (القاموس ص 286)! فكل هذه المدن كانت قائمة اذاً قبل عهد الملك رحبعام (933-916 ق.م.) وعندما نقرأ ان رحبعام "بنى مدناً حصينة في يهوذا..."، فهذا يعني، مرة اخرى، انه بنى قلاعاً عسكرية وليس مدناً بالمفهوم العادي لكلمة "مدينة". ومن جهة ثانية، هل يعقل أن يبني رحبعام 13 مدينة في يهوذا، دفعة واحدة، في فترة ملكه القصيرة (17 عاماً)، وهو الذي كان يدفع الجزية لشيشاق فرعون مصر،والذي في اول عهده "زحف شيشاق ملك مصر على اورشليم وانتهب ما في خزائن بيت الرب وخزائن دار الملك (رحبعام نفسه) وأخذ الجميع وأخذ مجانّ الذهب التي عملها سليمان (والد رحبعام). فصنع الملك رحبعام مكانها مجانّ من نحاس وجعلها في أيدي رؤساء السعاة الحافظين باب دار الملك. وكان اذا دخل الملك بيت الرب يجيء السعاة ويحملونها ثم يردّونها الى غرفة السعاة..." (سفر الاخبار الثاني، 12: 9-11)؟!

أما "توراة اورشليم" – النسخة الفرنسية – فجاءت اكثر وضوحاً ودقة. فهي لا تقول ان رحبعام "بنى مدناً حصينة في يهوذا..."، بل تقول بالاحرى: "رمّم وحصّن مدناً في يهوذا..." ثم تضيف موضحة: "وكانت هذه المدن فيما مضى مدناً حصينة في يهوذا وبنيامين... ثم حصّنها تحصيناً..." (توراة اورشليم، النسخة الفرنسية، سفر أخبار الايام الثاني، 11: 5-12، ص 441). وهكذا يتضح جلياً ان رحبعام قد بنى او رمّم حصوناً وقلاعاً عسكرية في مدن كانت قائمة قبله...

أما بيت لحم المذكورة في النصّ الذي نحن بصدده، فقد كانت في الأصل حصناً عسكرياً. وفيما بعد بنى داود الملك خاناً بقرب هذا الحصن وأهداه الى كمهام (او كمهان) ابن برزلاّي أحد كبار معاونيه في حروبه.(راجع صموئيل الثاني، 17: 27-29؛ و19: 31-39). وفي عهد رحبعام كان حصن بيت لحم هذا قد اندثر بسبب الحروب، فرمّمه رحبعام مع حصون المدن الاثنتي عشرة المذكورة في النص. وهكذا، وحتى ايام رحبعام نفسه، لم يكن هناك مدينة او بلدة او حتى قرية تدعى بيت لحم في اليهودية، في جنوب فلسطين. بل كان هناك فقط حصن

عسكري. أمّا بيت لحم الجليل فهي وحدها التي كانت تسمى بيت لحم افراته. وبيت لحم افراته هذه – الحقيقية – هي ذاتها التي قال فيها النبي ميخا: "وأنت يا بيت لحم أفراته، إنك أصغر عشائر يهوذا، ولكن منك يخرج لي من يكون متسلّطاً على اسرائيل، وأصوله منذ القديم منذ ايام الازل..."(النبي ميخا 1:5).وسيرى الانجيليّون في بيت لحم "أفراته"اشارة الى مكان ميلاد السيد المسيح. غير ان نسّاخ متّى المتأخرين، وهم من المسيحيّين المتهوّدين، تلاعبوا بنص ميخا الواضح تماماً. واقترفوا ثلاثة أخطاء تاريخية وجغرافية كبيرة، فحوّروا النص الواضح اكراماً لليهود، لكي يبرهنوا ان المسيح هو المخلص الذي كان ينتظره اليهود – وكما يفهمه اليهود... فجاء النص على الشكل التالي: "وأنتِ يا بيت لحم ارض يهوذا لستِ أصغر ولايات يهوذا، فمنك يخرج الوالي الذي يرعى شعبي اسرائيل..." (متى 2: 6). وفي المقابلة بين النصّين يظهر جلياً ما يلي:

النبي ميخا يقول: وانت يا بيت لحم افراته، ومتى يقول: وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا. حذف متى "أفراته" ووضع مكانها أرض يهوذا. النبي ميخا يقول: إنك أصغر، ومتى يقول: لست أصغر. النبي ميخا يقول: انك أصغر عشائر يهوذا، ومتى يقول: لست أصغر ولايات يهوذا...!!؟ وبالاضافة الى كل ذلك، يكمل النبي ميخا النص فيقول: وأصوله (أي المسيح المنتظر) منذ القديم، منذ ايام الازل. أما متّى فيغفل خاتمة النص هذه، لئلا تصدم، برأيه، اصول المسيح اليهودية الداودية المزعومة...

هذا ما يجمع عليه كل مفسّري وشارحي الكتاب المقدس في عهديه القديم والجديد، دون استثناء. ونحن نكتفي هنا بهذا القدر من القول على ان نعرض كل التفاصيل لاحقاً (وخاصة في الحديث عن النبي ميخا).

سفر عزرا (2: 21)

جاء في "المدخل الى سفري عزرا ونحميا"، في النسخة الجديدة، ما يلي: "..أما تاريخ تحرير السفرين، فتحديده من الامور العسيرة، إذ لا بدّ ان يؤخذ بعين الاعتبار مجمل أسفار الأخبار وعزرا ونحميا. وإن استندنا الى مضمونها التاريخي والى الأفكار الدينية المعبّر عنها والى البيئة التي يبدو ان الكاتب ينتمي اليها، أمكننا على الأرجح أن نحدّد زمن انجاز هذا المؤلّف التاريخي الواسع في مدة تتراوح بين أواخر القرن الرابع وأواسط القرن الثالث ق.م. إن مثل هذه المدة لا يوافق الاّ تحرير الاسفار في صيغتها الاخيرة، في حين ان المراجع الادبية المستعملة تعود بلا شك الى أوقات أقدم كثيراً..."! (النسخة الجديدة، ص 834).

هناك نصّ واحد فقط في سفر عزرا يذكر عرضاً كلمة بيت لحم، وذلك في مجال تعداد لائحة المجلوّين العائدين من سبي بابل. وقد جاء في النص: "وهؤلاء بنو الاقليم الذين صعدوا من الجلاء، ممن جلاهم نبوكد نصّر، ملك بابل الى بابل...عدد رجال شعب اسرائيل: بنو فرعوش: الفان ومئة واثنان وسبعون، وبنو.. وبنو... وبنو بيت لحم: مئة وثلاثة وعشرون، وبنو... الخ (راجع الفصل الثاني من سفر عزرا).

معروف أن السبي الى بابل شمل المملكتين المنشقّتين: مملكة يهوذا في الجنوب ومملكة اسرائيل في الشمال. اما المجلوّون العائدون من سبي بابل، ولو كانوا أصلاً من المملكتين المذكورتين، فقد عادوا جميعهم الى أورشليم وأرض يهوذا في الجنوب. (راجع سفر عزرا، الفصل الاول: 3-5، والحاشيتين رقم 4 ورقم 5، ص 838، 839). من هم "بنو بيت لحم" هؤلاء المذكورين في النص؟ هل هم من بيت لحم في الشمال، المدينة الجليلية؟؛ أم هم من الجنوب، من سكان بيت لحم الحصن القريب من اورشليم. هناك افتراضان لا ثالث لهما: إمّا ان يكونوا من بيت لحم الشمال او من بيت لحم الجنوب، لأنه ليس هناك ثلاثة بيت لحم. غير ان الكتاب المقدس نفسه يقول عن المجلوّين العائدين الى اقاليم ارض يهوذا (أي خارج اورشليم) انهم عادوا الى مدنهم، ويعددها بالاسماء. وهذه المدن هي: قرية اربع وتوابعها وديبون وتوابعها ويقبصئيل وقراها ويشوع ومولادة وبيت فالط وحصر شوعال وبئر سبع وتوابعها وصقلاج ومكونة وتوابعها وعين رمّون وصرعة ويرموت وزانوح وعدلاّم وقراها ولاكيش وحقولها وعزيقة وتوابعها، فسكنوا من بئر سبع الى وادي هنّوم... (راجع سفر نحميا، الفصل الحادي عشر – السكّان اليهود في الاقاليم –25-36، النسخة الجديدة، ص 870). والعجيب حقاً انه ليس هناك من ذكر لبيت لحم، لا من قريب ولا من بعيد. لا مدينة ولا بلدة ولا حتى قرية او مزرعة! اين هي بيت لحم اذاً؟ ولماذا لم يسكن "بنو بيت لحم"

المذكورين في النص مدينتهم بيت لحم كسائر العائدين الى ارض يهوذا؟ اين بيت لحم مسقط رأس أليملك ومحلون وكليون وفارص وحصرون ورام وعميناداب ونحشون وسلمون وبوعز وعوبيد ويسّى وداود نفسه وأبنائه واحفاده...؟ (راعوت 1: 1-2؛ 4: 18-21، وأخبار الايام الاول 2: 5-15). وماذا عن الدقة التاريخية والجغرافية في لوائح نسب يسوع وأجداده في متّى (1: 1-17) ولوقا (3: 23-38). وماذا عن بيت لحم مدينة داود الذي أتى يسوع من ذريته؟ وماذا عن يوسف الذي صعد الى اليهودية الى مدينة داود التي يقال لها بيت لحم، فقد كان من بيت داود وعشيرته، ليكتتب هو مريم خطيبته وكانت حاملاً...؟ وماذا عن مريم العذراء ام يسوع التي يقولون انها من الناصرة من ذرية داود ايضاً؟ (ونحن نؤكد، وسوف نثبت ذلك لاحقاً، تاريخياً وجغرافياً، ان العذراء مريم، وخطيبها يوسف وابنها يسوع المسيح هم من قانا الجليل، من لبنان. نعم من لبنان. "ومن له أذنان سامعتان فليسمع")...!

وإذا عدنا الى "بنو بيت لحم" المذكورين في النصّ الذي نحن في صدده، نجد انهم لم يعودوا الى مدينتهم بيت لحم كسائر العائدين الذين سكنوا في مدنهم. ومرّة أخرى نذكّر بأن جميع المجلوّين العائدين من السبي عادوا الى ارض يهوذا في الجنوب. وقد عدّد سفر عزرا في الفصل الثاني بكامله، وسفر نحميا من بعده في الفصل السابع بكامله، جميع عشائر يهوذا وجميع المدن التي عادوا اليها. ولم يأت لا عزرا ولا نحميا على ذكر مدينة بيت لحم في ارض يهوذا. فإذا كان بنو بيت لحم هؤلاء العائدين، من بيت لحم اليهودية، لكانوا سكنوا هذه المدينة – مدينتهم – كما فعل سائر العائدين. فهم لم يسكنوا في بيت لحم يهوذا، لأمر بسيط جداً هو انها لم تكن موجودة. اما اذا كانوا من بيت لحم الجليل في الشمال فهم لم يعودوا الى الشمال، بل قد عادوا – مع سائر العائدين – الى ارض يهوذا في الجنوب كما تقول النسخة الجديدة نفسها (راجع سفر عزرا 1: 3 والحاشية رقم 4، ص 838)!

واذا عرفنا ان سفري عزرا ونحميا قد وضعا حوالي سنة 350 ق.م. لظهر لنا بكل وضوح انه، حتى هذا التاريخ، لم تكن مدينة بيت لحم يهوذا قد وجدت بعد!... وهي اليوم، وبعد حوالي 2350 سنة، ليست أكثر من بلدة! اما مدينة بيت لحم الشمال، في جليل الامم، فعمرها آلاف السنين، وعلى الأقل – وبكل تأكيد – أكثر من ثلاثة آلاف ومائتي سنة! (راجع سفر يشوع 19: 10-16، النسخة الجديدة، ص 452، وخاصة الحاشية رقم 2)...!

سفر نحميا (7: 26؛ 11: 25-36)

جاء في سفر نحميا في باب لائحة سكّان أورشليم ويهوذا العائدين من الجلاء ما يلي:

"هؤلاء بنو البلاد الذين صعدوا من الجلاء، ممّن جلاهم نبوكد نصّر، ملك بابل، ورجعوا الى اورشليم ويهوذا، كل واحد الى مدينته... عدد رجال شعب اسرائيل: بنو فرعوش: الفان ومئة واثنان وسبعون، بنو شقطيا... بنو... بنو... ورجال بيت لحم ونطوفة: مئة وثمانية وثمانون، ورجال... الخ" (سفر نحميا 7: 6-72).

تقول النسخة الجديدة عن لائحتي المجلوّين العائدين في عزرا ونحميا ما يلي: "وردت هذه اللائحة في عزرا 2 وفي نحميا 7 وفي 3 عزرا ايضاً، و3 عزرا هو كتاب منحول موازٍ في بعض اجزائه للسفر القانوني...، ونصه اليوناني المترجم عن نصّ ساميّ أصلي يساعد احياناً على تصحيح النصّ المسّوري، مع بعض الفروق في الاسماء والارقام وتناوب "الابناء" و"الرجال". هذه ثلاث حالات لنصّ واحد يبدو، في بعض الاحوال، انه حفظ في 3 عزرا على وجه أحسن منه في مكان آخر... فهذه اللائحة الخليط تحتوي على تصنيفات بحسب الأسر والأماكن. وهي تدلّ على احصاء لسكان اليهودية جرى بعد عودة اول من عادوا من الجلاء. وقد استعملها محرّر الاخبار، واستعملت هنا (في عزرا ونحميا) لتوضيح قصة العودة، ثم في نحميا 7 في شان تعمير اورشليم..." (النسخة الجديدة، سفر عزرا، 2: 1 والحاشية رقم 1، ص 839).

وبما ان سفري عزرا ونحميا متشابهان كثيراً، ولئلا نقع في التكرار، نركّز هنا فقط على "بنو بيت لحم" المجلوّين العائدين الى ارض يهوذا. بعد ان يعرض بالتفصيل سفرا عزرا ونحميا أسماء العائدين وأعدادهم واسماء المدن والقرى التي سكنوها، يصير التركيز على اورشليم وبناء هيكلها. وينفرد نحميا بتعداد قرى يهوذا ومزارعها، فيقول، في باب لائحة السكان اليهود في اقاليم يهوذا، ما يلي:

"وفي القرى مع حقولها، سكن بعض بني يهوذا: في قرية اربع وتوابعها (وقرية اربع هي حبرون) وديبون وتوابعها ويقبصئيل وقراها ويشوع ومولادة وبيت فالط وحصرشوعال وبئر سبع وتوابعها وصقلاج ومكونة وتوابعها وعين رمّون وصرعة ويرموت وزانوح وعدلاّم وقراها ولاكيش وحقولها وعزيقة وتوابعها، فسكنوا من بئر سبع الى وادي هنّوم..." (سفر نحميا 11: 25-30، والحاشية رقم 7، النسخة الجديدة ص 870).

يلاحظ ان الحاشية رقم 7 تقول: "هذه اللائحة التي تشهد على توسّع يهودي في النقب هي من زمن لاحق، الا اذا وجبت إعادتها الى ما قبل الجلاء (في عهد يوشيا 640-609)"!؟

أما الغريب والملفت حقاً – وكلامنا على بيت لحم وتحديد موقعها الحقيقي – هو ان سفر نحميا الذي يعدد قرى أرض يهوذا وتوابعها لا يأتي على ذكر مدينة او قرية بيت لحم في ارض يهوذا، مع انه ذكر "بنو بيت لحم" في لائحة العائدين الى ارض يهوذا!؟ واكثر من ذلك، فان العديد من القرى التي يذكرها هي قريبة من بيت لحم المعروفة اليوم، وتحيط بها من كل الجهات، حتى ان قريتيّ عدلاّم ونطوفة تقعان في جوار بيت لحم المعروفة اليوم! (راجع قاموس الكتاب المقدس ص 613، 971). لماذا لم يذكر الكاتب مدينة بيت لحم يهوذا، من جملة المدن التي ذكرها؟ وقد ذكر المدن والقرى القريبة منها وحتى المجاورة لها. أين هي بيت لحم يهوذا اذاً؟ واين سكن "بنو بيت لحم" هؤلاء المجلوّون العائدون الى ارض يهوذا؟ نحن نعلم ان كتبة اليهود الذين حرّروا الاسفار بعد الجلاء – وعزرا ونحميا منهم – قد بالغوا في تعظيم وتفخيم داود واورشليم وسبط يهوذا، المثلث اليهودي العنصري المعروف، واعتبروا ان بيت لحم يهوذا هي مدينة داود، فلماذا لم يأتِ سفر نحميا على ذكرها في سياق تعداد مدن العائدين من الجلاء، مع انه قد ذكر حتى القرى الصغيرة التي تحيط بها وتجاورها؟ لماذا؟ الجواب بسيط للغاية، وهو ان مدينة بيت لحم يهوذا لم تكن موجودة بعد! فلو كانت موجودة لسكنها "بنو بيت لحم"، كما سكن سائر المجلوّين العائدين الى ارض يهوذا مدنهم الخاصة. كان هناك فقط حصن قديم يسمّى "بيت لحم"، وكان، دون ادنى شك، خراباً بسبب اكتساح الجيوش الاشورية والبابلية لكل تلك الربوع، كما هو معروف... "فبنو بيت لحم" إذاً، العائدون من السبي الى اليهودية، هم دون ادنى ريب من بيت لحم الشمالية في الجليل.

وهكذا، فحتى هذا التاريخ، تاريخ كتابة سفري عزرا ونحميا، وحوالي سنة 350 ق.م.، لم يكن هناك في أرض يهوذا، في الجنوب، مدينة تسمّى مدينة بيت لحم، وذلك انطلاقاً من نصوص اسفار الكتاب المقدس نفسه! اما متى تأسست قرية بيت لحم المعروفة اليوم والمدعوّة بيت لحم يهوذا، فليس هناك في التاريخ المدني، على ما نعلم، أي ذكر لتأسيسها. والكتاب المقدس نفسه لم يأتِ على ذكر تأسيسها، مع انه لا يتوانى عن تفخيمها وتعظيمها مع سبط يهوذا وداود واورشليم، ويعتبرها – خطأً – "مدينة داود"...؟! مع ان اكثرية النصوص تسمّي اورشليم – صهيون – مدينة داود. وقد ثبت أن قبر داود وجد في اورشليم، على عكس ما كان يظنه البعض في بيت لحم. حتى ان البعض من نسّاخ كتب العهد

الجديد – وهم من المسيحيين المتهوّدين – كانوا يظنون ان بيت لحم يهوذا هي مدينة داود "وصعد يوسف ايضاً من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود التي يقال لها بيت لحم...". مع ان النسخة الجديدة التي بين ايدينا تقول صراحة وبالحرف الواحد ما يلي: "في العهد القديم تدل مدينة داود دائماً على اورشليم (2 صموئيل 5: 7 و9؛ 6: 10-12؛ اشعيا 22: 9 الخ...)". (راجع انجيل لوقا 2: 4، والحاشية رقم 6، ص 194)!... وهكذا اذاً، فان اورشليم هي "مدينة داود"، وليس "بيت لحم يهوذا"، وذلك انطلاقاً من نصوص الكتاب المقدس نفسه!...

منطقة بيت لحم الجليلية في سفر أشعيا

جاء في سفر اشعيا (8: 23) ما يلي:

"في الزمان الأوّل

أذلّ ارض زبولون وارض نفتالي

وأمّا في الزمان الأخير

فسيمجّد طريق البحر

عبر الأردن، جليل الأمم..."

في هذه الآية مقارنة، فيما يختص بنواحي شمال فلسطين، بين مستقبل مجيد وماضٍ ذليل. وهي تشير في مقاربة أولى مباشرة، على ما يبدو، الى حملات تغلات فلآسر في الجليل والى جلاء السنة 732...؛

وفي مقاربة ثانية، نبويّة وغير منظورة، الى ظهور المسيح وتعاليمه الخلاصيّة في الجليل، وفي جليل الأمم بالذات...

اما في ما يخص المقاربة الأولى، فقد جاء في سفر الملوك الثاني (15: 29) ما يلي: "...وفي ايام فاقح، ملك اسرائيل، جاء تغلات فلآسر، ملك أشّور، وأخذ عيّون وآبل وبيت معكة ويانوح وقاديش وحاصور وجلعاد والجليل وكلّ ارض نَفْتالي، وجلاهم الى أشّور...".

فتح تغلات فلآسر المدن المذكورة أي "كل ارض نفتالي" في حملته على فلسطين في السنة 734. ويضم ذكر جلعاد والجليل الى هذه الفتوحات فتوحات حملة السنتين 733-732 التي استهدفت دمشق على الخصوص...

والجلاء الى أشّور، المذكور في النص اعلاه، يعني جلاء الاسرائيليّين الأول.

اما في ما يخص المقاربة الثانية، النبويّة وغير المنظورة، فيتابعها اشعيا في الفصل التالي (9: 1-6) حيث يقول:

"الشعب السائر في الظلمة

ابصر نوراً عظيماً

والمقيمون في بقعة الظلام

أشرق عليهم النور...

...لأنه قد ولد لنا ولد

واعطي لنا ابن

فصارت الرئاسة على كتفه

ودعي اسمه عجيباً مشيراً

إلهاً جبّاراً، أبا الأبد، رئيس السلام

لنموّ الرئاسة

ولسلام لا انقضاء له...

...غيرة ربّ القوات تصنع هذا...".

يبشّر اشعيا هنا "بيوم الرب"، بعهد سلام روحي كامل أبدي يحققه ولد يولد من عذراء هو "عمانوئيل" الوارد ذكره في 7: 15 (ها ان العذراء تحمل فتلد ابناً وتدعو اسمه "عمانوئيل". يأكل لبناً حليباً وعسلاً الى ان يعرف ان يرذل الشرّ ويختار الخير...").

وسوف تتحقّق هذه النبوّة بظهور المسيح في الجليل، جليل الأمم. فقد جاء في انجيل متّى (4: 13-17):

"...ثم ترك (يسوع) الناصرة وجاء كفرناحوم على شاطئ البحر، في بلاد زبولون ونفتالي فسكن فيها، ليتم ما قيل على لسان النبي أشعيا:

أرض زبولون وأرض نفتالي

طريق البحر، عبر الاردن

جليل الأمم

الشعب المقيم في الظلمة

أبصر نوراً عظيماً

والمقيمون في بقعة الموت وظلاله

أشرق عليهم النور...

وبدأ يسوع من ذلك الحين ينادي فيقول: "توبوا، قد اقترب ملكوت السماوت...".

وفي قوله:

"أرض زبولون وأرض نفتالي

طريق البحر، عبر الاردن

جليل الأمم..."

يريد متّى هنا ان يحدّد، لا مكان خدمة يسوع الرسوليّة فقط، بل معناها النبويّ منذ بدئها ايضاً، فينفرد بالاستشهاد بسفراشعيا 8: 23؛ 9: 1، الانف الذكر، مع بعض التعديلات في النص. ومن هذه النبؤة يستخرج متّى مواضيعه الاساسيّة: ففي الجليل، يوجّه يسوع تعليمه الى اكثر الاسباط تعرّضاً لظلمة الوثنيين... كما كان اسرائيل معرّضاً لخطر الاشوريّين. وبذلك تفتح رسالته على جميع الأمم (متّى 28: 19 "إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم...") وبينما آخرون ينصرفون الى البرية، كاهل قمران او يوحنا المعمدان مثلاً، أو يحصرون نشاطهم في اورشليم، نرى يسوع "عمانوئيل" الذي بشّر به النبيّ اشعيا (7: 14 و8: 8-10) يختار الجليل، وجليل الأمم بالذات، الذي يشير اليه متى من أول انجيله الى آخره... (راجع، على سبيل المثال، متّى 2: 22؛ 3: 13؛ 4: 23 و25؛ 28: 16 الخ...).

ففي أوّل انجيله يقول متّى (2: 21-23):

"...فقام يوسف واخذ الطفل وأمّه ودخل ارض اسرائيل. لكنه سمع أن أرخلاّوس خلف أباه هيرودس علىاليهودية، فخاف أن يذهب اليها. فأوحي اليه في الحلم فلجأ الى ناحية الجليل. وجاء مدينة يقال لها الناصرة فسكن فيها، ليتم ما قيل على لسان الانبياء: انه يدعى "ناصريّاً"...

وفي بدء حياة يسوع العلنية التبشيريّة يقول متّى (3: 13): "...في ذلك الوقت ظهر يسوع وقد اتى من الجليل الى الاردنّ، قاصداً يوحنا ليعتمد عن يده...". وبعد ذلك يقول متّى (4: 23 و25): "وكان يسوع يسير في الجليل كلّه، يعلم في مجامعهم، ويعلن بشارة الملكوت، ويشفي الشعب من كل مرض وعلّة... فشاع ذكره في سورية كلها... وتبعته جموع كثيرة من الجليل...".

وحتى بعد قيامته ظهر المسيح لتلاميذه في الجليل، ومن الجليل ايضاً صعد الى السماء وجلس عن يمين الله أبيه... في الجليل هذا، تقع بيت لحم الحقيقية التي ولد فيها يسوع المسيح، كما سنبيّن ذلك في فصول لاحقة.

سفر ميخا 5: 1-5

جاء في "مدخل" سفر ميخا، في النسخة الجديدة ما يلي: "...من الواضح ان ترتيب الكتاب هو من عمل محرّرين عاشوا بعد تأليف الأقوال النبوية... فالسؤال مطروح في امر صحة العناصر التي تحتويها هذه الأقوال! هناك شبه إجماع على نسبة الفصول 1-3 و6/: 1-7: 6 الى ميخا المورشتيّ الذي عاش في القرن الثامن ق.م. والآيات 2: 12-13 والرتبة الطقسية الواردة في 7: 8-20 يحدّد زمانها عادة في حقبة العودة من الجلاء، بعد السنة 536. واما الفصلان 4 و5 فهما لا يزالان موضع جدال شديد. (والنص الذي نحن في صدده هنا هو الآية الاولى من الفصل الخامس). يرى أناس في هذين الفصلين مجموعة أقوال نبوية تعود الى ما بعد الجلاء، ويرى فيها اناس آخرون كتابات قديمة لميخا أعيد النظر فيها أثناء قراءات محدّدة متعاقبة... وتبقى المسألة مطروحة على بساط البحث. ومهما يكن من امر، فأن نصوص الكتاب قد وصلتنا مشوّهة جداً. ولذلك يبقى القارئ متردداً في المعنى الصحيح لعدد من الآيات...! (النسخة الجديدة، سفر ميخا – المدخل، ص 1959).

يمهّد ميخا للنص الشهير الذي نحن بصدده الآن (5: 1)، بنص صغير – في باب شدائد وأمجاد سلالة داود – يقول ما يلي: "خدّشي الآن نفسَكِ يا بنت العصابة، لقد ألقى علينا الحصار، فهم يضربون بالقضيب على خدّ قاضي اسرائيل..." (ميخا 4: 14). وفي هذا التمهيد تقول النسخة الجديدة: "هناك تعارض بين الملك "قاضي اسرائيل" المذلّل الآن (الذي يضرب بالقضيب على خدّه!) عن يد سنحاريب (704-681) – راجع 2 ملوك 18: 13-16 – وبين الملك المشيح الذي يكون مولده مطلع عصر جديد من المجد والسلام (كما في اشعيا 9: 5). ان ميخا يتصوّر هذا المشيح على طريقة انبياء يهوذا التقليدية، أي كملك منتصر في صهيون... (هكذا في سفر التكوين 49: 10-12 وسفر العدد 24: 15-19 وسفر المزامير 110 وسفر اشعيا 9: 1-6، 11: 1-9، 32: 1) – ويقابل النبي ميخا هنا بين كبرياء العاصمة اورشليم المحصّنة وحالة افراتة الوضيعة، مع ان منها سوف ياتي الخلاص..." (النسخة الجديدة، سفر ميخا 4: 14، والحاشيتان رقم 8 و9، ص 1967).

اما نص ميخا الشهير الذي نحن بصدده هنا، فيقول: "وأنتِ يا بيت لحم أفراتة انك أصغر عشائر يهوذا، ولكن منك يخرج لي من يكون متسلّطاً على اسرائيل، وأصوله منذ القديم، منذ ايام الازل..." (سفر ميخا 5: 1)!

اما بقية المقطع التي تلي هذا النصّ (5: 1)، فقد جاء فيها: "لذلك يتركهم (الرب) الى حين تلد الوالدة، فترجع بقية إخوته الى بني اسرائيل، ويقف ويرعى بعزّة الربّ وبعظمة اسم الرب الهه، فيكونون ساكنين لأنه حينئذٍ يتعاظم الى أقاصي الأرض". ويتابع النصّ تحت عنوان: "الظافر بأشّور في المستقبل"، فيقول: "ويكون هذا سلاماً، واذا أتى أشّور أرضنا ووطئ قصورنا، نقيم عليه سبعة رعاة وثمانية أمراء بشر. فيرعون ارض أشّور بالحسام وأرض نمرود بالسيف المشهور، وينقذ من اشّور إذا أتى أرضنا ووطئ حدودنا. وتكون بقية يعقوب في وسط شعوب كثيرين الخ..." (5: 2-7).

وتعلّق النسخة الجديدة على بقية المقطع هذه فتقول: "في هذا المقطع تبشير بانتصار في المستقبل على أشور ، ينسب الى ابن داود والى رؤساء يهوذا (الحاشية رقم:4 ، ص 1967)! وعن خاتمة المقطع : " وتكون بقية يعقوب في وسط شعوب كثيرين الخ..." توضح النسخة الجديدة فتقول : "هذا امر لم يحصل الا بعد الجلاء ، بتاريخ لاحق لميخا... " ! (الحاشية رقم 5 ص 1968).

ونحن نركّز هنا على هذا النّص الشهير في ميخا (5 : 1 – 7) ، نظراً لاهميته في موضوع تحديد موقع بيت لحم الحقيقية حيث ولد السيد المسيح. بهذا النص تأثرت جميع النصوص اللاحقة في أسفار العهد القديم والتي تتحدث عن مكان ولادة المخلّص . وفي العهد الجديد نفسه ، سوف يرى الانجيليون في " بيت لحم أفراتة " اشارة الى مكان ميلاد المسيح ...

يبدأ النص بهذه الآية الواضحة والمحدّدة : " وأنت يا بيت لحم افراته " ما هي بيت لحم هذه في الحقيقة ،من الناحية التاريخية الصرف ؟ واين تقع يا ترى، وبالتحديد من الناحية الجغرافية ؟ الجواب على هذين السؤالين في غاية البساطة والوضوح والدقة . هذا اذا اعتمدنا على علوم المنطق والتاريخ والجغرافيا ، بعيداً عن الافكار المسبقة والنزعة القديمة التعصبية ، والتحويرات والزيادات والاضافات المتاخرة والمتعددة ، وبعيداً ايضاً عن التفسيرات التقوية السطحية والجهل المتوارث ...

ان بيت لحم افراته هذه هي في الحقيقة ، تاريخياً وجغرافياً ، بيت لحم المدينة الكنعانية ، في الشمال ، في الجليل ، في " جليل الامم " ، وليس بيت لحم الجنوب ، بيت لحم يهوذا او بيت لحم اليهودية ، حيث يظن الناس الى اليوم ان المسيح ولد فيها ... ! واليكم بالتفصيل الادلة الثابتة والبراهين القاطعة على ذلك، وهي تعلن للجميع وعلى الملأ لأول مرّة ... !

" بيت لحم " : في اللفظة والمعنى

" بيت لحم " كلمة كنعانية ، في الاصل ، دون أدنى شك . وهي مكونة من عبارتين . الاولى : بيت أو بِت (من الجزع السامي المشترك ب ي ت) ، وهي تعني : بيت مسكن ، موضع ، محلّ ، او مقام وهيكل ... والثانية لحم ، وهي تعني : خبز ، طعام ، أكل وقد تعني ايضاً زرع ، غلة، مؤونة ... وهكذا كانت بيت لحم تعني في الديانة الكنعانية – الفينيقيّة : بيت او مقام اله (أو الاهة ؟) الخبز والزرع والخصب والغلّة. ثم اصبحت تعني فيما بعد بيت أو موضع أو محلّ الخبز . وعلى هذا الشكل انتقلت الى الارامية والسريانية والعبرية والعربية وسائر لغات العالم الحديث.

يقول المؤرخ والمستشرق الكبير شارل فيرولّلو في كتابه "أساطير بابل وكنعان" (في ص 102 والحاشية رقم 1): كان هناك في جنوبي ارض كنعان (وهو ما سُمّي فيما بعد فلسطين) عدة مدن وبلدات باسم آلهة كنعان: إيل وبعل وأشيراي وعناة وأدونيس وعشتروت وغيرهم . وكانت هذه المدن تسمّى على الشكل التالي : بيت ايل ، بيت عناة ، الخ... واهمها كانت في ارض اسباط اشير وزبولون ونفتالي بين صور وجبل الكرمل ووادي الاردن .."

البعض من هذه المدن باق الى اليوم باسمه الكنعاني الاصلي كبيت ايل "وبيت عناة" وغيرهما ، والبعض الآخر استبدلت اسماؤها باسماء أخرى حديثة تبعا لتوالي الغزوات والشعوب واللغات ، غير ان اسماءها الاصلية باقية الى اليوم في الخرائط القديمة (راجع فيما يخص كل هذه الاسماء خرائط جنوبي كنعان وفلسطين والجليل، القديمة والحديثة...).

اما العالم واللاهوتي وشارح الكتاب المقدس "شارل بيرّو" فيؤكد أن "لحم" اسم مؤنث، وهي إلآهة كنعانية؛ "وبيت لحم" تعني/ برأيه، بيت الإلآهة الكنعانية "لحم". (راجع كتابه: "أحداث طفولة يسوع"، ص 51).

والمؤرخ اللبناني كمال الصليبي يعرض بعض التفاصيل حول مدينة بيت لحم لفظاً ومعنىً. فيقول في كتابه: "التوراة جاءت من جزيرة العرب" (صفحة 171-172 مع الحاشيتين رقم 4 و5) ما يلي: "بيت لحم": بيت لحم او معبد لحم، ولحم تعني حرفياً: خبز او طعام أو تموين. وهي في الظاهر اسم لإله المؤن: أم لحم (ءم لحم) وتعني أم أي إلاهة الخبز والطعام والتموين...". وفي الصفحة 232 من نفس الكتاب، يفصّل أكثر فيقول: "من الآلهة القديمة التي رفضها بنو اسرائيل ما كان يلقب بـ "بعل" بدلاً من إِل (إيل). وربما لفظة "بعل" منحوتة من "ءب عل" أي "ابو

الغلّة"، مما يعني أن الآلهة المعروفة بهذا اللقب كانت آلهة خصوبة ومحاصيل زراعية... "والبعل" بالعربية "هو كل نخل او زرع لا يسقى"، وهو ما سقته السماء"، أي ما يعتمد ليس على ريّ المزارع، بل على الريّ الطبيعي، وهو مجازاً الذي يوفّره "بعل"(0الإله بعل) إله الخصوبة... والزرع والمزروعات والغلاّت والمؤونة...". وفي كتابه: "حروب داود" (ص 138، 161) يقول الصليبي: "بيت لحم": وهي ام لحم في الأصل... وفي التوراة بيت لحم او "بيت هـ – لحم" هي، برأيه، من قرى وادي أضم في جنوب الطائف، ومنها جاء داود... ويتابع: "ولحم" (وفي بعض اللغات السامية "لخم") هو اسم إله مشهود...".

وخلاصة القول، ان بيت لحم هو اسم مدينة كنعانية – فينيقية – لبنانية، وكانت دوماً مرتبطة، من حيث المبنى والمعنى، بالاله "لحم" "وبعل"، و"أدونيس" – والثلاثة صيغ متفاوتة الزمن لإله كنعاني – فينيقي واحد – هو إله الزرع والخصوبة، إله الخبز والطعام والمؤونة...

ونحن نذكّر هنا، مرّة اخرى، بأن الاسماء، جميع الاسماء، كانت تطلق في الأصل – وخاصة في الديانات والحضارات القديمة – ليس جزافاً، ولكن بشكل يرتكز دوماً ومباشرة على قرائن طبيعية خارجية او داخلية محدّدة...

يقول حزقيال: "...ثم أتى بي الربّ الى مدخل باب بيت الرب (الهيكل) الذي هو جهة الشمال، فاذا هناك بنساء جالسات يبكين على تمّوز (ادونيس). فقال لي أرأيت يا ابن الانسان؟ عُد ترَ قبائح اعظم من هذه..." (سفر حزقيال 18: 14-15). ذلك أن الملك منسّى كان قد وضع تمثال عشتروت في داخل هيكل اورشليم، قرب المدخل المتجه نحو الشمال. نحو الشمال: أي نحو مقام ديانة عشتروت الذي هو في الشمال (فينيقية – لبنان). ومعروف ايضاً ان عبادة أدونيس وعشتروت قد انتقلت من فينيقية الى الجليل حيث كان لهما هياكل ومعابد ومزارات، وكهنة يُعدّون بالمئات (سفر الملوك الاول، الفصل الثامن عشر). وكان جبل الكرمل في الجليل، كما يقول الكتاب المقدس نفسه، المركز الاول والاساسي لعبادة البعل وأدونيس. وفي سفوح جبل الكرمل الشمالية الشرقية كان هناك مغاور عديدة، منها مغارة مكرّسة لعبادة البعل وادونيس الذي كان يلقّب بالإله الابن...! وفي هذه المغارة بالذات ولد، فيما بعد، بالجسد، الإله الابن، يسوع المسيح. ويروي القديس جراسيموس "انه كان في بيت لحم غاب قدّس على اسم أدونيس. وكان المصلّون قديماً يقيمون المناحات عليه يوم ذكرى موته في المغارة نفسها التي ولد فيها، فيما بعد، السيّد الناصري..."!! (الدكتور حبيب تابت "عشتروت وادونيس"، 1948، ص 19).

كان دوماً موطن البعل وأدونيس، بحسب التوراة، يقع فوق جبل "صافون" الذي معناه "الشمال". لذلك كانت نساء حزقيال يجتمعن عند المدخل الشمالي للهيكل، ويتجهن الى ناحية الشمال باتجاه موطن البعل وأدونيس أي باتجاه فينيقية – لبنان. والجدير بالذكر ان حزقيال كتب كتابه في اوائل القرن السادس قبل المسيح (بين 590 و580 ق.م.)، أي قبل بناء بيت لحم يهوذا بوقت طويل: قبل حوالي 300 سنة! (فيما يخصّ عبادة البعل وادونيس وعشتروت في لبنان والجليل راجع: "ملاحم بابل وكنعان"، بالفرنسية، للبحّاثة الكبير "شارل فيرولّلو"، ص 113 وما يتبع...).

امّا فيما يخصّ العلاقة والربط بين ادونيس وعشتروت من جهة، ولبنان والمسيح من جهة ثانية، فإن المؤرّخ الشهير سير جيمس جورج فريزر يقول: "إن رواية القديس إيرونيومس التي تقول بأن المناحة على أدونيس كانت تحصل في بيت لحم التقليدية في اليهودية هي في الحقيقة رواية خاطئة، لأنها كانت تحصل في لبنان لا في اليهودية، وهي قديمة العهد جداً... إن العلاقة بين عشتروت العشيقة الالهية لأدونيس ونجمة الصبح (بيت لحم) قد استمرت الى يومنا هذا. وقد عرفت عشتروت فيما بعد بنجمة الصبح (فينوس)، وتحوّلها من نجمة الصبح الى نجمة المساء كان مدوناً بكل دقة من قبل علماء الفلك البابليين، الذين ركّزوا على تناوب ظهورها وغيابها... وهكذا يمكننا القول بأن الاحتفال بأدونيس كان دائماً وبشكل منتظم يتزامن مع ظهور نجمة الصبح فينوس كنجمة الصبح والمساء. وفي أفقا في لبنان كان هناك هيكل شهير لعبادة عشتروت (هدم نهائياً في أوائل القرن الرابع للمسيح). وكانت بداية الاحتفال بطقوس عشتروت تتزامن دوماً، في لبنان، مع بريق النيزك الذي يسقط من قمة جبل لبنان الى داخل نهر أدونيس... وكان اللبنانيّون القدماء يعتقدون بان هذا النيزك هو عشتروت بذاتها. وسقوطها من الفضاء كان يعتبر طبيعياً كهبوط الإلآهة العاشقة في ذراع عشيقها ادونيس! وظهور نجمة الصبح هذه في الاحتفال كان يعتبر بمثابة قدوم إلآهة الحب كي توقظ عشيقها الميت من قبره الأرضيّ... ونحن نظن بان نجمة الصبح هذه هي التي ظهرت للمجوس في الشرق وقادتهم الى بيت لحم حيث ولد الطفل يسوع..." (سير جيمس جورج فريزر "الغصن الذهبي"، نيويورك، 1951، ص 402-403).

- أفراته

أفراته لفظة كنعانية صرف. وهي تعني المخصبة والمثمرة. من الجذر السامي المشترك القديم: فري ف.ر.ي. ومنه الآرامي – السرياني الحالي "فيرا" (وبيرا)، ثم العبراني الحالي "فيره" (بيره). والصيغة نفسها "أفراته" تعني بالتحديد الكثيرة الخصب، الكثيرة الثمار. وهناك الى اليوم في اللهجة اللبنانية فعل فَرَتَ أو فَرَطَ ويعني أنزل الثمار من اشجارها كالزيتون والجوز وغيره، بواسطة قضيب كبير يسمى ايضاً "الفاروت". والفْرَاتَه – من فعل فَرَتَ – هي كناية عن عملية فرت الزيتون وغيره، أي انزال ثمار الزيتون عن اشجارها بواسطة الفاروت. وهناك أيضاً، من باب توسيع المعنى، عبارة فراته أو فراطة وتعني النقود الصغيرة والكثيرة وكأنها "ثمار" صغيرة وكثيرة.

واسم أفراته الكنعاني هذا، أطلق في الأصل، وفي الحقيقة التاريخية والجغرافية، على منطقة ومدينة كنعانية، وذلك قبل دخول ابراهيم واسحق ويعقوب ثم الاسباط اليهودية الاثنا عشر الى ارض كنعان بفترة طويلة جداً. وهذه المنطقة الكنعانية هي بالتحديد جبل الكرمل وجواره، "وبيت لحم وقراها" المدينة الكنعانية في الجليل كانت في الواقع عاصمة تلك المنطقة. وقد دعيت هي ايضاً افراته. والكتاب المقدس نفسه يطلق اسم افراته على منطقة (المزمور 132: 6، والحاشية رقم 3 في النسخة الجديدة، ص 1294 – راجع ايضاً: قاموس الكتاب المقدس ص 777). كما يطلق اسم أفراته على مدينة بيت لحم (التكوين 35: 16-20؛ 48: 7 يشوع 15: 59 راعوت 1: 1-2؛ 4: 11 ميخا 5: 1 الخ...) والكتاب يقول دوماً: "أفراته التي هي بيت لحم". وجبل الكرمل نفسه كان يسمى الجبل المخصب والمثمر وبستان فواكه. فلفظة "كرمل" تعني لغوياً المثمر والمخصب (راجع قاموس الكتاب المقدس ص 777). فعبارة كرمل – كرم "إيل" – تعني في الأصل كَرْم "إيل"، ثمار "إيل"، خصوبة "إيل"! وفي الواقع، كان جبل الكرمل بالذات، في العهود الكنعانية القديمة – وهذا ما سجّله التاريخ المدنيّ ايضاً - منارة روحية مُشِعّة ومميّزة. فكان العديد من حكماء المشرق وبلاد اليونان يأتون اليه ويقيمون في ديره الكبير فترات من الزمن في شبه رياضات روحية طويلة. وكان يلقّب عهد ذاك "بجبل الخصب الالهي" "وجبل التركيز الروحاني". وفي هذا المجال يقول الفيلسوف جامبليك اللبناني – من عنجر البقاع – تلميذ فيتاغوراس الكبير، وواضع سيرة حياته: "وكان فيتاغوراس ابن برتنيس الفينيقية تعمّد بحسب الطقس الكنعاني في مياه النهر المقدس، نهر أدونيس (نهر ابراهيم) المتدفّق من مغارة أفقا المقدّسة. وقد تلقّن الاسرار الكونية والطقوس السرّية من كهنة

فينيقية في جبيل وصور. وتعلّم مبادئ الفيزياء "وفكرة" "الواحد" ورمزية الاعداد في كنعان على يد مخّوص الصيدوني (ومخوص هو أب النظرية الذرية في التاريخ كما يجمع اليوم كل مؤرخي العلوم). ثم ذهب فيتاغوراس، يتابع جامبليك، الى جبل الكرمل في جنوبي كنعان حيث امضى عدة سنوات معتزلاً في ديره الكبير، منصرفاً الى التأمل الروحي والغوص في اسرار الوجود. وكان جبل الكرمل جبلاً مقدساً مهيأً، اكثر من غيره، للتأمل النفسي والتركيز الروحاني. وكان الدخول اليه محرماً على عامة الناس. فلا يسكنه الاّ "المسارّون" أي الذين تلقنوا الأسرار الكونية والحقائق الروحية. وكان المعتزلون في معبد الكرمل الكبير يلتزمون بالسريّة التامة ويلزمون تلاميذهم بنفس السريّة. وكان نظام الكرمل صارماً جداً... (راجع "حياة فيتاغوراس" للفيلسوف جامبليك ص 297-298 وايضاً: "العقيدة السرية" هـ – ب. بلافاتسكي، المجلّد الخامس، ص 309، والحاشية رقم 2، "والماسونية – خلاصة الحضارة الكنعانية" لفؤاد فضول ص 99 وغيرهم كثيرين...)

وعندما دخلت قبائل العبران مغتصبة جنوب ارض كنعان، حوالي سنة 1230، على يد يشوع بن نون معاون موسى، كانت هذه الارض في حالة متقدمة من العمران والحضارة في جميع المجالات الانسانية من دينية وثقافية وعمرانية. في حين كانت قبائل العبران بدائية لم تتعرّف بعد على أي مظهر من مظاهر الحضارة. وكان جنوب كنعان بالتحديد – أي المنطقة التي سمّيت فيما بعد فلسطين – مليئاً بالهياكل والمعابد والمدارس الكنعانية، منذ قرون عديدة. وكان كهنة كنعان يعدّون بالآلاف! وكانت "مدارس الانبياء"، "وعائلات الانبياء والنبيات"، منتشرة من صور العظيمة الى "بيت عناة"، الى بيت عشتروت"، الى "بيت إيل"ن الى أريئيل أو إيلياء أو يبّوس التي سميت فيما بعد اورشليم على عهد ملكها وكاهنها الكبير ملكيصادق كاهن إيل العليّ، الذي قدّم له ابراهيم العشور... وكان جبل الكرمل، مع ديره الكبير، المركز الاساسي للاشعاع الديني والروحي في تلك المنطقة التي كانت تسمّى "الجليل"، وكان يحوي اهم تجمع لعائلات ومدارس الانبياء والنبيّات... كل هذا، يذكره الكتاب المقدس نفسه – العهد القديم – وذلك بوضوح وبشيء من التفصيل احياناً. فيؤكد على وجود كهنة كنعان الكثيرين وعلى مدارسهم "وعائلات الانبياء والنبيّات" عندهم: كانوا في الرامة في الجليل (1 صموئيل 19: 20)، وفي بيت إيل (2 ملوك 2: 3)، وفي أريحا (2 ملوك 2: 5)، وفي الجلجال (2 ملوك 4: 38)، وفي السامرة (1 ملوك 18: 21، 28-69؛ 22: 10؛ أشعيا 5: 11-13 +؛ 28: 7-13). وعلى سبيل المثال لا الحصر، نقرأ في سفر الملوك الاول 18: 19 ما يلي: "وقال النبي ايليّا للملك آحاب: والآن أرسل واجمع اليّ اسرائيل كله الى جبل الكرمل، وانبياء البعل الاربع مئة والخمسين، وانبياء عشتروت الاربع مئة الذين يأكلون على مائدة إيزابل (الملكة ايزابل الفينيقية زوجة

الملك آحاب)..."! ومن جهتها، تعلّق النسخة الجديدة على هذا النصّ فتقول: "كان عند الشعوب المجاورة لاسرائيل جماعات من الناس الذين ينخطفون بالروح (راجع ارميا 97: 9ت). وكانوا يؤلّفون جماعات كثيرة مثل أنبياء الرب (1 ملوك 18: 4). والمقصود هنا هم المتعبدون لبعل صور، الذين استدعتهم الملكة إيزابل الى اسرائيل وكانت تنفق عليهم..." (ص 666، الحاشية رقم 3). هذا مع العلم ان المراكز الروحيّة ومدارس الانبياء والنبيّات الكنعانية بقيت حيّة مزدهرة طوال مئات من السنين بعد اغتصاب عشائر اليهود جنوب أرض كنعان حوالي سنة 1220 ق.م...وكان من الطبيعي جداً ان تتأثر هذه العشائر اليهودية- وهي بعد عشائر بدائية – بهذا الجو الكنعاني العابق بالروحانية والنبوّة. وفي الواقع، ظهر الانبياء اليهود الاولون في الاسباط الشمالية، في اسرائيل، في الاراضي المتاخمة لكنعان، لا في ارض اليهودية في الجنوب. وقد نشأت النبوّة اليهودية في منطقة جبل الكرمل بالذات: صموئيل وايليا واليشاع ومدارسهم وتلامذتهم... حتى ان مدارس الانبياء الكنعانيين بقيت مزدهرة حتى موت النبي اليشاع حوالي سنة 800 ق.م.! في هذه الاثناء حصل ضعف وانحسار وتشتت في الظاهرة النبوية الكنعانية، وبدأت الظاهرة النبوية العبرانية بالنمو والتصاعد، فكان الانبياء اليهود ومنهم ميخا الذي نحن الآن في صدده. ومعروف ان اليهود قتلوا انبياء هم، كما قال السيّد المسيح نفسه: "يا اورشليم، يا اورشليم! يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين اليها، كم مرّة أردت ان أجمع أبناءك، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها! فلم تريدوا. لذلك يترك لكم بيتكم خراباً..." (متى 23: 37-38).

وبالاضافة الى الخصوبة الدينية والروحية والنبوية التي امتازت بها منطقة "أفراتة" – أي منطقة الكرمل وبيت لحم في الجليل – كما رأينا في الفقرات السابقة، فان هذه المنطقة نفسها كانت تمتاز ايضاً بالخصوبة الارضية والنباتية، بالاشجار الكثيفة ومنها المثمرة. ولذلك سميت "أفراتة" أي المخصبة والكثيرة الثمار، وذلك منذ العصور الكنعانية القديمة حتى العصور اليهودية الحديثة. فجبل الكرمل نفسه – ومعنى اللفظة كما رأينا، كرْم إيل، والمثمر – كان مركز هذه المنطقة المخصبة والمثمرة. وبيت لحم التي هي في سفوحه الشرقية الشمالية، تعني هي ايضاً بيت (أو إله) الخبز والغذاء والثمار... والكتاب المقدس نفسه يتغنّى بخصوبة واشجار وثمار هذه المنطقة – أفراتة – وجبل الكرمل بنوع خاص. فسفر نشيد الاناشيد يقول في الكرمل ما يلي: "رَأسُكِ عليك مثل الكرمل، وشعر رَأسِكِ كأرجوان: ملك مقيد بالخصائل، ما أجملكِ وما أشهاكِ..."(نشيد الاناشيد 7: 6-7) فانه كان يقصد ولا شك ان الشعر كان كان يغطّي رأس حبيبته وينسدل عليها كما كانت الاشجار المثمرة تغطّي رأس الكرمل ومنحدراته وسفوحه، من سهل عكا في الشمال، الى سهل الشارون في الجنوب، ومن بيت لحم في الشرق

الى شاطئ البحر في الغرب. وهنا ايضاً تصح تسمية أفراتة: بيت لحم، وبيت لحم: أفراتة، كما يقول الكتاب. وأشعيا يقول: "ناحت الارض وذبلت، وخجل لبنان وذوى...، وصار الشارون كالقفر، وارتعد باشان والكرمل... الآن أقوم يقول الرب، الآن ارتفع، الآن أتعالى. تحبلون بالحشيش وتلدون القشّ، ونفسكم نار تأكلكم..." (اشعيا 33: 9-11). ويقول اشعيا أيضاً: "لتفرح البريّة والقفر، ولتبتهج البادية وتزهر كالنرجس، لتزهر ازهاراً وتبتهج ابتهاجاً مع هتاف. قد أوتيت مجد لبنان وبهاء الكرمل والشارون... فهم يرون مجد الرب وبهاء إلهنا..." (أشعيا 35: 1-2)، اما النبي ارميا فيقول في الكرمل: "...وأرجع اسرائيل الى مرعاه الخصب فيرعى في الكرمل وباشان وتشبع نفسه..." (إرميا 50: 19). وعاموس يقول: "الرب يزأر من صهيون، ويجهر بصوته من اورشليم، فتنتحب مراعي الرعاة ويجفّ رأس الكرمل..." (عاموس 1: 2). اما ميخا، الذي نحن بصدده، فيقول: "إرعَ شعبك بعصاك، غنم ميراثك السَاكنين وحدهم في "الغاب" في وسط الجنّة..."! (ميخا 7: 14). "والغاب" يقع، كبيت لحم الجليل، في منطقة "أفراتة"، في اعالي جبل الكرمل (النسخة الجديدة في تعليقها على المزمور 132: 6 الذي يقول: "ها قد سمعنا أنه في أفراتة، قد وجدناه في "حقول الغاب"، ص 1294، الحاشية رقم 3)!

أمّا أين ورد اسم "أفراتة" في اسفار العهد القديم، وكيف كانت عبارة "أفراتة" ملاصقة ومرادفة دوماً "لبيت لحم"، فهذا ما سنعرضه في الفقرات التالية:

أول ما ورد اسم "أفراتة"، في العهد القديم، كان في سفر التكوين (35: 16-20) حيث نقرأ: "... ثم رحلوا (يعقوب والقوم الذين معه) من بيت إيل. وبينما هم على مسافة من "أفراتة"، ولدت راحيل وعسرت ولادتها. فلما عسرت ولادتها، قالت لها القابلة: لا تخافي، فإن هذا ايضاً ابن لك. وكان قبل ان تفيض نفسها، لأنها ماتت، قد سمّته بن اوني. واما أبوه فسمّاه بنيامين. وماتت راحيل ودفنت في طريق "أفراتة" وهي بيت لحم. ونصب يعقوب نصباً على قبرها، وهو نصب قبر راحيل الى اليوم...".

والنص الثاني الذي يرد فيه اسم "أفراتة" ملاصقاً ومرادفاً لاسم بيت لحم، جاء في سفر التكوين ايضاً، على لسان يعقوب، وهو يذكّر بالنص الاول ويؤكّد عليه: "واما انا (يقول يعقوب) ففي عودتي من فدّان ماتت بقربي راحيل <u>في ارض كنعان</u>، في الطريق، على مسافة من "أفراتة"، فدفنتها هناك في طريق "أفراتة" وهي بيت لحم..." (سفر التكوين 48: 7).

وهكذا يظهر لنا بوضوح تام، من هذين النصّين في سفر التكوين، الحقائق الثلاث التالية:

-أولاً ماتت راحيل زوجة يعقوب ابي الاسباط الاسرائيلية الاثني عشر، في ارض كنعان. انها الارض الاصلية، قبل ان يغتصبها ابناؤه واحفاده فيما بعد بقيادة يشوع ابن نون معاون موسى، في حوالي سنة 1225... ويقول سفر التكوين نفسه في مكان آخر (37: 1): "وسكن يعقوب في الارض التي نزل فيها ابوه اسحق في ارض كنعان...". وابراهيم نفسه، والد اسحق وجدّ يعقوب، ألم يكن هو ايضاً غريباً اتى من أور الكلدانيين ونزل في ارض كنعان، كما يقول سفر التكوين نفسه (23: 1-7)؟ يقول النص: "وكانت سنو عمر سارة مئة وسبعاً وعشرين سنة، وماتت سارة في قرية اربع، وهي حبرون، في ارض كنعان. فأقبل ابراهيم يندب سارة ويبكيها. وقام ابراهيم من امام ميته وكلم بني حثٍ (قبيلة كنعانية اذ إن حث هو ثاني ابناء كنعان) قائلاً: انا نزيل ومقيم عندكم أعطوني ملك قبر عندكم فأدفن ميتي من أمام وجهي. فأجاب بنو حث ابراهيم قائلين له: ...في اسفل قبورنا ادفن ميتك فليس احد منا يرفض لك قبره لتدفن فيه ميتك، فقام ابراهيم وسجد لأهل البلد..."! (راجع ايضاً سفر الخروج 12: 48 والحاشية رقم 13 في النسخة الجديدة، ص 173، حيث جاء: "فالآباء كانوا غرباء نزلوا في ارض كنعان... وكذلك بنو اسرائيل في مصر...". وسفر تثنية الاشتراع 7: 1 والحاشية رقم 1 حيث نقرأ: فالكنعانيون هم اساس سكان فلسطين...") الخ...

-ثانياً: ان قبر راحيل زوجة يعقوب يقع بالتحديد بالقرب من افراتة بيت لحم. "ونصب يعقوب نصباً على قبرها، وهو نصب قبر راحيل الى اليوم...". وليس في موقع آخر مزعوم في جنوب فلسطين كما قال محرّرو الكتاب بعد العودة من الجلاء. فقد جعله هؤلاء في مكان يبعد حوالي 10 كيلومتر الى الشمال من أورشليم! مع انه لا يوجد هناك شيء اسمه بيت لحم، ونص التكوين يقول: "ودفنت راحيل بالقرب من افراتة التي هي بيت لحم". ثم جاء نسّاخ متأخرون وجعلوا قبر راحيل في جنوب أورشليم، قرب بيت لحم يهوذا المعروفة اليوم، على بعد حوالي 12 كيلومتر من اورشليم!! لقد حصل كل ذلك بغية تفخيم وتعظيم يهوذا واورشليم، بعيداً عن ابسط الحقائق التاريخية والجغرافية (وهذا ما سوف نتحدث عنه بالتفصيل فيما بعد، في باب "بيت لحم وقبر راحيل").

-ثالثاً: ان أفراتة هي هي بيت لحم. وهذا واضح جـداً في النصّين اللذين نحن بصددهما في سفر التكوين. والنص الثاني يكرّر النص الاول ويؤكد عليه. فلا مجال والحالة هذه الى أي نوع من الشكّ والالتباس والريب، ولا بالأحرى الى التأويل والتحوير والتزوير... أفراتة هي هي بيت لحم. هذه هي النصوص الكتابية الاولية الاصلية، قبل ان تعمل بها – وبغيرها – ايدي المحرّرين والنسّاخ المتأخرين، تبديلاً وتحويراً وتشويهاً، وذلك من الناحيتين التاريخية والجغرافية. فبعد أن قال البعض ان

أفراتة تقع في الشمال القريب من أورشليم – مع انه لا يوجد هناك بيت لحم – جاء البعض الآخر فيما بعد وقالوا لا، بل ان افراتة تقع في الجنوب القريب من اورشليم قرب بيت لحم يهوذا المعروفة اليوم، وكانت هذه قد بنيت في هذه الاثناء، أي بين اواخر القرن الرابع واوائل الثالث ق.م. اما بيت لحم الحقيقية، "بيت لحم أفراتة" المدينة الكنعانية في شمال فلسطين والتي ورد ذكرها بوضوح، كما رأينا في سفر التكوين (وفي غيره من الاسفار القديمة) فقد كانت مبنية منذ آلاف من السنين. لقد تناسى محرّرو الكتاب بعد الجلاء والنسّاخ المتأخرون من اليهود، تناسَوا افراتة بيت لحم الكنعانية في الشمال – وكانت قد خربت في هذه الاثناء بسبب الاحداث والغزوات – وطمسوها عن تصميم وقصد، واستبدلوها ببيت لحم يهوذا التي بنيت فيما بعد بزمن طويل. لقد تناسَوها وطمسوها واستبدلوها ببيت لحم الحديثة لأنها (أي الاصلية) كنعانية كنعانية! مع ان اسفارهم القديمة لم تطلق ولا مرّة، على الاطلاق، اسم "بيت لحم أفراتة" على بيت لحم يهوذا المعروفة اليوم!! بل وردت في النصوص القديمة هكذا فقط: بيت لحم، بيت لحم يهوذا وبيت لحم اليهودية، لا غير. ولا مرة بيت لحم افراتة! ... وهذا أمر بالغ الاهمية في هذه الدراسة.

إن من أهمّ الاسباب التي قادت الى الالتباس الذي حصل بين بيت لحم الحقيقية في الجليل وبيت لحم الحديثة المعروفة اليوم والذي أفضى في نهاية الأمر الى نسيان الاولى والاصلية وابراز الثانية، هو الخلط الذي حصل بين "أفراتة" التي تعني لغةً: "الكثيرة الثمار"، والتي هي اصلاً مرادف لبيت لحم الجليل، وبين افرائيم (السبط) التي تعني لغةً: الكثيرة الثمار ايضاً، والتي هي الى الشمال القريب من أورشليم. في الأصل وفي نصوص "التكوين"، كما رأينا، بيت لحم هي "أفراتة"، وافراتة هي بيت لحم. الواحدة مرادف للثانية. هذا كان ايام يعقوب اب الاسباط، إذاً قبل الاسباط. وفيما بعد، وبعد العودة من مصر والاقامة في ارض كنعان، اقام سبط افرائيم في الارض القريبة من اورشليم الى الشمال. وبما ان افرائيم، مثل أفراتة، يعني "الكثيرة الثمار"، فقد حصل التركيز على افرائيم القريبة من اورشليم فسميت "أفراتة" ودخلت افراتة الشمال طي النسيان مع مرور الايام، لأنها في ارض "الامم" في "جليل الامم". وبما ان قبر راحيل هو دوماً، في نصوص الكتاب نفسها، قرب افراتة، كما راينا آنفاً، فقد نقلوا قبر راحيل من قرب افراتة (أي بيت لحم) في الجليل وجعلوه قرب أفراتة (أي قرب افرائيم) في جوار اورشليم...! ولكن الغرابة في الأمر والتي قادت حتماً الى تناقض تاريخي وجغرافي فاضح جداً هو أنه ليس هناك – لا في الماضي ولا في الحاضر ولا في المستقبل – شيء اسمه بيت لحم على مقربة من اورشليم الى الشمال، لا قبل سبط إفرائيم، ولا في أيام سبط إفرائيم ولا بعد زوال سبط إفرائيم! انها، في

الواقع، فضيحة تاريخية صارخة! (راجع جميع الخرائط عن فلسطين والجليل واليهودية وإفرائيم واورشليم، المخطوطة والمطبوعة وبجميع لغات العالم، القديمة والحديثة...).

ونحن لا نعلم، حتى اليوم، كيف ظل هذا التناقض الصارخ تناقضاً صارخاً طوال قرون عديدة؟ وكيف ولماذا لم تظهر الحقيقة ساطعة، مع انها مرتكزة على اسس وقواعد تاريخية وجغرافية ثابتة ومؤكدة، واكاد اقول ملموسة وحسيّة على الأرض؟ أمر واحد فقط، لا غير، قد يفسّر هذا التناقض ويجيب على هذه الأسئلة. انه التلهّف الأعمى الذي تقوده الأفكار المسبقة، الذي دفع ويدفع المسيحيين المُتَهَوِّدِين الى ربط المسيح وكل ما له علاقة بالمسيح من بعيد او قريب، الى ربطه باليهود، بتاريخ اليهود، بأرض اليهود... حتى يكاد المسيح يصبح يهودياً اكثر من اليهود أنفسهم بكثير... لقد حان الوقت لنهاية هذه الخديعة التاريخية الكبرى! لأنها لا تستند الى أي اساس تاريخي جغرافي علمي موضوعي مجرّد. إنها الأفكار المسبقة... ولا مجال، في هذا العصر، للأفكار المسبقة. انه عصر الحقائق الساطعة الصارخة والصاعقة!.

واذا عدنا الى "أفراتة" يتبين لنا بوضوح تام ان اليهود عندما نقلوا قبر راحيل من قرب بيت لحم الشمال ووضعوه قرب "أفراتة" أي سبط افرائيم، شمال اورشليم، لم تكن بيت لحم اليهودية، جنوبي اورشليم، المعروفة اليوم، لم تكن قد انشئت بعد، والاّ لكانوا نقلوا اليها قبر راحيل، لأنها هي أي بيت لحم التي تدعى "أفراتة"، كما ينص الكتاب المقدس نفسه. والبرهان على ذلك انه عندما انشئت بيت لحم اليهودية، بعد مئات من السنين، نقلوا قبر راحيل، مرة ثانية، من شمال اورشليم وجعلوه بقرب بيت لحم الجديدة، كما هو ظاهر للعيان في يومنا هذا!!

واكثر من ذلك، وزيادة في التوضيح، توضيح الحقائق التاريخية والجغرافية والعلميّة المجرّدة، نقول بأن بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم، لم تسَمَّ ابداً "بيت لحم أفراتة"، منذ تأسيسها، ولا في أيام المسيح، ولا حتى كتابة الانجيل بحسب متى. ذلك لأن متى، والأصحّ نسّاخ متى، هم الذين حذفوا عبارة "أفراتة" من نبوءة ميخا 5: 1 القائلة: "وانت يا بيت لحم أفراتة، انك أصغر عشائر يهوذا ولكن منك يخرج لي من يكون متسلطاً على اسرائيل...". حذفوها واستبدلوها بعبارة "أرض يهوذا"، وهذه العبارة غير موجودة في النص الأصلي. فلو كانت بيت لحم اليهودية، في ايام متى ونسّاخه، تسمّى بيت لحم "أفراتة"، لما اضطروا الى حذف عبارة "أفراتة"، ولما كانوا وقعوا وأوقعونا معهم طيلة الفي سنة في هذا التناقض التاريخي والجغرافي الغريب. وهم اضطروا، كما قلنا، الى حذف عبارة "أفراتة" الملاصقة دوماً لعبارة بيت لحم، لأنهم لو لم يحذفوها، لكان من الواضح

تماماً ان المسيح ولد في بيت لحم الشمالية بين "الأمم"... "بين الوثنيين".. لأن عبارة "بيت لحم أفراتة" تعني بشكل محدّد وقاطع: بيت لحم "الأمم" في الشمال. وفي الحقيقة، إن المسيح ولد في بيت لحم "أفراتة". (راجع شارل بيرّو "أحداث طفولة يسوع"، ص 31، وايضاً: يشوع 19: 15، ميخا 5: 1، متى 2: 65).

وفي دراسة حديثة جداً، يوضح العالم جاك بريانو، مدير فرع العلوم الدينية في المعهد الكاثوليكي في باريس، يوضح قضية "أفراتة" هذه، في مقالة منشورة في: مجلّة "عالم البيبليا" بالفرنسية، المجلّة المختصة بالكتاب المقدس، عدد ممتاز عن بيت لحم: "بيت لحم مدينة مشيحانية"، عدد اوكتوبر، 1983. وخلاصة المقالة يتطابق مع كلامنا هذا عن أفراتة.

تحديد موقع بيت لحم الحقيقية

بيت لحم أفراتة – بالنسبة الى موقع قبر راحيل

جاء في سفر التكوين (35: 16-20) ما يلي: "ثم رحلوا (يعقوب والقوم الذين معه) من بيت إيل. وبينما هم على مسافة من افراتة، ولدت راحيل وعسرت ولادتها. فلما عسرت ولادتها، قالت لها القابلة: لا تخافي، فإن هذا ايضاً ابن لك. وكان قبل ان تفيض نفسها، لأنها ماتت، قد سمّته "بن أوني". وأما ابوه فسمّاه بنيامين. وماتت راحيل ودفنت في طريق أفراتة وهي بيت لحم. ونصب يعقوب نصباً على قبرها، وهو نصب قبر راحيل الى اليوم...". (نحن نكرّر بعض النصوص الكتابية، عن قصد، زيادة في التوضيح، بالنسبة الى خطورة الموضوع).

يظهر بوضوح في هذا النصّ القديم في سفر التكوين، الترابط التام بين مواقع جغرافية ثلاثة: بيت لحم، أفراتة وقبر راحيل. بيت لحم هي هي أفراتة. وقبر راحيل يقع بالقرب من أفراتة بيت لحم، "في طريق أفراتة وهي بيت لحم". وهناك نص آخر في سفر التكوين نفسه (48: 7) يكرّر النص الأول ويؤكد عليه وقد جاء فيه: "أما أنا (يقول يعقوب) ففي عودتي من فدّان ماتت بقربي راحيل في أرض كنعان، في الطريق، على مسافة من افراتة، فدفنتها هناك في طريق أفراتة وهي بيت لحم...". وهنا ايضاً يظهر بوضوح الترابط التام بين المواقع الجغرافية الثلاثة إيّاها: افراتة، بيت لحم، وقبر راحيل. ومرّة أخرى، أفراتة هي هي بيت لحم، وقبر راحيل يقع تحديداً، وبكل دقة، بالقرب من أفراتة بيت لحم.

لقد تحدثنا آنفاً عن أفراتة بيت لحم: عن كل لفظة بمفردها، عن العلاقة بين اللفظتين من النواحي التاريخية والجغرافية. ورأينا ان هذين الاسمين يطلقان دوماً على مسمّىً واحد. أما هنا فنركّز على العلاقة التي تربط افراتة بيت لحم بقبر راحيل بالذات، من حيث تحديد الموقع جغرافياً. إن النصوص الاصلية الاولى، كما هو واضح، تجعل قبر راحيل، من حيث دقة الموقع جغرافياً، بالقرب من افراتة بيت لحم.

وجاء يشوع فيما بعد، وحدّد موقع بيت لحم افراتة في الشمال، في الجليل – جليل الأمم – داخل سبط زبولون (يشوع 19: 15) بشكل دقيق، كما رأينا سابقاً. ومن الثابت والمؤكد، أنه لم يكن هناك على الاطلاق غير بيت لحم الجليل هذه، في سائر اراضي الاسباط. والدليل على ذلك هو ان الآية التي تذكر بيت لحم الأخرى في الجنوب – في اليهودية – وهي الآية 59 من الفصل الخامس عشر من يشوع، هي وحدها آية زائدة مضافة في النص اليوناني (285-246 ق.م.)، ولا

وجود لها في النص العبري الاصلي الأول! أجل! عجيب غريب أمر هذه الآية، هي وحدها مضافة الى النص الأصلي، لأنها تحوي اسم بيت لحم يهوذا؟ والحقيقة أنها أي بيت لحم يهوذا لم تكن موجودة عندما وضع النصّ الأصليّ لكتاب يشوع. (راجع فيما يخص هذه الآية المضافة وحدها الى النص: النسخة الجديدة، سفر يشوع 15: 59، والحاشيتين 5 و8، ص 447). وكما في سفر التكوين هكذا في سفر يشوع: هناك في الجليل مدينة تدعى بيت لحم افراتة، بقربها اقام يعقوب قبراً لامرأته راحيل. وهذه المدينة "بيت لحم افراتة" هي الوحيدة بهذا الاسم في كل اراضي الاسباط. وكان هذا المثلث: "أفراتة، بيت لحم وقبر راحيل" متلازماً دوماً من حيث تحديد الموقع الجغرافي، بكل دقّة ووضوح: قبر راحيل بالقرب من افراتة بيت لحم. وظل الأمر هكذا في سفر القضاة (12: 8-10)، وسفر راعوت (4: 11).

اما في سفر صموئيل الأول (10: 1-2)، فنقرأ ما يلي: "فأخذ صموئيل قارورة الزيت وصبّ على رأسه (رأس شاول) وقبّله وقال له: اما أنّ الربّ قد مسحك قائداً على ميراثه؟ فإذا فارقتني اليوم، تصادف رجلين عند قبر راحيل في حدود بنيامين، في صلصح..."؟ تعلّق النسخة الجديدة على هذا النص فتقول: "لا يُعرف معنى هذه الكلمة ("صلصح"). وأما "الحدود"، فهي الحدود بين بنيامين وافرائيم، من حيث اتى شاول. كما ورد في إرميا (31: 15)، إنه التقليد القديم عن قبر راحيل الذي حدّد مكانه بالقرب من بيت لحم حيث يُرى الى هذا اليوم (راجع تعليق تكوين 35: 19)..." (راجع النسخة الجديدةن سفر صموئيل الأول 10: 1-2، والحاشية رقم 1، ص 538).

إن تحديد موقع قبر راحيل "في حدود بنيامين"، كما جاء في النص، يواجه احتمالين اثنين. فإما ان يكون في حدود سبط بنيامين وسبط افرائيم، كما يقول التقليد اليهودي، واما ان يكون في حدود "مدينة" بنيامين القريبة من افراتة بيت لحم (والمندثرة اليوم). والحقيقة، برأينا، هي في الاحتمال الثاني. والبراهين التاريخية والجغرافية في ما يلي. لقد رأينا ان النصوص الأصلية الأولى تحدد موقع قبر راحيل بالقرب من افراتة بيت لحم، وذلك اكثر من مرة، وبشكل واضح ودقيق: "وماتت راحيل ودفنت في طريق افراتة وهي بيت لحم" (سفر التكوين 35: 19). وفي مكان آخر نقرا ايضاً: "وأمّا أنا (يقول يعقوب اب الاسباط) ففي عودتي من فدّان ماتت بقربي راحيل في ارض كنعان، في الطريق، على مسافة من افراتة، فدفنتها هناك في طريق افراتة وهي بيت لحم..." (التكوين 48: 7). ويشوع بدوره يحدّد موقع بيت لحم في أرض زبولون أي في الجليل عند سفوح الكرمل الجنوبيّة الشرقية، ولا يذكر أي بيت لحم اخرى. فإذا كان قبر راحيل ملازماً دوماً لأفراتة

بيت لحم (بالقرب من افراتة، في طريق افراتة)، واذا كانت افراتة بيت لحم في زبولون، في الجليل، فكيف يمكن ان يكون قبر راحيل في حدود سبط بنيامين، هذه الحدود البعيدة حوالي 10 كلم شمالي اورشليم؟ ولنفرض – على سبيل الافتراض المحض – أن قبر راحيل هو عند حدود سبط بنيامين، على بعد حوالي 10 كلم شمالي اورشليم، فهل يوجد هناك بيت لحم، يا ترى؟ كلا، وهذه حقيقة جغرافية حسيّة. لم يوجد على الاطلاق أي شيء باسم بيت لحم في الشمال القريب من أورشليم. هناك في تاريخ فلسطين محلّتان باسم بيت لحم: الاولى أفراتة بيت لحم المدينة الكنعانية القديمة في الجليل، والثانية قرية بيت لحم يهوذا وهي قرية حديثة العهد جداً بالنسبة الى السابقة، أنشئت في اواخر القرن الرابع او اوائل الثالث ق.م. وهي تبعد حوالي 12 كلم الى الجنوب من اورشليم، الى الجنوب وليس الى الشمال! والغريب حقاً، ان كتبة ما بعد الجلاء، في سعيهم الى تفخيم وتعظيم المثلث اليهودي القومي المعروف: داود، اورشليم، سبط يهوذا، قد أوقعوا انفسهم وأوقعوا الكثيرين من بعدهم في مغالطات تاريخية وجغرافية فاضحة... كان قبر راحيل، كما هو واضح في نصوص التكوين، قرب افراتة بيت لحم. فجعلوه اولاً في حدود بنيامين على بعد 10 كلم الى الشمال من اورشليم. والعجيب حقاً، انهم عادوا وجعلوه من جديد، في فترة لاحقة، الى الجنوب من اورشليم، قرب قرية بيت لحم يهوذا، الحديثة العهد، والتي تبعد حوالي 12 كيلومتر الى الجنوب من اورشليم. وهكذا الى اليوم هناك تقليدان وقبران اثنان لراحيل! الاول شمالي أورشليم والثاني جنوب اورشليم!؟ (راجع النسخة الجديدة، سفر صموئيل الاول 10: 1-2 والحاشية رقم 1، ص 538، وسفر إرميا 31: 15 والحاشية رقم 4، ص 1698). مع أن قبرها الحقيقي هو في الجليل، بالقرب من افراتة بيت لحم كما جاء في نصوص سفر التكوين، وكما كرّرنا ذلك اكثر من مرة، فاذا كان قبرها في الشمال القريب من اورشليم، فأين بيت لحم هناك؟ واذا كان في الجنوب القريب من اورشليم، فكيف يكون ذلك ممكناً ومعقولاً وراحيل ماتت قبل بناء بيت لحم يهوذا باكثر من الف سنة، على الأقل...؟! ان وجود قبر راحيل، كما يُرى اليوم، على بعد حوالي الميل الى الشمال من بيت لحم يهوذا، يناقض تماماً كل النصوص الكتابية وأبسط الحقائق التاريخية والجغرافيّة. مع ان البعض يظن ان هذا القبر هو قبر أرخيلاوس ابن هيرودس الكبير الخ... (راجع كتاب "بيت لحم" (اليهودية) للمؤرخة وعالمة الآثار الايطالية ماريّا تيريزا بتروتزّي – النسخة المصحّحة والمنقّحة 1985، ص 147-150، في باب: قبر راحيل). أما ترجمة "توراة اورشليم"، النسخة الفرنسية، فقد جاءت اكثر وضوحاً من غيرها، فيما يتعلّق بقبر راحيل بالذات. فهي في تعليقها على نص صموئيل

الذي نحن في صدده: "فإذا فارقتني اليوم، تصادف رجلين عند قبر راحيل في حدود بنيامين، في صلصح..."، تقول معلّقة، بالحرف الواحد:

"Ici un mot inexplicable en hébreu – La "frontière" est celle entre Benjamin et Ephraïm, d'où vient Saul. C'est, comme Jérémie 31: 15, <u>la tradition ancienne sur le tombeau de Rachel, qui a été ensuite placé près de Bethléem, où on le montre encore</u>, cf. La glose de Genèse 35: 19". (Bible de jérusalem, 1 Samuel 10:2, Note k,p. 287).

والمترجم هكذا: "هنا كلمة (صلصح) بالعبرية لا يعرف معناها. "الحدود" هي بين بنيامين وأفرائيم، من حيث جاء شاول. إنه، كما في إرميا 31: 15، <u>التقليد القديم عن قبر راحيل، الذي حدّد موقعه فيما بعد قرب بيت لحم (اليهودية) حيث يظهر الى اليوم</u> – راجع تكوين 35: 19 "توراة اورشليم"، صموئيل الاول 10: 2، الحاشية ك، ص 287)!

إن الذي أوقع البعض في الالتباس، حول تحديد موقع قبر راحيل – وبالتالي موقع بيت لحم الحقيقية – والذي قادهم حتى الى التناقض، هو ذلك الربط، غير المبني على الوقائع التاريخية والجغرافية، بين قبر راحيل من جهة، ومدينة الرامة، شمالي اورشليم، من جهة ثانية. بدأ الالتباس في تفسير كلام النبي إرميا: "صوت سمع في الرامة، ندب وبكاء مرّ، راحيل تبكي على بنيها، وقد أبت ان تتعزّى عن بنيها لأنهم زالوا عن الوجود" (سفر إرميا 31: 15 – راجع ايضاً 40: 1). قال إرميا هذا الكلام عند جلاء سكان اورشليم ويهوذا الى بابل... ويقول الكتاب في هذا الموضوع: الكلمة التي كانت الى إرميا من لدن الربّ، بعد ان اطلقه نبوزرادان، رئيس الحرس من الرامة (شمال اورشليم)، حين كان قد أخذه مكبّلاً بالقيود بين جميع مجلوّي اورشليم ويهوذا الذين جلوا الى بابل... (سفر إرميا 40: 1). فالنسخة الجديدة تعلّق على هذا النص فتقول: "لا شك ان مجموعة الروايات عن مصير إرميا لا تخلو من الغموض... فبعد ان نجا في أورشليم (39: 14)، يقال هنا إنه كان في صفوف الاسرى في الرامة..."؟! (النسخة الجديدة، سفر إرميا 40: 1، الحاشية رقم 1، ص 1712-1713). لقد تحدث إرميا عن حزن راحيل أم بني اسرائيل الشمال، وكيف أنها صارت تبكي على أولادها المجلوّين الى بابل... وهكذا فان سبب بكاء ونحيب راحيل هو ذهاب اولادها في الشمال الى الجلاء. غير أنه لا إرميا ولا غيره، ولا نص في الكتاب على الاطلاق يلمح ولو تلميحاً الى ان قبر راحيل هو في الرامة، ولا في أي "رامة" كانت، لأن هناك 5 مدن او قرى بهذا الاسم كما سنرى لاحقاً. بل على العكس، كل النصوص الكتابية القديمة، كما رأينا، تجعل قبر راحيل بالقرب من أفراتة بيت لحم، ولا تلمح

الى أي علاقة بين قبر راحيل والرامة. كل ما في الأمر ان هناك مدينة باسم الرامة في شمال اورشليم، وبأن إرميا كان فيها عندما تحدث عن بكاء راحيل، وبأن هذه هي أم بني اسرائيل الشمال الذين جلوا الى بابل. وهكذا ربط التقليد الشعبي اليهودي بين الرامة القريبة من أورشليم – ولأنها قريبة من أورشليم بالذات – وبين قبر راحيل، مع انه ليس هناك على الاطلاق أي علاقة موضوعية، تاريخية وجغرافية، بين قبر راحيل والرامة. ثم ربط بين بيت لحم اليهودية وبين قبر راحيل، وهذا تناقض فاضح، كما هي الحال في يومنا هذا. ومعروف ان هناك 5 مدن أو قرى باسم الرامة في الجليل وفلسطين، واثنتان منها قريبتان من أفراتة بيت لحم، وبالتالي من قبر راحيل الحقيقي الأصلي الأول... (راجع الخرائط القديمة للجليل وفلسطين)!

-الرامة. لفظة كنعانية أصلاً من جذر "روم" وتعني العالية والمرتفعة. وهكذا في الآرامية والعبريّة. وكان هناك في العهد القديم خمس مدن او قرى في فلسطين والجليل بهذا الاسم:

-1-قرية مبنية على هضبة عالية (من هنا الاسم) في سبط بنيامين على بعد خمسة أميال شمال اورشليم على طريق بيت إيل. كانت مدينة محصّنة على عهد الملكيّة. يقول التقليد – وهذا غير مؤكد – إن اليهود اجتمعوا فيها، ومنها رحلوا الى السبي البابلي. ويقول التقليد ايضاً ان قبر راحيل كان بقربها. ويتحدث إرميا عن "صوت سمع في الرامة، نوح وبكاء مرّ، راحيل تبكي على بنيها، وقد أبت ان تتعزّى عن بنيها، لأنهم زالوا عن الوجود..." (إرميا 31: 15). ومكانها اليوم "الرام".

-2-مدينة ولد فيها صموئيل وأقام بها (سفر صموئيل الاول 7: 17). وفيها مسح شاول ملكاً. تقع بين يافا واللّد. مدينة يوسف الرامي الذي أخذ جسد المسيح ودفنه في قبره. وربما كانت هي رام الله الحالية.

-3-مدينة على حدود سبط أشير (يشوع 19: 29) ويظن ان مكانها اليوم الرامة على مسافة ثلاثة عشر ميلاً جنوب مدينة صور، وهي قريبة بالتالي من أفراتة بيت لحم وقبر راحيل، الى الشمال.

-4-مدينة مسَوّرة في سبط نفتالي (يشوع 19: 36) وهي اليوم الرامة على مسافة خمسة أميال جنوبي غربي صفد. وهي ايضاً قريبة من افراتة بيت لحم وقبر راحيل، الى الشمال الشرقي.

-5-قرية في سبط شمعون في جنوبي فلسطين (يشوع 19: 8). وتسمّى ايضاً راموت الجنوب وبعلة بئر. مع العلم ايضاً ان راموت جلعاد، في عبر الاردن، كانت تسمّى الرامة (2ملوك 8: 28).

خلاصة القول، وضع التقليد اليهودي الحديث قبر راحيل أولاً في الشمال القريب من أورشليم في حدود بنيامين وذلك اثناء الجلاء الى بابل، رابطاً مدينة الرامة في شمالي اورشليم مكان تجمع المنفيين المسَوّقين الى الجلاء، براحيل (وقبرها) لأنها ام بني اسرائيل الشمال هؤلاء المنفيين الى بابل. من هنا جاء قول إرميا: "صوت سمع في الرامة، ندب وبكاء مرّ، راحيل تبكي على بنيها، وقد أبت ان تتعزّى عن بنيها لأنهم زالوا عن الوجود..." (إرميا 31: 15). بقي هذا التقليد اليهودي حول قبر راحيل حتى بناء بيت لحم اليهودية في اواخر القرن الرابع او أوائل القرن الثالث ق.م. وبعد بنائها، استقر التقليد اليهودي من جديد على كون بيت لحم هي الموقع التقليدي الاصيل لقبر راحيل، بناء على النصوص الكتابية القديمة والصريحة. فبعد ان كان قبر راحيل بالقرب من افراتة بيت لحم المدينة الكنعانية في الجليل طوال اكثر من الف سنة، جعله اليهود بالقرب من بيت لحم يهوذا الحديثة العهد. ثم طمسوا كل ذكر لبيت لحم الحقيقية الاصلية الاولى. وعنهم أخذ المسيحيون وغيرهم فنسي العالم بيت لحم الحقيقية الاولى، التي نحاول نحن هنا ان نقيمها من نومها الطويل...!

وفي بداية المسيحيّة، تأثر كتبة العهد الجديد، ومن بعدهم التقليد المسيحي بالتقليد اليهودي الذي كان سائداً عند الميلاد، والذي يربط بيت لحم يهوذا بقبر راحيل... فقد جاء في انجيل متى، في موضوع استشهاد اطفال بيت لحم ما يلي: "فلما رأى هيرودس أن المجوس سخروا منه، استشاط غضباً وأرسل فقتل كل طفل في بيت لحم وجميع اراضيها، من ابن سنتين فما دون ذلك، بحسب الوقت الذي تحقّقه من المجوس. فتم ما قال الرب على لسان النبي إرميا: صوت سمع في الرامة، بكاء ونحيب شديد، راحيل تبكي على بنيها، وقد أبت ان تتعزّى لأنهم زالوا عن الوجود..." (متى 2: 16-18). وتعلّق النسخة الجديدة على نصّ متى هذا فتقول: "ترجمة بتصرّف لنصّ إرميا العبري (31: 15)، مع بعض الاقتباسات من النص اليوناني (الحديث: 285-246 ق.م.). راحيل، أم بني اسرائيل الشمال، تبكي على بنيها المجلوّين. <u>وبيت لحم هي الموقع التقليدي لقبر راحيل</u>. والرامة هي مكان تجمّع المنفيّين المسوّقين الى الجلاء (إرميا 40: 1)". هناك امور محدّدة في تعليق النسخة الجديدة يهمنا ان نركّز عليها لأنها تدعم بشكل مباشر ما نذهب نحن اليه في الموضوع الذي نحن في صدده. اولاً تعترف النسخة بوجود تصرّف ظاهر في ترجمة نصّ إرميا العبري...

ثانياً هناك ايضاً بعض الاقتباسات من النص اليوناني الحديث الذي يحوي هو بدوره تغييرات وإضافات لاحقة...

ثالثاً راحيل هي فعلاً ام بني اسرائيل الشمال – وليس بني اسرائيل الجنوب كي يجعلوا قبرها فيما بعد في الجنوب في بيت لحم اليهودية جنوب اورشليم!
وبالتالي فان جعل قبر راحيل قرب بيت لحم الجنوب هو تزوير فاضح جداً من النواحي التاريخية والجغرافية... إن قبر راحيل، مرّة اخرى، هو قرب أفراتة بيت لحم، كما تقول نصوص التكوين، وقد حددت جغرافية يشوع موقعها بالضبط: في أرض كنعان، في الجليل، والتي اصبحت فيما بعد تابعة لسبط زبولون. وزبولون كما هو معروف كان في الجليل، في السفوح الشرقية لجبل الكرمل...

رابعاً بيت لحم، وليس الرامة، هي الموقع التقليدي لقبر راحيل، وهذا ما يتطابق فعلاً مع النصوص الكتابية الاصلية، بعيداً عن التحويرات والتغييرات والاضافات اللاحقة. غير أن بيت لحم، الموقع التقليدي لقبر راحيل، هي بيت لحم افراتة التي كانت قائمة في الشمال أيام راحيل، وليس بيت لحم الجنوب التي قامت بعد موت راحيل باكثر من الف سنة! وهنا ايضاً التزوير فاضح من النواحي التاريخيّة والجغرافية. ومن الصعب جداً تغطية التزوير الى الابد، مهما كانت الاسباب...

خامساً الرامة هي اذاً مكان تجمع المنفيين، وليس الموقع الحقيقي لقبر راحيل. والرامة هذه هي المدينة القريبة من أورشليم، الى الشمال. ومن المتعذر تماماً ان تحوي قبر راحيل، لأن قبر راحيل ملازم دوماً لبيت لحم أفراتة، وليس هناك بيت لحم افراتة في شمال اورشليم. انها لحقيقة جغرافية ظاهرة حسيّة وملموسة (راجع جميع خرائط فلسطين القديمة والحديثة، المخطوطة والمطبوعة، وبكل اللغات...)!

الفصل الثالث

-بيت لحم الحقيقيّة – الكنعانيّة –
في الجليل (جليل الأمم)

-جليل = جل – إيل. أصل الكلمة "جل" من الجذر السامي المشترك القديم "ج ل ل"، وهكذا في الكنعانية والآرامية – السريانية، وفي العبري القديم (جذر جولاّ). وهي تعني: وعاء، إناء... من هنا كلمة "قلَّة" بالعاميّة اللبنانية القديمة، وهي تعني "جرّة"، فنقول الياليوم "قلّة زيت" مثلاً أي جرّة زيت. (جلّة = قلّة). ومن جهة ثانية، فكلمة "جلّ" بالعاميّة اللبنانية القديمة والتي تعني قطعة صغيرة من الارض الجبلية المزروعة والمسَوّرة، تدل على نوع من الوعاء الطبيعي الذي يحفظ الزرع بداخله... وهناك لفظة أخرى لكلمة "جلّ" من جذر "ج ي ل" السامي القديم وهي تعني: ابتهج، فرح، طرب.

أمّا لفظة "إيل" فهي كنعانية قديمة وتعني الأول (الإله إيل) والاقدم زمناً ومقاماً وأهمية. وقد تعني ايضاً الاعلى والاقوى والاعظم. وهي لقب، منذ آلاف السنين الى اليوم، لإله الكنعانيين – الفينيقيين – اللبنانيّين القدماء. "وإيل" هو، في الحقيقة، الإله العالمي الكونيّ الأوحد، الذي يشكّل أول ظاهرة لوحدانية الله في تاريخ البشر: ديانة التوحيد الأولى! وعمّانوئيل، أي "إيل معنا"، أو الله معنا، هو، بحسب الانجيل نفسه، يسوع المسيح، أي إيل المتجسّد، "الذي صار جسداً وحلّ فينا..." (يوحنا 1: 14).

-جليل. وبناء على ما تقدم تكون كلمة جليل= "جل-إيل" تعني في الأصل، إمّا وعاء او مكان إيل، او فرح وابتهاج إيل. (أو ليس من الغريب حقاً ان يكون هذان المعنيان ينسجمان تماماً مع جو عرس قانا الجليل اللبنانية – في الانجيل – حيث هناك الأوعية والأجاجين من جهة، وأفراح العرس من جهة ثانية...؟!) ومع مرور الأيام أصبحت كلمة جليل تدل على لقب من القاب الإله إيل وتطلق فترة طويلة من الزمن على جنوبي لبنان – لبنان الذي هو أرض الاله إيل، الاولى والاصلية والوحيدة! ثم أصبحت كلمة جليل لقباً من القاب "رجل إيل" أو "كاهن إيل" وممثّله على الارض. ونحن الياليوم، في اللهجة اللبنانية القديمة، نلقّب الكاهن او رجل الدين بـ "الجليل". وبما أن الملك، في الديانات القديمة، كان يعتبر من حيث السلالة والسلطة ممثلاً لإيل، او الله، يطلق عليه حتى اليوم لقب: صاحب الجلالة او جلالة الملك (من جليل). حتى كلمة "عاهل" ايّ الملك الكبير، لها علاقة بإيل الاله اوالملك الأكبر. وقد

تكون تصحيفاً شعبياً لكلمة "وعاء إيل" أي الذي يحوي إيل ويجسّده ويمثله على الارض...

-حدود الجليل. ظهر اسم بلاد الجليل لأول مرة في الكتاب المقدّس، في سفر يشوع، إذ عيّنت مدينة "قادش" الكنعانية الأصل، إحدى مدن الجليل، كملجأ ذي حصانة يأوي اليها القاتل بدون قصد: "وكلّم الرب يشوع قائلاً: خاطب بني اسرائيل وقل لهم افرزوا لكم مدن الملجأ حتى يهرب اليها كل قاتل قتل نفساً سهواً بغير قصد فتكون لكم ملجأً من ولي الدم... فقدّسوا قادش في الجليل في جبل نفتالي..." (سفر يشوع 20: 1-7). وقادش في الجليل لا تزال تعرف بهذا الاسم حتى يومنا هذا، وتقع شمالي غربي بحيرة الحولة غير بعيدة عن بنت جبيل وعيترون. ثم ورد اسم أرض الجليل في سفر الملوك الأول (9: 11) وفي غير ذلك من النصوص الكتابية.

وفي زمن السيد المسيح كان الجليل يمتدّ حسب المؤرخ يوسيفوس (37م – 100م) من حدود عكّا والكرمل جنوبا حتى صور ومنطقتها شمالاً، ومن الاردن شرقاً حتى السهل الساحلي غرباً. وبعبارة أوضح، وبحسب الخرائط الجغرافية – كان يحدّ الجليل من الشمال نهرالليطاني، ومن الشرق نهر الاردن وبحيرة الحولة وبحيرة طبريا، ومن الجنوب بلاد السامرة، ومن الغرب شاطئ البحر المتوسط – بحر فينيقية قديماً – الممتد من مصبّ الليطاني في الشمال الى الكرمل وسهل شارون ومدينة دورا في الجنوب. وكان الجليل يقسم الى الجليل الأعلى والجليل الاسفل. والحدّ الفاصل بينهما يمتدّ من عكّا غرباً حتى الطرف الشمالي لبحيرة طبريا (او بحر الجليل).

-طبيعته، موارده وسكّانه في زمن المسيح. الجليل منطقة جبليّة هي امتداد طبيعي لجبال لبنان (راجع المقالة عن "الجليل" في "قاموس الكتاب المقدس"، بالفرنسية، للمؤرخ ا. لوجاندر، الجزء الثالث، باريس 1903، عمود 89). وهكذا اعتبره جميع المؤرخين والجغرافيين قديماً: ارضاً فينيقية – لبنانية. فياقوت الحموي كبير جغرافيّي المنطقة ومرجعهم جميعاً يقول بالحرف الواحد: "وصفد مدينة في جبال عاملة المطلّة على حمص بالشام وهي من جبال لبنان..." (معجم البلدان، المجلّد الثالث، ص 12، بيروت، 1957). وصفد الباقية الى اليوم في فلسطين على بعد حوالي 15 كيلومتر من الحدود اللبنانية، جنوب بلدة عيطرون اللبنانية. وهناك في أقصى الجنوب اللبناني قرية قديمة تسمّى صفد البطّيخ. الجليل الشمالي أعلى بجباله من الجليل الجنوبي، لذلك سمّي الأول الأعلى والثاني الأسفل. ومن قمم الجليل الأعلى او الشمالي جبل أداثر وارتفاعه فوق سطح البحر 1025م، وجبل الجرمق وارتفاعه 1200م، وجبل زبود 1120،وتل بلاط، جنوبي صور 750، وترشيحا 640. أمّا الجليل الاسفل او الجنوبي – واليوم في ارض فلسطين... - فأعلى قممه

جبل القمّانة (570م)، ويليه جبل طابور، او الطور، شرقي الناصرة (560م) فجبل ترعان (550م). ويتخلّل هذه الجبال والتلال بعض السهول الصغيرة والوديان الخصبة والأنهر الصغيرة. والجليل يستمد خصبه من ارتباطه الطبيعي بلبنان... (القاموس نفسه، عمود 90). وبسبب هذا الاتصال بلبنان يتفوّق الجليل على السامرة واليهودية والمناطق المحيطة من حيث كثرة الينابيع والجنائن والبساتين ووفرة المحاصيل الزراعية على أنواعها. هكذا كان الجليل في ايام السيّد المسيح وفي القرن الأول بعده حسبما يتضح لنا من وصف المؤرّخ يوسيفوس نفسه: "أرضهم (يقصد الجليليّين) ثرية في كل أجزائها، وافرة الثمار وخصبة بالاشجار والمزروعات من كل نوع. وهذا يحمل سكانها على اتقان حراثتها لوفرة محاصيلها وجودة غلاّتها. ومن ثمّ كلّ أجزائها مستوفية كل شروط العناية والحراثة والاتقان من قبل الأهالي، وليس فيها أي جزء مهمل. ومدن الجليل كثيفة السكان من كل جنس ولون... وقراه في كل بقعة تغصّ بالسكان بسبب خصب الارض. ويزيد سكان اصغر القرى في الجليل على 15 ألفاً من السكان..." (يوسيفوس المؤرخ، "الأعمال الكاملة"، بالانكليزية، نيويورك، 1821، المجلّد الثاني، ص 286)! والكتاب المقدس نفسه أشار الى هذا الخصب في الجليل في عدة مواضع. فيعقوب يقول، في سفر التكوين (49: 20): "سبط أشير (القسم الشمالي الغربي من الجليل) طعامه طيب ودسم، وهو يعطي بسخاء مآكل الملوك الفاخرة..." وموسى من بعده يقول في سفر تثنية الاشتراع (33: 23-24): "يا سبط نفتالي انك تشبع من الرضوان والخيرات وتمتلئ من بركة الرب وترث الغرب والجنوب". وعن أشير يقول (33: 24): "ليكن أشير مباركاً بين البنين ومفضّلاً بين إخوته وفي الزيت يغمس رجليه...".

إن خصوبة الجليل وتنوّع مناخه ونشاط أهاليه استتبعت كثافة السكان في زمن المسيح. فيوسيفوس المؤرخ الذي ولد في السنة 37م يقول: "كان في الجليل وحده مائتان وأربعون مدينة وقرية" ("الأعمال الكاملة" ص 527)! من هذه المدن طبريّة على شاطئ البحيرة المعروفة بهذا الاسم والتي كانت تغصّ في ايام المسيح بسفن الصيد، وكفرناحوم ومجدلا وكورزين وبيت صيدا ونائين وجسكالا (الجش اليوم) وميرون (مارون الراس في الجنوب اللبناني اليوم) وقادش وقانا الجليل اللبنانية – قانا الانجيل – على بعد حوالي 12 كلم الى الجنوب الشرقي من مدينة صور...

-التركيب الإتني للجليل

في العهد الكنعاني – الفينيقي كان الجليل عامراً جداً. فالكتاب المقدس يذكر 70 من مدنه الهامة (راجع سفر يشوع 19: 10-40). وهذا يقودنا الى البحث في تركيب الجليل من الناحية الاتنية قبل المسيح وفي ايامه. كان الجليل مكتظاً

بالسكان. والكتاب يشير صراحة الى كثافة السكان الكنعانيّين في الجليل في ذلك الوقت. يذكر سفر يشوع 16 مدينة بقراها في القسم من الجليل الاسفل الذي اقام فيه بنو زبولون، و22 مدينة بقراها في الشطر من الجليل الاعلى الذي اقام فيه بنو أشير، و19 مدينة بقراها في القسم من الجليل الاعلى حيث اقام بنو نفتالي.
وعندما اغتصبت قبائل العبران جنوب ارض كنعان، الذي سُمِّيَ فيما بعد فلسطين...، والجليل من هذه الارض، نزح قسم من السكان الاصليّين بني كنعان الى اواسط فينيقية وشمالها، وبقي معظمهم في الجليل وسائر الاراضي التي غزاها اليهود.
وهذا ينطبق ايضاً على فلسطين الجنوبية حيث كان اليبّوسيون (وهم قبيلة كنعانية). وكانت عاصمتهم مدينة يبّوس التي اصبحت تدعى فيما بعد اورشليم.
ويقول سفر القضاة في هذا الصدد: "...وكان الرب مع يهوذا، فامتلكوا الجبل (جبل فلسطين الجنوبية أي اليهودية). اما سكان الوادي فلم يطردوهم لأنهم كانت لهم مركبات من حديد" (إشارة الى التقدم التقني للكنعانيين...). أما اليبّوسيون المقيمون في اورشليم ومنطقتها فلم يطردهم بنو بنيامين، فأقام اليبّوسيون مع بني بنيامين باورشليم الى هذا اليوم... ومنسّى لم يطردوا اهل بيت شان وتوابعها ودور وتوابعها وتعناك وتوابعها ويبلعام وتوابعها ومجدّو (القريبة من بيت لحم الجليل) وتوابعها... فَعَوَّل الكنعانيون ان يستقروا في تلك الارض... وأفرائيم لم يطردوا الكنعانيين المقيمين بجازر، فبقي الكنعانيون فيما بينهم في جازر. وزبولون لم يطردوا سكان قطرون ونهلول، فبقي الكنعانيون فيما بينهم يؤدون الجزية... وأشير لم يطردوا أهل عكا وصيدون والزيب وحلته وأفيق ورحوب. فأقام الاشيريون <u>فيما بين الكنعانيين اهل الارض الاصليين</u> لأنهم لم يطردوهم. ونفتالي لم يطردوا أهل بيت شمس وبيت عناة، ولكن اقاموا بين الكنعانيين اهل الارض الاصليين..." (سفر القضاة 1: 19-36).
وهكذا اختلط العبرانيون بالكنعانيين وتأثروا بهم في جميع المجالات، كما تقول اسفار العهد القديم نفسها. فسفر القضاة يقول مثلاً: "أقام بنو اسرائيل بين الكنعانيين والحثيين والاموريين والفرزيين والحويّين واليبّوسيين (وكل هؤلاء عشائر كنعانية) واتخذوا بناتهم زوجات لهم وأعطوا بناتهم بنيهم وعبدوا آلهتهم. وفعل بنو اسرائيل الشرّ في عينيّ الرب ونسوا الربَّ إلههم وعبدوا البعليم والعشتروت" (أي آلهة الكنعانيين والفينيقيين)... (سفر القضاة 3: 5-7). لم يقتصر اذاً اختلاط العبرانيين بالكنعانيين في الجليل وفلسطين على الاختلاط المادي الديموغرافي ولكن تجاوزه الى التزاوج، وخضع اليهود للتأثير الكنعاني في المجالات الثقافية والعمرانية والحضارية والدينية. وعهد ذاك، كانت في الواقع ارض كنعان – فينيقية (لبنان القديم) أكثر الاراضي تقدماً وعمراناً وتجارة وثقافة وحضارة. وكانت صور، العاصمة العظيمة، بمثابة عاصمة للعالم أجمع، بدون منازع، وذلك بشهادة جميع المؤرخين القدماء وانبياء اليهود انفسهم. وهذه حقيقة تاريخية ساطعة وصارخة. غير ان البعض،

وخاصة اليهود، حاول أن يطمس هذه الحقيقة عن قصد أوعن جهل موروث...
فلتراجع، على الأقل، اقوال الانبياء الكبار في عظمة صور وصيدا مثلاً، في الكتاب المقدس نفسه (سفر اشعيا الفصلان 23-24 حزقيال الفصلان 27-28 وغيرها...). ونكتفي هنا، وعلى سبيل المثال، ببعض المقاطع المعبّرة من سفر حزقيال (27: 3-27 و32-33؛ 28: 1-5 و11-15):

"قُلْ لصور الساكنة عند مداخل البحر، تاجرة الشعوب في جزر كثيرة: هكذا قال السيّد الربّ: يا صور إنك قلتِ: انا كاملة الجمال. حدودك في قلب البحار، وبانوك أكملوا جمالك. بسَرو من سنير (الاسم الاموري لجبل حرمون) بنوا لك كل الواحك، وأخذوا أرزة من لبنان ليصنعوا سارية عليك. صنعوا مجاذيفك من بلّوط باشان، ومتنك من عاج مرصّع في الشربين من جزر كتّيم. الكتّان الناعم الموشّى من مصر كان شراعك ليكون راية لك. والبرفير البنفسجي والارجوان من جزر اليسّة كانا غطاءك. سكّان صيدون وأرواد كانوا قذّافين لك، وحكماؤك يا صور الذين فيك هم بحّارتك. شيوخ جبل (بيبلوس – جبيل) وحكماؤك كانوا فيك جلافطة (الذي يسدّون حزوز السفن) لصدوعك، وجميع سفن البحر وملاّحوها كانوا فيك لترويج بضائعك.. فارس ولود وفوط كانوا في جيشك رجال حربك، وعلّقوا فيك الترس والخوذة، هم أفادوك بهاءً. بنو أرواد مع جيشك كانوا على اسوارك من حولك، والجمّادون (سكان مدينة فينيقية مجهولة) كانوا في بروجِك وعلّقوا تروسهم على اسوارك من حولك. هم اكملوا جمالك. كانت ترشيش تتاجر معك لوفرة كل غنىً، فكانت تقايض سلعك بالفضّة والحديد والقصدير والرصاص. يا وان وتوبل وما شك كانت تتاجر معك، فتقايض بضائعك بالعبير وآنية النحاس. وكان بيت توجرمة (في أرمينيا) يقايض سلعك بالخيل والجياد والبغال. وكان الرودنيم يتاجرون معك، وكانت جزر كثيرة من زبائنك، فكانت تسلّمك قرون العاج والابنوس قياضاً لك. وكانت آرام تتاجر معك لوفرة مصنوعاتك، فكانت تقايض سلعك بالبهرمان والأرجوان والوشي والكتّان والمرجان والياقوت. وكان يهوذا وارض اسرائيل تتاجر معك، فتقايض بضائعك بحنطة منّيت والدخن والعسل والزيت والبلسان. وكانت دمشق تتاجر معك لوفرة مصنوعاتك، لوفرة كل غنى، وتزودك بخمر حلبون وبالصوف الابيض. وكانت ويدان وياوان تقايضان سلعك من اوزال بالحديد المطرّق والسليخة وقصب الذريرة. وكانت ددان تتاجر معك بالنمارق للركوب. وكان العرب وجميع رؤساء قيدار من زبائنك، فكانوا يتاجرون معك بالحملان والكباش والتيوس. وكان تجار شبأ ورعمة يتاجرون معك، فيقايضون سلعك بأفضل كل طيب وبكل حجر كريم وبالذهب. وكان حاران وكنّة وعادان وتجار شبأ وأشور وكلمد يتاجرون معك، يتاجرون معك بالثياب الفاخرة وبأردية من البرفير البنفسجي والوشي وبالبسط الملوّنة والحبال المفتولة بإحكام، يزوّدون بها اسواقك. وكانت سفن ترشيش ناقلة بضائعك... لقد امتلأت وثقل حملك في قلب البحار... من كان شبيهاً بصور في وسط

البحر؟ بإنزال سلعك من البحار أشبعت شعوباً كثيرة. وبوفرة أموالك وبضائعك أغنيت ملوك الأرض"...! وعن ملك صور العظيمة، يتابع النبي حزقيال فيقول: "وقلْ له، هكذا قال السيد الرب: انت خاتم الكمال، ممتلئ حكمة وكامل جمالاً. كنت في عدن، جنة الله (أي جبل لبنان)، وكان كل حجر كريم كساءً لك، من الياقوت الأحمر والياقوت الأصفر والماس والزبرجد والجزع واليشب واللازورد والبهرمان والزمرّد، وصنع دفوفك ومزاميرك من ذهب، هيّئتْ يوم خُلِقْتَ. كنت كَروباً منبسطاً مظلّلاً. أقمتك في جبل الله المقدس (جبل لبنان)، وتمشّيت في وسط حجارة النار. كامل انت في طرقك من يوم خلقت الى ان وجد فيك إثم الخ..".

كانت التجمعات اليهودية في الجليل جزراً صغيرة في محيط كنعاني كبير. واستمر الوضع كذلك حتى الاحتلال الاشوري للجليل في القرن الثامن قبل الميلاد. وبسبب هذا الاحتلال زاد كثيراً العنصر الكنعاني بالنسبة الى الاسرائيلي لأن ملكَي الأشوريين تغلات فلآسر الثالث (747-728) وابنه شلمنآصر (730-716) اجتاحا مملكة اسرائيل أي الجليل والسامرة، ونفيا عدداً كبيراً من اليهود الى ارض بابل كما هو معروف، ولم يتعرّضا للكنعانيين. ويشير سفر الملوك الثاني (15: 29) الى هذه الاحداث فيقول: "وفي ايام فاقح ملك اسرائيل، جاء تغلات فلآسر، ملك اشور، وأخذ عيّون وآبل بيت معكة ويانوح قادش وحاصور، وجلعاد والجليل وجميع ارض نفتالي، وجلاهم الى أشّور...". ويقول ايضاً: "وصعد ملك أشّور (شلمنآصر) على تلك الأرض كلها، وصعد الى السامرة وحاصرها ثلاث سنوات. وفي السنة التاسعة لهوشع (ملك اسرائيل – أي الجليل والسامرة) استولى ملك أشور على السامرة، وجلا اسرائيل الى اشور، وأسكنهم في حلاح وعلى الخابور، نهر جوزان (بالقرب من حاران، في الشمال الاقصى لبلاد ما بين النهرين)، وفي مدن ميديا... (شرقي بلاد ما بين النهرين)... وأتى ملك أشور بقوم من بابل وكوت وعوّا وحماة وسفروائيم، وأسكنهم في مدن السامرة مكان بني اسرائيل، فاحتلوا السامرة وسكنوا مدنها..." (سفر الملوك الثاني 17: 5-6، 24). وفي هذه الاثناء كانت منطقة الجليل تحوي، بالاضافة الى الكنعانيين، العنصر الأكثر إصالة وعدداً، الكثير من الجاليات الشرقية التي وجدت في كنف ارض كنعان المتقدمة حضارياً ملاذاً مثالياً للحفاظ على حريتها وعقائدها وخصائصها...

عاد اليهود من سبي بابل في عهد قورش الكبير ملك الفرس (558-528ق.م.). وغالبية المجلوّين العائدين رجعوا الى ارض يهوذا في الجنوب، وعاد قسم قليل منهم الى الجليل. وفي عهد الاشمونيّين (166-134ق.م.) كان عدد اليهود في الجليل ضئيلاً بالنسبة الى الكنعانيين وسائر المجموعات الشرقية الأخرى. وفي هذه الفترة حصلت مناوشات بين الكنعانيين واليهود. وبسبب ذلك ارسل هؤلاء يطلبون الحماية من القائد يهوذا المكابي في أرض اليهودية (220-160ق.م.)، متذرّعين بأن سكان

صور وصيدا وعكا وسائر جليل الأمم تجمعوا ضدّهم ليهلكوهم... تجاوب يهوذا المكابي وأرسل أخاه سمعان على رأس ثلاثة آلاف مقاتل، وبعد معارك عنيفة بين الكنعانيين واليهود في الجليل انسحب سمعان المكابي من الجليل الى اليهودية مصطحباً معه كل يهود الجليل مع نسائهم وأطفالهم وما أمكنهم حمله. وفي هذا المجال، يقول سفر المكابيّين الأول (5: 14-23) ما يلي: "... وبينما كان اليهود يقرأون الكتاب، إذا برسل آخرين قد وفدوا من الجليل وثيابهم ممزّقة وأخبروا بمثل ذلك قائلين: لقد اجتمع علينا من بطوليمايس (عكا اليوم) وصور وصيدا وكل جليل الامم ليبيدونا... فقال يهوذا لسمعان أخيه: إختر لك رجالاً وانطلق وساعد إخوتك الذين في الجليل... فانقسمت الرجال ثلاثة آلاف مع سمعان ينطلقون الى الجليل، وثمانية آلاف مع يهوذا الى أرض جلعاد. وانطلق سمعان المكابي الى الجليل وناصب الامم حروباً كثيرة... وأخذ الذين في الجليل (اليهود) وعربات مع النساء والاولاد، كل ما كان لهم وجاء بهم الى اليهودية بسرور عظيم...".

وهكذا في أواسط القرن الثاني قبل الميلاد، فرغت بلاد الجليل اذاً تماماً من اليهود. ولم يعد يبقى فيها سوى الكنعانيين، سكان الارض الاصليين، مع بعض الجماعات الشرقية الاخرى. فحصل نوع من الفرز السكاني في تلك المنطقة: جليل الامم في الشمال، السامرة في الوسط، واليهودية في الجنوب. وفي الواقع، عند عودة اليهود من سبي بابل في اواسط القرن السادس ق.م.، سكنت أغلبيتهم في ارض يهوذا في الجنوب، عاملين على إعادة هيكلهم في اورشليم، وعلى إعادة كتابة اسفارهم القديمة... وعلى ترسيخ عاداتهم وطقوسهم. أما السامرة، فقد رأينا أن ملك أشور اتى بقوم من بعض مدن بلاد أشور "وأسكنهم في مدن السامرة مكان بني اسرائيل، فاحتلوا السامرة وسكنوا مدنها...". أما الجليل، تلك المنطقة الكنعانية القديمة المرتبطة بإيل، إله الكنعانيين، فقد دعيت "جليل الأمم" – من قبل اليهود أنفسهم – وذلك لأنها كانت تضم "الامم الغريبة" "الغويم" – أي غير اليهود. والحقيقة إن أول تسمية "لجليل الأمم" جاءت على لسان اشعيا النبي (759-690ق.م.) (راجع سفر اشعيا 9: 1) وظلت تسمية "جليل الأمم" تطلق علىالجليل حتى أواخر القرن الأول بعد المسيح. وكان الجليل، في الواقع، قبيل مجيء المسيح وفي أيامه، خليطاً من "الأمم" والشعوب والأجناس، ومزيجاً من الحضارات والديانات والعقائد والمذاهب الروحية والفلسفية، على أنواعها... كان هناك اولاً السكان الاصليون – الكنعانيون الفينيقيون – الذين كانوا يشكلون العنصر الاكثر عدداً والابرز في جميع المجالات. وكان يساكنهم، في الجليل خاصة، مجموعات إتنية مختلفة، من الشرق والغرب، لها لغاتها الخاصة وتراثها وديانتها وطقوسها ومدارسها. كان هناك اشوريون وبابليون وفرس وماديون وآراميون وسريان وعرب ويونان ورومان وغيرهم... وفي الحقيقة، كان جليل الأمم نوعاً من المصهر والبوتقة للتفاعل الانساني في مجالات

الفكر والحضارة والدين. وكانت "الروح الكنعانية" عامل تقارب وتوفيق وتوحيد بين جميع هذه العناصر البشرية. وكان من الطبيعي ان تكون هذه البوتقة الموحَّدة والموحِّدة المهد والبيئة الحاضنة لمجيء المسيح – هو "انتظار الشعوب" – الذي اتى لا لينقض بل ليكمّل. وهل يعقل اصلاً ان ياتي المسيح من بيئة ضيّقة وقومية متقوقعة شعارها العنصرية والتعصّب العرقي والديني، كالبيئة اليهودية مثلاً؟ كلا! المسيح جليلي بكل معنى الكلمة، وبجميع أبعادها... وهكذا لقّبته الاناجيل نفسها!

-البنية الحضارية للجليل. إن الأمر البالغ الاهمية، والذي طمسته الأيام عن قصد أو جهل، والذي نحاول ان نركّز عليه هنا، هو ان الطابع الكنعاني-الفينيقي كان المسيطر في الجليل من النواحي الانسانية كافة: الاتنية والثقافية والحضارية والدينية. لقد تعايش الكنعانيون مع الشعوب الشرقية القديمة قبل دخول اليهود جنوب ارض كنعان. وعندما دخلوا هذه الارض، وهم قبائل شبه بدائية، وجدوا شعباً متقدماً في العمران والحضارة. فتغلّبت هذه الحضارة علىاليهود ونفذت الى صميم مجتمعهم وطبعته بطابعها الى حد بعيد. والدليل على ذلك ان الملك سليمان في أوج مجده لم يجد بداً من الاستعانة بالكنعانيّين لبناء هيكله الشهير وقصوره، وزخرفتها وتزيينها، وتدريب اليهود على مختلف انواع المهن والعلوم والفنون والصناعات وعلى التجارة، والرحلات البحرية وغيرها. وكان التأثير الكنعاني على اليهود قوياً وعميقاً خاصة في المجال الديني والثقافي والادبي.

ولما استقرّ اليهود في جنوب ارض كنعان – فلسطين – اخذوا عن الكنعانيين لغتهم. فاللّغة العبرانية القديمة لهجة من لهجات اللغة الكنعانية التي كانت شائعة في فلسطين والجليل عند دخول اليهود الى تلك البلاد. وفي هذه اللهجة كتبت اسفار "البيبليا" أي الكتاب المقدس (العهد القديم). ويؤكد العلماء اليوم، بعد اكتشاف نصوص أوغاريت – راس شمرا –والآثار الفينيقية، ان العديد من اسفار الكتاب المقدس، وخصوصاً التكوين والمزامير ونشيد الاناشيد والامثال والجامعة والحكمة، متأثرة الى حدّ بعيد بالافكار والآداب الكنعانية. فالعبرانيون وملوكهم كداود وسليمان وأنبياؤهم وكُتّابُهم وُجدوا في زمن كانت فيه الحضارة الكنعانية بلاهوتها وآدابها وفنونها مسيطرة في البيئة التي عاش فيها بنو اسرائيل في الجليل وفلسطين. فتأثر هؤلاء بالحضارة الكنعانية في كل مناحي حياتهم وفي كتابة الاسفار المقدسة. ويؤكد اليوم العديد من العلماء أن بعض الاسفار المقدسة وضعها مؤلفون مقيمون في حاضرات ومدن واوساط كنعانية – فينيقية في الجليل وفينيقية، وأن بعض أقسام الكتاب المقدس ما هي الاّ تكييف لتآليف كنعانية قديمة... (هـ. أ. دل ميديكو "التوراة الكنعانية"، ص 7-9؛ مجلة "بيبليكا" 5-33، 1952 ص 30-52؛ 5-34، 1953، ص 81-90). فهل كان "نشيد الاناشيد" مثلاً، الذي نسبه اليهود ومن بعدهم المسيحيون الى الملك سليمان، غير مجموعة مختارة من الاناشيد اللبنانية

القديمة التي كانت تغنيها جوقات خاصة، من المنشدين والمنشدات، في مناسبات الاعراس والافراح... (النسخة الجديدة، سفر نشيد الاناشيد – مدخل ص 1378-1380، ص 1381 الحاشية رقم 4، ص 1383 الحاشية رقم 2، ص 1384 الحاشية رقم 3، الخ...). والمزامير المائة والخمسون التي نسبوها كلها الى الملك داود، الم يثبت بشكل تاريخي علمي، أن العديد منها ومن امثالها قد وُضع قبل داود بفترة طويلة، في مدينة اوغاريت – رأس الشمرا – الحاضرة الكنعانية – الفينيقية الشهيرة؟! الخ...

ومن دلائل التأثير الكنعاني على اليهود في المجال اللاهوتي ان أجداد هؤلاء أي ابراهيم واسحق ويعقوب، قد عبدوا "إيل" الاله الكنعاني الشهير، وهذا ما تقوله صراحة اسفار التوراة. واذا تتبعنا اسم الاله في التوراة نجد أنه ورد بعدة أشكال منها "إيل" و"إيل عليّون" و"إيل شدّايْ" و"إيل رائي"... وفيما بعد، وبدءاً بموسى، ترك العبران "إيل"، وأخذ اسم "يهوه" يظهر ويبرز عندهم. وكانت قد دخلت لفظة "إيل" في تراكيب كثير من الاسماء اليهودية. أمثال اسماء الامكنة: فنوئيل، بيت إيل، أريئيل، يزرعئيل، يفتح إيل، واسماء الاعلام: اسرائيل، نتنائيل، جملائيل، دانيال، حزقيال، ايليا، اليشاع، الياقيم، اليعازر، اليشابع، اليصابات... حتى اسماء الملائكة عندهم تنتهي بلفظة إيل: ميخائيل، جبرائيل، روفائيل،... وابناء آدم: قابيل، هابيل... الخ... وأخذ اليهود عن الكنعانيين الكثير من العادات والتقاليد. وقد اختصر ذلك المؤرخ اللبناني فيليب حتي بقوله: "...وبعد ان اقام اليهود في ارض كنعان كان لا بدّ لهم من التحوّل الى شعب زراعي. فاقتبسوا لغة كنعان، والكتابة، ومعهما القواعد والمراسيم الزراعية، ومنها الرقص كما فعل داود أمام تابوت العهد. وعلى ذلك فمع اعتبارهم إلههم "يهوه" كمدبّر لحكومتهم بقيت عقائدهم المتعلّقة بالحياة العادية من زراعية وتجارية مطابقة لعقائد الكنعانيين. وهكذا أصبح "ليهوه" اختصاصات "البعل" الكنعاني خاصة في شمالي البلاد. وكان الآباء يدعون ابناءهم الابكار باسماء تشمل اسم يهوه بينما يختصون التالي باسم يحمل اسم بعل. فإبن شاول هو اشبعل، وابن يونا تام مرّ بعل، وابن داود بعل يا داع (راجع سفر اخبار الايام الاول 8: 33-34؛ 9: 39-40؛ 14: 7). ويكفي أن نذكر ان في مملكة اسرائيل ايام الملك آحاب (875-853ق.م.) لم يجد النبي ايليا سوى سبعة آلاف يهوديّ لم يعبدوا البعل الفينيقي"... (فيليب حتي "تاريخ سوريا"، النسخة الانكليزية، لندن، 1957، ص 203-208). والمؤرّخ نسيب وهيبة الخازن، يوضح من جهته: "ان اليهود أخذوا عن الكنعانيين فضلاً عن الهندسة والفنون المعمارية فنّ الموسيقى وآلاتها كالقيثارة والدفوف والطبل والمزمار والبوق، وكذلك الالحان والاناشيد... وأخذوا العادات البيئية والاجتماعية كالأزياء والملابس والحلى والاواني الزجاجية والفخّارية، والحياكة والخياطة والنسيج والغزل وهلمّ جرّاً..." (نسيب وهيبة الخازن "أوغاريت"، بيروت 1961، ص 39-55، 76-89). واذا كان التأثير الكنعاني شمل اليهود في كل ارجاء

فلسطين بوجه عام فإنه طبع بطابعه خاصة يهود الجليل والمناطق القريبة من ارض فينيقية-لبنان. أما سكان السامرة الواقعة في وسط فلسطين بين الجليل شمالاً واليهودية جنوباً فكانوا من الناحية المذهبية فرقة منشقة عن اليهود، لها هيكلها الخاص فوق جبل جريزيم الذي يرتفع 2850 قدماً فوق سطح البحر و 700 قدم فوق مدينة نابلس. ويقول يوسيفوس المؤرخ إن منسّى أخا يروع رئيس الكهنة تزوّج من ابنة شخص أجنبي يسمّى سنبلط. فأمره شيوخ أورشليم إما ان يطلق امرأته أو انه لن يقترب من المذبح. وفكّر منسّى في طلاقها رغم انها كانت عزيزة عنده، لكن اباها سنبلط وعد صهره انه اذا احتفظ بزوجته ولم يطلّقها فسيبني له هيكلاً ضد هيكل اورشليم. ولقد وفى بوعده وبنى هيكلاً على جبل جريزيم، وكان هذا اصل الهيكل السامري. واذا كان سنبلط هذا هو السامري الذي ذكر في سفر نحميا (4: 1 و13: 28) والذي قاوم اليهود، فيكون تاريخ بناء هيكل جريزيم السامري في العام 432 قبل الميلاد. (قاموس الكتاب المقدس، الطبعة الثانية، 1971، ص 258، العمود الثاني). وقد دمّر هذا الهيكل السامري، محور العبادة والطقوس السامرية، في السنة 129 ق.م. على يد يوحنا هرقانس (134-104) ابن سمعان المكابي اليهودي واول حاكم من سلالة الحشمونيين التي انتهت في العام 63ق.م.، عندما استولى القائد الروماني بومبيوس على مدينة اورشليم...

كان للسامريّين لغتهم وطقوسهم وتقاليدهم وعاداتهم الخاصة. وقد ظلّوا يقدّمون قرابينهم على الجبل حيث كان هيكلهم. ورغم ان السامريين أخذوا عن اليهود شريعة موسى فانهم كانوا دوماً على خلاف معهم. وتمكنت العداوة بينهم فلم يخالط بعضهم بعضاً (إنجيل يوحنا 4: 9). وكان اليهود إذا أرادوا ان يشتموا أحداً يقولون له، كما قالوا فيما بعد للمسيح: "أنت سامريّ" (يوحنا 8: 48). وكان السامريّون يؤذون اليهود اذا مرّوا من عندهم ليذهبوا الى اورشليم (لوقا 9: 51-55). والسامري في نظر اليهود هو مثال الانسان الذي انفصل عن "الشعب المختار"... والذي يخضع للتأثيرات الفاسدة. وهكذا كان العداء مستحكماً بين اليهود والسامريّين، ولم يكن اليهود يسمحون باي علاقة دينية او اجتماعية مع السامريّين. وفي عام 6ق.م. ألقى بعض السامريّين عظاماً نجسة في هيكل اورشليم، فصار اليهودي يستنكر من ان ينجّس شفتيه بنطق كلمة "سامري". وهكذا كان يحسب طعام السامري نجساً كلحم الخنزير...

وفي زمن المسيح لم تكن عقائد السامريّين اللاهوتية تختلف عن عقائد اليهود، وخصوصاً عقائد الصدّوقيّين منهم وكانوا مثل اليهود ينتظرون "المسيّا" أي المسيح، على انهم لم يقبلوا من العهد القديم الا اسفار موسى، أي الاسفار الخمسة الاولى. وهم يفاخرون الى اليوم بأن في حوزتهم نسخاً قديمة جداً من هذه الاسفار باللّغة العبرانية. وقد قبل السامريون رسالة المسيح بعد ان رأوا الآيات

العظيمة على يد فيلبّس (أعمال الرسل 8: 4-8، 26-40). وفي الحقيقة، كانت المرأة السامرية في الانجيل أول انسان بشّر بالمسيح. اجل! أول من بشر بالمسيح كانت "المرأة". وقد بشّرت قومها السامريّين كما جاء في انجيل يوحنا: "..فآمن به (بالمسيح) عدد كثير من سامريّي تلك المدينة (سيخارة) عن كلام المرأة التي كانت تشهد فتقول: إنه قال لي كلّ ما فعلت! فلما وصل اليه السامريّون سألوه ان يقيم عندهم، فأقام هناك يومين. فآمن منهم عدد أكبر كثيراً عن كلامه، وقالوا للمرأة: لا نؤمن الآن عن قولك، فقد سمعناه نحن وعلمنا انه مخلص العالم حقاً..." (إنجيل يوحنا 4: 39-42). والملفت حقاً ان يوحنا ينفرد باستعمال عبارة "مخلّص العالم" التي تشير الى شمولية رسالة المسيح وخلاصه. فلم يقل يوحنا عن المسيح انه "مخلّص اليهود" أو "مخلّص السامريّين"، أو مخلّص كذا وكذا... بل مخلّص العالم. وهو في رسائله يسمّي ايضاً المسيح "مخلّص العالم": "نحن عاينّا ونشهد ان الآب ارسل ابنه مخلصاّ للعالم..." (رسالة يوحنا الاولى 4: 14) الخ...

والسامريّون، رغم تبنّيهم شريعة موسى...، لم ينسجموا يوماً مع اليهود منذ أن كانوا معاً، جنباً الى جنب، على هذه الارض. بل وعندما شاؤوا التنصل من اليهود اثناء اضطهاد أنطيوخس أبيفانوس لليهود في القرن الثاني قبل الميلاد، نجدهم يلقون في أرض فينيقية- لبنان متّسعاً لهم، فينتسبون الى مدينة صيدا التي كانت أوسع صدراً لتقبل الجماعات وصهرها، كما كانت تقبّلت مماثلين لهم في زمن أسر حدّون في القرن السابع قبل الميلاد... ويقول السامريّون في رسالة أرسلوها الى الملك أنطيوخس أبيفانوس (175-164ق.م.) إنهم صيدونيون وإن أجدادهم بنوا فوق جبل جريزيم معبداً يقدّمون فيه الأضاحي بمناسبة الامراض والضيقات والحروب... وقد قبل أنطيوخس مطالبهم فاستثناهم من الاضطهاد الذي قاد، في هذه الفترة، الى ثورة المكابيّين... (راجع يوسف الحوراني "لبنان في قيم تاريخه – العهد الفينيقي"، بيروت 1986، ص 55، 227).

واليوم، لا تزال هناك جماعة قليلة من السامريّين تقيم في مدينة نابلس (شكيم القديمة) وحولها. وهم يصعدون الى جبلهم جريزيم ثلاث مرات في السنة، في عيد الفصح وعيد الاسابيع وعيد المظالّ. وهم يعيّدون الاعياد الموسويّة القديمة، ويذبحون ذبائح دموية في عيد الفصح الخ...

-النزعة "الانسانية العالمية" في جليل الامم. منذ أقدم العصور حتى المسيح كانت أرض كنعان أرض لقاء وتعارف وتفاعل بين الشعوب والحضارات والديانات الشرقية والغربية. وفي فترة لاحقة أصبح "جليل الأمم" – لفظاً ومضموناً – صورة مصغّرة للتفاعل الحضاري والديني بين الشعوب، الذي تعهدته أرض كنعان منذ القدم. وجليل الأمم هو امتداد جغرافي وانساني لكنعان- فينيقية. وكانت مدينتا صور وصيدا المحورَين الرئيسيين لهذا التفاعل الحضاري الفريد، كما يشهد على ذلك التاريخ

المدني وكبار انبياء التوراة أنفسهم. وكانت هاتان المدينتان ومناطقهما تواصلان وتختصران، في زمن المسيح، الدور الكنعاني الفينيقي ذا النزعة الانسانية "العالمية". في هذه البيئة بالذات ولد ونشأ عمل وعلّم يسوع المسيح "فادي الانسان" "ومخلّص العالم". فكان من الطبيعي جداً أن يأتي من بيئة ناضجة ذات نزعة انسانية منفتحة على "عالمية الانسان"، وهو الذي "أتى لا لينقض بل ليكمّل..."، بدل ان يأتي من بيئة قوميّة ضيقة ذات نزعة عنصرية متعصّبة... كالبيئة اليهودية!

هذه البيئة الجليلية، ذات النزعة العالمية، التي ولد ونشأ وبشّر وعاش فيها المسيح – لقد مات فقط في اليهودية – هي امتداد جغرافي طبيعي، تاريخي وحضاري للبيئة الكنعانية المعروفة عبر التاريخ الطويل بنزعتها "الانسانية العالميّة"... فالكنعانيون – الفينيقيون سعوا، من خلال تفاعلهم مع الشعوب، الى تحقيق فكرة "عالمية الانسان"، قبل أثينا وروما والاسكندرية. وجميع ما أنجزوه كان يتطلب الانفتاح والسلام والأمن والثقة بين المتعاملين. ربطوا العالم قبل غيرهم بروح حضارية جديدة، بمواصلاتهم وتجارتهم ومرونتهم وروحهم التوفيقية. ونقلوا، مع سلعهم، الابجدية والمعارف والعلوم والفنون، وعمّموا معها عطاءاتهم واكتشافاتهم وإبداعاتهم. فكان نهجهم منذ البداية النهج التوفيقي بين الشعوب سعياً الى تحقيق "العالمية الانسانية". وفي الواقع، بقيت ارض فينيقية – لبنان ملتقى لجميع الشعوب والثقافات والديانات طوال قرون طويلة. وهذا التلاقي يجعل من هذه الارض "مِصْهَراً انسانياً" "وبوتقة لوحدة البشر"... هكذا كانت هذه الارض، وهكذا هي اليوم من خلال الآلام التي هي بنظرنا آلام مخاضٍ... وهكذا سوف تبقى. هذا دورها، وهذه رسالتها في التاريخ. اجل! منذ البدء كان "لبنان اكثر من وطن.. كان رسالة حضارية وصيغة تعايش انساني-أخوي ونموذجاً ضرورياً للشرق والغرب...". إنه "بوتقة وحدة البشر"!.

في هذه "البيئة العالمية" يصعب التحدث بالتفصيل عن التشكّلات الطقسية للدين حيث تلتقي عدة حضارات فتتمازج شعوبها ودياناتها ومختلف طقوسها. وهذه الصعوبة لا تقف عند العهود التاريخية الغامضة او النادرة الوثائق والمستندات، كالعهود الكنعانية القديمة، بل في أرض فينيقية-لبنان لكل عهد وزمن. فهنا كانت – ولا تزال – معطيات الثقافة وطقوس الاديان تلتقي معاً آتية مع التجارة او حركات الهجرة او موجات الفتح والغزو الحربي، فتتفاعل وتتناضج وتتكامل معاً متّجهة صوب "العالمية"، فتتنقّى بصفاء طبيعة لبنان وتوازن مؤثّراتها واعتدال مناخها. وبعد ان تتكيّف لتصبح موائمة لكل الناس، تتخلّى عن تبعيّتها الضيّقة للظروف والالتزامات الجغرافية والعرقية التي تكون لها قبل وصولها الى مركز الالتقاء والتوافق والتقييم.

والآثار المكتشفة حديثاً في ارض فينيقية – لبنان اخذت تؤكد اكثر فاكثر ان هذه الارض العريقة جداً كانت بالفعل مركز لقاء وتفاعل وتقييم وتأهيل وتوزيع للأفكار والابداعات والاكتشافات والمعتقدات وطقوس القداسة منذ أقدم العصور. ولهذا كان لا بدّ لهذه الأرض المميزة من نهج خاص تتّبعه لقبول الافكار والمعتقدات والطقوس، ولوسم كل ما يصدر عنها من هذه الأرض الى العالم الواسع الذي كانت تمتد اليه علاقاتها التجارية والانسانية. وكان من الطبيعي ان يأتي النهج والسمة اللذان اتبعتهما الذهنيّة اللبنانية ملتزمين "بالفكرة العالمية للانسان"، مع ما لهذه الفكرة من شروط لرفع الانسان فوق العرق والقومية واللغة والمذهب والجنس، ولحمايته من قيود الوراثة وعوامل التعصّب. فقد كانت الظروف الجغرافية والاجتماعية الآسرة، والمتطلّبات العالمية للتحرك الحيوي والتجاري للبنان هي التي فرضت هذا الالتزام ونقّته مع الزمن من كل شائبة تعيق تحقّقه وتحدّ من نموه واتساعه وشموليته...

ولئن كانت بيئة لبنان بوجوهها المختلفة شدّدت على "فكرة عالمية الانسان" وشروطها بدافع من ظروفها وعلائقها الحيوية، فان الفكرة العلمية بطبعها تشترط "الواقعية التوفيقية" لتشمل جميع الناس دون تفريق وتمييز" ... "والواقعية التوفيقية" المطلوبة هنا ليست في معاملات التجارة او العلاقات اليومية وحسب، بل هي ايضاً في تفسير الاحاسيس والمشاعر والنوازع النفسية والعواطف التي تنبثق من جوهر فاعل واحد، مهما اختلفت تشكّلاتها وتباينت، أو اشتدت تواتراتها أو تراخت. فالواقعية المتوازنة التي تلتقي فيها نوازع النفس البشرية المختلفة، دون حواجز كثيفة من الطقوس والاسرار الغيبية، هي ما نجده في جوهر "العقائد العالمية" التي كان يحملها متديّنو لبنان القديم. وهي ذاتها ما فتح أذهان الشعوب الغربية امام الروح الكنعانية – الفينيقية التي تفسّر مشاعر الوجود والعدم، والأمل واليأس، والزمن والخلود...

وإن الباحث المعاصر ليعجب، حتى في يومنا هذا، من الواقعية الواعية والمتّزنة التي عالج بها الكنعاني القضايا الغيبيّة والمشاعر النفسية الغامضة. كما يعجب اكثر بالتوازن العاطفي المسؤول الذي التزم به طقوس ايمانه وتفسيراته لغوامض المجهول، وفي موقفه من القدر وقوى الطبيعة... ولعل أبرز فكرة تمثّل اللاهوت الكنعاني نجدها في فكرة "التوحيد المتعالي" والصفات التي كان يسبغها الكنعانيون على إلههم "إيل"، الاله العالمي الكوني الموحّد الاول! لقد بشّروا بفكرة "التوحيد الالهي" قبل موسى وانبياء التوراة واليهود بآلاف من السنين. وأطلقوا على إلههم أسمى وألطف وأرقّ الصفات: "اللطفان": الكثير اللطف، المحب، الرحوم، "عليّون": السامي والمتعالي، القديم الزمن، أب الخلائق... وهكذا كانوا، على ما نعلم، أول من تجرأ في التاريخ البشري وجعل من الله "أباً للانسان" والخلائق، وبالتالي جعل

من "الانسان إبناً لله"، ممهّدين بذلك ، مباشرة ودون غيرهم، للديانة المسيحية القائمة اساساً على المحبة وأبوة الله للانسان...

ألم تكن رسالة "إيل" الى ابنته "عنّاة" البتول العذراء، والتي أوصلها ابنه البعل، هي التالية: "أبذري في التراب محبة، أسكبي سلاماً في كبد الارض وأكثري من الحُبّ في قلب الحقول..."!! (ملحمة البعل وعنّاة 7: 3و4، منذ حوالي أربعة آلاف سنة).

إن فكرة "عالمية الانسان" التي قدمتها أرض لبنان المميّزة للبشرية جمعاء في العصور الكنعانية والفينيقية، تواصلت واستمرت وزادت نضجاً في العصور الحديثة: العصر الفارسي والعصر اليوناني والعصر الهلنستي والعصر الروماني حتى المسيح... ومع "رواقية" زينون الكنعاني أخذت فكرة الالوهية صورة "العناية الطبيعية الشاملة" التي تسيّر جميع الخلائق والموجودات وتكون روحاً لها تدبّرها وتعتني بها. ثم انتشرت "العناية الرواقية" في كل أرجاء العالم الهلنستي والمناطق الواسعة التي تأثرت به في الشرق والغرب. وهكذا غدت وحدة العالم المتمدن عهد ذاك، ولو في مراحلها الاولى، ظاهرة مميّزة تستقطب الجميع، ليس من وجهة النظر العقائدية الدينية فحسب، بل من الناحية العملية التطبيقية كذلك. وكان من الطبيعي أن يقوم الفلاسفة والعلماء والأدباء الفينيقيون، والمعلّمون المتجوّلون منهم بنوع خاص، بنشر فكرة "الوحدة العالمية" والتبشير بفكرة "العناية الالهية" التي لم تكن سوى الوجه الفلسفي لوحدانية الاله "إيل" خالق الخلائق وحافظها ومدبّرها. فالوحدة العالمية وحدها تستطيع صهر الشعوب بعضها ببعض... وأرض فينيقية – لبنان كانت دوماً مركز الالتقاء والتفاعل بين الثقافات والاجناس والاديان المختلفة. ولهذا نجد المؤرخ الشهير سترابون مثلاً يحدثنا عن مدارس مختلفة للاّهوت والفلسفة والعلوم في مدينتَي صيدا وصور عندما زارهما حوالي زمن الميلاد (راجع سترابون "الجغرافية" 16: 2، 23-24) كما نجد معظم الذين جمعوا الفلسفة عهد ذاك من أصل فينيقي، او أنهم قاموا بعملهم في أرض فينيقية- لبنان...

وفي العهد الهلنستي ازدهرت مدن لبنان القديم اقتصادياً كما لم يسبق لها ان تكون، كما أصبح الدين القديم المعروف، بما له من مقدّسات وطقوس، دين الشعبَين اليوناني والروماني، اللذين حكما هذه المنطقة في تلك الحقبة من الزمن. وهكذا لم يبقَ أي حاجز ديني بين الحكّام الغرباء وسكان البلاد الاصليّين. فكان على لبنان أن يتابع رسالته العالمية بصيغة أخرى غير الصيغة الدينية. ولم تكن الصيغة الجديدة غير الثقافة والقوانين والحقوق الانسانية للأفراد والجماعات والشعوب. فقد تعهّد لبنان كل ذلك ونجح به. الم تصبح بيروت "مرضعة الشرائع"، بشهادة العالم الروماني كله؟ ألم يصبح الحقوقيان اللبنانيان الكبيران "أولبيان" و"بابينيان" المرجعين الأولين لمشترعي العالم وحقوقيّيه؟ ألم تصبح "مدرسة بيروت الحقوقية" قبلة أنظار طلاب

الحقوق في العالم أجمع، وذلك بشهادة جميع مؤرخي تلك الحقبة؟... (واكتشاف آثار بيروت اليوم يؤكّد على ذلك).

-يسوع المسيح جليلي حقاً، وبكل معنى الكلمة...

في هذه البيئة الجليلية ولد وعاش يسوع المسيح. بيئة انسانية منفتحة راقية حضارية وذات "طابع عالمي". في بيئة مهيأة تماماً لاقتبال فكرة "عالمية الانسان". المسيح هو جليلي حقاً، وبكل معنى الكلمة. والجليل مهد المسيحية. في الجليل ولد يسوع ونشأ وترعرع وتعلّم، وعمل شاباً ورجلاً وعاش معظم حياته. في الجليل علم وبشّر وصنع الآيات والمعجزات. والآية الأولى كانت في قانا الجليل اللبنانية جنوبي مدينة صور. ذلك لأن والديه يوسف ومريم كانا، في الحقيقة، من قانا الجليل. وقبر جده لأمه يواكيم (عمران عند المسلمين) موجود وظاهر للعيان الى اليوم للذي يريد ان يرى ويلمس ويصدّق، وذلك في ضواحي قانا الجليل اللبنانية، على تلة في اعالي قرية "القليلة"، في مكان يسمّى "مقام النبي عمران". وسوف نتحدث عنه بالتفصيل في ملاحق هذه الدراسة. في الجليل اذاً، في ارض "إيل" تجسّد "إيل" نفسه بشخص يسوع المسيح الذي دعاه الانجيل "عمانوئيل" أي "إيل معنا"، المتجسد بيننا، والمترجم فيما بعد الى "الله معنا"، أو المتجسّد بيننا. في قانا وكفرناحوم وطبريّا وبيت صيدا وغيرها من بلاد الجليل أقام يسوع وتجوّل وعلّم وبشّر وعمل الآيات. من الجليل بالذات اختار رسله وتلاميذه. ما عدا "يوضاس" يهوذا الاسخريوطي وحده التلميذ الخائن الذي كان يهودياً، من قرية يهودية جنوب غربي اورشليم، كانت تدعى بالعبرانية "إيش قريوت" أي "قرية الانسان". ولفظة اسخريوطي تعني: الذي من قرية الانسان. بينما كان جميع الرسل والتلاميذ من الجليل: من قرى "الجليل"، من قرى "إيل".. ومنهم من كان من قانا الجليل اللبنانية بالذات. فوق بحر الجليل مشى يسوع على المياه. وانعكست طبيعة الجليل ومناظره وجمالاته في تعاليم المسيح وأسلوبه وأمثاله. المسيح هو ابن "الجليل" البارّ. إنه "ابن إيل" الحقيقي الوحيد...

والأناجيل نفسها تؤكد مراراً وبوضوح على جليلية المسيح. فمتى يقول: "وكان بطرس جالساً في خارج الدار، في ساحتها، فدنت اليه جارية وقالت: أنت ايضاً كنت مع يسوع الجليليّ... وبعد قليل دنا الحاضرون وقالوا لبطرس: حقاً انت ايضاً منهم، فإن لهجتك (الجليلية) تفضح أمرك..." (متى 26: 69-75). ومرقس بدوره يقول: "وبعد قليل قال الحاضرون ايضاً لبطرس: حقاً انت منهم لأنك جليليّ" (مرقس 14: 70). ولوقا بدوره يقول: "ومضى نحو ساعة فقال آخر مؤكداً: حقاً هذا ايضاً (يقصد بطرس) كان معه، فهو جليليّ..." (لوقا 22: 59) الخ...

-إنقطاع الوجود المسيحي في الجليل طوال 300 سنة متواصلة. تؤكد جميع التواريخ في الشرق والغرب، أن الوجود المسيحي قد انقطع تماماً في بلاد الجليل

منذ صعود المسيح الى السماء حتى ظهور قسطنطين الكبير في أوائل القرن الرابع. فبعد فتح طيطوس للقدس في السنة 70م، وخراب هيكل أورشليم والتنكيل باليهود، تشتّت هؤلاء، وتجمّع عدد منهم في منطقة الجليل وحظّروا على المسيحيين الاقامة هناك. وعملوا جهدهم مستخدمين كل الوسائل لطمس كل أثر مسيحيّ وكل التقاليد والذكريات المسيحية في تلك المنطقة. وحاولوا ان يستأصلوا المسيحية من جذورها، وجذورها جليليّة...

هذه الحقائق جهلها او تجاهلها الكثيرون وطمسها المؤرخون الغربيّون والمتهوّدون... في هذه الأثناء، وخلال القرون الثلاثة الاولى، تعرضت المسيحية الناشئة الى اضطهادات عنيفة ومتتالية. فاستشهد ألوف من المسيحيين في الشرق والغرب. وما أن هدأت الاضطهادات أيام قسطنطين الكبير، في الربع الأول من القرن الرابع، وسمح للمسيحيين بممارسة شعائر ديانتهم علناً، حتى بدأت الهرطقات الدينية تنهش جسد الكنيسة المسيحية في الشرق... وهكذا عندما بدأ الحجّاج والرحالة الغربيّون يتوافدون الى الأراضي المقدسة منذ ايام قسطنطين الكبير، كانوا يأتون الى أورشليم وبيت لحم التي في جوارها، واذا توسّعوا في الزيارة وصلوا الى الناصرة في الجليل الأسفل. اما القسم الأكبر من الجليل – وفيه قانا وبيت لحم افراته الحقيقية وجبل الكرمل وغيرها – فكان بعيداً عن أورشليم وجوارها، محط اهتمام ومحور زيارتهم، بالاضافة الى كونه يقع في أراضي "الأمم" "والوثنيين"... كما كانوا يقولون عهذاك. وكان الذهاب الى تلك الاراضي يعتبر، في الواقع، مخاطرة حقيقية بالنسبة الى الرحالة والحجّاج الغربيّين. فكانوا يتوهمون ان سكان تلك المناطق هم من "البرابرة" "والمتوحشين" الخ... كانت هناك اورشليم وكانت هناك الناصرة. وقيل لهم ان بيت لحم – حيث ولد المخلّص – هي بالقرب من اورشليم فصدّقوا. وقيل لهم إن قانا الجليل – حيث حوّل المسيح الماء خمراً – هي قرب الناصرة فصدّقوا. أجل كان هناك بيت لحم قرب اورشليم، وكان هناك قانا بالقرب من الناصرة. غير انه ليست هذه هي قانا الانجيل الحقيقية، ولا تلك هي بيت لحم افراته الحقيقية. ومعروف أن الحجّاج الذين توافدوا الى الاراضي المقدسة كانوا في غالبيتهم من أفراد الشعب الاتقياء البسطاء غير الضالعين في علوم التاريخ والجغرافية... وعن هؤلاء الحجّاج أخذ مؤرخو الافرنج معلوماتهم ووضعوا خرائطهم عن الأرضي المقدسة. واذا دقّق باحث في يومنا هذا بهذه المعلومات التاريخية والخرائط الجغرافية، لوجدها في أغلب الاحيان نوعاً من المقارنة الشعبيّة السطحية، وبعيدة كل البعد عن الدقة التاريخية والجغرافية، بحسب مفهومنا اليوم لعلمَي التاريخ والجغرافية...

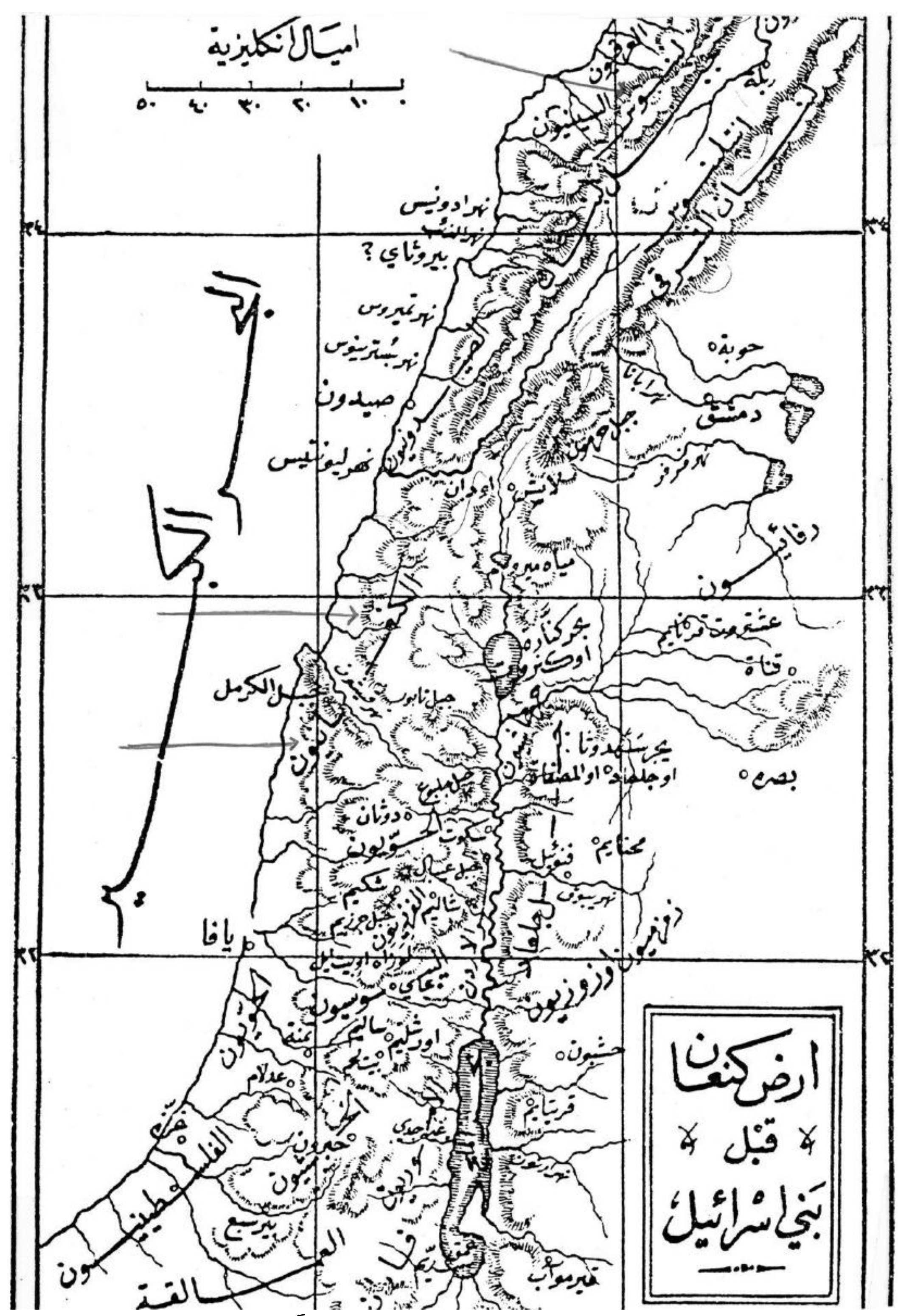
وهكذا نام القسم الاكبر من الجليل، نوم "أهل الكهف"، كهف التناسي والنسيان والجهل المتوارث، بالاضافة الى عملية الطمس المقصود من قبل اليهود،

أو المسيحيين المتهوّدين... وفي هذا الجليل الذي نسيه التاريخ كانت هناك قانا الجليل اللبنانية التي بدأت تقوم من نومها الطويل. وكانت هناك ايضاً، وبنوع خاص، بيت لحم أفراته الحقيقية في الجليل، التي ولد يسوع المسيح في مغارة بقربها. وها نحن نحاول في هذه الدراسة أن نقيم بيت لحم الحقيقية هذه من نومها العميق الذي استمر قروناً طويلة...!

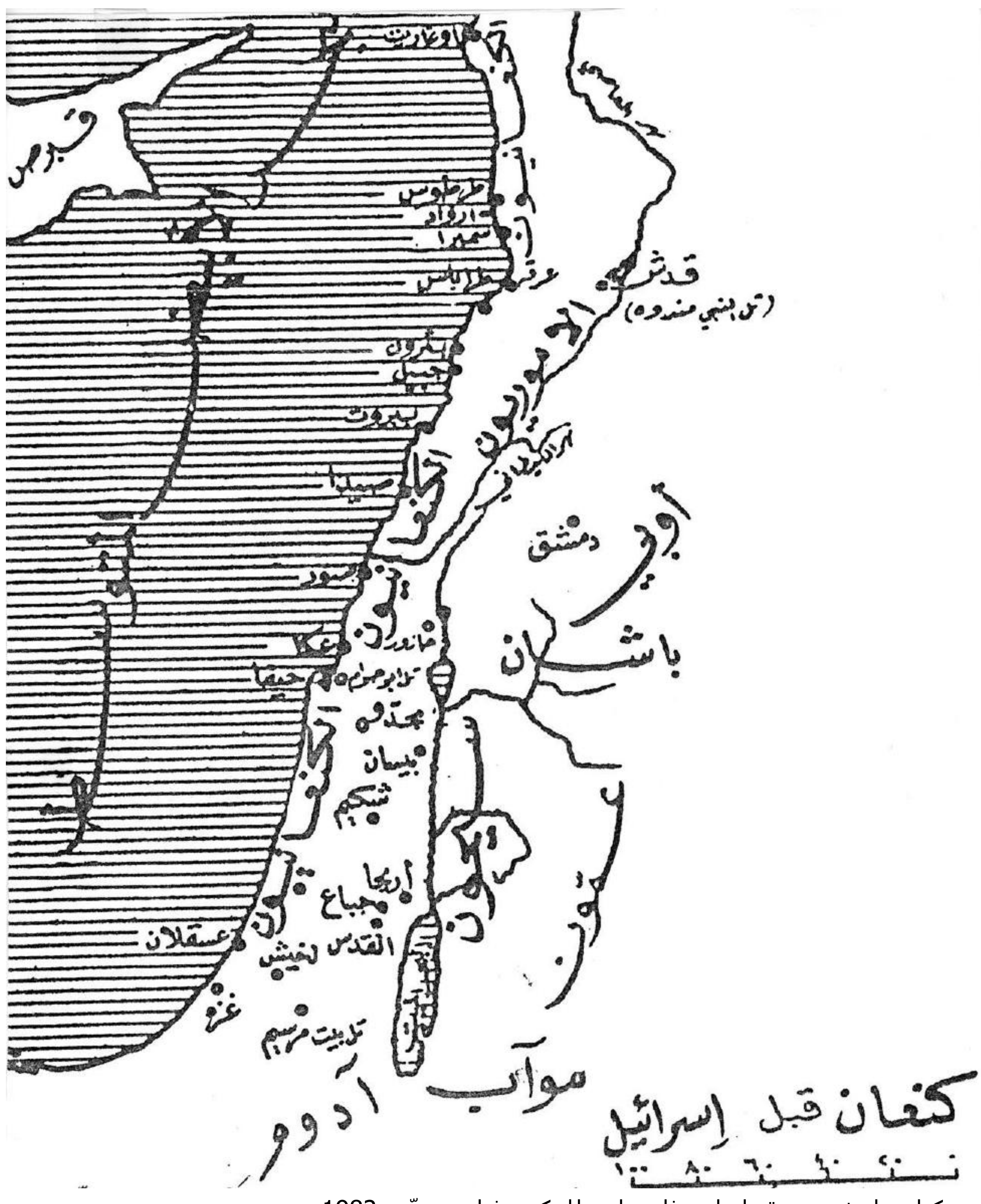
عصرنا اليوم هو عصر الحقائق الساطعة والصارخة والصاعقة. فمثلاً، لم تعد الارض، كما كان "يظن" الجميع، مسطّحة ثابتة ومحوراً ومركزاً للكون، تدور حولها وتضيئها جميع الأجرام السماوية، بل أصبحت مع كِبْلر وكوبرنيكوس وغاليليو – في أواخر القرون الوسطى – بمثابة حبّة غبار صغيرة جداً، كروية الشكل، تدور حول الشمس، في وسط أوقيانوس هائل من الكواكب والنجوم والاجرام والسدم والمجرّات الكونية...!

والحقيقة التاريخية – الجغرافية التي نحاول ان نركّز عليها هنا، هي التالية: كان الجليل، وهو منطقة جبلية، يعتبر، منذ فجر التاريخ، ارضاً لبنانية، وامتداداً طبيعياً لجبال لبنان. وهذا باجماع المؤرخين والجغرافيين في الشرق والغرب. وفي هذا الخصوص راجع خاصة (ياقوت الحمويّ "معجم البلدان"، المجلّد الثالث، بيروت 1957، ص 412، ويوسيفوس المؤرّخ "حروب اليهود" (بالانكليزية) الكتاب الثالث، الفصل الثالث، المقطع الاول؛ "وقاموس الكتاب المقدس" الجزء الثالث، باريس، 1903، (بالفرنسيّة) وفيه خريطة الجليل، العامود 89-90؛ والأب مرتين اليسوعي "تاريخ لبنان"، ص 11-12 والحواشي، 67، 74-75).

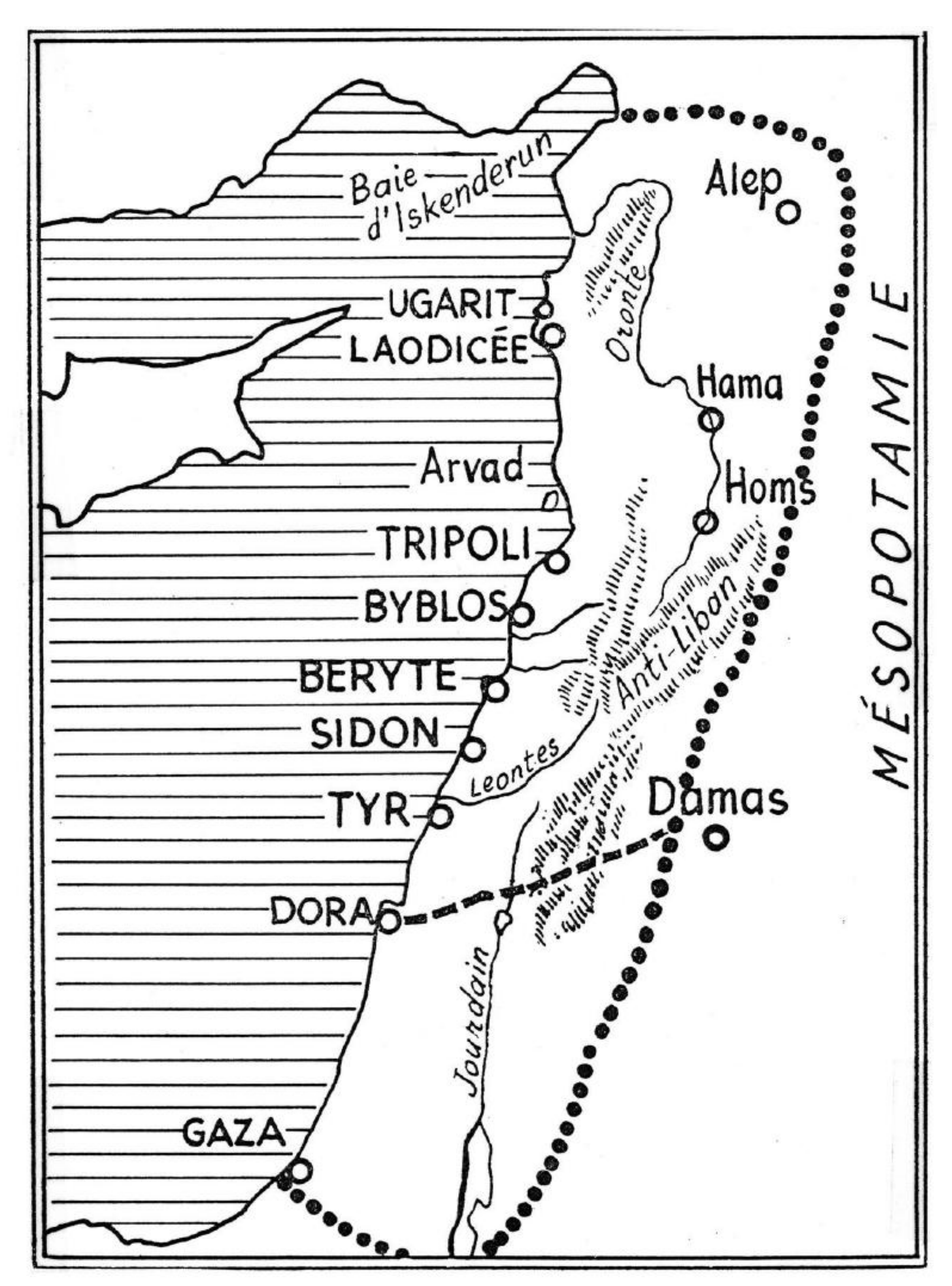
وقد ظلّ الجليل، وفيه بيت لحم الشمالية حيث ولد السيد المسيح، أرضاً فينيقية – لبنانية طوال آلاف من السنين، وقد ظلّ هكذا حتى بعد المسيح بحوالي 70 سنة (على الأقل القسم الشمالي الغربي منه حيث بيت لحم وجبل الكرمل وسفوحه حيث المغارة التي ولد فيها يسوع المسيح). فلتراجع الخرائط الجغرافية، الخاصة بفلسطين والجليل، المخطوطة منها والمطبوعة، وبجميع لغات البشر قاطبة...



لاحظ موقع "لبنوس"= لبنان القديم (السهم الاعلى). لاحظ ايضاً وجود الكنعانيّين في منطقة الكرمل كلها، شمالاً، جنوباً وشرقاً (السهمان الاوسط والأسفل) ("قاموس الكتاب المقدس" – مجمع الكنائس في الشرق الادنى، بيروت لبنان 1971).



عن كتاب تاريخ سورية ولبنان وفلسطين للدكتور فيليب حتّي 1982.
لاحظ حدود "أرض كنعان": من أوغاريت شمالاً الى غزّة جنوباً. يذكر ان أوغاريت (أو رأس شمرا اليوم) الحاضرة الكنعانية العظيمة، هي أرض الملاحم الكنعانية الشهيرة: "ملاحم البعل وعناة"، "ملحمة دانيل وإقهات"، "ملحمة الرفائيم" او الاشباح، الخ...



خريطة أرض "فينيقية الكبرى"، تمتد حدودها من خليج الاسكندرون في الشمال الى "عريش مصر" جنوبي غزة، في الجنوب. وكانت تضم هكذا، بالاضافة الى لبنان، قسماً من تركيا في الشمال (لواء الاسكندرون)، وقسماً مستطيلاً من سوريا (وضمنه دمشق) من جهة الشرق، وكل أرض فلسطين في الجنوب. وقد سميت فلسطين جنوب أرض كنعان، (مأخوذة من كتاب "فينيقية" لجوزيف الشامي، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1967).

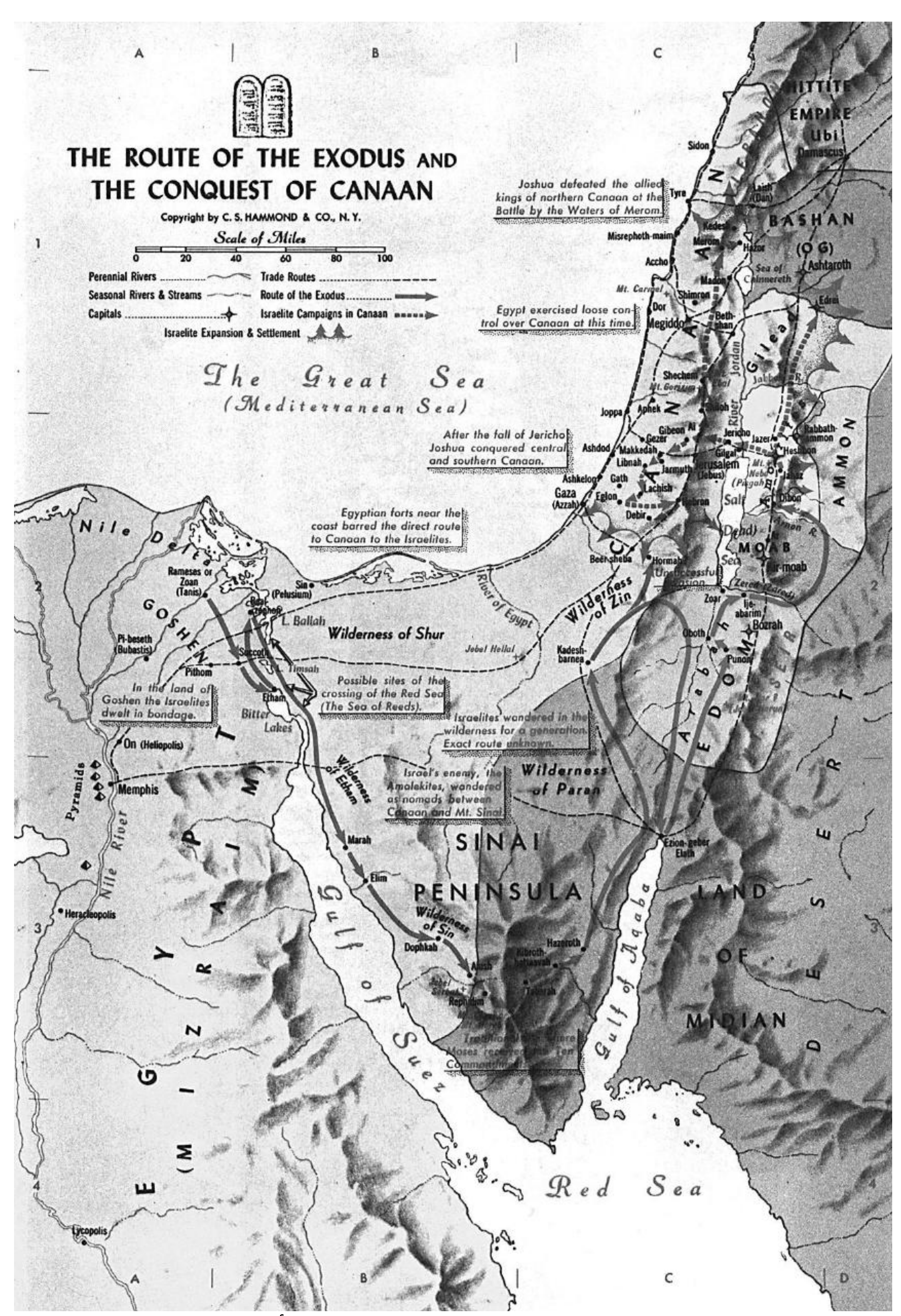
يذكر انه، بعد ان اغتصب العبران جنوبي أرض كنعان – فينيقية، الذي سمّي فلسطين، تقلّصت أرض فينيقية واقتصرت الى شمال الخط الممتد من دمشق الى دورا على شاطئ البحر المتوسط. وكانت دورا في أطراف السفوح الجنوبية لجبل الكرمل.

(مأخوذة من كتاب "فينيقية" لجوزيف الشامي، مكتبة لبنان، بيروت-لبنان، 1967).

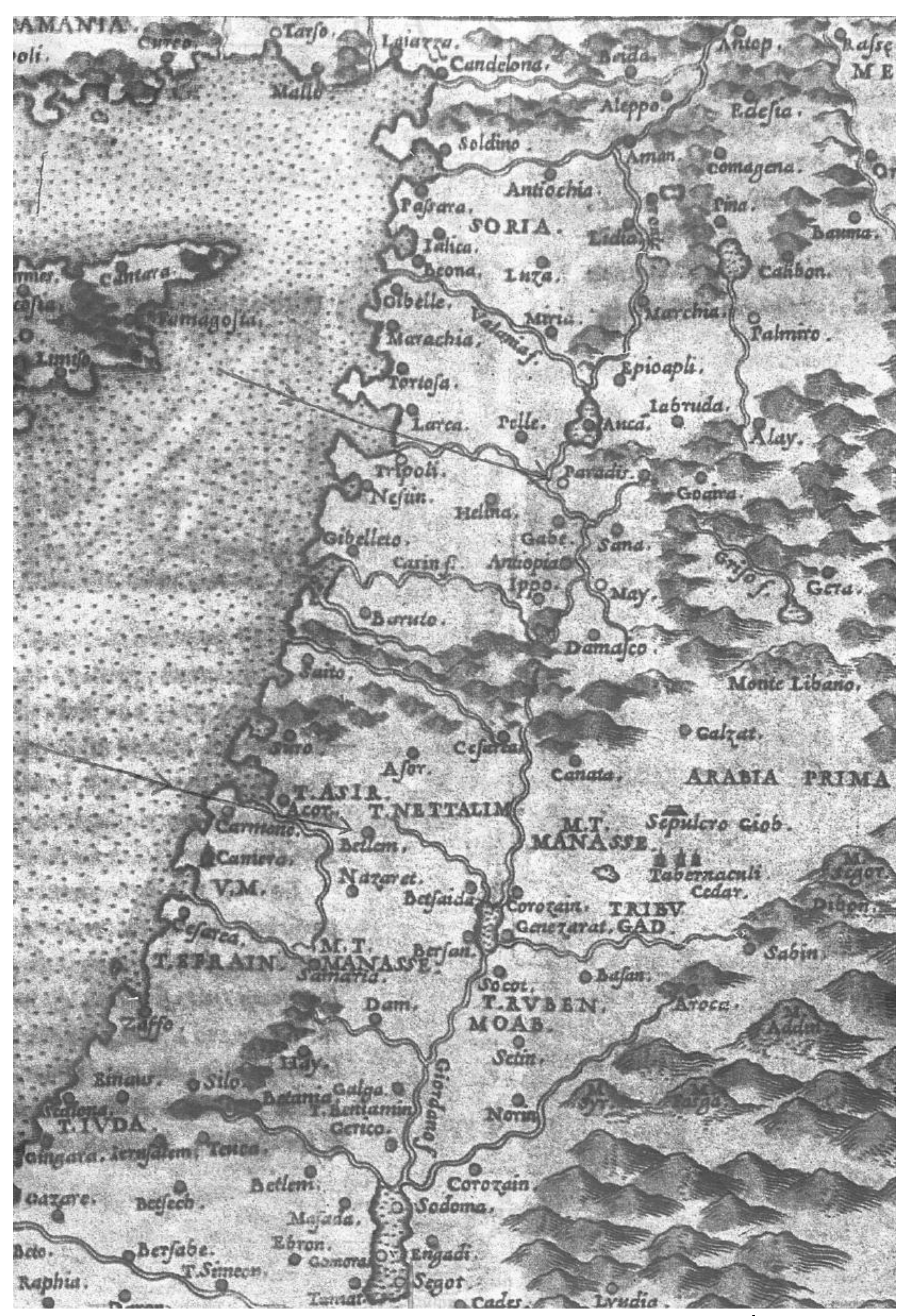


أرض كنعان قبل ان يغتصبها العبران

(نشرها ك.س. هامّون وشركاه – نيويورك في كتابه "أطلس الأراضي المقدّسة"، 1962)



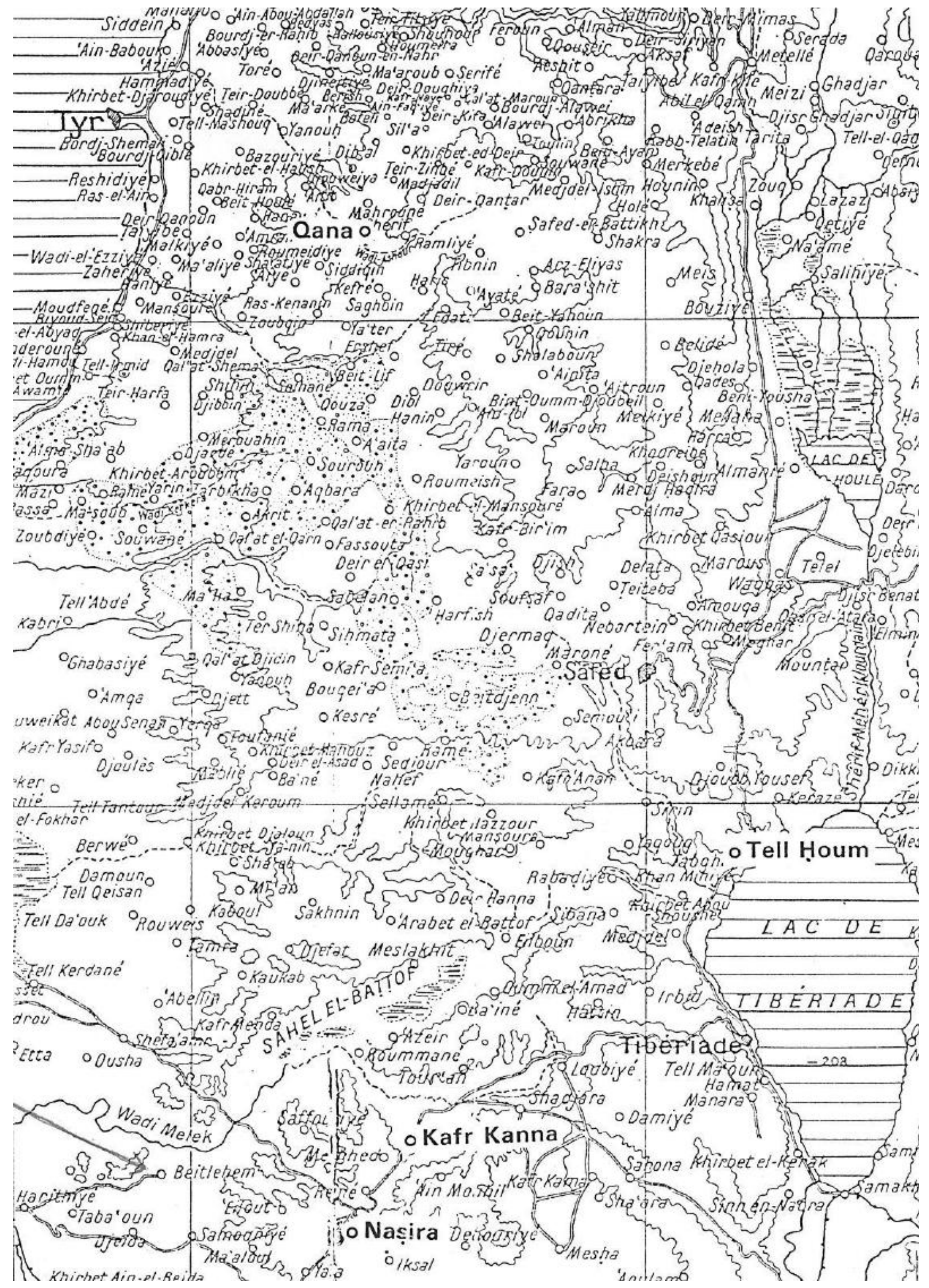
طريق خروج العبران من مصر وعملية اغتصاب أرض كنعان...
(نشرها ك.س. هامّون وشركاه – نيويورك 1962)



أول خريطة علمية للأراضي المقدسة وضعها بطليموس عام 150 للميلاد. طبعت في البندقية عام 1590. السهم الأعلى يدل على الفردوس محل اهدن. والسهم الاسفل يدل على بيت لحم الشمالية في الجليل.

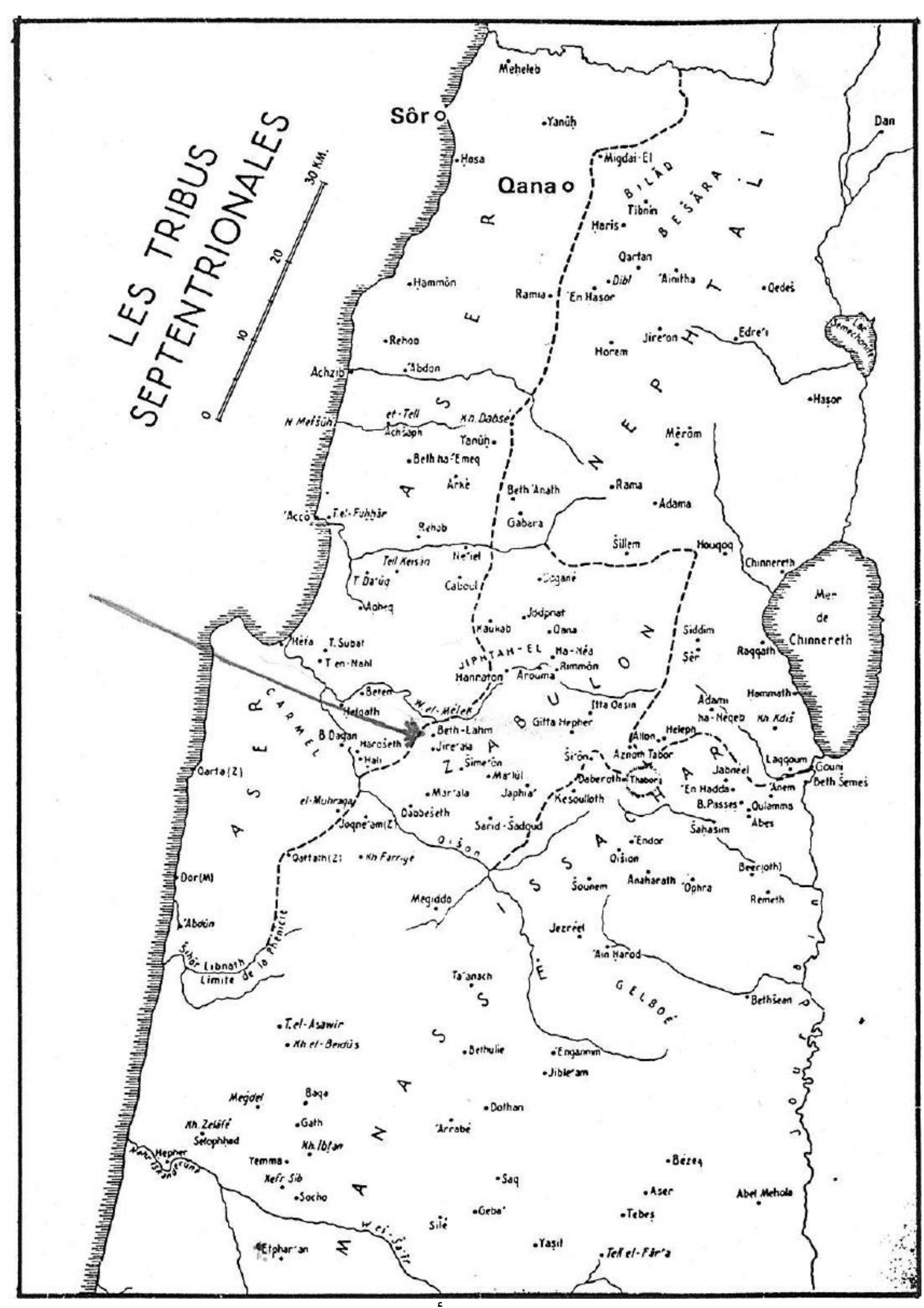


في وسط الخريطة، عند رأس السهم الأعلى، تظهر بوضوح تام بيت لحم الشمالية في الجليل. في اسفل الخريطة، عند رأس السهم الاسفل، تظهر بيت لحم اليهوديّة المعروفة اليوم. لاحظ المسافة الشاسعة التي تفصل بين المدينتين... خاصة مشياً على الاقدام. (نشرها غريمس في"أطلس العالم"، أنديكسد، إنكلترا، سنة 1899).



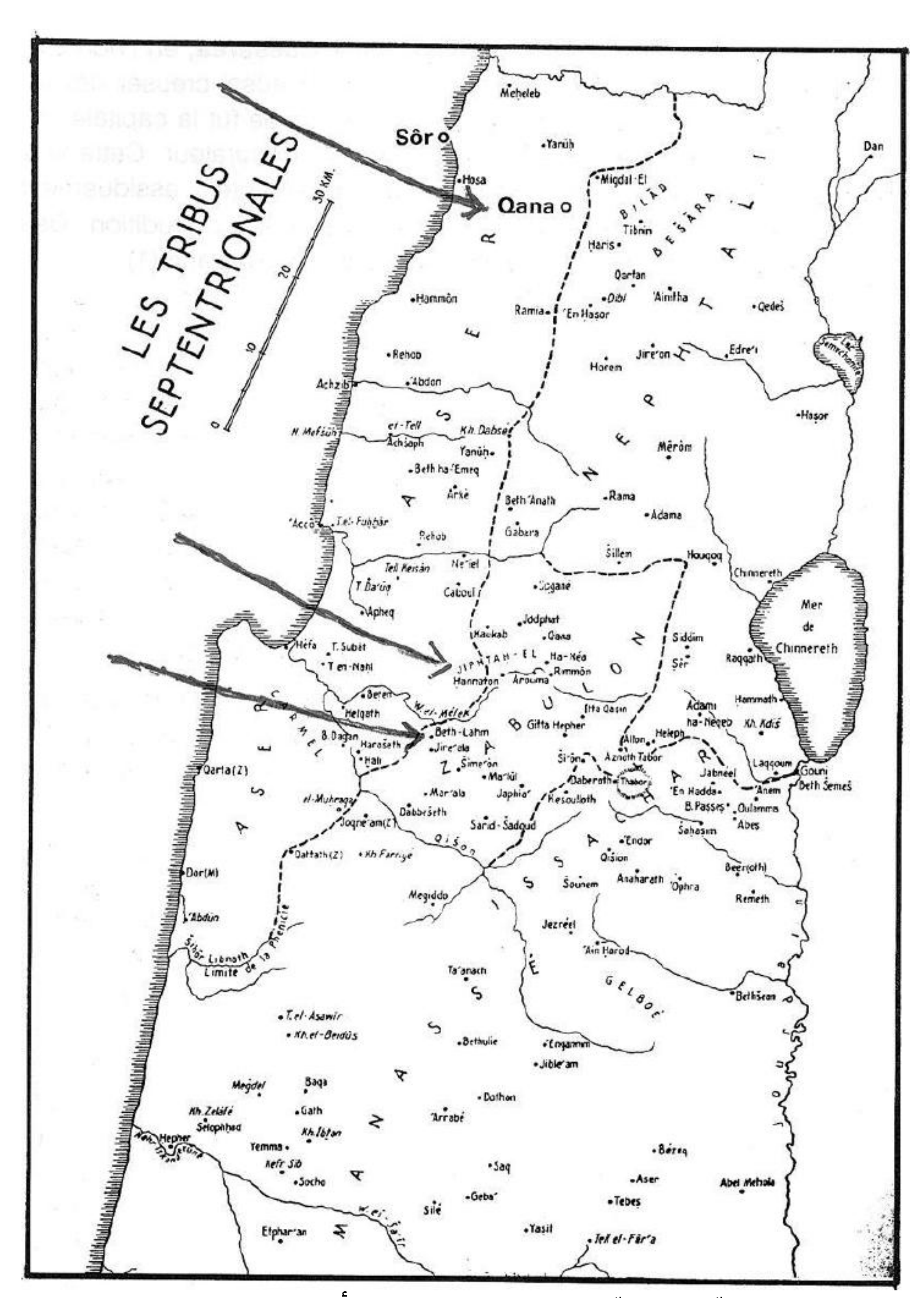
خريطة مفصّلة تظهر القرى حتى الصغيرة والمنسيّة منها، وبالاسماء الاصلية، في قسم من الجليل – "جليل الأمم"، وذلك من شمالي مدينة صور حتى مدينة الناصرة. وعند راس السهم، تظهر بوضوح كلي، وبالقرب من الناصرة، "بيت لحم" الاولى والاصلية، الشمالية الجليلية، حيث، في الحقيقة، ولد السيد المسيح في مغارة بالقرب منها، الى الغرب.

(نشرها المستشرق م.ب. رونكاليا في كتابه "قانا – جنوب لبنان – دليل تاريخي" بيروت لبنان 1995).

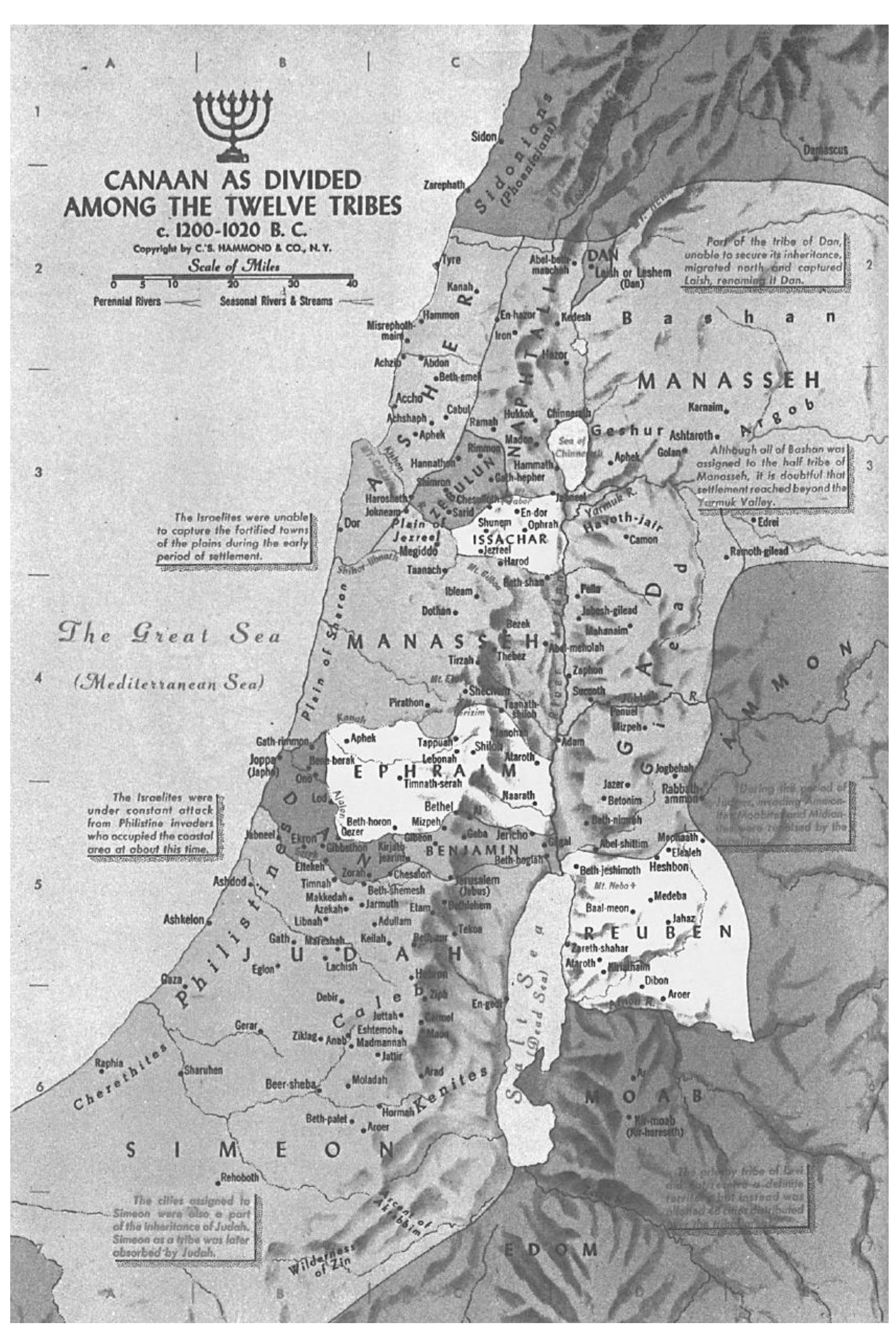


أسـباط اسـرائيل الشـمالية. وتظهر بوضوح تام، عند رأس السـهم، بيت لحم الشـمال في جليل الأمم، في أرض سـبط زبولون. وهي قريبة من السـفوح الشـمالية الشـرقية لجبل الكرمل. لاحظ ايضاً عدم وجود الناصرة.

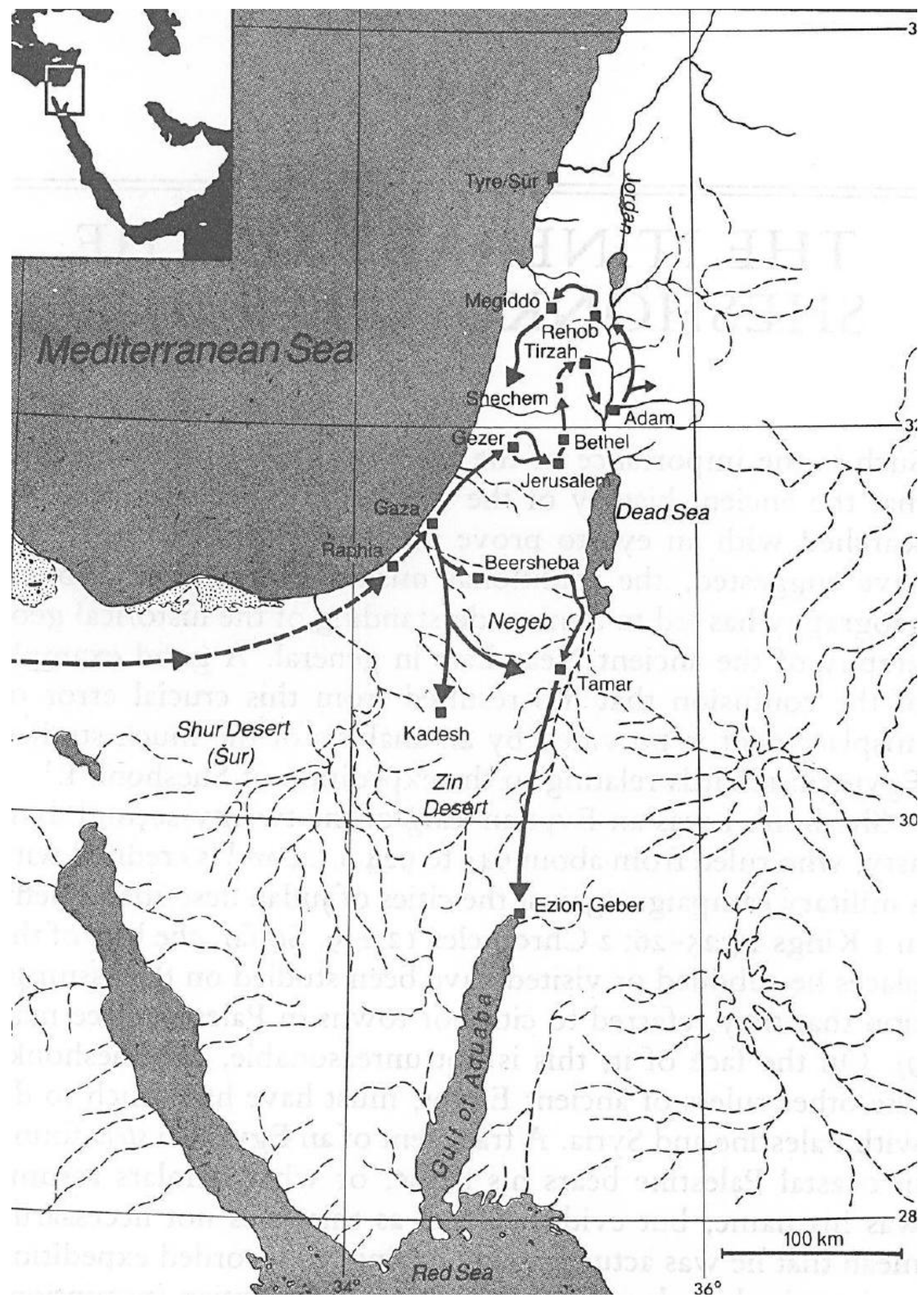
(نشـرها م.ب. رونكاليا في كتابه "قانا – دليل تاريخي"، بيروت لبنان 1995).



خريطة اسباط الشمال: منسّى، عسّاكر، زبولون، نفتالي وأشير.
لاحظ أولاً قانا الجليل اللبنانية، وهي تظهر بوضوح تام الى الجنوب الشرقي من مدينة صور (السهم الأعلى). لاحظ ثانياً منطقة وادي "يفتحئيل" التي في امتدادها الجنوبي تقع مدينة بيت لحم اللبنانية (السهم الوسط). لاحظ ثالثاً وخاصة مدينة بيت لحم اللبنانية بالذات، وهي تقع، كما اثبتنا في هذه الدراسَة، في سبط زبولون، قريباً من حدود سبط أشير. وهي، كما يظهر بوضوح في الخريطة، غير بيت لحم اليهودية، المعروفة اليوم، والتي تقع في جنوب فلسطين قرب مدينة اورشليم. (بيت لحم اللبنانية: عند راس السهم الاسفل). لاحظ ايضاً عدم وجود الناصرة...
(نشرها المستشرق م.ب. رونكاليا في كتابه "قانا جنوب لبنان – دليل تاريخي"، بيروت لبنان، 1995).

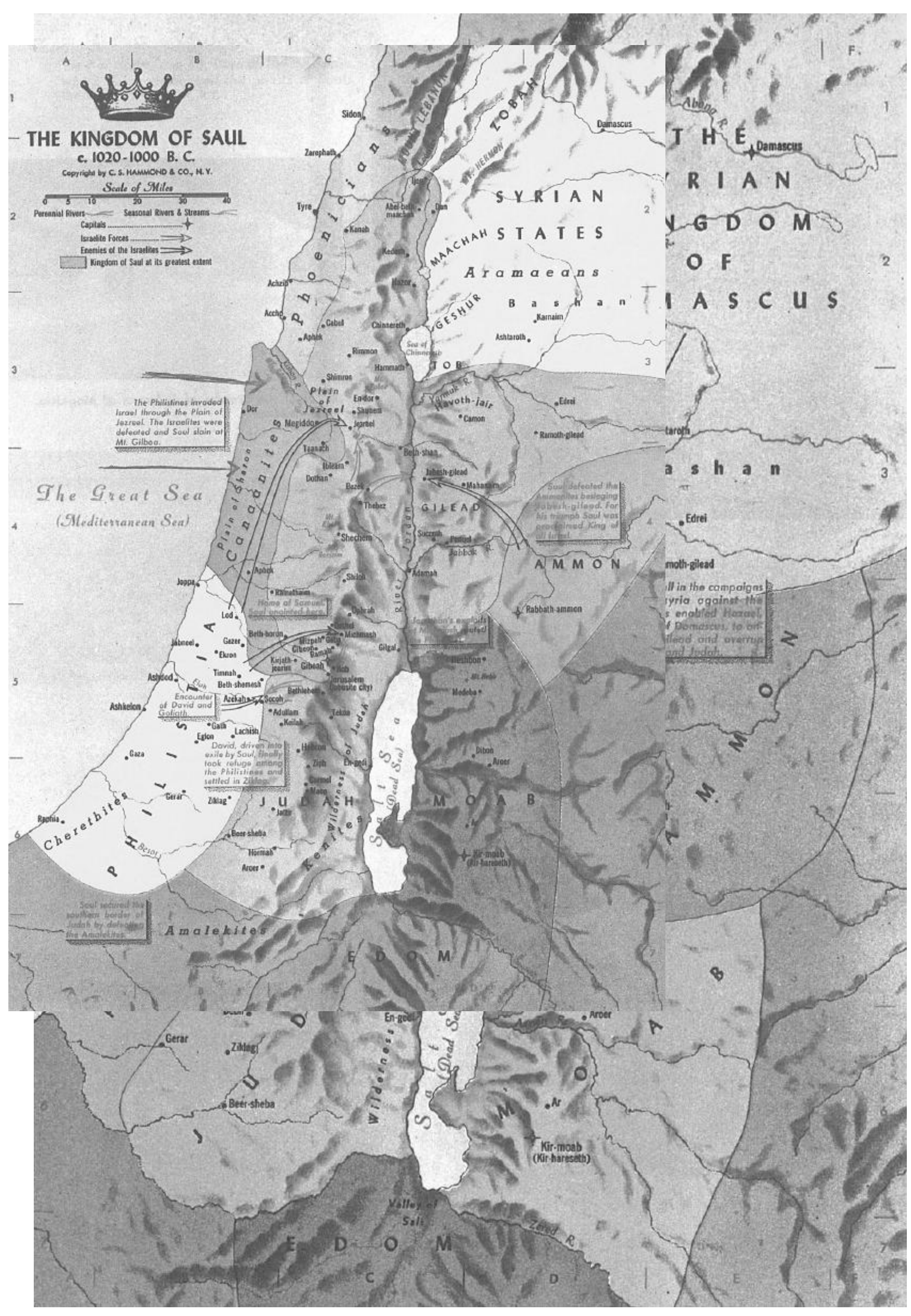


أرض كنعان عند توزيعها الى أسباط اسرائيل الاثني عشر، حوالي سنة 1200 ق.م.
(نشرها ك.س. هامّون وشركاه، في كتابه أطلس الاراضي المقدسة، نيويورك 1962)
لاحظ موقع سبط زبولون (حيث بيت لحم الشمال) وهو يقع بين سبط عسّاكر وسبط أشير

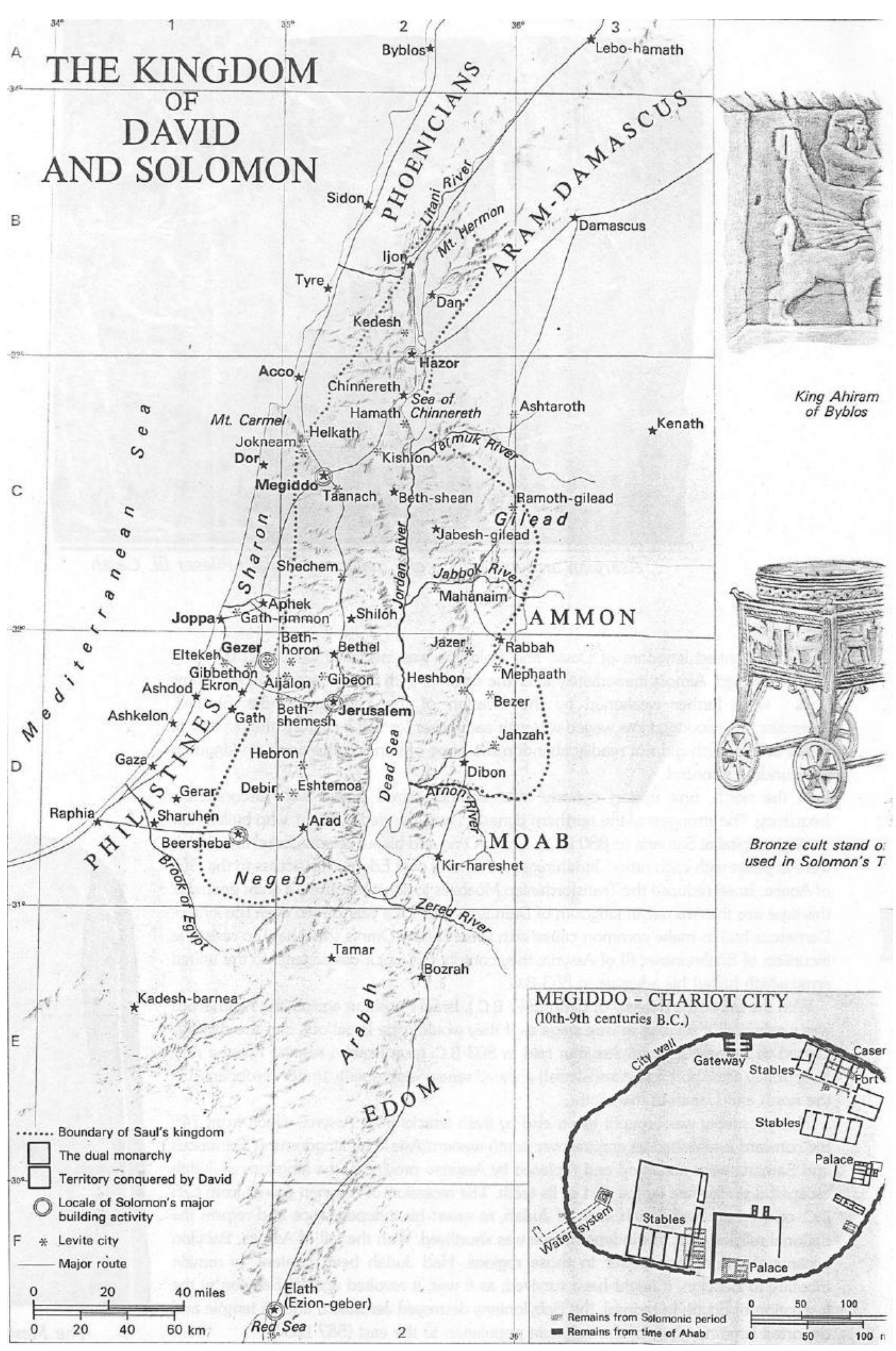


أرض فلسطين في "العهد القديم". لاحظ عدم وجود بيت لحم اليهودية (الحالية) جنوبي أورشليم.

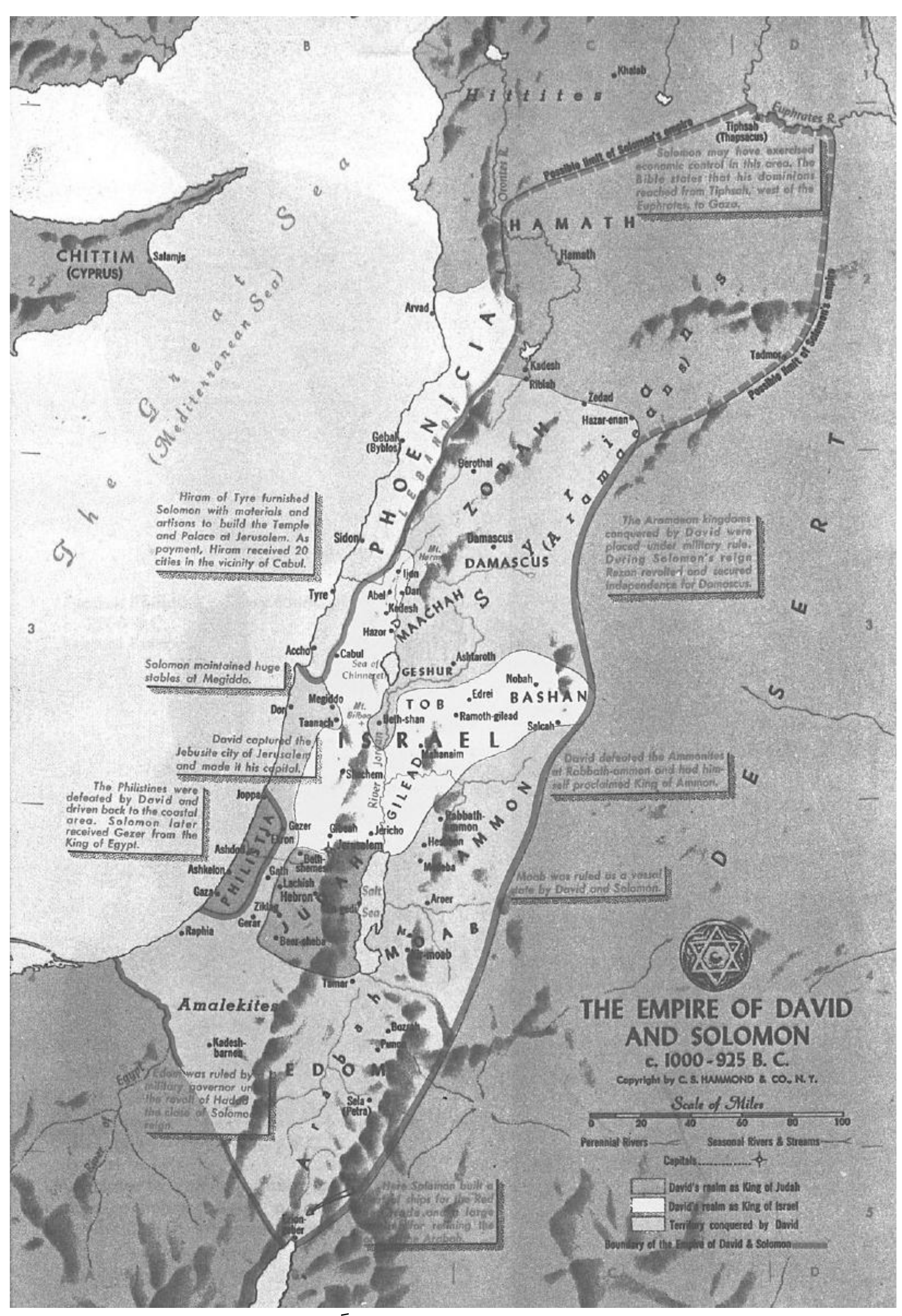
(نشرها كمال الصليبيّ في كتابه "التوراة جاءت من جزيرة العرب"، النسخة الانكليزية، لندن، 1985).



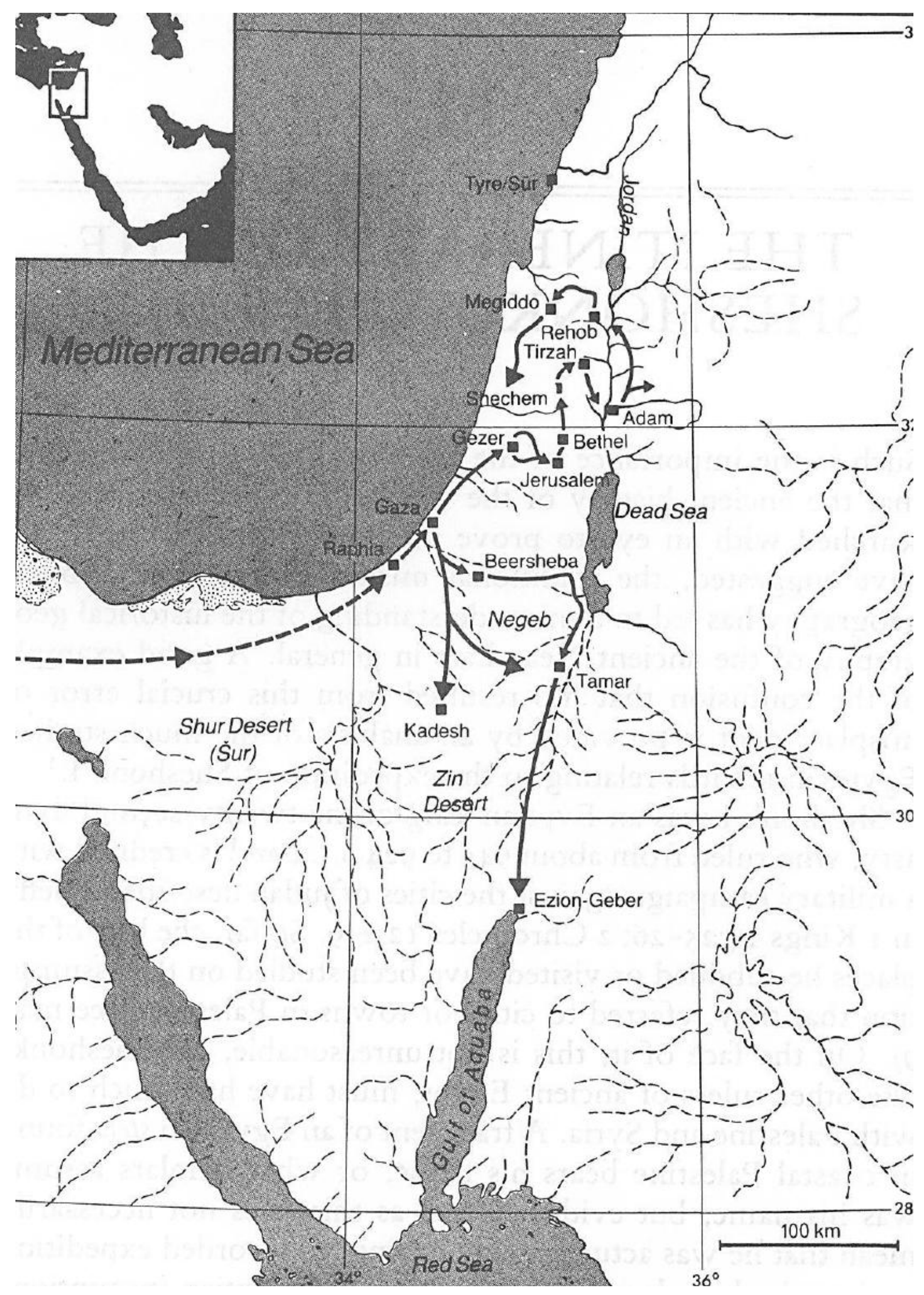
مملكة شاول حوالي سنة 1020-1000 ق.م. لاحظ وجود الكنعانيين في كل منطقة الكرمل.
(نشرها ك.س. هامّون وشركاه في كتابه "أطلس الأراضي المقدسة"، نيويورك 1962) السهمان يدلّان علىأرض الكنعانيّين أيام الملك شاول.



خريطة مملكة داود وسليمان (1000-925ق.م.) لاحظ عدم وجود بيت لحم اليهودية (نشرها كورازين، روش بينا، اسرائيل 1992).

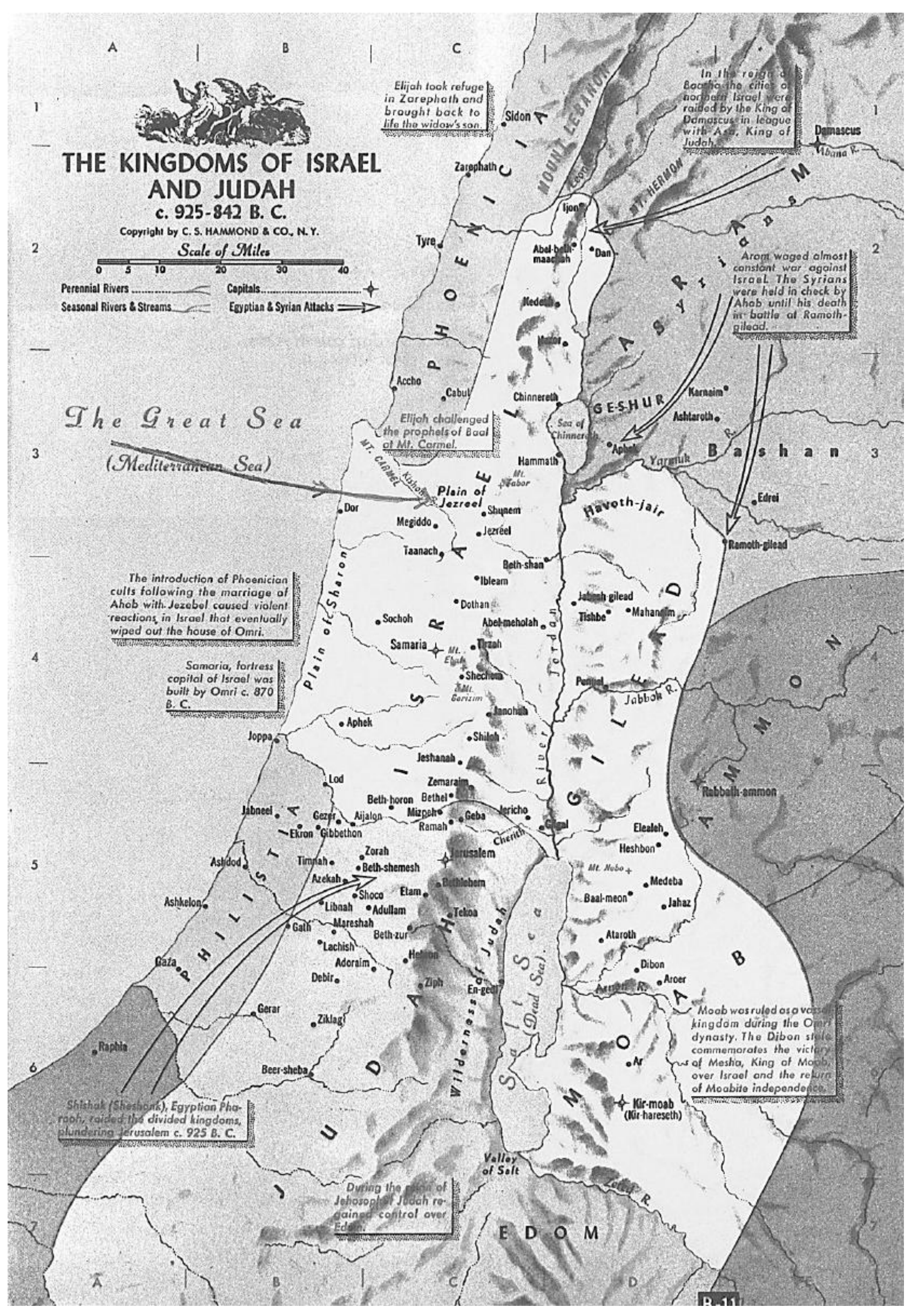


خريطة مملكة داود وسليمان (1000-925 ق.م.) لاحظ ايضاً عدم وجود بيت لحم الجنوبية في اليهودية جنوبي اورشليم، أي بيت لحم المعروفة اليوم، مع انها مدينة داود؟! ومع ان بيت لحم (في الحقيقة بيت لحم الشمالية) مذكورة في الكتاب قبل داود بأكثر من مئتي سنة!
(نشرها ك.س. هامّون وشركاه في كتابه "أطلس الاراضي المقدّسة"، نيويورك، 1962).

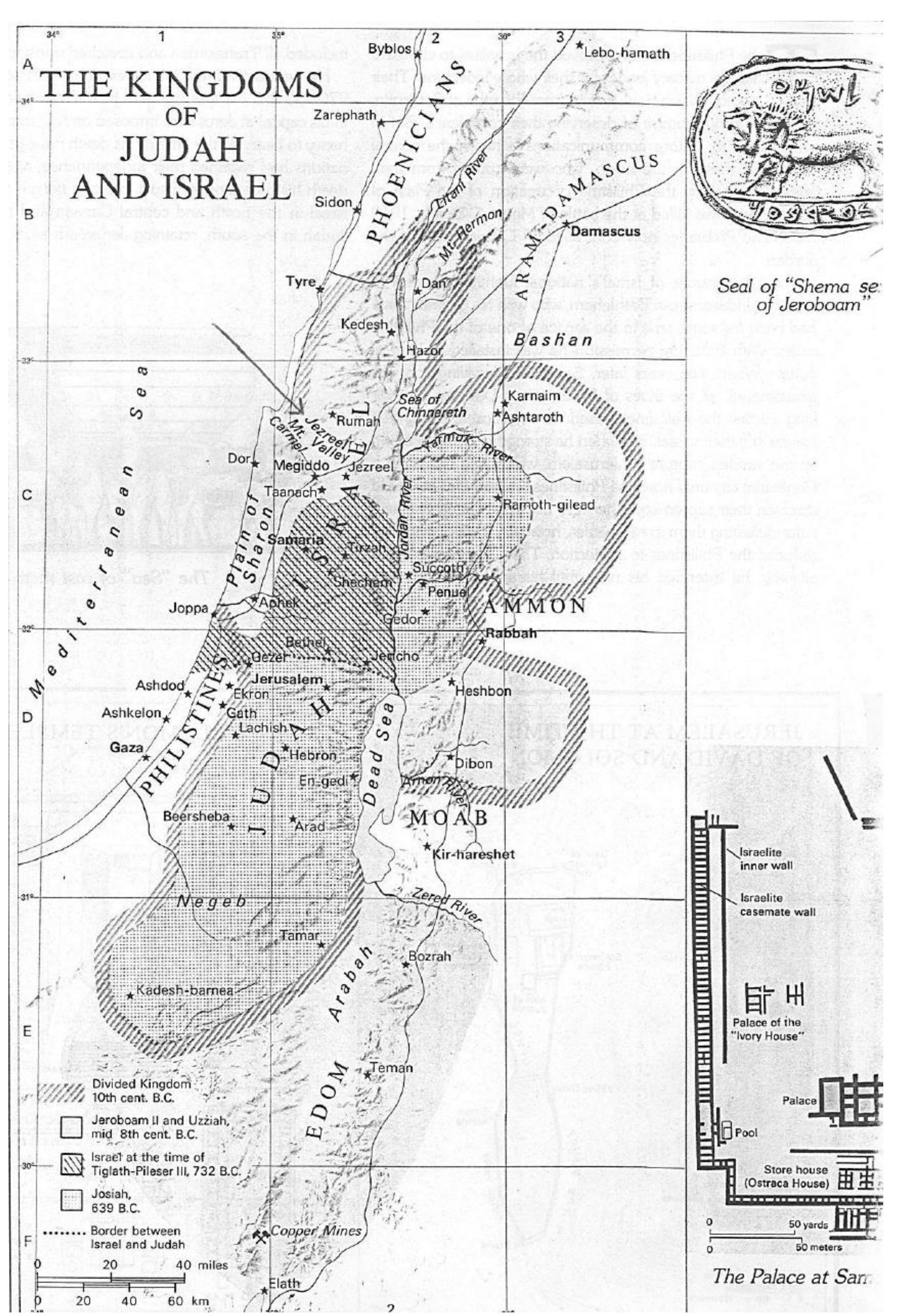


الطريق التي سلكها الملك المصريّ شيشانق في حملته العسكرية على فلسطين، حوالي سنة 920 ق.م. لاحظ عدم وجود بيت لحم اليهودية جنوبي فلسطين. وهو يذكر بالاسم بيت لحم قرب مدينة مجدّو وهذه المدينة كما هو ظاهر في الخريطة تقع في السفوح الجنوبية الشرقية لجبل الكرمل.

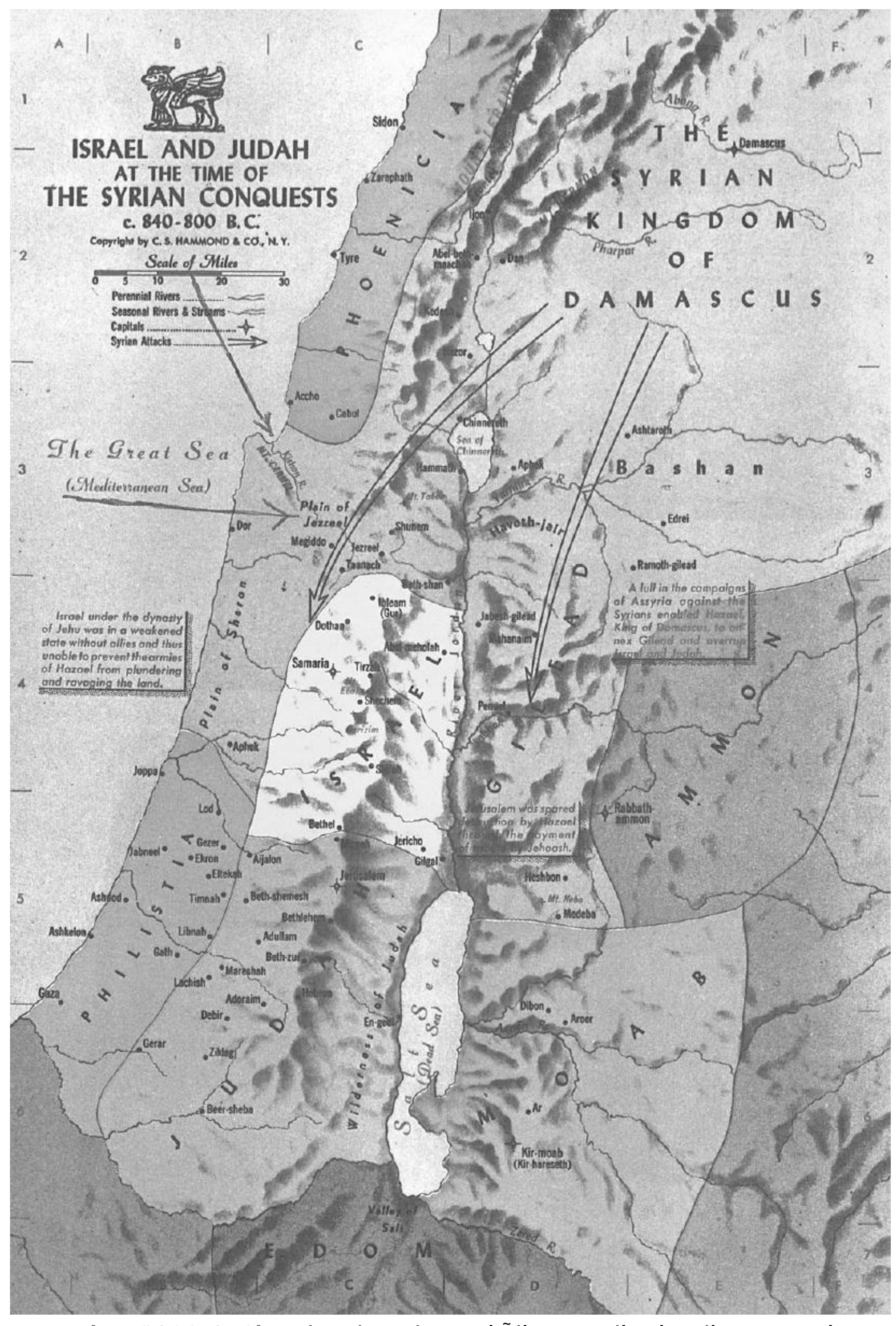
(نشرها المؤرخ كمال الصليبي في كتابه "التوراة جاءت من جزيرة العرب"، لندن، 1985) – النسخة الانكليزية.



مملكتا إسرائيل ويهوذا (925-842 ق.م.). لاحظ منطقة يزرعئيل التي تحيط بموقع بيت لحم الشمال في الجليل، عند السفوح الشرقية لجبل الكرمل. السهم يدل على يزرعئيل الى الجنوب الشرقي لجبل الكرمل.
(نشرها ك.س. هامّون وشركاه في كتابة "أطلس الكتاب المقدس"، نيويورك 1962).



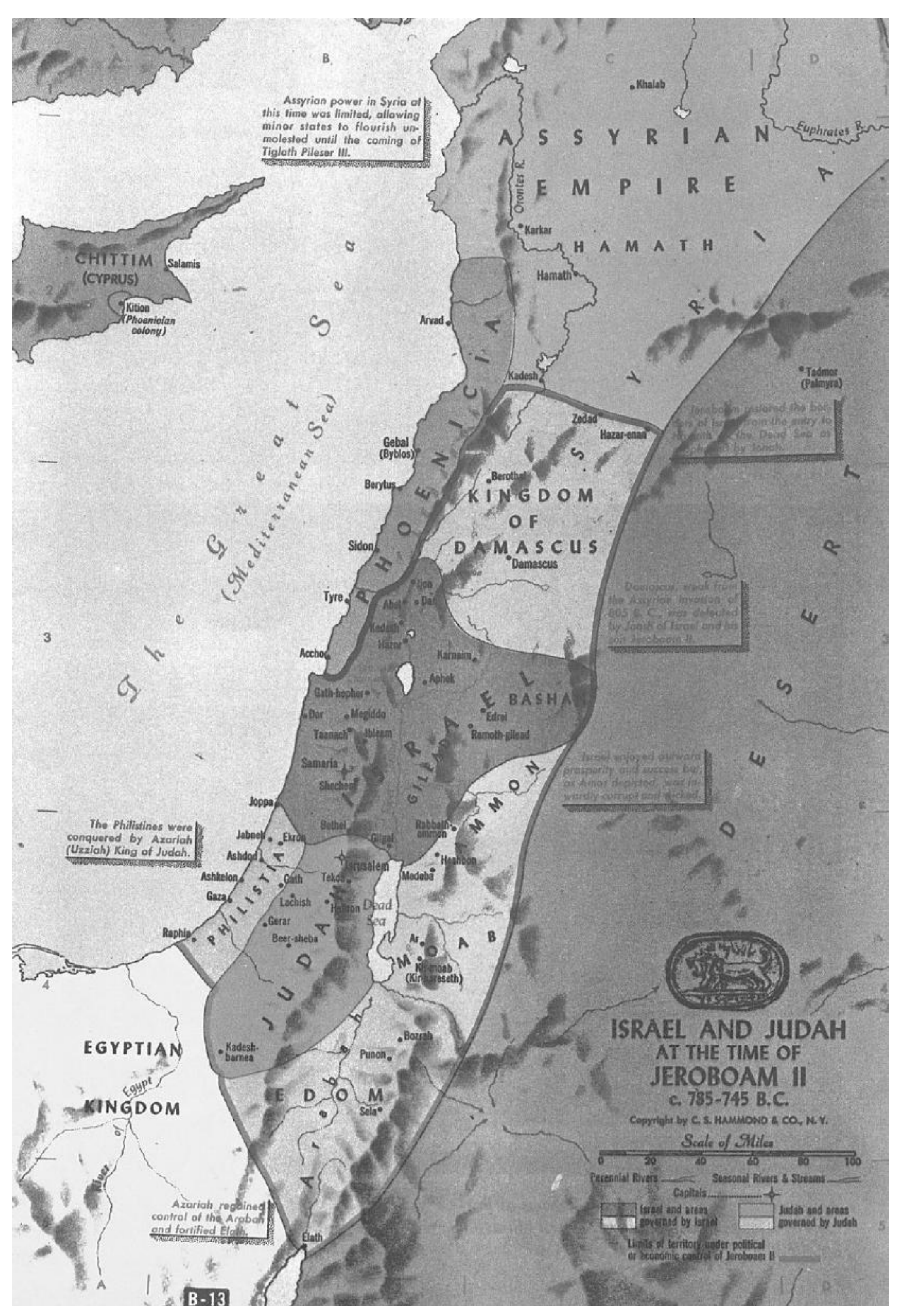
مملكتا يهوذا واسرائيل. لاحظ منطقة يزرعيل التي تحيط ببيت لحم الشمال.
(نشرها كوزاين، روش بينا، اسرائيل 1992) لاحظ ايضاً عدم وجود بيت لحم اليهودية.



إسرائيل ويهوذا في زمن الغزوات السورية الآرامية على فلسطين (840-800ق.م.)

لاحظ عند رأس السهم الاعلى نهر قيشون الذي يمر بالقرب من بيت لحم الجليل. لاحظ ايضاً، عند رأس السهم الاسفل سهل يزرعئيل الذي يحيط بموقع بيت لحم، عند السفوح الشمالية الشرقية لجبل الكرمل.

(نشرها ك.س. هامّون وشركاه في كتابة "أطلس الاراضي المقدسة"، نيويورك 1962).

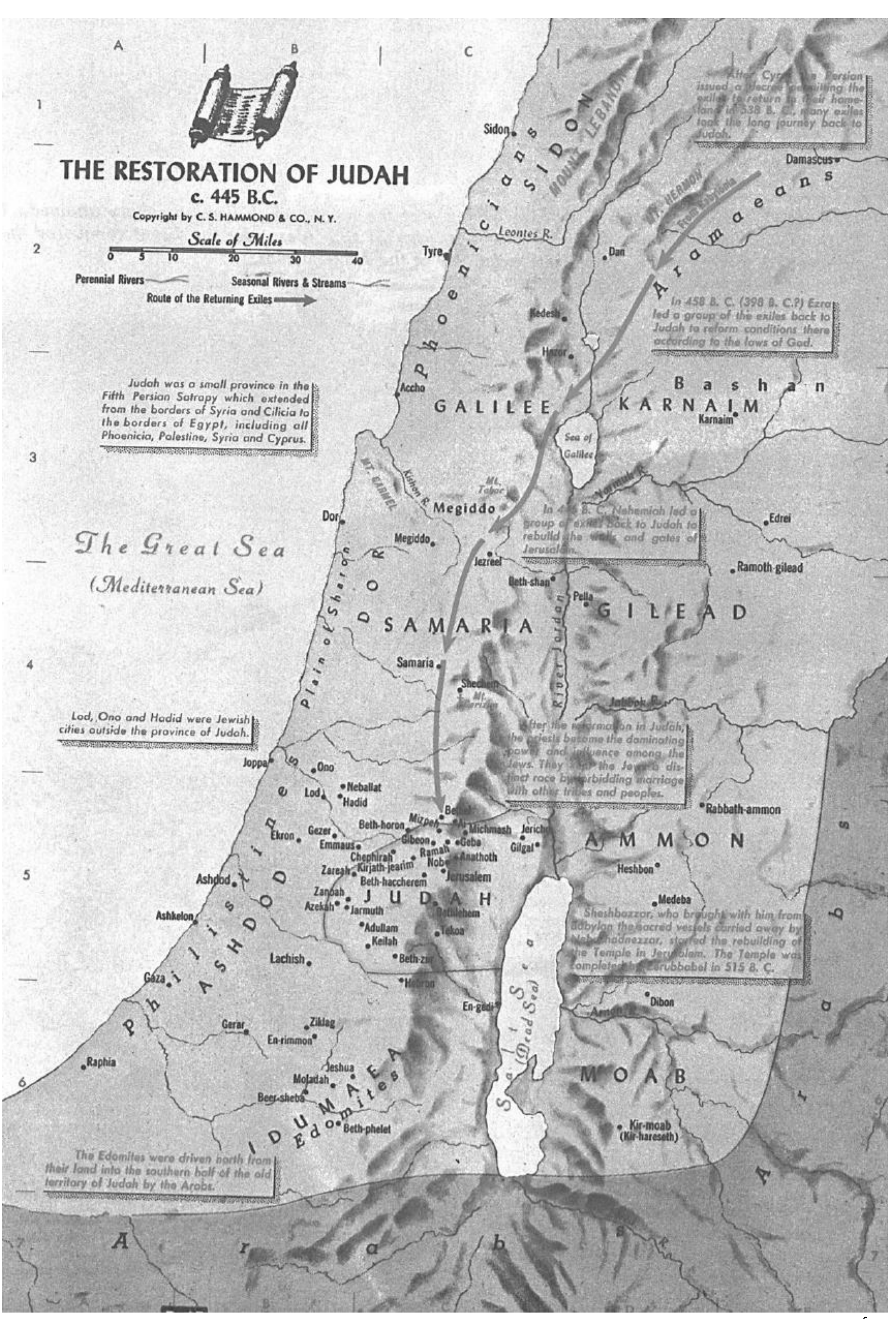


إسرائيل ويهوذا في زمن الملك ياروبعام الثاني (785-745ق.م.). لاحظ عدم وجود بيت لحم اليهودية قرب اورشليم، مع انه يذكر القرى الكبيرة والصغيرة التي هي حول أورشليم!
(نشرها ك.س. هامّون وشركاه في كتابه "أطلس الاراضي المقدسة"، نيويورك 1962).



اليهوديّة بعد نهاية مملكة الشمال (إسرائيل) (حوالي سنة 700 ق.م.) لاحظ منطقتي مجدّو ويزرعئيل اللتين تحيطان بموقع بيت لحم الشمال في الجليل. لاحظ ايضاً عدم وجود بيت لحم الجنوبية في اليهودية، بالقرب من اورشليم (أي بيت لحم المعروفة اليوم).

(نشرها ك.س. هامّون وشركاه في كتابة "أطلس الاراضي المقدسة"، نيويورك 1962).



تجديد "أرض يهوذا "، بعد العودة من سبي بابل، حوالي سنة 445ق.م.

(نشرها ك.س. هامّون وشركاه في كتابه "أطلس الاراضي المقدسة"، نيويورك 1962)

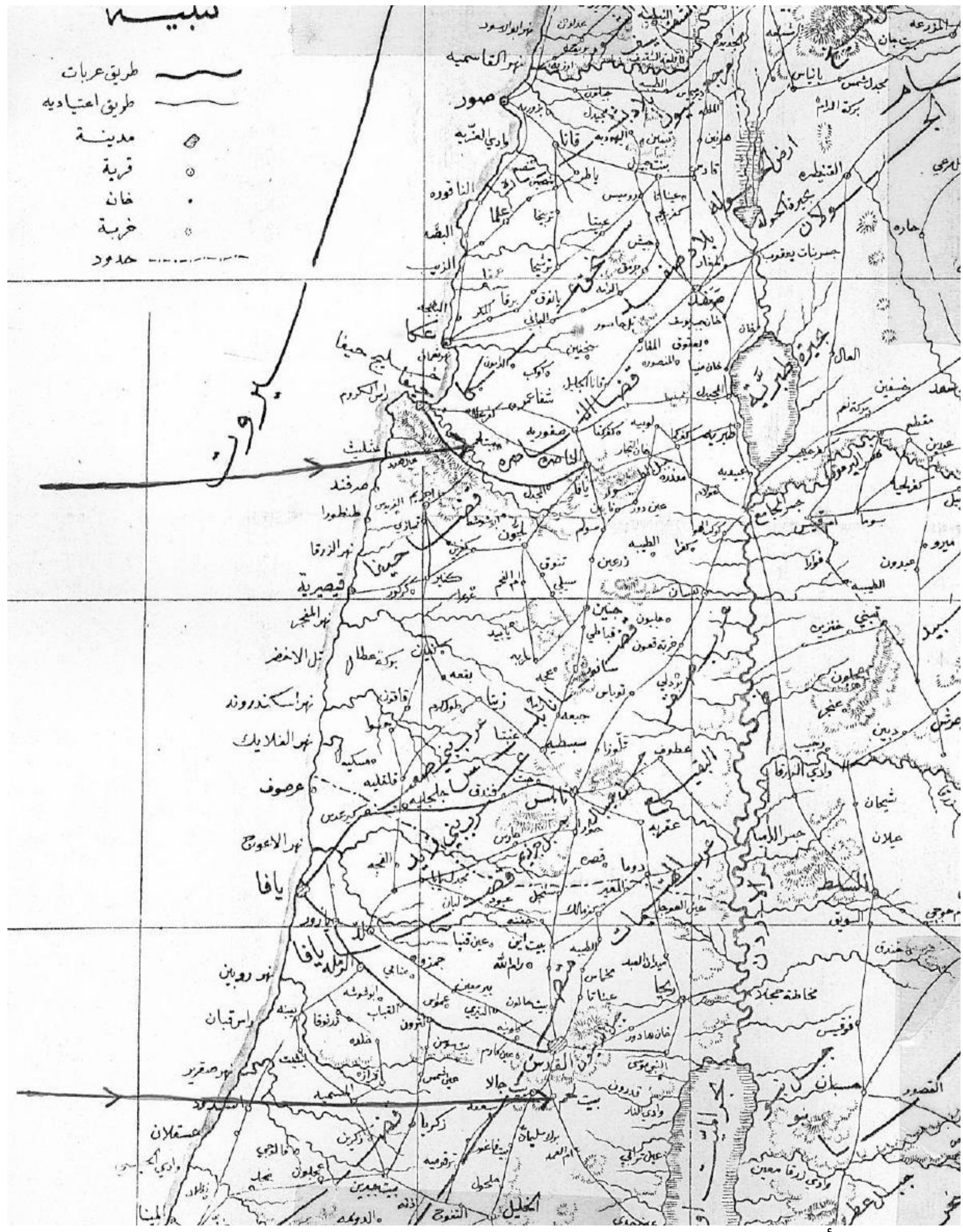


خريطة فلسطين خلال ايام المكابيّين (166-63 ق.م.) لاحظ بروز الجليل – "جليل الأمم" في هذه الفترة. كانت أكثرية سكان الجليل من "الأمم"، وخاصة من الكنعانيّين...

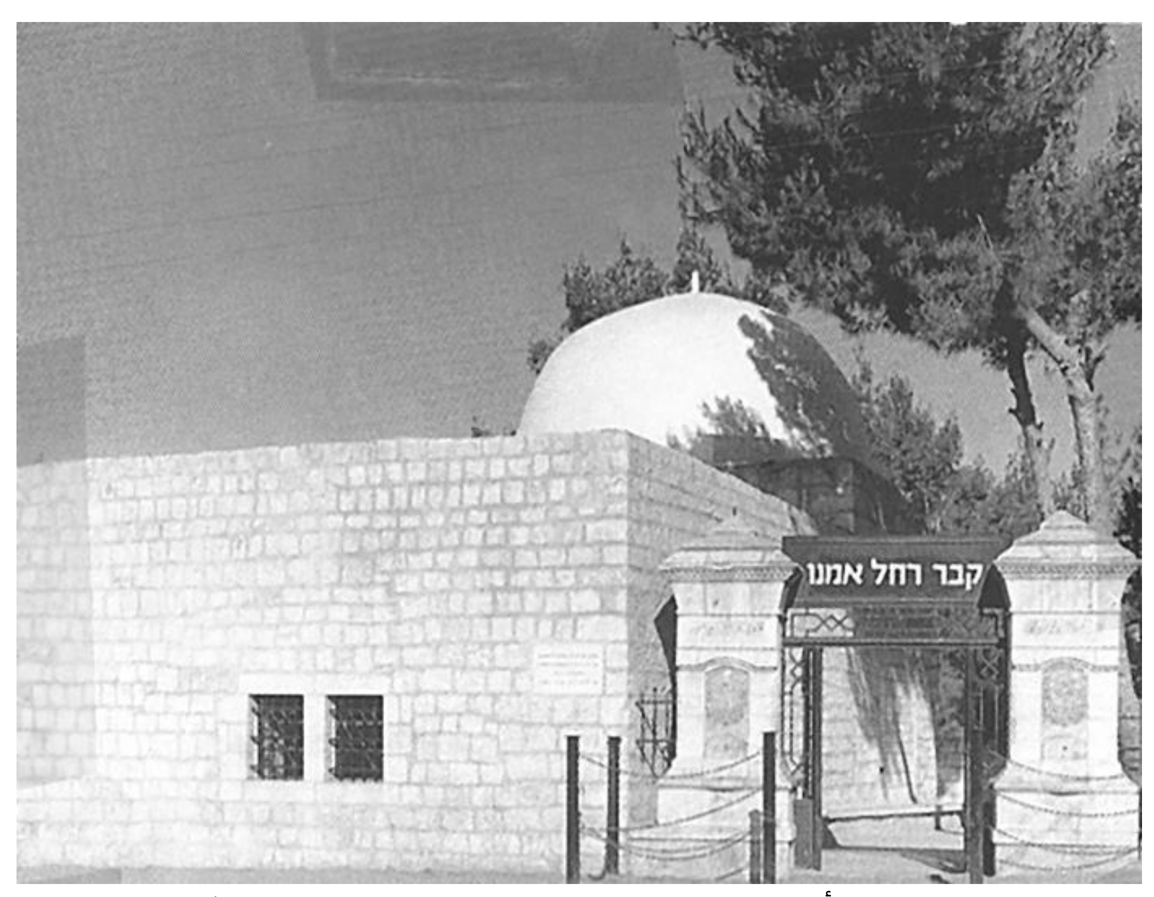
(نشرها ك.س. هامّون وشركاه في كتابه "أطلس الاراضي المقدسة"، نيويورك 1962).



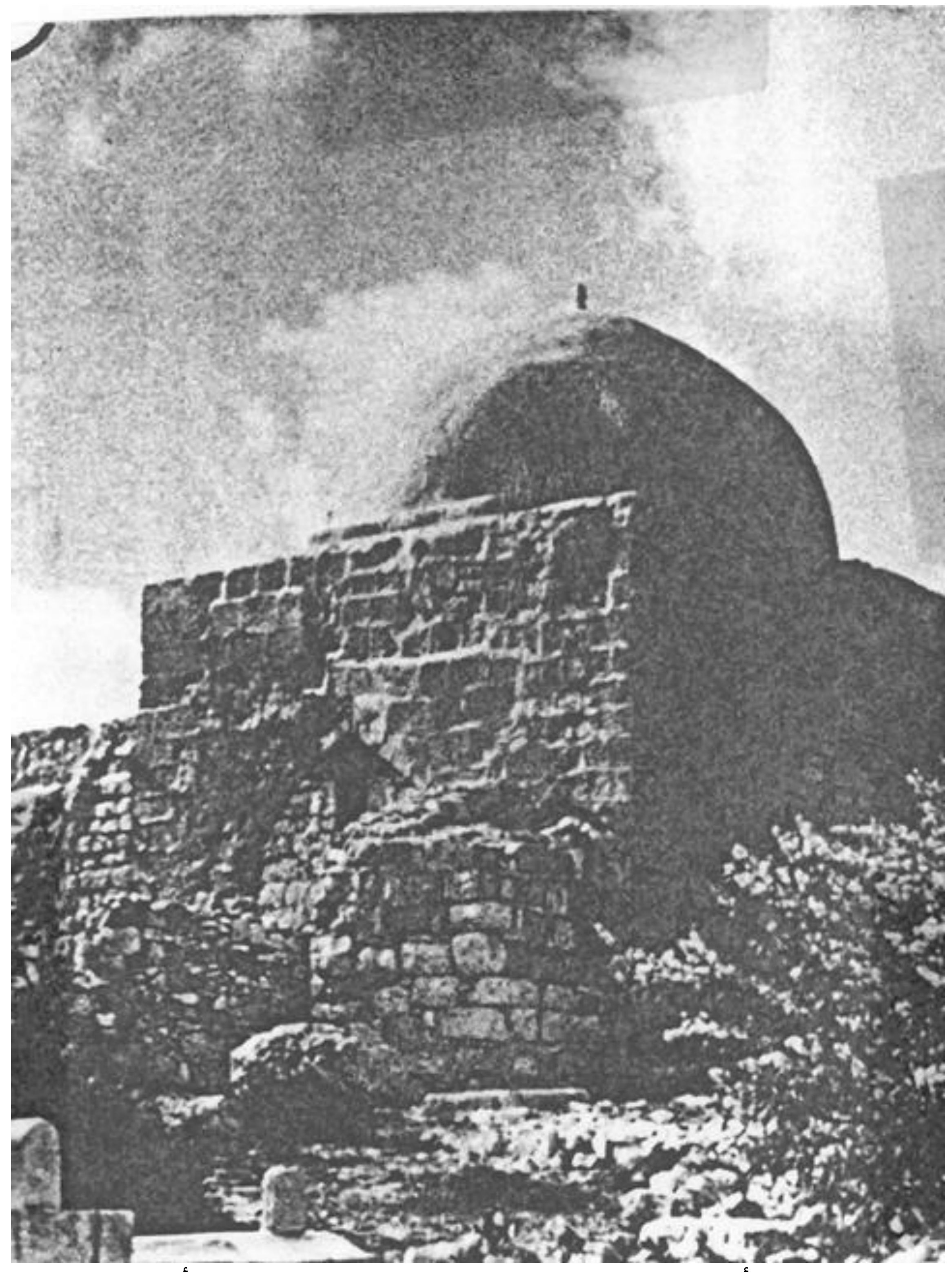
خريطة الاراضي التي كان يحكمها الملك هيرودوس الكبير (37-4ق.م.) يلاحظ بوضوح تام ان جبل الكرمل وجميع سفوحه كانت تقع، في هذه الفترة، داخل أراضي فينيقيا!
(نشرها ك.س. هامّون وشركاه في كتابه "أطلس الاراضي المقدسة"، نيويورك 1962).



خريطة "سوريّا أو برّ الشام" نشرها المطران يوسف الدبس 1895 في كتابه "تاريخ سوريا". لاحظ "بيت لحم اللبنانية" عند رأس السهم الأعلى، وبيت لحم اليهودية عند رأس السهم الأسفل، والمسافة الشاسعة بينهما. كما يظهر الى أي مناطق كانت تمتد ولاية بيروت في العهد العثماني كانت تضم، بالاضافة الى جنوب لبنان: بلاد صفد، سنجق عكا، قضاء الناصرة وقضاء حيفا (في شمال فلسطين).



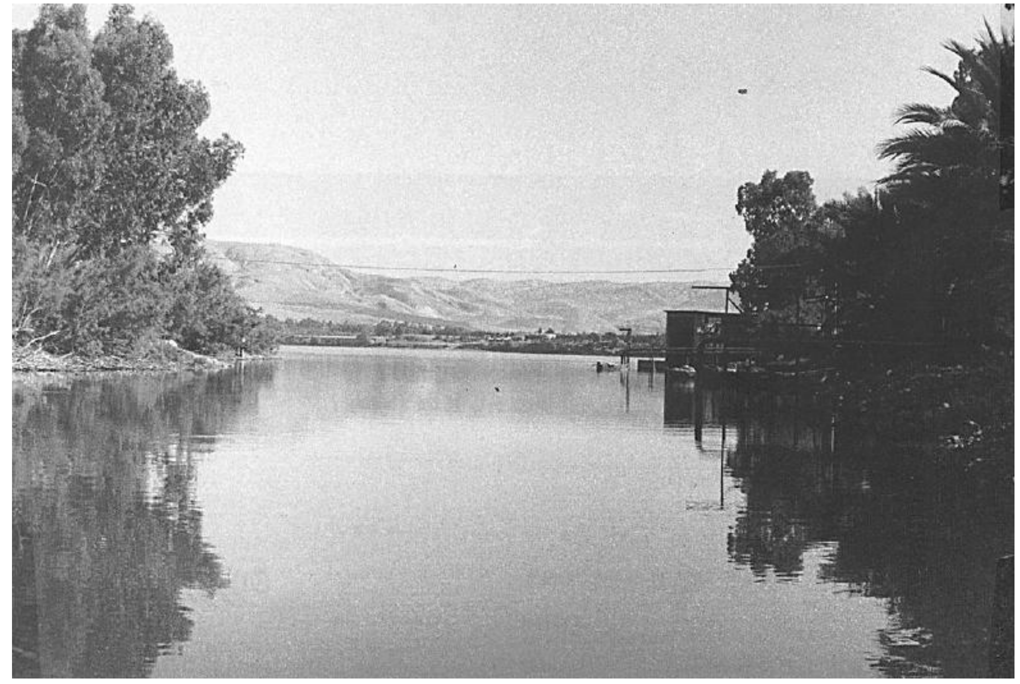
قبر راحيل الجديد – بني في أيامنا هذه – عند مدخل مدينة "بيت لحم" اليهوديّة المعروفة اليوم، جنوبي أورشليم. إنه القبر الثالث لراحيل، زمنياً، والمنقول الى هنا في أيامنا هذه...
(الصورة: "الارض المقدسة" – دليل سياحيّ وروحيّ مصور، 1997، الاب موسى الحاج الانطوني).



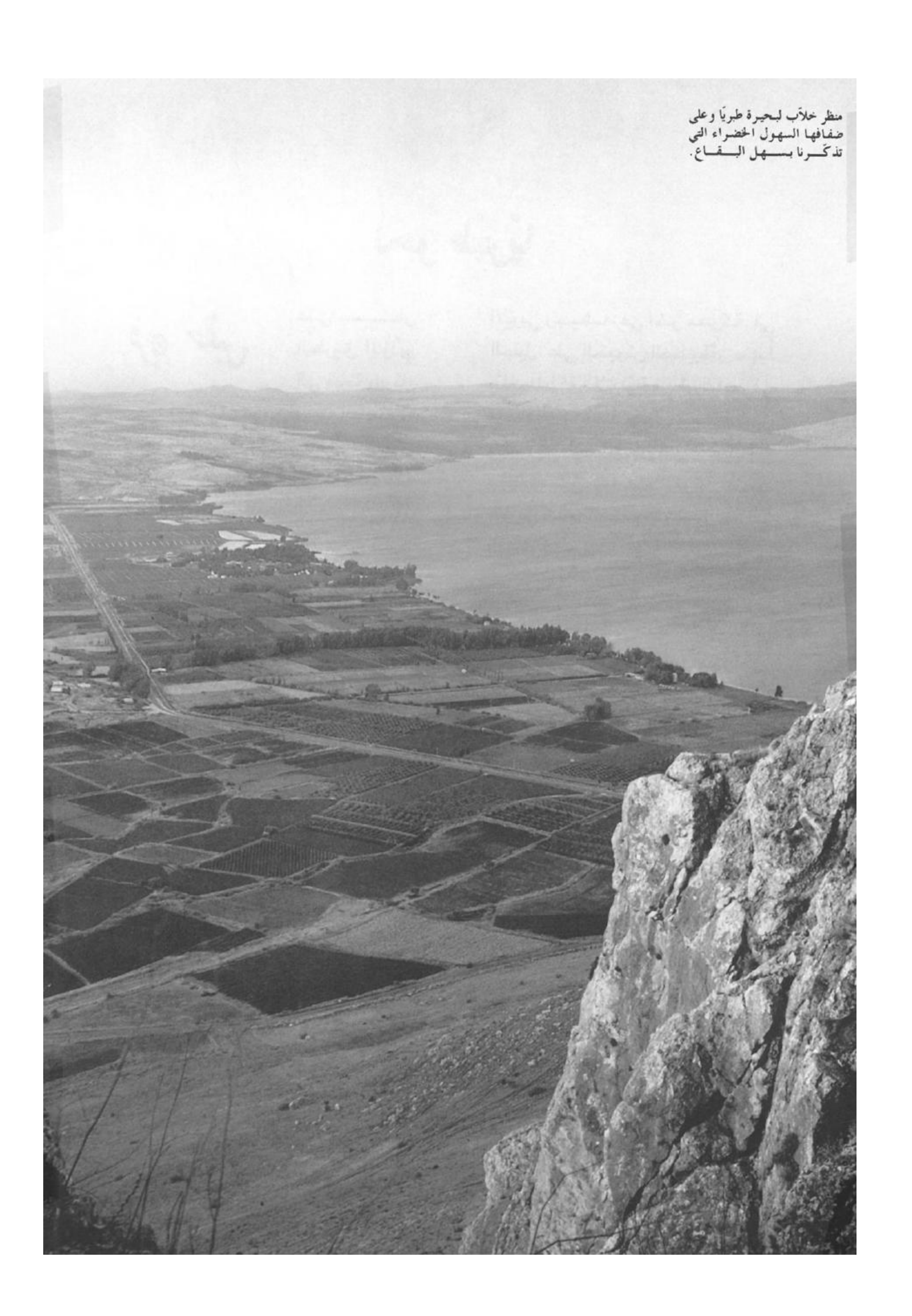
قبر راحيل القديم، في أرض سبط بنيامين على بعد حوالي 10 كلم شمالي أورشليم. إنه القبر الثاني لراحيل، زمنياً، والمنقول الى هنا في القرون الوسطى. اما قبر راحيل الحقيقي الاول والاصليّ، والكائن قرب "بيت لحم" افراته، الشمالية الجليلية، فقد زال تماماً من الوجود منذ قرون عديدة... (مجلّة عالم البيبليا"، آب ايلول تشرين الأول 1983).



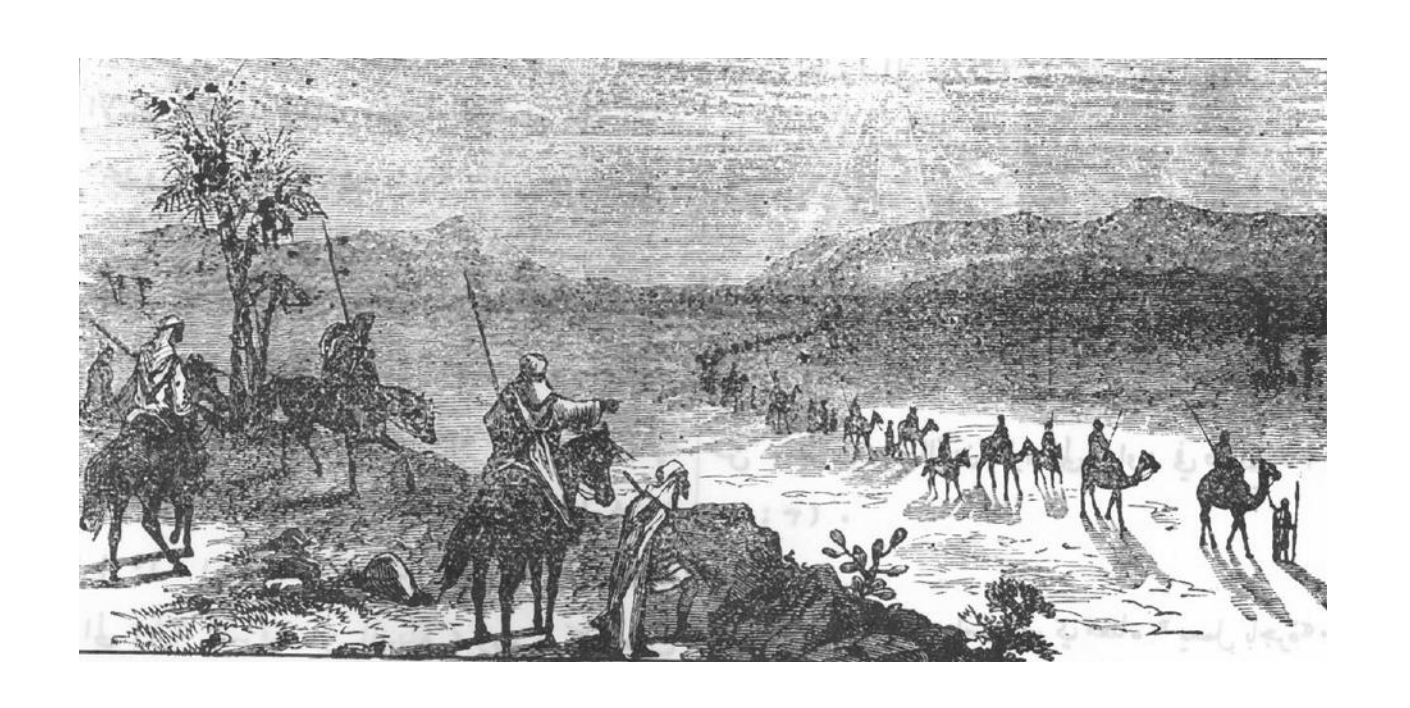
تظهر في الصورة اعلاه الطريق بين أورشليم وأريحا عبر بريّة اليهودية الجبليّة. في وسط الطريق فندق السامريّ الصالح. لاحظ طبيعة وبيئة هذه البريّة، مما يشكّل صعوبة فائقة للمسافرين ايام المسيح من الناصرة الى بيت لحم اليهودية...



تتكوّن مياه نهر الاردن من بحيرة طبريا في الجليل، ومن نهرَي الحاصباني والوزّاني في لبنان، ومن بعض الروافد الصغيرة الاخرى. وهنا في الصورة جانب من نهر الاردن حيث يأتي بعض الحجّاج لممارسة الشعائر الدينية فيه.



منظر خلاّب لبحيرة طبريّا وعلى
ضفافها السهول الخضراء التي
تذكّرنا بسهل البقاع.



سهل يزرعيل او مرج ابن عامر في فلسطين



صورة لمدينة اورشليم في ايامنا هذه. كانت في الأصل وطوال آلاف من السنين مدينة كنعانية، وذلك باجماع المؤرخين، وفي جميع الخرائط القديمة، وفي نصوص الكتاب المقدس نفسه مرات عديدة). كانت تدعى اولاً: **آريئيل** أي تلة **ايل** الإله الكنعاني الشهير (وهي لفظة كنعانية صرف). ثم دعيت **بيت شاليم** او أورشاليم أي **مدينة شاليم** و**شاليم** هو ابن **ايل**، وذلك ايام ملكيصادق كاهنها الأكبر وملكها، وايام ابراهيم. ثم دعيت **يبّوس** باسم اليبورسيّين وهي قبيلة كنعانية، وذلك منذ دخول العبران ارض كنعان حتى ايام الملك داود الذي احتلها، فسمّيت عندئذ **صهيون** ومدينة الملك داود.. ثم سمّيت **إيلياء**، مدينة ايل، في العهد الرواني. ومنذ الفتح العربي سمّيت **القدس**...

القسم الثاني

من هو السيّد المسيح،
في الحقيقة التاريخية المجرّدة؟

"وبينما الفرّيسيّون مجتمعون سألهم يسوع: ما رأيكم في المسيح؟ ابن من هو؟ قالوا له: "ابن داود". قال لهم: فكيف يدعوه داود ربّاً بوحي من الروح فيقول: قال الربّ لربّي: إجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك تحت قدميك... فإذا كان داود يدعوه ربّاً، فكيف يكون ابنه؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة، ولا جرؤ أحد منذ ذلك اليوم ان يسأله عن شيء"!

(متى 22: 41-46).

الفصل الأول

يسوع المسيح "وذريّة داود"...؟!

كان لليهود، في تاريخهم التوراتي، "مسحاء" عديدون... شاول كان "مسيحاً"، وداود كان "مسيحاً"، وشعب اسرائيل كان "مسيحاً". الملوك جميعاً ورؤساء الأحبار كانوا "يمسحون". قورش ملك فارس – الذي أنهى سبي بابل – كان مسيحاً لليهود! ثم كان لهم مسحاء آخرون. وخلال حرب اليهود الثانية ضد الرومان، سنة 135 بعد المسيح، قام الرابّي الكبير أكيبا وسمّى سمعان بركوكبا، رئيس الثوار اليهود، سمّاه مسيحاً، ولم يعترض عليه أحد من اليهود. وفي القرون الحديثة والمعاصرة قام "مسحاء" يهود كثيرون. وفي أيامنا هذه قام بعض الأحبار والحاخامين وادّعوا أنّهم "مسحاء". البعض يعتقد ان قيام دولة اسرائيل هو بمثابة مسيح مخلّص قوميّ، والبعض الآخر ينتظر...!؟

-1-الملك داود بين التاريخ والأسطورة...

ملك على يهوذا ثم على يهوذا واسرائيل (1010-970 تقريبا)؟

التوراة ليست كتاب تاريخ، بالمعنى الحصري والعلمي للكلمة، بحسب مفهومنا اليوم، ولو كانت تحوي أحياناً بعض الأحداث التاريخية المثبتة. التوراة هي كتاب دينيّ أصلاً وغاية. ولذلك لا يحق لنا ان نعتبره مصدراً ومرجعاً في علم التاريخ ومشتقاته، ولا هو يقدّم ذاته على أنه كذلك. وقد ثبت أن اعتماده، من قبل البعض، على كونه كتاب تاريخ (وجغرافية) قد ألحق في المفاهيم الدينية أضراراً فادحة ونتائج وخيمة يلزم الكثير من الوقت والجهد لتلافي آثارها... والأمثلة على ذلك كثيرة، وكثيرة جداً... نذكر فقط "تاريخ الكون" و"مركزيّة الأرض" و"عمر الانسانية"... الخ...

ومن أبرز الأمثلة على ذلك، في مجال حياة وسيرة بعض كبار الرجال، حياة وسيرة الملك داود. لقد ترسّخ في أذهان وذاكرات العامة بالتوارث طوال قرون أن كل ما ورد في التوراة عن الملك داود (وخاصة في سفر صموئيل الثاني وسفر الاخبار الاول...) هو من باب التاريخ الحقيقي والمثبت. مع أنه قد تأكد اليوم، تحت أضواء النقد التاريخيّ الموضوعيّ والمجرّد، وبما لا يقبل الشك إطلاقاً، أن أصل الملك داود وسيرة حياته وأعماله وحروبه فيها الكثير من الالتباس والغموض وحتى المغالطات التاريخية والتناقض. وإن عدم التماسك، من الناحيتين التاريخية والجغرافية، جليّ وظاهر للعيان عند أول وأبسط نقد تاريخي موضوعيّ وعلميّ. وذلك عائد لأسباب عديدة، أهمها: أولاً إن واضعي سيرة داود كتبوا عنه بعد قرون عديدة من وفاته، ولم يكن لهم أي مرجع تاريخي مثبت ومحقّق يستندون اليه، بل انطلقوا من روايات شعبية وقصص وحكايات متفاوتة في الزمان والأسلوب. كان لهم مصادر عدة وتقاليد مختلفة مغايرة وحتّى متناقضة.؟ ثانياً وضعت سيرةالملك داود بعد الرجوع من جلاء اليهود الى بابل. ثم عرفت نصوص هذه السيرة تعديلات واضافات وتغييرات وزيادات وعلى فترات متلاحقة ومتباعدة. ثالثاً – وهذا هو الأهم – حاول هؤلاء الكتّاب، بشتى الوسائل، ربط الملك داود بآباء وأجداد أسباط إسرائيل الاثني عشر (والذي ثبت انهم لم يكونوا اثني عشر!...)، وصولاً الى إبراهيم واسحق ويعقوب... وكان همهم الاساسي تعظيم وتفخيم شخصية الملك داود، واظهاره ملكاً فريداً، جباراً، قدّيساً، ومثالياً في كل نواحي حياته، حتى أوصلتهم المبالغات القومية والعنصرية الى التضحية بأبسط القواعد التاريخية. ومثلما بالغوا في تعظيم الملك داود، بالغوا ايضاً في تعظيم أورشليم فوقعوا هنا أيضاً في مغالطات تاريخية وجغرافية فاضحة. فبعد عودتهم من الجلاء حاول اليهود ان يكتبوا تاريخهم أسوة بسائر الشعوب التي لها تاريخ واضح معروف. فلجأوا الى تضخيم وتعظيم كلّ ما كان له علاقة بعاصمتهم

أورشليم. مع العلم أن مدينة أورشليم كانت طوال آلاف من السنين مدينة كنعانية قبل ان يغتصبها اليهود مثلما اغتصبوا جنوبي كنعان الذي أصبح اسمه فيما بعد فلسطين. وكان اسم أورشليم فيما مضى، قبل الاغتصاب، "يبّوس" و"أريئيل" و"إيليا"، كما جاء في التوراة نفسها (راجع فيما يخص "يبّوس": يشوع 15: 63؛ قضاة 19: 10؛ الاخبار الاول 11: 4-5؛ صموئيل الثاني 5: 7. وفيما يخص "آريئيل" راجع سفر اشعيا 29: 1-2 و7). ومع العلم ايضاً أن اسم إيل الكنعاني الذي ظل ملازماً فترات طويلة لهذه المدينة، عاد وظهر هو نفسه في العهد الروماني، اذ نزع الرومان اسم أورشليم عن المدينة وعادوا يسمّونها "إيليا". وكان اسمها ما زال "إيليا" عندما دخلها العرب عام 638 زمن الفتح الاسلامي... (راجع: كمال الصليبي "حروب داود" الطبعة الاولى، 1990، ص40). ويجب أن لا يغرب عن بال أحد ان اورشليم التي ظلت طوال آلاف من السنين مدينة كنعانية، كانت عند وصول ابراهيم الى ارض كنعان حوالي 1850 قبل المسيح، مدينة الملك ملكيصادق كاهن إيل الكنعاني العليّ (الملقّب "بعليّان"). وقد قدّم إبراهيم لملكيصادق العشور، معترفاً بسلطته وكهنوته وديانته. وملكيصادق هو الذي اعطى فكرة الوحدانية الالهية لابراهيم، كما يجمع مؤرخو اليوم. (راجع، على سبيل المثال: المؤرخ الدكتور فيليب حتّي "تاريخ لبنان – منذ أقدم العصور التاريخية الى عصرنا الحاضر"، ترجمة أنيس فريحه ونقولا زيادة، الطبعة الثانية، 1972، الفصل السابع، صفحة 113، والحاشية رقم (2)). ولقد ذكرت اورشليم في نصوص اللغة المصريّة من بداية الالف الثاني ق.م.، كما ذكرت في نصوص تل العمارنة في النصف الثاني من الالف الثاني ق.م. وكانت عاصمة "عبدي حيبا" أحد الامراء الكنعانيين...

ولو عدنا الى أصول الروايات والحكايات الشعبية المتداولة على ألسنة الأجداد والجدّات، وهم يروونها للأحفاد، نرى جذورها موغلة في القدم، ومنتشرة لدى كافة الشعوب، وقد انتقلت من الشرق الى الغرب عبر الاساطير اليونانية والرومانية، وتأثر بها كتبة التوراة الذين عانوا مرارة الذل والهزيمة على ضفاف دجلة والفرات، خلال فترة السبي البابليّ، في أواخر القرن السادس قبل الميلاد. فكان لا بد من وجود بطل يحرّك العواطف، ويهيّج المشاعر القومية، ويستفزّ النفوس المقهورة، ويمسح الدموع عن الأعين الباكية...

"على انهار بابل هناك جلسنا... بكينا ايضاً عندما تذكّرنا صهيون...؟" (المزمور 137). من يعيد "لشعب الله المختار" مجده؟ من يبني لربّ الجنود هيكلاً، الذي هو فوق جميع الآلهة؟! "والذي ضرب ابكار مصر من الناس الى البهائم"؟ (المزمور 135). من ينتقم من أشور ونينوى وبابل؟ "يا بنت بابل المخرّبة طوبى لمن يجازيك جزاءك الذي جازيتنا. طوبى لمن يمسك أطفالك ويضرب برؤوسهم الصخرة..."(!!) (المزمور 137).

إن الملك داود هو احد أهم الشخصيات التي ابتدعتها الروايات التوراتيّة لتجسّد البطولة الاسطورية "لشعب الله المختار". هو الذي يجاوب على اسئلة اليهود في الجلاء، ويشفي غليلهم، وينتقم لهم... وقد نسج كتبة التوراة من حول شخصية داود هالة كبيرة من الامجاد والبطولات والمآثر، وحكايات شعبية يتوق الى سماعها عموم أفراد الشعب... وخصوصاً اذا كان هذا الشعب منغلقاً ومتعصّباً من النواحي الدينية والقومية والاجتماعية...

ملخص ما ورد ذكره عن داود في التوراة – في روايتين مختلفتين تماماً:

الرواية الأولى:

جاء وصف داود في سفر صموئيل الاول كما يلي: "يحسن الضرب على العود وهو جبّار بأس ورجل حرب وفصيح ورجل جميل والرب معه..." (16: 17).

ولم يكن لاسرائيل ملك كبقية الشعوب – وخاصة كالكنعانيين سكّان الارض الاصليّين – فاجتمع شيوخها وطلبوا من صموئيل، أحد قضاة بني اسرائيل – أن يُنَصّب عليها ملكاً. "فالآن إجعل لنا ملكاً يقضي لنا كسائر الشعوب..." (صموئيل الاول 8: 5).

فتم اختيار شاول ليكون أول ملك يحكم اسرائيل من قبل "يهوه" ربّ القبائل اليهودية التي لم تعرف المدنية والاستقرار، على عكس الشعب الكنعاني المقيم في أرض كنعان منذ آلاف السنين، والذي عرف الحكم والتنظيم والتشريع منذ حقبات طويلة. وكان شاول قد أصيب بمرض عصابيّ في أواخر أيامه وأصبح قلقاً سوداويّ المزاج، لأن روحاً كريهاً حلّت به من قبل الرب. وقد اختير داود الشاب ليروّح عن نفس شاول بالعزف على العود، فوجد في عينيّ الملك استحساناً، وأقام في بلاطه وتوثقت العلاقة الحميمة جداً... بينه وبين أحد ابناء الملك... وكان هذا اللقاء اول لقاء يتمّ بين الملك شاول وداود... الخ...

الرواية الثانية

الرواية هذه لا تمت الى الاولى بصلة. بل هناك تناقض واضح تماماً بين الروايتين في نفس السفر التوراتي!!. تبدأ الرواية الثانية كما يلي:

حدث في أيام شاول ان قائداً فلسطينياً من مدينة "جتّ"، مهيب الخلقة يثير الرعب والفزع في النفوس... "طوله ست أذرع وشبر. وعلى رأسه خوذة من نحاس. وكان لابساً درعاً حرشفياً، ووزن الدرع خمسة آلاف شاقل نحاس وجرموقا نحاس على رجليه، ومزراق نحاس بين كتفيه، وقناة رمحه كنول النسّاجين، وسنان رمحه ست مائة شاقل نحاس..." (صموئيل الاول 17: 4-8).

ويعرض الملك ابنته ميكال زوجة لمن يقتل هذا الطاغوت العملاق. فيتقدم فتى اسمه داود ويطلب منازلة جالوت (جوليات الجبّار...) ووفق هذه الرواية يتعرف شاول على داود لأول مرة بمحض الصدفة، وكان ذلك اثناء إحضار داود الطعام لإخوته الجنود في جيش شاول. وكان داود أصغر اخوته سناً وأضعفهم بنية ويعمل راعياً لماشية ابيه يسّى، ولا علاقة له بتاتاً ببلاط الملك. بينما نرى في الرواية الاولى أن داود كان عازفاً في بلاط الملك شاول وكان هذا يعرفه تماماً وان احد ابنائه كان على علاقة وثيقة جداً به...

وكان أن حدثت المعجزة، وانتصر داود المغنّي الفتى على "جوليات الجبار"، الذي طول رمحه كنول النسّاخين. وهكذا اصبح داود قائداً لجيش الملك شاول بعد ان استطاع ان يصرع جوليات بحصى المقلاع...! (انظر النص التوراتي في سفر صموئيل الاول، الفصل 17).

والأغرب من كل ذلك، ان سفر صموئيل الذي يروي في الفصل 17، مقتل جوليات الجبار، يعود ويروي هو نفسه رواية أخرى تناقض الاولى وتقول ان شخصاً آخر يدعى الحانان من بيت لحم هو الذي قتل جوليات الجبّار؟! "ثم كانت ايضاً حرب في جوب مع الفلسطينيين، فألحانان بن يعري أرجيم البيتلحمي قتل "جوليات الجبار" (جالوت) الجتّيّ، وكانت قناة رمحه كنول النسّاجين..." (سفر صموئيل الثاني 21: 19). (تجدر الاشارة هنا الى ان سفري صموئيل الاول والثاني هما في الاصل سفر واحد). من قتل اذاً جالوت (جوليات الجبار) الفلسطينيّ؟ هل هو داود؟ ام ألحانان بن يعري؟ لقد دخل في اذهان وذاكرات العامة طيلة قرون متوالية ان داود هو قاتل جوليات. مع ان الحقيقة هي ان الكتبة المتأخرين، بغية اضفاء هالة البطولات الاسطورية حول شخصية الملك داود...، جعلوا منه هو قاتل جوليات...! (وزيادة في التفصيل والتوضيح والتأكد : راجع صموئيل الاول 17: 4، والحاشية رقم (1) مع الشروحات، وصموئيل الثاني 21: 19-22، والحاشية رقم (9) مع الشروحات، وذلك في الكتاب المقدس، العهد القديم، النسخة الكاثوليكية الجديدة- اليسوعية، طبعة 1989، ص 552 و613).

إن نصوص العهد القديم تجعل من اسرائيل في عهد الملك داود اكبر دولة في المنطقة الواقعة بين الامبراطوريتين الكبيرتين الاشورية والمصرية! فبعد أن جعل داود اورشليم عاصمة للمملكة المتحدة (يهوذا في الجنوب واسرائيل في الشمال)، مبدّلاً اسمها من "يبّوس" (الكنعانية) الى أورشليم و"صهيون"، امتد بنفوذه حتى وصل أطراف الفرات (!!)، واخضع الحكّام الكنعانيّين والآراميّين في صور ودمشق وحماة، وجعلهم اتباعاً له يقدمون له الجزية، بحسب الرواية التوراتية...!

أوليس غريباً حقاً عدم ذكر داود الملك اليهودي العظيم في أية وثيقة من الوثائق المكتشفة، سواء في مصر أو في بلاد الرافدين أو في أرض كنعان او في بلاد الآراميّين؟ وإذا قبلنا التفسير القائل بأن مصر كانت في عصره منشغلة بالإصلاح الدينيّ وتنازع الاسرة الحاكمة فيما بينها (الاسرة الحادية والعشرين)، وضعف بابل بعد حكم الغرباء (الكاشيّون)، وعدم ظهور سلطة قوية في أشور وفي آسية الصغرى بعد سقوط الدولة الحثيَّة، إذا قبلنا بكل هذا – فكيف نعلّل ذكر أسماء الحكّام الصغار الكنعانيّين في صور وصيدا وجبيل وأوغاريت وغيرها، والآراميين في دمشق وصوبا وحماة وغيرها، الذين هم أقل شأناً من داود ملك اسرائيل العظيم؟! ...أجل! ليس هناك أي ذكر للملك داود هذا، في كلّ هذه التواريخ!؟

عبثاً يحاول كل من يجهد نفسه في البحث عن شخصية الملك داود تاريخياً وجغرافياً وآركيولوجياً، خارج اطار التوراة (العهد القديم)، إذ لا توجد اية وثيقة تاريخية تساعدنا على رسم هذه الشخصية. أليس هذا من الأمور الملفتة والغريبة والخطيرة؟ ولماذا السكوت عن هذه الحقيقة التاريخية القاطعة؟ لماذا؟ إن نصوص العهد القديم عن الملك داود تتضارب كثيراً فيما بينها ولا تعطينا صورة واضحة عن شخصيته. فهل يا ترى كان داود نبياً حقاً الى جانب النبي ناتان الذي كان يعيش معه في القصر، والذي وبّخه على فعلته الشنعاء مع زوجة أوريّا الحثّي؟ وهل يتواجد نبيّان في مكان واحد؟ أم كان داود كاهناً الى جانب عدد كبير من الكهنة؟ أم قائداً لجيش الربّ إله اسرائيل؟ ام ملكاً فقط؟ أم جمع داود كل هذه الميزات في شخص واحد؟ أم... الخ...؟

إن أحداً من المتخصّصين في اللاهوت التوراتي – وخاصة في هذه الأيام –لا يمكنه إقناعك بإجابة واحدة، وقد أجمع المؤرخون غير التوراتيّين اليوم على أن داود ليس اسماً في الأصل وانما تحوّل من صفة الى اسم بعد أن لازمت هذه الصفة صاحبها وطغت على الاسم الحقيقي الأول. وقد أطلق لفظ "داود" في نصوص مدينة "ماري" الشهيرة على رئيس مجموعة من الجنود المرتزقة، ولم يذكر على الاطلاق كأسم علم!... فداود تعني هنا: رئيس عصابة...

والملفت حقاً أن النسخة الكاثوليكية الجديدة، التي بين أيدينا، تسمّي "داود رئيس عصابة"، بالحرف الواحد: راجع سفر صموئيل الاول، الفصل 22، صفحة 562، حيث تقرأ: 3- "داود رئيس عصابة"!...

بعد كل ما تقدّم يصبح من المتعذّر لا بل من المستحيل التحدث بشكل تاريخي علمي موضوعي عن داود، عن أصله وحياته وأعماله وحروبه، عن ملكه وانتشار مملكته، وبالتالي عن نسله وذرّيته، وبالتالي – وهذا ما يهمنا في هذه الدراسة – عن ربط يسوع المسيح بهذا النسل وهذه الذريّة... وسوف نفصّل استحالة هذا الربط في القسم الثاني من هذا الفصل. ونكتفي هنا، في نهاية القسم الأول، بالقول إن نصوص التوراة التي تجعل من "بيت لحم يهوذا" مسقطاً لرأس داود، هي نصوص غير متماسكة تاريخياً وفيها الكثير من المغالطات، لأنها كتبت في وقت متأخر جداً، وعرفت كثيراً من الاضافات والزيادات... ويَبْلُغُ هذا الامر حدّ التناقض حتى في السفر الواحد عينه! فحين يقول أحد النصوص إن داود كان يرعى غنم ابيه يسّى في بيت لحم يهوذا مدينته – والعجيب ان هذا النصّ كان اضافة من الناسخ... كما تبيّن لنا اليوم، بعد أن حسبه الناس نصاً أصلياً بعد أكثر من الفي سنة! –(راجع سفر صموئيل الاول 17: 15، مع الحواشي والشروحات)، يقول نصّ آخر، في نفس السفر، إن داود لم يكن يعرف أحداً – ولا أحد يعرفه – في بيت لحم وأورشليم وحبرون وكل تلك المنطقة، وقد سعى لاستمالة الناس اليه، وأقام لأول مرة في أورشليم عند مسحه

ملكاً في حبرون من قبل عشيرة يهوذا، ثم أسكن لأول مرة أناساً من الشمال (اسرائيل) في منطقة الجنوب (يهوذا) ... (راجع سفر صموئيل الاول 27: 10-12؛ 30: 26-31، مع الحواشي والشروحات...). وفيما يخص احتلال هذه المنطقة الكنعانية – أورشليم وحبرون – لأول مرّة، من قبل اليهود، يقول سفر يشوع إن كالب القنزيّ هو الذي احتلها، لا داود! (راجع سفر يشوع 15: 13-19، مع الحاشية رقم 4 والشروحات)، بينما سفر القضاة يقول ان يهوذا هو الذي احتلّها!؟ (راجع سفر القضاة، الفصل الاول والثاني، مع الحواشي والشروحات). الى اليوم، لم نعرف من احتل اورشليم وحبرون، هل هو داود، ام كالب ام يهوذا؟!

ويظهر من نصوص التوراة نفسها ان داود قضى كل أيامه تقريباً في اسرائيل، في الشمال، حتّى تتويجه ملكاً في حبرون واقامته في اورشليم، في الجنوب (راجع سفر صموئيل الاول والثاني، وسفر اخبار الايام الاول). حتى إن نساء داود... كانت اكثريتهنّ من الجليل، وقد رافقنَه الى حبرون ثم الى أورشليم. ومن ابرزهنّ أحينوعم اليزرعيليّة (من منطقة يزرعئيل في يسّاكر جنوبي الناصرة)، وابيجائيل أرملة نابال الكرمليّ (من منطقة الكرمل جنوبي سبط أشير)، ومعكة بنت تلماي، ملك جشور (شرقي بحيرة طبريّا)، وحجّيت وابيطال وعجلة وغيرهن كثيرات... ما عدا السّراريّ... (راجع اخبار الايام الأول 3: 9) (راجع ايضاً سفر صموئيل الثاني 3: 1-5).

وخلاصة القول، إن الملك داود، ولو كانت شخصيته مميّزة في التراث اليهودي ثم في التراث المسيحيّ من بعده...، يبقى بين التاريخ والاسطورة. ومعلوماتنا عنه مصدرها النصوص التوراتية لا غير. وهذه النصوص التوراتية نفسها تحوي الكثير من الاضافات والزيادات والتغييرات المتتالية التي تبلغ حد التناقض الفاضح أحياناً كثيرة... وخارج التوراة، ليس لنا عن الملك داود مصادر تاريخية تذكر. وبالتالي فان الحديث عنه، عن أصله وحياته واعماله وبطولاته وحروبه وملكه ومآثره... يفتقر تماماً الى الطابع التاريخي الثابت والمحقّق، بحسب مفهومنا الحصري للتاريخ في يومنا هذا. وهكذا فان ربط يسوع المسيح بذريّة داود الجسدية غير متماسك تاريخياً، ومتعذّر تماماً، عدا عن كونه جاء متأخراً في التاريخ المسيحي (أوائل القرن الرابع للمسيح!...). وهذا ما سنفصّله في الفقرات التالية.

والملفت حقاً، أن مؤرّخي اليوم منقسمون تماماً حول رواية الملك داود وأصله. فاكثرية مؤرخي العرب اليوم يرجعون أصله الى بلاد موآب، جنوبي فلسطين. والمؤرخ كمال الصليبي يقول: "كان داود، في الأصل، من بلدة "بيت لحم"، في أرض الفَلَسَة (صموئيل الثاني 23: 14).. وهذه اليوم قرية "ام لحم" بوافي أضم من منطقة الليث" (جنوبي الطائف، على الشاطئ الشرقي من البحر الأحمر، بين اليمن والسعودية...) ("حروب داود" ص 138) والبعض الآخر من مؤرخي اليوم لا يحدّدون أصل داود جغرافياً ويعتبرون قصته مجموعة من الروايات والاساطير الشعبية. اما التوراتيّون، من يهود

ومسيحيين متهوّدين فيقولون إن الملك داود هو من بيت لحم يهوذا، في أرض يهوذا، جنوبي أورشليم، انطلاقاً من النصوص التوراتية. أما نحن فليس بمقدورنا ان نجزم من أين جاء داود، لأنه ليس بين أيدينا مصادر ومراجع تاريخية ثابتة ومحققة. ولكننا نرجح أن أصل داود ليس من بيت لحم يهوذا، جنوبي أورشليم، بل من بيت لحم الاولى والقديمة، في الشمال، في "جليل الأمم"، وذلك انطلاقاً من النصوص التوراتية نفسها!؟...

إن النقد التاريخي اليوم، في مفهومه الموضوعي والعلمي المجرّد، يعتبر قصة داود وأخباره في التوراة مزيجاً غريباً من الروايات والاساطير الشعبية والمبالغات العنصرية والقومية، التي وضعت على مراحل، بعد مئات ومئات من السنين بعد حصول الاحداث الاولى. فلا يمكن، والحالة هذه، اعتبارها مرجعاً تاريخياً، بحسب مفهومنا اليوم للتاريخ. وهناك اليوم دراسات وابحاث تاريخية عديدة جداً في هذا المضمار، لا يمكن سردها كلّها في هذه الدراسة. راجع على سبيل المثال لا الحصر:

-P.L. Davies “In Search of Ancient Israël”, Sheffield, Sheffield Academic Press, 1992.

-T.L. Thompson “the Early History of the Israelite people: The Literary and Archeological Evidence”, Leyde, Brill, 1992.

وينفي هذان المؤرّخان أي صفة تاريخية عن وجود داود وبالتالي عن شخصيته وأعماله...!

والملفت حقاً، أن المؤرخين المذكورين أعلاه، هما من كبار مؤرخي اسرائيل اليوم!!؟

وفي هذه الأيام تكثر الدراسات التاريخية النقدية حول السيد المسيح، حول حياته وأقواله، حول نسبه وأقاربه وأهله. وغالبية هذه الدراسات، خاصة في أميركا وأوروبا، لا تعترف بالعلاقة الذريّة النسبية بين المسيح وداود، ذلك لأن قصة داود نفسه واخباره في التوراة تعتبر اليوم مزيجاً من الروايات الشعبية والأساطير القومية... فلا يمكن بالتالي اعتبارها مرجعاً تاريخياً. وفي دراسة تاريخية حديثة جداً يقول المؤرخ الفرنسي بيار أنطوان برنهايم في كتابه "يعقوب أخ الرب (يسوع)" (1996، ص 54-55، 280): "...ليس من الثابت ابداً ان عائلة يسوع المسيح، وأقاربه، ويوسف ومريم هم من ذرية داود وسلالته... وليس من الثابت ابداً ان يعقوب أخ الرب (يسوع) هو من ذريّة داود..."!! وهو يستند، كما يقول هو نفسه، الى كتابات أوسابيوس القيصري مؤرخ الكنيسة الاول، والكاتب المسيحي في القرن الاول هيجيزيب، وتاسيان السرياني في القرن الثاني، تلميذ القديس جوستين أحد كبار آباء الكنيسة الأولين، وغيرهم كثيرين...!

2-ربط يسوع المسيح "بذريّة داود الجسديّة" حديث العهد، متعذّر وغير متماسك تاريخياً..

بالاضافة الى كل ما تقدّم عن أصل داود ورواية حياته...، فإن قضية علاقة يسوع المسيح، من جهة ثانية، "بذريّة داود الجسدية" هي حديثة العهد في تاريخ المسيحية. ويؤكد أكثر مفسّري الكتاب المقدس اليوم – وخاصة مفسري كتب العهد الجديد – وعلى رأسهم المفسّرون الكاثوليك أمثال بيرّو وبنوا وبوامار وغيرهم كثيرون...، يؤكّدون جازمين ان قضية ربط يسوع المسيح "بذريّة داود الجسدية" هي حديثة العهد في التاريخ المسيحي، وهي تعود الى القرن الرابع للميلاد، لا قبل! (راجع مقدمة الكتاب – قانون العهد الجديد) فقد أضيفت، فيما بعد، على يد المسيحيّين المتهوّدين، أي المسيحيين الأوائل من أصل يهودي، ووضعت في نصوص العهد الجديد، في زمن متأخر. والذي يؤكد ذلك، هو أن تيار الانجيليّين الأربعة كان يركّز على حبل مريم البتولي بيسوع، أما المسيحيّون المتهوّدون فكانوا يقاومون (؟!) هذا الحبل البتولي... (راجع يوحنا 6: 41-42، الحاشية 25 والشروحات، في النسخة الكاثوليكية الجديدة – اليسوعية – طبعة 1989، ص 307) ومعنى ذلك، أن المسيحيّين المتهوّدين كانوا يقاومون الحبل البتولي لأنه يلغي علاقة يسوع المسيح بذريّة داود الجسدية. وذلك لأنهم كانوا ينتظرون مسيحاً يهودياً، بكل معنى الكلمة، من أبوين يهوديّين مرتبطين بذريّة داود الدموية، وهذا المسيح اليهودي يأتي لليهود وحدهم، ينصرهم على أعدائهم، ويحرّرهم، ويصبح ملكاً على عرش داود... وكانوا على بيّنة تامة أنه اذا جاء من حبل بتولي فلا يكون من ذريّة داود، ولا يكون بالتالي مسيحهم المنتظر. فلذلك قاوموا الحبل البتولي.. منذ البدء فكان همهم الوحيد أن يربطوا يسوع المسيح بذرية داود الجسدية، مستخدمين كافة الطرق والاساليب لاثبات ذلك. وقد وصل بهم الأمر الى استخدام نبؤات الانبياء التي تتحدث عن مجيء المسيح كما يحلو لهم، فأضافوا وزادوا وبدلوا وغيّروا، ووقعوا في مغالطات تاريخية وجغرافية بلغت احياناً كثيرة حدّ التناقض الفاضح...!

من جهة ثانية، وقبيل الميلاد، كان هناك في المشرق جماعات روحية عريقة في روحانيتها تنتظر، كلّ واحدة من جهتها وعلى طريقتها، مخلّصاً روحياً يخلّص البشرية جمعاء (المجوس مثلاً وغيرهم...). وفي "جليل الأمم"، شمالي فلسطين، حيث كانت تتجاور جماعات روحية من إتنيات ومذاهب متنوعة، في بوتقة كنعانية توفيقية، بلغ انتظار هذا المخلص حدّ الترقب الوشيك. ذلك، لأن الفساد الاخلاقي أخذ يهدّد الديانات والدول والمجتمعات البشرية بالانحلال التام... وكان هناك، خاصة في "جليل الأمم" – حيث ولد المسيح ونشأ وتعلّم وبشّر – جماعات "الأسّينيّين" "والمنذورين" (النذيرين) "والمكرّسين" وغيرهم... وكانوا جميعاً على تقارب فكريّ

وروحيّ ومسلكيّ ملفت، ينتظرون بلهفة مجيء مسيحٍ مخلّص روحيّ يأتي وشيكاً ينشر العدالة والسلام، يعيد العلاقة بين الله والناس، يحرّر ويخلص البشرية جمعاء، ليس من الاخصام والجيوش العدوّة، بل من الخطيئة والشر والفساد... مسيح روحيّ قدّوس يعيد "ملكوت الله على الأرض"... ألا تتحدّث مخطوطات قمران – البحر الميت – أو على الأقل القسم الذي نشر منها والذي هو بين أيدينا، ألا تتحدث بشيء من التفصيل عن انتظار مجيء هذا المسيح المخلص الروحيّ، الذي ينشر السلام الداخلي بين الناس أجمعين؟ هذا هو المسيح المخلّص الحقيقي الذي يتحدّث عنه التقليد المسيحي الأصيل، والأناجيل المقدسة والرسول بولس وسائر كتب العهد الجديد. هذا هو المسيح الكوني الذي تخاطبه الكنائس الشرقية، والكنيسة السريانية الانطاكية المارونية بنوع خاص قائلة، في تساعية الميلاد المجيد: "يا انتظار الشعوب... ورجاء الآباء..."! أجل! إن المسيح – المخلّص الحقيقي، يسوع المسيح، هو انتظار الشعوب أجمعين ومخلّصهم. أليس هو القائل: "وانا إذا ما ارتفعت جذبت اليّ الناس أجمعين..."؟ (يوحنا 12: 32). لا بل انه انتظار الكون الكبير بكامله، ومحوره وجامعه ومخلّصه: "المسيح يحوي كل شيء مما في السماوات وفي الأرض..." (أفسس 1: 9-10)!

نسَب يسوع

ليس هناك من تاريخ بالمعنى الحصريّ للكلمة، كما نفهمه نحن اليوم، عن حياة يسوع المسيح، ولا بالتالي عن نَسَبِهِ، عن أجداده وآبائه، لا من ناحية والده بالتبنّي يوسف، ولا من ناحية أمه العذراء مريم. كانت مثل هذه التواريخ المفصّلة توضع للأباطرة والملوك والحكام.. أما المسيح، "فمع انه في صورة الله، لم يعدّ مساواته لله غنيمة بل تجرّد من ذاته متخذاً صورة العبد، وصار على مثال البشر، وظهر بمنظر الانسان..." (فيلبي 2: 6-7). لقد ظهر المسيح بمظهر الانسان العادي، وهو "حين يأتي لا يُعرف من اين هو" (يوحنا 7: 27).

غير أن متى ولوقا الانجيليّين وضعا، كل من جهته، وعلى طريقته الخاصة، جدولاً بنسب يسوع... وجاء جدول متّى، في مقدمة انجيله، على الشكل التالي:

"نسب يسوع المسيح، ابن داود ابن ابراهيم: ابراهيم ولد اسحق، واسحق ولد يعقوب، ويعقوب ولد يهوذا واخوته، ويهوذا ولد فارص وزارح من تامار، وفارص ولد حصرون، وحصرون ولد آرام، وآرام ولد عمّيناداب، وعمّيناداب ولد نحشون، ونحشون ولد سلمون، وسلمون ولد بوعز من راحاب، وبوعز ولد عوبيد من راعوت، وعوبيد ولد يسّى، ويسّى ولد الملك داود، وداود ولد سليمان من أرملة أوريّا، وسليمان ولد رحبعام، ورحبعام ولد أبيّا، وأبيّا ولد آسى، وآسى ولد يوشافاط، ويوشافاط ولد يورام، ويورام ولد عوزيّا، وعوزيّا ولد يوتام، ويوتام ولد آحاز، وآحاز ولد حزقيّا، وحزقيّا ولد منسىّ، ومنسّى ولد آمون، وآمون ولد يوشيّا، ويوشيّا ولد يكنيا واخوته عند الجلاء الى بابل، وبعد الجلاء الى بابل يكنيا ولد شألتئيل، وشألتئيل ولد زربّابل، وزربّابل ولد ابيهود، وابيهود ولد الياقيم، والياقيم ولد عازور، وعازور ولد صادوق، وصادوق ولد آخيم، وآخيم والد ألِيهود، وألِيهود ولد ألعازر، وألعازر ولد متّان، ومتّان ولد يعقوب، ويعقوب ولد يوسف زوج مريم التي ولد منها يسوع وهو الذي يقال له المسيح. فمجموع الاجيال من ابراهيم الى داود اربعة عشر جيلاً، ومن داود الى الجلاء الى بابل اربعة عشر جيلاً، ومن الجلاء الى بابل الى المسيح اربعة عشر جيلاً". (انجيل متى 1: 1-17).

تشتمل مقدمة انجيل متى، بعد نسب يسوع، على خمسة مشاهد: حبل مريم بيسوع من الروح القدس، قدوم المجوس وسجودهم ليسوع، يسوع في مصر، استشهاد اطفال بيت لحم، الرجوع من مصر والاقامة في الناصرة (راجع متى 1: 18-25؛ 2: 1-23). وتعود هذه المشاهد الى تقليدين أحدهما يتعلّق بهيرودس والآخر بيوسف، وهما مستقلان الواحد عن الآخر من حيث الانشاء والبنية والمضمون. أما جدول نسب يسوع فقد وضع بعد فترة من الزمن في اول المقدمة، كما يؤكد أكثر المفسّرين اليوم...

الترجمة اللفظية لعبارة "نسب يسوع المسيح": كتاب تكوين يسوع المسيح. يقتدي متى في هذا العنوان بعنوان رواية سلالة الانسان الاول ("هذا كتاب سلالة آدم: تكوين 5: 1)، فيوحي بأن يسوع يفتتح كتاب تكوين جديد، لأنه آدم الجديد (راجع لوقا 3: 38). الاّ ان التاريخ المرويّ هنا يفيدنا عن نسل يسوع، في حين ان سفر التكوين يركّز على نسب آدم: ففي يسوع يتمّ معنى تاريخ اسرائيل الروحي...

من ولد أحداً اورثه صورته، صورة الله (تكوين 5: 1-3)، بالدم (الانساب النسلية المألوفة: تك 11؛ 1 أخبار 5: 27-29) أو بالتبني (تك 10). أراد متى أن يعرّف عن ناسوت المسيح القائم من بين الأموات والحاضر في كنيسته حتى نهاية العالم (متى 28: 16-20)، فاستخدم الفنّ الادبي الكتابي الخاص بالانساب في ذلك العهد، ليشير الى ان يسوع متأصل في ذريّة ابراهيم أب المؤمنين...

ويذكر متى في جدول نسب يسوع اسماء أربع نساء (تامار وراحاب وراعوت وأرملة أوريّا الحثي)، غريبات وخاطئات، ليدل أن الخلاص شمولي يساهم فيه جميع البشر وان الله قادر ان يخرج من الشرّ خيراً...

لتفسير هذا الرقم 14 المكرّر ثلاث مرّات، هناك عدّة شروح يقدمها كبار المفسّرين. التفسير الاول: قد يكون مجموعاً للقيمة العدديّة المنسوبة الى الأحرف الصامتة الثلاثة المركب منها اسم "داود" في العبرية (د=4، و=6، فيكون مجموعها 4 + 6 + 4 = 14)... التفسير الثاني: وفقاً للحسابات الرؤيويّة المعروفة في ذلك الزمان، اتى يسوع في نهاية الاسبوع السادس (3 × 14 = 6 × 7) من التاريخ المقدس الذي بدأ بابراهيم، أي حين تمت الازمنة... التفسير الثالث: لاحظ متى، المشبع بالتقاليد اليهودية، أن النسب الوادر ذكره في سفر راعوت (4: 18-22)، والمكرّر في 1 أخبار 2: 10-13، يحتوي على عشرة اسماء، من فارص الى داود. فان أضيف اليه أبو فارص والاسماء الثلاثة ابراهيم واسحق ويعقوب، كان المجموع 14 من ابراهيم الى داود. وعمم متى هذا الرقم الاساسي على الحقبتين التاريخيتين التابعتين، مهملاً اسماء الملوك الثلاثة (؟!) بني يورام وعوزيّا، فوجد بذلك إطاراً كتابياً لنسبه. مع العلم ان متى، كعادته دوماً، يتصرّف كثيراً في آيات العهد القديم التي يستند اليه. وهنا بالتحديد، فان النسب الوارد ذكره في سفر راعوت (4: 18-22) هو، باجماع مفسّري اليوم، اضافة متأخرة، وضعت بعد الجلاء...!؟

أما جدول نسب يسوع، عند لوقا، فقد جاء في الفصل الثالث، بعد اعتماد يسوع، على الشكل التالي:

"...وكان يسوع، عند بدء رسالته، في نحو الثلاثين من عمره. وكان الناس <u>يحسبونه</u> (لاحظ عبارة "يحسبونه"): ابن يوسف بن عالي، بن متّات، بن لاوي، بن ملكي، بن ينّا، بن يوسف، بن متتيا، بن عاموس، بن نحوم، بن حسلي، بن نجّاي، بن مآت، بن متتيا، بن شمعي، بن يوسف، بن يهوذا، بن يوحنا، ابن ريسا، بن

زربّابل، بن شألتئيل، ابن نيري، بن ملكي، بن أدّي، بن قوسام، بن المودام، بن عير، بن يشوع، ابن لعازر، بن يوريم، بن متّات، بن لاوي، بن شمعون، بن يهوذا، بن يوسف، بن يونان، بن الياقيم، بن مليا، ابن منّا، بن متّاتا، بن ناتان، بن داود، ابن يسّى، بن عوبيد، بن بوعز، بن سلمون، بن نحشون، بن عمّيناداب، بن ادمين، بن عرني، بن حصرون، بن فارص، ابن يهوذا، بن يعقوب، بن اسحق، بن ابراهيم،

ابن تارح، بن ناحور، بن سروج، بن راعو، بن فالق، بن عابر، بن شالح، بن قينان، بن ارفكشاد، بن سام، بن نوح، ابن لامك، بن متوشالح، بن أخنوخ، بن يارد، بن مهللئيل، بن قينان، بن أنوش، ابن شيت، بن آدم، بن الله".

خلافاً لمتى الذي يضع نسب يسوع في مطلع كتابه، لا يذكر لوقا أصل يسوع البشريّ الاّ بعد أن روى بنوّته الالهية (1: 35 و3: 22). لقد أدرك لوقا تماماً ان النسب الحقيقي ليسوع المسيح هو النسب الالهي: يبدأ بيوسف والد يسوع بالتبنّي وينتهي بالله! لا بداود ولا حتى بابراهيم... ومن حيث النسب الانساني، يريد لوقا ان يصل يسوع بـ "آدم"، لا بغيره، ليشدّد على صلته بالبشرية كلّها (راجع ايضاً اعمال الرسل 17: 26و 31). والواضح تماماً، أن لوقا لا يهمه ان يربط يسوع بذريّة داود...، كما فعل متى المشبع والمرتبط بالتقاليد اليهودية الرسمية؛ لأن لوقا – وهذا امر ملفت حقاً وذو نتائج بعيدة – لا يذكر أي ملك بين داود وشألتئيل! بل اسماء انبياء بالأحرى! لدفع كل التباس صادر عن المشيحيّة الدنيوية... المرتبطة بداود الملك (راجع لوقا 4: 6)...

ومع ان متى ولوقا يرويان ولادة يسوع من عذراء، فكلاهما يذكران ان نسبه البشري هو بالنسبة الى يوسف. غير ان متى يجعل من يوسف ابناً ليعقوب، اما لوقا فيجعل من يوسف ابناً لعالي!!! كلاهما يربطان يسوع بشرياً بيوسف لأن العهد القديم لا يبني السلالة البشرية الاّ على الرجال. ويختلف "النسَبَان" الواحد عن الآخر بامور كثيرة، وهما اصطناعيان الى حدّ ما، شأن الانساب دائماً عند اليهود. انهما يتفقان على اسماء الآباء من ابراهيم الى داود، وعلى شألتئيل وزرّبابل عند العودة من الجلاء، وعلى يوسف ابي يسوع. يعدّد متى 3 × 14 (=42) جيلاً من ابراهيم الى يسوع، مارّاً بملوك يهوذا، ولوقا يعدّد 11 × 7 (=77) جيلاً من يسوع الى آدم، ولا يذكر من الملوك الاّ داود...!؟ يشدّد لوقا على المسيحية الروحية والشاملة كل البشر، ولا يهتم بالمسيحية الدنيوية الخاصة باليهود. وفي انجيله (4: 6) يفتخر الشيطان بأن له "السلطان" الدنيوي والسياسي على العالم، فيعرضه على يسوع ليكون المسيح الدنيوي الذي ينتظره معاصروه اليهود. لكن سلطان الشيطان مهدّد (10: 18)، ومدّته قصيرة (22: 53). اما سلطان يسوع فانه لا يستمده الاّ من أبيه السماوي (راجع 10: 22 و 22: 29). وهو لا يستمدّه، لا من البشر، ولا من سلالة يهوذا، ولا من داود وذريّته... مسيحية المسيح مسيحية

روحية، وليست بشرية دنيوية، ولا مسيحية يهودية او داودية... ان مملكته "ليست من هذا العالم...". وحتى ان كهنوت المسيح ليس كهنوتاً يهودياً هارونياً... بل "هو كاهن الى الأبد على رتبة ملكيصادق..."، وملكيصادق، كما هو معروف، كاهن "إيل" (اله الكنعانيين: الاله الكوني الأوحد)، كما تشهد الكتب المقدسة نفسها: سفر التكوين (14) والمزامير (110)، والرسالة الى العبرانيين (7) وغيرها... وكما تجمع على ذلك كل كتب التاريخ...

وبما ان قضية جدولّي نسب يسوع المسيح في انجيلّي متى ولوقا، والتي يعتبرها عامة المسيحيين مستنداً تاريخياً لربط يسوع المسيح بذريّة داود الجسديّة، وبما ان هذه القضية هي بالغة الأهمية من حيث أصل يسوع المسيح وذريته ونسَبه وبالتالي من حيث مكان مولده (بيت لحم الحقيقية)...، يجدر بنا أن نتوقّف اكثر على هذين الجدولين وعلى عدم تماسكهما من الناحيتين التاريخية والجغرافية (بمفهومنا اليوم للتاريخ والجغرافية)، مستندين بذلك الى التقليد المسيحي الأصيل، الى آباء الكنيسة الأولين، الى النقد التاريخي الموضوعيّ، والى أهم مفسّري الكتاب المقدس في ايامنا هذه – وخاصة الى المفسّرين الكاثوليك المعاصرين...

إن كتب الاناجيل المقدسة – وسوف نظلّ نكرّرها – ليست كتب تاريخ وجغرافية بالمعنى الحصري لهاتين العبارتين، كما نفهمه اليوم. وجدولا نسب يسوع في إنجيلّي متى ولوقا ليس لهما، هما بالتالي، مفهوم التاريخ بالمعنى الحصري للكلمة. ولقد رأينا سابقاً أن قضية ربط يسوع المسيح بذريّة داود هي قضية حديثة العهد في تاريخ المسيحية، وان النصوص التي تتحدث عن هذا الربط دخلت في كتب العهد الجديد في القرن الرابع للمسيح. والذي يجمع عليه اليوم مفسّرو العهد الجديد هو ان جدولّي نسب يسوع في انجيلّي متى ولوقا قد أضيفا في وقت متأخر دون أدنى شك...

ففي هذين الجدولّين يعتمد متى التوراة في نسختها اليونانية، أما لوقا فيعتمد التوراة في نسختها "السبعينية" التي تختلف عن اليونانية كثيراً في بعض الاسماء والتواريخ والعبارات... ويلجأ متى الى الرموز والاشارات والتوريات. فيستعمل الاعداد، كما جاء عند اليونان الأقدمين، في مفهومها الرمزي – الديني (أربعة عشر جيلاً: 7+7 = 14 الخ...). وعدد 7 هو عدد الكمال والقداسة، و14 يساوي نصف دورة القمر: والقمر رمز اسرائيل المتجدّد دوماً. و 7×7 = 49 الخ... وهناك ثلاث دورات "لأربعة عشر جيلاً": وهذا يقابل ويرمز الى اقسام تاريخ اسرائيل المثلث الدورات: زمن البطاركة، زمن الملوك، وزمن ما بعد الجلاء. ومتى المشبع بالتقاليد اليهودية لا يتورّع عن الحزف والزيادة، عن التبديل والاضافة... كل ذلك كي يتطابق عدد اجداد يسوع بالاعداد المقدسة الكاملة! فهو يلاحظ مثلاً ان النسب الوارد ذكره في سفر راعوت (4: 18-22) – والذي هو بالمناسبة اضافة "تاريخية" وضعها اليهود بعد الجلاء... -

والمكرّر في سفر الاخبار الاول 2: 10-13، هذا النسب يحوي على عشرة اسماء. فإن أضيف اليه أبو فارص (؟) والآباء الثلاثة ابراهيم واسحق ويعقوب، كان المجموع 14 من ابراهيم الى داود!! (و14 هو ضعف العدد سبعة، عدد القداسة والكمال)! وعمّم متى هذا الرقم الاساسي على الحقيتين التاريخيتين التابعتين، مهملاً اسماء الملوك الثلاثة بين يورام وعوزيا، فوجد بذلك إطاراً كتابياً لِنَسَبِهِ! والملوك الثلاثة الذين أهملهم متى هم: أحزيا (841 ق.م.)؛ يوآش (835-796) أعيد الى العرش بفضل مؤامرة كهنوتية، ثم ذهب ضحية مؤامرة، وأمصيا (811-782) ذهب ضحية مؤامرة ايضاً... (راجع سفر الملوك الثاني 9: 14-29؛ 12: 1-22؛ 14: 1-22).

ومتى – العبراني جداً – يريد ربط يسوع المسيح بذريّة داود الجسديّة وسلالته الملكيّة مهما كانت الأحوال ورغم الحقائق التاريخية وحتى الكتابية! فهو يورد اسم "يَكُنيا" الملك كأحد أجداد يوسف البتول، مع ان الكتاب المقدس نفسه، في سفر ارميا، يقول صراحة إن يكنيا هذا (598-597 ق.م.) – وهو يدعى ايضاً كنيا ويوياكين في الكتاب – كان شريراً و... عقيماً، ولن ينجح من ذريته أحد في الجلوس على عرش داود والتسلط في يهوذا من بعد! ونص الكتاب المقدس في سفر ارميا هو التالي، بالحرف الواحد: "حيّ أنا، يقول الرب، لو كان كنيا ابن يوياقيم، ملك يهوذا، خاتماً في يدي اليمنى لنزعته منها... يا ارض، يا أرض، يا أرض، إسمعي كلمة الربّ. وهكذا قال الرب: سجلوا هذا الانسان (كنيا): "عقيماً رجلاً لم ينجح في أيامه". فلن ينجح من ذريته أحد في الجلوس على عرش داود والتسلط في يهوذا من بعد..." (سفر ارميا 22: 24، 29-30)!

وهكذا اذاً، وبحسب نصوص الكتاب المقدس نفسه، بالاضافة الى الحقائق التاريخية التي عرضناها سابقاً، يظهر بشكل واضح، وبالحرف الواحد، ان ذريّة داود وسلالته الملكية قد انتهت وتلاشت، بالمفهوم التاريخي الموضوعي المجرّد، مع كنيا ملك يهوذا (598-597)، وذلك خلال جلاء اليهود الى بابل! ونكرر قول الكتاب المقدس للمرة الثانية: "كان كنيا رجلاً عقيماً لم ينجح في أيامه. ولن ينجح من ذريته أحد في الجلوس على عرش داود والتسلّط في يهوذا من بعد...". فهل من المعقول او الممكن، بعد كل ذلك، ان يكون يسوع المسيح من ذريّة داود وسلالته الملكية "وأن يجلس على عرش داود ابيه"؟ ألم يقل المسيح، هو نفسه، وبالحرف الواحد: "ليست مملكتي من هذا العالم. لو كانت مملكتي من هذا العالم لدافع عني حرسي لكي لا أُسلّم الى اليهود. ولكن مملكتي ليست من ههنا. فقال له بيلاطس: "فأنت ملك إذن! اجاب يسوع: هو ما تقول: فإني ملك. وأنا ما ولدت وأتيت العالم الاّ لأشهد للحق. فكل من كان من الحق يصغي الى صوتي..." (يوحنا 18: 36-37). والملفت حقاً، ان النسخة الكاثوليكية الجديدة لانجيل يوحنا، تعلّق على هذا النص الانجيلي وتشرحه في الحاشيتين 26 و27، صفحة 352، فتقول بالحرف

الواحد: "تختلف المملكة التي يطالب بها يسوع اختلافاً شديداً عن المملكة التي تعود أهدافها ووسائلها الى هذا العالم (مملكة اليهود...). فإن مملكته هو لا تحتاج على الاطلاق الى القوة والى ما في العمل السياسي من طرق مألوفة. لقد نالها من الله...وان الفكر الكتابي كان قد رأى ما هناك من صلة بين الملكية والحكمة (راجع 2 صموئيل 14: 17-20). والملكية الاخيرية التي افتتحها يسوع في العالم، في تلك الساعة، لا تستخدم العنف، بل تُحقّق وفقاً لمشيئة الآب الذي عهد اليه برسالته، بقبول حقّ الله المتجلّي في الكلمة المتجسّد (راجع يوحنا 14: 6؛ و3: 11 و32؛ و8: 13-14 و46)... وان الذين ينضمون الى مرسل الله هم منذ الآن معه لأنهم يعملون بحسب الحق (راجع يوحنا 3: 21؛ 6: 42؛ 17: 2و6؛ 1: 47)." الدنيا في حكم الشيطان وهي مملكته (رسل 26: 18) يسودها الشر، وما جاء المسيح الا لكي ينقذنا منه بموته وقيامته ويفتح لنا عهد الخلاص (روم 14: 7، كول 1: 13).

والغريب حقاً، والذي وحده يلغي تماماً "الصفة التاريخية" عن ربط يسوع بذريّة داود هو انه، من داود الى يسوع، هناك ثلاثة اسماء، فقط لا غير، تتطابق بين جدول متى وجدول لوقا!!! وهذه الاسماء الثلاثة هي: زربابل، شألتئيل والياقيم (فلتراجع جميع النسخ الكتابية بجميع ترجمات لغات العالم). والأغرب من كل ذلك، ان جدّ يسوع المسيح ووالد أبيه بالتربية يوسف، لا يتطابق بين جدول متى ولوقا: والد يوسف هو "يعقوب" عند متى، وهو "عالي" عند لوقا! انه لغريب وعجيب حقاً امر هذه الذريّة... (تاريخياً). لا، لا، المسيح ليس من ذرية داود.

ان المسيحيين المتهوّدين لم يكتفوا بمحاربة حبل مريم البتولي بيسوع المسيح كي يربطوا المسيح بذريّة داود الجسدية، بل ذهبوا الى أبعد من ذلك فقالوا إن الخلاص لا يأتي إلاّ عن طريق الختان على سنّة موسى. وقد أوجز لوقا عقيدتهم هكذا: "إذا لم تختتنوا على سنّة موسى، فلا تستطيعون ان تنالوا الخلاص..." (أعمال الرسل 15: 1). اراد هؤلاء المسيحيون المتهوِّدون ان يفرضوا على المؤمنين من أصل وثني أو "أممي" نير الشريعة الموسوية... لذلك قاوموا بشدّة القديس بولس "رسول الامم" الذي كان يعلّم ان الخلاص يوهب مجاناً لجميع البشر بواسطة يسوع المسيح وحده، فليس على الوثنيّين ان يُلزموا الختان، "لأن الختان الحقيقي هو ختان القلب..." ونعمة يسوع المسيح وحدها تحرر الانسان من نير الشريعة والعبودية. تلك هي حقيقة الانجيل التي اعترف بها علانية، فيما بعد، بطرس وكنيسة اورشليم. وكان بولس قد زرع بذور الانجيل، بذور الحرية والخلاص، مؤسساً الكنائس المسيحيّة في أقطار "الأمم" في روما وكورنتس وغلاطية وأفسس وكولوسي وتسالونيكي وغيرها في أرجاء حوض البحر الابيض المتوسط... وكان المسيحيون المتهوّدون يحاربون بولس وتعاليمه في أورشليم أولاً، وفي العديد من هذه الكنائس الناشئة. وكان بولس يردّ عليهم بقوة ويضحضهم ويفنِّدُ تعاليمهم التي

تشوّه نقاوة الانجيل. ونكتفي ببعض الامثلة على ذلك، نختارها من نصوص رسائله بالذات. يقول بولس في رسالته الى اهل غلاطية (1: 6-9): "عجبت لسرعة تَخَلُّيكم هذه من الذي دعاكم بنعمة المسيح وانصرافكم الى بشارة أخرى: وما هناك بشارة أخرى، بل هناك قوم يلقون البلبلة بينكم، وبغيتهم ان يبدّلوا بشارة المسيح (يقصد بهؤلاء القوم المسيحيين المتهوّدين كما يؤكد جميع المفسّرين اليوم). فلو بشرناكم نحن او بشّركم ملاك من السماء بخلاف ما بشّرناكم به، فليكن ملعوناً! قلنا لكم قبلاً وأقوله اليوم: إن بشّركم أحد بخلاف ما بشّرناكم به، فليكن ملعوناً!". وفي مكان آخر من نفس الرسالة (3: 1-5) يخاطب بولس أهل غلاطية قائلاً: "ألأنكم تعملون بأحكام الشريعة نلتم الروح، أم لأنكم تؤمنون ببشارة الانجيل؟ أبلغت بكم الغباوة الى هذا الحدّ؟ أتنتهون بالجسد بعدما ابتدأتم بالروح؟ أكان عَبَثاً ما لقيتم من النعم؟ وليته كان عبثاً! أترى أن الذي يهب لكم الروح ويجري المعجزات بينكم يفعل ذلك لأنكم تعملون بأحكام الشريعة (يقصد شريعة موسى طبعاً)، أم لأنكم تؤمنون ببشارة الانجيل؟" وفي رسالته الاولى الى اهل كورنتس (7: 17-20) يقول بولس: "فليسر كل واحد في حياته على ما قسم له الرب كما كان عليه إذ دعاه الله، وهذا ما أفرضه في الكنائس كلّها. فإن دعي مختون فلا يحاولنّ إزالة ختانه، وإن دعي اقلف فلا يطلبنّ الختان. ليس الختان بشيء ولا القلف بشيء، بل الخير في حفظ وصايا الله. فليبق كل واحد على الحال التي كان فيها حين دعاه الله..." وفي رسالته الى اهل فيليبّي (3: 2-3) يقول: "إحذروا الكلاب (عبارة تحقير كان اليهود يستعملونها في كلامهم على "الوثنيين والأمم". ويقصد بولس في هذه العبارة اليهود الذين أرادوا فرض عاداتهم على المسيحيّين الذين من أصل غير يهوديّ...). إحذروا عمّال السوء، إحذروا ذوي الجبّ (تهكم بأنصار الختان...)، فانما نحن ذوي الختان لأن عبادتنا عبادة بروح الله وفخرنا فخر بالمسيح يسوع. وإنّا لا نعتمد على الامور البشرية...". وفي رسالته الى أهل كولوسي (2: 16-18) يقول: "لا يحكمنّ عليكم أحد في المأكول والمشروب او في الأعياد والاهلّة والسبوت، فما هذه كلّها الاّ ظلّ الامور المستقبلة، اما الحقيقة فهي جسد المسيح!". حذّر بولس في هذه الآية من الذين ارادوا فرض العادات اليهودية على مسيحيّي كولوسي. وفي رأيه أن وصايا العهد القديم وسننه رموز لا حقيقة لها في حدّ ذاتها كالظل بالنسبة الى الجسد. كانت تمهيداً للعهد الجديد وهو مجيء السيد المسيح. وفي خاتمة رسالته الى اهل غلاطية (6: 15) يقول بولس الرسول: "...فما الختان بشيء ولا القلف بشيء، وانما الشيء ان يكون الانسان خلقاً جديداً...".

منذ بداية المسيحية، وحتى في ايام يسوع المسيح نفسه، كان هناك بين معاصريه في فلسطين، وفي اورشليم نفسها، خلاف شديد حول المسيح، حول أصله ونسبه وحول المنطقة التي يولد فيها ويأتي منها! "إن هذا نعرف من أين هو،

وأمّا المسيح فلا يعرف حين يأتي من أين هو...". وايضاً: "أفترى من الجليل يأتي المسيح؟" وايضاً: "...أجاب اليهود نيقوديمس: أوأنت ايضاً من الجليل؟ إبحث تَرَ انه لا يقوم من الجليل نبيّ" (مع انه قام من الجليل اكثر من نبيّ...) الخ... وفي نصوص انجيل يوحنا نفسه، هناك اكثر من دليل واضح على هذا الخلاف الشديد، بين معاصري يسوع، حول شخصية المسيح وحول أصله ونسبه والمنطقة التي يجب أن يولد فيها ويأتي منها. فقد جاء في انجيل يوحنا – في باب "أقوال الناس في يسوع" – ما يلي: "...فقال اناس من اهل اورشليم: اليس هذا الذي يريدون قتله؟ فها انه يتكلّم جهاراً ولا يقولون له شيئاً. ترى هل تبيّن للرؤساء انه المسيح؟ على ان هذا نعرف من اين هو، وأما المسيح فلا يُعرف حين يأتي من اين هو. فرفع يسوع صوته وهو يعلّم في الهيكل قال: أجل انكم تعرفونني وتعرفون من أين أنا. على اني ما جئت من نفسي، فالذي ارسلني هو صادق. ذاك الذي لا تعرفونه انتم... وأمّا انا فأعرفه، لأني من عنده وهو الذي أرسلني..." (يوحنا 7: 25-29). وتعلّق النسخة الكاثوليكية الجديدة على هذا النص في الحاشية 15 صفحة 311 فتقول شارحة: "نجد هنا صدى مجادلات استمرت بين اليهود والمسيحيّين طوال القرن الاول..." ثم تجدّدت هذه المجادلات حول اصل المسيح ونسبه، بين اليهود والمسيحيّين والمتهوّدين (من أصل يهودي) من جهة، وبين المسيحيّين من أصل غير يهودي، من جهة ثانية، واستمرت قائمة حتى اوائل القرن الرابع! فهؤلاء لم يربطوا بين المسيح وذرية داود وسلالته الملكية وبيت لحم يهوذا، بينما اولئك كانوا يشدّدون على علاقته الجسدية بذرية داود وسلالته الملكية وبالتالي على مجيئه من بيت لحم يهوذا "مدينة داود"، مع ان اورشليم وحدها – وليست بيت لحم – كانت تلقّب "بمدينة داود"! (راجع كافة النصوص في العهد القديم، وهي كثيرة جداً، التي تربط بين داود واورشليم، والتي تسمّي اورشليم وحدها "مدينة داود"...).

وظهرت نتائج هذه المجادلات في كتابات العديد من آباء الكنيسة المسيحية الاولين، الذين دافعوا بقوة عن عذريّة مريم وعن حبلها البتولي بيسوع المسيح. وكان دفاعهم هذا ينطلق من النصوص الكتابية حول مجيء المسيح، ومن تعاليم الرسل أنفسهم، ويهدف الى البرهان على أن يسوع المسيح هو المخلّص"، وهو ابن الله... انهم تلاميذ يوحنا الرسول القائل: "يا بنيّ، انها الساعة الاخيرة. سمعتم بأن مسيحاً دجالاً آتٍ، وكثير من المسحاء الدجالين حاضرون الآن... من ذلك نعرف ان هذه الساعة هي الاخيرة. من عندنا خرجوا ولم يكونوا منّا، فلوا كانوا منا لأقاموا معنا. ولكن حدث ذلك لكي يتّضح انهم جميعاً ليسوا منّا. أما أنتم فقد قبلتم المسحة من القدوس وتعرفون جميعاً. من المسيح الدجّال إن لم يكن ذاك الذي ينكر ان يسوع هو المسيح، ابن الله؟ هذا هو المسيح الدجّال، ذاك الذي ينكر الآب والابن.

كل من أنكر الابن لم يكن الآب معه. من شهد للإبن كان الآب معه...". (راجع رسالة يوحنا الاولى 2: 18-32).

ومن أبرز آباء الكنيسة الذين ركّزوا بالتحديد على استحالة الربط بين حبل مريم العذراء البتولي بيسوع المسيح، وبين كونه من ذرية داود الجسدية، هو القديس ايريناوس.

انطلق ايريناوس من النصوص الكتابية نفسها، وعلى الاخص من نص ارميا الشهير (22: 20-30) الذي تحدثنا عنه سابقاً، الذي يقول: "...يا أرض، يا أرض، يا أرض، اسمعي كلمة الرب. هكذا قال الربّ: سجّلوا هذا الانسان يكنيا: كان رجلاً عقيماً... فلن ينجح من ذريّته أحد في الجلوس على عرش داود، والتسلّط في يهوذا من بعدُ..."، انطلق ايريناوس من هذا النص الواضح جداً ليبرهن على حقيقتين اثنتين كنتيجة حتمية لذلك. الحقيقة الاولى: إن سلالة داود الملكية قد انتهت فعلاً مع الملك يكنيا هذا. والكتاب صادق: "لن ينجح من ذريته أحد في الجلوس على عرش داود، والتسلط في يهوذا من بعدُ...". فلا مجال من بعد، لا لليهود، ولا للمسيحيين المتهوّدين، من التلاعب بالنصوص الكتابية اللاحقة على أذواقهم. والحقيقة الثانية والتي لا تقل وضوحاً عن الاولى، والتي تأتي كنتيجة حتمية عنها، فهي أن مريم كانت عذراء قبل حبلها بيسوع واثناءه وبعده، وأن حبلها بيسوع كان حبلاً بتولياً، وأن الذي كوّن فيها هو من الروح القدس، وان يسوع هو بالتالي ابن الله، وليس ابناً جسدياً لداود... ويستشهد إيريناوس بمتّى القائل: "لا تخف يا يوسف أن تأتي بامرأتك مريم الى بيتك. فان الذي كوّن فيها هو من الروح القدس، وستلد ابناً فسمّه يسوع، لأنه هو الذي يخلّص شعبه من خطاياهم. وكان هذا كلّه ليتم ما قال الرب على لسان النبي (اشعيا 7: 14): ها ان العذراء تحمل فتلد ابناً يسمّونه "عمّانوئيل" أي "الله معنا" (متى 1: 20-23). ويستشهد أيريناوس ايضاً بنص لوقا القائل: "فأجاب الملاك مريم قائلاً: ان الروح القدس سينزل عليك وقدرة العلي تظلّلك، لذلك يكون المولود منك قدوساً وابن الله يدعى..." (لوقا 1: 35).وبعد ان يعلق ايريناوس على جميع هذه النصوص الكتابية في العهدين القديم والجديد، شارحاً ومفسراً، يخلص الى هذه النتيجة الحتمية التي صاغها بشكل اختيار منطقي، على النحو التالي: إما ان تختار بين عذرية مريم وحبلها البتولي بيسوع وبأن يسوع كوّن من الروح القدس وانه ابن الله، او بين ان يكون يسوع من ذريّة داود الجسدية... وقد اختار إيريناوس الحقيقة الاولى (راجع: St. Irénée "Contre les hérésies", III, 21, 9) ونحن بدورنا نختار، طبعاً، ما اختاره القديس إيريناوس: عذرية مريم وحبلها البتولي بيسوع وأن يسوع كوّن من الروح القدس وأنه ابن الله – وانه بالتالي ليس من ذريّة داود الجسديّة، ولا من سلالته الملكية... إنه المسيح الحقيقي المنتظر ومخلّص البشر أجمعين. واكثر: إنه مخلّص الخلائق جمعاء والكون الكبير كلّه... إنه "المسيح الكوني"

والمخلّص الكونيّ. انه "المسيح الكونيّ"، كما كتب يوحنا في مقدمة انجيله الشهيرة: "به كان كل شيء وبدونه ما كان شيء مما كوّن، فيه كانت الحياة والحياة نور الناس... وانه النور الحق الذي ينير كل انسان آتٍ الى العالم. كان في العالم وبه كان العالم، والعالم لم يعرفه... جاء الى بيته فما قبله أهل بيته. اما الذين قبلوه، وهم الذين يؤمنون باسمه، فقد مكّنهم أن يصيروا ابناء الله. والكلمة صار جسداً وحلّ فينا فرأينا مجده مجداً من لدن الآب لابن وحيد ملؤه النعمة والحق..." (يوحنا 1: 3-14، مع الحواشي والشروحات...). وانه المخلّص الكونيّ كما كتب بولس: "هو صورة الله الذي لا يرى، وبكر الخلائق كلها. ففيه خلق كل شيء ممّا في السماوات وممّا في الارض، ما يرى وما لا يرى، أأصحاب عرش كانوا أم سيادة أم رئاسة ام سلطان... كل شيء خلق به وله... هو قبل كل شيء، وبه قوام كل شيء، وهو رأس الجسد أي رأس الكنيسة. هو البدء والبكر من بين الاموات، لتكون له الاوليّة في كل شيء. فقد حسن لدى الله ان يحلّ به الكمال كلّه... وان يصالح به ومن أجله كل موجود، ممّا في الارض ومما في السماوات وقد حقّق السلام بدم صليبه..." (كولوسي 1: 15-20، مع الحواشي والشروحات...)

واليوم، وبعد ان تطورت العلوم التاريخية وبلغ النقد التاريخي الموضوعي مبلغاً متقدماً، ظهر جلياً لكبار المفسّرين المعاصرين ان نصوص اناجيل الطفولة – وخاصة جدولَي نسَب يسوع عند متى ولوقا – ليست نصوصاً تاريخيّة بالمعنى الحصري لكلمة تاريخ كما نفهمها نحن اليوم، ولو كانت تحوي بعض الأحداث التاريخية الثابتة. انها نصوص لاهوتية، بالدرجة الاولى، همها الاساسي التبشير "بيسوع المسيح والمخلّص". وقد صيغت بأسلوب من الفنّ الأدبي والكتابة، محدّد وخاص بذلك الزمان، ومختلف تماماً عن اسلوبنا اليوم... ونكتفي هنا فقط ببعض الاستشهادات المعبّرة انتقيناها من دراسات وابحاث كبار المفسّرين الكاثوليك المعاصرين:

يقول ا. شاربانتيه: "كثيراً ما قرأنا أناجيل الطفولة – ومنها جداول نسَب يسوع – على انها "كتب تاريخية" أو روايات وحكايات شعبية. غير انها في الحقيقة، وقبل أي شيء آخر، كتابات لاهوتية. إن متى ولوقا يقدمان لنا نصوصاً لاهوتية مدروسة ومركبة، في اطار فنّ ادبي من الكتابة خاص بزمانهما. وهدفهما الأساسي هو ابراز شخصية السيد المسيح وضرورة الايمان به للوصول الى الخلاص. وهذه النصوص ليست نصوصاً تاريخية، كما نفهم التاريخ اليوم، بل هي بالأحرى نصوص ايمانية لاهوتية..." (Etienne Charpentier, Des évangiles à l'évangile", Croire et comprendre, le Centurion, 1976, p.42).

ويقول شارل بيرّو: "إن جداول نسَب يسوع عند متى ولوقا يختلفان، الواحد عن الآخر، بشكل ملفت. وفيها عناصر غامضة وغير معروفة تاريخياً. ومن داود الى يسوع هناك اسمان فقط لا غير يتطابقان وهما شألتئيل وزربابل!! ومتى يسمّي والد

يوسف البتول: يعقوب، أما لوقا فيسمّيه عالي! فكيف يمكننا التوفيق تاريخياً بين كل هذه الاختلافات؟ لا ندري. كل ما يمكننا قوله في هذا الخصوص إن المؤلفين انطلقا من بقايا بعض جداول النسَب القديمة والمتباينة، ومن بعض التقاليد والروايات الشعبية، وهمهما الوحيد هو البرهان على ان يسوع هو المسيح المنتظر ومخلص البشر..." (Charles Perrot, "Les récits de l'enfance de Jésus" – Matthieu 1-2, Luc 1-2; in "Cahiers Evangile", Edition du Cerf, N°18, Paris, 1976, p.21).

ويقول ب. بنوا وم.أ. بوامار، وهما من أبرز مفسّري الاناجيال الكاثوليك، في ايامنا هذه، ما يلي (وقد آثرنا نقل نصهما في الاصل الفرنسي، نظراً لأهميته البالغة):

"Les deux généalogies (de Mattieu et de Luc) relèvent d'un genre littéraire qui n'est pas celui de notre diplomatique ordinaire, qui ne cherche pas même à prouver l'origine davidique de Jésus, mais qui était plutôt à l'intention théologique de situer le personnage, ici le Messie Jésus, dans les grandes dimensions du plan divin du Salut…". (P.Bénoit et M-E. Boimard, "Synopse des quatre Evangiles", Tome II, "Généalogie de Jésus", page 64, Note 12)!.

وتعريب النص:

"إن جدولَي النسب (نسب يسوع عند متى ولوقا) ينتميان الى فنّ أدبي (طريقة الكتابة) يختلف تماماً عن طريقة كتابتنا اليوم، وهو لا يحاول حتى اثبات كون يسوع من ذريّة داود (الجسديّة)، بل كان يبغي، من وجهة نظر لاهوتية، وضع شخص يسوع المسيح، في الاطار العام للتصميم الالهي للخلاص..."!

(راجع ايضاً: المصادر والمراجع في آخر هذا الفصل).

والاهم من كل ذلك، أن يسوع المسيح ذاته لم يسمِّ نفسه، ولا مرّة على الاطلاق، لا ابن داود ولا من نسل داود أو من ذريّته، ولا من "بيت داود" او من سلالته الملكية، ولا حتى المسيح الذي كان ينتظره اليهود بمفهومهم، هم، للمسيح... بل سمّى نفسه اكثر الاحيان وبنوع خاص "ابن الانسان"، ثم سمّى نفسه ايضاً: "ابن الله"، و"هو" (بالمعنى الذي أجاب به الله موسى لما سأله عن اسمه: في سفر الخروج 3: 14، وفي سفر تثنية الاشتراع 32: 39 الخ...)، "المسيح"، "ملك"، "نور العالم"، "خبز الحياة"، "الماء الحيّ"، "الراعي الصالح"، "الطريق والحق والحياة" الخ... وقد جاء ذلك في الاناجيل المقدسة، على لسانه، وعلى النحو التالي:

-"ابن الانسان" : متى 10: 23، 16: 13-16 و27-28، 24: 30، 25: 31، 26: 64 مرقس 13: 24-26، 14: 62 لوقا 21: 27، 22: 68-69 يوحنا 3: 14، 8: 28، 12: 34

-ابن الله : لوقا 1: 35، 22: 70-71 يوحنا 10: 29-36، 19: 7 متى 1: 20

-"هو" : متى 14: 27 مرقس 6: 50 يوحنا 6: 20، 8: 24 و28 و58
-المعلّم : مرقس 14: 14
-المسيح : متى 26: 64 مرقس 14: 62 لوقا 23: 2
-ملك : لوقا 23: 2-3 يوحنا 18: 37
-نور العالم : يوحنا 8: 12-20 متى 5: 14-16 لوقا 11: 29-32
-خبز الحياة : يوحنا 6: 31-51
-الماء الحيّ : يوحنا 7: 37-39
-الراعي الصالح : يوحنا 10: 1-21

لقد دعاه الله الآب: "ابني الحبيب": متى 3: 17 مرقس 1: 11 لوقا 3: 22
ودعاه يوحنا المعمدان: "حمل الله": يوحنا 1: 29
ودعاه الملائكة: "قدوس وابن الله": متى 1: 20 لوقا 1: 35
ودعاه الشياطين: "قدوس الله وابن الله": متى 8: 29 مرقس 1: 24، 3: 12، 5: 7 لوقا 8: 28
ودعاه قائد المائة والجنود الرومان عند الصلب: "ابن الله": متى 27: 54 مرقس 15: 39
ودعاه الرسل والتلاميذ والشعب: "رابّي او رابّوني أي المعلم":متى 8: 2 مرقس 10: 20 و35 و51، 12: 32، 14: 45 لوقا 5: 13، 6: 46، 8: 24 و45 يوحنا 3: 2، 20: 13 و16

أما عبارة "ابن داود" التي أطلقت على يسوع المسيح، فقد أضافها الى النص نسّاخ متى المتأخرون، وجاءت ثلاث مرّات فقط لا غير، على النحو التالي: على لسان أعميان من الشعب (متى 9: 27)، على لسان أعميان في أريحا (متى 20: 30-31) وعلى لسان البعض من الشعب عند دخول يسوع الى اورشليم (متى 21: 9). وغني عن القول إن الذين نطقوا بهذه العبارة "يسوع ابن داود" كانوا من عامة الشعب، وكانوا ينتظرون مسيحاً دنيوياً من اليهود. ومن جهة ثانية، كان نسّاخ متى المتأخرون من المسيحيّين المتهوّدين، وكان همهم الوحيد ربط يسوع المسيح بسلالة داود والتركيز على علاقته الجسدية فقط بذريّة داود... ثم انتقلت هذه العبارة "يسوع ابن داود" الى مرقس (10: 47-48) على لسان رجل أعمى ايضاً هو طيماوس في اريحا! والى لوقا (18: 38-39) وايضاً على لسان رجل أعمى في اريحا! والملفت حقاً هو ان عبارة "يسوع ابن داود"، التي وردت على لسان الشعب عند دخول يسوع الى اورشليم (متى 21: 9)، لم ترد – أي عبارة "يسوع ابن داود" – على لسان هذا الشعب نفسه عند دخول يسوع الى اورشليم، لم ترد لا في (مرقس 11: 9-10)، ولا في لوقا (19: 38-39) ولا في يوحنا (12: 13-15). وردت فقط

عند متى – العبراني جداً – وعند تلاميذه ونسّاخه المتأخرين الذين كانوا مسيحيّين متهوّدين...

إن العديد من آباء الكنيسة الأولين وتلاميذهم لم يعترفوا بعلاقة يسوع بذريّة داود الدموية. واكثر من ذلك، فإن المجادلات حول علاقة يسوع بذريّة داود الدموية – وحتى حول ولادته في بيت لحم يهوذا في الجنوب – بقيت قائمة وحامية بين اليهود والمسيحيين المتهودين من جهة وبين المسيحيين (أتباع بولس المنفتح عالمياً...) من جهة ثانية، طوال ثلاثة قرون متتالية على الاقل! غير أنه ابتداءً من اوائل القرن الرابع، وبعد ان أنهى اليهود وضع كتبهم القانونية، عاد المسيحيّون وأبرزوا في كتب العهد الجديد النصوص التي تربط يسوع بداود، تلك النصوص التي أضافها فيما بعد الى الأصل بعض النسّاخ من المسيحيين المتهودين من تلاميذ متى ومن أخذ عنهم... والمعروف أن كتب العهد الجديد القانونية قد وضعت بشكلها النهائي على أثر انتهاء اليهود من وضع كتبهم القانونية بشكلها النهائي...!؟ – مرّة أخرى لكي يثبت المسيحيّون ان يسوع هو المسيح المنتظر من قبل اليهود... مع ان المسيح يسوع هو المخلّص المنتظر من قبل البشر أجمعين ومن قبل جميع الخلائق المنظورة وغير المنظورة، ومن قبل الكون الكبير كلّه...

وجاء في النسخة الكاثوليكية الجديدة، في تعليقها على المزمور 110، ما يلي: "الملك الشامل والكهنوت الابدي، وهما من امتيازات "المشيح" لا ينتجان عن أي تنصيب أرضيّ... وكذلك امتيازات الكاهن الأعظم ملكيصادق: كاهن الله العلي: كاهن "إيل" الاله الكنعاني (راجع سفر التكوين 14: 18 وما يتبع). والمسيح يسوع قد حقّق حرفياً وكلياً هذه النبوّة الشاملة الكونية... (راجع متى 22: 44؛ 27: 11؛ 28: 18؛ واعمال الرسل 2: 34-35؛ وعبرانيين 1: 13؛ ورؤيا يوحنا 19: 11 و16 الخ..." (النسخة الجديدة، المزمور 110، الحاشية رقم 1، ص 1269).

وهكذا فإن الملك الشامل، وهو من امتيازات "المشيح" "لا ينتج عن أي تنصيب ارضي": عن أي ذرية أو نسب أو علاقة دموية دنيوية زمنية، كذرية داود مثلاً... والكهنوت الابدي، الذي هو ايضاً من امتيازات "المشيح"، لا ينتج عن كهنوت زمني دنيوي ككهنوت هارون مثلاً الذي هو رئيس كهنة اليهود، بل ينتج عن كهنوت ملكيصادق: كاهن الله العلي الذي هو كاهن "إيل" الاله الكنعاني. ألم يقل المزمور 110: 4 "أقسم الرب ولن يندم أن أنت كاهن للأبد على رتبة ملكيصادق؟ وفي الرسالة الى العبرانيين: "وصار المسيح عظيم كهنة للأبد على رتبة ملكيصادق"؟ (6: 20؛ و7 بكامله).

ومن أبرز آباء الكنيسة الذين أنكروا العلاقة الجسدية بين يسوع المسيح وداود القديس إيريناوس والقديس جوستين. وكان لهذا الأخير تلميذ يدعى "تاتيان" السوري. وكان عالماً ومؤرخاً وضع العديد من المؤلفات. وأشهر مؤلّف وضعه، في

أواسط القرن الثاني بعد المسيح، هو كتاب "دِيَا طِسِّرُون" – باليونانية – أي "الأناجيل الاربعة في كتاب واحد". وقد الغى "تاتيان" كل الفقرات التي تصعد بنسب يسوع الى داود!! ونحن عندما نقرأ هذا الكتاب لا نجد فيه، على الاطلاق، أي نصّ أو إشارة تربط يسوع المسيح بداود... (راجع فايز مقدسي "الأصول الكنعانية للمسيحية"، ابجدية المعرفة عدد 16، دمشق، سوريا، الطبعة الاولى 1996، الفصل الرابع، ص 79، 166 والحاشية رقم 224).

والحقيقة ان محاولة ربط يسوع المسيح بذريّة داود الجسدية هي محاولة متأخرة زمنياً ولم يكن حولها إجماع ابداً. فقد رفضها المسيحيون الاولون، منذ بداية المسيحية، ومن بعدهم العديد من كبار آباء الكنيسة وتلاميذهم، طوال ثلاثة قرون متتالية. واليوم ان الغالبية من اللاهوتيين والمفسّرين – الذين أخذوا يؤمنون بالنقد التاريخي العلمي الموضوعي – لا يعترفون بالعلاقة الجسدية بين يسوع المسيح وداود، ومعهم الاكثرية الساحقة من المسيحيين المثقفين؛ بل هم يركّزون على طبيعة العلاقة الروحية مع الله من خلال انتخابه ووعده وعهده...، وذلك على خطى القديس بولس في رسائله الشهيرة.

يقول اليوم مثلاً اللاهوتي والشارح الكبير شارل بيرّو:

"Marie était accordée ou mariée à Joseph. Or elle se trouva enceinte par le fait de l'Esprit Saint, C'est-à-dire par la force de Dieu, d'après le sens habituel donné à ce mot dans la Bible et la littérature intertestamentaire. La situation devient alors paradoxale: Marie est l'épouse de Joseph et l'enfant qu'elle porte vient de Dieu. Cela met directement en cause l'origine davidique de Jésus..."!,

(شارل بيرّو "أحداث طفولة يسوع"، دفاتر "إنجيل"، العدد 18، منشورات "سَرف"، باريس، 1976، صفحة 22). ما تعريبه: "كانت مريم مخطوبة او متزوجة من يوسف. غير أنها وجدت حبلى من الروح القدس، أي بقوة الله، بحسب المفهوم العادي لهذه العبارة في الكتاب المقدس وفي الأدب الكتابي. وهكذا أصبح الوضع غريباً ومتناقضاً: مريم هي امرأة يوسف والطفل الذي تحمله هو من الله. فهذا يتناقض مباشرة مع كون يسوع يأتي من ذرية داود...". ويقول في موضع آخر من نفس الكتاب ص 60:

"Un homme du petit peuple comme Joseph aurait-il pu être designé comme un fils de David? Joseph était fils de David comme ces juives de Nazareth qui se disent les parentes de Marie..."

(راجع ايضاً، في الموضوع نفسه، ص 44 من نفس الكتاب). ما تعريبه: "إن رجلاً بسيطاً من عامة الشعب مثل يوسف، هل يعقل ان يكون ابناً لداود؟ فيوسف كان ابناً لداود مثل تلك النساء اليهوديات اللواتي يفتخرن اليوم بأنهن قريبات لمريم..."!

يقول دانيال روبس الكاتب والمؤرخ المسيحي المعروف واليهودي الأصل:

"Il est impossible d'établir une filiation rattachant la mère de Jésus à David…"!

ما تعريبه: "إنه من المستحيل إقامة علاقة نسَب متواصلة تربط أم يسوع بداود..." (دانيال روبَس "يسوع في زمانه" – فصل ابن الانسان، صفحة 98).

ويقول المؤرخ المعاصر الدكتور أسعد رستم: "في السنة الثانية لزعامة سمعان المكابي (142-135 ق.م.)، نادى اليهود به كاهناً أعظم وقائداً عامّاً وأميراً يورث حقوقه وصلاحياته لأبنائه وأحفاده من بعده، فأسس سمعان بذلك الاسرة الحشمناوية أي اسرة بني حشمناي (وكان من ابنائه وأحفاده ملوك من بعده...).

ويلاحظ هنا أن هؤلاء لم يكونوا من سلالة داود من حيث الملك... ولم يتحدروا من هارون من حيث الكهنوت. وعرف اليهود هذين الامرين حق المعرفة فاحتاطوا وجعلوا ملك هؤلاء محدوداً حتى الزمن الذي يظهر فيه نبيّ أمين، أي حتى الزمن الذي يتدخل فيه رب العالمين..."! (الدكتور أسد رستم "مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران"، طبعة ثانية منقّحة ومفهرسة، بيروت، 1990، ص 40).

وهكذا يتبيّن ان سلالة داود الملكيّة قد انقطعت مرّة اخرى ايام سمعان المكابي 142-135 ق.م.، بعد ان انقطعت قبل ذلك، أيام الجلاء الى بابل على عهد الملك يكنيا (598-597 ق.م.)، كما ذكرنا سابقاً (راجع إرميا 22: 24، 29-30). ومعروف ان الملك هيرودس الكبير (37-4 ق.م.) قد أرسل فأتلف جميع المخطوطات والوثائق المتبقية المتعلّقة بذرية داود وسلالته الملكية، فزالت هذه المراجع الى الأبد...

يقول العالم إرنست رينان، الذي زار المنطقة ونقّب في آثارها، إن يسوع ولد في الناصرة التي كانت قرية منسية في جليل الأمم. والنصوص الانجيلية التي تتحدّث عن الناصرة موطن يسوع: "ذهب يسوع من هناك وجاء الى وطنه..." (متى 13: 53-58)؛ وفي موضع آخر: "وأتى الناصرة حيث نشأ..." لوقا (4: 14-24)؛ وفي موضع ثالث: "وانصرف يسوع من هناك وجاء الى وطنه..." (مرقس 6: 1-6)؛ هذه النصوص يفسرها رينان على الشكل التالي: "قرية الناصرة في الجليل هي موطن يسوع بكل ما لكلمة موطن من معنى، أي ان يسوع قد ولد في الناصرة (وفيها حبلت به أمّه)، وفيها نشأ وترعرع وعمل الى أن بلغ الثلاثين من عمره. ويتابع رينان، "أمّا القول بأن يسوع ولد في بيت لحم اليهودية فهو ناتج عن تصرّف وتلاعب غير

موفّقين بالنصوص الكتابية، كي يتلاءم مكان ولادته مع نبؤة ميخا القائلة: "وانت يا بيت لحم أفراته إنك أصغر عشائر يهوذا ولكن منكِ يخرج لي الوالي "الذي يرعى شعبي إسرائيل..." (ميخا 5: 1). ونحن نجهل بالتحديد في أي يوم ولد يسوع. الأكيد ان الولادة قد تمت في أيام القيصر أغوسطوس، حوالي سنة 750 لروما، أي بضع سنوات قبل "السنة صفر" التي نبدأ بها تأريخنا المسيحيّ. والمعروف أن الملك هيرودس الكبير توفي في النصف الأول من سنة 750 لروما، أي حوالي السنة الرابعة قبل المسيح. أما الإحصاء الذي قام به قيرينيوس، والذي تربطه النصوص الانجيلية بسفر يوسف ومريم الحبلى من الناصرة الى بيت لحم اليهودية، فقد حصل في الواقع بعد عشر سنوات ، على الاقل، من الزمن الذي حدّده متى ولوقا لولادة يسوع! ذلك لأن إحصاء قيرينيوس هذا لم يحصل الا بعد خلع أرخيلاوس، أي بعد عشر سنوات من موت هيرودس الكبير، في السنة 37 من زمن الاكسيوم (راجع يوسيفوس المؤرخ في "العاديّات": الفصل 17، العدد 13، الفقرة 5، والفصل 18، العدد الاول، الفقرة الاولى، والعدد 2، الفقرة الاولى). اما القول بأن قيرينيوس قام بإحصائين اثنين، فهو قول قد ثبُت بطلانه (راجع المؤرخ أوريلّلي في مجلة "كتابات لاتينية"، العدد 623، والملحق الذي وضعه هنزن لهذا العدد من المجلة. راجع ايضاً المؤرخ بورغيزي في كتابه "الاحتفالات القنصلية" لسنة 742 لروما). كان قيرينيوس مرتين حاكماً على سوريا، غير أن احصاءً واحداً قام به، وذلك إبّان حكمه الثاني (راجع مومّسن في كتابه "أعمال أغوسطوس الالهي"، برلين، 1865 ص 111 وما يتبع). وعلى كل حال، فإن الاحصاء قد حصل في المقاطعات التي كانت تحسب مقاطعات رومانية، وليس في الممالك الربعية، وخاصة في أيام الملك هيرودس الكبير.
والنصوص التي تحاول أن تقول إن إحصاء أو اكتتاباً ما حصل في ولايات الهيرودسيّين، "إما أنها غير مطابقة للواقع التاريخي، وإما أنها نصوص من كتبة مسيحيين نقلوا وقائع الاحصاء عن نصوص لوقا. وهذا يعني ان سفر يوسف ومريم الحبلى "الى بيت لحم ليكتتب هو ومريم خطيبته..."، هذا السفر لم يحصل. والذي يؤكد ويثبت عدم حصوله هو الغاية منه أي الاحصاء او الاكتتاب الذي لم يحصل في ذلك الوقت هو ايضاً. من جهة ثانية، لم يكن يسوع من سلالة داود، لا هو ولا أبوه يوسف ولا أمه العذراء مريم. كانوا هم وآباؤهم وأجدادهم من عامة الشعب، من "جليل الأمم"، هذا من الناحية التاريخية، لا من ناحية التقليدات الشعبية السطحية المحوّرة والمتوارثة.
وعلى افتراض ان يسوع كان من ذرية داود وسلالته، فلا يمكننا ابداً ان نتصور ان أهله قد أجبروا، بسبب الاكتتاب، أن يأتوا من مكان بعيد جداً ويتسجلوا في المكان الذي خرج منه اجدادهم القدماء منذ اكثر من الف سنة! واذا كانت السلطة الرومانية قد أجبرتهم على القيام بهذه الفريضة، وهم من سلالة داود اليهودية المطالبة بالاستقلال عن روما وقيام الدولة اليهودية، فتكون هذه السلطة قد أقرّت بادّعاءاتهم

ومطالبتهم هذه المحفوفة بالاخطار على الحكم الروماني!..." (إرنست رينان "حياة يسوع"، الفصل الثاني مع الحواشي).

والملفت حقاً، أن مرقس ويوحنا لم يذكرا شيئاً عن سفر يوسف ومريم من الناصرة الى بيت لحم اليهودية وقت الاحصاء، ولا عن الاحصاء نفسه، ولا عن كون المسيح ولد في بيت لحم. ويكتفي يوحنا بالقول ان يسوع هو "جليلي" و"ناصريّ"، في مناسبتَين هامتين كان من المفروض والضروريّ جداً أن يذكر ولادته في بيت لحم اليهودية. المناسبة الاولى، عندما قال فيلبّس لنتنائيل: "لقد وجدنا الذي ذكره موسى في الشريعة وذكره الانبياء، وهو يسوع ابن يوسف من الناصرة. فقال له نتنائيل: أمن الناصرة يخرج شيء صالح؟. فقال له فيلبّس: هلمّ فانظر!" (يوحنا 1: 45-46). قال فيلبّس عن المسيح انه من الناصرة، في الجليل، ولم يقل انه من بيت لحم اليهودية. لماذا لم يقل انه من بيت لحم، اذا كان يسوع ولد حقاً في بيت لحم؟! والمناسبة الثانية، هي عندما اختلف الناس في طبيعة المسيح ومكان مولده، "فقال أناس من الجمع وقد سمعوا كلام المسيح: هذا هو النبي حقاً! وقال غيرهم: هذا هو المسيح! ولكنّ آخرين قالوا: افترى من الجليل يأتي المسيح؟ ألم يقل الكتاب إن المسيح هو من نسل داود وانه يأتي من بيت لحم، القرية التي منها خرج داود؟ فوقع بين الجمع خلاف في شأنه. وأراد البعض أن يمسكوه، ولكن لم يبسط اليه أحد يداً" (يوحنا 7: 40-44). كان معروفاً اذاً ان المسيح هو من الجليل: "أفترى من الجليل يأتي المسيح؟" الملفت والغريب حقاً، أن أحداً لم يقل عن المسيح انه ولد في بيت لحم اليهودية! (والحادثة هذه وقعت في أورشليم القريبة جداً من بيت لحم). فلا المسيح صحّح وقال انه ولد في بيت لحم، ولا أحد من رسله أو تلاميذه، لا من أقربائه وانسبائه، ولا أحد من معارفه واصدقائه، ولا أحد من الجمع. لا أحد! مع ان المناسبة كانت هامة جداً (طبيعة المسيح ومكان ولادته...)، وكان من الطبيعيّ جداً والمفروض والضروريّ، أن يذكر مكان ولادته: "في بيت لحم اليهودية القرية التي منها خرج داود")! من هنا، فالحقيقة واضحة ساطعة جداً: إن يسوع المسيح لم يولد في بيت لحم اليهودية. انه "جليليّ"، فأين ولد اذاً؟

في أيام المسيح، كانت عائلة داود وسلالته الملكية قد تلاشت وزالت منذ قرون عديدة (راجع تلمود أورشليم، تانيت 4: 2). وإذا كان "بيت داود" لا يزال يؤلف فريقاً مميّزاً في أيام المسيح، فلماذا إذاً لا نجده ماثلاً الى جانب الفرّيسيّين والصدوّقيّين والاشمونيّين والهيرودسيّين والغيورين وغيرهم، الذين كانوا معروفين ايام المسيح، والذين كانوا في صلب خلافات ذلك العصر؟! واذا كان الكاتب المسيحيّ هيجيزيبّ ومؤرخ الكنيسة الاول الاسقف أوسابيوس القيصري (تاريخ الكنيسة، 3: 19-20) يذكران "بيت داود"، فإنهما يرجعان في ذلك الى اقوال المسيحيّين المتهوّدين (تلاميذ متى ونسّاخه...)، لا الى كتب التاريخ، ولا الى الواقع التاريخي

في ذلك العهد. وفي الواقع، فلا الحشمونيّون الذين هم من أصل كهنوتي، ولا سائر الفرق اليهودية، ولا الملك هيرودس الكبير، ولا الرومان وحكّامهم، كانوا يفكّرون للحظة واحدة أن بينهم فرقة او أحداً من الناس يدّعِي انه من "بيت داود" او من سلالته الملكية!! غير أنه منذ نهاية عهد الحشمونيّين- المكابيّين (142-63 ق.م.)، أخذ الحلم يعتمر في نفوس العديد من اليهود، بأن واحداً مجهولاً من سلالة الملوك الأقدمين، سوف يأتي ويحرّرهم من اعدائهم... وأصبح الاعتقاد، ايام المسيح، ان المسيح سيكون "ابن داود"، وانه سيولد في بيت لحم اليهودية، القرية التي ولد فيها داود... وقد استندوا في ذلك، بشكل اعتباطي وتصرّف مبالغ فيه، الى نبؤة ميخا القائلة: "وأنتِ يا بيت لحم افراته، إنك أصغر عشائر يهوذا، ولكن منك يخرج لي الوالي الذي يرعى شعبي إسرائيل..." (ميخا 5: 1). وفي النسخة الأصلية ورد، بالاحرى، ما يلي: بيت لحم، "بيت أفراته"، وهذه العبارة تنطبق تماماً على بيت لحم الجليلية في الشمال ومنطقتها "بيت لحم أفراته"، لا على بيت لحم اليهودية في الجنوب التي بنيت بعد النبي ميخا (القرن الثامن) بأكثر من أربع مئة سنة!! وهكذا أصبحت عبارة "ابن داود"، عند اليهود، مرادفة لعبارة "المسيح"، مسيح اليهود طبعاً، الملك الدنيوي الزمني المقاتل الذي يحرّرهم من اعدائهم... وهذا "المسيح"، طبعاً، لا علاقة له على الاطلاق مع المسيح الحقيقي ابن الله المتجسّد القائل: "ليست مملكتي من هذا العالم. ولو كانت مملكتي من هذا العالم لدافع عنّي حرسي لكي لا اسلم الى اليهود! ولكن مملكتي ليست من ههنا" (يوحنا 18: 36). فهل أوضح من هذا الكلام القاطع؟ "ولمّا علم يسوع أنهم يهمّون باختطافه ليقيموه ملكاً، انصرف وعاد وحده الى الجبل" (يوحنا 6: 15). فيسوع المسيح لم يكن يهتم بذكرى داود التي كانت تشغل جمهور اليهود. لقد عرّف عن ذاته بأنه ابن الله، لا ابن داود. ولم يسمّ نفسه ولا مرة ابن داود. فمملكته ليست من هذا العالم. ان ملكوته هو ملكوت ابيه الذي في السماوات، ملكوت شامل كوني، لا يقتصر على جماعة قومية عنصرية متزمّتة. إنه القائل: "خرجت من لدن الآب، وأتيت الى العالم. أمّا الآن، فإني أترك العالم وأمضي الى الآب" (يوحنا 16: 28)، والقائل ايضاً: "وإذا رفعتُ من الارض، جذبتُ اليّ الناس أجمعين" (يوحنا 12: 32). أجل! الناس اجمعين، من غير تمييز بين أمّة وأمة أو شعب وشعب. وفيه قال بولس: "فيه خلق كلّ شيء... وكل شيء خلق به وله... وبه قوام كل شيء... (قولوسّي 1: 16-17)، وفيه قال ايضاً: "إن الله الآب يجمع في المسيح كل شيء ممّا في السماوات وفي الارض" (أفسس 1: 10). كم هو بعيد، وبعيد للغاية، هذا المفهوم للمسيح الحقيقي الكونيّ، عن مفهوم "المسيح" بحسب اليهود... من هنا نفهم تماماً كيف ان الاكثرية الساحقة من المسيحيين (ما عدا المسيحيّين المتهوّدين) ظلّوا ينكرون بعناد، طوال القرون الثلاثة الاولى للمسيحية، اية علاقة او صلة للمسيح بذريّة داود او سلالته الملكية، كما

انهم كانوا يرفضون جداول وسلسلة نسب يسوع التي زيدت مؤخراً في نسخ متى ولوقا المتأخرة... وكانوا يرفضون ايضاً ان المسيح ولد في بيت لحم اليهودية! وكان يؤيد هذه الأكثرية المسيحية سائر الفرق القريبة من المسيحية، أمثال "الابيونيّين"، و"العبرانيّين"، و"الناصريّين"، والعديد من المؤرّخين واللاهوتيين أمثال تاسيان السرياني ومارسيون وغيرهم كثيرين... (راجع أبيفانيوس "ضدّ الهراطقة" 29: 9؛ 30: 3 و14؛ 46: 1؛ تيودوريتس "أخبار الهراطقة" 1: 20؛ إيسودور البيلوزي "الرسائل" 1: 371).

والدكتور هيربرت سبنسر لويس يقول ان أقارب يسوع وأهله هم جميعاً من "أمم الجليل"، ولا علاقة لهم، لا من قريب ولا بعيد، بذريّة داود أو سلالته الملكية... والمسيح نفسه لم يتحدث ولا مرة عن آبائه وأجداده، ولم يصرح ابداً انه ابن داود او انه المسيح المنتظر من قبل اليهود. ويضيف الى ذلك قوله، في كتابه "حياة يسوع السريّة":

"Si l'on consulte les chroniques contemporaines ou les archives juives elles-mêmes, on ne trouve aucune trace qui donnerait à penser que les hommes, Juifs ou non, qui vécurent pendant la vie de Jésus ou au cours des cents premières années de notre ère, aient jamais cru qu'Il appartenait à la Maison de David. On ne connaît pas l'époque à laquelle on s'est efforcé d'accréditer une telle descendance en l'introduisant dans les Ecritures, mais il s'agit très certainement d'une addition très tardive...!" (Dr. Herbert Spenser Lewis, "La vie mystique de jésus", Les portes de l'Etrange, Ecrits Esotériques, Robert Laffont, Paris 1929, pp. 50-51 et aussi 46-48, 61).

ما تعريبه:

"إذا راجعنا التواريخ المعاصرة (ليسوع) أو الوثائق اليهودية ذاتها، فلا نجد فيها أي دليل أو إشارة تجعلنا نظن أن الذين عايشوا يسوع من يهود وغير يهود، او الذين عاشوا في المائة سنة الاولى بعد المسيح، كانوا يعتقدون انه من "بيت داود"...! ونحن لا نعرف الزمن المحدّد الذي فيه حاول البعض ربط المسيح بهذه السلالة وأدخلوها في نصوص كتب العهد الجديد. غير أنه من المؤكد والثابت انها إضافة حصلت في وقت متأخر جداً...!".

نكتفي هنا بهذا القدر من الشواهد والبراهين حول هذا الموضوع. وقد قدمناها على سبيل المثال لا الحصر لئلا نقع في الترداد والتطويل. وقد أصبح اليوم من المؤكد والثابت، ومن خلال النقد التاريخي الموضوعي والمجرد، وبعيداً عن الأفكار المسبقة والتقاليد التقوية الشعبية، أن أقارب يسوع وأهله جميعاً، ان يوسف ومريم ويسوع نفسه، لم يكونوا يهوداً ومن سلالة داود، بل كانوا جميعهم جليليّين من

"جليل الأمم" أي من "امم الجليل"... هذا الجليل الذي كان في الواقع بوتقة بشرية مثالية تتجمع فيها وتتفاعل وتنصهر وتتوحد وتتكامل جميع الديانات والمذاهب والحضارات والثقافات والشعوب تقريباً، تحت مظلة الروح الكنعانية الانسانية السامية التي تسعى الى بلورة "الانسان العالمي" او "عالمية الانسان"... في هذه البوتقة الكنعانية الشاملة بالذات ولد يسوع المسيح ونشأ وترعرع وتعلّم وبشر وعلّم. من هذه البوتقة الانسانية بالذات اختار تلاميذه ورسلَه – ما عدا يوضاس أي يهوذا الاسخريوطي الذي كان وحده من اليهودية... ولقد أصبح من الثابت اليوم، ان 4 أو 5 من تلاميذ المسيح كانوا من "قانا الجليل اللبنانية"! في هذه البوتقة المنفتحة بالذات عمل الآيات والعجائب وبشّر بالحب وكرامة الانسان وملكوت السماوات ، وفيها، لا في اليهودية، أسس كنيسته التي كمّلت وتكمل رسالته السامية الفريدة. وحتى بعد مماته، من قيامته الى صعوده، ظلّ ايضاً في الجليل! فقد سبق وقال لرسله: "...ولكن بعد قيامتي اتقدمكم الى الجليل" (متى 26: 32). وعند قيامته قال الملاك لمريم المجدلية ومريم أم يعقوب ويوسف: "اسرعا في الذهاب الى تلاميذه وقولا لهم: إنه قام من بين الأموات، وها هوذا يتقدمكم الى الجليل، فهناك ترونه" (متى 27: 7). وقال يسوع نفسه لهما بعد قيامته: "السلام عليكما! لا تخافا! إذهبا وقولا لاخوتي يمضوا الى الجليل فهناك يرونني") متى 28: 10).

ومن الطبيعيّ جداً ان يأتي المسيح من الجليل، من "جليل الأمم"، من البوتقة البشرية الشاملة الموحّدة، وليس من بيئة عنصرية متعصّبة متزمّتة كبيئة اليهود...، وذلك لأنه "ابن الانسان"، ابن الانسانية جمعاء. أجل! "الأرض – كلّها – أعطت ثمرتها": يسوع المسيح. ويقول الكتاب ايضًا ان الله الآب اراد ان يجمع في المسيح كل شيء مما في السماوات وفي الأرض..." (أفسس 1: 10)!...

-3-المصادر الكتابية – في العهد القديم – التي عليها بنى المسيحيّون المتَهَوِّدُون علاقة يسوع المسيح بذرية داود الجسدية، غير متماسكة موضوعياً وتاريخياً وجغرافياً...

كان الهمّ الاساسي للمسيحيّين المتهوّدين ربط يسوع المسيح بذرية داود الجسدية الملكية الدنيوية، كما قلنا سابقاً، وذلك منذ نشأة المسيحية حتى بدايات القرن الرابع. وفي سبيل تبيان ذلك، لجأوا الى المصادر والمراجع والتقاليد الكتابية في العهد القديم. غير أن هذه المصادر نفسها كانت تنطلق من تقاليد شعبية مختلفة ومتباينة، ولم تكن بالتالي متماسكة لا موضوعياً ولا تاريخياً ولا جغرافياً... فكان من المتعذّر، والحالة هذه، اعتبارها اساساً صحيحاً وسليماً لربط يسوع المسيح جسدياً ودنيوياً بهذه الذريّة الداودية... فأمام هذه المعضلة، لم يتورّع النسّاخ المسيحيون المتهوّدون – وخاصة نسّاخ متى العبراني جداً – من اللجوء الى الحذف والاضافة، الى التغيير والتبديل، والى التصرف الكيفي والاعتباطي بكل تلك النصوص الكتابية القديمة، ومنها نصوص نبوية مشيحانية واضحة... كل ذلك، ليبرهنوا على ان يسوع المسيح هو من نسل داود الجسدي ومن سلالته الملكية الدنيوية. غير ان ذلك، برأينا، غير متماسك بتاتاً، من النواحي الموضوعية والتاريخية والجغرافية. وهذا ما سنعرضه باختصار في الفقرات التالية.

إن النص الكتابي الاول، الذي تنطلق منه وتعود اليه، جميع النصوص الكتابيَّة اللاحقة التي تدور حول نسَب يسوع ومدينة بيت لحم وقبر راحيل... هو نص سفر التكوين (35: 16-20) الذي يقول: "...ثم رحلوا (يعقوب وقبيلته) من بيت إيل. وبينما هم على مسافة من أفراته، ولدت راحيل (زوجة يعقوب) وعسرت ولادتها. فلما عسرت ولادتها، قالت لها القابلة: لا تخافي، فان هذا أيضاً ابن لك. وكان قبل ان تفيض نفسها، لأنها ماتت، قد سمّته "بن أوني" (ابن ألمي)، وأمّا أبوه فسمّاه "بنيامين" (ابن اليمين او ابن اليُمن). وماتت راحيل ودفنت في طريق أفراته وهي بيت لحم. ونصب يعقوب نصباً على قبرها، وهو نصب قبر راحيل الى اليوم...". ثم يتكرر هذا النص في سفر التكوين نفسه (48: 7) على لسان يعقوب قبيل وفاته: "...وأما أنا ففي عودتي من فدّان ماتت بقربي راحيل في ارض كنعان (لاحظ: "أرض كنعان")، في الطريق، على مسافة من أفراته، فدفنتها هناك في طريق أفراته، وهي بيت لحم...".

من هذا النص الكتابي القديم والمكرّر، تظهر حقائق ثلاث واضحة جليّة لا لبس فيها، وهي: أولاً ان يعقوب كان في "أرض كنعان" عندما ماتت زوجته راحيل، ثانياً إن قبر راحيل هو قرب أفراته – بيت لحم، ثالثاً إن أفراته هي هي بيت لحم.

والنص الثاني، الذي يؤكد النص الأول، والذي يأتي اكثر توضيحاً وتحديداً ودقة من النواحي الجغرافية والطبّولوجية والطبّونومية، جاء في سفر يشوع (19: 14-16)، حيث يعيّن يشوع في "جغرافيته" الشهيرة (حوالي 1230-1220) أراضي اسباط اسرائيل الاثني عشر، ويرسم حدود كلّ منها، ويعدّد المدن والبلدات التي في داخل كلّ واحدة منها. وقد جاء في هذا النصّ عن حدود أرض سبط زبولون ما يلي:
"...وتميل الحدود شمالاً الى حنّاتون، وتنتهي الى وادي يفتحئيل وقطّة ونهلال وشمعون ويرألة و"بيت لحم": فهناك اثنتا عشرة مدينة بقراها. هذا ميراث بني زبولون بحسب عشائرهم: تلك المدن بقراها..."! وغنيّ عن القول، أن يشوع يرسم جغرافيته هذه، حيث سكنى الاسباط الاثني عشر، داخل أرض كنعان بالذات – وبالتحديد جنوبي أرض كنعان – التي اغتصبها هو على رأس قبائل غازية من اليهود... ولكنه أبقى على اسماء جميع المدن والبلدات والأماكن والمحلاّت الكنعانية على حالها، كما هي، قبل اغتصابه هذه الارض... وهكذا حدّد بدقة مكان "بيت لحم"، وبالتالي مكان افراته وقبر راحيل زوجة يعقوب: انها في الشمال، شمالي فلسطين، في الجليل، في "جليل الأمم"، انها مدينة كنعانية – فينيقية –لبنانية دون أدنى شك، كما سنفصّل لاحقاً. كانت "بيت لحم" هذه، في الارض التي سكن فيها فيما بعد سبط زبولون، وزبولون كما هو معروف كان في شمالي سبط منسّى، بين أسباط يساكر ونفتالي وأشير، اذاً في الشمال، في الجليل (فلتراجع جميع خرائط اسباط اسرائيل الاثني عشر، المخطوطة والمطبوعة بكل لغات العالم...).

ومن جهة ثانية، جاء في مجموعة أنساب يهوذا وداود (أخبار الايام الاول، الفصول 2-4) أن كالب هو احد أجداد داود، وبالتالي أحد أجداد المسيح...؟ مع ان النسخة الكاثوليكية الجديدة تقول في كالب إنه ليس عبرانياً (راجع سفر يشوع 14: 6 والحاشية رقم 2، صفحة 445 العمود الأول)، وقد جاء شرحها كما يلي، بالحرف الواحد: "كالب هو قنزّيّ (الآيتان 6 و14) فليس هو عبرانياً (راجع سفر العدد 24: 21-25). وعشيرته المتحدّرة من جنوب فلسطين، لها قرابة مع بني أدوم (راجع سفر التكوين 36: 11). وقد اتصل بشعب العهد القديم ولا سيّما بسبط يهوذا، منذ يوم إقامته في قادش (سفر العدد 13-14). إحتلّ منطقة حبرون (يشوع 14: 6-15؛ 15: 13-169؛ قضاة 1: 12-15) التي بقربها "نَقَب كالب" (1 صموئيل 30: 14)".

النص الثالث القديم، الذي تعود اليه النصوص اللاحقة في العهدين القديم والجديد لربط يسوع المسيح بذريّة داود الجسدية وسلالته الملكيّة، هو نص سفر راعوت (4: 18-21) الذي يتحدث عن نسَب داود، فيقول: "وهذه مواليد فارص: فارص ولد حصرون، وحصرون ولد راماً، ورام ولد عمّيناداب، وعمّيناداب ولد نحشون، ونحشون ولد سلمون، وسَلمون ولد بوعز، وبوعز ولد عوبيد، وعوبيد ولد يسّى، ويسّى ولد داود". والنسخة الكاثوليكية تقول في مقدمة كتاب راعوت صفحة 510،

ما يلي: "إن ارتقاء الكتاب (كتاب راعوت) يعود الى ما بعد الجلاء. فالكاتب ينظر الى زمن القضاة نظره الى زمن بعيد جداً. وهو مضطرّ الى تفسير عادة قديمة سقط العمل بها... كما أن هناك ميزات لغويّة توحي بزمن متأخر. يضاف الى ذلك ان تفكير الكتاب اللاهوتي (الشمولية والنظرة الى المكافأة ومعنى الألم) يكون أقرب الى الفهم، إنْ وُضع في زمن بعد الجلاء... الخ..." هذا يعني باختصار ان مؤلف كتاب راعوت وضع كتابه عن راعوت بعد موتها بأكثر من 600 سنة!!... وتتابع النسخة الكاثوليكية تعليقها فتصل الى النصّ الذي نحن في صدده الآن (نسب داود: راعوت 4: 18-21)، فتقول بالحرف الواحد، صفحة 511، المقطع الثاني، السطران الأول والثاني: "واذا استثنينا النسَبَ (4: 18-21) الذي ورد ذكره في 1 أخبار 2: 5-15 والذي يبدو انه قد أضيف، تبقى لسفر راعوت وحدته الادبية...". هذا يعني ان النص الخاص بنسب داود، والذي يشكّل نوعاً من الخاتمة للكتاب، هو نصّ مضاف في آخر سفر راعوت، في فترة متأخرة جداً... وعندما ورد من جديد ذكر هذا النصّ – نصّ نسَب داود في راعوت – في سفر الأخبار الأول 2: 5-15، ظهرت مغالطات تاريخية فاضحة بين النصين من جهة وبينهما وبين الحقائق التاريخية من جهة ثانية! (راجع سفر الاخبار الاول 2: 5-15، مع الحواشي والشروحات في النسخة الكاثوليكية الجديدة، صفحة 736، العمودان الاول والثاني، في باب: بنو اسرائيل – سلالة يهوذا – أصل داود...).

بعد سفر راعوت، هناك في سفرَي صموئيل بعض الآيات العابرة التي تشير بشكل مباشر او غير مباشر الى نسَب داود وذريّته وسلالته الملكية... وهذه الآيات هي التالية: صموئيل الاول: 13: 7-15؛ 20: 12-17، 41-42؛ 23: 15-18؛ 24: 21-23؛ 25: 1-3؛ صموئيل الثاني 3: 9-10؛ 7: 1-17. ففي هذا الموضوع بالذات تقول النسخة الكاثوليكية الجديدة، في باب "مدخل الى سفرَي صموئيل"، ص 518-523، ما يلي: "تكشف المقارنة بين النص العبريّ والترجمة اليونانية إختلافات هامّة... من المستبعد أن يكون المترجمون السبعون قد قاموا من تلقاء أنفسهم بما نلاحظه في النص اليوناني من إضافة وحذف...! فالآثار النادرة المنشورة للنص العبريّ الذي عثر عليه في قمران تضع أمام أعيننا، من ناحية، نصاً عبرياً أقرب احياناً الى النصّ الذي يبدو أن المترجمين السبعين استندوا اليه. ومن ناحية أخرى، فان قدم تلك الشهود لا يكفي للدلالة على انها تقدم لنا "النص الأصلي"... ولعل الترجمة اليونانية، أو بالأحرى ما يظهر فيها من الأصل العبري، قد حاولت أن "تحذف بعض التكرارات أو التناقضات...! ويشمل سفرا صموئيل حقبة زمنية طويلة من تاريخ اسرائيل، تقودنا حتى أيام شيخوخة داود. أمّا تحديد الأحداث في التاريخ فهو أمر صعب للغاية لأن هذه الأحداث يحيط بها الغموض الزمني كما يحيط بقصص سفر القضاة... ليس سفرا صموئيل بسلسلة تاريخية إخبارية تتّبع الاحداث خطوة خطوة. هما عمل أدبي يجمع

موادّ غير متجانسة بعضها قديم جداً، ويضم تقاليد شفهية... وصفحات يرجح انها حرّرت على عهد سليمان واضافات زيدت بعد خراب الدولة اليهودية في السنة 587... فمثلاً: دخول داود في خدمة شاول، ومحاولة شاول الفاشلة لاغتيال داود، وقدوم داود الى الفلسطينيين، وقصة ابقاء داود على حياة شاول، كل ذلك يروى مرتين! ...وفي معظم الحالات، نحن أمام تقاليد مختلفة (سبق أن استقرّت مشافهة او كتابة) قد حرص الرواة والمحرّرون على المحافظة عليها... إن السير نحو اسباغ الكمال المثالي على داود، الذي يبدو لنا بوضوح في هذا السفر، قد استمر في مرحلة لاحقة من التحرير... ويمكننا ان ننسب الى متعصّب للمذهب الملكي تجميع تقاليد قديمة تكوّن فصولاً عديدة من الكتاب... ومن جهة ثانية فان هذين السفرين هما تعليم اكثر منهما تاريخ لإسرائيل القديم... فالموضوع السائد هو موضوع الحكم الملكي وليس هناك محاولة لاخفاء الالتباسات التي رافقت قيام هذا الحكم... وهناك نزعات اساسية دينية للدفاع عن سياسة وسلالة "يهوذا"... والتركيز المبالغ فيه على عظمة اورشليم ومثالية داود... وفي حين كان الاعتقاد سائداً ان سلالة داود الملكية "سوف تدوم الى الأبد"... فقد انقطعت نهائياً في السنة 587، عند خراب الهيكل وجلاء السكان الثاني الى بابل..." وتختم النسخة الكاثوليكية شرحها فتقول: "...ومع ذلك لن يكفّوا عن الايمان بضمان الخلود الذي وهبه الله لبيت داود"...؟!

إن سفرَي الأخبار يكرّران كثيراً من اخبار أسفار صموئيل والملوك، وأضيف اليها عناصر تكميليّة أخرى، من وجهة نظر تاريخية ولاهوتية مختلفة. وفي الفصول 2-4 نجد انساباً مفصّلة عن سلالة يهوذا وأصل داود وبيت داود وملوك يهوذا... ويمكن أن نقارن بينها وبين نسب المسيح في متى (1: 1-17) ولوقا (3: 23-38).

وحول تحديد العلاقة وتوضيح الروابط بين أنساب داود في سفر الأخبار هذا ونسَب يسوع في العهد الجديد، نعود الى النسخة الكاثوليكية الجديدة، "مدخل الى سفرَي الأخبار"، ص 727-733، فنجد التوضيحات التالية: "...لم يحرّر الكاتب في الواقع رواية استوحاها من معرفته لتاريخ شعبه القديم، بل نقل عدداً من الوثائق التي بين يديه، وصنّفها أحياناً في ترتيب يوافق ما يهدف اليه كتابه، فجاءت أخباره غير كاملة ويعسر أحياناً توضيحها... وأكثر من ذلك فقد دخلت على الكتاب، بعد اكتماله، بعض الاضافات اللاحقة!... وإذا عدنا الى أسلوب الكتابة أمكننا أن نستخلص بعض المبادئ التي سار عليها الكاتب في تأليف كتابه. لقد أخذ اولاً بطريقة الحذف، فلم يحفظ في مراجعه الاّ ما اراد ان يرويه وفقاً للفكرة التي كوّنها عن كتابه. فجاء تاريخ مُلك داود وسلالته، في نظره، تاريخاً مثالياً للشعب اليهودي ومصيره... وكثيراً ما يعسر علينا تفسير التغييرات في الترتيب الزمني، إذ إنها تخضع، على ما يبدو، لأسباب لاهوتية أكثر منها تاريخية!... اراد الكاتب أن يعرض لنا "تفكيراً لاهوتياً في التاريخ" أكثر مما "أراد ان يقوم بعرض تاريخي موضوعيّ كامل... لم يكن عمله

كالعمل الذي يقوم به مؤرخ من عصرنا، بل كان عمل مؤمن ولاهوتي يرى في التاريخ شاهداً على عمل الله وصورة، وإن غير كاملة، لملكوت الله... هناك بعض النصوص تعبّر عن أفكار الكاتب ونزعاته الشخصية وتصوراته الخاصة للأحداث... وهو يوجّه مجمل الرواية بمهارته في الحذف والاضافة الى أهدافه الخاصة وهي وسم وجه الملك داود بالكمال المثالي. فكل شيء يساهم في إظهاره ملكاً مثالياً بحسب مشيئة الله، ملكاً ليبقى على رأس سلالة لا نهاية لها (وقد كان لها نهاية...) ...ان الله هو الملك الحقيقي الأوحد في الواقع، وان داود جالس على عرش الله الخ...".

اليكم بعض الأمثلة حول اصل داود ونسَبه وذريّته... فهي تظهر عدم التماسك التاريخي، لكثرة ما يحتوي من مغالطات وحذف واضافات وتحويرات... فيصبح من المتعذّر تاريخياً ربط يسوع المسيح بهذه الذريّة العجيبة...

في الفصل الثاني من سفر الأخبار الأول يعرض الكاتب سلالة يهوذا وأصل داود (الآيات 3-17). وتعلق النسخة الكاثوليكية الجديدة على ذلك بقولها: "يبتدئ محرّر الأخبار بيهوذا، سبط داود (الآيات 3-17). واما بقية الفصل فانه مجموعة أنساب من مصادر مختلفة (نَسَبان لبني كالب؟!)، عن المجموعات التي أُدمجت في يهوذا... ومن الراجح ان ذلك كله إضافات...!" والبرهان القاطع على ذلك أن الآية 31 تقول: وابن أفّائيم: يشعي، وابن يشعي: شيشان، وابن شيشان: أحلاي". أمّا الآية 34 فتقول: "ولم يكن لشيشان بنون"!؟ (هكذا بالحرف الواحد!). أمّا النسخة الكاثوليكية فتعلّق موضحة: "التقليد في الآية 34 يختلف عن التقليد الذي في الآية 31"! (صفحة 737 والحاشية رقم 3 تحت العمود الأول). يبقى السؤال: هل كان لشيشان بنون ام لا؟ فالآية 31 تقول: "ابن شيشان: أحلاي"، والآية 34 تقول: "ولم يكن لشيشان بنون"؟! والى اليوم، لا نعرف اذا كان لشيشان بنون أم لا. وطبعاً، الجواب على هذا السؤال لا يقدّم ولا يؤخر في أي شيء بتاتاً، غير ان كل ما نريد قوله في ذلك هو التالي: ليس بهكذا أنساب داودية متناقضة يمكن أن نربط نسب يسوع المسيح. يلزم لهكذا أنساب الحدّ الادنى، على الأقل، من المصداقية التاريخية، والاّ فهي تنتمي الى نوع من الروايات والحكايات الشعبية القديمة... وفي هذه الحال، يمكننا ان نلاحظ، كما رأينا سابقاً، مغالطة تاريخية واحدة، على الأقل، في المقطع الواحد لنفس النصّ في ذات الفصل...!

اليكم مثلاً آخر من نفس الفصل (الفصل الثاني من سفر الأخبار الأول):

الآيات 18-24 تتضمن سجلاً نسبياً لسلالة كالب. وفي المقطع ما بعد التالي، أي الآيات 42-50، هناك سجل نسَبي ثانٍ لكالب نفسه. وبين السجلين تظهر بوضوح اختلافات ومغالطات تاريخية فاضحة. والنسخة الكاثوليكية تعلّق على السجلين موضحة فتقول: "السجل الثاني لكالب هو سجل نسَبي آخر لكالب يوافق زمناً آخر، حين تغيّرت علاقات العشائر بعضها ببعض..."؟! (الصفحة 737 والحاشية رقم 4 التي

تمتد على العمودين) وكالب نفسه يسمّى تارة كالب وتارة كلوباي وتارة كلوب وتارة أخرى حور؟! لكل واحد من هؤلاء زوجات وبنون وبنات، اسماؤهم واردة بالتفصيل في النصوص. وفي الوقت نفسه كل هؤلاء شخص واحد! والى اليوم لا أحد يعرف هل ان كالب هو حور؟ أم ان حور هو كالب؟ هل هما شخصان ام شخص واحد، الى اليوم لا جواب. والنسخة الكاثوليكية نفسها تقول في هذا الموضوع: "لا يذكر حور الاّ مرة واحدة انه كالب...! وخلافاً لمجموعة كالب (راجع سفر يشوع 14: 6+)، يبدو ان حوراً يمثل سلالة من يهوذا انطلقت من أفراته بيت لحم وامتدت الى الشمال الغربي (قرية يعاريم)..." (صفحة 738 والحاشية رقم 5 في العمود الاول). والعجيب حقاً اننا نقرأ في الآية 19 بالحرف الواحد ما يلي: "...وماتت عزوبة، فاتخذ كالب له أفراتة، فولدت له حوراً" (صفحة 737، المقطع الاول، السطران الاول والثاني). وفي نفس الفصل نقرأ بالحرف الواحد ما يلي: "وكالب هو حور" (صفحة 738، المقطع الأول، السطران والرابع، والحاشية رقم 5). هكذا، وبكل بساطة: في المقطع الأول كالب هو والد حور، اما في المقطع الثاني، من نفس الفصل، فكالب هو هو حور!!؟

في الفصل الثالث من نفس السفر – سفر الاخبار الأول – وتحت باب: "ملوك يهوذا"، نقرأ في الآية 15 ما يلي: "وبنو يوشيّا: البكر يوحانان، والثاني يوياقيم، والثالث صدقيّا، والرابع شلّوم". ونقرأ في شرح الحاشية رقم 3 ما يلي: "هذا النسب مأخوذ من سفر الملوك! شلّوم هو يوآحاز الوارد ذكره في سفر الملوك الثاني: 23: 30ت – راجع ايضاً سفر ارميا 22: 11" (ص 738) إذاً، يوآحاز في سفر الملوك الثاني هو شلّوم في سفر الاخبار الاول!؟ وفي المقطع التالي من الفصل الثالث نفسه، تبدأ سلالة ملوك يهوذا بعد الجلاء. فنقرأ في شرح الحاشية رقم 4 ما يلي: "الراجح (؟) أن هذا النسب ينتهي الى زمن محرّر الاخبار نفسه" (صفحة 739، الحاشية رقم 4 العمود الاول). القضية اذاً هي قضية ترجيح! على كل، نسَب المقطع الاول يعود الى سفر الملوك ونسَب المقطع الثاني يعود الى سفر الاخبار: والفرق الزمني بين الاثنين 600 سنة على الأقل!... وفي الآية 19 من المقطع الثاني نفسه، نقرأ: "وابنا فدايا: زرّبابل وشمعي" وفي شرح الحاشية رقم 5 نقرأ ما يلي: "في سائر النصوص كلّها (راجع عزرا 3: 2، وحجّاي 1: 1) زرّبابل هو ابن شألتئيل" (صفحة 739، الحاشية رقم 5، العمود الأول)! اذاً، زرّبابل هو ابن فدايا في سفر الاخبار الاول، وهو ابن شألتئيل في سائر النصوص كلّها! وبالمناسبة، فقد ورد في الأناجيل ايضاً ان زرّبابل هذا هو ابن شالتئيل، وليس ابن فدايا (متى 1: 12؛ لوقا 3: 27)...

وفي الفصل الرابع، تحت باب: "أسباط الجنوب"، نقرأ في شرح الحاشية رقم 1، على العمودين الاول والثاني، ما يلي: "إن النّبذ عن يهوذا وحور وكالب موازية لنبذ الفصل الثاني، ولكن معظم اسمائها مختلف عن اسماء ذلك الفصل! وقد أضيف اليها نبذ جديدة... ومن المحتمل ان يكون هذا القسم إضافة هو ايضاً، وقد استعمل فيه

ذكريات قديمة، وان يكون الكتاب الاصلي قد انتقل مباشرة من النبذة عن يهوذا (2: 1-17) الى النبذة عن شمعون (4: 24ت)..." الخ... الخ...

هناك ايضاً في سفر المزامير، وخاصة في المزامير 18، 89، 132، بعض الاشارات العابرة التي تلمح، بشكل مباشر أو غير مباشر، الى ذريّة داود وعلاقتها بالمسيح المنتظر...

في المزمور 18 الآية 51 نقرأ ما يلي: "يكثر من الخلاص لمليكه ويصنع رحمة لمسيحه لداود ونسله للأبد..." فالمسيح هنا إمّا داود نفسه وإما نسله الآتي كلّه (راجع النسخة الكاثوليكية الجديدة ص 1139، 1238 والحاشية رقم 7).

اما المزمور 89 فتقول النسخة نفسها فيه: "في الآيات 4-5 تذكير بإقامة عهد مع داود: مع مختاري عهداً قطعت ولداود عبدي أقسَمتُ. لاثبّتنّ نسلك للأبد ولأَبْنِيَنَّ عرشك مدى الأجيال... أمّا الآيات 20-38 فهي نبؤة مشيحيّة تناقض الآيات 39-46 التي تتحدث عن الإذلال القومي الذي حلّ بالشعب اليهودي..." فقد جاء في الأولى: "أجعل نسله ابدياً وعرشه مثل ايام السماء، ليدومنّ نسله للأبد وعرشه كالشمس أمامي..." أما في الثانية فقد جاء: "لكنك نبذت ورذلت وعلى مسيحك غضبت. عن عهد عبدك أعرضت وتاجه في التراب دنّست، وضعت حداً لبهائه والى الأرض نكّست عرشه، قصّرت أيام شبابه وبالخزي شملته..."!؟ اما في عبارة "مسيحك" في الآية 39، فتقول النسخة الكاثوليكية الجديدة في الصفحة 1238، في الحاشية رقم 7، تعليقاً على كلمة "مسيحك": "يدلّ هذا اللفظ على سلالة داود كلها"!؟ في الحقيقة هناك مسحاء عديدون ومختلفون في تاريخ الشعب اليهودي، كما رأينا آنفاً. المسيح هو أولاً ملكهم الاول شاول، ثم هو داود او سلالة داود كلها. تارة هو الملك وتارة أخرى هو رئيس الكهنة أو النبيّ. وحتى الملك الفارسي قورش هو مسيحهم لأنه خلصهم من السبي والجلاء. ولكن ما علاقة قورش هذا بذريّة داود وسلالته الملكية؟

وفي المزمور 132: 11-12 نقرأ ما يلي: "أقسم الربّ لداود وهي حقيقة لن يرتدّ عنها ابداً: من ثمرة بطنك أجلس على العرش الذي لك، وبنو بنيك ايضاً للأبد يجلسون على العرش الذي لك..." غير انه من الثابت تاريخياً، كما أوضحنا سابقاً، ان سلالة داود الملكية قد انقطعت فعلاً مع كنيا ابن يوياقيم ملك يهوذا. أما كيف أن احفاد داود يجلسون للأبد على عرش داود – أجل للأبد! – فهو أمر آخر لا علاقة له بالتاريخ او بالجغرافيا او بما اليهما...

وفي الآية 17 من نفس المزمور نقرأ ما يلي: "هناك أقيم لداود نسلاً، وأعدّ لمسيحي سراجاً..." ونجد في الشرح ما يلي: "حرفياً: هناك أنبت لداود قرناً" (صفحة 1295، الحاشية رقم 5). والقرن يرمز دوماً الى القوة. (راجع مزمور 18 الحاشية 4 صفحة 1136، وراجع ايضاً مزمور 75: 5، 89: 18، 92: 11 الخ؛ وراجع ايضاً

تثنية الاشتراع 33: 17، الملوك الاول 22: 11، زكريّا 2: 4، حزقيال 29: 11 الخ) وهنا ايضاً تعني كلمة "مسيح": نسل داود كلّه...

وفي سفر إرميا هناك إشارات عابرة عن ذريّة داود وسلالته الملكية. فقد جاء في الفصل 33: 17 ما يلي: "...لأنه هكذا قال الرب: لا ينقطع لداود رجل يجلس على عرش بيت اسرائيل...". الاّ ان ارميا نفسه يقول في الفصل 22: 29-30 ما يلي: "يا ارض، يا أرض، يا أرض، اسمعي كلمة الرب. هكذا قال الرب: سجّلوا هذا الانسان (الملك كنيا): عقيماً، رجلاً لم ينجح في أيامه. فلن ينجح من ذريته أحد في الجلوس على عرش داود والتسلط في يهوذا من بعد..."!؟

وهناك أخيراً النص الشهير لميخا 5: 1، والذي نعود اليه اكثر من مرة في هذه الدراسة. والذي يهمنا هنا الآن هو العلاقة، في هذا النصّ، بين سلالة داود (الذي هو من بيت لحم يهوذا) والمسيح الذي سوف يأتي من هذه السلالة، برأي اليهود، ومن مدينة داود بالذات: بيت لحم أفراته... النص يقول: "وأنتِ يا بيت لحم أفراتة، إنك أصغر عشائر يهوذا، ولكن منك يخرج لي من يكون متسلطاً على اسرائيل، وأصوله منذ القديم منذ ايام الازل...".

في مدخل سفر ميخا نقرأ في الصفحة 1959 المقطع الأول، ما يلي: "من الواضح أن ترتيب موادّ الكتاب هو من عمل محرّرين عاشوا بعد تأليف الأقوال النبوية بمئات السنين. فالسؤال مطروح في أمر صحة العناصر التي تحتويها هذه الأقوال. (!) هناك شبه إجماع على نسبة الفصول: 1-3 و1/6 – 6/7 الى ميخا المورشتيّ الذي عاش في القرن الثامن قبل الميلاد. والآيات 2: 12-13 والرتبة الطقسية الواردة في 7: 8-20 يحدّد زمانها عادة في حقبة العودة من الجلاء، بعد السنة 536. واما الفصلان 4 و5، وفيهما النص الذي نحن بصدده (5: 1)، فهما لا يزالان موضع جدال شديد: يرى أناس فيهما مجموعة أقوال نبوية تعود الى ما بعد الجلاء، ويرى فيها اناس آخرون كتابات قديمة لميخا أعيد النظر فيها أثناء قراءات مجدّدة متعاقبة. وتبقى المسألة مطروحة على بساط البحث..."!

وبالاضافة الى ذلك وبالنسبة الى النص الذي نحن بصدده والذي يربط المسيح بداود... نقرأ ما يلي، في الصفحة 1967، في باب: "شدائد وأمجاد سلالة داود"، الحاشية رقم 8 في العمود الأول والحاشية رقم 4 في العمود الثاني، نقرأ ما يلي: "...إن ميخا يتصور المسيح على طريقة أنبياء يهوذا التقليدية، أي كملك منتصر في صهيون (وهكذا في سفر التكوين 49: 10-12 وفي سفر العدد 24: 15-19 ومزمور 110 وسفر اشعيا 9: 1-6، 11: 1-9، 32: 1 الخ...)!... وفي هذه المقاطع تبشير بانتصار في المستقبل على اشور، ينسب الى ابن داود والى رؤساء يهوذا..." وفي هذه التعليقات والشروحات ما يكفي لفهم طبيعة هذا النص الشهير في ميخا (5: 1)، ورسم أبعاده الحقيقية...

لقد تأكد اليوم، وعلى ضوء النقد التاريخي الموضوعي ان العلاقة – علاقة النسب والذرية – بين المسيح وداود هي من تأليف ونسج خيال المسيحيين المتهودين، في القرون المسيحية الاولى، وليست مبنية على أسس تاريخية وجغرافية وعلمية ثابتة. والغريب حقاً كيف قبلها جميع المسيحيّين فيما بعد، طوال قرون وقرون، وهي ليست حقيقة تاريخية ثابتة ومؤكدة؟! التاريخ لا يثبت العلاقة النسبية والذريّة بين المسيح وذريّة داود وسلالته الملكية، ولا علم الأنساب والذريّات، ولا علم الجغرافية، ولا أي علم من العلوم. واليهود أنفسهم ينكرون بشكل قاطع هذه العلاقة، ويقولون ان يسوع المسيح هو ثمرة علاقة جسدية بين عاهرة تدعى مريم (الف حاشى وكلا)... وبين جندي روماني يدعى "جوزيف بانتيرا" (راجع التلمود والترجوم عند اليهود)...! وحدهم المسيحيون يؤمنون، حتى اليوم، بأن المسيح هو من ذريّة داود!؟ انه في الحقيقة لأمر عجيب غريب... للغاية!!

ماذا قال المسيح نفسه في قضية علاقته بداود وبذريّة داود...؟

من البديهي والطبيعي جداً ان أفضل من يعرف ويحدّد طبيعة علاقة المسيح بداود "وبذريّة داود"... هو المسيح نفسه. هل كان يجهل هذه العلاقة؟ معاذ الله! ومن يعرف عن هذه العلاقة اكثر منه. فلندعه يتكلّم هو شخصياً. وقد تكلّم عن هذه العلاقة، بشكل واضح وصريح جداً:

جاء في انجيل متى (22: 41-46) ما يلي:

"وبينما الفرّيسيّون مجتمعون سألهم يسوع ما رأيكم في المسيح؟ ابن من هو؟ قالوا له: "ابن داود". قال لهم: فكيف يدعوه داود رباً بوحي من الروح، إذ يقول:"قال الرب لربّي، إجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك تحت قدميك..."؟

فاذا كان داود يدعوه رباً، فكيف يكون ابنه؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة، ولا جرؤ أحد منذ ذلك اليوم أن يسأله عن شيء..."!

وجاء أيضاً في انجيل مرقس (12: 35-37) ما يلي:

"وتكلم يسوع وهو يعلّم في الهيكل قال: كيف يقول الكتبة إن المسيح هو ابن داود؟ وداود نفسه قال بوحي من الروح القدس:

"قال الرب لربّي: إجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك تحت قدميك"

فداود نفسه يدعوه ربّاً، فكيف يكون ابنه؟ وكان من الناس جمع كثير يصغي اليه مسروراً..."!

وجاء أيضاً في إنجيل لوقا (20: 41-44) ما يلي:

"...وقال لهم: كيف يقول الناس إن المسيح هو ابن داود؟ فداود نفسه يقول في سفر المزامير:

"قال الرب لربّي: إجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدميك".

فداود يدعوه رباً، فكيف يكون ابنه؟".

واذا أردنا توضيح طبيعة البنوّة والذريّة الحقيقية في العهدين القديم والجديد، وعلاقتهما بالمسيح وبصفاته وامتيازاته الاساسية، نستعين مرة أخرى، بالنسخة الكاثوليكية الجديدة التي بين أيدينا، في تعليقها على المزمور الثاني لداود، الذي جاء فيه:

"لماذ ارتجّت الأمم وبالباطل تمتمت الشعوب؟ ملوك الأرض قاموا والعظماء على الرب ومسيحه تآمروا:

لنكسر قيودهما ولنلقِ عنا نيرهما

أُعلنُ حكم الرب:
قال لي أنتَ ابني وأنا اليوم ولدتك
سلني فأعطيك الامم ميراثاً وأقاصي الارض ملكاً..."

فتقول النسخة في تعليقها (صفحة 1120، حاشية 1 و3): "يعدّ التقليد اليهوديّ والمسيحيّ هذا المزمور ذا مغزى مسيحيّ، على غرار المزمور 110 – الذي سنتحدث عنه بعد قليل – ولعل هناك صلة بين المزمورين. وأبعاد هذا المزمور منفتحة على موضوع المشيح والأخيريّة... وبعد أن تكلّم المتآمرون وتكلّم الرب يتكلّم المسيح بدوره. لما مسحه الله ملكاً على اسرائيل أعلن أنه "ابنه"، وفقاً لعبارة مألوفة في الشرق القديم (أخذها العبران عن الديانة الكنعانية.. لأن "البنوّة الالهية" كانت تنفرد بها هذه الديانة الرائدة). ولكن هذه العبارة "الابن" اتخذت معنى أعمق فيما بعد، فقد استعملها كاتب الرسالة الى العبرانيين (1: 1-2، 5: "إن الله، بعدما كلّم الآباء قديماً بالأنبياء مرات كثيرة بوجوه كثيرة، كلّمنا في آخر الايام هذه بابن جعله وارثاً لكل شيء وبه أنشأ العالَمِين (جمع عالم)!... فلمن من الملائكة قال الله يوماً: أنت ابني وأنا اليوم ولدتك؟). ثم استعملها، بعد الرسالة وإلى العبرانيين، التقليد والليتورجيا المسيحيِّين، للدلالة على ولادة الكلمة قبل الدهور..." (راجع مقدمة انجيل يوحنا: 1: 1-18 مع الحواشي والشروحات).

أمّا المزمور 110، فقد جاء فيه:
"قال الرب لسيّدي: إجلس عن يميني حتى اجعل أعداءك موطئاً لقدميك...
لك الرئاسة يوم ولدت، في بهاء القداسة من الرحم، من الفجر ولدتك...
أقسم الرب ولن يندم أن أنت كاهن للأبد على رتبة ملكيصادق..."وتعلّق النسخة الجديدة على هذ ا المزمور، فتقول (صفحة 1269، الحاشية رقم 1): "الملك الشامل والكهنوت الأبدي، وهما من امتيازات المسيح، لا ينتجان عن أي تنصيب أرضي، وكذلك امتيازات ملكيصادق (تكوين 14: 18+). والمسيح يحقق حرفياً هذه النبؤة (راجع متى 22: 44 و27: 11 و28: 18 واعمال الرسل 2: 34-35 وعبرانيين 1: 13 ورؤيا 19: 11 و16". أليس المسيح نفسه هو القائل: "ليست مملكتي من هذا العالم. لو كانت مملكتي من هذا العالم لدافع عني حرسي لكي لا أسلم الى اليهود... ولكن مملكتي ليست من ههنا. فقال له بيلاطس: فأنت ملك إذن! أجاب يسوع: هو ما تقول، فإني ملك" (يوحنا 18: 36-37).

والعجيب حقاً، ان يسوع المسيح نفسه يصرّح بشكل واضح وقاطع أن مملكته ليست من هذا العالم، ليست من ههنا، أما المسيحيون المتهوّدون فانهم يسعون بكل قواهم، وبجميع الطرق والأساليب...، الى ربطه بسلالة داود الملكية...!؟ وذلك رغماً عنه وعنا وعن التاريخ والجغرافية وعن الحقيقة نفسها وعن كل شيء...!!!

وعندما كان بينهم، حاول الناس أن ينصبوه ملكاً عليهم، فرفض وابتعد عنهم. فقد جاء في انجيل يوحنا (6: 14-15) ما يلي: "...فلما رأى الناس الآية التي اتى بها يسوع (معجزة الخبز والسمكتين)، قالوا: حقاً، هذا هو النبي الآتي الى العالم. وعلم يسوع أنهم يهمّون باختطافه ليقيموه ملكاً، فانصرف وعاد وحده الى الجبل...". وتعلّق النسخة الجديدة على هذا النص الانجيلي فتقول شارحة (صفحة 305 حاشية 5 و6): "من ميزات الآية أن تؤدي الى تفسير لعمل يسوع وشخصه: يرون فيه نبيّ الأزمنة الأخيرة (راجع يوحنا 1: 21)، ذلك النبيّ الذي يرسله الله الى العالم ليتزعّم حركة تحرير قومي يهودي ويقيم سلطان اسرائيل.. ولذلك همّوا بإعلانه ملكاً... إن يسوع الذي سوف يتكلّم، في اثناء محاكمته، علناً وصراحة "أن مملكته ليست من هذا العالم... ليست من ههنا (يوحنا 18: 36-37)، يرفض تولي مُلك أرضي كما يفهمه الجمع... ونحن منذ الآن أمام الإعراض عن النظريات الشعبية في الأخيريّة وفي المسيحيّة الأرضيّة..."!

"الذريّة الحقيقية..."
بنظر يسوع المسيح نفسه

ما هي الذريّة الحقيقية بالنسبة الى يسوع المسيح؟ من هي اسرة يسوع الحقيقية؟ من اية ذريّة هو؟ ومن هي عائلته الحقيقية؟

الجواب المباشر، الواضح والقاطع، وبالحرف الواحد، جاء منه هو شخصياً، من فمه وعلى لسانه هو بالذات! فقد جاء في الاناجيل المقدسة، وبالحرف الواحد، ما يلي:

جاء في انجيل متى (12: 46-50؛ 13: 1-2) ما يلي:

"...وبينما هو يكلّم الجموع، اذا امّه وأخوته قد وقفوا في خارج الدار يريدون أن يكلّموه، فقال له بعضهم: إن أمّك وإخوتك واقفون في خارج الدار يريدون أن يكلموك. فقال للذي أخبره بذلك: من امي ومن إخوتي؟ ثم أشار بيده الى تلاميذه وقال: هؤلاء هم أمي وإخوتي. لأن من يعمل بمشيئة ابي الذي في السماوات هو أخي وأختي وأمّي.

وفي ذلك اليوم خرج يسوع من البيت، وجلس بجانب البحر (على شاطئ بحيرة طبرية عند مدينة كفرناحوم التي سكنها لفترة طويلة في بداية حياته العلنية).

فازدحمت عليه جموع كثيرة، حتى انه صعد الى سفينة وجلس فيها، والجمع كلّه قائم عل الشاطئ...".

وجاء ايضاً في إنجيل مرقس (3: 31-35) ما يلي:

"...وجاءت أمه واخوته فوقفوا في خارج الدار، وأرسلوا اليه من يدعوه. وكان الجمع جالساً حوله، فقالوا له: إن أمك وإخوتك في خارج الدار يطلبونك. فأجابهم: من أمي ومن إخوتي؟ ثم أجال طرفه في الجالسين حوله وقال: هؤلاء هم أمي وإخوتي، لأن من يعمل بمشيئة الله هو أخي وأختي وأمي...".

كما جاء ايضاً في إنجيل لوقا (8: 19-21) ما يلي:

"...وجاءت اليه امه وأخوته، فلم يستطيعوا الوصول اليه لكثرة الزحام. فقيل له: إن أمّك وإخوتك واقفون في خارج الدار يريدون ان يروك. فأجابهم: إن أمي وإخوتي هم الذين يسمعون كلام الله ويعملون به...".

الفصل الثاني

"أبناء إبليس"
(ما تقوله التقاليد والنصوص التاريخيّة)

"قال يسوع لليهود: أنتم أولاد أبيكم إبليس، تريدون إتمام شهوات أبيكم. كان منذ البدء قتّالاً للناس..." (يوحنا 8: 44).

إذا كان يسوع المسيح نفسه قد سمّى اليهود أبناء إبليس، فهل يعقل أن يكون هو منهم: يهودياً ومن ذريّتهم؟
–طبعاً لا!

جاء في الإنجيل المقدّس (يوحنا 8: 31-59)، بالحرف الواحد، ما يلي:

"فقال يسوع لليهود الذين آمنوا به: إن ثبتّم في كلامي كنتم تلاميذي حقاً، تعرفون الحق والحق يحرّركم. أجابوه: نحن نسل ابراهيم، لم نكن يوماً عبيداً لأحد. فكيف تقول: ستصيرون أحراراً؟ أجابهم يسوع: الحق الحق أقول لكم كل من يرتكب الخطيئة يكون عبداً للخطيئة. والعبد لا يقوم في البيت دائماً ابداً، بل الابن يقيم فيه للأبد. فاذا حرّركم الابن كنتم احراراً حقاً. انا أعلم انكم نسل إبراهيم ولكنكم تريدون قتلي لأن كلامي لا يجد اليكم سبيلاً. انا اتكلّم بما رأيت عند أبي وأنتم تعملون بما سمعتم من أبيكم. أجابوه: إن أبانا هو ابراهيم. فقال لهم يسوع: لو كنتم أبناء ابراهيم لعملتم أعمال إبراهيم. ولكنكم تريدون الآن قتلي، أنا الذي قال لكم الحق الذي سمعه من الله، وذلك عمل لم يعمله ابراهيم. انتم تعملون أعمال أبيكم. قالوا له: "نحن لم نولد لزنى"، ولنا أب واحد هو الله. فقال لهم يسوع: لو كان الله أباكم لأحببتموني، لأني من الله خرجت وأتيت. وما أتيت من نفسي، بل هو الذي ارسلني. لماذا لا تفهمون ما أقول؟ لأنكم لا تطيقون الاستماع الى كلامي. أنتم أولاد أبيكم إبليس، تريدون اتمام شهوات ابيكم. كان منذ البدء قتالاً للناس، ولم يثبت على الحق لأنه ليس فيه شيء من الحق. فإذا تكلم بالكذب "تكلم بما عنده"، لأنه كذاب وأبو الكذب. أما أنا فلأني أقول الحق لا تؤمنون بي. من منكم يثبت عليّ خطيئة؟ فاذا كنت أقول الحق فلماذا لا تؤمنون بي؟ من كان من الله استمع الى كلام الله. فاذا كنتم لا تستمعون اليه فلأنكم لستم من الله. أجابه اليهود: ألسنا على صواب في قولنا إنك سامريّ، وإن بك مسّاً من الشيطان؟ أجاب يسوع: ليس بي مسّ من الشيطان ولكني أكرم أبي وأنتم تهينونني. أنا لا أطلب مجدي فهناك من يطلبه ويحكم. الحق الحق اقول لكم: من يحفظ كلامي لا يرَ الموت أبداً. قال له اليهود: الآن عرفنا أن بك مسّاً من الشيطان. مات ابراهيم ومات الأنبياء، وأنت تقول: من يحفظ كلامي لا يذق الموت ابداً. أأنت أعظم من أبينا ابراهيم الذي مات؟ وقد مات الأنبياء أيضاً. من تجعل نفسك؟ أجاب يسوع: لو مجّدت نفسي لكان مجدي باطلاً، ولكن ابي هو الذي يمجّدني. ذلك الذي تقولون انتم: هو إلهنا. أنتم لم تعرفوه، اما أنا فأعرفه. ولو قلت إني لا أعرفه لكنت مثلكم كاذباً. ولكني أعرفه وأحفظ كلمته. إبتهج أبوكم ابراهيم راجياً أن يرى يومي، ورآه ففرح. قال له اليهود: أرأيت ابراهيم وما بلغت الخمسين؟ فقال لهم يسوع: الحقّ الحقّ أقول لكم: قبل ان يكون ابراهيم، أنا كائن. فأخذوا حجارة ليرموه بها، فتوارى يسوع وخرج من الهيكل..." (إنجيل يوحنا 8: 31-59، مع الحواشي والشروحات...).

نرجع في تفسيرنا لهذا النصّ الخطير – الذي نادراً جداً ما يتعرّض له المفسّرون المسيحيون – الى النسخة الكاثوليكية الجديدة الطبعة اليسوعية، 1989، ص 316-

318، في الحواشي والشروحات: من حاشية رقم 17 الى حاشية رقم 34. وبعد ذلك نتبع عن كثب تفسيرات اثنين من كبار شارحي كتب الاناجيل م.أ. بوامار وأ. لامُويّ في كتابهما الشهير بالفرنسية

"Synopse des quatre Evangiles, Tome III, L'Evangile de Jean". Les éditions du Cerf, 1977. Commentaire 261, p.p. 238-240, N°4, 5, 6, 7.

ونبدأ بتفسيرات وشروحات "النسخة الجديدة":

-الحاشية رقم 17: "إن ثبتّم في كلامي": أي الانضمام الوثيق الى الذي فيه تنطق كلمة الله الحق (راجع يوحنا 8: 37، 5: 38، 6: 56، 15: 7؛ 2 يوحنا 9).

-الحاشية رقم 18: "تعرفون الحق": "الحق" هو، في نظر يوحنا حقيقة الله بصفته قادراً على ان يشرك فيها البشر الذين خلقهم. وهذا الحق يتجلّى ويعطى في يسوع. ولذلك فالايمان به هو ايضاً معرفة الحق وتقبّله...

-الحاشية رقم 19: "والحق يحرّركم": ليس المقصود "الحرية" السياسية ولا الحكم الذاتي الباطني الذي يستطيع الحكيم أن يصل اليه بالتفكير في كيانه الانساني. فالحرية حيال الكذب (8: 44) والموت (8: 24 و51) هي ايضاً قدرة على الحياة التامة (10: 10) في الاتحاد بالابن والآب (17: 3). وهذه الحريّة الأخيريّة هي هبة ترتبط بالحق الذي يبلغ الانسان اليه في يسوع.

-الحاشية رقم 20: "نحن نسل إبراهيم لم نكن يوماً عبيداً لأحد": لقد أدرك اليهود أن الكلام يدور على الحريّة التي تعاش في علاقة مع الله (كثيراً ما اختبروا العبوديّة)، لكنهم يرون ان الامتياز الممنوح لذريّة ابراهيم كاف لضمان هذه الحرية لهم (متى 3: 9).

-الحاشية رقم 21: "فاذا حرّركم الابن كنتم أحراراً حقاً": الحريّة وجه من وجوه النبوّة المضادّة للعبوديّة. فالخطيئة التي هي جهل لله وانفصال عنه، تدل على حالة استعباد أو اغتراب. والابن وحده، لاتّحاده بالآب، هو في البيت على وجه نهائي وثابت. ويأتي الابن ليشرك المؤمنين بحياته (عن التضادّ: عبد/ابن، راجع تكوين 21: 10 إرميا 2: 14، 3: 22 غلاطية 4: 1-9، 5: 11).

-الحاشية رقم 22: "أنا أعلم أنكم نسل ابراهيم": <u>ليست "ذريّة ابراهيم" مجرّد حقيقة وراثية أو اجتماعية،</u> بل هي تقتضي ايضاً توفيقاً بين موقفهم وموقف ابراهيم في حياته. ولا بدّ لهذا التوفيق أن يقترن بالعمل ويعبّر عنه الآن بالاعتراف بمرسل الله (راجع رومه 4: 1 و11-25، 9: 7 غلاطية 3: 6-16). وعلى عكس ذلك، فالمحاولات لإعدام يسوع هي الدليل الذي لا يقبل الجدل على ان أصحابها ليسوا "أبناء لابراهيم" الاّ على وجه بشريّ محض...!

-الحاشية رقم 23: "لو كنتم أبناء ابراهيم لعملتم أعمال ابراهيم": "ابراهيم" هو مثال الذي يؤمن بكلمة الله: راجع تكوين 15: 6 يشوع بن سيراخ 44: 20-21 رومة 4: 3 و18 و20 عبرانيين 11: 8-19 يعقوب 2: 21-24.
-الحاشية رقم 24: "قال اليهود ليسوع: نحن لم نولد لزنًى": يعتمد اليهود على انهم من الله، فيدعون الله أباهم، ويرفضون ولادة من زنىً: كانوا يطلقون كلمة "زنى" على عبادة الأوثان وعَدَم إخلاص الشعب لله (هوشع 1: 3 ارميا 3: 1-4 اشعيا 57: 7-13 حزقيال 16: 33) وسيثبت من سياق الكلام كلّه ان أباهم هو الشيطان...!
-الحاشية رقم 25: "لماذا لا تفهمون ما اقول؟ لأنكم لا تطيقون الاستماع الى كلامي": يظهر من عجزهم عن معرفة صواب اقوال يسوع انهم لا ينتمون الى عالم الله! (راجع يوحنا 18: 37).
-الحاشية رقم 26: "أنتم أولاد أبيكم إبليس، تريدون إتمام شهوات أبيكم. كان منذ البدء قتّالاً للناس": يعبّر عن المقاومة لله بالرغبة في تدمير الحياة الممنوحة للانسان (راجع تكوين 3 حكمة 1: 13-16، 2: 24، رومة 5: 12، 1 يوحنا 3: 8-15). والميل الى قتل يسوع يعود الى هذه الرغبة في تدمير الحياة...
-الحاشية رقم 27: "فإذا تكلّم (أبوكم إبليس) بالكذب تكلّم بما عنده، لأنه كذّاب وأبو الكذب": الترجمة اللفظية: "وأبوه"...! هناك من يترجم: "وأبو الكذّاب". الشيطان هو الذي يرفض الحق. انه عاجز عن ملازمته، والكذب هو علامة عمله (رؤيا 12: 9).
-الحاشية رقم 28: "من منكم يثبت عليّ خطيئة؟": تشعر هذه الفقرة بأن يوحنا ينظر الى "الخطيئة" نظره الى الضلال والكذب.
-الحاشية رقم 29: "أجاب اليهود: ألسنا على صواب في قولنا إنك سامريّ": راجع يوحنا 4: 9. "السامريّ" في نظر اليهود هو مثال الانسان الذي انفصل عن الشعب اليهودي والذي يخضع للتأثيرات الفاسدة...
-الحاشية رقم 30: "إن بك مسّاً من الشيطان": إتهام يسوع بالمسّ الشيطاني إتهام تقليدي في الإنجيل: راجع متى 12: 24-37، 9: 34، 11: 18-19 لوقا 11: 15-26. وراجع ايضاً يوحنا 7: 20، 10: 20.
-الحاشية رقم 31: "الحق الحق أقول لكم: من يحفظ كلامي لا يرَ الموت أبداً": راجع يوحنا 8: 24 و31، 11: 25-26
-الحاشية رقم 32: "إبتهج أبوكم إبراهيم راجياً ان يرى يومي": كان العهد القديم يتكلّم على "يوم الرب"، يوم الدينونة ويوم إقامة المملكة المشيحيَّة... (راجع عاموص 5: 18 اشعيا 13: 6 حزقيال 30: 3 يوئيل 1: 15 الخ). والعبارة تطبّق على مجيء يسوع (راجع لوقا 17: 24 قورنتس الاولى 1: 8، 5: 5 قورنتس الثانية 1: 14).
-الحاشية رقم 33: "إبراهيم رأى يومي": قد يدور الكلام على الرؤيا النبويّة التي تشعر قبل الأوان، في الرجاء، بمجيء المسيح (راجع يوحنا 12: 41 في شأن أشعيا

"الذي رأى مجده")، ولكن من المحتمل أن نفهم أن إبراهيم يرى في الوقت الحاضر مجيء يسوع الذي يحقق رجاءه (راجع لوقا 16: 27).

-الحاشية رقم 34: "الحق الحق أقول لكم": قبل ان يكون ابراهيم انا هو": راجع يوحنا 1: 1-3، 8: 28، 13: 9: تأكيد صريح على وجود الابن الأزلي قبل ابراهيم..".

بعد شروحات وتفسيرات النسخة الكاثوليكية الجديدة، نعود الى الشارحين الكاثوليكيين، في كتابهما المارّ ذكره، في الصفحات 238-240، المقاطع رقم 4، 5، 6، 7. ولقد فضلنا أن نترجم كلّ هذه المقاطع، كما هي، وبالحرف الواحد، زيادة في الامانة والموضوعيّة. إليكم هذه المقاطع:

"-المقطع رقم 4: "قال اليهود ليسوع: نحن لم نولد لزنىً": (الآية 41 من نص يوحنا موضوع دراستنا 8: 31-58).

"في سعيهم الى قتل يسوع يعمل اليهود "أعمال" ابيهم (الآية 41 في نص يوحنا: انتم تعملون اعمال ابيكم...). من هو ابوهم يا ترى؟ الجواب سياتي بعد قليل في الآية 44 (أنتم أولاد أبيكم إبليس...). ولكن منذ الآن "نعرف أن هذا الأب، كائناً من كان، يقاوم أب يسوع: عمله عمل موت لا عمل حياة...

"غير أن اليهود في جدالهم هذا مع يسوع، كانوا على بيّنة تامة من مرامي أقواله، فقد اعترضوا قائلين: نحن لم نولد لزنىً، ولنا اب واحد هو الله (الآية 41 القسم الثاني والقسم الثالث). وجوابهم هذا، مع ما يتضمنه من اشارة الى ولادة غير شرعية، يأخذ أبعاده كلّها اذا وضعناه في إطاره الشامل في "الترغوم الفلسطيني" (إعداد ج. راقون ديَاز؛ ر. له دِيُو). ففي سفر التكوين 5: 3 نقرأ ما يلي: "وعاش آدم مئة وثلاثين سنة، وولد ولداً على مثاله كصورته، وسمّاه شيتاً". وكونه ولد على مثال آدم، فإن شيتاً هو في الوقت نفسه على صورة الله كمثاله (راجع تكوين 1: 26 "وقال الله: لنصنع الانسان على صورتنا كمثالنا، راجع ايضاً لوقا 3: 38 "(وكان يسوع)... بن انوش، ابن شيت، بن آدم، بن الله"). غير أن "ترغوم يوناتان"، من جهته، يعطي التفسير الآتي: "وقد رأينا آنفاً أن حواء ولدت قاين الذي لم يكن من آدم ولم يكن يشبهه، وهو الذي قتل اخاه هابيل. ولذلك طُرد قاين، ولم تُذكر سلالته في كتاب ذريّة آدم. وفيما بعد ولدت حواء من كان على صورة آدم واطلقت عليه اسم شيت. فقاين لم يكن على صورة آدم، وبالتالي لم يكن على صورة الله، لأنه، أي قاين، لم يولد من آدم. من كان أباه إذاً؟ "هناك نصّ في الترغوم نفسه يجيب على هذا السؤال. نحن نقرا في سفر التكوين (4: 1) ما يلي: "وعرف آدم حواء امرأته فحملت وولدت قاين". اما "ترغوم يوناتان" فقد صاغ هذا النص على الشكل التالي: "وعرف آدم حواء امرأته التي كانت "حاملاً من "الشيطان شمّائيل". فقاين ليس هو

ابن آدم بل ابن "شمّائيل" الذي يوحّد التقليد اليهودي بينه وبين الشيطان. وهكذا ولد قاين لزنىً...!

"وهل يا ترى، هذا التقليد اليهودي كان سائداً ايام المسيح؟ وأيام كتب يوحنا انجيله؟ بدون ادنى شك. وهناك إجماع حول هذا الموضوع. ففي رسائل يوحنا نفسه كاتب الانجيل نقرأ مثلاً نصاً يؤكد ذلك ويتطابق مع نص يوحنا الانجيلي موضوع دراستنا. فقد جاء في رسالة يوحنا الأولى 3: 9-12 ما يلي: "كل مولود لله لا يرتكب الخطيئة لأن زرعه باقٍ فيه، ولا يمكنه ان يخطأ لأنه مولود لله. وما يميّز ابناء الله من أبناء إبليس هو أن كل من لا يعمل البرّ ليس من الله، ومثله من لا يحبّ أخاه. فان البلاغ الذي سمعتموه منذ البدء هو ان يحبّ بعضنا بعضاً، لا ان نقتدي <u>بقايِن الذي كان من الشرير فقتل اخاه</u>. ولماذا قتله؟ لأن أعماله كانت سيّئة في حين ان أعمال أخيه كانت أعمال برّ...". فقاين كان من الشرير، أي ابناً للشيطان (شمّائيل)، ولهذا السبب قتل أخاه هابيل. وبناء على هذه التقاليد اليهودية السادئة آنذاك، والتي تبنّاها يوحنا الانجيلي وأكّدها، فان البشرية جمعاء تقسم الى قسمين: ابناء شيت، أي ابناء آدم، إذاً ابناء الله (راجع لوقا 3: 38: "(وكان يسوع) بن انوش، ابن شيت، بن آدم، بن الله")؛ وأبناء قاين الذين هم، ليس ابناء آدم، بل ابناء "شمّائيل" أي أبناء الشيطان، أي ابناء إبليس (أي اليهود)... وهؤلاء، أي اليهود، ولدوا لزنىً، ولهم، كما كان لقايِن، شهوات القتل. وفي نص يوحنا، اعترض اليهود قائلين ليسوع: "نحن لم نولد لزنىً، ولنا أب واحد هو الله..."، مما يؤكد تماماً انهم كانوا عل بيّنة تامة من قصد يسوع عندما قال لهم: "أنتم أولاد ابيكم إبليس"... غير أن المسيح يسوع سيبرهن "لهم على الفور أنهم على خطأ، ويدحض اقوالهم ويؤكد لهم انهم ليسوا ابناء الله بل ابناء الشيطان إبليس (شمّائيل)...

"-المقطع رقم 5: اليهود ليسوا ابناء الله: في القسم المركزي من النص (الآيات 42-47)، يبرهن يسوع لليهود بأن ادعاءهم أنهم ابناء الله هو ادعاء باطل يدحضه موقفهم منه بالذات: "لو كان الله أباكم لأحببتموني، لأني من الله خرجت وأتيت الى العالم". وفي أي معنى "خرج يسوع من الله وأتى الى العالم؟ من المعروف أن يوحنا الانجيلي قد تأثر بأسفار الحكمة في العهد القديم (راجع المقدمة صفحة 52 العمود الأول المقطع رقم 5). فيمكن مقارنة قول يسوع هنا: "لأني من الله خرجت وأتيت الى العالم"، بقول ورد في سفر يشوع ابن سيراخ (24: 1-3) حيث تتحدّث الحكمة عن نفسها فتقول: "إني قد خرجت من فم العليّ..." أو بقول آخر ورد في سفر اشعيا (55: 11) حيث يقول الربّ: "فكذلك تكون كلمتي التي تخرج من فمي، لا ترجع اليّ فارغة بل تتمّ ما شئت وتنجح فيما أرسلتها له..." (راجع ايضاً سفر تثنية الاشتراع 8: 3 حيث يخاطب موسى الشعب اليهودي قائلاً: "لقد ذلّلك الرب وأجاعك وأطعمك المنّ الذي لم تعرفه انت ولا عرفه آباؤك، لكي يعلمك أنه ليس بالخبز وحده

يحيا الانسان، بل بكل ما يخرج من فم الربّ يحيا الانسان...."). هذا القول الذي تردد صداه في يوحنا (6: 31): "آباؤنا اكلوا المنّ في البريّة كما ورد في الكتاب: أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا...". والمسيح، لكونه الحكمة الالهيّة، "خرج من الله" وأتى الى العالم، لكي يقول الحق للناس أجمعين (الآية 40: "ولكنكم تريدون الآن قتلي، انا الذي قال لكم الحقّ الذي سمعه من الله..."). وبما أن المسيح "خرج من الله"، فكان "على اليهود ان يحبّوه اذا كان الله أباهم. كان عليهم ان يحبّوه وأن يؤمنوا به: "فإن الآب نفسه يحبكم، سوف يقول يسوع لتلاميذه، لأنكم أحببتموني وآمنتم اني خرجت من لدن الله. خرجت من لدن الآب وأتيت الى العالم. أما الآن، فاني أترك العالم وأمضي الى الآب". (يوحنا 16: 27-28). وفي مكان آخر من يوحنا، يخاطب يسوع اباه السماوي قائلاً: "إن الكلام الذي بلّغتنيه بلّغتهم إيّاه، فقبلوه وعرفوا حقاً اني من لدنك خرجت، وآمنوا بأنك انت أرسلتني..." (يوحنا 17: 8). فاليهود، على العكس من ذلك، يرفضون الايمان برسالة يسوع؛ لا يحبونه ويريدون قتله. وبذلك يظهرون أنهم ليسوا من ذريّة اولئك الناس الذين خلقوا على صورة الله كمثاله...، لأنهم يقاومون يسوع الذي خرج من الله...

"-المقطع رقم 6: "ابناء إبليس":

إبتداء من الآية 44 من نصّ يوحنا، موضوع دراستنا، تظهر المسائل السابقة بترتيب معاكس ولكن بتوضيح اكثر. فجواباً على اليهود الذين يؤكدون: "نحن لم نولد لزنىً، ولنا اب واحد هو الله...", يردّ يسوع على الفور: "أنتم أولاد أبيكم إبليس...", وهذا يعني أنكم ولدتم من إبليس، وان أباكم هو إبليس وليس الله (راجع رسالة يوحنا الاولى 3: 10-12: "وما يميّز أبناء الله من أبناء إبليس هو أن كل من لا يعمل البرّ ليس من الله، ومثله من لا يحبّ أخاه. فان البلاغ الذي سمعتموه منذ البدء هو أن يحبّ بعضنا بعضاً، لا ان نقتدي بقايِن الذي كان من الشرير فقتل اخاه...". فاليهود يجب أن يصنّفوا من ذريّة أولئك الرجال الذين ولدوا من قايِن (راجع رسالة يوحنا الاولى 3: 12)، فهم إذاً قد ولدوا لزنىً... (راجع المقطع رقم 4 الآنف "الذكر). وقبل ان ينهي يسوع حديثه، يعود ويكرّر الافكار الواردة في الآيتين 41 و44: "أنتم تعملون أعمال أبيكم"، "تريدون اتمام شهوات أبيكم". ما هي هذه الشهوات؟ وما هي هذه الأعمال؟ سوف يحدّدها يسوع على الفور.

"-المقطع رقم 7: "إبليس هو قتّال الناس": في بداية حواره مع اليهود، لاحظ يسوع أمراً معيناً قال "إنكم تريدون الآن قتلي". وهنا، في وسط حواره معهم، يؤكّد "أن إبليس كان منذ البدء قتّالاً للناس". فاليهود يتمّون هكذا اذاً شهوات وأعمال أبيهم إبليس، وهذه الأعمال هي اعمال قتل وموت. و"يوحنا، كاتب الانجيل، يعود هنا الى الفصلين الثاني والثالث من سفر التكوين، حيث إن الحيّة، أي إبليس، دفعت بآدم وحواء البالموت عن طريق حثّهما على عصيان اوامر الله (راجع تكوين 2: 17؛ 3: 19

و22-24). وهكذا ادخل إبليس الموت الى العالم (راجع سفر الحكمة 1: 13-15؛ 2: 23-24 رومة 5: 12). غير أن أول موت يتحدث عنه سفر التكوين هو، في الواقع، قتل هابيل بيد أخيه قايِن. وهذا القتل بالذات يفسّره التقليد اليهوديّ العام والسائد، كما رأينا سابقاً، بالتأكيد على ان قاين لم يكن ابناً لآدم، بل كان ابناً لشمّائيل أي إبليس. وعندما يقول يوحنا في انجيله: "إن إبليس كان منذ البدء قتالاً للناس"، فهو يقصد، بكل تأكيد، ليس فقط موت ابوينا الأولَين آدم وحواء، بل ايضاً القتل الذي قام به قاين (راجع رسالة يوحنا الأولى 3: 12: "لا أن نقتدي بقاين الذي كان من الشرّير فقتل أخاه...". ففي سعيهم الى قتل يسوع، الذي هو اخ لهم، يبرهن اليهود اذاً انهم من ذريّة قاين، وانهم ولدوا من إبليس وليس من الله.

"يتابع الانجيلي يوحنا عملية الربط والتقريب بين اليهود وأبيهم إبليس، فيعود الى موضوع "الحق" الذي ألمح اليه في الآية 40 من النص: "ولكنكم تريدون الآن قتلي، أنا الذي قال لكم "الحق" الذي سمعه من الله". فإبليس ليس هو فقط "منذ البدء قتّالاً للناس... بل إنه لم يثبت على الحق لأنه ليس فيه شيء من الحق. فإذا تكلّم بالكذب تكلّم بما عنده لأنه كذّاب وأبو الكذب. أما أنا فلأني أقول الحق لا تؤمنون بي...". وهنا يعود الانجيليّ يوحنا، مرة أخرى، الى سفر التكوين، (2-3 وخاصة 3: 1-5) حيث نقرأ: "وكانت الحيّة أحْيَلْ جميع حيوانات الحقول التي صنعها الرب الإله. فقالت للمرأة: أيقيناً قال الله: لا تأكلا من جميع اشجار الجنّة؟ فقالت المرأة للحيّة: من ثمر اشجار الجنّة نأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنّة، فقال الله: لا تأكلا منه ولا تمسّاه كيلا تموتا. فقالت الحيّة للمرأة: موتاً لا تموتان، فالله عالم أنكما في يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتصيران كآلهة تعرفان الخير والشر...". (والنسخة الكاثوليكية الجديدة تعلّق على عبارة "الحيّة" فتقول شارحة (صفحة 73 والحاشية رقم 1): "تمثّل الحية هنا كائناً يقاوم الله ويعادي الانسان، وهو العدو والشيطان في نظر سفر الحكمة ثم في العهد الجديد والتقليد المسيحي... (راجع ايضاً سفر ايوب 1: 6 مع الحواشي والشروحات...)".

"وهكذا، كي تدفع الحيّة أمنا حواء الى عصيان اوامر الله، تقول لها وتؤكد عكس ما قاله الله. الحيّة (إبليس...) تعارض "الحق" وترفضه... و"هكذا يثبت اليهود انهم ابناء إبليس في كونهم، هم ايضاً، يعارضون ويرفضون "الحق الذي سمعه يسوع من الله..." إنهم لا يؤمنون بأقوال يسوع "لأنهم ليسوا من الله بل من إبليس... (راجع الآية 47 من النص: "من كان من الله استمع الى كلام الله. فاذا كنتم لا تستمعون اليه فلأنكم لستم من الله..."!

(الى هنا ينتهي نصّ كتاب "إنجيل يوحنا" للمُفَسِّرَين م.أ. بوامار وأ. لامُويّ).

وبالاضافة الى هذين المفسّرَين الموسوعيَّين، هناك غيرهم من المفسرين المسيحيين للكتاب المقدس، ذهبت بهم الجرأة والموضوعية الى القول بأن اليهود

هم فعلاً ابناء ابليس، كما قال المسيح، وذلك في تعليقهم على نصوص الفصل الثامن عينه من انجيل يوحنا. وعلى رأسهم شارل بيرّو في كتابه "أحداث طفولة يسوع"، ص 64-65؛ م.ر. جيمس في كتابه "نصوص وأبحاث في الكتاب المقدس ومؤلفات آباء الكنيسة" ص 120-121؛ ب. لاكور في كتابه "الإيلوهيم"، الجزء الثاني، ص 218؛ وغيرهم...

وهناك ايضاً بعض مفسّري العهد القديم المعاصرين، يقولون القول نفسه – إن اليهود هم فعلاً أبناء إبليس – في شرحهم للنصّ التوراتي (سفر التكوين 4: 1-2). فالنصّ يقول، بعد أن حملت حواء بقاين: "...قد اقتنيتُ رجلاً من عند الرب (او السيّد)... ثم عادت فولدت أخاه هابيل...". فيقولون: إن حواء اقتنت رجلاً من عند الرب او السيد، وبما ان سيد هذا العالم هو الشيطان، فان قايِن هو ثمرة اتحاد حواء بالشيطان (شمائيل). أما فيما يخص هابيل فلم تقل حواء: قد اقتنيت رجلاً من عند الرب. بل يقول الكتاب فقط: ثم عادت فولدت أخاه هابيل. مع ان هابيل هو الرجل الصالح البريء وقاين هو الشرّير القاتل. أمّا فيما يخص القول بأن سيّد هذا العالم هو الشيطان أو الشرير، فهناك العديد العديد من الآيات الكتابية التي تثبت هذا القول، في العهدين القديم والجديد خاصة (راجع يوحنا 6: 70-71، 8: 41، 12: 31، 13: 27، 14: 30، 16: 11، الخ...). يقول المسيح نفسه: "اليوم دينونة هذا العالم. اليوم يطرد سيّد هذا العالم الى الخارج" (يوحنا 12: 31)؛ وايضاً: "...لن أطيل الكلام عليكم بعد ذلك، لأن سيّد هذا العالم آتٍ، وليس له يد عليّ..." (يوحنا 14: 30)؛ وأيضاً: "...وأما على الدينونة، فلأن سيّد هذا العالم قد دِيْن" (يوحنا 16: 11) وغيرها كثير...

لم يكن قاين اذاً ابناً لآدم وحواء، كسائر ابناء البشر، كهابيل وشيت واخوتهما واخواتهما فيما بعد. بل كان ابناً لسيّد هذا العالم. وسيّد هذا العالم هو الشرير أو الشيطان شمائيل...!

والسيّد المسيح نفسه يعنّف اليهود، داخل مدينة اورشليم، قائلاً لهم: "الويل لكم أيهاالكتبة والفريسيّون المراؤون، فإنكم تبنون قبور الأنبياء وتزيّنون ضرائح الصديقين وتقولون: لو عشنا في أيام آبائنا، لما شاركناهم في دم الأنبياء. فأنتم تشهدون على أنفسكم بانكم ابناء قتلة الأنبياء. فاملأوا أنتم ايضاً مكيال آبائكم. أيها الحيّات أولاد الأفاعي، كيف لكم ان تهربوا من عقاب جهنّم؟ من اجل ذلك هاءنذا أرسل اليكم أنبياء وحكماء وكتبة. فبعضهم تقتلون وتصلبون، وبعضهم في مجامعكم تجلدون، ومن مدينة الى مدينة تطاردون، حتى يقع عليكم كل دم زكيّ سفك في الأرض، من دم هابيل الصديق الى دم زكريّا بن بركيا الذي قتلتموهُ بين المقدس والمذبح... يا أورشليم، يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسَلين اليها، كم مرّة أردت ان أجمع أبناءك، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها! فلم تريدوا. هوذا

بيتكم يترك لكم خراباً. فإني اقول لكم: لا ترونني بعد اليوم حتى تقولوا: تبارك الآتي باسم الرب..." (متى 23: 29-39).

الملفت حقاً في هذا النصّ الانجيلي الواضح والعنيف (والذي جاء على لسان متى نفسه!؟...) هو ان السيد المسيح، بعد ان قال لليهود "أيها الحيّات اولاد الأفاعي..." (وهذا يذكّر بالحيّة التي أَغْوَتْ حواء...) جعل اليهود مسؤولين عن كل دم زكيّ سفك في الأرض..."! والعجيب انه يجعلهم مسؤولين عن سفك "دم هابيل الصديق..."!!! فما دخل اليهود، يا ترى، بسفك دم هابيل؟ أليس قايِن هو الذي قتل أخاه هابيل؟ فما دخل اليهود اذاً بسفك دم هابيل؟ ولماذا يضع المسيح مسؤولية سفك دمه على عاتق اليهود؟ هل كان اليهود في أيام هابيل؟ أليس ان أباهم هو ابراهيم؟ وهل كان ابراهيم في ايام هابيل؟ أليس أن قروناً وقروناً من الزمن تفصل ابراهيم عن هابيل؟ بلى. المسافة الزمنية طويلة وطويلة جداً. فإبراهيم دخل ارض كنعان، آتياً من اور الكلدانيين، حوالي سنة 1850 ق.م. (سفر التكوين 12)، وهابيل هو ابن آدم... واليهود أنفسهم عندما قالوا للمسيح: "إن ابانا هو ابراهيم" اجابهم قائلاً: "لو كنتم ابناء ابراهيم لعملتم أعمال ابراهيم" (يوحنا 8: 39). فالمسيح جعل اليهود مسؤولين عن سفك دم هابيل لأنهم ابناء ابليس: لأن قايِن الذي قتل هابيل هو ثمرة العلاقة الجسدية بين حواء ورئيس الشياطين "شمائيل". وكان في منتهى الوضوح عندما قال لهم بالحرف الواحد: "انتم اولاد ابيكم إبليس، تريدون إتمام شهوات أبيكم. <u>كان منذ البدء قتالاً للناس..."</u> (يوحنا 8: 44). وقايِن عندما قتل هابيل ألم يكن <u>أول "قتّال للناس"؟...</u> - بلى!

وهناك ايضاً في بعض الكتب المنحولة في العهد القديم اشارات عديدة وواضحة الى ان اليهود هم فعلاً "ابناء ابليس"، والى انهم ابناء قاين ثمرة الاتحاد الجسدي بين حواء وبين الشيطان شمائيل... (راجع مثلاً "الكتاب الثالث لباروك" – النسخة اليونانية، الفصل التاسع، صفحة 321). وفي بعض الكتب المنحولة في العهد الجديد ايضاً نجد بعض الاشارات الواضحة في الموضوع عينه! (راجع كتاب "الحياة السريّة ليسوع"، الفصل الخامس، 91-92، للكاتب الشهير الدكتور هيربر سبنسر لويس). كما نجد الأقوال نفسها في بعض المخطوطات الانجيلية القديمة... (راجع مثلاً "الكوديكس الناصريّ"، الفصل الثالث، العدد 73).

وجاء ايضاً في كتاب "أحنوخ" (الفصل 68 الأعداد 6 و7) ما يلي: "...واسم الملاك الساقط الثالث هو "غدر إيل"... وهو الذي، في غياب آدم، أغوى حواء جسدياً فولدت قاين...". والاسم "غدرإيل هنا هو سامي قديم مشترك ويعني، كما في العربية، "غدْر إيل" أو غَدَرَ إيل". والمقصود الإساءة الى إيل على حين غفلة... (أي في غياب آدم). والشبه واضح بين "غدر إيل" و"شمّا إيل" من حيث المعنى، إذ إن "شمّائيل"

من "شم او سم إيل" تعني الأذية اوالضرر اللاحق بإيل من جراء خطيئة الملاك الشرير الساقط هذا، الذي هو الشيطان أو إبليس...!

والجدير بالذكر ان كتاب "أحنوخ" كان من الكتب المقدسة في القرون المسيحية الثلاثة الاولى. والعديد من آباء الكنيسة الاولين كانوا يرجعون اليه ويستشهدون به. وهو الى اليوم كتاب مقدّس عند الكنيسة الحبشية الاورثوذكسية. وكتب العهد الجديد القانونية نفسها تستشهد به اكثر من مرّة. (راجع عبرانيين 11: 5؛ رسالة يهوذا 13: 16 الخ...). والعهد القديم يمتدح أحنوخ "سابع الآباء بعد آدم" فيقول فيه: "لم يخلق على الارض أحد مثل احنوخ! الذي نقل عن الارض..." (سفر يشوع بن سيراخ 49: 14، و44: 16؛ راجع ايضاً سفر التكوين 5: 18-24).

والملفت حقاً هو ان التلمود نفسه وكبار الربانيين اليهود وعلماء العبران القدماء يقولون كلهم إن الشيطان شمائيل، الذي هو ابليس رئيس الشياطين، أقام علاقة جسدية مع حواء... وان ثمرة هذه العلاقة الشريرة هي قاين...! لقد جاء في "مدراش ربّا" ما يلي: "...وكانت الحيّة اجمل حيوانات الجنّة... وهي في الحقيقة إبليس او الشيطان شمائيل رئيس الشياطين والاراوح الشريرة. والى شمائيل يُعزى كل شرّ وكل مصيبة تحلّ ببني البشر. وهو الذي اشتهى حواء شهوة جنسيّة. فقد راى مرة آدم يبادلها الحبّ فقرّ رأيه أن يتخلّص من آدم بأية وسيلة كانت... وهو الذي أغوى حواء بقصد قتل آدم. وقعت حواء في حبائله وهي لا تدري، فحبلت منه (أي من شمائيل) وولدت ابناً هو قاين، الشرير القاتل وأب سلالة الاشرار والقتلة..." (مدراش ربّا، الفصل العشرون، الفقرة الخامسة، -وفي الترجمة العربية: المجلّد الاول، صفحة 163) وجدير بالذكر أن مدراش ربّا= ربّاي هوشعيا، وضع في القرن الثالث للميلاد. نشر النص العبري الدكتور يهوذا تيودور اعتماداً علىالمخطوطة رقم 27169 في "المتحف البريطاني"، نشره في برلين سنة 1912. والترجمة الانكليزية بقلم الدكتور هـ. فريدمن وموريس سيمون، لندن، 1951. ومدراش ربّا هو الذي أثبت كتابةً التقاليد اليهودية القديمة حول علاقة ابليس بحواء وقاين. ومع انتشار نسخ هذا المدراش ترسّخ الاعتقاد بأن ابليس هو أب اليهود. وكان هذا الاعتقاد سائداً ايام يسوع المسيح، الذي قال لهم صراحة وعلناً: "إن اباكم هو ابليس...".

والتلمود في نسخته البابليّة، يتحدث هو ايضاً عن شمائيل ويقول عنه إنه إبليس، رئيس الشياطين، العاصي على الله، الملاك المتكبّر الرافض، ملاك الموت، التنيّن الاحمر والحيّة التي جرّبت حواء وأغوتها... وهو الذي حاربه وغلبه ميخائيل رئيس الملائكة الصالحين... (راجع ايضاً سفر الرؤيا، الفصل الثاني عشر).

"الكبّالا" ومعها سائر المدارس والفرق السرّانية الروحية القديمة، يتحدثون بالتفصيل عن "شمائيل" ويسمّونه "معاند التصميم الالهي" أحد الايلوهيم الأشرار،

عدو الانسان الأول والاكبر، الحيوان الشرير الكبير، والحية التي جربت حواء وأغوتها... (راجع هـ. ب. بلافاسكي "العقيدة السريّة"، الجزء الثالث ص 294، 328).

وفي القصص العبري القديم هناك روايات وأخبار متعددة ومتنوعة عن شمائيل الذي هو إبليس رئيس الشياطين وأب الاشرار الذي منه اتى قاين الشرير القاتل. واليهود هم من نسل هذا الأخير... وهناك روايات عن شيت ثالث بناء آدم تقول: "...وعرف آدم امرأته حواء فولدت ابناً سمّته شيتاً... وكان شيت على شاكلة ابيه آدم في الشكل والجمال والصلاح... وشيت هو ابو البشريةالصالحة كلّها ومن نسله سوف يخرج المسيح المنتظر... وليس من نسل قاين الشرير القاتل ابن إبليس..." (راجع أنيس فريحه "في القصص العبري القديم"، الطبعة الأولى نوفل، بيروت، 1992، الفصل الرابع، ص 97-100، 118-120 مع الحواشي، 132-133).

وهناك العديد من المؤرخين والمفسّرين والكتبة الروحانيّين، من حديثين ومعاصرين، يؤكدون ما سبق وتحدثنا عنه في هذا الفصل عن شمائيل وعلاقته الجسدية بحواء، عن قاين ثمرة هذا اللقاء، وعن ابوة شمائيل ابليس لليهود... ويتحدثون بالتفاصيل وبجرأة ووضوح عن كل هذه الأمور... غير ان هناك محاولات سريّة جبارة تسعى الى طمس وإخفاء هذه المخطوطات والمؤلفات والكتب...!؟ (راجع على سبيل المثال لا الحصر، وبالاضافة الى ما ذكرناه سابقاً: ب. لاكور "الإيلوهيم" الجزء الثاني، ص 218؛ ج. ر الستون سكاتّر "اصل القياسات: الاسرار المصرية العبرانية"، ص 293؛ "ربّا بتّرا" 16-أ؛ الكوديكس الناصري" (مخطوط) الفصل الثالث، الفقرة 73؛ هـ. ب. بلافاتسكي "إيزيس دون حجاب"، الجزء الثالث، ص 248، الجزء الرابع، ص 157 وما يتبع، -"العقيدة السريّة"، الجزء الثالث، ص 158-160 مع الحواشي، 269 مع الحاشية رقم 1، 294، 328، 482، 486 – 487 مع الحواشي؛ "الكوسموغونيا الخاصة بأورانسيا (الأرض)"، موسوعة اميركية معاصرة دون ذكر اسماء... ترجمت الى الفرنسية سنة 1972، منشورات اورانسيا، باريس، الطبعة الثالثة، الجزء الثالث، ص 733-739 مع الحواشي...).

لم نجد خاتمة لهذا الفصل المميّز أفضل من الفصل الثاني عشر من سفر الرؤيا... كتب واضع هذا الكتاب المميّز هو ايضاً قائلاً:

"...ثم ظهرت آية بيّنة في السماء: إمرأة ملتحفة بالشمس والقمر تحت قدميها، على رأسها إكليل من اثني عشر كوكباً، حبلى تصرخ من ألم المخاض. وظهرت في السماء آية أخرى: تنّين عظيم اشقر (الشيطان) له سبعة رؤوس وعشرة قرون، على كل رأس تاج، وذنبه يجرّ ثلث كواكب السماء فألقاها الى الأرض. ووقف التنّين قبالة المرأة الماخض ليبتلع ولدها حين تضعه. فَوَلَدَتْ ولداً ذكراً وهو الذي يسوق الأمم بعصاً من حديد، ورفع الولد الى حضرة الله الى عرشه، وهربت المرأة الى البادية حيث أعدّ الله لها ملجأً تقتات فيه مدة ألف يوم ومائتين وستين يوماً...

ونشبت معركة في السماء، فإن ميخائيل وملائكته قاتلوا التنّين، فحمل عليهم التنّين بملائكته، لكنهم عجزوا عنهم وطردوا من السماء. فنبذ الى الارض (!) التنين العظيم، الحيّة القديمة...، ذاك الذي يقال له إبليس او الشيطان...، فتّان الدنيا كلها، ونبذت معه ملائكته. ثم سمعتُ صوتاً جهيراً في السماء يقول: اليوم تّم النصر والقدرة والملك لإلهنا والسلطان لمسيحه. لقد نبذ الذي يتّهم إخوتنا، الذي يتّهمهم ليلاً ونهاراً عند إلهنا. غلبوه بدم الحمل وبكلمة شهادتهم واحتقروا حياتهم حتى لقوا الموت. فافرحي أيتها السماوات وافرحوا يا أهلها. الويل لكما ايها البرّ والبحر! إن إبليس قد هبط عليكما، وهو يتميّز من الغيظ، وقد علم أن أيامه معدودات.

ورأى التنّين انه قد نبذ الى الأرض...، فجدّ في طلب المرأة التي وضعت الغلام، فأوتيت المرأة جناحَي نسر عظيم لتطير بهما الى البادية وتبلغ ملجأها حيث تقتات على بعد من الحيّة مدة زمن وزمنين ونصف زمن، فأفرغت الحيّة من فيها خلف المرأة ما يشبه سَيلاً من الماء لتغرقها فيه، فَأَغَاثَتْ الارض المرأة فَفَغَرَتْ فاها وابتلعت السَيل الذي أفرغه التنين من فيه، فاغتاظ التنّين من المرأة ومضى يحارب سائر أولادها الذين يحافظون على وصايا الله وعندهم شهادة يسوع المسيح..." (سفر الرؤيا 12)!

وجاء في سفر الرؤيا (2: 8-9) ما يلي:

"وألى ملاك الكنيسة التي بإزمير، أُكتبْ: اليك ما يقول الأول والآخر، ذاك الذي كان ميتاً فعاد الى الحياة: أنا عليم بما أنت عليه من الشدّة والفقر، مع أنك غنيّ. وأعلمُ إفتراء الذين يقولون إنهم يهود وليسوا بيهود، بل هم مجمع للشياطين..."!

وتعلّق النسخة الجديدة على هذا النصّ فتقول: "أساس هذه التسمية الإتّهاميّة (يهود) هو التيقّن، المنتشر في المسيحية القديمة، بأن المسيحيّين هم اليهود الحقيقيّون واسرائيل الحقيقي (راجع رومة 2: 28-29 وغلاطية 3: 29، و6: 16). ومن وجهة النظر هذه، فاليهود الذين لا يقبلون المسيح ويشجّعون اضطهاد المسيحيّين يظهرون انهم نكروا دعوتهم المميّزة لهم: لم يظلّوا ابناء ابراهيم الحقيقيّين، بل صاروا "أبناء الشيطان" (راجع يوحنا 8: 44)" (النسخة الجديدة، ص 803، والحاشية رقم 3).

وزيادة في التوضيح والتأكيد، نعرض فيما يلي نصوص بولس ويوحنا الواردة كمراجع في هذا التعليق بالذات:

-المرجع الأول: رومة 2: 28-29. يقول بولس: "ليس اليهودي بما يبدو في الظاهر، ولا الختان بما يبدو في ظاهر الجسد، بل اليهودي هو بما في الباطن، والختان ختان القلب العائد الى الروح، لا الى حرف الشريعة...". ويقول بولس ايضاً في نفس الرسالة الى أهل رومة (9: 6-7): "ليس جميع الذين هم من اسرائيل باسرائيل، ولا هم ابناء ابراهيم وإن كانوا من نسله..."!

-المرجع الثاني: غلاطية 3: 29. يقول بولس: "فاذا كنتم للمسيح فأنتم اذاً نسل ابراهيم وانتم الورثة وفقاً للوعد..."

-المرجع الثالث: غلاطية 6: 16. يقول بولس: "والسلام والرحمة على الذين يسيرون على هذه الطريقة وعلى اسرائيل الله..." وتعلّق النسخة الجديدة (الطبعة الثامنة، ص 741 الحاشية رقم 1) على هذا النص بالذات فتقول: "المسيحيّون هم اسرائيل الله وشعبه المختار (غلاطية 3: 29 رومة 9: 6-8)، وليس اسرائيل الجسدي (الأولى الى قورنتس 10: 18)!!

-المرجع الرابع (الخاص بأبناء "الشيطان"): يوحنا 8: 44. يقول المسيح مخاطباً اليهود: "أنتم أولاد ابيكم إبليس، تريدون إتمام شهوات أبيكم. كان منذ البدء قتالاً للناس، ولم يثبت على الحق لأنه ليس فيه شيء من الحقّ. فاذا تكلّم بالكذب تكلّم بما عنده لأنه كذّاب وأبو الكذب..."!

اما نسخة "توراة أورشليم" الفرنسية، التي اشرفت عليها "مدرسة أورشليم البيبليّة"، فجاءت ترجمتها العلمية أكثر وضوحاً وتحديداً ودقة – اكثر جرأة! فهي، في ترجمتها نصّ سفر الرؤيا الآنف الذكر (2: 8-9): "وأعلم افتراء الذين يقولون إنهم يهود وليسوا بيهود، بل هم مجمع للشياطين..."، فهي تترجم هكذا: "وأعلم افتراء الذين يقولون إنهم يهود وليسوا بيهود، بل هم "مجمع الشيطان" بالأحرى!". وبالفرنسية، وبالحرف الواحد:"Une Synagogue de Satan plutôt!..."

فهي أولاً تترجم بصيغة المفرد: "الشيطان" – "مجمع "الشيطان" – بدل صيغة الجمع "مجمع للشياطين". وثانياً صيغة المفرد "مجمع الشيطان" هي اكثر وضوحاً وتحديداً وتخصيصاً من صيغة الجمع "مجمع للشياطين" التي هي عامة وغامضة بعض الشيء. وثالثاً، وهذا هو الأهم، فهي تستعمل لفظة محدّدة وخاصة ومعروفة: "مجمع" (Synagogue)، التي تطلق بنوع خاص ومحدّد ودقيق على "مجمع اليهود"، على المكان الذي يجتمع فيه اليهود وحدهم...! (راجع: توراة أورشليم" بالفرنسية، سفر الرؤيا 2: 8-9). وفي تعليقها على هذا النص بالذات، تقول "توراة أورشليم" ايضاً: "إن كنيسة المسيح هي منذ الآن فصاعداً اسرائيل الحقيقي..."! (ص 1622 والحاشية رقم 10 (j).

من "أبناء إبليس" – الحيّة في الفردوس –
الى "الحيّات أولاد الأفاعي"...

جاء في انجيل متى (3: 7-9):

"ورأى يوحنا كثيراً من الفرّيسيّين والصدوقيّين يقبلون على معموديته، فقال لهم: يا أولاد الأفاعي، من أراكم سبيل الهرب عن الغضب الآتي؟ فأثمروا اذاً ثمراً يدلّ على توبتكم، ولا يخطر لكم أن تعلّلوا النفس فتقولوا: إن ابانا هو ابراهيم. فإني اقول لكم إن الله قادر على أن يخرج من هذه الحجارة ابناءً لإبراهيم..."

اذا كان يوحنا المعمدان يسمّى اليهود "أولاد الأفاعي"، فهو يعرف تماماً، وهو "المنذور" و"المكرّس" والأسينيّ وخاتمة العهد القديم، يعرف تماماً تاريخ اليهود وأصلهم وفصلهم. وهو مطّلع، قبل غيره، على تقليد يهوديّ قديم يقول، من خلال العديد من "الربّانيّين"، إن اليهود هم "أبناء إبليس"، وإن قايِن هو ثمرة علاقة جسدية بين "الشسيطان شمائيل" وحواء، وإن اليهود هم ابناء واحفاد قايِن... لذلك قال لهم: "يا أولاد الأفاعي..."! ثم أضاف: "...ولا يخطر لكم ان تعلّلوا النفس فتقولوا: إن أبانا هو ابراهيم. فإني اقول لكم إن الله قادر على أن يخرج من هذه الحجارة أبناءً لإبراهيم..."!

أما المسيح، وهو "ابن الانسان" وابن الله، فكان يعرف معرفة أكيدة وتامة تاريخ البشر وتاريخ اليهود. لذلك فهو قد سمّى اليهود وحدهم، بشكل واضح وعلني، "الحيّات اولاد الأفاعي"! فقد جاء في انجيل متى على لسان يسوع نفسه مخاطباً اليهود: "إجعلوا الشجرة طيّبة يأتِ ثمرها طيّباً. واجعلوا الشجرة خبيثة يأتِ ثمرها خبيثاً. فمن الثمرة تعرف الشجرة. يا أولاد الأفاعي، كيف لكم ان تقولوا كلاماً طيّباً وأنتم خبثاء؟ فمن فيض القلب يتكلّم اللسان. الانسان الطيّب من كنزه الطيّب يخرج الطيّب. والانسان الخبيث من كنزه الخبيث يخرج الخبيث..." (متى 12: 33-35).

وفي نصّ آخر في متى، اكثر وضوحاً وشدّة ودقة تاريخية، يوبّخ المسيح جماعة اليهود، قائلاً لهم:

"ايها الحيّات أولاد الأفاعي، كيف لكم ان تهربوا من عقاب جهنّم؟ من أجل ذلك هاءَنذا أرسل اليكم أنبياء وحكماء وكتبة، فبعضهم تقتلون وتصلبون، وبعضهم في مجامعكم تجلدون ومن مدينة الى مدينة تطاردون، حتى يقع عليكم كل دم زكيّ سفك في الأرض، <u>من دم هابيل الصدّيق</u> الى دم زكريّا بن بركيا الذي قتلتموه بين المقدس والمذبح. الحق أقول لكم: إن هذا كله سيقع على هذا الجيل. يا اورشليم، يا أورشليم، يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسَلين اليها، كم مرّة أردت ان أجمع ابناءك، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها! فلم تريدوا. لذلك يترك لكم بيتكم خراباً..."! (متى 23: 33-38).

اليهود: "الخراف الضالّة من آل اسرائيل..."

جاء في انجيل متى (15: 21-24) ما يلي:

"ثم خرج يسوع من هناك وذهب الى نواحي صور وصيدا. واذا امرأة كنعانية خارجة من تلك البلاد تصيح: رحماك، يا ربّ! يا ابن داود؛ إن ابنتي يتخبّطها الشيطان تخبّطاً شديداً. فلم يجبها بكلمة. فدنا تلاميذه يتوسّلون اليه فقالوا: إصرفها، فإنها تتبعنا بصياحها. فأجاب: لم ارسَل الاّ الى الخراف الضالّة من آل اسرائيل...". ان عبارة "الخراف الضالّة من آل اسرائيل" تدل على اسرائيل كلّه، أي اليهود (راجع النسخة الجديدة ص 80-81 والحاشية رقم 14). إن كلام يسوع هذا هو صدى للتعليم الذي القاه في متى 10: 5-7، والذي جاء فيه: "هؤلاء الاثنا عشر أرسَلهم يسوع وأوصاهم قال: لا تسلكوا طريقاً الى الوثنيّين ولا تدخلوا مدينة للسامريّين، بل اذهبوا الى "الخراف الضالّة من آل اسرائيل"، وأعلنوا في الطريق أن قد اقترب ملكوت السماوات...". فعبارة "الخراف الضالّة من آل اسرائيل" تدل هنا ايضاً وبوضوح تام على اسرائيل كلّه أي على اليهود. وقد تدل عبارة "الخراف الضالّة من آل اسرائيل" على الخاطئين في اسرائيل كما جاء في متى 18: 12-14 حيث يقول يسوع: "ما رأيكم؟ اذا كان لرجل مائة خروف فضّل واحد منها، أفلا يدع التسعة والتسعين في الجبال، ويمضي في طلب الخروف الضالّ؟ واذا تمّ له ان يجده فالحق أقول لكم إنه يفرح به أكثر منه بالتسعة والتسعين التي لم تضلّ. وهكذا لا يشاء أبوكم الذي في السموات ان يهلك واحد من هؤلاء الصغار...".

فاذا كان اليهود هم "الخراف الضالّة من آل اسرائيل"، فمن هو اسرائيل الأول والأصيل قبل انحراف أو ضلال بني اسرائيل؟ الجواب يقتضي كتاباً خاصاً ولا مجال هنا للتفصيل، فهو خارج عن بحثنا هذا. نكتفي هنا بالقول إن اسرائيل الحقيقي، الأول والأصيل، هو بحسب اللفظة نفسها: "إسرة إيل" أو "عشيرة إيل" (اسرائيل= اسرة إيل" او "عشيرة إيل")، أي الشعب الكنعاني نفسه! (راجع "التوراة الكنعانية"، تأليف هـ. أ. ديل ميديكو، ترجمة جهاد هوّاش وعبد الهادي عباس، دار دمشق، سوريا، ص: 88، 212، 219، 251-252، 256 مرتين، 267، 304 الخ...). حيث يسمّى الشعب الكنعاني بشكل واضح ومركّز، عشرات المرّات: "شعب إيل"، "إسرة إيل"، "عشيرة إيل"... وذلك قبل نشأة اليهود بآلاف من السنين!

أمّا بخصوص تسمية يعقوب "باسرائيل"، الذي يقصد بها اليهود أن يعقوب صارع الله وغلبه (هكذا!!!)، فهي من الروايات الشعبية العنصرية التي لا تمت الى التاريخ باية صلة (راجع سفر التكوين 32: 23-33، والحواشي رقم 4، 5، 6 – النسخة الجديدة). والغريب حقاً أن يعقوب نفسه كان يعبد "إيل"، إله اسرائيل. فقد جاء في سفر التكوين نفسه: "...وأقام يعقوب هناك (قبالة شكيم) مذبحاً ودعاه باسم إيل،

إله اسرائيل"! 33: 20) أجل! بالحرف الواحد: إيل= اله اسرائيل (النسخة الجديدة صفحة 120، المقطع الثاني من العمود الأول، الآية الأخيرة). أي "إيل" اله اسرائيل الأول والأصلي = إيل إله الكنعانيين المعروف.

والمعروف، وبحسب التوراة نفسها، ان الآباء الأولين ابراهيم واسحق ويعقوب كانوا يعبدون إيل، الإله الكنعاني، ولو بألفاظ وألقاب مختلفة مثل:

-"إيل شدّاي": إيل القدير، القويّ، أو إله الجبل، بحسب الاكاديّ "شادو" (راجع سفر التكوين 17: 1، 28: 3، 35: 11، 43: 14، 48: 3، 49: 25)

-"إيل عليّون": إيل العليّ، إله ملكيصادق الكاهن والملك الكنعاني – ملك شليم (أورشليم). (راجع سفر التكوين 14: 18).

-"إيل عولام": إيل السرمدي= الإله السرمديّ (راجع سفر التكوين 21: 33).

-"إيل الرائي": الله الرائي، الناظر (تكوين 16: 13).

-"إيلوهيم": جمع إيل، ولكنه يستعمل أمام الأفعال كأنه اسم مفرد... وقد ورد اسم "إيل" في التوراة حوالي ألفَيْ مرّة!! غير ان الترجمات الحديثة تسميه: الله، السيد، الربّ، العليّ، القدير الخ...

بالاضافة الى ذلك كان اسم ايل، يستعمل في التوراة كأسم علم للأمكنة مثل: "بيت إيل" (تكوين 28: 19)، "فنوئيل" (تكوين 32: 31) وغيرها؛ او كاسم علم للأشخاص مثل: صموئيل، حزقيال، دانيال، إيليا، اليصابات، اليعازر، اسماعيل، رافائيل، وغيرها كثير...

وأنت عندما تقرأ التوراة – بالعربية مثلاً – تجد كثيراً هذه الألفاظ: الاله، الله، الرب، السيّد، العليّ، السرمديّ، القويّ، القدير وأمثالها... وفي الحقيقة كل هذه الألفاظ وأمثالها هي ترجمة حرفية للفظة: "إيل". وهي تعد بحوالي الفي لفظة!! تصوّر، أيها القارئ الكريم، انك تقرأ التوراة، وفيها في الواقع وامام ناظريك، الفا لفظة "إيل"، الا يتغير إيل بالنسبة اليك؟ ألا يدخل في وجدانك وذاكرتك وقلبك وكيانك اكثر من قبل؟ الترجمة وأمور أخرى وغيرها وأخطر منها جعلوك غريباً عن "إيل"، وجعلوا "إيل" غريباً عنك، وذلك منذ أكثر من ألفي سنة! ألم ينتهِ زمن الغربة بعد؟ الم يحن وقت الرجوع اليه؟ بلى، لقد انتهت الغربة وبدأ الرجوع!...

اما قصة "يهوه"ن في المفهوم التوراتي، فهي قصة اخرى، مختلفة تماماً وحديثة العهد. وقد بدأت مع اصوات ونيران براكين جبل سيناء... عندما كان موسى وشعب اسرائيل في بريّة سيناء. والعجيب حقاً ان التقليد التوراتي اليهودي نفسه – "الإيلوهي" – لم يعرف اسم "يهوه" الاّ بعد ظهور الله لموسى في سيناء، بعد خروجه مع شعب اسرائيل من أرض مصرا! (راجع سفر الخروج 3: 13-15؛ 6: 3).

إن الحقيقة في قول المسيح: "لم ارسل الاّ الى الخراف الضالّة من آل اسرائيل..." (متى 10: 6؛ 15: 24) –والمسيح هو القائل: "أنا هو الطريق والحق

والحياة" (يوحنا 14: 65) – هي حقيقة ناصعة وقاطعة ولا تحتاج الى شرح وتفسير من قبل أحد: اليهود هم خراف ضالّة من آل سرائيل. والمسيح لم يرسَل الاّ لهذه الخراف الضالّة من آل اسرائيل، أي ليرد هذه الخراف الضالّة الى حظيرة ابيه السماوي "إيل"، الذي ناداه على الصليب: "إيلي، إيلي، لَمّا شبقتاني؟ أي: إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟" 0متى 27: 46؛ مرقس 15: 34؛ راجع ايضاً مزمور 21: 2).

واليهود هم "الخراف الضالّة من آل اسرائيل"، لأنهم، كما رأينا سابقاً، "أبناء ابليس..."، كما قال لهم المسيح صراحة وعلناً، "وهم يريدون اتمام شهوات أبيهم، الذي كان منذ البدء قتّالاً للناس، ولم يثبت على الحق، لأنه ليس فيه شيء من الحق. فاذا تكلّم بالكذب تكلّم بما عنده، لأنه كذّاب وأبو الكذب..."! (يوحنا 8: 44).

ولكون اليهود هم "أبناء إبليس" فإنهم ابناء "الضلال" وبالتالي أبناء اللعنة. وقد كانوا على علم بذلك، بشهادة العديد من الربّانيين اليهود القدماء أنفسهم... غير أنهم خلال تقلبات تاريخهم عملوا المستحيل – حتى الاختلاقات والتحويرات والتزويرات – لينزعوا عنهم هذه اللعنة التاريخية ويلصقوها بأعدائهم الألداء ابناء كنعان... ويجعلوا من نفوسهم "شعب الله المختار" (؟!)، ويجعلوا من أرض كنعان (وبالتحديد جنوبي أرض كنعان) التي اغتصبوها – نعم اغتصبوها اغتصاباً – "أرض الميعاد" (؟!) – (هكذا...). وقد نجحوا في ذلك وحقّقوه – غاسلين أدمغة البشر طوالي اكثر من الفين وأربع مائة سنة. كل ذلك بفضل كتاب التوراة: توراتهم... أي التوراة بحسب مفهومهم وتفسيرهم، هم، مع الاضافات والزيادات والتحويرات... اما الكتاب المقدس – العهد القديم – فهو تمهيد للمسيح، ولا معنى له، عل الاطلاق، الاّ انطلاقاً من المسيح، وخلال المسيح، ولكونه يهدف الى المسيح وحده فقط.

يتأصل ضلال اليهود، "الخراف الضالّة من آل اسرائيل"، في عمل "ابيهم إبليس الذي كان منذ البدء قتالاً للناس". والكل يعرف ان الذي كان منذ البدء قتالاً للناس هو قاين، الذي قتل أخاه هابيل. وقاين، كما رأينا، هو ثمرة لعلاقة بين حواء والشيطان شمائيل... لذلك قال لهم المسيح: "أيها الحيّات اولاد الأفاعي، كيف لكم ان تنجوا من عقاب جهنّم؟ من أجل ذلك هاءَنذا ارسل اليكم أنبياء وحكماء وكتبة، فبعضهم تقتلون وتصلبون، وبعضهم في مجامعكم تجلدون ومن مدينة الى مدينة تطاردون، حتى يقع عليكم كل دم ذكي سفك في الأرض، من دم هابيل الصدّيق الى دم زكريّا بن بركيا الذي قتلتموه بين المقدس والمذبح..." (متى 23: 33-35).

ومن مصر الى بريّة سيناء الى اغتصاب ارض كنعان الى قتل شعوبها وأخيراً الى قتل "سيّد الحياة" (اعمال الرسل 3: 15): يسوع المسيح، يتجلّى للعالم أجمع ضلال اليهود، "الخراف الضالّة من آل اسرائيل"!...

يقول اسطفانس، أول شهيد في المسيحية، في خطبته الشهيرة، قبل ان يرجمه اليهود بالحجارة حتى الموت: "...وقال الشعب اليهودي لهارون: إصنعْ لنا آلهة

تسير أمامنا لأن موسى هذا الذي أخرجنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه. فصاغوا في تلك الأيام عجلاً من ذهب، ثم قرّبوا ذبيحة للصنم، وابتهجوا بصنع أيديهم.
فاعرض الله عنهم، وأسلمهم لعبادة الكواكب، كما كتب في سفر الانبياء (عا موس 5 : 25 –27) : " يا آل اسرائيل , هل قربتم لي الضحايا والذبائح مدة أربعين سنة في الصحراء ؟ ... فقد حملتم قبة "مولك " (اله من آلهة الوثنيين كانوا يذبحون له الأطفال) وكوكب الهكم "رفان " الصنمين اللذين صنعتم لتسجدوا لهما ! فسأجليكم الى ما وراء بابل ..." ويتابع اسطفانوس مخاطباً اليهود قائلاً : "... يا غلاظ الرقاب , ويا غلف القلوب والاذان , <u>انكم تقاومون الروح القدس دائماً ابداً!</u> وكما كان آباؤكم فكذلك انتم. أي نبي لم يضطهده آباؤكم , فقد قتلوا الذين أنبأوا بمجيء البارّ (يسوع المسيح) وأنتم أصبحتم له خونة وقتلة ... " (أعمال الرسل 7 : 40 – 43 , 51 – 53).

ويتجلّى ضلال اليهود , الخراف الضالّة من آل اسرائيل , في اغتصابهم أرض كنعان وقتلهم شعوبها المسالمة البريئة , واقامتهم فيها. والتوراة نفسها تشهد اكثر من مرّة أن الارض التي أقاموا فيها هي أرض كنعان. وهناك أكثر من كتاب في التوراة يتحدث بالتفاصيل عن مجيئهم الى أرض كنعان , عن محاصرتهم لها , عن محاربتهم لملوكها , عن تقتيلهم لشعوبها حتى الاطفال والرضّع... وعن إبادة كل نسمة حياة فيها ... وعن تقسيم هذه الارض فيما بينهم !

وهذه، على سبيل المثال، صفحة من كتاب " يشوع بن نون", تُعْطِي صورة معبّرة عن كل ذلك :

"فتح المدن الجنوبية في كنعان : واستولى يشوع في ذلك اليوم على مقيدة , وضربها بحدّ السيف , وحرّم ملكها وجميع الانفس التي فيها , ولم يبقِ باقياً ... وصنع بملك مقيدة كما صنع بملك اريحا . ثم اجتاز يشوع وكل اسرائيل معه من مقيدة الى لبنة وحاربها. فضربها بحدّ السيف وقتل كل نفس فيها، ولم يبق فيها باقياً... وفعل بملكها كما فعل بملك أريحا. واجتاز يشوع وكل اسرائيل معه من لبنة الى لاكيش وعسكر عليها وحاربها، وضربها بحدّ السيف، وقتل كل نفس فيها، كما فعل بلبنة. حينئذ صعد هورام، ملك جازر، لنجدة لاكيش، فضربه يشوع، هو وقومه، حتى لم يبق منهم باقياً..

"واجتاز يشوع وكل اسرائيل معه من لاكيش الى عجلون، وعسكروا عليها وحاربوها. واستولوا عليها في ذلك اليوم، وضربوها بحدّ السيف، وحرّم كل نفَس فيها في ذلك اليوم عينه، كما فعل بلاكيش. وصعد يشوع وكل اسرائيل معه من عجلون الى حبرون وحاربوها. واستولوا عليها وضربوها بحدّ السيف، هي وملكها وجميع مدنها وكل نفس فيها، ولم يبق منهم باقياً، كما فعل بعجلون، وحرّمها، هي وكل نفس فيها. وعاد يشوع وكل اسرائيل معه الى دبير، وحاربها واستولى عليها وعلى

ملكها وسائر مدنها، وضربوهم بحدّ السيف، وحرّموا كل نفس فيها، ولم يُبْقِ باقياً... كما صنع بحبرون، صنع بدبير وملكها، وكما صنع بلبنة وملكها...

وضرب يشوع المنطقة كلها: الجبل والنقب والسهل والسفوح، وجميع ملوكها، ولم يبقِ باقياً، بل حرّم كل نسمة، كما أمر الرب، اله اسرائيل (!؟!)... وضربهم يشوع من قادش برنيع الى غزّة، مع كل أرض جوشن الى جبعون. واستولى يشوع على جميع اولئك الملوك وأراضيهم دفعة واحدة... لأن الربّ، اله اسرائيل، كان يحارب عن اسرائيل... الخ... الخ (هكذا!!!)" (سفر يشوع 10: 28-43).

هذه صفحة صغيرة واحدة من عشرات الصفحات التي يروي فيها اليهود أنفسهم، وبخط أيديهم، المجازر الفظيعة التي ارتكبوها بحق الكنعانيين سكّان الأرض الاصليّين الابرياء المسالمين، وايضاً بحق غيرهم من الشعوب المحيطة كبني عمون والاموريّين والاراميّين والفلسطينيين... إنها عمليات إبادة حقيقية قام بها الغازون المغتصبون اليهود ضد شعوب مسالمة بريئة "وضربوها بحدّ السيف هي وملوكها وجميع سكّانها وكل نفس فيها ولم يبقَ منهم باقٍ.." وأبادوا الجميع مع النساء والشيوخ والعجائز والمرضى والاطفال والرضّع... حتى الحيوانات وكل نسمة حيّة فيها... هذه، في الحقيقة، أكبر محرقة – هولوكوست" – قام بها بشر على وجه الأرض! كل ذلك بأمر من "يهوه" إلههم؟... أما هدفهم الأخير فهو الإقامة في ما أسموه "أرض الميعاد". وهذا ايضاً بسبب وعد من إلههم "يهوه"! فكان اكبر اغتصاب لأرض في التاريخ. ولا يزال هذا الاغتصاب بالذات يسبب حروباً ومجازر ومحرقات – "كمحرقة قانا الشهيرة – الى يومنا هذا... إذا كان هذا هو تاريخ "الشعب المختار"، فكيف يكون تاريخ الشعوب غير المختارة؟!... أما قضية "أرض الميعاد"، الموعود بها الشعب المختار"، فهي أكبر خدعة وقع فيها الانسان العاقل الحديث...

الأرض هي ارض كنعان ولو اغتصبت ألوف المرات. فالحقيقة تبقى حقيقة ولو انكرها الناس طوال آلاف من السنين. وأرض كنعان هذه هي التي كانت تسمّى، قبل عدة قرون من اغتصابها من قبل اليهود، الأرض المقدسة، أرض "إيل"، أرض الله، الأرض الالهيّة، أرض الآلهة، أرض القداسة، أرض القديسين، "أرض الأبدال"، أرض النور، الأرض الأولى (بالنسبة الى الانسان الأول)، الخ...

فقد جاء في التوراة نفسها، وفي سفر يشوع بالذات (5: 13-15)، ما يلي:

"...ولما كان يشوع عند أريحا، رفع عينيه ونظر، فإذا رجل واقف أمامه، وسيفه في يده مسلولاً، فاقبل عليه يشوع وقال له: أَمِنَّا أنتَ ام من أعدائنا؟ فقال: كلاّ، بل أنا رئيس جند الرب، والآن جئت. فسقط يشوع على وجهه على الأرض، وسجد وقال: ماذا يقول سيدي لعبده؟ فقال رئيس جند الرب ليشوع: إخلع نعليك من رجليك، فإن الارض التي انت قائم فيها أرض مقدسة. فصنع يشوع كذلك..."!

أرض كنعان هي الأرض المقدسة الاولى والحقيقية، لأنها، بالدرجة الأولى، "أرض إيل" الإله الكونيّ الواحد، كما يظهر ذلك جلياً في "التوراة الكنعانية"، وبشكل واضح ومركّز ومكرّر، وفي "ملحمة البعل وعناة" الكنعانية في أوغاريت – راس شمرا، وفي العديد من الكتب التي وضعت حول هذه الملحمة الشهيرة... أرض كنعان، أرض إيل، هي في الوقت نفسه أرض "أسرة إيل" أو "عشيرة إيل" (إسرائيل في المفهوم الاول الاصلي، قبل ضلال اليهود الخراف الضالّة من آل اسرائيل...!)

والغريب حقاً ان الربّانيين اليهود القدماء أنفسهم كانوا يعتبرون ان أرض كنعان هي أرض "اسرائيل" الوحيدة والحقيقية. فقد جاء في كتاب "الحياة السريّة ليسوع"، للمؤلف الشهير الدكتور "هربرت سبنسر لويس"، ص 38-39، ما يلي:

“Les rabbins de la religion juive considéraient que la seule et Véritable Terre d’Israël était la région située immédiatement au sud d’Antioche. Cependant, aussi étrange que cela paraisse, c’est précisément là que la première église des Gentils fut fondée et c’est là que nous trouvons les premiers Chrétiens...!!

وما ترجمته الى العربية:

"إن ربّانيّي الديانة اليهودية كانوا يعتبرون أن "أرض اسرائيل" الوحيدة والحقيقية هي تلك المنطقة التي تلي مباشرة إنطاكية لجهة الجنوب. ومع ذلك، ومهما ظهر هذا غريباً، ففي تلك المنطقة بالذات تأسست اول كنيسة (مسيحيّة) لِـ "الأمم"، وفيها نجد المسيحيّين الأُوَل (الذين دُعُوا مسيحيّين لأول مرّة)..."!! "والمنطقة التي تلي مباشرة انطاكية لجهة الجنوب" هي دون أدنى شك، وكما هو ظاهر ومعروف، أرض كنعان، أرض فينيقية – لبنان...! أجل! لبنان هو الارض المقدسة "الوحيدة والحقيقية". ومن له أذنان سامعتان، فليسمع...!

اما ذروة ضلال اليهود، الخراف الضالّة من آل إسرائيل، فيتمثّل في قتلهم يسوع، ابن الانسان، ابن الله وقدوسه، المسيح المنتظر، مخلّص العالم "وسيّد الحياة". يقول القديس بطرس هامة الرسل في عظته الاولى بعد حلول الروح القدس على التلاميذ: "...فليعلم يقيناً آل اسرائيل أجمع ان يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم قد جعله الله ربّاً ومسيحاً..." (أعمال الرسل 2: 36). وفي عظة أخرى الى الشعب اليهودي يقول: "يا بني اسرائيل، لماذا تعجبون من ذلك؟ كأننا جعلناه (المقعد منذ مولده) يمشي بذات قوتنا أو تقوانا؟ إن إله ابراهيم واسحق ويعقوب، إله آبائنا، قد مجّد عبده يسوع الذي اسلمتموه انتم وأنكرتموه أمام بيلاطس، وكان قد عزم على تخلية سبيله، ولكنكم أنكرتم القدّوس البارّ وطالبتم بالعفو عن قاتل، فقتلتم "سيّد الحياة"، فأقامه الله من بين الأموات، ونحن شهود على ذلك..." (أعمال

الرسل 3: 12-15). اما القديس بولس فيقول في نفس الموضوع ونفس الكتاب:
"...أحسن الروح القدس في قوله لآبائكم بلسان النبي أشعيا (6: 9-10):

إذهب الى هذا الشعب فقل له:
تسمعون سمعاً ولا تفهمون
وتنظرون نظراً ولا تبصرون
فقد غلظ قلب هذا الشعب
وأصمّوا آذانهم وأغمضوا عيونهم
لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم
ويفهموا بقلوبهم
ويتوبوا فأشفيهم".

فاعلموا إذاً ان خلاص الله هذا أرسل الى الوثنيين وهم سيستمعون اليه..." (أعمال الرسل 28: 25-28)!...

ويقول القديس بولس في هذا الموضوع "لقد صرتم ايها الإخوة (أهل تسالونيقي) تُحاكون كنائس الله في المسيح يسوع، تلك الكنائس التي باليهودية. فقد أصابكم أنتم ايضاً من أبناء أمتكم ما أصاب أولئك من اليهود. فهم الذين قتلوا الرب يسوع والأنبياء واضطهدونا، وهم الذين لا يرضون الله ويعادون جميع الناس. فيمنعونا أن نهدي الوثنيين الى خلاصهم، فيجاوزون الحدّ بخطاياهم دائماً ابداً، ولكن الغضب نزل عليهم حتى بلغ الغاية...!" (الأولى الى أهل تسالونيقي 2: 14-16). وهل أصدق وأوضح وأقوى من هذا الكلام؟ إنه كلام القديس بولس الرسول نفسه....

(هذا ما تقوله التقاليد والنصوص التاريخية في اليهود "أبناء إبليس...").

مراجع الفصل

أولاً – المراجع العربيّة

-هـ. ا. ديل ميديكو "التوراة الكنعانية"، ترجمة جهاد هوّاش وعبد الهادي عبّاس، دار دمشق، سوريا، ص: 88، 212، 219، 251، 252، 256 (مرتين)، 267، 304

-أنيس فريحة في "القصص العبري القديم"، الطبعة الأولى، نوفل، بيروت، 1992، الفصل الرابع ص: 97-100، 118-120، 132-133 (مع الحواشي).

-"مِدْراش ربَّا" (ربّاي هوشعيا، القرن الثالث للميلاد). نشر النص العبري الدكتور يهوذا تيودور اعتماداً على مخطوطة 27169 في "المتحف البريطاني"، برلين 1912. والترجمة الانكليزيّة بقلم الدكتور هـ. فريدمن ومويس سيمون، لندن، 1951. الترجمة العربية (راجع المرجع السابق: انيس فريحه في القصص العبري القديم)، المجلّد الاول، الفصل 20، فقرة 5، ص: 149، 150-152، 163

-سفر التكوين 4: 1

-انجيل يوحنا 8: 21-59

-انجيل متى 10: 6، 15: 24، 23: 33-38

ثانياً – المراجع الأجنبية

-Dr. H. Spencer Lewis "La vie mystique de Jésus", Les portes de l'Erange, Ecrits ésotériques – Robert Laffont, Paris, 1929, p.p. 38-39.

-M. – E. Boismard et A. Lamouille "L'Evangile de Jean", Les Editions du Cerf, Paris 1977, Tome III, p.p. 237-244.

-Charles Perrot "Les recits de l'enfance de Jésus- Matthieu 1-2, Luc 1-2", Cahiers Evangile, N°18, Editions du Cerf, 1976, p.p. 64-65

-Rabba Battra, 16a.

-Codex Nazaraeus, III, 73.

-La Bible Apocryphe – En marge de l'Ancient Testament," Cerf-Fayard, 1953 – "Le troisième livre de Baruch", (Le Baruch grec), IX, page 321.

-"Le livre d'Enoch", chapitre 68, N°6-7.

-M.R. James "Texts and Studies, contributions to biblical and patristic literature, Cambridge, 1897, p.p.80-85.

-Lacour "Les Oeloïms", Volume 2, page 218.

-J. Ralston Skonner "Source of Measures: The Hebrew Egyptian Mystery", p.p. 277, 293.

-H.P. Blavatsky –"Isis Dévoilée" Vol. III, page 248, Vol. IV, p.p. 157 et suiv.

-"La Doctrine Secrète", Vol. III, p.p. 158-160 avec Notes, 269 et Note N°1, 294, 328, 482, 486-487 avec Notes.

-"La Cosmogonie d'Urantia", Traduit de l'américain, troisième édition, Editions Urantia, Paris, 1972, tome II, p.p. 733-739 avec Notes.

الفصل الثالث

الذريّة الحقيقيّة في العهد الجديد

جاء في الرسالة الى العبرانيّين (7: 1-3) ما يلي:

"فإن ملكيصادق هذا هو ملك شليم وكاهن الله تعالى، خرج لملاقاة إبراهيم عند رجوعه بعدما كسَر الملوك وباركه، وأدّى له إبراهيم العشر من كلّ شيء. وتفسير اسمه أولاً ملك البرّ، ثم ملك شليم، أي ملك السلام. وليس له أب ولا أم ولا نسَب، وليس لأيامه بداءة، ولا لحياته نهاية وهو على مثال ابن الله... ويبقى كاهناً للأبد". (راجع ايضاً: سفر التكوين 14: 17-20).

إن أفضل تعليق على هذا الكلام السرّي الخطير، والذي نادراً جداً ما يُقرأ ويُفسّر (الكلام على العلاقة السريّة بين ملكيصادق والمسيح!...)، هو ما جاء على لسان الكاتب عينه في نفس الرسالة (5: 5-14؛ 6: 1):

"...وكذلك المسيح لم ينتحل المجد فيجعل نفسه حبراً، بل تَلَقَّى هذا المجد من الذي قال له: "أنت ابني وأنا اليوم ولدتك" (مزمور 2: 7). وقال له في مكان آخر: "انت كاهن للأبد على رتبة ملكيصادق (مزمور 110: 4)... ولمّا جعل كاملاً صار لجميع الذين يطيعونه علّة خلاص أبديّ لأن الله دعاه حبراً على رتبة ملكيصادق. ولنا في هذا الموضوع (علاقة المسيح بملكيصادق...) كلام كثير، ولكنه صعب التفسير لأنكم كسالى عن الإصغاء، وكان عليكم ان تستفيدوا من الزمن فتصبحوا معلّمين في حين أنكم محتاجون الى من يعلّمكم أوليّات أقوال الله، محتاجون الى لبن حليب، لا الى طعام قويّ... فكلّ من كان طعامه الحليب لا تكون له خبرة بكلام البرّ لأنه طفل... والطعام القويّ للكاملين... لأولئك الذين ارتاضت بصائرهم بالتدرّب على التمييز بين الخير والشر. فلندع أوليّات التعليم في المسيح ونرتفع الى التعليم الكامل..."!

وتشرح النسخة الجديدة هذه النصوص فتقول: (صفحة 703، الحواشي: 3، 4، 5): "يأخذ كاتب الرسالة بمبدأ تفسير للربّانيّين فيستند هنا الى ما لا تذكره رواية تكوين 14 ليخطّ رسماً يجعل خارج الزمان صورة ملكيصادق الغامضة والنبويّة... ويرى في ملكيصادق صورة سابقة ليسوع المسيح!!... ولا يضع الكتاب المقدس حدّاً زمنياً لكهنوت ملكيصادق. وهذه الصفة تميّزه عن كهنوت عظماء الكهنة اليهود، علماً بأن كهنوت هؤلاء كان ينتهي عند موتهم (سفر العدد 20: 24-28). ونرى هذه الصفة نفسها كاملة في كهنوت المسيح القائم من الموت. ولذلك يشدّد الكاتب عليها كثيراً... وحين يتم إثبات الشبه بين المسيح وملكيصادق بالاستشهاد بالمزمور 110:

4، ("أقسم الرب ولن يندم أن أنت كاهن للأبد على رتبة ملكيصادق") يبلغ الاستدلال خاتمته: إن كهنوت المسيح أفضل من كهنوت اللاويّين، لأنه على رتبة ملكيصادق..."... وملكيصادق، للمرة الألف، هو كاهن "إيل" إله الكنعانيّين. والمسيح على رتبة هذا الكاهن الكنعاني، لا على رتبة كهنوت اليهود. إن كاتب الرسالة الى العبرانيين ينطلق من النص الأول عن ملكيصادق في سفر التكوين 14: 17-20، الذي يقول:

"...وعند رجوع أبرام، بعد أن كسر كدرلاعومر والملوك الذين معه، خرج ملك سدوم لملاقاته الى وادي شوى (وهو وادي الملك. وادٍ ورد ذكره من 2 صموئيل 18: 18- يقول المؤرخ يوسينوس إنه كان على بعد أقل من 400 متر من أورشليم...). وأخرج ملكيصادق، ملك شليم، خبزاً وخمراً، لأنه كان كاهناً لله العلي. وبارك أبرام وقال: على أبرام بركة الله العليّ خالق السماوات والأرض. وتبارك الله العليّ الذي أسلم أعداءك الى يديك. وأعطاه أبرام العشر من كلّ شيء...". وتعلّق النسخة الجديدة على هذا النص شارحة فتقول (صفحة 88 الحاشية رقم 3): "إن ملكيصادق الذي يظهر في الرواية ظهوراً سريعاً وغامضاً كملك أورشليم حيث يختار الله سكناه وككاهن العليّ قبل إنشاء الكهنوت اللاوي، فان المزمور 110: 4 يقدمه لنا كصورة داود المعدّ هو ايضاً صورة المسيح الملك والكاهن. ويشرح لنا الفصل السابع من الرسالة الى العبرانيّين (المارّ ذكره هنا) كيف ان كلّ ذلك يطبّق عل كهنوت المسيح. وقد استغلّ التقليد الآبائي هذا التفسير التمثيلي وأغناه، فرأى في الخبز والخمر (وهي ذبيحة الكنعانيّين!) اللذين قدَّمهما ملكيصادق لأبرام صورة سرّ القربان، لا بل ذبيحة حقيقية وصورة الذبيحة القربانية (عند المسيحيين: بدءاً بالمسيح وعند المسيحيّين حتى اليوم والغد...) ...وقد ذهب بعض الآباء في الكنيسة المسيحية الى القول بأن ابن الله نفسه، يسوع المسيح، قد ظهر في ملكيصادق!!... وفي هذا النص يظهر ملكيصادق بصورة عظيم الكهنة، وكوريث الامتيازات الملكيّة ورئيس الكهنوت الذي يستوفي العشر من ابراهيم...".

إنه لمن الثابت والمحقِّق – وكما يجمع كل المؤرخين اليوم – ان ملكيصادق هذا هو ملك وكاهن كنعاني: كاهن الإله "إيل"، إله الكنعانيين، الإله الكوني التوحيديّ الأول. والإله "إيل" هذا هو نفسه الذي تجسّد في يسوع المسيح "الذي يسمّونه "عمّانوئيل" أي "إيل معنا" او "الله معنا"، كما يقول الانجيل نفسه (متى 1: 23) والوحي والتقليد وملاك الرب... الا يكفي كل هؤلاء – وماذا يلزم أكثر من ذلك؟ – لكي يصدّق المسيحيون "المتهوّدون" أن يسوع المسيح هو "إيل" المتجسد، الذي أخذ جسداً وحلّ فينا وأصبح واحداً منا؟ أجل! للمرة المائة: "ويدعى اسمه عمانوئيل".

إن يسوع المسيح هو "كاهن الى الأبد على رتبة ملكيصادق" (مزمور 110: 4). وملكيصادق نفسه "هو على مثال ابن الله..." (عبرانيين 7: 3). وقد ذهب بعض آباء

الكنيسة الى القول بأن ابن الله نفسه قد ظهر في ملكيصادق... (النسخة الكاثوليكية الجديدة، صفحة 88 الحاشية رقم 3). وقد جاء في كتاب "أسرار أحنوخ" (23) ما يلي:

"...وصادف أن والدة ملكيصادق قد حبلت به بعدما كان زوجها "نير" قد قطع علاقته الجسدية معها منذ فترة طويلة جداً... فخجلت من نفسها واعتزلت عن الناس. وعند ولادة طفلها ملكيصادق رجع زوجها نير من السفر. ففوجئ كثيراً بهذه الولادة وعزم على ترك زوجته... وعندما عرف "نير" أخيراً الأصل العجائبي لابنه ملكيصادق قال للرب: إن كلمتك كوّنت كاهنا كبيراً في احشاء امرأتي...!" (راجع ايضاً: شارل بيرو "نصوص طفولة يسوع" صفحة 66).

وبالعودة الى تسمية المسيح يسوع "عمانوئيل" في الانجيل (متى 1: 21-23)، فان متى يستشهد بما جاء على لسان النبي اشعيا (7: 14) وبتصرّف ظاهر كالعادة عند متى... العبراني جداً وعند نسّاخه المتأخرين... نصّ متى يقول: "...وستلد (إمراتك مريم) ابناً فسمّه يسوع، لأنه هو الذي يخلّص شعبه من خطاياهم. وكان هذا كلّه ليتمّ ما قال الرب على لسان النبي (اشعيا): "ها إن العذراء تحمل فتلد ابناً يسمّونه عمّانوئيل". أما نصّ النبي أشعيا فقد جاء فيه: "...فلذلك يؤتيكم السيّد نفسه آية: ها إن العذراء تحمل فتلد ابناً وتدعو اسمه "عمّانوئيل". في النصّ الأصلي الأول – نص أشعيا – العذراء هي التي تعطي اسماً لابنها: وتدعو (هي) اسمه "عمّانوئيل". اما متى فيتصرف بالنص القديم كالعادة، ويقول في الآية 21: وستلد (امرأتك مريم) ابناً فسمّهِ (أنتَ) يسوع. لقد أعطى متّى الحق ليوسف (الوالد بالتربية) بان يعطي اسماً لابنه، مع أنه في الآية ما بعد التالية، أي الآية 23، ينقل نصّ اشعيا كما هو: "ها إن العذراء تحمل فتلد ابناً يسمّونه "عمّانوئيل"، وهذا القول الأخير جاء ايضاً على لسان ملاك الرب. ومن المعروف ان صيغة المجهول باللغة السامية "يسمّونه" تدل على الله: الله هو الذي يعطي الاسم. وفي مخطوطات قمران نجد ايضاً ان الله هو الذي يعطي الاسم دوماً. إذاً عبارة "يسمّونه" أتت أصلاً على لسان النبي أشعيا، ثم أتت ثانية على لسان ملاك الرب وهي تعني ان الله، الذي يعطي الاسم للمسمّى، يجعل المسمّى مرتبطاً به مباشرة قبل ودون غيره. أمّا متّى فجعل حق التسمية ليوسف، متصرفاً بالنصّ كالعادة... كل ذلك ليربط يسوع بذريّة داود... عن طريق يوسف! ويبرهن انه مسيح اليهود المنتظر! (راجع ايضاً: شارل بيرو "نصوص طفولة يسوع"، صفحة 26، حيث يؤكد أن صيغة المجهول بالساميّة تعني الله:

L’ange rapporte la prophétie “...un fils auquel “on” (sémitisme pour désigner Dieu) donnera le nom d’Emmanuel”).

أما لوقا الذي كان قريباً جداً من اجواء مريم – والذي وحده روى بشارة الملاك جبرائيل للعذراء مريم – فقد أعطى مريم حق تسمية ابنها يسوع. فقد جاء في إنجيله (1: 31): "...فستحملين وتلدين ابناً فسمّيه يسوع...".

إن أمر "التسمية" أمر هام في العهود القديمة حتى عهد المسيح. والاسم له مدلول خاص. وتحديده أو اختياره يرتبط مباشرة بالعلاقة مع الله أو مع الوالدين أو يجسّد حدثاً حياتياً معيّناً. وكان الوالدان يشتركان عادة في اختيار الاسم. أما اختيار اسماء الاشخاص "المكرّسين" او "المنذورين للرب" – "النذيريم" – فكان يتم عن طريق ملاك الرب. وهذه التسمية الخاصة تكرّس "المسمّى" لله وحده، وتربطه به ارتباطاً عميقاً يفوق تماماً كل أشكال القرابة الجسديّة الدمويّة...

والتسمية الأولى والأهم التي أطلقها ملاك الرب على يسوع، كما رأينا، هي "عمّانوئيل"، أي "إيل معنا". إنها التسمية التي اختارها الآب السماوي نفسه، وهي تربط يسوع بـ"إيل" قبل واكثر من ايّ ارتباط آخر على الاطلاق! "ولقد رفعه الله ووهب له الاسم الذي يفوق جميع الاسماء، كيما تجثو لاسم يسوع كل ركبة في السماوات وفي الارض وفي الجحيم، ويشهد كل لسان أن يسوع المسيح هو الرب تمجيداً لله الآب..." (فيليبي 2: 9-11). وبالاضافة الى التسمية الانجيلية الاساسية "عمانوئيل"، فقد اطلق على يسوع ايضاً تسميات اخرى أهمها: "ابن الانسان"، "ابن الله"، "المسيح"، "المخلّص"، "الرب والمعلّم"... وكلّها تشير الى الذريّة الحقيقية في العهد الجديد، والى العلاقة العميقة التي تربط يسوع بالله الآب والتي تفوق كل نوع من انواع العلاقات البشرية والجسدية والدموية... وقد أظهر بولس في رسائله، وبشكل وافٍ وواضح ومفصّل، طبيعة الذريّة الحقيقية في العهد الجديد. ولنبدأ اولاً بأهم التسميات التي وردت في الأناجيل المقدسة.

-<u>ابن الله:</u> جاء في انجيل لوقا (1: 32 و35) خلال بشارة الملاك جبرائيل للعذراء مريم، ما يلي:

"...سيكون عظيماً وابن العليّ يدعى... إن الروح القدس سينزل عليك وقدرة العليّ تظلّلك، لذلك يكون المولود قدّوساً وابن الله يدعى...".

وقد جاء في النسخة الجديدة (صفحة 190 الحاشيتان 59 و60)، تعليقاً على هذا النص الانجيلي، ما يلي:

"قدوس: يدل هذا اللفظ: <u>"قدوس" على الانتماء الى الله وحده!</u>... وهو من أقدم التعابير عن ألوهية يسوع (رسل 3: 14، 4: 27 و30 وراجع لوقا 4: 34) –أو "لذلك يدعى المولود قدوساً، ابن الله. إن لقب "ابن الله" هو، في نظر لوقا كما في نظر العهد القديم، تسمية للمسيح (راجع لوقا 4: 34 و41 وأعمال الرسل 9: 20 و22)، لكن لوقا يجعل منه ايضاً تعبيراً مثالياً عن الصلة الخفيّة التي تربط يسوع بالله. فانه لا يجعل هذا اللقب في انجيله على لسان البشر (كما يفعل متى 14: 33، 16: 16،

27: 40 و43 و54 ومرقس 15: 39)، بل على لسان الآب السماوي (3: 22، 9: 35) واحد الملائكة (هنا) والأرواح الشيطانية (4: 3 و9 و41، 8: 28) ويسوع نفسه (10: 22، 22: 70 وراجع 20: 13). وفي خاتمة بلاغ جبرائيل، يزيد لقب "ابن الله" على لقب "ابن العليّ" الوارد ذكره في الآية 32 ويدلّ على ما في بنوّة يسوع الالهية من عمق وجِدّة (راجع 22: 70+).

هذه التسمية "ابن الله"، جاءت اولاً على لسان الآب السماوي نفسه كما جاء في انجيل لوقا (3: 21-22): "ولما اعتمد الشعب كلّه واعتمد يسوع ايضاً وكان يصلّي، انفتحت السماء، ونزل الروح القدس عليه في صورة جسم كأنه حمامة، وأتى صوت من السماء يقول: أنت ابني الحبيب، عنك رضيت...". وجاء في مخطوطات قديمة: "وأنا ولدتك". وجاء ايضاً في لوقا (9: 34-35)، أثناء حادثة التجلّي، ما يلي: "...وبينما هو (بطرس) يتكلّم، ظهر غمام ظلّلهم، فلما دخلوا في الغمام خاف التلاميذ. وانطلق صوت من الغمام يقول: هذا هو ابني الحبيب فله اسمعوا..." (راجع ايضاً متى 17: 5 ومرقس 9: 7). ووردت ايضاً تسمية "ابن الله" على لسان يسوع نفسه أكثر من مرة. فقد جاء في انجيل لوقا (10: 21-22) ما يلي: "في تلك الساعة تهلّل يسوع بدافع من الروح القدس فقال: أحمدك يا أبتِ، ربّ السماوات والارض، على انك اخفيت هذه الأشياء عن الحكماء والأذكياء وكشفتها للصغار. نعم يا أبتِ، هذا ما كان رضاك. فقد سلّمني ابي كل شيء، فما من احد يعرف من الابن الاّ الآب، ولا من الآب الاّ الابن ومن شاء الابن ان يكشفه له...". وجاء أيضاً في لوقا 022: 70-71): "فقال اليهود: أفأنتَ ابن الله اذاً؟ فقال لهم: أنتم تقولون إني هو، فقالوا: ما حاجتنا بعد ذلك الى الشهادة؟ فقد سمعنا نحن بأنفسنا كلاماً من فمه..." حصل ذلك عندما احتشدت جماعة شيوخ الشعب اليهودي من عظماء كهنة وكتبة واستحضروا يسوع، بعد اعتقاله، لاستجوابه في مجلسهم (راجع ايضاً لوقا 20: 9-16)، وفي انجيل يوحنا نقرأ هذا القول ليسوع (5: 25-26): "الحق الحقّ اقول لكم: تأتي ساعة – وقد حضرت الآن – فيها يسمع الاموات صوت ابن الله، والذين يسمعون يحيون. فكما ان الآب له الحياة في ذاته فكذلك أعطى الابن ان تكون له الحياة في ذاته..." وفي مكان آخر من انجيل يوحنا (11: 4) نقرأ ما يلي: "فلما سمع يسوع ان صديقه لعازر مريض قال: هذا المرض لا يؤول الى الموت، بل الى مجد الله، ليمجّد به ابن الله..." وهناك في انجيل يوحنا، بنوع خاص، اقوال كثيرة يتحدث فيها المسيح عن كونه ابناً لله الآب (راجع على سبيل المثال: يوحنا 1: 14 و49، 2: 16، 3: 16-18، 5: 17 و25، 11: 4 و27، 19: 7، 20: 17 الخ...).

وهكذا، فإن تسمية "ابن الله" وردت في الاناجيل المقدسة، اكثر من مرة، على لسان الله الآب، وعلى لسان ابنه المتجسّد يسوع المسيح نفسَه. غير أنه ولا مرة على الاطلاق سمّى الله الآب ابنه يسوع "ابن داود"...، كما ان المسيح، هو نفسه،

لم يسمِّ ذاته "ابن داود" ولا مرة على الاطلاق. بل الذي سمّاه "ابن داود" هم بعض الاشخاص اليهود من عامة الشعب الذين كانوا – على طريقتهم – ينتظرون مسيحاً يهودياً من ذريّة داود مخلّصاً دنيوياً يحرّرهم وينتصر على اعدائهم...

ووردت تسمية "ابن الله" ايضاً على لسان الشياطين أنفسهم. لأن هؤلاء عرفوا، قبل البشر طبعاً، ان يسوع هو المسيح وانه "ابن الله". فقد ورد في انجيل متى (8: 28-29) ما يلي:

"ولما بلغ يسوع الشاطئ الآخر في ناحية الجدريّين، تلقاه رجلان ممسوسان خرجا من القبور، وكانا شرسَين جداً حتى لا يستطيع أحد أن يمرّ من تلك الطريق. فأخذا يصيحان: ما لنا ولك، يا "ابن الله"؟ أجئت الى هنا لتعذبنا قبل الأوان؟...". وجاء في انجيل مرقس (5: 1-9): "ووصلوا الى الشاطئ الآخر من البحر الى ناحية الجراسيّين. وما أن نزل من السفينة حتى تلقاه رجل فيه روح نجس قد خرج من القبور. وكان يقيم في القبور، ولا يقدر أحد ان يضبطه حتى بسلسلة. فكثيراً ما ربط بالقيود والسلاسل فقطّع السلاسل وكسّر القيود. ولم يكن أحد يقوى على قمعه. وكان طوال الليل والنهار في القبور والجبال، يصيح ويرضّض جسمه بالحجارة. فلما رأى يسوع عن بعد أسرع اليه وسجد له وصاح بأعلى صوته: ما لي ولك، يا يسوع ابن الله العليّ؟" استحلفك بالله لا تعذّبني. لأن يسوع قال له: أخرج من الرجل..." كما جاء ايضاً في انجيل لوقا (8: 26-29): "ثم أرسَوا في ناحية الجرجسيّين، وهي تقابل الشاطئ الجليليّ. ولمّا نزل الى البرّ تلقاه رجل من المدينة به مسّ من الشياطين. ولم يكن يلبس ثوباً من زمن طويل، ولا يأوي الى بيت، بل الى القبور. فلما رأى يسوع، أخذ يصرخ، ثم ارتمى على قدميه وقال بأعلى صوته: ما لي ولك يا يسوع "ابن الله العليّ"؟ أسألك الاّ تعذّبني. لأنه أمر الروح النجس ان يخرج من الرجل. وكثيراً ما استحوذ عليه، فكان يحفظ مكبّلاً بالسلاسل والقيود، فيحطّم الربط ويسوقه الشيطان الى البراري. فسأله يسوع: ما اسمك؟ فقال: "جيش" لأن كثيراً من الشياطين كانوا قد دخلوا فيه. فسالوه الاّ يأمرهم بالذهاب الى الهاوية...".

وهكذا اذاً أطلق الشياطين أنفسهم لقب "ابن الله" على يسوع المسيح أكثر من مرّة. وكانوا على بيّنة من امره. فلم يطلقوا عليه لقب "ابن داود" ولم يشيروا الى علاقته بداود، لا من قريب ولا من بعيد... وكانوا دون أدنى شك، يعرفون تماماً سلالة داود وذريّته...

والتلاميذ أنفسهم اطلقوا على يسوع لقب "ابن الله" اكثر من مرة. فمتى يروي في انجيله (14: 22-33) كيف ان المسيح مشى على ماء بحيرة طبريا وأنقذ بطرسَ المشكّك وسكّن الريح، وبعد ان دخل السفينة "سجد له التلاميذ الذين كانوا في السفينة وقالوا: أنتَ "ابن الله" حقاً!...". وفي متى ايضاً (16: 13-16) نقرأ عن ايمان بطرس وشهادته بلاهوت يسوع ما يلي: "ولما وصل يسوع الى نواحي قيصرية

فيلبّس سأل تلاميذه: من ابن الانسان في قول الناس ؟ فقالوا بعضهم يقول: هو يوحنا المعمدان، وبعضهم الآخر يقول: هو إيليًّا وغيرهم يقول: هو إرميا او أحد الأنبياء. فقال لهم: ومن انا في قولكم أنتم؟ فأجاب سمعان بطرس: انت المسيح "ابن الله" الحيّ...". ويوحنا الانجيلي يقول، في مقدمته الشهيرة (1: 12-14 و18): "...أمّا الذين قبلوه وهم الذين يؤمنون باسمه، فقد مكّنهم ان يصيروا أبناء الله. فهم الذين لا من دم ولا من رغبة لحم ولا من رغبة رجل بل من الله ولدوا. والكلمة صار بشراً فسكن بيننا. فرأينا مجده، مجداً من لدن الآب لابن وحيد ملؤه النعمة والحق... إن الله ما رآه أحد قط. الابن الوحيد الذي في حضن الآب هو الذي أخبر عنه...". ويقول يوحنا في رسالته الأولى (4: 9، 14-15): "ما ظهرت به محبة الله بيننا هو أن الله أرسل ابنه الوحيد الى العالم لنحيا به... ونحن عاينّا ونشهد ان الآب ارسل ابنه مخلّصاً للعالم. من شهد بأن يسوع هو "ابن الله" فالله فيه مقيم وهو مقيم في الله..."! وفي ختام رسالته الاولى هذه، يقول يوحنا (5: 18-21): "نحن نعلم أن كلّ من ولد لله لا يخطأ. لكن المولود لله (أي يسوع المسيح "ابن الله") يحفظه فلا يمسّه الشرير. نحن نعلم أننا من الله، وأمّا العالم فهو كلّه تحت وطأة الشرير! ونعلم أن "ابن الله" أتى، وأنه أعطانا بصيرة لنعرف بها الحق. نحن في الحق إذ نحن في ابنه يسوع المسيح. هذا هو الاله الحق والحياة الابديّة. يا بَنِيَّ، إحذروا الاصنام!".

والمقرّبون من يسوع، وهم من عامة الناس، كانوا يدعونه "ابن الله". فقد جاء في يوحنا (10: 25-27): "...فقال يسوع لمرتا: انا القيامة والحياة، من آمن بي، وان مات، فسيحيا. وكل من يحيا يؤمن بي لن يموت للأبد. أتؤمنين بهذا؟ قالت له: نعم يا رب، إني أؤمن بأنك المسيح "ابن الله" الآتي الى العالم...". فلم تقل له ابداً: أنت "ابن داود".

إن السبب الأساسي الذي جعل اليهود – وخاصة رؤساء الشعب وعظماء الكهنة والكتبة – يسعون الى قتل يسوع، هو لأنه قال إنه ابن الله فساوى نفسه بالله. فقد جاء في يوحنا (5: 18) ما يلي: "...فاشتَدَّ سَعي اليهود لقتله، لأنه لم يقتصر على استباحة حرمة السبت، بل قال ان الله أبوه، فساوى نفسه بالله!...". وتعلّق النسخة الجديدة على هذه الآية بالذات (صفحة 302، الحاشية رقم 9) بالقول: "ما يؤكده يسوع يتضمّن شأن منزلته الالهية، وفي الوقت نفسه شأن بنوته بالمعنى الصحيح...". وقد ظهر ذلك جلياً أثناء محاكمة يسوع أمام بيلاطس. فقد جاء في يوحنا (19: 7): "...أجاب اليهود بيلاطس: لنا شريعة، وبحسب هذه الشريعة يجب عليه ان يموت لأنه جعل نفسه "ابن الله"...". وتعلّق النسخة الجديدة على هذه الآية بالذات (صفحة 353، الحاشية رقم 4) بالقول: "ينتقل الاتّهام الى الصعيد الدينيّ ويدور الآن حول الامر الجوهريّ، أي حول إثبات حالة "ابن الله"، علماً بأن هذا الاثبات يعدّ تجديفاً يستوجب، بحكم الشريعة، عقاب الموت (راجع سفر الاحبار

الفصل 24 الآية 16) التي تقول: "ومن جدّف على اسم الرب، فليقتل قتلاً: ترجمُهُ كلّ الجماعة رجماً، نزيلاً كان او ابن البلد. إذا جدّف على الاسم يقتل".

حتى إن جنود الرومان أنفسهم قالوا عن يسوع المسيح انه "ابن الله"... وذلك بعد أن لفظ يسوع الروح على الصليب. فقد جاء في متى (27: 54): "...وأمّا قائد المائة والرجال الذين كانوا معه يحرسون يسوع، فإنهم لما رأوا الزلزال وما حدث، خافوا خوفاً شديداً وقالوا: كان هذا "ابن الله" حقاً". (راجع ايضاً مرقس 15: 39).

وهكذا، فان الرسل والتلاميذ والمقرّبين من يسوع من عامة الشعب، وجنود الرومان وغيرهم لقبوا يسوع "بإبن الله". حتى إن اليهود أنفسهم، من رؤساء الشعب وعظماء الكهنة والكتبة والفريسيّين والصدّوقييّن نقلوا عن لسانه أكثر من مرة انه يسمّي نفسه "ابن الله" ويجعل هكذا نفسه مساوياً لله. فلا هؤلاء ولا اولئك، ولا واحد منهم جميعاً كان يدعو يسوع "ابن داود"، أو كان يربطه بذريّة داود من بعيد او قريب... فقط بعض الأفراد القلائل من عامّةاليهود أطلقوا عليه تسمية "ابن داود" ظانين انه مسيح اليهود الدنيوي المنتظر، والمفترض- برأي اليهود – ان يكون من ذريّة داود وسلالته الملكية...

في الحقيقة، ان مفاهيم الابوّة والبنوّة وما يتبعها من نسب وسلالة وذريّة الخ... كل هذه المفاهيم لم تبلغ نضجها وحقيقتها الكاملة الاّ في العهد الجديد انطلاقاً من المسيح. أليس هو القائل: "لا تدعو أحداً أباً لكم في الارض، لأن لكم أباً واحداً هو الآب السماويّ..."؟ (متى 23: 9). "أليس ان الله قادر على ان يخرج من هذه الحجارة أبناءً لإبراهيم..."؟ (متى 3: 9). ألم يقل يوحنا في مقدمة إنجيله: "أمّا الذين قبلوه (أي الكلمة المتجسد)، وهم الذين يؤمنون باسمه، فقد مكّنهم ان يصيروا أبناء الله: فهم الذين لا من دم ولا من رغبة لحم ولا من رغبة رجل، بل من الله ولدوا" (يوحنا 1: 12-13)؟ ألم يكتب في رسالته الاولى: "كل مولود لله لا يرتكب الخطيئة، لأن زرعه (زرع الله) باق فيه، ولا يمكنه ان يخطأ لأنه مولود لله. وما يميّز أبناء الله من أبناء إبليس هو ان كلّ من لا يعمل البر ليس من الله، ومثله من لا يحبّ اخاه..."؟ (1 يوحنا 3: 9-10). ويوضح القديس بولس، بشكل قاطع، هذه الجدّة في مفهوم الذريّة الحقيقية في العهد الجديد، فيقول: "وإذا كان أحد في المسيح، فإنه خلق جديد... قد زال كل شيء قديم، وها هوذا كل شيء جديد...؟" (2 قورنتس 5: 17)! وفي رسالته الى أهل قولوسّي يقول: "لقد خلعتم الانسان القديم وخلعتم معه اعماله، ولبستم الانسان الجديد، ذاك الذي يسير الى المعرفة الحقيقية في تجدّده على صورة خالقه. فلم يّبْقَ هناك يوناني او يهودي، ولا ختان أو قلف، ولا أعجميّ أو إسكوتي، ولا عبد أو حرّ، بل المسيح الذي هو كل شيء وفي كل شيء..."! (قولوسّي 3: 9-11) وفي رسالته الى أهل غلاطية يقول: "فما الختان بشيء ولا القلق بشيء، وإنما الشيء ان يكون الانسان خلقاً جديداً. والسلام والرحمة على

الذين يتبعون هذه الطريقة وعلى اسرائيل الله..." (غلاطية 6: 15-16). وتشرح النسخة الكاثوليكية الجديدة، الطبعة الثامنة، 1982، صفحة 741، الحاشية رقم 2، تشرح هذا النص فتقول: "المسيحيّون هم اسرائيل الله وشعبه المختار (غلاطية 3: 29، روما 9: 6-8) وليس اسرائيل الجسديّ" (1 قورنتس 10: 18)!... هل هناك أوضح من كلام بولس هذا حول "الشعب المختار"؟ الشعب المختار هو اسرائيل الله: أي المسيحيّون، وليس اسرائيل الجسدي. هل من كلام أوضح من هذا؟!

"ابن الانسان": وردت عبارة "ابن الانسان"، لأول مرة، في العهد القديم، في سفر النبيّ دانيال (7: 13-14)، حيث نقرأ: "وكنت أنظر في رؤياي ليلاً، فإذا بمِثلِ ابن الانسان آتٍ على غمام السماء، فبلغ الى قديم الايام وقُرِّبَ الى أمامه. وأُوْتِيَ سلطاناً ومجداً وملكاً. فجميع الشعوب والأمم والألسنة يعبدونه، وسلطانه سلطان ابديّ لا يزول، وملكه لا ينقرض...". ونقرأ شرحاً لهذا النصّ في النسخة الجديدة، صفحة 1875، الحاشية رقم 11، حيث تقول: "إن اللفظة الآرامية الاصلية "بار ناشا"، مثل اللفظة العبرية "بن آدم"، ترادف اولاً كلمة "إنسان" (راجع مزمور 8: 5 "ما الانسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفتقده؟"). ويخاطب الله ايضاً النبيّ في سفر حزقيال بهذا الاسم. ولكن لهذه العبارة في هذه الآية (في دانيال) معنىً خاصاً رفيعاً، فهي تدلّ هنا على انسان يفوق الصفة البشرية. ولقد أضفى اليهود القدماء على هذه العبارة معنىً شخصياً (راجع أحنوخ وعزرا الرابع)، كما فعل يسوع مطلقاً هذا اللقب على نفسه (متى 8: 20)...". وهكذا يظهر ان "ابن الانسان" في سفر دانيال يفوق الصفة البشرية ويتّصل بالله اتصالاً وثيقاً جداً، وله من القدرة والسلطان والمُلك والمجد ما يفوق بكثير ميزات "المشيح" الدنيوي الذي كان ينتظره اليهود. "فقد اوتي سلطاناً ومجداً وملكاً، فجميع الشعوب والأمم والألسنة يعبدونه، وسلطانه سلطان أبديّ لا يزول. وملكه لا ينقرض...". وبالاضافة الى كل ذلك، فان دانيال في كلامه على "ابن الانسان"، فهو لا يربطه لا بداود ولا بذريّة داود، لا من قريب ولا من بعيد...

والحقيقة إن عبارة "ابن الانسان" وردت لأول مرة، على ما نعلم، في كتاب احنوخ... هذا الكتاب الخطير الذي أثار جدلاً لم ينته الى اليوم. فهو يعيد رواية أحداث وأخبار عريقة جداً في القدم، ويميط اللثام عن حقائق وأسرار كونية وانسانية بالغة الاهمية.. (لا مجال لذكرها هنا، لأكثر من سبب...). وردت عبارة "ابن الانسان"، في كتاب أحنوخ هذا، أكثر من مرة (راجع على سبيل المثال: الفصل 46: 1، 2، 3 الفصل 48: 2، 3 الفصل 58: 11 الفصل 61: 10 الفصل 62: 15 الفصل 68: 38، 40، 41 الفصل 69: 1، 17، 23 الخ...). لقد ترك كتاب أحنوخ تأثيراً قوياً في القصص العبري القديم، وفي كتب التوراة (راجع التكوين 5: 24، يشوع ابن سيراخ 44: 16، 49: 14)، وفي كتب العهد الجديد (راجع الرسالة الى العبرانيين 11: 5 ورسالة يهوذا 14-16)

وفي مؤلفات كبار آباء الكنيسة الاولين (وخاصة أوريجانوس) وفي الأدب العبريّ والادب المسيحي في العصور الوسطى. وقد أخذ دانيال، على ما يظهر، عبارته الشهيرة: "ابن الانسان" (7: 13-14)، التي نحن بصددها هنا، من المخطوطة القديمة لكتاب أحنوخ. وهذا اللقب بالذات "ابن الانسان" هو الذي أطلقه المسيح على نفسه في أغلب الاحيان، وكان اللقب المفضل عنده.

وردت عبارة "ابن الانسان" 80 مرّة في الاناجيل المقدسة: 30 مرّة في انجيل متى، 14 مرّة في انجيل مرقس، 25 مرّة في انجيل لوقا و11 مرّة في انجيل يوحنا! كما وردت مرات عديدة في سائر كتب العهد الجديد، وخاصة في أعمال الرسل ورؤيا يوحنا والرسالة الى العبرانيّين. ونعرض هنا بعض النصوص على سبيل المثال.

جاء في انجيل متى (8: 19-20): "فدنا منه كاتب وقال له: يا معلّم اتبعك حيث تمضي. فقال له يسوع: إن للثعالب أوجرة، ولطيور السماء اوكاراً، وأمّا "ابن الانسان" فليس له موضع يسند اليه رأسه..." (راجع ايضاً متى 16: 13-16، 24: 30، الخ...). وجاء في انجيل مرقس (10: 45): "إن "ابن الانسان" لم يأتِ ليُخدم، بل ليخدم ويفدي بنفسه جميع الناس..." (راجع ايضاً 8: 38، 10: 45 الخ...). وجاء في انجيل لوقا (19: 10): "إن "ابن الانسان" جاء ليبحث عن الهالك فيخلّصه..." (راجع ايضاً 22: 69 الخ...). وجاء في انجيل يوحنا (1: 51): "الحق الحق أقول لكم: سترون السماء منفتحة، وملائكة الله صاعدين نازلين فوق "ابن الانسان"..." (راجع ايضاً 3: 13، 5: 27، 6: 62، 12: 34 الخ...). كما جاء في أعمال الرسل (7: 55-56): "فحدّق اسطفانوس الى السماء وهو ممتلئ من الروح القدس، فرأى مجد الله ويسوع قائماً عن يمين الله. فقال: ها إني أرى السماوات متفتّحة،وابن الانسان" قائماً عن يمين الله...". وجاء في سفر الرؤيا (1: 12-13): "...فالتفتُّ لأنظر الى الصوت الذي يخاطبني فرأيت في التفاتتي سبع منائر من ذهب تحيط بما يشبه "ابن الانسان"، وقد ارتدى بثوب سابغ وتنطّق بزنّار من ذهب...". (راجع ايضاً فيما يخصّ عبارة "إبن الانسان" الجدول الخاص في آخر هذا الفصل).

يسمّي يسوع نفسه في الاناجيل دوماً "ابن الانسان". انه لقبه المفضل بالنسبة اليه كما هو ظاهر بشكل جلي. واكثر ما استعمل هذا اللقب مع رسله وتلاميذه، وأمام الفريسيين والصدوقيّين ورؤساء الكهنة والكتبة. ولم يسمِّ نفسه ولا مرّة، على الاطلاق، "ابن داود"...! أليس ذلك من الملفت حقاً؟ ألا يعرف المسيح نفسه من هو في الحقيقة؟ وهل هو حقاً بحاجة الى آخر ليكشف له – ولنا بالتالي – عن أجداده وآبائه عن سلالته ونسَبه؟ طبعاً لا، إنه يعرف ذلك تماماً اكثر من غيره، اكثر من الجميع. لماذا لم يرد على لسانه ولا مرة انه "ابن داود" أو من سلالة داود وذريته؟ لماذا؟ كانت عبارة "ابن الانسان" عند أحنوخ ودانيال وتلاميذهم، والتي أطلقها المسيح دوماً على نفسه، تعني صفة تفوق الطبيعة البشرية، وهي ذات

طبيعة الهيّة. كانت تعني صاحب "سلطان ومجد وملك، سلطان أبدي لا يزول وملك لا ينقرض..." وهذا ما ينطبق تماماً على يسوع المسيح الذي قال عن نفسه: "إن مملكتي ليست من هذا العالم..." لا علاقة لمُلك يسوع بسلالة داود الملكية، لأن هذه بشرية دنيوية محدودة وزائلة، وتلك روحية الهية سماوية شاملة كونية وخالدة. وعبارة "ابن الانسان" تحوي ايضاً طابعاً "مشيحيّاً" روحياً سماويّاً الهياً شاملاً، ينطبق تماماً على الدور "المشيحيّ" الخلاصي الشامل الذي قام به المسيح، ولا يمكن تقزيمه وحصره "بمشيحية" يهودية عنصرية حربية تحقق على هذه الأرض انتصاراً عسكرياً وتطرد الاعداء الخ...

لقد أوضح المسيح، هو نفسه، كل هذه الأبعاد الروحية الخالدة الالهية، التي تتضمّنها عبارة "ابن الانسان" كما جاءت في دانيال، وكما طبّقها هو على نفسه. فعندما سأل تلاميذه: "من "ابن الانسان" في قول الناس؟ فقالوا: بعضهم يقول: هو يوحنا المعمدان، وبعضهم يقول: هو إيليا، وغيرهم يقول: هو إرميا أو أحد الأنبياء. فقال لهم: ومن انا في قولكم أنتم؟ فاجاب سمعان بطرس: أنت المسيح ابن الله الحيّ. فأجابه يسوع: طوبى لك يا سمعان بن يونا، فليس اللحم والدمّ كشفا لك هذا، بل أبي الذي في السماوات..." (متى 16: 13-17). وعندما سأله عظيم الاحبار، أثناء المحاكمة: "أستحلفك بالله الحيّ لتقولنّ لنا هل انت المسيح ابن الله؟ فقال له يسوع: هو ما تقول، وانا اقول لكم: سترون بعد اليوم "ابن الانسان" جالساً عن يمين القدير وآتياً على غمام السماء (وقد جاء هذا النص في دانيال 7: 13-14). فشقّ عظيم الاحبار ثيابه وقال: لقد جدّف، فما حاجتنا الى الشهود؟ ها قد سمعتم التجديف. فما رأيكم؟ فأجابوه: يستوجب الموت...". وهكذا فهم الجميع أنه يساوي نفسه بالله.

وفي الواقع، لم تكن عبارة "ابن الانسان" متداولة في زمن المسيح. لقد وردت في كتب أحنوخ ودانيال. وجاء المسيح وأطلقها دوماً على نفسه في الاناجيل المقدسة. وفي مطلق الاحوال، لم يكن لها لا عند أحنوخ ولا عند دانيال ولا عند المسيح أيه علاقة بداود وسلالته وذريّته، لا من قريب ولا من بعيد. "ابن الانسان" – يسوع المسيح – هو ابن العذراء مريم، من حيث الجسد والطبيعة البشرية، ولكنه ليس "ابن داود" بالمفهوم الدنيوي الزائل!... (راجع في كل ما له علاقة بعبارة "ابن الانسان": الجدول الخاص في آخر هذا الفصل).

-"ربّ ومعلّم" كان التلاميذ والاصدقاء يطلقون على يسوع، في بعض الاحيان، لقب ربّ ومعلّم. وورد أحياناً لقب: "رابّوني" وهي لفظة آرامية تعني: يا معلّم. فقد جاء في انجيل يوحنا (3: 1-2): "إن نيقوديمس جاء الى يسوع ليلاً وقال له: رابّي، نحن نعلم أنك جئت من لدن الله معلّماً، فلا أحد يستطيع أن يأتي بما تأتي من

الآيات، الاّ إذا كان الله معه...". وجاء ايضاً في إنجيل يوحنا (13: 13-14): "قال يسوع لتلاميذه: انتم تدعونني معلّماً وربّاً، وأصبتم فيما تقولون، فهكذا أنا. وإذا كنت انا الربّ والمعلّم قد غسلت أقدامكم، فيجب عليكم أنتم ايضاً ان يغسل بعضكم أقدام بعض...". وعند إحياء لعازر (يوحنا 11: 1-45) وردت عبارة "يا رب" "يا معلم" خمس مرّات متتالية على لسان مرتا ومريم. وملاك الرب ايضاً يسمي يسوع المسيح: "الربّ" (لوقا 2: 11). ويسوع نفسه يسمّي ذاته، في بعض الأحيان: "الربّ والمعلّم". فقد جاء في انجيل متى (23: 8): "وقال يسوع لتلاميذه: أمّا أنتم فلا تدعوا أحداً يدعوكم "رابّي"، لأن لكم معلّماً واحداً وهو المسيح وأنتم جميعاً إخوة...". وجاء ايضاً في متى (26: 17-19): "وفي أول يوم من الفطير، دنا التلاميذ الى يسوع وقالوا له: أين تريد أن نعدّ لك لتأكل الفصح؟ فقال إذهبوا الى المدينة الى فلان وقولوا له: يقول "المعلّم": إن أجلي قريب، وعندك أقيم الفصح مع تلاميذي. ففعل التلاميذ كما أمرهم يسوع وأعدّوا الفصح". وقد وردت ايضاً هذه الألقاب للمسيح: "ربّ رابّوني ومعلّم"، في سائر كتب العهد الجديد، وخاصة في اعمال الرسل، ورسائل القديس بولس وكتاب الرؤيا. وفي كل هذه النصوص وهذه الألقاب، لا اشارة الى علاقة مباشرة او غير مباشرة مع داود أو سلالته أو ذريّته، لا من قريب ولا من بعيد... (وفيما يخصّ جميع التسميات والألقاب التي اطلقت على يسوع المسيح في كل كتب العهد الجديد، راجع الجداول الخاصّة، في الفقرة التالية).

جدول بألقاب يسوع في كتب العهد الجديد

أما تسمية يسوع المسيح في كتب العهد الجديد، فقد جاءت بشكل عام، بين اسم ولقب وكناية، على النحو التالي:

-يسوع ابن الانسان: إنسان حقيقي: مولود من امرأة: يوحنا 1: 14 غلاطية 4: 4 متى 1: 1-16 و25 لوقا 2: 6-7، 3: 23-38 رؤيا 5: 5 بجميع الحدود البشرية متى 4: 2، 11: 19، لوقا 9: 25، يوحنا 4: 8 و31، لوقا 2: 40 و52، مرقس 4: 38، يوحنا 4: 6، مرقس 5: 9، 6: 38، 8: 5، 13: 32 يوحنا 6: 5-6، متى 9: 36، 20: 34 مرقس 1: 41، 8: 2 يوحنا 11: 33 و38، مرقس 1: 43، 10: 21 لوقا 22: 15، 19: 41 يوحنا 11: 35، عبرانيين 5: 7-8 مرقس 3: 5، 8: 12 متى 17: 17، 26: 37-42، يوحنا 12: 27 متى 27: 46 ما عدا الخطيئة: عبرانيين 4: 15.

-يسوع ابن الله: متى 4: 3، 8: 29، 14: 33، 27: 54 لوقا 1: 35 ويوحنا 19: 7 متى 3: 17، 16: 16، 17: 5، 26: 63-64 يوحنا 20: 31، 1: 49، 5: 25، 11: 4 و27، 1 يوحنا 4: 15 الابن الواحد: يوحنا 1: 14، 17: 11 و21، 5: 18-19 ابن الآب السماوي: متى 7: 21، 10: 33، 11: 27، 18: 35، 26: 39-42 يوحنا 2: 16، 5: 17، 20: 17 في الآب: يوحنا 14: 9-11 و20 أزلي: يوحنا 8: 58 كولوسي 1: 15 رؤيا 3: 14.

-يسوع إله: يوحنا 1: 1 و18 رومة 9: 5، 1 يوحنا: 5: 20 رؤيا 19: 13 طيطوس 2: 13 فيليمون 2: 6 كولوسي 1: 15، و19، 2: 9 عبرانيين 1: 3 يوحنا 5: 18، 8: 24 و28 و58، 13: 19.

-يسوع حَبْر: عبرانيين 2: 14-18، 4: 14-15، 5: 1-10، 7: 1-28، 8: 1-31، 9: 1، 10: 8.

-يسوع حياة: يقضي على الموت: متى 9: 23-25، 11: 5 لوقا 7: 11-15 يوحنا 11: 1-44، 1 قورنتس 15-26 2 طيموتاوس 1: 10 عبرانيين 2: 14 - 15 رؤيا 1: 18، 20: 14، 21: 4، 2: 11 يهب الحياة وحده: يوحنا 3: 15 و16 و36، 5: 21 و24 و40، 6: 33 و35 و40 و47-48 و54، 8: 51، 10: 20 و28، 17: 2-3، 20، 31 أعمال الرسل: 3: 15 رومة 6: 4-5 و8-12، 8: 2، 1 قورنتس 15: 20-22، 2 طيموتاوس 1: 1، 1 يوحنا 3: 14، 5: 12 فيه الحياة: يوحنا 1: 4، 5: 26، 1 يوحنا 5: 11 هو الحياة: يوحنا 8: 12،

هو القيامة : يوحنا 6: 39-40 و44 و54، 11: 25، 1 قورنتس 15: 22 فيليمون 3: 10. 20 :5، 2 :1 يوحنا 1، 4 :3 كولوسي 6 :14، 25 :11

-**يسوع ربّ:** لوقا 2: 11 يوحنا 13: 13-14 اعمال الرسل 2: 36 رومة 10: 9، 14: 9 فيليمون 2: 10-11، 1 طيموتاوس 6: 14، 2 بطرس 2: 1، يهوذا 4 رؤيا 17: 14، 19: 16.

-**يسوع عبد مُطيع:** للآب: متى 4: 4، 26: 39 و42 يوحنا 4: 34، 5: 30 و36، 6: 38، 17: 4، 18: 11، 19: 30 فيليمون 2: 8 عبرانيين 5: 7-8، 10: 9 للناس: متى 20: 28 لوقا 22: 27 يوحنا 13: 4-17 رومه 15: 8.

-**يسوع الفادي:** فداؤه منتظَر: لوقا 2: 38، 24: 21 مهّد له يوحنا المعمدان: لوقا 1: 68 أجرى المسيح الفداء : متى 20: 28 رومة 8: 32، 1 قورنتس 1: 30، 2 قورنتس 5: 14 أفسس 5: 2 و25 كولوسي 1: 13-14، 1 طيموتاوس 2: 5-6، 1 بطرس 1: 18-19، 2 بطرس 2: 1، 1 يوحنا 3: 16 لجميع الناس : متى 20: 28، 1 طيموتاوس 2: 6-2 قورنتس 5: 14-19، 1 يوحنا 2: 2 بدمه متى 20: 28، 26: 28 يوحنا 10: 11 و15 و17-18، 17: 19 اعمال الرسل 20: 28 رومة 3: 24-25، 1 قورنتس 6: 20، 7: 23 أفسس 1: 7 عبرانيين 9: 11-14، 10: 10 و12، 1 بطرس 1: 2 رؤيا 1، 5: 9 من الخطيئة: متى 26: 28 يوحنا 1: 29 رؤيا 1: 5 رومة 4: 25، 5: 8-9، 1 قورنتس 15: 3 طيطس 2: 14 عبرانيين 9: 15 و26 من العالم: غلاطية 1: 4، 6: 14، 1 بطرس 1: 18-19 رؤيا 14: 3-4 من الشريعة: أفسس 2: 14 من الشيطان : يوحنا 12: 31 كولوسي 2: 15، 1 يوحنا 3: 8 رؤيا 12: 10-12 ينتهي في السماء: رومة 8: 23-24 غلاطية 5: 5 أفسس 1: 14، 4: 30.

-**يسوع المخلّص:** متى 1: 21 لوقا 2: 11 يوحنا 3: 17، 4: 42، 10: 9، 12: 47 أعمال الرسل 4: 12، 5: 31، 13: 23 رومه 5: 9 أفسس 5: 23 فيليمون 3: 20، 1 طيموتاوس 1: 15، 2 طيموتاوس 1: 10 طيطس 1: 4، 2: 13، 3: 6 عبرانيين 2: 10، 5: 9، 7: 25، 2 بطرس 1: 11، 2: 20، 3: 2 و18، 1 يوحنا 4: 14 رومة 10: 12-13.

-**يسوع هو المسيح:** لوقا 2: 11 و26 متى 11: 2-6 مرقس 14: 61-62 لوقا 24: 26 مرقس 1: 34 لوقا 4: 41 يوحنا 4: 25-26، 10: 24-25 متى 16: 16 و20 لوقا 9: 20 يوحنا 1: 41، 11: 27 اعمال الرسل 2: 36، 4: 27، 10: 38، 17: 2-3، 18: 5 و28 يوحنا 20: 31.

-**يسوع ملك:** مشيحي (موعود به في العهد القديم): متى 21: 1-11، 27: 11 و37 يوحنا 1: 49، 12: 13، 18: 39، 19: 3 و14 و15 و19 و21. غير دنيوي: يوحنا 6: 15، 18: 36-37 ابدي: متى 20: 21، 19: 28، 25: 34، لوقا 23: 42، 1 قورنتس 15: 25 أفسس 5: 5 كولوسي 1: 13 رؤيا 1: 5، 11: 15، 12: 10، 17: 14، 19: 16، 20: 4.

-**يسوع وسيط:** 1 طيموتاوس 2: 5 عبرانيين 8: 6، 9: 15، 12: 24 يوحنا 10: 9، 14: 6، 2 قورنتس 1: 20 كولوسي 3: 17 عبرانيين 7: 25، 13: 15، 1 بطرس 1: 21، 2: 5، 4: 11 يهوذا 25 رومة 1: 8، 7: 25، 16: 27.

"الذريّة الحقيقية" في رسائل
القديس بولس

يتحدّث القديس بولس بالتفصيل في رسائله الكبرى عن الذريّة في العهدين القديم والحديث، عن العلاقة بينهما وعن صفات وخصائص وميزات كلّ منهما.
وخلاصة القول عنده أن الذريّة "الحقيقية" والاسمى هي الذريّة الروحيّة المبنيّة على الايمان ووعد الله واختياره.

ينطلق بولس أولاً من الايمان الذي يعتبره الركيزة الاساسيّة للنسل والميراث وبالتالي "للذريّة الحقيقية". فيقول في رسالته الى أهل رومة (4: 13-18): "فالوعد الذي وعده ابراهيم أو نسله بأن يرث العالم لا يعود الى الشريعة، بل الى برّ الايمان. فلو كان الورثة أهل الشريعة لأبطل الايمان ونقض الوعد، لأن الشريعة تجلب الغضب، وحيث لا تكون شريعة لا تكون معصية. ولذلك فالميراث يحصل بالايمان ليكون على سبيل النعمة ويبقى الوعد جارياً على نسل إبراهيم كلّه، لا على من ينتمون الى الشريعة فحسب، بل على من ينتمون الى إيمان إبراهيم ايضاً. وهو أب لنا جميعاً، فقد ورد في الكتاب: "إني جعلتك أباً لعدد كبير من الأمم" (تكوين 17: 5). هو أب لنا عند الذي به آمن، عند الله الذي يحيي الأموات ويدعو الى الوجود غير الموجود. آمن إبراهيم على غير رجاء فأصبح أباً لعدد كبير من الأمم على ما قيل: "هكذا يكون نسلك"... (تكوين 15: 5).

ويتابع بولس حديثه عن "الذريّة الحقيقية" فيعطي في ذلك، وبشكل جريء وواضح، الافضلية للقلب والباطن والروح على الجسد والظاهر و"حرف الشريعة".
فيقول: "لا شك أن في الختان فائدة، إن عملتَ بالشريعة، ولكن إذا خالفت الشريعة صار ختانك قلفاً! وإن كان الأقلف يراعي أحكام الشريعة، أفما يعد قلفه ختاناً؟ فأقلف الجسد الذي يعمل بالشريعة سيدينك أنت الذي يخالف الشريعة ومعه حروف الشريعة والختان. فليس اليهوديّ بما يبدو في الظاهر، ولا الختان بما يبدو في ظاهر الجسد، بل اليهودي هو بما في الباطن، والختان ختان القلب العائد الى الروح، لا الى حرف الشريعة..." (رومة 2: 25-29).

ويصل بولس في برهانه على جوهر "الذريّة الحقيقية" الى الحدّ الأقصى فيقول: "ليس جميع الذين هم من اسرائيل باسرائيل، ولا هم أبناء إبراهيم وإن كانوا من نسله، بل "بإسحق يكون لك نسل يدعى باسمك..." (تكوين 21: 12). وهذا يعني أن أبناء الجسد ليسوا ابناء الله، بل أبناء الوعد هم الذين يحسبون نسله !!
فهذا ما جاء في كلام الوعد (تكوين 18: 10 و14): سأعود في مثل هذا الوقت، ويكون لسارة ابن..." (رومة 9: 6-9).

وتعلّق النسخة الكاثوليكية الجديدة على هذا النص الخطير لبولس (صفحة 487 الحاشيتان 8 و9) على الشكل التالي: بخصوص الآية 6 التي تقول: "ليس جميع الذين هم من اسرائيل بإسرائيل"، تعلق النسخة قائلة: "من اسرائيل" تعني: من يعقوب؛ أمّا بخصوص عبارة "باسرائيل" فتقول النسخة: "أي الشعب الحقيقيّ الذي نال الوعد، "اسرائيل الله" (غلاطية 6: 16)، الذي هو اسرائيل بحسب الروح، والمختلف عن اسرائيل بحسب الجسد. (1 قورنتس 10: 18)". والمقصود بكل هذه الأوصاف الأخيرة "الشعب المسيحيّ" وارث مواعد العهد القديم، كما تقول النسخة نفسها في الصفحة 526 في الحاشية 18. أمّا بخصوص الآية 7 التي تقول: "ولا هم أبناء ابراهيم وإن كانوا من نسله..."، تعلق النسخة فتقول: "يقصد بولس التنويه بأن نسل ابراهيم الأصيل يقتصر بين أبنائه على الذين اقتفوا آثاره وآمنوا مثله بالكلمة فأصبحوا شعب الوعد وأبناء الله (الآية 8)". وهكذا تحيلنا النسخة الى الآية 8، من نفس النصّ، التي تقول: "...وهذا يعني أن أبناء الجسد ليسوا أبناء الله، بل أبناء الوعد هم الذين يحسبون نسله..."!

ويركّز بولس، بعد ذلك، على جوهر النسل ووحدانيته في المسيح، فيقول: "فمواعد الله قد وجّهت الى ابراهيم والى نسله، ولم يقل: والى أنساله كما لو كان الكلام على كثيرين، بل هناك نسل واحد: والى نسلك، أي المسيح... فإذا كان الميراث يحصل عليه بالشريعة فإنه لا يحصل عليه بالوعد. أما إبراهيم فبموجب وعد أنعم الله عليه... فانكم جميعاً، وقد اعتمدتم في المسيح، قد لبستم المسيح: فليس هناك يهوديّ ولا يونانيّ، وليس هناك عبد أو حرّ، وليس هناك ذكر أو أنثى، لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع. فإذا كنتم للمسيح فأنتم اذاً نسل ابراهيم وأنتم الورثة وفقاً للوعد..." (غلاطية 3: 16-18، 27-29). وهذا القول لبولس يذكّرنا بقول مماثل جاء في رسالته الى أهل قولوسّي (3: 9-11): "لقد خلعتم الانسان القديم وخلعتم معه اعماله، ولبستم الانسان الجديد، ذاك الذي يجدّد على صورة خالقه ليصل الى المعرفة. فلم يبقَ هناك يونانيّ أو يهوديّ، ولا ختان أو قلف، ولا أعجمي او إسكوتي، ولا عبد أو حرّ، بل المسيح الذي هو كلّ شيء وفي كلّ شيء...". هل أصدق وأوضح وأروع من هذا الكلام؟

ويقارن بولس، في تحليله جوهر "الذريّة الحقيقية"، بين الولادة بحكم الجسد والولادة بفضل الموعد، فيقول: "فقد ورد في الكتاب أن إبراهيم رزق ابنين، أحدهما من الأمة، والآخر من الحرّة: أمّا الذي من الأمة فقد ولد بحكم الجسد، وأمّا الذي من الحرّة فقد ولد بفضل الموعد. وفي ذلك رمز... فلسنا نحن اذاً، ايها الاخوة، أولاد الأمة، بل أولاد الحرّة. إن المسيح قد حرّرنا تحريراً..." (غلاطية 4: 22-24، 31، 5: 1).

وتعلّق النسخة الجديدة (طبعة 1982، صفحة 736، الحاشية رقم 1) على هذا النص فتقول: "لا يكفي ان يكون الانسان من ذريّة إبراهيم لينال ما وعد الله به (متى

3: 9)، فقد ولد اسماعيل لابراهيم ومع ذلك لم يرثه، في حين أن اسحق هو الذي صار وارثاً لأنه ولد لإبراهيم بحكم وعد الله (الآية 23 من الفصل الرابع)، فهو من ذريّة ابراهيم بالروح أكثر منه بالجسد (الآية 29)، وهو رمز المسيحيّين (الآية 28 وروما 9: 6)، وهم ذريّة ابراهيم الروحانية..."! اما النسخة الجديدة (طبعة 1989، صفحة 580، الحاشية رقم 16)، فتعلّق، من جهتها، على نفس النصّ، فتقول: "إن كان الانسان ابن ابراهيم بحسب الجسد، على مثال ابن هاجر (الأمة)، بقي في العبوديّة التي يتّصف بها العهد القديم. وان كان ابن ابراهيم بحسب الروح، على مثال اسحق، تحرّر وتمكّن من الدخول الى الملكوت الذي هو الميراث الموعود به...".

ويبلغ بولس الذروة في توضيح واعلان جوهر "الذريّة الحقيقية" في العهد الجديد التي تتجلّى في "الخلق الجديد". فيقول في خاتمة رسالته الى أهل غلاطية (6: 12-16): "إن أولئك الذي يريدون تبييض وجوههم في الأمور البشرية هم الذين يلزمونكم الختان (يقصد بولس دون أدنى شك المسيحيّين المتهوّدين في أيامه والموجودين في غلاطية...)، وما ذاك الاّ ليأمنوا الاضطهاد في سبيل صليب المسيح، فإن المختتنين أنفسهم لا يحفظون الشريعة، ولكنهم يريدون أن تختتنوا ليفاخروا بجسدكم... أمّا أنا فمعاذ الله أن أفتخر الاّ بصليب ربنا يسوع المسيح! وفيه أصبح العالم مصلوباً عندي، وأصبحت أنا مصلوباً عند العالم. فما الختان بشيء ولا القلف بشيء، بل الشيء هو الخلق الجديد. والسلام والرحمة على الذين يسيرون على هذه الطريقة وعلى اسرائيل الله..."!

تعلّق النسخة الجديدة (طبعة 1982، صفحة 741، الحاشية رقم 2) تعلّق على عبارة "اسرائيل الله" – في نهاية النص – فتقول: " المسيحيّون هم اسرائيل الله وشعبه المختار (غلاطية 3: 9، رومة 9: 6-8)، وليس اسرائيل الجسدي (1 قورنتس 10: 18)!!! الا يكفي هذا الكلام؟

اما النسخة الجديدة (طبعة 1989، صفحة 584، الحاشيتان رقم 12 ورقم 13)، فتعلّق على عبارتي "الخلق الجديد" و"اسرائيل الله"، في النص نفسه، فتقول: "المسيح بصليبه يدخل البشر في "خلق جديد"... يميّز بولس بين هذا الخلق الجديد والعالم القديم، فيبيّن مرة أخيرة لأهل غلاطية ما يفصله فصلاً جذريّاً عن خصومه. هؤلاء هم من العالم القديم، فإنهم بمناداتهم بالختان، يحاولون أن يأمنوا الاضطهاد (الآية 12 وراجع 5: 11)، وأن يفتخروا بنجاح دعايتهم الدينيّة (الآية 13). أمانهم وفخرهم هما أمان وفخر عالم "جسدي" منغلق على نفسه ومنفصل عن خالقه (راجع 4: 3 و8-9)! أما بولس فإنه لا يستمد فرحه واطمئنانه الاّ من صليب المسيح، لأنه وحده يحرّره تحريراً تاماً، ويمكّنه من التخلّص ممّا في العالم من إغراء مستعبد، علماً بأن هذا العالم أصبح ميتاً في نظره، ويمكّنه أيضاً من التخلّص من الاهتمام بأمان كيانه الجسدي، علماً بأن هذا الكيان قد صلب مع المسيح (الآية 14

وراجع 2: 19 و5: 24) المقصود في نظر الرسول هو الاكتفاء بنيل نعمة المسيح والدخول في "الخلق الجديد"، لكي يحيا فيه لله، متحّداً بابنه القائم من الموت (الآية 15 وراجع 2: 19-21 و5: 6 وفلبّي 3: 3-11)... وان "اسرائيل الله" هو، في نظر بولس، مجموع المؤمنين بيسوع المسيح الذين يؤلفون شعب الله الحقيقي... (راجع رومة 9-11)"! هذا هو "شعب الله المختار" الحقيقي!

أمّا فيما يخص العلاقة بين "الخلق الجديد" والمسيح، فقد جاء في رسالة القديس بولس الثانية الى أهل قورنتس (5: 16-17) ما يلي:

"فنحن لا نعرف أحداً بعد اليوم معرفة بشريّة. فإذا كنا قد عرفنا المسيح يوماً معرفة بشريّة، فلسنا نعرفه الآن هذه المعرفة. فإذا كان أحد في المسيح، فإنه خلق جديد. قد زالت الاشياء القديمة وها قد جاءت أشياء جديدة...". أجل! إن الذين هم في المسيح يسوع هم "الخلق الجديد". أما "القديم" فقد زال تماماً...

هناك اذاً "إسرائيل الله" و"إسرائيل البشر"... هناك اسرائيل الاختيار والوعد والايمان والروح والداخل، وهناك ايضاً اسرائيل الجسد والختان والدم والظاهر. الأول يتجددد ويبقى ويدوم، والثاني يعتق ويهرم ويزول. الاول هو الحقيقي، لأن حقيقته نابعة من وعد الله، والثاني ظاهري ومنحرف، لأن حقيقته نابعة من الذات والجسد والمحسوس... الاول هو "اسرائيل الله" – الذي منه يأتي المسيح، والثاني هو مجموع "الخراف الضالّة من آل اسرائيل" (أي اليهود). حتى إن عبارة "اسرائيل البشري" نفسها قد وردت حرفياً على لسان القديس بولس. فهو يقول في رسالته الاولى الى أهل قورنتس (10: 16-18): "أليست كأس البركة التي نباركها مشاركة في دم المسيح؟ أليس الخبز الذي نكسره مشاركة في جسد المسيح. فلما كان هناك خبز واحد، فنحن على كثرتنا جسد واحد، لأننا نشترك كلنا في هذا الخبز الواحد. أنظروا الى "اسرائيل البشري"... أليس الذين يأكلون الذبائح هم شركاء المذبح؟...". والنسخة الكاثوليكية الجديدة نفسها، تعلّق هي ايضاً على عبارة "اسرائيل الجسدي" فتقول: "اسرائيل البشري: خلافاً لاسرائيل الله "! (غلاطية 6: 16)، أي المسيحيّين ورثة مواعد العهد القديم..." (صفحة 526، الحاشية رقم 18). اما نسخة الطبعة الثامنة الكاثوليكية – سنة 1982 – فاستخدمت عبارة: "اسرائيل من حيث إنه بشر" بدل عبارة "اسرائيل الجسدي" الجديدة، وعلّقت على عبارة "اسرائيل من حيث إنه بشر" قائلة (صفحة 667، الحاشية رقم 1): "كان الشعب الاسرائيلي يُعدُّ شعب الله لأنه من ذريّة ابراهيم (أب المؤمنين)... (؟!). اما شعب الله الحقيقي بعد مجيء السيد المسيح فهو الشعب المسيحي من كلّ امّة. هو "إسرائيل الله" (غلاطية 6: 16)...".

أمّا في ما يخصّ المقارنة بين العهدين القديم والجديد، بين الزائل والدائم، فان الرسالة الى العبرانيين تقول (8: 6-13): "فان المسيح قد نال اليوم خدمة أفضل

بمقدار ما هو وسيط لعهد أفضل من الذي قبله لأنه مبنيّ على مواعد افضل. فلو كان العهد الأول لا غبار عليه، لما كان هناك داع الى عهد آخر. فإن الله يلومهم بقوله: ها إنها ايام تأتي يقول الرب، أقطع فيها لبيت اسرائيل ولبيت يهوذا عهداً جديداً لا كالعهد الذي جعلته لآبائهم، يوم اخذت بأيديهم لأخرجهم من ارض مصر، لأنهم لم يثبتوا على عهدي. فأهملتهم أنا أيضاً، يقول الربّ. وهذا هو العهد الذي أعاهد عليه بيت اسرائيل بعد تلك الأيام، يقول الرب: إني اجعل شريعتي في ضمائرهم وأكتبها في قلوبهم، فأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً. فلا أحد يعلّم بعد ذلك ابن وطنه، ولا أحد يعلّم أخاه فيقول له: اعرِفِ الربّ، لأنهم سيعرفونني كلّهم، من صغيرهم الى كبيرهم، فأصفح عن آثامهم ولن أذكر خطاياهم بعد ذلك. فإنه، إذ يقول "عهداً جديداً"، فقد جعل العهد الأول قديماً، وكل شيء قدم وشاخ يصبح قريباً من الفناء...". ويستشهد كاتب الرسالة بنصّ نبويّ شهير لارميا (31: 31-34)، ويقارن بين العهدين القديم والجديد، ويوضح كيف ان "العهد الجديد" يجعل العهد الأول قديماً. وكل شيء قدم وشاخ يصبح قريباً من الفناء... والذي يميّز تماماً هذا العهد الجديد عن سابقه القديم هو أن شريعته تكتب في الضمائر والقلوب. ليس العهد الجديد نظاماً حقوقياً خارجياً كما كان القديم، بل هو يقيم في داخل النفوس، ويطال كيان الانسان في داخله... "فاذا كان أحد في المسيح، فإنه خلق جديد... قد زالت الاشياء القديمة وها قد جاءت اشياء جديدة..." (2 قورنتس 5: 17).

وبدءاً بالعهد الجديد، زالت "الاشياء القديمة"، وجاءت الاشياء الجديدة". وزالت مع "الاشياء القديمة" المفاهيم القديمة للنسَب والسلالة والذريّة والقرابة الجسدية الدموية. ومع "الاشياء الجديدة"، جاءت مفاهيم جديدة – حقيقية متكاملة – للنسب والسلالة والذريّة والقرابة... المفاهيم القديمة كانت مبنيّة فقط على العرق والدم والجسد والظاهر... أما المفاهيم الجديدة فهي مبنية ايضاً، وبنوع خاصّ، على عهد الله ووعده، على الايمان والروح والعمل بمشيئة الآب الذي في السماوات... فقد جاء في إنجيل متى (12: 46-50) ما يلي:

"وبينما يسوع يكلّم الجموع، إذا أمّه وإخوته قد وقفوا في خارج الدار يريدون ان يكلّموه، فقال له بعضهم: إن أمك وإخوتك واقفون في خارج الدار يريدون ان يكلّموك. فأجاب الذي قال له ذلك: هؤلاء هم أمّي وإخوتي. لأن من يعمل بمشيئة أبي الذي في السماوات هو أخي وأختي وأمّي (راجع ايضاً مرقس 3: 13-35، ولوقا 8: 19-21)! وهل أبلغ من هذا الكلام، كلام السيّد المسيح نفسه، في طبيعة وجوهر "الذريّة الحقيقية"؟

إن النصّ الكتابي الأكثر سريّة وعمقاً وغموضاً، في العهد الجديد، والذي يدور حول الأبعاد السريّة للذريّة البشرية وعلاقتها بالتاريخ وملكيصادق والمسيح... فقد

جاء في الرسالة الى العبرانيّن (7: 1-10، مع الحواشي والشروحات، ص 703-704، النسخة الجديدة). جاء في النص ما يلي:

"والرجاء هو لنا مثل مرساة للنفس امينة متينة تخترق الحجاب الى حيث دخل يسوع من أجلنا سابقاً لنا وصار عظيم كهنة للأبد على رتبة ملكيصادق. فإن ملكيصادق هذا هو ملك شليم وكاهن الله تعالى، خرج لملاقاة ابراهيم عند رجوعه، بعدما كسر الملوك، وباركه، وله أدّى إبراهيم العشر من كل شيء. وتفسير اسمه أولاً ملك البرّ، ثم ملك شليم، أي ملك السلام. وليس له أب ولا أم ولا نسَب، وليس لأيامه بداية ولا لحياته نهاية، وهو على مثال ابن الله... ويبقى كاهناً أبد الدهور. فانظروا ما أعظم هذا الذي أدّى له ابراهيم عشر خيار الغنائم، مع أنه رئيس الآباء. إن الذين يقبلون الكهنوت من بني لاوي تأمرهم الشريعة بان يأخذوا العشر من الشعب، أي من إخوتهم، مع أنهم خرجوا هم ايضاً من صُلب إبراهيم. أمّا الذي ليس له نسَب بينهم، فقد أخذ العشر من إبراهيم وبارك ذاك الذي كانت له المواعد. وممّا لا خلاف فيه أن الأصغر شأناً يتلقى البركة من الأكبر شأناً. ثم إن الذين يأخذون العشر ههنا بشر مائتون، وأمّا هناك فإنه الذي يشهد له بأنه حيّ. فيجوز القول إن لاوي نفسه، وهو الذي يأخذ العشر، قد أدى العشر في شخص إبراهيم، لأنه كان في صلب ابيه يوم خرج ملكيصادق لملاقاته...".!

تعلّق النسخة الجديدة، في الحواشي والشروحات، على هذا النصّ الهامّ، على الشكل التالي:

"الحاشية رقم 2: ملكيصادق يبارك إبراهيم: يستند الكاتب الى رواية سفر التكوين (14: 17-20). وهو يحفظ للفقرة الثانية من عرضه (7: 11-28 أي بقية الفصل السابع) تفسير مزمور 110: 4 "الكاهن على رتبة ملكيصادق". "الحاشية رقم 3: ملكيصادق ليس له أب ولا أم ولا نسَب وليس لأيامه بداية ولا لحياته نهاية، وهو على مثال بن الله..: يأخذ الكاتب بمبدأ تفسير للربّانيين فيستند هنا الى ما لا تذكره رواية تكوين 14 ليخطّ رسماً يجعل خارج الزمان صورة ملكيصادق الغامضة والنبويّة... ويرى في ملكيصادق صورة سابقة ليسوع المسيح!

الحاشية رقم 4: ويبقى ملكيصادق كاهناً ابد الدهور: لا يضع الكتاب المقدّس حدّاً زمنياً لكهنوت ملكيصادق. وهذه الصفة تميّزه عن كهنوت عظماء الكهنة اليهود، علماً بأنه كان ينتهي عند موتهم (سفر العدد 20: 24-28). ونرى هذه الصفة نفسها كاملة في كهنوت المسيح القائم من الموت. ولذلك يشدّد الكاتب عليها كثيراً (7: 8 و15-17 و23-25).

الحاشية رقم 5: فانظروا ما أعظم هذا الذي أدّى له ابراهيم عشر خير الغنائم: في 7: 4-10، يستخدم الكاتب جباية العشر من ابراهيم عن يد ملكيصادق ليدلّ على تفوّق كهنوته على كهنوت لاوي المولود من ابراهيم. وحين يتمّ، في الشرح

الذي يتبع (7: 11-28)، إثبات الشبه بين المسيح وملكيصادق بالاستشهاد بالمزمور 110: 4، يبلغ الاستدلال خاتمته: إن كهنوت المسيح أفضل من كهنوت اللاويّين، لأنه "على رتبة ملكيصادق"... كهنوت المسيح = كهنوت ملكيصادق = كهنوت كنعانيّ!

الحاشية رقم 8: وقد أدّى لاوي العشر في شخص ابراهيم لأنه كان في صلب ابيه يوم خرج ملكيصادق لملاقاته: كان الصُلّبُ" يعد مركز القوة الجسديّة، فكان من المفروض ان يحتوي مسبقاً على ذريّة الانسان كلّها (راجع سفر التكوين 35: 11، وسفر الملوك الأول 8: 19). فلقد أكّد ملكيصادق، بأخذه العشر من ابراهيم، تفوّقه على ذريّة ابراهيم وهي لا تزال في "صُلّبه"...!

وهكذا بعد الحديث عن "الذريّة الحقيقية" في العهد الجديد: في كتب الاناجيل المقدسة ورسائل القديس بولس، يجدر بنا الآن أن نتحدث عن "ذريّة المسيح الحقيقية"... انطلاقاً من مفاهيم العهد الجديد نفسه.

الفصل الرابع

يسوع المسيح ليس يهوديّاً...
يسوع المسيح هو كنعانيّ...

يقول بولس:"لقد ألغى المسيح شريعة الوصايا وما فيها من أحكام ليخلق في شخصه إنساناً جديداً"

(أفسس 2: 15- راجع ايضاً: قولسّي 2: 14)!!

المسيح ليس يهودياً

هل من الممكن والمعقول أن يكون يسوع المسيح يهودياً، وهو الذي خاطب اليهود صراحة قائلاً لهم: "...أنتم أولاد أبيكم إبليس! تريدون إتمام شهوات أبيكم. كان منذ البدء قتالاً للناس، ولم يثبت على الحق لأنه ليس فيه شيء من الحق. فإذا تكلّم بالكذب تكلّم بما عنده، لأنه كذاب وأبو الكذب... إن أبي هو الذي يمجّدني ذلك الذي تقولون أنتم: هو إلهنا. انتم لم تعرفوه! أما أنا فأعرفه. ولو قلت إني لا أعرفه، لكنت مثلكم كاذباً..." (يوحنا 8: 44، 54-55)! هل من كلام بعد هذا الكلام؟

الحقيقة الناصعة هي أن المسيحيّين المتهوّدين في بداية المسيحيّة حاولوا بكل قواهم، مستخدمين كل الطرق والوسائل، ليبرهنوا أن يسوع المسيح هو المسيح المخلّص الذي كان ينتظره اليهود... مع ان المسيح الذي كان ينتظره اليهود هو إنسان دنيويّ محارب ينتصر عسكرياً على أعدائهم ويحرّرهم... ويجعلهم يسيطرون على باقي الشعوب ويستعبدونهم!... وهذا، طبعاً، ما لم يعمله يسوع المسيح الذي هو "انتظار الشعوب"، ورجاء الأمم والخلائق أجمعين، هو الذي قال عن نفسه: "إن مملكتي ليست من هذا العالم...". وهو "النور الحق الآتي الى العالم والمنير كل انسان..."، والذي "إذا ما ارتفع جذب اليه الناس أجمعين..." الخ...

ليس هناك من تطابق بين المسيح الذي أتى وبين نبؤات التوراة عن المسيح الذي كان اليهود ينتظرون قدومه. والمسيح نفسه لم يشر الى ذاته كيهوديّ ابداً، ولم يتكلّم مطلقاً عن "يهوديته". ولقد استعمل دائماً في خطابه الى اليهود ضمير المخاطب الجمع "أنتم"، ولم يستعمل ضمير المتكلّم الجمع "نحن". والغريب حقاً أنه منذ ولادته بحث اليهود عن قتله والتخلّص منه، بينما، وفي المقابل، كان يتلقى التكريم من "الوثنيين": الرومان والكنعانيين والمشرقيين الذين ومنذ ولادته جاؤوا يبحثون عنه ليقدّموا له تقدمات الاجلال كما فعل المجوس...

رغم كلّ ذلك، يحاول متى، بشتّى الطرق والاساليب، أن يطابق بين المسيح الذي أتى وبين مسيح اليهود المنتظر... إنه اكثر الانجيليين "يهودية"، هو، ونسّاخه اللاحقون في القرون الثلاثة الأولى للمسيحيّة...

بالنسبة الى مرقس فهو يبدأ إنجيله بحديثه عن ظهور يوحنا المعمدان، ومجيء يسوع من الناصرة في الجليل للتعمّد على يد يوحنا، وبدء الرسالة في الجليل – جليل الأمم – في الشمال...

ونعلم من موجز أعمال يسوع في الجليل انه حظي بشهرة واسعة، وتبعه عدد غفير من مختلف المناطق، وبخاصة من الجليل وعبر الاردن وصور وصيدا، مما يوضح لنا وجود غير "يهود" في صفوف الاتباع والمؤمنين الاوائل. وأن الدعوة لم تنحصر في

فلسطين، بل امتدت منذ بدايتها البالشمال، وأنها بالمقابل لقيت مقاومة عنيفة في الجنوب أي اليهوديّة، من قبل الفريسيّين ورؤساء الكهنة اليهود. ونفهم من إنجيل مرقس أن البعض نظر الى يسوع في مستهل الدعوة على أنه ضائع الرشد أو مجنون أو مأخوذ حيث إن ذويه خرجوا ليمسكوا به (مرقس 3: 21). وأن بعض الكتبة اليهود الذين قدموا من أورشليم الى الجليل قالوا إن به مسّاً من "بعل زبول" أي الشيطان (مرقس 3: 22-27).

ويروي لوقا قصة الولادة في بيت لحم، كما يفعل متى. غير أن لوقا في كلامه عن نسَب يسوع يتفوّه بجملة ذات دلالة إذ يقول: "وكان يسوع عند بدء رسَلته في نحو الثلاثين من عمره، وكان الناس يحسَبونه ابن يوسف بن عالي... الخ..." (لوقا 3: 24). فعبارة "يحسَبونه" أسَالت حبراً كثيراً ولمّا تزل. مع العلم أن يسوع، عند متى، "كان ابن يوسف ابن يعقوب..." (متى 1: 16). فليسَ هناك الى اليوم توافق تاريخي حول جدّ يسوع لوالده يوسف! فكيف يكون توافق، يا ترى، حول اجداده الأقدمين؟ إن ألفي سَنة من المحاولات لم تنجح اطلاقاً – من الناحية التاريخية – في ربط يسوع المسيح بسلالات اليهود... فالانجيليّ لوقا لا يقول إن يسوع هو ابن يوسف، بل يقول ان الناس كانوا "يحسَبونه" ابن يوسف. وهذا الامر يبطل يهودية يسوع وانتسَابه الى داود...، بالاضافة الى أمور أخرى كثيرة...

وإذا عدنا الى إنجيل يوحنا وجدنا عند الجميع بعض التشكيك الظاهر في نسَب يسوع: "فقال أناس من أهل أورشليم: أليس هذا الذي يريدون قتله؟ فها إنه يتكلّم جهاراً ولا يقولون له شيئاً. ترى هل تبيّن للرؤسَاء أنه المسيح؟ على أن هذا نعرف من أين هو، وامّا المسيح فلا يعرف حين يأتي من اين هو. فرفع يسوع صوته وهو يعلّم في الهيكل قال: أجل إنكم تعرفونني وتعرفون من أين أنا... فقال أناس من الجمع وقد سمعوا ذلك الكلام: هذا هو النبي حقاً! وقال غيرهم: هذا هو المسيح! ولكنّ آخرين قالوا: أفترى من الجليل يأتي المسيح؟ ألم يقل الكتاب إن المسيح هو من نسل داود وإنه يأتي من بيت لحم، القرية التي منها خرج داود؟ فوقع بين الجمع خلاف في شأنه..." (يوحنا 7: 25-28، 40-43 مع الحواشي). فنرى هنا أن كون المسيح من نسل داود، وأنه ولد في بيت لحم (اليهوديّة) لم يكن أمراً مسلّماً به، وأن الناس الذين كانوا يعرفونه جيداً إنما نظروا الى يسوع كشخص من "جليل الأمم"، وما من شيء يربطه بداود أو ببيت لحم (اليهودية). كما نجد هنا صدى مجادلات استمرت طوال ثلاثة قرون بين اليهود والمسيحيّين المتهوّدين من جهة، والمسيحيّين من جهة ثانية،حول علاقة يسوع المسيح بداود وببيت لحم (اليهوديّة). نذكر هنا، على سبيل المثال لا الحصر، أن الكاتب المسيحيّ الشهير "تاثيان السوري"، تلميذ القديس جوستين أحد كبار آباء الكنيسة، قد وضع كتاباً عام 172 بعنوان "دِياطِسّرُون" أي الأناجيل الأربعة في كتاب واحد"، قد ألغى بدوره كل الفقرات

في الاناجيل المقدسة التي تصعد بنسب يسوع الى داود أو تربطه ببيت لحم اليهودية! ألا يدعو هذا الأمر، في الحقيقة، الى التساؤل الشديد؟ مؤرخ وكاتب مسيحيّ كبير في القرن الثاني بعد المسيح، لا يعترف بأية علاقة تربط المسيح بذريّة داود وسلالته! (فليراجع كتاب "دياطِسّرُون" لتاثيان السوري). كما أن نصوص يوحنا هذه – وغيرها – تفترض وجود استخفاف رجالات أورشليم بالجليل وبأهل الجليل: "الأمم"... ولقد رفض لهم أي دور في تاريخ اسرائيل. ألم يقل نتنائيل لفيلبّس "أمن الناصرة (في الجليل) يمكن أن يخرج شيء صالح...؟" (يوحنا 1: 46). ألم يقل الفرّيسيّون أنفسهم لنيقوديمس مستخفّين به: "أوأنت أيضاً من الجليل؟ إبحث تَرَ انه لا يقوم من الجليل نبيّ..." (يوحنا 7: 52). هذا الكلام يظهر بوضوح ان اليهود كانوا على يقين ان المسيح هو من الجليل، لا من اليهودية. ولا ننسَ ابداً أن المسيحيّين كثيراً ما لقّبهم جليليّين خصومهم الذين من يهوذا، أي من أرض اليهودية. و"الغيورون" أيضاً أطلق عليهم أحياناً هذا اللقب احتقاراً... كما يجب أن لا ننسى أبداً العداوة القوية التي كانت قائمة قبل المسيح وفي أيامه وبعده بين اليهود سكان اليهوديّة وبين سكان الجليل! ونحن نعرف أن السنوات القليلة التي استغرقتها بشارة يسوع كانت في الواقع صراعاً مستمراً بين يسوع وبين اليهود، صراع أفضى به الى الموت، لكنه لم يحدّ من استمرار بشارته حتى النهاية. وخلال بشارته، وبسبب شدّة الصراع، لجأ يسوع أكثر من مرّة الى أرض فينيقيا- لبنان، بكل ما لكلمة لجوء من معنى! ...فكان له هناك اقارب وانسباء ومعارف وأصدقاء. وقد تأكد اليوم، بما لا يقبل الشكّ، أن المسيح أقام في فينيقية- لبنان اكثر بكثير ممّا كنّا نظن حتى اليوم.

ورسالة يسوع في شأن الديانة اليهودية واضحة. انها تعلن بطلان اليهودية ولا تجيز ربط المسيحية بها. فهناك "قديم" وهناك "جديد". ولا يمكن جعل الاثنين واحداً. لأن الثاني يبطل الأول. كما قال يسوع نفسه: "ما من أحد يقتطع رقعة من ثوب جديد فيجعلها في ثوب قديم، لئلا يُخرق الجديد وتكون الرقعة التي أخذت من الجديد لا تلائم القديم... وما من أحد يجعل الخمرة الجديدة في زقاق قديمة، لئلا تشقّ الخمرة الجديدة الزقاق فتراق وتتلف الزقاق. بل يجب أن تجعل الخمرة الجديدة في زقاق جديدة. وما من أحد إذا شرب معتّقة، يرغب في الجديدة لأنه يقول: المعتّقة هي الأطيب!" (لوقا 5: 36-39).

والقديم هنا هو الديانة اليهودية وشريعة موسى. والجديد هو رسالة المسيح. ولا يمكن جمعهما وتوحيدهما. والفرق شاسع بين تقديس السبت وبين كون الانسان سيّد السبت. وهذا التقديس للانسان وجعله أعلى وأسمى من الشريعة والطقوس هو من أهم ميزات ديانة "ابن الانسان"...

لقد كان المسيح كثير الأسفار من مدينة الى أخرى، وبشكل خاص الى مدن الشعوب غير اليهودية. وكانت له مع سكان هذه المدن – وبنوع خاص الكنعانيين الفينيقيين – علاقات خاصة وحميمة لم تعطِ الاناجيل الكثير من التفاصيل عنها، بسبب الخصومة القوية بين اليهود و"الأمم"، كقول مرقس: "ثم مضى يسوع من هناك، وذهب الى نواحي صور وصيدا، فدخل بيتاً، وكان لا يريد أن يعلم به أحد، فلم يستطع أن يخفي أمره..."! (مرقس 7: 24). ممّا يشفّ عن وجود أتباع له وأصدقاء مخلصين في تلك المناطق الكنعانية الفينيقية يستطيع أن يثق بهم تماماً ويختفي عندهم...

وفي الواقع فإنه من الصعوبة بمكان قبول التقليد التاريخي الذي جعل من جميع المقبلين على بشارة المسيح، قبل اهتداء بولس، من اليهود أو من يهود الشتات، الاّ اذا قبلنا برأي "فيلون الاسكندراني" الذي زعم أن اليهود كانوا يشكّلون عددياً نصف الجنس البشري! بينما، وفي الواقع، لم يشكّل مجموع اليهود من مجموع سكّان الامبراطورية الرومانية سوى ثلاثة في المائة على الاكثر. غير أن اشتغالهم بالتجارة، وتأثيرهم المالي بالتالي، جعل ويجعل الناس دوماً يظنون أن عددهم هو أكبر مما هو عليه في الواقع...

وبعض أتباع الديانة اليهوديّة نفسها لم يكونوا يهوداً بالمعنى العرقي، بل من أجناس وأعراق مختلفة اعتنقوا الدين اليهوديّ. وكان اليهود الصرف أنفسهم ينظرون اليهم كغرباء ويسمّونهم "الدخلاء" أو الذين "يتّقون الله". كما كان هناك جماعات في جليل الأمم اعتنقت قسراً العقيدة اليهودية وتبعت شريعة موسى منذ أواخر القرن الثاني ق.م. على ايام الملك الحشموني أرسطو بولس الأول (104-103 ق.م.) ابن يوحنا هرقانس (134-104) ابن سمعان المكابي... من هذه الجماعات أجداد يسوع المسيح نفسه! كما سنفصّل ذلك لاحقاً.

لم ينظر المسيح قط الى الامور نظرة عرقية، وهي نظرة تميّز بها اليهود وميّزت التوراة، فهو، في مثله الذي ضربه عن الرحمة وإعلاء شأن التعامل الانساني على جمود الشريعة اليهودية، بيّن ان "السامريّ" الذي يحتقره اليهود، كان انسانياً، وسلوك الكاهن اليهودي كان عرقياً. ولم يتردّد المسيح في دعوة عالم الشريعة اليهودي نفسه، الذي ضرب له المثل، الى الاقتداء بالسامري (لوقا 10: 25-37). فمثل السامريّ يكشف للناس ان القريب هو كل انسان يقترب من الآخرين بمحبة، حتى لو كانوا من الغرباء او المنشقّين. فلا حاجة بعد ذلك الى التساؤل كما فعل كاتب الشريعة: "من قريبي"؟ بل "كيف أكون قريب كل انسان"؟ أمام الانجيل، تتلاشى انفرادية اسرائيل العرقية وتتلاشى شريعة علماء اليهود...

هذا المسيح الذي جاء لا يتماثل والمسيح الذي كان ينتظره اليهود. فعاداته غريبة، وهو لا يتقيد بالشريعة. تارة يقولون فيه "إنه ضائع الرشد"، وتارة: "إنه

سامريّ"، تارة أخرى: "إن به مسّاً من الشيطان"، تارة: "انه أكّول شرّيب وعشّير العشّارين والخطأة"، وتارة أخرى: "إنه بعل زبوب" الخ... الخ. وعلاقته مع الله كانت بمثابة كفر وتجديف بالنسبة الى اليهود: انه يغفر الخطايا، ولا يغفر الخطايا الاّ الله وحده، إنه يجعل نفسه مساوياً لله، إنه يدعو نفسه ابن الله الخ...

ويبدو واضحاً من قراءة الاناجيل المقدسة ان المسيح لم يتقيّد بالشريعة الموسويّة، ولا بسنّة الأحبار والشيوخ، بل كان على خلاف دائم معهم. ولم ينحصر الأمر به وحسب، بل إنه طلب الى تلاميذه نبذ تلك العادات. وكان في نقده لعلماء الشريعة اليهودية أشبه بالعاصفة: ": "الويل لكم ايها الكتبة والفريسيّون المراؤون... الويل لكم ايها القادة العميان... أيها القبور المكلّسة... ايها الحيّات أولاد الأفاعي... الويل لكم... الويل... الويل... (متى 23: 13-36 لوقا 11: 39-48). وهو أمر دفع بالكتبة والفرّيسيين الى التآمر عليه لقتله. وهذه المواجهة الدائمة وشبه اليومية كانت لا بد أن تنتهي بقضاء واحد من الاثنين على الآخر. وقد تأخرت النهاية الناجعة قليلاً لأنه كان بوسع يسوع الفرار والاختباء في بيوت أنصار وأصدقاء له في مدن وبيوت "الأمم"...

وفي مواجهة اليهود، أخرج يسوع نفسه ورسالته من الانتماء العرقي والثقافي والتاريخي الى اليهوديّة. فلم يسمّ نفسه ولا مرة ابن داود! ولقد رفض علانية كونه ابن داود اكثر من مرّة وفي جميع الأناجيل. لقد سمّى نفسه "ابن الانسان"، وهذا ما ركّز عليه. وهو في الرد على كون المسيح ابن داود قال لليهود: "كيف يقال للمسيح انه ابن داود؟ وداود نفسه يقول في المزامير (مزمور 110): قال الربّ لربّي: إجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدميك. فداود يدعوه ربّاً، فكيف يكون ابنه؟" (لوقا 20: 41-44؛ راجع أيضاً متى 22: 41-45 مرقس 12: 35-37 والمزمور 110). ويضيف مرقس حول الموضوع نفسه: "وكان من الناس جمع كبير يصغي اليه مسروراً..."؛ ويزيد متى ايضاً: "فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة..."

لقد أعلن يسوع نفسه أعظم من "يونان" وأعظم من "سليمان" (متى 12: 38-42). وأبطل "موسى" بقوله: "لم يعطكم موسى خبز السماء، بل أبي يعطيكم خبز السماء الحق. لأن خبز الله هو الذي ينزل من السماء ويعطي الحياة للعالم... أنا هو خبز الحياة، من يقبل اليّ فلن يجوع ومن يؤمن بي فلن يعطش ابداً..." (يوحنا 6: 32-35). ومضى يسوع الى أبعد من ذلك فقال عن نفسه أنه أعظم من ابراهيم لا بل أنه كان قبل ابراهيم... "قال اليهود ليسوع:الآن عرفنا أن بك مسّاً من الشيطان. مات إبراهيم ومات الانبياء، وأنت تقول: من يحفظ كلامي لا يذق الموت ابداً. أأنت أعظم من أبينا ابراهيم الذي مات؟ وقد مات الانبياء ايضاً. من تجعل نفسك؟ أجاب يسوع: لو مجّدت نفسي لكان مجدي باطلاً، ولكن أبي هو الذي يمجّدني، ذاك الذي تقولون انتم: هو إلهنا. أنتم لم تعرفوه (؟)، أمّا انا فأعرفه. ولو قلت إني لا أعرفه

لكنت مثلكم كاذباً. ولكني أعرفه وأحفظ كلمته. إبتهج ابوكم إبراهيم راجياً ان يرى يومي، ورآه ففرح. قال له اليهود: أرأيت ابراهيم وما بلغت الخمسين؟ فقال لهم يسوع: الحق الحق أقول لكم: قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن. فأخذوا حجارة ليرموه بها، فتوارى يسوع وخرج من الهيكل" (يوحنا 8: 52-59). وهكذا يظهر بوضوح تام ان المسيح يتجاوز التاريخ اليهودي الذي يبدأ بإبراهيم، ويجعل نفسه ينتمي الى تراث روحيّ أقدم من ابراهيم وبالتالي أقدم من اليهوديّة، بقوله إنه قبل أن يكون إبراهيم هو كائن. والأمر الخطير والذي لا يقل وضوحاً عن هذا، والذي يتحاشاه المسيحيّون المتهوّدون الى اليوم، هو أن الإله الذي يدّعي اليهود أنه إلههم ليس هو الآب السماوي ولا هو الاله الذي يعرفه يسوع المسيح. ولا داعي لأيّ تفسير. فكلام يسوع المسيح هو هو التفسير: "إن أبي هو الذي يمجدني. ذلك الذي تقولون أنتم: هو إلهنا. أنتم لم تعرفُوه، أمّا أنا فأعرفه. ولو قلت إني لا أعرفه لكنت مثلكم كاذباً. ولكنّي أعرفه وأحفظ كلمته"! (يوحنا 8: 54-55). والمُلْفِتْ حقاً، أن المسيح في هذه النصوص وفي نصوص مماثلة أخرى (يوحنا الفصل الثامن وغيره...) يفرّق تماماً بين ابيه وأب اليهود، بين الهه وإله اليهود. ويستعمل تعبير "أبوكم" عوضاً عن "أبينا" كما كان يجب ان يقول لو كان يعتبر نفسه يهوديّاً. فيقول: أبي وأبوكم. يقولون له: "أين أبوك؟ فيجيب: أنتم لا تعرفوني ولا تعرفون أبي، ولو عرفتموني لعرفتم أبي ايضاً..." (يوحنا 8: 19). "أنا اتكلّم بما رأيت عند أبي، وأنتم تعملون بما سمعتم من أبيكم". (يوحنا 8: 38). "لو كان الله أباكم لأحببتموني، لأني من الله خرجت... أنتم أولاد أبيكم إبليس، تريدون اتمام شهوات أبيكم. كان منذ البدء قتّالاً للناس، ولم يثبت على الحق، لأن ليس فيه شيء من الحق. فاذا تكلّم بالكذب تكلّم بما عنده، لأنه كذّاب وأبو الكذب..."! (يوحنا 8: 42-44) الخ...

كان رد المسيح حازماً وقاطعاً على كل من اعتقد أنه المسيح الذي ينتظره اليهود، والذي يأتي ليعيد "مجد اسرائيل" أي مسيحاً زمنياً دنيوياً لا بل ملكاً محارباً... فهو ينهى الشياطين عن إذاعة خبره، وهم الذين عرفوه منذ أول ظهوره (مرقس 1: 25، 4؛ 3: 12). ونهى ايضاً عن ذلك الذين شفاهم (مرقس 1: 43، 5: 43، 7: 36)، وتلاميذه أنفسهم (مرقس 8: 30 ولوقا 9: 21). ولما طلبت منه أم ابني زبدى أن يجلس ابناها يوحنا واندراوس أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله عندما يأتي ليعيد "مجد اسرائيل"، أجاب يسوع: " إنكما لا تعلمان ما تسألان..." (متى 20: 20-23 ومرقس 10: 35-40). كان الناس يظنون أن المسيح سوف يأتي ملكاً يهوديّاً من ملوك هذه الدنيا (داود...) ويعيد "مجد اسرائيل" عن طريق الحرب ويحرّرهم من أعدائهم... ولم يفهم التلاميذ أنفسهم حقيقة أمره الاّ بعد نزول الروح القدس عليهم (أعمال الرسل 2: 1-13). وحتى قبيل صعوده الى السماء، لم يكن التلاميذ قد فهموا حقيقة أمره بعد. "كانوا اذاً مجتمعين فسألوه: يا ربّ، أفي هذا الزمن تعيد الملك الى

اسرائيل؟ فقال لهم: ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي حدّدها الآب بذات سلطانه. ولكن الروح القدس ينزل عليكم فتنالون قوة وتكونون لي شهوداً في أورشليم وكل اليهوديّة والسامرة حتى أقاصي الأرض. ولما قال ذلك، رفع بمرأىً منهم، ثم حجبته غمامة عن أبصارهم..." (أعمال الرسل 1: 6-9). فهو ليس المسيح اليهودي الدنيوي المنتظر. بل إنه لن يقضي حتى برفع الضريبة التي يؤديها اليهود الى "قيصر"، بل يقرّها. وأجاب رجلاً سأله عن بعض أمور الارث: "يا هذا، من أقامني عليكم قاضياً ومقسّماً؟". يطلب هنا من يسوع أن يتولّى مهمة زمنية. وكانوا يلجأون الى الربّانيّين في مثل هذه التحكيمات الارثية. لكن يسوع يرفض هذا الطلب، وبذلك يميّز نفسه عن موسى الذي "أقام نفسه رئيساً وحاكماً..." (راجع سفر الخروج 2: 14، راجع أيضاً أعمال الرسل 7: 27-35).

يسوع هو معلّم من نمط آخر لم يألفه اليهود ابداً. لا شريعة له سوى مشيئة الآب السماوي الذي أرسله. وهذه المشيئة تتمثّل في إعلان شأن الانسان الذي يعتبر نفسه ابناً له. إنه "ابن الانسان". كان يقبل الدعوات الى المآدب ويؤآكل العشّارين والخطأة. "جاء يوحنا المعمدان لا يأكل خبزاً ولا يشرب خمراً، فقلتم لقد جنّ. وجاء ابن الانسان يأكل ويشرب، فقلتم: هوذا رجل اكول شرّيب للخمر صديق للعشارين والخاطئين. ولكن الحكمة قد برّها جميع بنيها" (لوقا 7: 33-35). كان يفرّق بين العيش وبين الحياة. أما العيش فلا قيمة له. واما الحياة فمقدسة، ولا يجوز تحديدها بشرائع الموتى والاسلاف، لئلا تختنق الحياة بالعادات والتقاليد البالية التي لا تنبع من القلب. أليس هو القائل: لا يهمكم للعيش ما تأكلون، ولا للجسد ما تلبسون، لأن الحياة أعظم من الطعام، والجسد أعظم من اللباس. أنظروا الى الغربان كيف لا تزرع ولا تحصد، وما من مخزن لها ولا هري، والله يرزقها، وكم أنتم أثمن من الطيور!... تأملوا بزنابق الحقل كيف لا تغزل ولا تنسج. أقول لكم إن سليمان نفسه في كل مجده لم يلبس مثل واحدة منها... فلا تطلبوا انتم ما تأكلون أو ما تشربون ولا تكونوا في قلق، فهذا كلّه يسعى اليه وثنيّو هذا العالم، وأما انتم فأبوكم يعلم أنكم تحتاجون اليه. بل اطلبوا ملكوته تزادوا ذلك..." (لوقا 12: 22-31). "والله هو إله أحياء وليس إله أموات..." (مرقس 12: 27). ولذلك قال يسوع لليهود: "سوف ترون أنفسكم في الخارج مطرودين من "الملكوت"، وسوف ياتي الناس من المشرق والمغرب ومن الشمال والجنوب فيجلسون على المائدة في ملكوت الله. فهناك آخرون يصيرون أولين، وأولون يصيرون آخرين" (لوقا 13: 28-30)...

ولقد عاش يسوع مع جميع الشعوب ومع كلّ طبقات المجتمع، فلم يكن على عادة اليهود الذين تحظّر عليهم شريعتهم مخالطة الأجانب. ولم يكن يتردّد في دخول أي بيت وقبول أية دعوة. وعرف عنه معاشرته اليومية لكل من نبذه اليهود واحتقروه، وذلك من استسقائه السامرية الى شفائه ابنة الكنعانية مروراً باختياره متى جابي

الضرائب أي "العشّأر"، وغير ذلك من الامثلة والوقائع الدالّة بوضوح على انفصاله عن اليهود.

ولم يتّجه يسوع في تعليمه الى الهيكل – "الدين الرسمي لليهود" – ولا الى علماء الشريعة بل الى عامة الشعب. ومن هؤلاء العوام اختار الأتباع الأوائل. والجليل حيث نشأ يسوع وعلّم منطقة ذات تركيب سكانيّ منوّع. فهناك أرضية كنعانية بابلية – أشوريّة، مع أقلية يهوديّة؛ وروحية مشرقية –كنعانية – هلينية. ولهذه الاسباب، أطلقت اليهودية الرسمية على الجليل اسم "جليل الأمم"... ولقد بدأ يسوع تعليمه بين هؤلاء الأمم بالذات، بين الوثنيين غير اليهود، ثم بين يهود الشتات – ولم يكن اليهود يعتبرون هؤلاء يهوداً. وما أن خرج يسوع من الناصرة في الجليل حتى مضى الى كفرناحوم على ضفاف بحيرة الجليل. ويبدو أنه استقر لمدة طويلة في كفرناحوم وجعل منها مركزاً لانطلاق رسالته. فنحن نعلم من الانجيل نفسه أنه كان له بيت فيها يأوي اليه عند عودته من تنقلاته. وكان كثير السفر بين أرجاء الجليل والمدن العشر وفينيقية – صور وصيدا ونواحيها. وكان يقيم أحياناً في "قيصرية فيليبّس" وهي مدينة وثنية، وفي غيرها من البلدات والقرى...

كانت منطقة الجليل منطقة مختلطة الاجناس والثقافات واللغات والديانات والمذاهب. ففي اثناء الحملة الاشورية على المنطقة في القرن الثامن قبل الميلاد حدث تبديل ديموغرافي سكّاني كبير، حيث ترك أكثر اليهود المناطق الجليلية الشمالية وحلّ محلهم الآراميون والفينيقيون الذين أتوا من المناطق الشمالية المجاورة، حتى إن اليهود أطلقوا على الجليل اسم: "دائرة الوثنيين" – جليل ها غُوييم – "جليل الأمم" الوثنية الغريبة... وكان سكان الجليل من العناصر المركبة. وكان اليهود يكنّون لهم الازدراء والكراهية... ولذلك نظر يهود الجنوب – أرض يهوذا – الى الأقلية اليهودية التي بقيت في الشمال نظرتهم الى "غرباء" ابتعدوا عن عاداتهم وتقاليدهم ودينهم، وذابوا في الأمم الأخرى... وكانت العلاقة بين الطرفين علاقة جفاء ونفور. ولقد نظر اليهود باحتقار الى كلّ ما هو جليليّ، كما نستدلّ من قول نتنائيل حين قال له فيليبّس: وجدنا الذي ذكره موسى في الشريعة والانبياء في الكتب، وهو يسوع ابن يوسف من الناصرة. فقال له نتنائيل: أوَ يخرج من الناصرة شيء صالح...؟" (يوحنا 1: 45-46). ومن قول اليهود لنيقوديمس: أوَ أنت ايضاً من الجليل؟ إبحث ترَ أنه لا يقوم من الجليل نبيّ..." (يوحنا 7: 52) وغيرها من الأقوال...

يمكن الاستدلال من هذه الاقوال ومن غيرها من الأقوال والمواقف التي تحمل صفة الاستنكار الشديد على ان ما من شيء يربط يسوع المسيح ببيت داود والاّ لما استنكر اليهود بهذا الشكل. فما عدا موقف المسيحيين المتهوّدين في بداية المسيحية، هكذا كان موقف جميع المسيحيين في القرون الأولى الثلاثة للمسيحية: ليس هناك من رابط ابداً بين يسوع المسيح وبين ذريّة داود أو بيت لحم

يهوذا. على أنه، واثر اتمام اليهودية الرسمية صياغة نصوص جميع كتب العهد القديم، بصورتها القانونية والنهائية، وُضِعَت اخيراً كتب العهد الجديد بصورتها الحالية... وكل ما له علاقة بربط يسوع المسيح بذريّة داود أو ببيت لحم اليهودية هو من صنع واضافات وزيادات النسّاخ المتأخرين...!؟ (وخاصة نسّاخ متى اليهوديّ جداً...).

واذا عدنا الى رسالة يسوع نرى بوضوح انها قد بدأت في الجليل. وفي بداية رسالة يسوع يقول متى: "وكان يسير في الجليل كلّه، يعلّم في مجامعهم ويعلن بشارة الملكوت. ويشفي الشعب من كلّ مرض وعلّة. فشاع ذكره في سوريّا كلها، فأتوه بجميع المرضى المصابين بمختلف العلل والأوجاع: من الممسوسين والذين يصرعون في رأس الهلال والمقعدين فشفاهم. فتبعته جموع كثيرة من الجليل والمدن العشر وصور وصيدا واورشليم واليهودية وعبر الاردن..." (متى 4: 23-25). فيتضح أن اتجاه الرسالة كان باتجاه الشمال في الجليل ونحو المدن العشر المستقلة، وهي المدن الممتدة شرق وشمال الاردن حتى دمشق. وكانت غالبيّة سكانها من الوثنيين... وكان يسوع، على غير عادة اليهود، وكما سبق أن رأينا، يدخل بيوت الوثنيين ويأكل مع العشارين والخاطئين... وقد زار فينيقية – لبنان اكثر من مرة، والتجأ اليها عندما اضطهده اليهود، وبقي فيها اكثر بكثير مما وصل الينا من المسيحيّين المتهوّدين، إذ إن هؤلاء كانوا على عداوة تاريخية مع الكنعانيين، سكان "جليل الأمم" وفينيقية – لبنان...

المسيح هو كنعانيّ

وفي الحقيقة والواقع، نحن نجد في المسيح نمطاً مشابهاً "للإله الميت" الكنعاني. فهو إله شاب، "بدأ رسالته في الثلاثين من عمره"، يقهر عناصر الطبيعة، فتراه يمشي على الماء، ويزجر الريح، ويهدّئ العاصفة، ويشفي الاجساد والنفوس وله قوة التسلّط على كل ما هو شر. وهو مخصب إذ يكثّر الخبز والسمك ويحوّل الماء الى خمر، ويتألم ويعاني ويموت ثم يقوم من الموت ثم يصعد الى الأعالي. وتعيد الكنيسة كل عام ذكرى هذه الأحداث المتتالية في سياق "الدورة الطقسية السنويّة"... ففي المسيح تتلخّص كل خصائص وأعراف الإله الميت والقائم من الموت من دوموزي – تموز الى البعل وأدونيس، فهو يجسّد تاريخ الشرق الأوسط القديم الديني الروحي المغرق في القدم. مع فارقين أساسيَين اثنين: الفارق الأول هو ان الاله نفسه قد تجسّد في الانسان، في انسان معين من هذه المنطقة: يسوع المسيح؛ والفارق الثاني هو ان يسوع المسيح كمّل عمل من سبقه، بمعنى انه واصل هذا العمل وبلغ به الى الكمال، كما أعلن هو نفسه قائلاً: "ما أتيت لأنقض بل لأكمّل..." وقد كمّل فعلاً عمل البشرية جمعاء بشكل عام، وعمل الديانات الشرقية بنوع خاص، وعمل الديانة الكنعانية بنوع أخص. ونحن نركّز هنا على عمل الديانة الكنعانية الخاص التي مهدت هي، وليس اليهودية ابداً، للديانة المسيحية الكونية، وذلك بشكل واضح ومباشر...! والغريب أن اليهود أنفسهم لم يشبّهوا يسوع المسيح الاّ "بالبعل" الكنعاني!! (راجع متى 12: 22-24)...

وثمة تعابير في كلام السيّد المسيح وفي سياق النص الانجيلي نفسه تكاد تكون هي ذاتها التعابير الواردة على متن المدونات القديمة التي تصف فعاليات البعل الكنعاني. والأمثلة كثيرة. فعلى سبيل المثال لا الحصر، تصف نصوص ملحمة "البعل وعنات" الكنعانية قدوم وذهاب البعل وكأنه يمتطي صهوة الغمام، راكباً السحب. ويقول متّى في انجيله عن مجيء "ابن الانسان" في نهاية العالم: "...وتظهر عندئذ في السماء آية "ابن الانسان". فتنتحب جميع قبائل الارض، وترى "ابن الانسان" آتياً على غمام السماء في تمام العزة والجلال..." (متى 24: 30). ويقول لوقا في أعمال الرسل عن صعود يسوع ابن الانسان الى السماء: "ولما قال ذلك، رفع بمرأىً منهم، ثم حجبته غمامة عن أبصارهم. وبينما عيونهم شاخصة الى السماء وهو ذاهب، إذا رجلان قد مثلا لهم في ثياب بيض وقالا: أيها الجليليّون، ما لكم قائمين تنظرون الى السماء؟ فيسوع هذا الذي رُفع عنكم الى السماء سيأتي كما رأيتموه ذاهباً الى السماء" (أعمال الرسل 1: 9-11). وتأتي الصورة ذاتها في سفر دانيال النبي، مستعارة من التصوير الكنعاني: "وكنت أنظر في رؤياي ليلاً، فإذا بمثل "ابن الانسان" آتٍ على غمام السماء، فبلغ الى قديم الايام وقرّب الى امامه. وأوتي سلطاناً ومجداً

وملكاً. فجميع الشعوب والأمم والألسنة يعبدونه وسلطانه سلطان أبدي لا يزول، وملكه لا ينقرض..." (سفر ارميا 7: 13-14). فتعبير "القديم الايام" يرد في المدونات الكنعانية في أوغاريت بالحرف الواحد: "القديم الايام"، ويرد ايضاً "أبو السنين" "إيل" أي السرمدي. "والبعل" أيضاً يعطى سلطاناً ومجداً وملكاً ويثبت على العرش بعد انتصاره على "مُوْتْ". إن اللفظة الآرامية الاصلية "لابن الانسان" هي "بار ناشا"، مثل اللفظة العبرية "بن آدم". وهي ترادف اولاً كلمة انسان كما جاء في المزمور الثامن العدد 5: "ما الانسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفتقده؟". ولكن لهذه العبارة في هذه الآية في ارميا، كما في سائر الآيات المماثلة في الاناجيل، معنى خاصاً رفيعاً، فهي تدل هنا على انسان يفوق الصفة البشريّة، كما فعل يسوع المسيح نفسه مطلقاً هذا اللقب على نفسه بامتياز! (راجع متى 8: 20، 16: 13، 26: 64 مرقس 14: 62 لوقا 17: 22 الخ...). يسوع المسيح هو :ابن الانسان"، وليس ابن داود.

الجو الذي يخيّم على العالم والذي يسبق قيامة الإله الميت الكنعاني هو جو ينذر بالكارثة وتبدو نهاية العالم وكأنها على وشك الحدوث. وفي جو كهذا ظهر المسيح يسوع كإله ذبيحة وفداء، وعوضاً عن خبز القمح أنبأ الناس انه سيعطيهم خبز الروح، أي جسده. ومن اجل إعطائهم هذا الخبز عليه أن يتألم ويموت ليقوم، كتلك الرموز القديمة التي مهّدت له: دوموزي، تمّوز، بعل وأدونيس... لذلك قال لليهود: "قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن..." هذا يعني بوضوح ان يسوع المسيح، هو شخصياً، قد جعل نفسه استمراراً للروحية الشرقية القديمة والكنعانية بنوع خاص: وللسبب نفسه جعل كاتب الرسالة الى العبرانيين، وهو من تلاميذ بولس، من يسوع المسيح كاهناً على رتبة "ملكي صادق" الكنعاني كما هو معروف، تمشّياً مع الكتاب المقدس نفسه في العهد القديم: ألم يقُل المزمور 110: "قال الرب لسيّدي إجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدميك. لك الرئاسة يوم ولدت، في بهاء القداسة من الرحم، من الفجر ولدتك. أقسم الربّ ولن يندم أن أنت كاهن للأبد على رتبة ملكيصادق..." (مزمور 110: 1-4 راجع ايضاً سفر التكوين 14: 17-20 والرسالة الى العبرانيين الفصل السابع بكامله مع الحواشي والشروحات في النسخة الكاثوليكية الجديدة، طبعة 1989، ص 703-705). جسد يسوع المسيح الإله المتأنس هو اذاً الخبز الحقيقي الذي نزل من السماء. وتحوّل هكذا مفهوم الخبز من غذاء للجسد الى غذاء للروح. كان هذا نقلة نوعية كبيرة في التاريخ البشري أعطت للحياة الروحية بعداً عميقاً جديداً ومنزلة أخلاقية أرقى وأسمى...

قلنا إنه لكي تتجدّد دورة الخصب في الطبيعة والناس يجب أن ينزل الإله الكنعاني الى الجحيم. ولم يشذّ المسيح عن هذا السبيل. فهو بدوره عرف "النزول الى الجحيم"، عالم الموتى... لقد قال بولس في هذا المضمار: "وأمّا البرّ الآتي من

الايمان فيقول هذا الكلام: لا تقل في قلبك: من يصعد الى السماء؟ أي لينزل المسيح، أو : من ينزل الى الهاوية؟ أي ليصعد المسيح من بين الأموات..." (رومة 10: 6-7). وقال بولس أيضاً: "فقد ورد في الكتاب: صعد الى العلى فأخذ أسرى وأوسع على الناس العطايا. وما المراد بقوله "صعد" سوى انه نزل الى أسافل الارض؟ فذاك الذي نزل هو نفسه الذي صعد الى ما فوق السماوات كلّها ليملأ كلّ شيء..." (أفسس 4: 8-10). والقديس بطرس يقول في رسالته الاولى (3: 18-20): "فالمسيح نفسه مات مرّة من أجل الخطايا... أميت موت الجسد ولكنه أحيي حياة الروح، فانطلق بهذا الروح يبشّر الارواح التي في السجن، وكانت قد عصت فيما مضى، حيث قضى لطف الله بالإمهال...".

وهكذا جعل يسوع المسيح من آلامه وموته وقيامته ليس فقط شرطاً لتجدّد خصب الطبيعة بل وانما لتجدّد الحياة الروحية للبشر، وإعلان المحبّة الالهية العظمى التي تشدّ أواصر الانسان الى الله في مصالحة كاملة كونية يمهرها المسيح بدمه ليولد الانسان الجديد. "وإذا كان أحد في المسيح فإنه خلق جديد. قد زال كل شيء قديم وها هوذا كلّ شيء جديد..." (2 قورنتس 5: 17)... أجل! لقد زال – نعم زال – "كلّ شيء قديم"...، "وها هوذا كل شيء جديد"... في المسيح. وعبارة "كلّ شيء" تعطي للمسيح بعداً كونياً. أجل! المسيح هو "كونيّ" بكلّ معنى الكلمة!

وقبل موته ونزوله الى الجحيم ليقيم الموتى، يجمع يسوع تلاميذه في عشاء أخير "رمز الخصوبة". "وبينما هم يأكلون، أخذ يسوع خبزاً وبارك ثم كسره وناوله تلاميذه قائلاً: خذوا فكلوا، هذا هو جسدي. ثم أخذ كأساً وشكر وناولهم إياها قائلاً: إشربوا منها كلّكم، فهذا هو دمي، دم العهد الجديد يراق من أجل جماعة الناس لغفران الخطايا...". (متى 26: 26-28). بهذا العمل الخارق يجعل يسوع من نفسه قرباناً ومقرّباً. وهكذا تصل دراما الاله – الميت الكنعاني الى أقصى حدّ لها لأنها تخرج من الميتولوجيا لتحدث فعلاً في التاريخ! فعلاً لقد أتى المسيح ليكمّل، لا لينقض. ليكمّل كل التاريخ البشري واكثر: كل التاريخ الكونيّ. إمّا أن يكون المسيح كونياً أو لا يكون.

ويسوع مثل الإله – الميت الكنعاني، وهنا يكمن شأن التضحية، يعرف تماماً منذ البدء ما عليه أن يقاسي، وانه صائر الى موت عنيف وهو في ريعان شبابه: "إني أبذل نفسي لأنالها ثانية. ما من أحد ينتزعها منّي، ولكني أبذلها برضاي. فلي ان أبذلها ولي أن أنالها ثانية.." (يوحنا 10: 17-18). ولم يكفّ طيلة مدة بشارته عن الجهر بهذا الموت وبتلك القيامة التي تليه. إنما بدون الموت لن تكون هناك قيامة. وهو لمّا دعي الى بيت سمعان الابرص وجلس الى الطعام جاءت إمرأة وأفاضت على رأسه قارورة من طيب "الناردين" الخالص الثمين. فاستاء الحاضرون وقالوا إنه كان افضل ان يباع هذا الطيب بمبلغ كبير من المال وإعطائه للفقراء. فنهرهم يسوع

وقال لهم: "دعوها، لماذا تزعجونها؟ فقد عملت لي عملاً صالحاً. أمّا الفقراء فهم عندكم دائماً ابداً، ومتى شئتم، أمكنكم أن تحسنوا اليهم. وأمّا أنا فلست عندكم دائماً ابداً. وقد عملت ما في وسعها، فطيّبت جسدي سالفاً للدفن..." (مرقس 14: 6-8).

وكما كانت النساء قديماً يندبن "أدونيس" وكما ندبت عنات "البعل" وعشتار "تموزاً"، وكما بكت أنانا على "دوموزي"، نرى النساء في فلسطين يندبن يسوعاً وينحن عليه عند موته. "وكان هناك جماعة من النساء ينظرن عن بعد (الى يسوع المصلوب)، منهنّ مريم المجدلية، ومريم أم يعقوب الصغير ويوسي، وسالومة، وهنّ اللواتي تبعنه وخدمنه حين كان في الجليل، وغيرهنّ كثيرات صعدن معه الى أورشليم..." (مرقس 15: 40-41)، راجع أيضاً: متى 27: 55-56 ولوقا 23: 49). وجاء في انجيل بطرس المنحول أن المجدلية قالت لصاحباتها: "لما لم نستطِع أن نبكي ونضرب صدورنا عليه يوم موته فلنفعل ذلك الآن على قبره...". وطقوس الاله – الميت القديم لم تكن مجهولة في فلسطين. فحزقيال عندما يتكلّم على النساء الجالسات على باب بيت الربّ (هيكل أورشليم) الذي هو جهة الشمال ويبكين على تمّوز (أدونيس)، يعطينا فكرة عن شعبية هذا الإله الشاب الجميل المأساوي المصير، وعبادته عند النساء الفلسطينيات، وهو الإله المعروف عند الاغريق باسم أدونيس. ويروي سفر القضاة (11: 29-40) قصة بنت يفتاح الذي حارب العمونيّين ونذر لربه أن يضحّي بأول من يخرج للقائه من أهل بيته إن عاد منتصراً من حربه. فلما رجع بعد أن قهر أعداءه خرجت ابنته تستقبله بالأهازيج. ولما أعلمها بنذره الرهيب طلبت منه مهلة شهرين لتمضي وتبكي عذريتها مع صاحباتها. فصارت عادة في اسرائيل أن بنات إسرائيل يذهبن من سنة الى سنة لينحنَ على بنت يفتاح الجلعادي أربعة أشهر في السنة. وفي هذه القصة آثار طقوس ندب الإله الشاب الكنعاني "البعل – أدونيس"... كما يؤكد جميع الشرّاح.

وبعد موت يسوع على الصليب موتاً عنيفاً وفاجعاً، كما يجب ان يموت "الإله – الميت"، وبعد أن قام يوسف الرامي بدفنه في قبر جديد في الصخر، تستمر الصورة المأسوية: "ولما انقضى السبت، اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة طيباً ليأتين فيطيبنه. وعند فجر الأحد جئن الى القبر وقد طلعت الشمس. وكان يقول بعضهن لبعض: من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر؟ فنظرن فرأين ان الحجر قد دحرج، وكان كبيراً جداً. فدخلن القبر فأبصرن شاباً جالساً عن اليمن عليه حلّة بيضاء فارتعبن. فقال لهنّ: لا ترتعبن! أَنْتُنَّ تطلبن يسوع الناصري المصلوب. إنه قام وليس ههنا، وهذا هو المكان الذي كانوا قد وضعوه فيه. فاذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس: إنه يتقدمكم الى الجليل، وهناك ترونه كما قال لكم..." (مرقس 16: 1-7).

وهكذا تمضي الدراما الكنعانية نحو الاكتمال:

"قام يسوع فجر الأحد، فتراءَى أولاً لمريم المجدلية. فمضت وأخبرت تلاميذه، وكانوا في حزن ونحيب... فلما سمعوا أنه حيّ وأنها شاهدته لم يصدقوا". (مرقس 16: 9-11).

أكثر من مرّة أعلن يسوع حقيقة دراما "ابن الانسان" الذي عليه أن يعاني وأن يموت وأن يقوم في ثلاثة أيام أي "دورة زمنية محدّدة". "وبدأ يعلّمهم أن ابن الانسان يجب عليه أن يعاني آلاماً شديدة، وأن يرذله الشيوخ والأحبار والكتبة، وأن يقتل، وأن يقوم بعد ثلاثة أيام. وكان يقول هذا الكلام صراحة. فانفرد به بطرس وأخذ يعاتبه. فالتفت فرأى تلاميذه فزجر بطرس قال: إذهب عنّي، يا شيطان، لأن أفكارك ليست أفكار الله بل أفكار البشر..." (مرقس 8: 31-33 وراجع ايضاً متى 16: 21-23 ولوقا 9: 22). وهكذا كان غريباً جداً حتى عن أقرب المقرّبين اليه أي الرسل الاثني عشر. كانوا هم من عالم اليهود... أما هو فكان من عالم آخر... وقد كرّر ذلك أكثر من مرّة. "قال يسوع لليهود: أنتم من أسفل، وأنا من علُ. أنتم من هذا العالم، وأنا لست من هذا العالم... أنا أتكلم بما رأيت عند أبي، وانتم تعلمون بما سمعتم من أبيكم... أنتم أولاد أبيكم ابليس تريدون اتمام شهوات أبيكم. كان منذ البدء قتالاً للناس، ولم يثبت على الحق لأنه ليس فيه شيء من الحق. فاذا تكلّم بالكذب تكلّم بما عنده، لأنه كذاب وابو الكذب.. إن أبي هو الذي يمجّدني. ذلك الذي تقولون انتم: هو إلهنا. أنتم لم تعرفوه (!!!)، أما انا فأعرفه. ولو قلت إني لا أعرفه، لكنت مثلكم كاذباً... الخ..." (يوحنا: الفصل الثامن بكامله وراجع أيضاً يوحنا 1: 10، 3: 31، 7: 28-29، 17: 14 الخ...). أجل! "أنتم لم تعرفوه"! ...فهل هناك أصدق من كلام المسيح؟ (مرة أخرى، نحن نكرّر عن قصد هذه النصوص بالذات، نظراً لأهميتها وخطورتها...)

وهكذا كان على بولس وعلى كاتب الرسالة الى العبرانيين الذي قد يكون أحد تلاميذ بولس، أن يبحثا عن إرث آخر غير الارث اليهودي ليسوع المسيح لأنهما وجداه غريباً جداً عنه. وكان لا بد من أب آخر غير داود ليسوع، لأن ربط يسوع بداود من الناحية التاريخية هو أمر غير ممكن على الاطلاق بأي شكل من الأشكال. وذلك لأسباب عديدة، أهمها وأبسطها ان يسوع المسيح ليس من ذريّة داود ولا من سلالته. ورغم كل المحاولات التي بذلت منذا البداية حتى اليوم لربط يسوع بداود فشلت لأنها تحوي مغالطات تاريخية وتحويرات وتزويرات... فالأكثرية الساحقة من مؤرخي اليوم لا يعترفون بشخص تاريخي اسمه داود – نعم ولا حتى بوجوده! فداود موجود فقط في التوراة، وليس له وجود تاريخي ثابت في التاريخ المدني؟! فكيف يكون المسيح من ذريّة شخص لا وجود له في التاريخ؟؟ واليوم ليس من احد من الباحثين والمؤرخين والعلماء يقول بان يسوع هو من ذريّة داود. هذا من ناحية الحقيقة التاريخية الموضوعية المجرّدة. أما الافكار المسبقة والعواطف الدينية والمبالغات التقوية الشعبية فلا علاقة لها طبعاً بالحقائق الموضوعية التاريخية. أضف

الى ذلك أن يسوع نفسه قد استنكر اكثر من مرّة ان يكون داود اباً له كما جاء في الاناجيل المقدسة. لا بل نظر الى نفسه، كما رأينا سالفاً، على أنه إله داود، وأقدم من ابراهيم. وأقدم من ابراهيم يعني بكل وضوح أنه أقدم من تاريخ اليهود الذي يبدأ بإبراهيم. ولما كان أقدم من ابراهيم، فقد تحتم، برأي بولس وكاتب الرسالة الى العبارنيين، ان يكون أباً له ذلك الذي أقر له ابراهيم نفسه بالتفوّق الروحي وقبل البركة منه، أي ملكيصادق الملك وكاهن "الله العلي" أي كاهن "إيل" إله الكنعانيين، الإله الكوني الواحد الذي تتحدث عنه بالتفصيل المكتشفات الاثرية الحديثة في أوغاريت – رأس شمرة، والتي أصبحت معروفة في العالم كله. جاء في الرسالة الى العبرانيين: "وهذا الرجاء لأنفسنا أشبه بمرساة أمينة متينة تخترق الحجاب الى حيث دخل يسوع من أجلنا سابقاً لنا وصار حبراً للأبد على رتبة ملكيصادق. فإن ملكيصادق هذا هو ملك شليم وكاهن "الله العلي" خرج لملاقاة ابراهيم عند رجوعه بعدما كسر الملوك وباركه، وأدّى له ابراهيم العشر من كل شيء. وتفسير اسمه اولاً ملك البرّ، ثم ملك شليم، أي ملك السلام. وليس له أب ولا أم ولا نسَب، وليس لأيامه بداءة ولا لحياته نهاية، وهو على مثال ابن الله... ويبقى كاهناً للأبد. فانظروا ما أعظم هذا الذي أدّى له ابراهيم عشر خيار الغنائم، مع انه (أي ابراهيم) رئيس الآباء. إن الذين يقبلون الكهنوت من بني لاوي تأمرهم الشريعة بأن يعشّروا الشعب، أي إخوتهم، مع أنهم خرجوا هم ايضاً من صلب إبراهيم. أما الذي ليس له نسَب بينهم، فقد عشّر إبراهيم وبارك ذاك الذي كانت له المواعد. ومما لا خلاف فيه أن الأصغر يتلقّى البركة من الأكبر. زد على ذلك ان الذين يأخذون العشر ههنا بشر مائتون. وأمّا هناك فإنه الذي يشهد له بأنه حيّ. ثم، إن جاز لي القول، قلت إن لاوي نفسه، وهو الذي يأخذ العشر، قد أدّى العشر على يد ابراهيم لأنه كان في صلب أبيه يوم خرج ملكيصادق لملاقاته. ولو كان الكمال في الكهنوت اللاويّ، وهو اساس الشريعة اتي تلقّاها الشعب، فأية حاجة بعده الى ان يظهر لكاهن آخر على رتبة ملكيصادق؟ ولماذا لم يقل إنه على رتبة هارون ؟! لأنه اذا تبدّل الكهنوت، فلا بدّ من تبدّل الشريعة. وذلك أن الذي يقال هذا فيه ينتمي الى سَبط آخر لم يقم أحد منه بخدمة المذبح..." (الرسالة الى العبرانيين 6: 19-20؛ 7: 1-14)! (وفيما يخصّ ملكيصادق في العهد القديم راجع سفر التكوين 14: 17-24).

وفي الحقيقة، يظهر يسوع المسيح منذ مولده حتى موته على الصليب مرتبطاً بالارث الروحي الكنعاني، لا بالارث اليهودي العبراني. فقبل ولادته، عندما كانت أمه العذراء مريم تحمله في أحشائها، "تراءى ملاك الرب ليوسف في الحلم وقال له: يا يوسف ابن داود، لا تخف أن تأتي بامرأتك مريم الى بيتك. إن الذي كوّن فيها هو من الروح القدس، وستلد ابناً فسمّه يسوع، لأنه هو الذي يخلّص شعبه من خطاياهم. وكان هذا كلّه ليتمّ ما قال الربّ على لسان النبيّ: ها إن العذراء تحمل فتلد ابناً

يسمّونه "عمّانوئيل" (أي "إيل معنا" أو الله معنا)..." (متى 1: 20-23 – راجع ايضاً اشعيا 7: 14). وهكذا اذاً، فإن الله الآب، وملاك الرب، والوحي، والتقليد الشفهي (الذي سبق الانجيل المكتوب) والانجيل المقدس نفسه، كلّهم يسمّون يسوع المسيح "عمانوئيل" أي "إيل معنا"، وليس "عمّانويهوه" أي "يهوه معنا" (لا سمح الله...، لا سمح "إيل"...). ويسوع في مخاطبته لليهود استعمل "أبي" مقابل "أبوكم" للتمييز بين الأبوين. وقد قال صراحة إنه "ابن الله" وإن اباه هو الآب السماوي، وبالمقابل قال لليهود علانية أن اباكم هو "ابليس"... وتعبير "الآب" غير معروف في اليهودية كصفة للإله. وبالمقابل فهو شائع في اللاهوت الكنعاني. فـ "إيل" هو "أبو الخلائق"، ابو البشر "أب-أدم". وكلمة "أبّا" الآرامية التي نادى بها يسوع أباه السماوي لا ذكر لها ابداً في الصلوات اليهودية. ونصوص أوغاريت – راس شمرة – من حيث إنَّها أهم معطيات الديانة الكنعانية، تصف "إيل" بأنه الإله الآب، "أبو الخلائق"، ابو البشر "أب-أدم"... ومن أهم صفات "إيل" المحبة "ذو فؤاد" في الأصل؛ والرحمة (لطف بالكنعانية – ولقبه اللطفان)، والسلام ... وهو ايضاً أبو الآلهة وخالق البشر "بني بنوت". والتعبير الكنعاني "إيل قني أرص" أي إيل مكوّن الارض يتماثل وتعبير "عَلِيُّوْن" "الله العليّ" خالق السماوات والارض. و"عليّون" هو اسم الله كما ذكره الملك والكاهن الكنعاني الكبير ملكيصادق عندما التقى بابراهيم (راجع سفر التكوين 14: 17-24). وخلال بشارته كان يعلّم "كمن له سلطان"، فكان يقول لليهود: "سمعتم أنه قيل للأوّلين... أما أنا فأقول لكم..." (راجع متى 5: 20-48). وكان تعليمه جديداً يتناقض تماماً وتعاليم اليهود والأحبار والفريسيين والكتبة... وهذا ما يظهر بوضوح طوال سنوات تبشيره الثلاث. وفي العشاء الأخير، قبل آلامه وموته، أعلن يسوع نفسه كاهناً على طريقة ورتبة "ملكيصادق" الكاهن الكنعاني، فهو قد بارك الخبز والخمر مثلما فعل سلفه الكنعاني "ملكيصادق". والمعروف تماماً ان الذبيحة الكنعانية منذ أقدم العصور هي ذبيحة الخبز والخمر. أما ذبائح اليهود فكانت من البهائم: الثيران والعجول والابقار والغنم والمعز وغيرها (راجع سفر الأحبار الفصول 1، 2، 3). والغريب حقاً، ورغم كون ذبيحة الخبز والخمر التي قدمها يسوع في العشاء السرّي هي ذبيحة كنعانية مائة في المائة، أصلاً وفصلاً، فلا يُركّز ابداً على كونها "كنعانية"، ولا حتى من قبل المسيحيين أنفسهم حتى اليوم؟! لماذا؟ الجواب يكمن في قوة التأثير اليهودي الرهيب على عقول المسيحيين المتمثّل في العقل الباطني المسيحي الجماعي... الطقس كنعاني، والذبيحة كنعانية، والكاهن على رتبة ملكيصادق الكنعاني. فلا الطقس يهودي، ولا الذبيحة يهودية، ولا الكاهن يهودي على رتبة هارون. العشاء السري عشاء كنعاني وليس يهودياً، القربان الأقدس قربان كنعاني وليس يهودياً، وسرّ الافخارستيا – محور حياة الكنيسة المسيحيّة – سر كنعاني وليس يهودياً! وقد بلغ المسيح بكل ذلك الى الغاية والكمال. فحوّل الخبز

الى جسده والخمر الى دمه. وفعل ذلك لحياة البشر وخلاصهم أجمعين. يسوع المسيح الذي هو كاهن الى الأبد على رتبة ملكيصادق الكنعاني كما قال الكتاب المقدس بعهدَيه: القديم (راجع مزمور 110: 4) والجديد (راجع الرسالة الى العبرانيين الفصول 6، 7، 8)، بلغ بالديانة الكنعانية، والأسرار الكنعانية، والكهنوت الكنعاني والذبيحة الكنعانية الى الغايات القصوى والكمال. علماً بأن الديانة الكنعانية والحضارة الكنعانية والطقوس الكنعانية كانت في جوهرها وطبيعتها ورسالتها انسانية شاملة موحّدة كونية، تختصر وتوحّد وتكمل الديانات والحضارات والطقوس القديمة كلها في بوتقة انسانية حضارية واحدة بهدف الوصول الى الانسان العالمي او "عالمية الانسان...". يسوع المسيح هو، في الحقيقة، ابن هذه الروح الكنعانية الانسانية الشاملة، وقد بلغ بها، وبكل ما تمثل، الى الغاية، والكمال. "الأرض أعطت ثمرتها"، وهذه الثمرة هي يسوع المسيح نفسه. إنه ثمرة الأرض كلها، ثمرة التاريخ البشري كله. إنه الثمرة وانه المحور معاً. إنه البداية والنهاية وما بينهما. "أنا الألف والياء والأول والآخر والبدء والنهاية..." (سفر الرؤيا 22: 13). "إن يسوع المسيح هو كل شيء وفي كلّ شيء..." (كولوسّي 3: 11). فحاشا له، وألف حاشا، أن يكون جاء من شعب بدائي متأخر اشتهر بالتعصّب القبلي والقومي والاجتماعي والديني حتى التزمّت البغيض كالشعب اليهودي. لقد قال لليهود صراحة وعلناً وبالحرف الواحد: "إن أباكم هو إبليس..." (يوحنا 8: 44)! فكيف يكون هو من هذا الشعب؟!...

وفيما يخص ذبيحة الخبز والخمر الكنعانية، لا اليهودية، فقد جاء في انجيل متى (26: 26-30) ما يلي: "أخذ يسوع خبزاً وبارك ثم كسره وناوله تلاميذه قائلاً: خذوا فكلوا، هذا هو جسدي. ثم أخذ كأساً وشكر وناولهم إياها قائلاً: إشربوا منها كلّكم، فهذا هو دمي، دم العهد الجديد، يراق من أجل جماعة الناس لغفران الخطايا. أقول لكم: لن أشرب بعد الآن من عصير الكرمة هذا حتى ذلك اليوم الذي فيه أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي: ثم سبّحوا وخرجوا الى جبل الزيتون..." (راجع أيضاً مرقس 14: 22-26 لوقا 22: 7-20 يوحنا 6: 48-58 الاولى الى اهل كورنتس 11: 23-27 الخ...).

ويسوع أعلن نفسه ايضاً ملكاً، ليس ملكاً لليهود، بل ملكاً على "رتبة ملكيصادق" ايضاً، ملكاً نبياً، "ابن الانسان" وابن الله. ففي بداية رسالته، وبعد معجزة الخبز والسمكتين الشهيرة، أراد الناس أن يجعلوه ملكاً عليهم بحسب التقليد اليهودي، فرفض وابتعد عنهم. يقول يوحنا: "...فلما رأى الناس الآية التي أتى بها يسوع (معجزة الخبز والسمكتين)، قالوا: حقاً، هذا هو النبيّ الآتي الى العالم. وعلم يسوع أنهم يهمّون باختطافه ليقيموه ملكاً، فانصرف وعاد وحده الى الجبل..." (يوحنا 6: 14-15). ومع ان المسيح قال صراحة وعلناً إن مملكته ليست من هذا العالم (يوحنا 18: 36)، فان المسيحيين – طبعاً المتهوّدين – وحدهم، يصرّون "على إجلاس

يسوع على عرش ابيه داود..."، وذلك رغماً عن يسوع نفسه وعن داود وعن العرش، وايضاً رغماً عن التاريخ والحقيقة. رغماً عن كل شيء! غير ان يسوع بعد القبض عليه صرّح علانية امام بيلاطس أنه ملك. "فعاد بيلاطس الى دار الحكومة، ثم دعا يسوع وقال له: أأنت ملك اليهود؟ أجاب يسوع: أمن عندك تقول هذا أم قاله لك فيّ آخرون؟ أجاب بيلاطس: أتراني يهودياً؟ إن أمتك والأحبار أسلموك إليّ. ماذا فعلت؟ اجاب يسوع: ليست مملكتي من هذا العالم. ولو كانت مملكتي من هذا العالم لدافع عنّي حرسي لكي لا أسلم الى اليهود!! ولكن مملكتي ليست من ههنا. فقال له بيلاطس: إذن فأنت ملك! أجاب يسوع: هو ما تقول، فاني ملك. وأنا ما ولدت وأَتَيْتُ العالم الاّ لأشهد للحق. فكل من كان من الحق يصغي الى صوتي..." (يوحنا 18: 33-37). ثم مضى يسوع أبعد من ذلك فأعلن أمام مجلس اليهود انه "ابن الله".
"ولما طلع الصباح، احتشدت جماعة شيوخ الشعب من احبار وكتبة، فاستحضروه الى مجلسهم وقالوا: إن كنت المسيح فقل لنا! فقال لهم: لو قلت لكم لما صدّقتم، ولو سألتكم لما أجبتم. ولكن ابن الانسان سيجلس بعد اليوم عن يمين الله القدير. فقالوا جميعاً: أفأنت ابن الله اذاً؟ قال لهم: أنتم تقولون اني هو. فقالوا: ما حاجتنا بعد ذلك الى الشهادة؟ فقد سمعنا نحن بأنفسنا كلاماً من فمه" (لوقا 22: 66-71 راجع ايضاً متى 26: 57-67 مرقس 14: 53-56). وهكذا جمع يسوع المسيح في شخصه الخارق الملك والكاهن الأعظم. ملك فوق الملوك كما كان "ملكيصادق" بين جماعة الملوك الذين كانوا معه، فهو وحده من بينهم منح البركة. وكاهن أعظم لأنه قام بالطقس ، طقس الشكر بالخبز والخمر. وهو الطقس الذي أعاده يسوع المسيح، والذي تعيده المسيحيّة الى اليوم في كل قداس وعلى طريقة الكنعانيين بالذات (وليس على الطريقة اليهودية إطلاقاً).

وكما دعا ملاك الرب يسوع قبل مولده "عمّانوئيل" أي "إيل معنا" او "الله معنا" – و"إيل"ـ، كما هو معروف، إله الكنعانيين ("إيل معنا" وليس يهوه معنا...)، وكما دعاه العهد القديم (المزمور 110)، والعهد الجديد (الرسالة الى العبرانيين 6، 7، 8) "كاهناً الى الأبد على رتبة ملكيصادق" (الكاهن الكنعاني وليس على رتبة هارون الكاهن اليهوديّ...)، وكما قدّم يسوع ذبيحة الخبز والخمر الكنعانية، ختم حياته وهو معلّق على الصليب بصرخة معبّرة لا زالت تدوي الى اليوم: "إيلي إيلي لمّا شبقتاني" منادياً أباه السماويّ "إيل" الكنعاني وليس يهوه اليهودي – المترجمة بالعربية: "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟" (متى 27: 46 راجع ايضاً مرقس 15: 34 ومزمور 21ك 2). "إيل" كان من البداية الى النهاية، من الولادة الى الموت. أن يسوع المسيح هو كما يقول الانجيل: "عمّانوئيل" أي "إيل معنا". فمن له أذنان سامعتان فليسمَع!!!... لم يقل المسيح على الصليب: "يهوه، يهوه، لماذا تركتني"؟ بل قال: "إيلي، إيلي،

لماذا تركتني؟ مخاطباً "إيل" إله الكنعانيين، وليس "يهوه" إله اليهود. وهذا واضح للغاية!

وهكذا نفهم كيف ان المسيح صار، بالنسبة الى بولس والى كاتب الرسالة الى العبرانيين، كاهناً الى الأبد على رتبة "ملكيصادق". فجعل بذلك من المسيح وريثاً أبدياً للكهنوت الكنعاني، "وجعله وارثاً لكلّ شيء...". "ولو كان الكمال في الكهنوت اللاوي فأية حاجة بعده الى أن يظهر كاهن على رتبة ملكيصادق الكنعاني، ولماذا لم يقل على رتبة هارون الكاهن اليهودي؟ لأنه إذا تبدّل الكهنوت فلا بدّ من تبدّل الشريعة. ومما يزيد الأمر وضوحاً أن الذي قام كاهناً على رتبة "ملكيصادق" لم تقمه شريعة بشريّة، بل قوة حياة ليس لها زوال، لأن الشهادة التي أدّيت له هي: أنت كاهن الى الأبد على رتبة ملكيصادق... فانظروا ما أعظم هذا الذي أدّى له ابراهيم عشر خيار الغنائم مع انه رئيس الآباء..." من هنا فالكهنوت الموسوي لا يتصف بالكمال، فقد لزم تغيير الشريعة الموسوية بقيام "كاهن جديد" وعلى منوال "ملكيصادق" أيّ على النهج الكنعاني وليس على طريقة هارون... وهذا الكاهن الجديد هوالمسيح، الإله الإبن، الذي يقبل الموت ليكون الخلاص للبشرية جمعاء. "لأنه كان ينبغي له أن يذوق الموت بنعمة الله لخير كلّ انسان ..." (عبرانيين 2: 9). وتلك هي صورة الإله الكنعاني نفسه...، لا صورة "يهوه" اليهوديّ على الاطلاق! لأن صورة "يهوه" اليهودي"... الخ...

ومنذ إعلان يسوع كاهناً للأبد وعلى رتبة "ملكيصادق" فقد "نسخت الوصية السابقة لضعفها وقلّة فائدتها. لأن الشريعة لم تبلغ شيئاً الى الكمال... فاستبدل بها رجاء أفضل منها نتقرّب به الى الله..." (عبرانيين 7: 18-19). والديانة اليهودية أصبحت ظلاً للحقيقة وليست الحقيقة. الحقيقة هي يسوع المسيح وهو القائل "أنا هو الطريق والحق والحياة" (يوحنا 14: 6). "والشريعة اليهودية لا تشتمل الاّ على ظلّ الخيرات المستقبلة، لا على جوهر الحقائق، فهي عاجزة بتلك الذبائح التي لا تزال تقرّب كل سنة، أن تجعل الذين يتقرّبون بها كاملين... ودم الثيران والتيوس (الذبائح اليهودية) لا يستطيع ان يزيل الخطايا. لذلك قال المسيح عند دخوله العالم: لم تشأ ذبيحة ولا قرباناً، ولكنك أعددت لي جسداً. لم تقبل المحرقات ولا الذبائح كفارة للخطايا. فقلتُ حينئذٍ (وقد كان الكلام عليّ في طيّ الكتاب): هاءَنذا آتٍ، اللّهم، لأعمل بمشيئتك. فقد قال أولاً: ذبائح وقرابين ومحرقات وذبائح كفّارةً للخطايا لم تشأها ولم تقبلها (مع أنها تقرّب كما تقضي الشريعة). ثم قال: هاءَنذا آتٍ لأعمل بمشيئتك يا الله. فقد أبطل الأمر الأول ليقيم الأمر الآخر. فجاءَنا التقديس من فضل تلك الارادة، بالقربان الذي قرّب فيه يسوع جسده مرّة واحدة". (عبرانيين 10: 1-10).

لقد بات العهد الأول قديماً، "وكل شيء قدم وشاخ يصبح قريباً من الفناء... والمسيح أبطل الأمر الأول ليقيم الأمر الآخر". "واذا كان أحد في المسيح، فإنه خلق جديد. قد زال كل شيء قديم وها هوذا كل شيء جديد..." (2 قورنتس 5: 17).

لقد تكلّم يسوع عن نفسه كإله "خصب وحياة" فهو ماء حيّ يُروي وعيون متفجرة. "قال يسوع للمرأة السامرية: كل من يشرب من هذا الماء يعطش ثانية، وأمّا الذي يشرب من الماء الذي أعطيه إياه، فلن يعطش ابداً، بل الماء الذي أعطيه إياه يصير فيه عين ماء يتفجّر حياة أبدية..." (يوحنا 4: 13-14). وفي عيد المظالّ وقف يسوع ورفع صوته قال: "إن عطش أحد فليقبل اليّ، ومن آمن بي فليشرب. كما ورد في الكتاب ستجري من جوفه أنهار من الماء الحيّ..." (يوحنا 7: 37-38). وكان يشير الى الصلاة التي كانت تقام في عيد المظالّ لطلب مطر السماء وشكراً لله على معجزة الماء الذي فجّره موسى من الصخرة (خروج 17: 1-7). يسوع هو الذي يروي نفوس المؤمنين. ويسوع هو ايضاً خبز الحياة. جسده طعام حق ودمه شراب حق. والذي يأكل المسيح يحيا به. قال يسوع لليهود: "الحق الحق أقول لكم: أنا خبز الحياة. من يقبل اليّ فلن يجوع ومن يؤمن بي فلن يعطش أبداً... أنا الخبز الحيّ النازل من السماء. من يأكل من هذا الخبز يحي للأبد. والخبز الذي سأعطيه أنا هو جسدي أبذله ليحيا العالم. إذا لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فلن تكون فيكم الحياة... لأن جسدي طعام حق ودمي شراب حق... والذي يأكلني يحيا بي..." (يوحنا 6: 48-58). كما في الطقس الكنعاني تأكل الأرض جسد البعل وأدونيس المائت فتقوم مزهوّة بالحياة في فصل الربيع، كما تأكل "عنات" جسد اخيها "البعل" وتشرب دمه فتزداد قوة ونشاطاً... وكما كان البعل برق السماء ونورها في الليل هكذا فالمسيح هو نور العالم، "فيه كانت الحياة والحياة نور الناس والنور يشرق في الظلمات ولم تدركه الظلمات... الكلمة هو النور الحق الآتي الى العالم والمنير كلّ انسان..." (يوحنا 1: 4-5، 9). "وكلمهم ايضاً يسوع قال: أنا نور العالم، من يتبعني لا يمشي في الظلام بل يكون له نور الحياة..." (يوحنا 8: 12). وقال ايضاً: النور باق معكم وقتاً قليلاً، فامشوا ما دام لكم النور، لئلا يدرككم الظلام. لأن الذي يمشي في الظلام لا يدري الى أين يسير. آمنوا بالنور، ما دام لكم النور لتصيروا أبناء النور... جئت أنا الى العالم نوراً فكل من آمن بي لا يبقى في الظلام..." (يوحنا 12: 35-36، 46). وكما كان دوموزي – تمّوز هو الراعي، فالمسيح قال عن نفسه: "أنا الراعي الصالح، والراعي الصالح يبذل نفسه في سبيل الخراف... أعرف خرافي وخرافي تعرفني، وأبذل نفسي في سبيل الخراف... أنا باب الخراف فمن دخل منّي يخلص، يدخل ويخرج ويجد مرعًى... أنا الراعي الصالح... ولي خراف أخرى ليست من هذه الحظيرة. فتلك ايضاً لا بد لي أن أقودها وستصغي الى صوتي فيكون هناك رعية واحدة وراع واحد..." (يوحنا 10: 1-16). والحياة وجدت في المسيح: "فيه كانت

الحياة والحياة نور الناس..." (يوحنا 1: 3-4). لا بل المسيح هوالحياة فهو القائل: "أنا هوالطريق والحق والحياة" (يوحنا 14: 6). وهو يبذل حياته ليعطي الحياة الأبديّة للناس أجمعين . "وكما رفع موسى الحية في البريّة فكذلك يجب ان يرفع ابن الانسان لتكون به الحياة الابدية لكل من يؤمن. فان الله أحب العالم حتى إنه جاد بابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الابدية... من آمن بالابن فله الحياة الابدية. ومن لم يؤمن بالابن لا يرَ الحياة الابدية..." (يوحنا 3: 15-16، 36). "والحياة الابدية هي أن يعرفوك أنت الإله الحق وحدك ويعرفوا الذي ارسلته، يسوع المسيح" (يوحنا 16: 3 – راجع ايضاً في ما يخص يسوع والحياة : يوحنا 5: 21، 24، 40؛ 6: 33، 35، 40، 47-48، 54؛ 8: 51؛ 10: 20، 28؛ 17: 2-3؛ 20: 31 الخ...). المسيح هو الحياة التي تعطي ذاتها لكي يحيا بها الناس. وهو الامثولة الاولى للنبات الذي يُدْفَنُ في شقوق الارض لينمو ويتكاثر ويصير غذاءً للبشر. وهي الأمثولة الزراعية التي نشأ عنها اللاهوت الكنعاني: "إن حبة الحنطة ان لم تقع وتمت في الارض تبقى مفردة، وإن هي ماتت تأتي بثمار كثيرة..." (يوحنا 12: 24).

وهكذا فسوف تمضي الاحداث بالدراما البشرية الى نهايتها المصيرية فيحكم على الإله بالموت، ويموت موتاً فاجعاً، كما سبق: دوموزي وتموز ينزلان الى عالم الموتى، بعل يبتلعه "موت" أي الموت، وأدونيس يقتله خنزير برّي. وكل واحد من هؤلاء يعود ويقوم من الموت في فصل الربيع، فتعود الحياة من جديد الى الطبيعة والبشر. هذه كلها رموز وصور ومقدمات ليسوع المسيح الإله الحق الذي دفعه حبه الى الموت ليخلص الناس أجمعين ويجدّدهم ويعطيهم الحياة الابدية. وقد قال: "ما أتيت لأنقض بل لأكمّل...". جاء ليكمّل كل التاريخ البشري الذي سبقه. وما التاريخ كله الا مقدمة للمسيح أو امتداد له. "إنه البداية والنهاية"... "إنه الأف والياء". إنه المسيح الكونيّ والكونية صفة أساسية وملازمة له دوماً وابداً. وقد كمّل كل شيء كما قال هو شخصياً على الصليب قبيل موته: "لقد تمّ كل شيء" (يوحنا 19: 30). فمنذ بدء الخليقة الى آخر الأزمنة والدهور، كل شيء كان قبل يسوع المسيح هو رمز له وصورة وتمهيد، وكل شيء بعده هو امتداد له في الزمان والمكان. "إنه الألف والياء والأول والآخر والبدء والنهاية" (سفر الرؤيا 22: 13). وهو الذي "به كان كل شيء وبدونه لم يكن شيء مما كوّن..." (يوحنا 1: 32). وهو الذي "كل شيء خلق به وله. كان قبل كل شيء، وبه قوام كل شيء..." (قولسّي 1: 16-17). أجل! "المسيح هو كل شيء وفي كل شيء..." (قولسّي 3: 11) أليست كونية المسيح هذه واضحة كل الوضوح؟

ويسوع المسيح هو أيضاً، على غرار رموزه وصوره السابقة، مات موتاً فاجعاً – عرياناً مصلوباً بين لصّين. ونزل الى عالم الأموات، فبكاه محبّوه. ثم قام من الموت بعد

ثلاثة أيام فَفَرِحَ محبّوه بقيامته. وكان قد أنبأ تلاميذه قائلاً: "الحق الحق أقول لكم: ستبكون وتنتحبون، وأما العالم فيفرح. ستحزنون، ولكن حزنكم سينقلب فرحاً... أنتم تحزنون الآن، ولكني سأعود فأراكم فتفرح قلوبكم، وما من أحد يسلبكم هذا الفرح..." (يوحنا 16: 20-22). وكما بكت "إنانا" "دوموزي"، وعشتار تموز، وعنات بعل، وعشتروت أدونيس، هكذا بكيت النساء الجليليّات يسوع... "ووقف عن بعد (وقت الصلب) جميع أصدقائه والنسوة اللواتي تبعنه من الجليل، وكانوا ينظرون الى تلك الأمور" (لوقا 23: 49) "وهناك عند صليب يسوع وقفت أمه وأخت أمه مريم امرأة قلوبا ومريم المجدلية..." (يوحنا 19: 25). "ثم أنزل يوسف الرامي يسوع عن الصليب ولفّه في كتّان، ووضعه في قبر حفر في الصخر لم يكن قد وضع فيه احد... وكان النسوة اللواتي جئن من الجليل مع يسوع يتبعن يوسف (الرامي)، فابصرن القبر وكيف وضع فيه جثمانه. ثم رجعن وأعددن طيباً وحنوطاً، واسترحن راحة السبت على ما تقضي به الوصية. وعند فجر يوم الأحد جئن الىالقبر، وهن يحملن الطيب الذي أعددنه..." (لوقا 23: 53-56؛ 24: 1). "واذا زلزال شديد قد حدث. ذلك بأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء الى الحجر فدحرجه وجلس عليه. وقال الملاك للنسوة: لا تخفن أنتنّ. أنا أعلم أنكن تطلبن يسوع المصلوب. إنه ليس ههنا، فقد قام كما قال. أسرعن في الذهاب الى التلاميذ وقولوا لهم: إنه قام من بين الأموات. فتركت النسوة القبر مسرعات وهن في خوف وفرح عظيم، وأخبرن التلاميذ بأن يسوع قد قام من بين الأموات..." (متى 28: 1-8) اجل! المسيح قام، حقاً قام. وأقام الموتى المنتظرين، وجدّد الخليقة وأعاد خصب الروح وأعطى الحياة الابدية للناس اجمعين، وملك عل السماوات والأرض...

شريعة المسيح الجديدة

يقول بولس بالحرف الواحد: "لقد ألغى المسيح شريعة الوصايا وما فيها من أحكام ليخلق في شخصه انساناً جديداً..." (افسس 2: 15 – راجع ايضاً قولسّي 2: 14)!! والنسخة الجديدة، طبعة 1979، ص 750، الحاشية رقم 7، تقول بالحرف الواحد، معلّقة على هذا النصّ: "لقد ألغى المسيح الشريعة الموسوية التي كانت تفصل بين اليهود والوثنيين، وذلك بموته على الصليب." يسوع المسيح لم يكن يهودياً. فبالإضافة الى كونه لا ينتسب الى اليهود من حيث الذريّة والنسب والقرابة الدموية كما بينّا سابقاً بالتفصيل، فإن شريعته هي غير شريعتهم. شريعته جديدة: إلهية كونية شاملة روحية وخالدة، وشريعة اليهود قديمة زمنية جسدية قومية عنصرية زائلة. والبرهان الواضح على ذلك ما جاء في انجيل يوحنا في اكثر من موضع. قال يسوع مخاطباً اليهود: "لقد كتب في شريعتكم (وليس في شريعتنا): شهادة شاهدين تصحّ. أنا أشهد لنفسي والآب الذي أرسلني يشهد لي أيضاً. فقال له اليهود: أين ابوك؟ فأجاب يسوع: أنتم لا تعرفوني ولا تعرفون أبي، ولو عرفتموني لعرفتم أبي ايضاً..." (يوحنا 8: 17-19). وفي موضع آخر يقول المسيح مخاطباً اليهود: "ألم يكتب في شريعتكم... كذا... وكذا؟" (يوحنا 10: 34). وفي موضع آخر ايضاً يقول المسيح عن اليهود، متوجهاً الى تلاميذه: "...وما كان ذلك الاّ لتتمّ الآية المكتوبة في شريعتهم (ولم يقل في شريعتنا) وهي: "أبغضوني بلا سبب..." (يوحنا 15: 25). الملفت في نصوص يوحنا هذه ان المسيح يقول: "لقد كتب في شريعتكم... ألم يكتب في شريعتكم...؟ لتتمّ الآية المكتوبة في شريعتهم...". ولم يقل في شريعتنا! فلو كن المسيح حقاً يهودياً لكانت شريعته هي شريعة اليهود نفسها، ولكان قال: لقد كتب في شريعتنا... ألم يكتب في شريعتنا...؟ الآية المكتوبة في شريعتنا... هناك اذاً شريعتان: شريعة اليهود وشريعة المسيح. كلا! شريعة اليهود ليست شريعة المسيح. فالمسيح ليس يهودياً. وهم لم يعتبرونه يهودياً... وحدهم المسيحيون (المتهوّدون) يعتبرون المسيح يهودياً!؟ أما اليهود، فتارة يقولون عنه إنه جليليّ – من جليل الأمم (متى 26: 69-74؛ يوحنا 7: 52) وتارة أخرى يقولون إنه سامريّ وإن به مسّاً من الشيطان... (يوحنا 8: 48). وجاء في انجيل متى: "وأتَوه برجل ممسوس أعمى أخرس، فشفاه حتى إن الأخرس تكلّم وأبصر. فدهش الجموع كلّهم وقالوا: أتُرى هذا ابن داود؟ وسمع الفريسيون كلامهم فقالوا: ان هذا لا يطرد الشياطين الاّ ببعل زبول سيّد الشياطين..." (متى 12: 22-24). كان اليهود اذاً يعتبرون ان يسوع يتعاطى مع الشياطين... وانه لا يطرد الشياطين من المرضى الاّ بواسطة "بعل زبول" سيّد الشياطين... وهم لم يعترفوا به اطلاقاً أنه ابن داود...، أو أنه يهوديّ. والغريب حقاً ان المسيحيين وحدهم يعتقدون ان يسوع المسيح هو "ابن

داود" أي من ذرّيته وسلالته، مع كون اليهود أنفسهم، وهم أصحاب العلاقة، لا يعتبرونه أبداً "ابن داود" او من ذرّيته وسلالته... بل يعتبرونه تارة جليلياً وتارة سامرياً وتارة متعاوناً مع رئيس الشياطين...!! في الحقيقة، أليسَ في الأمر غرابة فظيعة؟

أجل! إن شريعة يسوع المسيح ليست شريعة اليهود. وهل أوضح وأبلغ من نصوص متى الشهيرة في هذا الموضوع بالذات: "سمعتم أنه قيل للأوَّلين: "لا تقتل، فإن من يقتل يستوجب حكم القضاء" (خروج 20: 13). اما أنا فأقول لكم: من غضب على أخيه استوجب حكم القضاء، ومن قال لأخيه: يا أحمق، استوجب حكم المجلس، ومن قال له: يا جاهل، استوجب نار جهنّم... سمعتم انه قيل: "لا تزنِ" (خروج 20: 14) أمّا أنا فأقول لكم: من نظر الى امرأة بشهوة، زنى بها في قلبه... وقد قيل: "من طلّق امرأته، فليعطها كتاب طلاق" (تثنية الاشتراع 24: 1). اما أنا فأقول لكم: من طلّق امرأته، الاّ في حال الفحشاء، عرّضها للزنى، ومن تزوّج مطلقة فقد زنى... سمعتم أنه قيل للأوَّلين: "لا تحنث، بل أَوفِ للربّ بأَيْمَانك" (سفر الخروج 20: 7 وسفر العدد 30: 3 وسفر تثنية الاشتراع 23: 22). أمّا أنا فأقول لكم: لا تحلفوا أبداً، لا بالسماء فهي عرش الله، ولا بالأرض فهي موطئ قدميه، ولا بأورشليم فهي مدينة الملك العظيم. ولا تحلف برأسك فأنت لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة منه بيضاء او سوداء. فليكن كلامكم: نعم نعم، ولا لا. فما زاد على ذلك كان من الشرّير... سمعتم انه قيل: "العين بالعين والسنّ بالسنّ" (سفر الخروج 21: 24). أما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشرير، بل من لطمك على خدّك الأيمن، فاعرض له الآخر. ومن أراد أن يحاكمك ليأخذ قميصك، فاترك له رداءك ايضاً ومن سخّرك ان تسير معه ميلاً واحداً، فسر معه ميلين. ومن سألك فأعطه، ومن استقرضك فلا تُعرض عنه... سمعتم أنه قيل: "أحبب قريبك وأبغض عدوّك" (سفر الأحبار 19: 18)! أمّا انا فأقول لكم: أحبّوا أعداءكم وصلّوا من أجل مضطهديكم، لتصيروا بني أبيكم الذي في السموات، لأنه يُطلع شمسه على الأشرار والأخيار، وينزل المطر على الأبرار والفجّار. فإن أحببتم من يحبّكم، فأي أجر لكم؟ أو ليس العشّارون يفعلون ذلك؟ وإن سلّمتم على إخوانكم وحدهم، فأي زيادة فعلتم؟ أوليسَ الوثنيون يفعلون ذلك؟ فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم السماوي كامل" (متى 5: 21-48). راجع ايضاً في هذه المواضيع بالتتالي: أفسس 4: 26 رسالة يعقوب 1: 19-20 متى 18: 8-9، 19: 9 مرقس 10: 11-12 لوقا 16: 18 الاولى الى قورنتس 7: 10-11 الثانية الى قورنتس 1: 17-19 لوقا 6: 20 رومة 12: 19 لوقا 6: 30، 27: 36؛ 23: 34 أعمال الرسل 7: 60 رسالة بطرس الأولى 1: 16 رسالة يعقوب 1: 4 الخ... يقول ترتليانس، أحد كبار آباء الكنيسة الأولين: "إن الشريعة، بالنسبة الينا نحن المسيحيين، هي الانجيل" (إرشادات – 8).

وفي الدراسات الحديثة عن حياة المسيح وشريعته الفريدة تركّز الآراء على الجديد والشامل في طبيعة هذه الشريعة – شريعة الحريّة والمحبة. انها منعطف كبير وخطير في تاريخ البشرية والثقافات والأديان. وقد قلبت رأساً على عقب شريعة موسى وكل الشرائع القديمة. حرّرت الانسان من الخوف والدنس وعقدة الذنب والتكفير والتطهير... أزالت الحواجز بين المقدّس والمدنّس، بين الديني والمدني، بين الداخل والخارج. وحّدت الرؤية الخارجية والرؤيا الداخلية للانسان، وبلغت بالانسانية الى النضج الداخلي والى المصالحة، بالتالي، بين الانسان وذاته، بين الانسان والانسان، بين الانسان والطبيعة، وبين الانسان والله. وفرادتها التامة تقوم بكونها وحّدت، في شخص المسيح نفسه، بين الله والانسان: "والكلمة صار جسداً وحلّ فينا" (يوحنا 1: 14). ووحّدت جميع الناس في شخص السيد المسيح: "فلم يبقَ من بعد يهوديّ أو يونانيّ، عبد أو حرّ، ذكر أو أنثى، لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع" (غلاطية 3: 28، راجع ايضاً 1 قورنتس 12: 13، قولسي 3: 11، افسس 4: 4-6). ووحّدت الكون كلّه في شخص السيد المسيح: "المسيح هو كل شيء وفي كل شيء" (قولسّي 3: 11)! انه عالم جديد مختلف تماماً عن العالم القديم. وشريعته مختلفة تماماً عن شريعة العالم القديم، وبنوع خاص عن شريعة اليهود القديمة. إنه العهد الجديد. إنه الخلق الجديد... "إذا كان أحد في المسيح، فإنه خلق جديد. قد زال كل شيء قديم وها هوذا كلّ شيء جديد" (2 قورنتس 5: 17 – راجع ايضاً غلاطية 6: 15 وقولوسّي 3: 10). وفيما يخصّ هذه المواضيع (شريعة اليهود وشريعة المسيح)، راجع من الدراسات الحديثة، وعلى سبيل المثال:

-Heinz Zahrnt "Jésus de Nazareth, une Vie", Traduit de l'allemand, Seuil, 1996, p.p. 148-150.

-Jacques Duquesne "Le Dieu de Jésus", Grasset, 1997, p.p. 116, 231 et la Note N°5.

وفي ختام حديثنا عن شريعة المسيح الجديدة، وعن علاقتها بشريعة اليهود القديمة – التي زالت بعد المسيح – لا نجد اوضح وأدق من كلام القديس بولس الرسول الذي يقول: "وإنّا نعلم أن كل ما تقوله الشريعة إنما تقوله للّذين هم في حكم الشريعة، لكي يفحم كلّ لسان ويجري حكم الله على العالم بأسره، فلا يُبرّ بشر لديه إذا عمل بأحكام الشريعة، فما الشريعة الاّ سبيل الى معرفة الخطيئة... اما الآن فقد ظهر برّ الله بمعزل عن الشريعة، تشهد له الشريعة والأنبياء، وهو برّ الله وطريقه الايمان بيسوع المسيح، لكل من آمن به، لا فرق. ذلك بأن جميع الناس قد خطئوا فحرموا مجد الله، ولكنهم نالوا البرّ مجاناً بنعمته، ويعود الفضل الى الفداء الذي قام به يسوع المسيح، وجعله الله كفّارة في دمه بالايمان ليظهر ما هو برّه. فقد

أغضى بحلمه عن الخطايا الماضية. ويُظهر برّه في الزمن الحاضر ليكون برّاً ويبرّ من يحيا بالايمان بيسوع المسيح... ونحن نرى أن الانسان ينال البرّ بالايمان المنفصل عن العمل بأحكام الشريعة..."! (رومة 3: 19-28). ويقول بولس، في الموضوع نفسه، في رسالته الى اهل غلاطية (3: 10-14، 19-29): "إن دعاة العمل بأحكام الشريعة قد لعنوا جميعاً، فقد ورد في الكتاب: ملعون من لا يثابر على العمل بجميع ما كتب في سفر الشريعة. أما ان الشريعة لا تبرّ أحداً عند الله فذاك أمر واضح، لأن البارّ بالايمان يحيا، على حين ان الشريعة لا ترجع بأصلها الى الايمان، بل من عمل بهذه الوصايا يحيا بها. فالمسيح قد افتدانا من لعنة الشريعة إذ صار هو لعنة لأجلنا، فقد ورد في الكتاب: "ملعون من علّق على خشبة". ذلك كيما نصير الى الوثنيين بركة ابراهيم في المسيح يسوع فننال بالايمان الروح الموعود به... فما معنى الشريعة؟ إنها أضيفت بداعي المعاصي الى ان ياتي الغسل الذي جعل له الموعد... لأنه لو أعطيت شريعة بوسعها أن تحيي، لصحّ أن البرّ يحصل عليه بالشريعة. ولكن الكتاب أغلق على كل شيء وجعله في حكم الخطيئة ليوهب الوعد للمؤمنين لإيمانهم بيسوع المسيح. فقبل أن يأتي الايمان، كان مغلقاً علينا بحراسة الشريعة الى أن يتجلّى الايمان المنتظر. فالشريعة كانت مؤدباً لنا الى مجيء المسيح لننال البرّ بالإيمان. فلما جاء الايمان، لم نبق في حراسة المؤدّب، لأنكم جميعاً ابناء الله بالايمان بالمسيح يسوع. فإنكم، وقد اعتمدتم جميعاً في المسيح، قد لبستم المسيح: فلم يبقَ من بعد يهوديّ او يونانيّ، عبد أو حرّ، ذكر أو أنثى، لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع. فإذا كنتم للمسيح فأنتم اذاً نسل ابراهيم وأنتم الورثة على ما قضى الوعد...". فهل أوضح وأصرح وأصدق من هذا الكلام؟!

والمسيح نفسه، عندما خاطب اليهود قائلاً: "إن ههنا أعظم من الهيكل..." (متى 12: 6)، ويقصد انه هو شخصياً أعظم من الهيكل، لم يترك بتاتاً أي مجال لعلاقة بينه وبين اليهود. وفي الفترة الأخيرة، نشرت دراسات وأبحاث نقدية كثيرة حول حياة المسيح ونسَبه وأقواله وأعماله، وحول نشأة المسيحية... وبعض هذه الدراسات التاريخية النقدية أخذت تشكك كثيراً "بيهودية" يسوع المسيح. وحدهم المسيحيون – المتهوّدون طبعاً – لا يزالون يصرّون (؟!) على كون المسيح من ذريّة دواد وسلالته... واليهود أنفسهم، أصحاب العلاقة، يسمّون المسيح تارة "جليليّ" – بالمعنى الحصري للكلمة، وتارة "سامريّ"، وتارة "بعل زبول" أو "بعل زبوب"، وتارة "أركون الشياطين"... الخ. وفي التلمود، يقول اليهود، بكل وقاحة، وبشكل واضح وصريح، ان يسوع المسيح هو ابن غير شرعي جاء من علاقة جسدية بين جنديّ روماني يدعى جوزيف بانديرا وبين عاهرة تدعى مريم!! فهل يمكن للتاريخ البشري أن يسجل مثل هذه الوقاحة؟ والأغرب من كل ذلك، ان المسيحيين، إمّا لا يعرفون

هذا الأمر، وهذه جهالة فظيعة، وإمّا يعرفون ويسكتون، وهذا منتهى الضعف والجبن، ان لم نقل اكثر من ذلك بكثير...

أما نحن فنقول، كل ما تقوله أمنا الكنيسة الكاثوليكية في المسيح، حرفاً وروحاً. إنه الإله – الابن المتجسّد... الخ. ولكن من الناحية البشرية التاريخية والجغرافية، فإن يسوع المسيح ليس يهودياً البتّة، بل هو كنعاني ابن كنعاني وكنعانية!

ومن الواضح جداً أن اليهود انفسهم، وخاصة الفريسيّين والأحبار وكبار الكهنة، كانوا يعتبرون ان المسيح يفتن الشعب، يبدّل شريعة موسى وينقضها: "وجدنا هذا الرجل يفتن أمتنا... انه يثير الشعب بتعليمه في اليهودية كلها، من الجليل الى ههنا..." (لوقا 23: 1، 5). واثناء محاكمة اسطفانوس أول الشهداء، كان اليهود يقولون فيه: "هذا الرجل لا يكفّ عن التعرّض بكلامه لهذا المكان المقدّس وللشريعة. فقد سمعناه يقول إن يسوع ذاك الناصريّ سينقض هذا المكان، ويبدّل ما أورثنا موسى من سنن وشرائع..." (أعمال الرسل 6: 13-14). وبولس الرسول نفسه، الذي فهم المسيح وتعاليمه حق الفهم، كان اليهود يتهمونه بأنه يبدّل شريعة موسى وينقضها (راجع اعمال الرسل 15: 1، 5؛ 21: 21، 28؛ 25: 8؛ 28: 17). وبالإضافة الى كل ذلك، فان تلمود اليهود نفسه، فيما بعد، يقول بوضوح تام، وبالحرف الواحد، ان يسوع "ذاك الناصريّ"، كان يفتن الشعب ويبدّل شريعة موسى وينقضها... (راجع تلمود اورشليم، سنهيدرين 14: 6؛ وتلمود بابل، سنهديدرين 43: 1، 67: 1).

يسوع والمرأة الكنعانية (متى 15: 21-28 مرقس 7: 24-31)
(شفاء ابنة امرأة كنعانية)

نشير الى أننا نستند، في تفسير هذا النصّ الإنجيليّ الى الشارحَين الكاثوليكيَين الكبيرَين ب. بنوا وم. أ. بوامار، الاستاذَين في "المدرسة البيبليّة في أورشليم"، في كتابهما الموسوعيّ الشهير، باللغة الفرنسية:
("Synopse des quatre Evangiles" – Tome II; deuxième édition; Les Editions du Cerf, 1972, p.p. 235-236; Note 156 – Guérison de la fille d'une cananéenne, I, II, III).

أولاً- يجدر بنا ان نعرض نص "شفاء ابنة المراة الكنعانية"، كما جاء بالحرف الواحد في متى 15: 21-28، وذلك زيادة في التبسيط والتوضيح والدقة والموضوعية، وتسهيلاً للمراجعة والتحليل:

"ثم خرج يسوع من هناك وذهب الى نواحي صور وصيدا. وإذا امراة كنعانية خارجة من تلك البلاد تصيح: رحماك، يا رب! يا ابن داود، ان ابنتي يتخبّطها الشيطان تخبّطاً شديداً. فلم يجبها بكلمة. فدنا تلاميذه يتوسلون اليه فقالوا: إصرفها، فإنها تتبعنا بصياحها. فأجاب: لم أرسل الاّ الى الخراف الضالّة من آل اسرائيل. ولكنها جاءت فسجدت له وقالت: أغثني يا رب! فأجابها: لا يحسن أن يؤخذ خبر البنين فيلقى الى صغار الكلاب. فقالت نعم، يا رب! فصغار الكلاب نفسها تأكل من الفتات الذي يتساقط عن موائد اصحابها. فأجابها يسوع: <u>ما أعظم إيمانك أيتها المرأة</u>، فليكن لك ما تريدين، فشفيت ابنتها في تلك الساعة".

ثانياً- حادثة الشفاء هذه وردت فقط في انجيلي متى ومرقس. والمكان الذي جرت فيه أرض فينيقية في الشمال الغربي من الجليل – "جليل الأمم" – في ارض "وثنية"... وهناك شبه وعلاقة بين هذه الحادثة وبين حادثة شفاء عبد قائد المائة (متى 8: 5-13 لوقا 7: 1-10). ولعل مصدرهما واحد، وقد يكون "مجموعة الأعاجيب" التي صنعها يسوع...

ثالثاً- هناك عبارات وجمل قصيرة زيدت على النص الأصلي بيد نسّاخ مرقس اولاً ثم بيد نسّاخ متى، لأن هؤلاء تأثروا بأولئك، على ما اثبت كبار الباحثين المعاصرين. وهذه الزيادات القصيرة على النص الأصلي هي التالية (راجع النص): "ثم خرج يسوع من هناك وذهب الى..."، "(امراة كنعانية) خارجة من تلك البلاد..."؛ "ولكنّها جاءت فسجدت له وقالت... (زيادة وتكرار)"؛ "رحماك يا ربّ! يا ابن داود... (زيادة من نسّاخ

متى المتهوّدين...)"؛ "فشفيت ابنتها في تلك الساعة... (زيادة مألوفة عند جميع النسّاخ...).

رابعاً- إن الحوار بكامله بين المسيح والمرأة الكنعانية هو إضافة وزيادة على النصّ الأصلي (هكذا!). هذا ما يؤكده بوضوح، وبالحرف الواحد، الشارحان الكاثوليكيان الكبيران ب. بنوا وم.أ. بوامار في كتابهما الشهير الآنف الذكر (صفحة 236، المقطع الثالث، العمود الأول). وهما يقولان إن النصّ الأصلي الأول الذي انطلق منه نسّاخ مرقس ثم نسّاخ متى، لم يكن يحوي الحوار بين المسيح والمرأة الكنعانية، بل كان على الشكل التالي:

"إمراة كنعانية، كان الشيطان يتخبّط ابنتها، سمعت أن يسوع قادم الى المنطقة حيث تقيم (نواحي صور وصيدا)، جاءت فسجدت له وطلبت اليه متوسلة ان يخرج الشيطان من ابنتها. فأجابها يسوع: ما أعظم ايمانك ايتها المرأة! ليكن لك ما تريدين. إن الشيطان قد خرج من ابنتك. فعادت الى بيتها ووجدت ان الشيطان قد خرج من ابنتها".

إن أهمية النص الأصلي، تكمن بالدرجة الأولى، في إبراز قوة السيّد المسيح القادرة على شفاء المرضى عن بعد، بواسطة الكلمة وحدها، كما في حادثة شفاء عبد قائد المائة. كما ان التركيز على"الخبز"، من جهة ثانية – بعد الاضافة – يرمز الى اشتراك الوثنيين بالعشاء الافخارستي، لأن المسيح يدعو الناس أجمعين الى الخلاص: فإن الوثنيين يأكلون ايضاً من "فتات" خبز "البنين"...

أمّا ما يهمنا، بنوع خاص، في هذا النصّ الانجيلي فهو القول بأن الحوار بين المسيح والمرأة الكنعانية هو زيادة واضافة من قبل نسّاخ متى المتأخرين. هؤلاء النسّاخ كانوا من المسيحيين المتهوّدين، يكرهون، كاليهود تماماً، الكنعانيّين بنوع خاص و"الأمم" بشكل عام. وكرههم التاريخي هذا للكنعانييّن جعلهم يزيدون على النص الأصلي هذه العبارات التي تحقر الكنعانيين. والأنكى من كل ذلك انهم جعلوا هذه العبارات تخرج من فم المسيح نفسه: "لا يحسن ان يؤخذ خبز البنين فيلقى الى صغار الكلاب... فقالت: نعم، يا ربّ! فصغار الكلاب نفسها تأكل من الفتات الذي يتساقط عن موائد أصحابها..." المهم أن المسيح لم يقل هذا الكلام عن الكنعانيين! حاشا له أن يقول مثل هذا الكلام المحقر عن الكنعانيين أو عن غيرهم... اذاً هذا الكلام المحقّر صدر عن نسّاخ متى المتأخرين الذين كانوا عنصريّين ومتعصبين كاليهود. والمؤسف كثيراً، ان مثل هذه الزيادات والاضافات من قبل نسّاخ كهؤلاء، ظل يؤثر ويتفاعل لدى كثير من المسيحيين طوال الفي سنة!

مرة واحدة فقط كان كلام المسيح جارحاً جداً، ولكن محقاً جداً، عندما قال لليهود – نعم لليهود وليس للكنعانيين – "إن اباكم هو إبليس..."!... (يوحنا 8: 44).

ومتى نفسه عندما يذكر أسلاف المسيح ليصعد بنسبه الى داود (متى 1: 1-17)، فإنه في ذكره ليهوذا الذي من ذريّته يجيء المسيح حسب التقاليد اليهودية، يقول أن يهوذا ولد فارص وزارح من تامار وهي كنته وليست زوجته الشرعية! ويتناسى متى أولاد يهوذا من زوجته الشرعية الكنعانية ابنة يشوع الكنعاني. ويمضي لوقا في الاتجاه نفسه ولا يأتي على ذكر أولاد يهوذا الشرعيّين ومن الزوجة الشرعية. ومن الغرابة حقاً ان يذكر الراوي، وهو يعتقد أنه يقص الوقائع التاريخية (!؟)، الأولاد غير الشرعيين أو "أولاد الزنى" لأن تامار احتالت على حميها يهوذا حتى يضاجعها وتلد منه، ولا يذكر الأولاد الشرعيين ومن الزوجة الشرعية لأنها كانت كنعانية!؟

ويهوذا نفسه، وهو أحد آباء الاسباط، كان على صراع دائم مع القبائل العبرية الأخرى، فافترق عنهم كما نعلم من سفر التكوين، وسكن مع الكنعانيين وتزوج منهم وتحالف ضد اليهود...! ونجد دائماً في نفس السياق، ان غضب "يهوه" يحلّ على عيسو أخي يعقوب أيضاً لأنه تزوج من نساء كنعانيّات، فيحرم من الارث ويفقد حق البكورة...

ولنتبع الحكاية كما يقصّها سفر التكوين (الفصل 38 بكامله). "وكان في ذلك الزمان أن يهوذا نزل من عند إخوته ومال الى رجل عدلاّمي اسمه حيرة. ورأى يهوذا هناك بنت رجل كنعاني اسمه يشوع، فتزوّجها ودخل عليها. فحملت وولدت ابناً فسمّاه عيراً. ثم حملت أيضاً وولدت ابناً فسمّته أونان. وعادت ايضاً فولدت ابناً وسمّته شيلة...". ويتزوّج عيرا من تامار، غير أنه يموت بعد زواجه منها لأن الرب "يهوه" لم يكن راضياً عنه. فيتزوّج أخوه أونان من زوجة أخيه، حسب العادات، غير أنه لن يكون له نسل. ويغضب عليه الرب فيميته. وكان على تامار انتظار ان يبلغ الأخ الثالث مبلغ الرجولة. غير انها لم تطق صبراً فاحتالت على حميها يهوذا وتنكّرت فضاجعها دون أن يعرف أنها كنته فحبلت منه وولدت له فارص وزارح. ومن نسل فارص يأتي داود... ومن نسل داود يأتي المسيح حسب المعتقدات اليهودية... أما لماذا توجب أن يموت أولاد يهوذا من زوجته الكنعانية، فالقصة التوراتية تعزو موتهم الى "غضب يهوه"... أما ما هي أسباب هذا الغضب، فالجواب هو الصمت. غير ان سفر ملاخي يوضح الأمور بعض الشيء إذ يقول: "غدر يهوذا وعمل الرجس في اسرائيل وفي اورشليم لأن يهوذا قد نجّس قدس الرب الذي أحبه وتزوّج بنت إله غريب" (ملاخي 2: 11)... ويميل أكثر المفسّرين اليوم الى الاعتقاد بأن سبب موت ولديّ يهوذا بعد زواجهما من تامار هو أن يعقوب جدّهما طلب من ربّه أن لا يترك زرع كنعان الذي لعنه نوح (كما يدّعي اليهود) يختلط مع نسله، لأن ولدي يهوذا اللذين تزوّجا تامار اليهودية كانا من زوجته الكنعانية. (لا مجال هنا للحديث عن لعنة نوح لكنعان، فهذا يتطلب بحثاً مستفيضاً. نكتفي هنا بالقول ان اليهود حاولوا ان ينزعوا

عنهم اللعنة الالهية كونهم "أبناء ابليس" منذ البداية، ويلصقوها على أعدائهم الكنعانيّين الأكثر حضارة منهم. وقد نجحوا في محاولتهم هذه وغسلوا أدمغة البشر من خلال توراتهم... غير أن الحقيقة لا بد أن تظهر. وقد بدأت تظهر وسوف تسطع في المستقبل... والغريب حقاً ان النص التوراتي الذي هو في أصل لعنة نوح لكنعان، مبنيّ على مغالطة تاريخية فاضحة. يقول النصّ: "وشرب نوح الخمر فسكر وتكشّف في داخل خيمته فرأى حام (وهو أبو كنعان) عورة أبيه. فلما أفاق نوح وعلم ما صنع ابنه الصغير أي حام قال: ملعون كنعان..."! (سفر التكوين 9: 21-25). ولا نفهم لماذا يلعن نوح "كنعان" ابن حام، الذي لم يكن قد ولد بعد؟!...).

وإذا عدنا الى قضية يهوذا وزواجه من كنعانية، يتبين بوضوح أن اختلاط الدم قد حصل في سلالة يهوذا منذ البداية. فيهوذا آرامي من جهة أمه، وتزوّج من امرأة كنعانية، وداود الآتي من صلبه عن طريق غير شرعي هو مؤابي من ناحية جدّة أمه راعوت. فداود هو ابن يسّى ولد عوبيد ولد بوعز زوج راعوت المؤابية (سفر راعوت 4: 13؛ 18-21). كل هذا بحسب سلاسل النسَب اليهودية. والنبؤة عن مجيء المسيح مأخوذة من أشعيا: "ويخرج غصن من جذع يسّى، وينمي فرع من أصوله، ويحلّ عليه روح الرب..." (سفر اشعيا 11: 1-2).

فإذا صدّقنا كل ما تقدّم، يكون يسوع المسيح – من الناحية المحض تاريخية – مزيجاً آرامياً – كنعانياً – مؤابياً، وليس من نسل يهودي!!!

أما في إطار الحضارة الكنعانية، واللاهوت الكنعاني بنوع خاص، فان يسوع المسيح يظهر بكل توهّجه الانساني الشامل الكامل الكونيّ، فوق كل عنصرية وقومية وتعصب، بعيداً عن الأفكار المسبقة والطمس والتحريف والتزوير... الذي مارسه اليهود والمسيحيون المتهوّدون منذ أكثر من ألفي سنة!

يقوم جوهر المسيحية، كما هو معروف، على أن الله هو حبّ، ثالوث، وأب للبشر، وعلى تجسّد الله الابن وقبوله أن يتألم ويموت من أجل خلاص البشر، أجمعين، وذلك اعلاناً لمحبته لهم. والإله المتجسّد يهب البشر جسده فيأكلونه ويعطيهم دمه فيشربونه فيتّحدون به بفعل هذه المشاركة. ونجد هنا، على عكس اليهودية، قلباً للمفاهيم كلّها. فليس البشر هم الذين يضحّون لله، بل الله هو الذي يضحّي بنفسه من اجلهم، "لأنه ليس حبّ أعظم من هذا: وهو أن يبذل الانسان نفسه عن أحبّائه..." (يوحنا 15: 13).

وهذه التضحية الالهية، أي قبول الإله الموت من أجل خلاص الجنس البشري الذي أحبه كثيراً، هي صلب الديانة الكنعانية وجوهر اللاهوت الكنعاني – لاهوت "الإله الميت" – كما سوف نرى.

من أهم خصائص "الإله الميت"، الإله الكنعاني المضحّي والفادي، أنه إله شاب وأنه ليس إلهاً يصنع أو يخلق العالم، بل إله يحفظ وينظّم العالم ويعيش في قلب

الخليقة. فهو بالتالي ليس إلهاً متعالياً بل إله إنساني، يمتلك القوة ويختبر في الوقت نفسه لحظات الضعف. إنه ابن الانسان وابن الله في آن واحد.

ولقد كان يسوع المسيح إلهاً من هذا النمط. وهذا ما أنكره فيه الاحبار وعلماء الشريعة اليهود. إنهم رأوا فيه صورة "البعل" الكنعاني الذي طالما حاربه آباؤهم وأجدادهم...

وممّا يثير الانتباه أنه رغم شهرة الكنعانيّين في مجال الملاحة البحريّة وفي التجارة وسائر النواحي الحضاريّة، فإن ديانتهم وطقوس عبادتهم ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالأرض، وتدل على قوم استقرّوا وعملوا في الزراعة طويلاً. كانت آلهتهم تهتم بالفلاحة وانتاج الحبوب وانضاج الثمار. كانت آلهة غير متعالية وليست غيبيّة. فالإله الأكبر الخالق "إيل" يقطن عند مصبّ الأنهار، والبعل يقيم في جبل "صافون" في الشمال. ويعني ذلك أنهم أرباب يسكنون الأرض وبقرب البشر...

والديانة الكنعانية كما تبيّنها النصوص الشعرية الدينيّة التي وجدت في الثلث الأول من هذا القرن في "أوغاريت – رأس شمرة" المدينة الكنعانية القديمة على الساحل السوري اليوم قرب اللاذقية، هي ديانة حضارية متطورة عريقة في القدم، تمتاز بوحدانية الإله الأول "إيل"، الإله الكوني، وتركّز على الخصب والقوى الكونية وعناصر الطبيعة عن طريق إله – هو في الحقيقة قوة من قوى الإله الكوني الواحد – يتسلّط عليها ليتم تنظيم دورة الفصول الطبيعية. إن كلّ ما في الطبيعة حيٌّ، بنظر الديانة الكنعانية. والصراع بين عناصر الخصب وعناصر القحط دائم وموسميّ ممّا يدل على فهم رائد وعميق لطبيعة التغيّر والتبدّل في الطبيعة والحياة، وهو أمر يجعل من الكنعانيين أصحاب أول نظرة جدلية شبه علميّة في التاريخ. والصراع السالف الذكر يتمثّل في القتال الدوري بين البعل "حَدَدْ" إله المطر و"مُوْتْ" إله الجفاف. وعندما تكون الغلبة للإله "مُوْتْ"، ويتحتّم على "بَعْلْ" النزول الى الجحيم مثله في ذلك مثل اشباهه الشرقيين: "دوموزي" و"تموز" و"أدونيس"، يحلّ القحط لانقطاع المطر في غيابه وتهدّد المجاعة الناس ويخيّم على الأرض شبح الكارثة وتبدو نهاية العالم على وشك الحدوث. غير أن "البعل" لا يلبث ان يبعث ويقوم من الموت. وتلعب الربّة العذراء البتول "عنات" دوراً أساسياً في هذه القيامة ويعود اليها في الحقيقة فضل مصرع "مُوْتْ" وتحرير "البعل". وهي تماثل في ذلك "إنانا" السومرية "وعشتار" البابليّة و"إيزيس" المصرية. وبعودة "الإله الميت" "البعل-حدد" الى الحياة، ينهمر المطر وتعود القوى الإخصابية الى النشاط، فتتجدّد دورة الطبيعة وعندئذ: "تمطر السماوات سمناً وتسيل السواقي عسلاً..."، بحسب نصوص ملحمة "البعل وعنات" الكنعانية في أوغاريت – راس شمرة. ويحتفل بجلوس "البعل" على عرشه في مرتفعات جبل "صافون" – الشمال. وليس هذا حفظاً للخصب وحسب، بل ارتقاءً الى الرغد المادي والاجتماعي والروحي... وهذا يعني غلبة قوى الحياة على قوى

الموت، أو بمعنى أخلاقي غلبة الخير على الشرّ. ويعبّر عن هذا الصراع في شكل فنّي جمالي هو الشعر! (الشعر الكنعاني الشهير...).

ويقول المؤرّخ فيليب حتّي إن ملحمة "البعل وعنات" الكنعانية كانت تُمثّل كمسرحية على الساحل الكنعاني – الفينيقي قبل أن يفكر اليونان بالمسرحية بعدة قرون! وهكذا يكون الكنعانيون قد سبقوا اليونان الذي يعتبرون عادة منشئي التمثيل المسرحي. وقد قال برأي مماثل العالم "كاستر"، مضيفاً ان الممثلين كانوا يغطّون وجوههم بالأقنعة التي تمثّل شخصيات الأرباب ابطال الملحمة الشعرية، وقد أيّد "دوسّو" وهو من المختصين، هذا الرأي. واسلوب التكرار السائد في صلب النصوص وعلى نحو مسرحي يشير الى قراءة جهوريّة موجّهة الى الجمهور. فقد وجدت في أحد الألواح جملة اعتراضية أتت بين سطرين كتعليمات الى القارئ أو الممثّل لرفع صوته أو خفضه في مقاطع معينة من النص... الخ...

نستنتج من ذلك ان قراءة النص المقدس كانت احتفالية وبمشاركة الجمهور، والهدف منها اعادة إحياء مآثر "البعل" وأثرها في حياة البشر والطبيعة، أي أننا هنا إزاء نمط قديم من أنماط القداس المسيحي...

"والبعل" هو إله المطر فهو يلعب دوراً حيوياً وأساسياً في حياة البشر وخصوصاً في المجتمعات الزراعية المستقرة وكان بالنسبة الى الكنعانيّين الإله الأكثر شعبية، وقد استمرت عبادته الى اليوم...

إنه، كما سبق، "الإله الميت"، أي الإله الذي يموت ويبعث دورياً أي يقوم من الموت حتى تتجدد دورة الحياة بتجدّد الخصب ويتزامن موته او هبوطه الى عالم الموتى "الجحيم" مع حصول الصيف وانقطاع المطر وحدوث الجفاف. أما عودة الامطار الى السقوط وتجدد الخصوبة في الحقول ونمو النبات وتكاثر البهائم فعلامة على قيامة الرب من بين الأموات وصعوده من "الجحيم"...

وتعني لفظة "بعل": السيّد، وهي لقب الإله وليست اسمه. فهو سيّد الأرض وسيد الندى ويقيم في جبل "صافون" أي الشمال. أما اسمه الشخصي فهو "حَدَدْ" أي الواحد، الأحد. وقد سمّاه الآراميون والسريان "أدون" أي "السيّد"، وهي ترجمة آرامية لكلمة بعل الكنعانية، والكثير من ملوكهم حمل اسمه كـ "بار حَدَدْ" أي "ابن حَدَدْ" ملك دمشق و"عزر حَدَدْ" أي "عون حَدَدْ" ملك صوبا في البقاع اللبناني الخ... وقد استعار الاغريق هذا الإله من كنعان – فينيقية وأطلقوا عليه اسم "أدونيس". وهذا الاسم، كما هو واضح، مأخوذ من "أدوني" الآرامية التي تعني، بعد أن لحقتها ياء النسبة، "سيّدي" او "ربّي". وحرف السين لاحقة يونانية معروفة. ويقول "موسكاتي" في كتابه الشهير "ملحمة الفينيقيّين"، وفي معرض حديثه عن "اسطورة ادونيس": "إن الاسطورة في قالبها الإغريقيّ تنطبق تماماً على اسطورة "دوموزي – تمّوز" البابلي – الاشوريّ وتماثل ايضاً أسطورة "البعل" في نصوص

اوغاريت الكنعانية...". وكان للبعل اسم محليّ آخر هو "النعمان" وهذه مفردة كنعانية من الجذر "نَعَمْ" وتعني "الجميل"، وبقيت الى اليوم في "شقائق النعمان" ذات اللون الأحمر الذي يرمز الى دماء الإله. وكان الحثيّون يطلقون على بعل اسم "تيشوب". وفي العصر اليوناني والروماني حمل بعل اسم "زوس كاسيوس". "وكاسيوس" في الأصل اسم أحد جبال لبنان الشمالي كما يقول جورج كونتنو في كتابه الشهير "الحضارة الفينيقية"، ثم اطلق فيما بعد على الجبل الذي يشرف على اوغاريت لجهة الشرق حيث يسمّى الجبل الأقرع. على أن اسم البعل يرتبط بالماء ارتباطاً وثيقاً حيث إنه، كما سبق، إله مطر وريّ وخصوبة، ونجد في اسمائه المتعدّدة في "كنعان" "وما بين النهرين" جذر كلمة ماء او ما يدلّ على الماء. ففي اسمائه الرافدية "دوموزي وتموز" نعثر على مقطع "م" الدالّ على المياه الضروية للزراعة. وحسب رأي العالم "دورم" فإن اسم "تمّوز" يتألف من عبارة سومرية تعني "ابن المياه" أو "مولود الغمر". ولقب بعل يشير بدوره الى التربة التي يسقيها المطر أي الماء. ويمثل الماء المبدأ المذكّر في الطبيعة، في حين تمثّل التربة الأرض المبدأ المؤنث، وباتحادهما يتمّ الخصب والتكاثر...

إن واقعتَي الموت والقيامة المتكررتين كانتا تؤلّفان أسس الدراما في لاهوت الديانة الكنعانية القديمة، وموت المسيح وقيامته يشكّلان أسس اللاهوت المسيحيّ ويعطيان للطقس المسيحي طابعه الدرامي المميّز. ونحن نرى أن دوموزي وتموز والبعل وادونيس، هم، في حقيقتهم التاريخية، صور ورموز وتمهيد ليسوع المسيح الإله المتجسد الذي يبذل نفسه على مذبح محبة البشر أجمعين، فيأكل الناس جسده ويشربون دمه. "إذا لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فلن تكون فيكم الحياة. من أكل جسدي وشرب دمي، فله الحياة الأبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير لأن جسدي طعام حق ودمي شراب حق. من اكل جسدي وشرب دمي، ثبت فيّ وثبتّ فيه. وكما أن الآب الحيّ أرسلني وأني احيا بالآب، فكذلك الذي يأكلني سيحيا بي. هوذا الخبز الذي نزل من السماء، غير الذي أكله آباؤكم ثم ماتوا... من يأكل من هذا الخبز يحيَ للأبد..." (يوحنا 6: 53-58).

يقول "كرامر" في كتابه "الزواج المقدس": "إن قصة موت وقيامة دوموزي تموز انتقلت من ما بين النهرين الى فلسطين، ونساء أورشليم عرفن طقوس ندب الإله – الميت تموز (راجع حزقيال 8: 14). وهذا الإله الذي يموت على نحو درامي وتندبه أمه أو زوجته وينوح عليه أتباعه يتجسّد من جديد في شخص أدونيس الفينيقي، ولاحقاً في شخص "أتيسا" في ديانات الاسرار في العصر الهلّيني – الروماني، بحيث إنه ساهم مع معتقدات وتقاليد أخرى مأخوذة بدورها من لاهوت وليتورجية شرقية قديمة في تكوين الوسط الديني الذي نشأت فيه المسيحيّة وتوطّدت...".

وهذا اللاهوت الكنعاني هو في جوهره صراع لا ينتهي بين مبدأين متعارضين يكمل كل منهما الآخر. "فالبعل – حدد" يعيش في عالم تتصارع فيه العناصر دونما هوادة، وعليه ان يدخل في كفاح ضد العناصر المعادية لأنه إذا لم يخض هذا الكفاح فان الحياة نفسها تستحيل الى عدم...

ودورة الخصب الجديدة المتكرّرة كل عام أو كلّ سبعة أعوام تنتج عن الكفاح المذكور بين مظهرين من مظاهر الطبيعة، لا غلبة نهائية وقاطعة لأحدهما على الآخر، لأن في ذلك ثبات واستقرار أحدهما، وهذا بدوره يعني توقّف الصراع فلا يعود ينتج عنه ولادة جديدة ولا يمكن للعالم بعد أن يتجدّد. فكل صراع بين المبدأين المتصارعين "حَدَدْ ومُوْت" يخلق دورة جديدة تتمخّض بدورها بعد وقت عن دخول المظهرين المتعارضين في صراع جديد على غرار دورة الفصول المتعاقبة واصطدام العناصر الطبيعية في الاجواء. فحلول الصيف هو موت الربيع، والشتاء هو موت الخريف، ثم يعود الربيع ليموت الصيف وهكذا الى ما لا نهاية . وموت الإله وقيامته هما ضمان لدوام هذا النظام المتوقفة عليه حياة البشر على الأرض. وتبدو هذه الثنائية أصلاً لكل الثنائيات التي تفتّق عنها فكر المنطقة فيما بعد. والكون كما رأته الديانة الكنعانية هو الصراع الأكبر الذي لا نهاية له. ولا يقع هذا الصراع في ما وراء الطبيعة، بل في قلب الكون والحياة، فزمنه زمن تاريخي وليس خارج التاريخ، لأنه لا معنى للتاريخ بدون البشر، والميتولوجيا ليست زمناً مغلقاً من حيث إنها تتكرّر، بل كانت عند الكنعانيين رؤيا طبيعية تاريخية.

هذه الرؤيا الكنعانية العظيمة للتاريخ كانت في أصل تأملات فلاسفة اليونان الأقدمين السابقين على سقراط. و"هيراقليطس" علّم ان الاضداد في تحول وصراع دائمين. وقال "فيتاغوراس" إن كل ما يحيا في الكون وينعدم يبعث من جديد في دورة محدودة. وتحدث "ديموقريطس" عن حركة الذرات التي لم تبدأ ولن تنتهي والتي تُقْسَرِها على التصادم والتلاحم ليكوّن صراعها هذا أجساماً جديدة منوّعة الاشكال والاحجام، وجميع العوالم المتكوّنة تظهر وتزول الى ما لا نهاية. ومضت الفلسفة الرواقية، فيما بعد، الى أبعد من ذلك فجعلت الله نفسه في داخل العالم ومنسجماً فيه...

في اللاهوت الكنعاني أضيف الى الله الفاعل في التاريخ عنصر المشاركة البشرية. فليس الانسان هو المطرود من الجنة يجهد للعودة اليها، إن الجنّة هي الارض – والأرض الجديدة – وعلى الله نفسه أن يتألم ويموت ويقوم ليضمن دوام هذه الجنة للإنسان أمام تقلبات الطبيعة...!

يقول هنري لامنس في كتابه "تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار": كان اللبنانيون القدماء إذا قدم الخريف يحتفلون بأعياد يدعونها جنازة أدونيس,. ففي تلك الأيام كنت ترى نساءهم يلبسن الحداد ويذهبن الى نهر ابراهيم المخصّص لذكر

أدونيس. فيجلسن على ضفتيه باكيات معولات يرثين موت الإله ومحاسن الطبيعة التي يعبّر عنها، وكان البعض منهنّ يسبغن ذيولهنّ ويسدلن شعورهنّ ويسرن في شوارع جبيل يلطمن وجوههن يولولن على تموز – أدونيس ويُغَنِيْنَ الأغاني الشجيّة المبكية. أما إذا انتهى فصل الشتاء وفرحت الدنيا بقدوم الربيع وانقشاع الغيوم عن الشمس فكانوا يقيمون لذلك مواسم تنبئ بفرط سرورهم ونمط فرحهم...".

ويذكر "ماير" في كتابه "التاريخ القديم" أن أدونيس هو إله زراعة شاب يموت في الصيف ويقوم في الربيع دورياً. ويقال إنه بسبب غيرة الآلهة منه لمحبة البعلات (السيّدة) له أرسلوا خنزيراً برياً قتله. وكانوا يقيمون عيداً يبكون في بدايته موت الإله الشاب واختفائه ويحتفلون بالغناء والفرح بعد عودته الى الحياة وقيامته من الموت...

كان الفينيقيون يقولون ويردّدون دوماً أن أدونيس، الربّ أو السيّد – من الآرامية "أدون" وفي صيغة المنادى "أدوناي" – إنما كان شاباً يحبّ الصيد وأنه كان ابناً لعشتروت. وفي بعض الأيام خرج سائحاً الى جبال لبنان ليتصيّد في غاباتها القريبة من جبيل إذ وثب عليه خنزير بري وقتله. وبعل حدد كان ايضاً صياداً: "مضى البعل الى الصيد، تقدم بعيداً في الاحراج...". هذا ما يتردد اكثر من مرة في نصوص ملحمة "البعل وعنات" الكنعانية في أوغاريت – راس شمرة. ولقد أشار العالم "شارل فيرولّلو" الى المشابهة القوية بين قصة "البعل" ذات الجذور العريقة في القدم وبين قصة "أدونيس" الاكثر حداثة واكتمالاً. ويؤكد "لوسيان السميساطي" في كتابه "الآلهة السورية" ان أهل جبيل أنفسهم أخبروه ان موت أدونيس بعد إصابته بجروح إثر مهاجمة الخنزير البرّي له قد حدث فعلاً في بلادهم وأنهم لإحياء ذكرى هذه الحادثة المأسوية يقومون كل عام بالبكاء والعويل حداداً على موته. ثم يقومون بدفن الإله وكأنه مات حقاً. وفي اليوم التالي يعلنون أنه قام من الموت وأنه حيّ وانه صعد الى السماء أو الى الأعالي...!

ولا نجد شيئاً اقرب الى هذه الرواية من موت المسيح وقيامته وصعوده كما جاءت في الاناجيل المقدسة. وتبيّن هذه الخصائص الكنعانية أنها هي – وليست اليهودية أبداً – بمثابة الجذور الحقيقية للمسيحية. كما تبيّن في الوقت نفسه بعد المسيحية عن اليهودية التي لم يحدث ان تبناها كدين غير اليهود وحدهم، وذلك رغم شيوع انتقال الآلهة وتَبَنِّيْ العبادات من شعب الى آخر في تاريخ منطقة الشرق الأدنى القديم. أمّا "يهوه" إله اليهود فقد بقي إلهاً عنصرياً قبائلياً لقبيلة واحدة معينة – اليهود. لا هو اعطى نفسه للشعوب الأخرى ولا الشعوب الأخرى رغبت فيه...

وفي اثناء ذلك كان البعل الكنعاني يغيّر اسماءه وينتقل من مدينة الى مدينة ومن مملكة الى أخرى ليصير عالمياً دون ان يفقد خصائصه وأصوله. والأمر ذاته كان شأن المسيح. فالخلاص المسيحي أمسى خلاص البشرية جمعاء وليس خلاص

"شعب مختار"...؟! وأصبح المسيح مخلص العالم المنتظر والملك السماوي – وليس الأرضيّ... - لخلاص بني آدم جميعاً. وعند هذا الحد تتخذ كلمة "آدم" الكنعانية الأصل معناها الحقيقي، أي "الانسانية"، ويصبح يسوع حقاً "ابن الانسان" –اللقب الوحيد الذي أطلقه المسيح على نفسه – أي عطاء الانسانية للانسانية، "أَلْبَرْنَاشَا" (بالآرامية والسريانية) او "ابن آدم"؛ و"آدم الجديد" كما يقول بولس الرسول. وتجدر الاشارة هنا أن الملكية والسيادة هي خاصة الارباب في العالم السامي القديم. والرب عومل دائماً على أنه ملك (مولوخ) وكسيّد (بعل) و(أدون = ادونيس) و"ما رانا" أي سيّدنا الخ... وهذه جميعها القاب سامية حملها المسيح وهي تعادل اللفظة اليونانية "كيريوس" أي الملك...

أجل!إن الجذور الحقيقية للمسيحية هي في تاريخ البشرية ككل، ولكن بنوع خاص ومباشر في الديانة الكنعانية نفسها. وأوجه الشبه اكثر من ان تعد وتحصى، هذا اذا تركنا جانباً الافكار المسبقة وغسل الأدمغة والتحايلات والتحويرات والزيادات والاضافات حتى التزويرات التاريخية الفاضحة التي لجأ اليها اليهود والمسيحيون المتهوّدون، كل ذلك ليبرهنوا أن المسيحية هي نوع من الامتداد للديانة اليهودية. انها مغالطة تاريخية فاضحة وخطيرة كبّلت المسيحية بقيود عنصرية بالية. غير أن العقل المعاصر والروح العلمية والنقد العلمي التاريخي الموضوعي، كل هذا، مع جرأة البعض...، أخذ يدحض ويكشف ويفضح هذه المغالطة التاريخية وخلفياتها... وسوف تشعّ المسيحية بكل توهجها الذاتي الأصيل ذي الطابع "الكوني" الشامل الذي يطال كل أرجاء الكون الكبير...! (فيما يخصّ كون الديانة الكنعانية قد مهدت الطريق للديانة المسيحية راجع: مقالات ميّ والفريد المرّ في " La Revue du Liban"، في عيدي الميلاد والفصح لسنة 1986. –وايضاً ميّ المرّ "شعر التريسمجيست" (بالفرنسية)، بيروت، لبنان 1994، ص 309 والحاشية رقم 49). (راجع ايضاً، فيما يخص الأصول الكنعانية للمسيحية، فايز مقدسي، "الأصول الكنعانية للمسيحية"، أبجدية المعرفة عدد 16، دمشق سوريا، الطبعة الاولى 1996، الفصل الرابع بكامله ص 73-93 مع الحواشي والشروحات).

والدراسات النقدية الحديثة أخذت تتحدث، اكثر فأكثر، بكل موضوعية وجرأة عن العلاقات الوثيقة بين الديانة الكنعانية والديانة المسيحية، وعن تاثير الروح الكنعانية على نشأة المسيحية وتعاليمها وخاصة ابوّة الله للانسان، بنوّة الانسان لله، الموت والفداء والانبعاث، ذبيحة الخبز والخمر وغيرها... وكل هذه من العقائد الكنعانية المميزة والخاصة والتي لا يقاسمها فيها ديانة أخرى سوى المسيحية وحدها، فقط لا غير...! (راجع على سبيل المثال:

-Jacques Duquesne, “Le Dieu de Jésus”, Grasset Desclée de Brouwer, 1997, p.p. 19, 65, 221 et la Note N°1, 226 et la Note N°4.

-Eugen Drewermann, “De la naissance des dieux à la naissance du Christ”, Traduction française, Seuil, p. 39).

وهناك بعض الدراسات النقدية الحديثة أخذت تشكك كثيراً "بيهودية يسوع المسيح"، هل هو يهودي أم لا؟ إنها أمور جديدة وحريّة بالبحث والتحليل... (راجع مقالة دانيال مارغيرا، استاذ العهد الجديد في كلية اللاهوت في جامعة لوزان في سويسرا، حول هذا الموضوع، في مجلة "عالم البيبليا"، عدد 109، آذار نيسان 1998، عدد ممتاز بعنوان "ماذا نعرف عن يسوع؟"، ص 6، بالفرنسية) الخ...

وفي دراسة تاريخية حديثة حول دور أرض كنعان وفينيقية – لبنان في التمهيد لنشأة المسيحية، يقول الأب ر. لارجمان، الاستاذ في المعهد الكاثوليكي في باريس:

“Ainsi, Adonis le Dieu phénicien qui meurt… et qui ressucite… serait un don des phéniciens à la Grèce; de toutes façons, la vitalité du culte de ce dieu a certainement bénéficié des apports phéniciens. Et ce fut là un don extrêmement précieux!… Son culte, vivant dans toutes les grandes Villes et ports méditerranéens, a préparé la Voie au Christ…!” (R. Largement, professeur à l’Institut Catholique de Paris, “Le rôle et la place du Liban dans la conception religieuse du Proche-Orient ancien”, Publications de l’Université Libanaise, section des études historiques, Beyrouth, Liban, 1965, p.51).

وبالعربيّة: "...وهكذا فإن أدونيس، الاله الفينيقي، الذي يموت ويقوم... هو عطية من الفينيقيين الى اليونان؛ وفي مطلق الأحوال، فإن الحيويّة التي كانت تتّسم بها عبادة هذا الإله قد أفادت، بشكل أكيد، من المساهمات الفينيقية. وكان ذلك عطية ذات قيمة فائقة!... فعبادة هذا الإله الفينيقي ادونيس، التي كانت ناشطة في كافة المدن والمرافئ في حوض المتوسط، قد مهّدت الطريق مباشرة الى السيّد المسيح...!".

أجل! المسيح ليس يهودياً. المسيح هو كنعانيّ. (راجع أيضاً: الفصول الخاصة بأصل أجداده وآبائه ووالديه، في هذه الدراسة).

وجبران خليل جبران، في كتابه الشهير "يسوع ابن الانسان"، يقول مؤكداً إن يسوع المسيح هو كنعانيّ لا يهوديّ...

مراجع القسم الثاني

المراجع العربية:

-"فهرس الكتاب المقدس: اعداد الدكتور جورج بوست (الترجمة العربية)، مكتبة المشعل الانجيلية، بيروت،لبنان، الطبعة الثالثة، 1958.

-"قاموس الكتاب المقدس" تأليف "نخبة من الاساتذة"، الطبعة الثانية، 1971، بيروت، لبنان، ص 361-366.

-"مدراش رَبَّا"، الفصل 20، فقرة 5 (في الترجمة العربية مجلّد اول ص 163). وُضع "مدراش ربّا" في القرن الثالث للميلاد.

-أنيس فريحه "في القصص العبري القديم"، الطبعة الاولى، نوفل، بيروت، لبنان، 1992، الفصل الرابع: ص 97-100؛ 118-120 مع الحواشي...، 132-133.

-كمال الصليبي "حروب داود"، الطبعة الاولى، 1990، ص 40-42، 138.

-"كتاب أحنوخ"، الفصل 68 الاعداد 6-7.

-جرس إبراهيم عبدل "هيكل اورشليم " ص 7، 10-11، 20، 36-37، 43-45، 58، 63.

-جورج عبد المسيح: مجلة "الجيل الجديد الدمشقية"، عدد 1698، ص 4.

-ندرة اليازجي "ردّ على التوراة" الطبعة الثالثة، مزيدة، 1990، دار طلاس، دمشق، سوريّا مقدّمة الطبعة الثالثة، ص 4-5.

-(هذا الكتاب هو للمؤلِّف السابق ندرة اليازجي)

-"ردّ على اليهودية – واليهودية المسيحية"، الطبعة الثالثة، مزيدة، 1990، دار طلاس، دمشق، سوريا، الفصل الثاني، ص: 52.

-فايز مقدسي "الاصول الكنعانية للمسيحية"، أبجدية المعرفة عدد 16، دمشق، سوريا، الطبعة الاولى 1996، الفصل الرابع، ص 73-93 مع الحواشي.

-مارتن نُوت "تاريخ اسرائيل"، برلين، 1968.

-مرغريت سوزمان "شرح الشخصيات التوراتية" زوريخ، 1955.

-فولغرام فون زودن "عالم الشرق"، المجلّد الاول، الجزء الثالث، 1948.

-ادوارد ماير "نشوء اليهودية"، 1896.

-هـ. فيلريش "تزييف الوثائق في المراجع اليهودية الهلنستية"، 1924.

-مجموعة من المؤلفين "موسوعة الكتاب المقدس"، ميونيخ، 1972.

-سلسلة فيشر الالمانية "امبراطوريات الشرق القديم"، الجزء الثالث، فرانكفورت ام ماين، 1967

-د. عبد الوهاب محمد المسيري "موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية"، القاهرة، 1975.

-محمد وحيد خياطة "قراءات في التوراة – على ضوء المكتشفات الاثرية الحديثة"، الطبعة الاولى، دمشق 1987.
-فيليب حتّي "تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين"، الجزء الاول، بيروت، 1958.
-(هذا الكتاب هو للمؤلِّف السابق فيليب حتّي)
-"تاريخ لبنان" الطبعة الثانية 1972، ص 113.
-"التوراة الكنعانية" هـ. ا. ديل ميديكو، ترجمة جهاد هوّاش وعبد الهادي عبّاس، دار دمشق، سوريا، ص 88،212، 219، 251، 252، 256، 267، 304.

مراجع الكتاب المقدس

العهد القديم :

-سفر التكوين 4: 1؛ 14: 17-20 مع الحواشي والشروحات.
-سفر العدد 13، 14، 24: 21 والحاشية رقم 8
-سفر يشوع 14: 6-15 والحاشية رقم 2
15: 13-19 والحاشية رقم 4
-سفر القضاة الفصلان الاول والثاني مع الحواشي والشروحات
-سفر راعوت المدخل – النسخة الكاثوليكية الجديدة – اليسوعية – ص 510 – 511؛ و 4 (11-12، 18-21) مع الحواشي والشروحات.
-سفر صموئيل الفصل الاول والثاني، مع الحواشي والشروحات
-سفر أخبار الأيام : الفصل الأول (المقدمة - 1-4 مع الحواشي والشروحات 17: 1-15 مع الحواشي والشروحات) - الفصل الثاني والثالث مع الحواشي والشروحات.
-سفر المزامير 2: 7؛ 89 بكامله؛ 132: 11، 17، 18 مع الحواشي والشروحات.
-سفر اشعيا 7: 14
-سفر ارميا 22: 20-30 مع الحواشي والشروحات
23: 5-6
31: 31-34
33: 14-26
-سفر دانيال الفصل السابع بكامله مع الحواشي والشروحات
-سفر ميخا 4: 14؛ (5: 1-5 مع الحواشي والشروحات)

العهد الجديد:

-انجيل متى 1:1-19؛ 3: 9؛ 8: 20؛ 10: 23؛ 13: 41؛ 16: 13-16؛ 23: 9؛ 26: 64.

-انجيل مرقس2: 10؛ 3: 21-35؛ 10: 45-48؛ 11: 10

-انجيل لوقا 3: 21-38؛ 19: 10

-انجيل يوحنا 1: 10-14

-أعمال الرسل 2: 29-32؛ 5: 56؛ 13: 22-23

-رومة 1: 1-7؛ 2: 28-29؛ 4: 13-18؛ 9: 1-18، 29؛ 11: 1

-كورنتس الاولى 10: 18

-غلاطية 3: 6-9، 15-18، 27-39؛ 4: 21-31؛ 6: 11-16

-العبرانيين 2: 6؛ 7: 1-13؛ 8: 13

-رسالة يوحنا الاولى 3: 9-10؛ 5: 18-19

-رؤيا يوحنا 1: 13؛ 14: 14

ملاحظة هامة: نذكّر، مرّة أخرى، بضرورة مراجعة الآيات الموازية للآيات المذكورة أعلاه – وكل الآيات التي نذكرها ونستشهد بها، وقراءة الحواشي والشروحات المتعلّقة بها، ففيها توضيحات وتعليقات وتفسيرات جديدة وهامة جداً... (مرجعنا الاساسي: النسخةالكاثوليكية الجديدة، "اليسوعية"، طبعة 1989...).

المراجع الأجنبية

-J.Schlosser "Le Dieu de Jésus", in Lectio Divina, 129, Paris, Cerf, 1987.

-Pierre Gilbert "La Bible à la naissance de l'histoire", Fayard. 1979, Chapitres 10 et 11, p.p. 143-167.

-"Une théorie de la Légende", Herman Gynkel (1862-1932) et les légendes de la Bible", Flammarion, Paris, 1979, p.253.

-"Les Livres de Samuel et des Rois", Cahiers Evangile N°44, Editions du Cerf, Paris, 1983, p.21.

-J. Simons, "The Geographical and Topographical texts of the Old Testament", Leiden, 1959.

(من اهم المراجع التاريخية الحديثة عن حياة وأعمال الملك داود...)

-Yohanan Aharoni "The Land of the Bible" – "a Historical Geographie", London, 1966.

(من اهم المراجع التاريخية الحديثة عن حياة وأعمال الملك داود...)

-Charles Perrot, "Les recits de l'enfance de Jésus – Matthieu chap. 1-2; Luc chap. 1-2), p.p. 19-22, 26, 51, 60, 64-66, 69.

-Jacques Duquesne, "Jésus", Desclée de Brouwer, Flammarion, 1994, p.p. 36-38, 322 et Note N°18.

-M. –E. Boismard et A. Lamouille "L'Evangile de Jean", Les Editions du Cerf, Paris, 1977, Tome III, p.p. 237-244.

-P. Grelot, "Dieu, le Père de Jésus-Christ", paris, Desclée, 1994.

-Saint Irénée, "Contre les hérésies", III, 21, 9 (in Jacques Duquesne cf. Supra: p.322 et note N°18. St. Irénée s'appuyant sur le texte de Jérémie 22: 28-30, Y voit un complément de preuve en faveur de la naissance virginale du fils de Dieu. Le texte de Jérémie parle clairement de la fin de la dynastie royale davidique, avec le roi Jéchonias (598-597 A.C.).

-Raymond E. Brown, "The Birth of The Messiah", Doubleday, p.p. 505 et suivantes…

(من أهم المراجع التاريخية الحديثة عن علاقة المسيح بذرية داود...)

-Dr. H. spencer Lewis, "La vie mystique de Jésus", p.p. 50-51.

-Gérald Messadié, "Un homme qui devint Dieu", II Les Sources, p.89.

-H.P. blavatsky "La Doctrine Secrète", Vol. 3, p.p. 158-160 avec les Notes; 269 et Note n°1; 294, 328, 482, 486-487 avec les Notes;
-"Isis dévoilée", Vol. 3, p.248; Vol. 4, p.p. 157 et suivantes…
-P. Lacour, "Les Oeloïms", Vol. 2, p.218
-E. Charpentier, "Des évangiles à l'évangile", Croire et comprendre", Le Centurion, 1976, p. 42
-Pierre – Antoine Bernheim, "Jacques, Frère de Jésus", Editions Noêsis, Paris, 1996, p.p. 58-60.
-J. Dupont "le Dieu de Jésus", in Nouv. Rev. Théol, 109, 1987
-J. Ralston Skonner, "The Source of Measures – The Hebrew Egyptian Mystery", p.p. 277, 293.
-"Rabba Battra", 16a.
-Codex Nazaraeus, III, 73.
-M.R. James "Texts and Studies, contributions to biblical and patristic litérature, "Cambridge, 1897.
-"La Bible Apocryphe – En marge de l'Ancien Testament", Cerf-Fayard, 1953: "Le troisième Livre de Baruch", (Le Baruch grec), Ix, p.321
-Daniel Rops "Jésus en son temps – Le Fils de l'Homme", p.98
-"Livre des Secrets d'Hénoch", 23
-P. Benoît et M. Boismard, "Synopse des quatre Evangiles", tome 1., p.p.105-106 avec les Notes; 117-118 avec les Notes; Tome2., p.64 et note n°12 (La Généalogie de Jésus), 176-178 et note N°122, 196 et note N°140.
-Jean-Claude Barreau, "Biographie de Jésus", p.p. 85-86
-"La Cosmogonie d'Urantia", Tome II, Fascicule 97, N°8 et 9, p.p.931-936.
-"Bible de Jérusalem", 1 Chroniques chap. 2,3,4, avec notes et explications, p.p. 408-411.
-'Le Targum Palestinien", par J. Ramon Diaz et R. Le Déaut, Commentaire sur Genèse 4: 1.

القسم الثالث

"بيت لحم اللبنانية"

في العهد الجديد

- النصوص وشروحاتها –

"فقال أناس من أورشليم: أليسَ هذا الذي يريدون قتله؟ فها إنه يتكلّم جهاراً ولا يقولون له شيئاً. ترى هل تبيّن للرؤسَاء أنه المسيح؟ على أن هذا نعرف من أين هو، وأمّا المسيح فلا يُعرف حين يأتي من أين هو..."!
(إنجيل يوحنا 7: 25-27).

الفصل الأول

"جبل الكرمل"

"إنه الجبل الذي يسَهّل الإتصال المباشر بالألوهة منذ القديم..." (جبل الكرمل في الاراضي المقدسَة منذ اقدم العصور حتى أيامنا هذه"،ص 13، 18).

نظراً لموقع "جبل الكرمل" المميّز ولدوره البالغ الأهمية في التاريخ الديني القديم بشكل عام، والتاريخ المسيحي بنوع خاص، من ميلاد المسيح الى صعوده، نُفرد له فصلاً خاصّاً، مركّزين على علاقته ببيت لحم "الحقيقية"، وبسَنوات يسَوع الخفيّة التي قضى قسماً كبيراً منها يدرس في الدير الكبير الذي كان في قمته. هذا، مع العلم أن مغارة بيت لحم "الحقيقية" التي ولد فيها يسَوع، الذي هو "عمانوئيل" أي "إيل معنا"، هذه المغارة تقع بالتحديد في سفوحه الشمالية- الشرقية، كما سَنبيّن ونوضح بالتفصيل فيما بعد. ونكرّر، مرة اخرى، وسوف نظل نكرّر، نظراً لأهمية الموضوع البالغة والخطيرة, ان هذا الجبل بالذات: "جبل الكرمل"، مع ما فوقه من دير ومدرسة ورهبان ومخطوطات قيمة، قد ظل مغموراً ومنسياً طوال قرون عديدة، وذلك بفعل الطمس المتعمّد المقصود من قبل اليهود أولاً ثم من قبل المتهوّدين من المسيحيّين الغربيّين، بالاضافة الى الجهل والنسيان المتواصل... وقد طمسَ بنوع خاص لان يسوع المسيح ولد، في الحقيقة، في قرية بيت لحم في سفحه الشمالي الشرقي، والتي كانت داخل أرض فينيقيا-لبنان!

إن جبل الكرمل (وسفوحه) كان دائماً، وباجماع المؤرخين، في أرض كنعان وفينيقيا-لبنان... ومن الثابت والمؤكد انه كان داخل هذه الارض عند ميلاد المسيح. وقد ظل هذا الجبل (وسفوحه) يعتبر بمثابة أرض فينيقيا-لبنان حتى نهاية العهد العثماني. وكان يدخل في إيالة صيدا وعكا التابعتَين لولاية بيروت...

إن تاريخ إقامة الانسان في جبل الكرمل -في كهوفه ومغاوره- يعود الى قرون تضرب بعيداً في القدم. وقد يصل الى بدايات الانسان الحديث... يقول المؤرّخ الدكتور فيليب حتّي، في كتابه "تاريخ سوريّا ولبنان وفلسطين" (الجزء الاول ص 10-11)، يقول بالحرف الواحد: "ترجع أقدم بقايا الهياكل العظميّة البشرية في الشرق الأدنى الى أواسط العصر الحجريّ القديم. وقد عَثَرَتْ على معظمها في كهفين من

كهوف جبل الكرمل الآنسة جارُد... ويشكّل اكتشافها حادثاً بالغ الاهمية بالنسبة لعصر ما قبل التاريخ في الشرق الأدنى. وجميع هذه البقايا ترجع الى النموذج الموسَتيري الحضاري (وقد سمّي كذلك باسم كهف في فرنسا). ويعود عهدها الى ما قبل مائة الف سنة على الأقل. وهي تظهر لنا سلسلة كاملة من بقايا الهياكل العظميَّة تتراوح بين النوع النياندرتالي (باسم وادٍ في منطقة الرَين) وبين أنواع أرقى حتى تصل الى أشكال تكاد تكون من النوع البشري الحديث... والذي يلفت النظر بشكل خاص في بعض هياكل جبل الكرمل أنها تظهر بعض الصفات التشريحية التي للانسان الحديث... وعلى ذلك فانها تشكّل على ما يظهر حلقة هامة في تطوّر الإنسان وتجعل من هذه المنطقة في الشرق الأدنى مسرحاً لتكوين نوع متوسط بين الانسان البدائي والانسان الحديث..." وفي سياق كلامه على الدور الأخير للعصرالحجري القديم، يتابع المؤرخ فيليب حتّي في مقطع لاحق (صفحة 13) فيقول: "إن أقدم قطع الفحم المكتشفة حتى الآن في هذه البلاد قد أتت من إحدى الطبقات الدنيا في كهف من كهوف الكرمل (مغارة الطابون)، وترجع الى نهاية الدور الأول للعصر الباليوليتي أي الى نحو 150،000 سَنة. وهناك قطع أخرى ترجع الى الدور الاخير من العصر الحجري القديم (الدور الاورغناسي) وقد اكتشفت في كهف مجاور (مغارة الوادي قرب الطرف الغربي للكرمل)، وتشير في تركيبها الى نماذج السنديان والطرفاء والزيتون والكرمة...".

ومنذ العصور الكنعانية الأولى، كان هناك معبد على اسم الآلاهة الأم "أشيرة"، فوق جبل الكرمل. هذا ما تشير اليه بوضوح ملحمة :إقهات" (II,D)، والتوراة الكنعانية مراراً (ص 132-155). وهذا ما يؤكده المؤرخ الكبير ادوارد دورم "ديانات بابل واشور" (ص 148،150) والمؤرخ الكنعاني الدكتور يوسف الحوراني (المواقع الاثرية في الجنوب اللبناني خلال تسميات الاعلام ق.م ص: 18-19 والحاشية 43). وما يجمع عليه المؤرخون الى اليوم، هو ان المنطقة التي سميت فلسطين (باسم قبائل دخيلة سَكنت الشاطئ الجنوبي من أرض كنعان، وكانت تسَمّى: "فِلِستين" (Philistine)،) كانت تدعى: جنوبي أرض كنعان!... وفي العصور الكنعانية المتأخرة، عرف معبد الآلاهة الام "أشيرة"، فوق جبل الكرمل، شهرة واسعة. وكان الكنعانيّون، الذين امتازوا بتعلّقهم بالآلاهة الأم، يكرّسون أولادهم الابكار "لأشيرة". ويفسِّر المؤرخ شارل فيرولّو هذا التكريسَ الكنعاني فيقول ("اساطير بابل وكنعان"، ص 68): كان الكنعانيون "ينذرون" ابكارهم لأشيرة. و"نَذَرَ وَنذْرٌ" من الأصل الكنعاني NDR. والمنذور يكرسَ للآلاهة ويخدمها بحسَب طقوس معينة، ويتّبع في حياته سلوكاً أخلاقياً ودينياً يميّزه عن غيره: عن غير المنذورين. ويوضح المؤرخ فيقول: من هنا نشأت فكرة النذر والتكريسَ، وانتقلت فيما بعد الى العبران عندما دخلوا جنوبي كنعان... (راجع سفر العدد، الفصل السَادسَ بكامله، مع الحواشي...)

في أواسط الألف الثاني قبل المسيح، اجتاح فرعون مصر تحوتمسَ الثالث جنوبي أرض كنعان. لم يكن هناك ذكر لارض اسمها "أرض فلسطين"، لان قبائل "الفِلِسَطين" لم يكونوا قد دخلوها بعد. وهم قد دخلوها بعد حوالي مأتي سَنة... وفي كلامه على جبل الكرمل أثناء اجتياح تحوتمسَ الثالث، يقول الدكتور هـ. سَبنسَر لِويسَ ("حياة يسوع السرَية"-الفصل الثامن ص 124-125): "في العصور القديمة كان جبل الكرمل يعتبر جبلاً مقدّساً، حتى قبل اسرائيل بفترة طويلة. وفي جداول الأمكنة المميّزة التي احتلها فرعون مصر تحوتمس الثالث نقرأ تحت الرقم المتسَلسَل 48 اسم جبل الكرمل حيث يُلَقَّب "بجزيرة القداسَة". وكان تحوتمسَ الثالث قد احتل جبل الكرمل سَنة 1449 بالتحديد، واقام فوقه، على انقاض معبد كنعاني قديم (معبد الآلاهة الأم أشيرة)، مركزاً دينياً جديداً ومدرسَة لتلقين الاسرار واجراء الطقوسَ "السِرَّانيَّة" الروحية...". ذلك لان تحوتمس الثالث، كما هو معروف لدى المدارس "السَرانيّة"، هو من مؤسِّسي المدارسَ "السَرانية" الاولى في مصر، ومن أبرز رؤساء التيّار الروحي القديم الذي أصبح فيما بعد يسَمّى بـ "الإخوّة الكبيرة البيضاء"...

وفي أواسط الالف الاول قبل الميلاد، كان الكلدانيون في المنطقة. وقد سَجّل ملكهم "نبوخدنصّر" الثاني حصاراً قوياً ضد مدينة صور العظيمة دام حوالي 13 سَنة (585-572 ق.م). ودامت حروبه في المنطقة قرابة نصف قرن ضدّ النفوذ المصريّ: (605-562). "ولهذا التاريخ، يقول المؤرخ يوسف الحوراني، يعود انشاء المعابد الكنعانية في أرض كنعان ومنها اثنان على الشاطيء الجنوبي. وكانت هذه المعابد مكرّسة لآلاهة أرض الرافدين "صربند" رفيقة الإله الأكبر "ماردوخ". وأحد هذه المعابد في البلدة التي نسَمّيها اليوم "صَرَفَنْدْ" (باسم الآلاهة "صربند")، والمعبد الآخر على جبل الكرمل. (وقد بني هذا الاخير على انقاض معبد "أشيرة" الكنعاني الآنف الذكر) ولقد كان "نبوخدنصّر" مؤمنا مخلصاً لهذه الآلاهة-"صربند"- ينشئ لها المعابد أينما يذهب..." (المواقع الاثرية في الجنوب اللبناني خلال تسميات الاعلام ق.م. ص 18-19 والحاشية 43. راجع ايضاً ادوارد دورم "ديانات بابل وأشور" ص 148،150).

في هذه الفترة من التاريخ –الالف الاول قبل الميلاد- عرف حوض المتوسّط، وخاصة مصر واليونان وكنعان، فترة خصبة جداً في مجالات الفكر الفلسَفي والعلوم الروحانية. وكانت هذه الحاضرات الثقافية الثلاث على تبادل مستمر وتعاون وثيق. ممّا تسبّب بنضج مميّز وقفزة نوعية في تطور الفكر البشريّ، سجلها التاريخ بفخر واعتزاز. وكان جبل الكرمل بالذات، في هذه الآونة، منارة روحية مُشِعَّة ومميزة. فكان العديد من حكماء المشرق يأتون اليه، ويقيمون في معبده الكبير فترات من الزمن، في شبه رياضات روحيّة طويلة... وقد لقب آنذاك "بجبل التركيز الروحي" "والخصب الالهي" ومن هنا مغزى اسمه: جبل "الكرمل" = "كَرْم ايل"، "كَرْم الإله" او

الخصوبة الروحية الالهية. وفي هذا المجال، يقول الفيلسوف جامبليك (من عنجر لبنان) تِلميذ الفيلسوف الكبير فيتاغوراس، وواضع سيرة حياته ("حياة فيتاغوراس" ص 297-298) يقول: "...وكان فيتاغوراس ابن برتنيسَ الفينيقية، تعمّد بحسب الطقس الكنعاني في مياه النهر المقدّس، نهر أدونيسَ المتدفّق من مغارة أفقا المقدسَة. تلقن الأسرار الكونيّة والطقوس السريّة من كهنة فينيقية في جبيل وصور. وتعلّم مبادئ الفيزياء وفكرة "الواحد" ورمزية الاعداد، في كنعان، على يد مُخّوص الصيدوني الرائد الاول للنظرية الذرية في التاريخ (كما يجمع اليوم كل مؤرخي العلوم...). ثم ذهب فيتاغوراس، يتابع جامبليك، الى جبل الكرمل حيث أمضى عدة سَنوات معتزلاً في ديره الكبير، منصرفاً الى التأمل الروحي والغوص في أسرار الوجود. وكان جبل الكرمل جبلاً مقدساً، مهيأً، اكثر من غيره، للتأمل "والتركيز الروحي". وكان الدخول اليه محرّماً على عامة الناس، على غير "المسَارّين" (غير المُلَقَّنِين الأسرار والطقوس الروحيّة...). وكان المعتزلون في معبد الكرمل الكبير يلتزمون بالسرّية التامّة ويلزمون تلاميذهم بنفس السرّية..." (راجع ايضاً: هـ.ب. بلافاتسَكي "العقيدة السرية" المجلد الخامس، ص 309، والحاشية رقم 2؛ فؤاد فضّول "الماسونية-خلاصة الحضارة الكنعانية"، ص 99؛ وغيرهم كثيرون...).

وعندما خرجت قبائل العبران من مصر على يد موسَى 1250-1230، ودخلت مغتصبة جنوبي أرض كنعان، على يد يشوع بن نون، حوالي 1230-1220، كانت هذه الأرض في حالة متقدمة من العمران والحضارة في جميع المجالات الانسانية، من دينية وفكرية وثقافية وانمائية. وكان جنوب كنعان بالتحديد-أي المنطقة التي سمّيت فيما بعد "فلسطين"-مليئاً بالهياكل والمعابد والمدارسَ الكنعانية، منذ قرون عديدة. وكان كهنة كنعان يعدّون بالآلاف. وكانت "مدارسَ الانبياء" "وعائلات الانبياء والنبيّات"، منتشرة في جنوبي أرض كنعان، من صور العظيمة الى "بيت إيل" الى اورشليم (التي كانت تدعى "يبّوسَ" قبل احتلالها من قبل داود، والتي كان ملكيصادق كاهنها العظيم أيام ابراهيم...). وكان جبل الكرمل، مع ديره الكبير، مركز الاشعاع الروحي في منطقة الجليل؛ وكان يحوي اكبر تجمع "لعائلات الانبياء والنبيات". وكل هذا يذكره الكتاب المقدسَ نفسَه، بوضوح وبشيء من التفصيل أحياناً. فيؤكد على وجود كهنة كنعان ومدارسهم وعائلات الانبياء عندهم: كانوا في الرامة (1 صموئيل 19: 20)، وفي "بيت ايل" (2 ملوك 2:3)، وفي أريحا (2 ملوك 2: 5)، وفي الجلجال (2 ملوك 4: 38)، وفي السّامرة (1 ملوك 18: 28،21-29؛10:22، اشعيا 5: 11-13+،28: 7-13) الخ... هذا مع العلم ان هذه المراكز الروحية الكنعانية بقيت حيّة مزدهرة طوال مئات من السنين بعد مجيء العبران الى هذه الارض...

كان من الطبيعي أن يتأثر العبران بهذا الجو الكنعاني العابق بالروحانية "والنبؤة"... وفي الواقع ظهر الانبياء العبران الاولون في الشمال: في "اسرائيل" لا

في "اليهودية"، وفي منطقة الكرمل بالذات: صموئيل وإيليّا واليشاع وتلاميذهم... حتى إن مدارسَ الانبياء بقيت مزدهرة حتى موت النبي اليشاع حوالي سَنة 800 ق.م.! في هذه الاثناء حصل انحسَار وضعف وتشتّت في الظاهرة النبوية الكنعانية، وبدأت الظاهرة النبوية العبرانية بالتصاعد...

وفي سبيل إبراز دور "جبل الكرمل" بالذات، يجدر بنا ان ننقل بعض المقاطع الواضحة والمعبّرة من الكتاب المقدسَ –العهد القديم: على سَبيل المثال لا الحصر، من سَفر صموئيل الاول، ومن سَفري الملوك الاول والثاني. (في كل مرّة نستشهد بالكتاب المقدّس، بعهديه القديم والجديد، نستند الى النسخة الكاثوليكية الجديدة- الطبعة اليسوعية، أنا الالف والياء، دار المشرق، طبعة سَنة 1989، بيروت، لبنان).

جاء في سَفر صموئيل الاول، الفصل العاشر، عدد 5-12: "وقال صموئيل لشاول: ...ثم تصل الى جبع الله... فيكون عند دخولك المدينة من هناك، انك تلقى مجموعة من الانبياء نازلين من المشرف، وقدامهم عيدان ودفوف ومزامير وكنّارات، وهم يتنبأون. فينقضّ عليك روح الربّ، وتتنبّأ أنت معهم، وتصير رجلاً آخر. فاذا وردت عليك هذه الآيات، فاصنع ما تجده يدك لان الله معك... ووصلوا الى جبع، فاذا المجموعة من الانبياء قد استقبلوه، فانقضّ عليه روح الله فتنبأ في وسَطهم. فلما رآه كل من كان يعرفه من أمسَ فما قبل، وهو يتنبأ مع الانبياء، قال القوم بعضهم لبعض: ماذا جرى لابن قِيسَ؟ أشاول ايضاً من الانبياء... فلذلك يقال في المثل "أشاول ايضاَ من الانبياء؟" (1 صموئيل 10: 5-12، مع الحواشي والشروحات...). يلاحظ أن مدينة جبع هي مدينة كنعانية في الجليل، وانه كان هناك "مجموعة من الانبياء"، وأن هؤلاء كانوا من أنبياء البعل الكنعانيّ، كما توضح الشروحات في الحواشي...

وجاء في سَفر الملوك الأول (يراجع الفصل 18 بكامله): "... وكان عوبديا، قيّم بيت الملك آحاب، متقياً للرب جداً: كان، لمّا قَرَضَتْ إيزابل أنبياء الرب... أن عوبديا أخذ مئة من الانبياء وأخفاهم، كلّ خمسين في مغارة، وزوّدهم بالخبز والماء... ثم التقى عوبديا إيليا فقال له: ألم يخبر سَيّدي بما صنعتُ، حينما قتلت إيزابل أنبياء الرب، وكيف خبأتُ من انبياء الرب مئة رجل، كل خمسين في مغارة, وزوّدتهم بالخبز والماء؟... وجاء آحاب للقاء إيليا. فقال إيليا لآحاب" أنت وبيت أبيك عكّرتم صفو إسرائيل بترككم وصايا الرب وسَيركم وراء البعل. والآن أرْسِلْ <u>واجمع اليّ إسرائيل كلّه الى جبل الكرمل</u>، وانبياء البعل الاربع مئة والخمسين، وأنبياء عشتاروت الأربع مئة الذين يأكلون على مائدة ايزابل. فأرسل آحاب الى جميع بني اسرائيل وجَمَعَ الانبياء الى جبل الكرمل..." وبعد أن تحدّى إيليّا كهنة البعل وكهنة عشتروت، وأفحمهم، وقبل الرب مُحْرَقَتَهُ، وبعد أن رَمَّمَ مذبح الرب الذي كان قد تهدم... قال للشعب: "إقبضوا على أنبياء البعل ولا يفلت منهم أحد. فقبضوا عليهم، فأنزلهم إيليا

الى نهر قيشون (في سفح جبل الكرمل، الى الشمال-الشرقي) وذبحهم هناك...".
يلاحظ أن أنبياء البعل وعشتروت الكنعانيّين كانوا يعدون بالمئات في تلك المنطقة، وأن العبران كانوا يضطهدونهم، وأن إيليا رمّم مذبحاً لمعبد قديم في قمة جبل الكرمل كان قد تهدم... وأن جبل الكرمل، بنوع خاص، كان المركز البارز والمحور الديني الاسَاسي للأحداث، حيث اجتمع اسرائيل كله وجميع الانبياء!...

والملفت حقاً في هذه الأحداث، وفي هذه النصوص الكتابية بالذات، أن النبيّ إيليا لم يرفع الصلاة باسم "يهوه"، ولم يذكر اسم "يهوه"، لا من قريب ولا من بعيد، بل رفع صلاته الى "إله ابراهيم واسحَق ويعقوب". والمعروف جلياً في الكتاب المقدسً أن إله ابراهيم واسحق ويعقوب (أي اسرائيل) هو "إيل" (راجع سَفر التكوين 33: 18-20؛ 35: 6-10 وغيرها...) لقد رمّم إيليًّا مذبح "إيل" الذي كان قد خرب فوق جبل الكرمل، وهو مذبح المعبد الكنعاني القديم الذي تحدثنا عنه مراراً. وثبّت إيليا أمام الشعب كلّه وحدانية الإله ضد تعدّد الآلهة-البعول... أما ما ورد في النص الكتابي حول أسباط بني اسرائيل الاثني عشر والحجارة الاثني عشر الخ... فهو زيادة وتعليق من قبل النسّاخ المتأخرين، كما جاء حرفياً في النسخة الكاثوليكية التي بين ايدينا (راجع سَفر الملوك الاول، "ذبيحة الكرمل"، 18: 30-40) والحاشية رقم(6) التي تقول: "يبدو ان الآيتين 31-32 هما تعليق"! وهاتان الآيتان بالذات هما اللتان تتحدثان عن اسباط اسرائيل الاثني عشر وعن الحجارة الإثنى عشر الخ...

والحق يقال، ان الزيادات والتعليقات والشروحات والاضافات... التي زيدت على النصوص الأصليّة للكتاب المقدس، تشكل وحدها مجلداً ضخماً!... (وذلك في النواحي التاريخية والجغرافية فقط).

ولا بد لنا، وقد تحدثنا عن ذبيحة الكرمل على يد إيليا النبي، من الإشارة الى أهدافها ونتائجها وهي انتهاء الجفاف وهطول الامطار وارتواء البشر والارض... فقد صام الملك آحاب وحاشيته ومعه الانبياء والشعب كله تمهيداً للذبيحة ولنيل المطر بعد جفاف طويل. فبعد ذبيحة الكرمل، يتابع النص: "... وقال إيليا لآحاب" إصعد وكُلْ واشرب، فهوذا صوت دويّ مطر. فصعد آحاب ليأكل ويشرب. وصعد إيليا الى رأس الكرمل وانحنى الى الارض وجعل وجهه بين ركبتيه. وقال لخادمه: إصعد وتطلّع نحو البحر. فصعد وتطلّع وقال: ما من شيء. فقال له: إرجع على سَبع مرّات. فلما كان في السّابعة قال: ها غيم صغير، قدر راحة رجل، طالع من البحر. فقال له: إصعد وقل لآحاب: شدّ وانزل لئلا يمنعك المطر. وفي أثناء ذلك اسودّت السَماء بالغيوم وهبّت الرياح وجاء مطر عظيم. فركب آحاب وسار الى يزرعئيل (كانت شبه عاصمة ثانية لملوك اسرائيل، راجع: سَفر الملوك الاول 21: 1؛ وسَفر الملوك الثاني 8: 29، 9: 30 ت). وكانت يد الربّ مع إيليا، فشدّ حقويه وجرى أمام أحآب حتى الوصول الى يزرعئيل..." (سَفر الملوك الاول 18 :41-46).

مرّة اخرى، يكون جبل الكرمل جبل الخصب والارتواء. فكما كان في العهود الكنعانية القديمة جبل "الخصوبة الروحيّة" والتركيز الروحي، وكان يقصده الفلاسفة والحكماء المشرقيون، ويقيمون فيه فترة طويلة بشكل رياضة روحية، فها هو الآن مع إيليا النبي جبل الخصوبة المادية ايضاً والارتواء الزمني الأرضي. وقد ركز مفسِّرو الكتاب المقدسَ على هذه النصوص وعلى رموزها. فقد رأوا في الجفاف الذي حصل في الأرض رمزاً لانتظار الارض وشعوبها للمسيح المخلّص المنتظر؛ وفي "الغيم الصغير، قدر راحة رجل، الطالع من البحر"، صورة للعذراء البتول مريم التي حملت في جوفها "ماء الحياة"؛ وفي المطر العظيم الذي أروى الارض والناس، صورة لابن الله المتجسّد الذي ولد من مريم وأروى الأرض والناس بماء الحياة الأبديّة... حصل كل ذلك في جبل الكرمل بالذات الذي كان يدعوه الانبياء-في رؤاهم الروحيّة- "جبل لبنان"...! (أشعيا 29: 17)

وجاء في سَفر الملوك الثاني (2: 1-25):

"وقبل أن يرفع الربّ إيليًّا في العاصفة نحو السماء، ذهب إيليا مع اليشاع من الجلجال. فقال إيليا لاليشاع: أُمكُثْ ههنا، فان الرب قد أرسلني الى "بيت ايل"... فقال اليشاع: حيّ الرب وحيّة نفسك! إني لا أفارقك. ونزلا الى بيت "إيل"... فخرج "بنو الانبياء" الذين في "بيت إيل" الى اليشاع وقالوا له: هل علمت أن الرب في هذا اليوم يأخذ سَيدك من فوق رأسك؟ فقال: نعم، قد علمت أنا ايضاً، فاسكتوا...". وبعد أن صعد إيليا في عاصفة نحو السّماء بمركبة ناريّة وخيل ناريّة، أخذ اليشاع رداء إيليا الذي كان قد سقط عنه، وعبر الاردن. "فرآه "بنو الانبياء" الذين في أريحا، فقالوا: قد حلّت روح إيليا على اليشاع... ثم صعد اليشاع الى "بيت إيل"، ومن هناك الى "جبل الكرمل"...". وجدير بالذكر، ان "بني الانبياء" هؤلاء، كانوا أنبياء كنعانيين يؤلفُون جماعات ويعيشون حياة مشتركة، وكان اليشاع على صلة وثيقة بهم. ومنهم جماعة كانت تقيم في "بيت ايل" وأخرى فوق جبل الكرمل... وهم، في الحقيقة اسلاف "الرهبان" الاسَينيّين انفسهم، او بعض الجماعات الملحقة بهم أو القريبة منهم... من "المنذورين" "والمكرَّسين" لله... (راجع الفصل الخاص بالاسِّينيين).

في منتصف القرن الأول قبل الميلاد، حدث أمر بالغ الاهمية يلقي أضواء كاشفة على موقع "بيت لحم الحقيقية"، وقضية ميلاد يسوع "وسنواته الخفّية"، ونشأة المسيحيّة عينها. وقد ظل هذا الحدث مغموراً ومنسياً طيلة قرون عديدة، بفعل الطمس المقصود او الجهل المتوارث أو تراكم كليهما. وقد ألمحنا اليه مراراً ومهّدنا له باختصار في الفصول السابقة. وهذا الحدث هو التالي:

في منتصف القرن الاول قبل الميلاد، بدأ الاسينيّون يوحّدون جهودهم مع الجماعات الروحية الاخرى في جليل الامم-ومنها "النذيرين" "والمكرسين" "ومدارس

وعائلات الانبياء"_ بغية إقامة مركز محوريّ روحيّ كبير فوق جبل الكرمل بالذات. من المعروف، كما ذكرنا سابقاً، انه كان هناك للاسِّينيين مغاور عديدة ودير صغير فوق جبل الكرمل. اما المشروع الجديد هذا، فكان يبغي انشاء دير كبير "وجامعة دينية-علمية ومتخصصة" لها فروعها واقسامها مع مكتبة ضخمة تجمع المخطوطات القيمة الآتية من مكتبة الاسكندرية الكبرى ومن سَائر الحاضرات الثقافية في المشرق. وقد نفّذ هذا المشروع الضخم المشترك بالفعل في اواسط القرن الاول قبل الميلاد!

ومن الاسباب التي دفعت الى انشاء هذا المركز الكبير فوق جبل الكرمل، الاضطهادات المتوالية التي حصلت على الجماعة الاسينيّة في منطقة قمران، قرب البحر الميت، من قبل الحكام والرؤساء اليهود، دينيّين ومدنيّين... وهذا ما يؤكده يوسَيفوسَ المؤرخ عينه والعديد من المؤرّخين. بالاضافة الى الزلزال الذي حصل في قمران سَنة 31 ق.م. فانقطع السّكن فيه من سَنة 31 ق.م. الى سَنة 4 ق.م. (الدكتور أسَد رستم "مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران"، طبعة ثانية، بيروت 1990، ص 21 مع الحواشي). غير أن أهم الاسباب التي دعت الى إقامة هذا المركز الروحيّ الكبير، فوق جبل الكرمل تحديداً، هو أن جبل الكرمل كان يقع في ذلك الوقت ضمن أراضي فينيقية-لبنان. نعم داخل الاراضي الفينيقية-اللبنانيّة! مع العلم أن جبل الكرمل كان منذ بداية البشرية حتى المسيح، وقبيل مجيء المسيح، وفي ايام المسيح، وبعد المسيح، حتى نهاية العهد العثماني (ولاية بيروت، وصيدا، وعكا...)، كان يقع دوماً وأبداً داخل حدود فينيقية-لبنان. (فلتراجع جميع خرائط وتواريخ العالم، القديمة والجديدة، المخطوطة والمطبوعة، وبجميع اللغات الميتة والحيّة...!)

ونحن نستخدم عن قصد هذا الاسلوب في الكتابة، وهذه النبرة في التأكيد، في هذا الموضوع بالذات؛ لان هذا الموضوع هو بالغ الاهمية والخطورة: ففوق جبل الكرمل بالذات حصل التجسد الإلهي، تجسد الكلمة، تجسد الاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس. أجل! في لبنان، في لبنان بالذات، تجسَد "إيل". ودعي "عَمانوئيل"، كما قال الملاك جبرائيل المرسل من الله، وكما يؤكد الوحي والانجيل والكنيسّة معاً. في لبنان حصل التجسّد الالهيّ في شخص يسوع المسيح ابن مريم ويوسف. ذلك لان العذراء مريم كانت، في الحقيقة، في هذا الدير الاسيني الكبير عندما بشرها الملاك بميلاد المسيح المخلص. ولان مغارة "بيت لحم الحقيقية" حيث ولد يسوع المسيح تقع في السفح الشمالي الشرقي لجبل الكرمل بالذات!!! وهذا ما سَوف نتحدث عنه بالتفصيل لاحقاً...

لقد ورث "رهبان" هذا الدير المتجدّد الكبير، فوق جبل الكرمل، وخاصة الاسينيّون منهم، الحقائق القديمة والحكمة الروحيّة المتمثلة "بالاسرار الكبيرة والصغيرة". فتلقين هذه "الاسرار" وإدخال المريدين في رتبها وطقوسها ودرجاتها،

كانا من مهماتهم الاساسية. فهم أحفاد وتلاميذ الحكماء الكنعانيين القدماء، والمصريين القدماء. ومع توالي العصور عملوا على موالفة أهم التيارات الروحية في الشرق وفي حوض المتوسط. كان الاسِّينيّ يدخل، من خلال طقوس الاسرار في نوع من الولادة الجديدة: "الولادة الروحية". ولذلك كان يتقبّل "معمودية الدم" التي تحولت فيما بعد الى "معمودية الماء" التي ترمز الى تطهير الانسان من خطاياه. ومعموديّة الماء هذه هي نفسَها التي مارسها يوحنا المعمدان الذي كان أسّيِنيّاً. وكان الاسينيّ يقدم الضحايا أو يقدم نفسَه كضحية فداء خطاياه وخطايا البشر. وكان ذلك كنوع من "التمهيد" لعقيدة الفداء عند المسيحيّين. كانوا يحفظون المخطوطات القديمة في جميع العلوم الروحية وفي سّائر العلوم، ويحافظون على التقاليد الشفهية القديمة الخاصة بشعبهم وبالشعوب المحيطة بهم المعروفة بحضاراتها كالكنعانيين والمصريين والكلدانيين والفرس وغيرهم. كانوا يتأملون ملياً بالماضي ويقرأون علامات الازمنة والمستقبل، مركزين على علوم الفلك والتنجيم. كانوا ينمون قواهم وطاقاتهم الجسدية والعقلية والروحية معاً، فيبلغون مراتبَ سامية في الترقي الانساني الروحي، ويستشفون الاسرار والحقائق الروحية العميقة في الحياة والكون والوجود. لذلك كانت لهم اختبارات خارجة عن المألوف، كالاحلام والرؤى والنبؤات والشفاءات والتفسيرات الروحية وغيرها... كانت اجتماعاتهم سرّية للغاية ومنظّمة جداً. وكانوا ينقسمون الى فروع وفئات متنوعة داخل فلسطين وخارجها. كان منهم الطلاب والمريدون والاخوة والشيوخ والمرشدون والمرسلون والمبشّرون. كانوا على علاقة وثيقة بجماعة الشفّائين في مصر، هذه الجماعة التي قال عنها مؤرخ الكنيسة الأول الاسقف اوسَابيوس القيصري "إنهم كالمسيحيّين مع أنهم وجدوا زمنياً قبل المسيح...!". لقد حافظوا وحدهم على الاسرار والحقائق الكونية والحكمة الروحية القديمة، وكانت كل هذه قد نُسيت أو تحوّرت أو مُسِخَتْ بسَبب الجهل والاهواء والحروب والشرور المتعاقبة... كانت جماعاتهم تضم رجالاً ونساءً. وكان هناك مساواة بين الرجل والمرأة، بشكل منتظم ومتكامل. كان الاهل ينذرون بناتهم ويكرّسونهن للرب. وكانت النساء، وخاصة المكرّسات منهن، يتثقفن ثقافة عالية ويعدّون نفوسهن لأعمال التعليم والتدريس والتبشير والرسالة. وكان للمرأة دور ملفت وبارز في الحياة الروحية والدينية!... كان القسم الكبير منهم يختار البتولية، رجالاً ونساءً. وكان البعض منهم يتزوجون ويربّون اولادهم داخل اسوار الجماعة. كما أن البعض الآخر، وهم أقلية، كانوا يَتَبَنّوْنَ أولاداً يتامى أو فقراء. وقد اكتشف مؤخراً العالم إ. يادين في مخطوطات قمران –البحر الميت- كتباً خاصة برتب الزواج وطقوسه، وذلك في ما يسمى "مخطوطة الهيكل".

كان معلم الاسينيّين الاكبر يحمل في عنقه حَجَرّ يَشْبٍ كتب عليه "ميكا موكا بن ألوهيم أدوناي"، وعلى الوجه الثاني حروف اسم "إيل". وكان الاخوة الاسينيّون،

ومنهم يوحنا المعمدان، يلبسون قلادات كتب عليها اسم الإله الحقيقي: "إيل" (كما أوضحت مؤخراً "مخطوطات البحر الميت")! كان الرؤساء يلزمون طلابهم، تحت طائلة القسَم واليمين، بالاّ يبوحوا لأحد بالاسرار التي تلقنوها. وكانت السرّية التامة ميزة خاصة عند الاسينيّن. وكان المعلّمون والمرشدون يقسمون تلاميذهم-بحسب العمر وامكانيات الاستيعاب وعمق الحقائق الملقّنة- الى درجات متتالية ثلاث: الطلاّب، الأخوة، الكاملون.

كانت لهم جداول فلكية تنبؤيّة مفصّلة. وفي مخطوطات قمران الشهيرة اكتشف جدول فلكي زمني يشير بالتحديد الى موعد مجيء المسيح المخلّص المنتظر! وفي الواقع، كانوا ينتظرون مسيحاً روحياً يخلّص الناس أجمعين ويعيد العلاقة بين الله والبشر. وليس مسيحاً خاصاً باليهود، عسكرياً محارباً يقهر بجيشه الاعداء. ولا من ذريّة داود الجسدية والدموية، لانها برأيهم قد انقطعت منذ فترة طويلة. وكانوا يسمّون مسيحهم ايضاً "مسيح اسرائيل"، بالمفهوم الاصيل القديم الشامل، قبل حصول الانحراف والضلال اللذين وقع فيهما اليهود فيما بعد والذين جعلوا من الله، اله الكون والبشر أجمعين، الآهاً عنصرياً خاصاً بقوميتهم العنصرية وحدها. (وفي الواقع، ألم يقل المسيح، هو شخصياً عن نفسه، انه أتى الى الخراف الضالّة من آل اسرائيل؟!...)

كان "رهبان "الكرمل، منذ القديم، على علاقة متواصلة مع مجوسَ المشرق. فقد تبيّن للأَبَويْن "بنوا وبوامار"، وهما من كبار شارحي الكتاب المقدسَ الكاثوليك، وفي معرض بحثهما عن مجيء المجوسَ زمن الميلاد، أن النبي بلعام (الالف الثاني ق.م.؛ راجع سَفر العدد 22-24) كان من المجوسّ. وقد يكون من مؤسِّسي أو مجدّدي فرقة "المجوس". ذلك لان الجماعتين، جماعة الاسينيين وجماعة المجوس كانتا من مدرسة روحية قديمة واحدة: هي مدرسَة "أخنوخ-هرمسَ-توت". وكانتا من جهة ثانية على علاقة بالاسَينيين "وأخوّة المعرفة البيضاء" في مصر. انه تقليد دهري قديم مرتبط بالحضارة الاولى على الأرض: حضارة الإله الكونيّ الواحد "إيل". من هنا، في الحقيقة، تسمية المسيح بـ "عمانوئيل"- أي "إيل" معنا. وفي الترجمة اللاحقة العربيَّة: الله معنا! والذي يؤكد، بشكل قاطع هذه الحقائق، هو أن النبي بلعام بشهادة التوراة نفسَها كان يصلّي للإله "إيل"!!! (راجع سَفر العدد الفصول 22-24، مع الحواشي والشروحات في النسخة الكاثوليكية الجديدة للآباء اليسوعيين ص 323-329)... وهذه العلاقة المميّزة بين الجماعتين، جماعة الاسَينيّين في الكرمل وجماعة المجوسَ في المشرق، جعلت كل واحدة تتبادل المعلومات والمستجدات مع الأخرى. ومنها الأحداث الكبرى المتوقعة على الارض، بفضل الحسابات والتنبؤات الفلكية. ومنها مولد مسيح مخلص روحي للبشر أجمعين. هذا ما حصل بالضبط حين أتى مجوسَ المشرق متتبّعين سَير النجم حتى

بيت لحم. وهذا ما يشرح وحده، في الحقيقة، كل تلك الاحداث... التي حصلت عند ميلاد يسوع المسيح!

تجدر الاشارة الى أن المدرسة الكبيرة التي أنشئت، في أواسط القرن الاول قبل المسيح، فوق جبل الكرمل قد أغلقت ابوابها نهائياً في أواخر القرن الرابع بعد الميلاد (راجع "حياة يسوع السرّية" (بالفرنسية) للدكتور هـ. سبنسَر لويس، ص 126-127). والظاهر أن الاسَينيّين والجماعات الروحية الجليلية المماثلة، التي كانت في الجليل وخاصة في جبل الكرمل، قد ذابت تدريجياً في المسيحية الناشئة، في القرون الاولى بعد الميلاد. والدليل على ذلمك، وعلى سبيل المثال لا الحصر، ان الرهبان في جبل الكرمل قد اعتنقوا المسيحية باكراً، في عيد العنصرة أي يوم حلول الروح القدس على التلاميذ، وبنوا اول كنيسة في تاريخ المسيحية على اسم العذراء مريم وهي بعد على قيد الحياة! فقد جاء في "دليل جبل الكرمل"، ص 10، بالحرف الواحد ما يلي:

"Une première chapelle, construite auprès de la grotte (au Mont Carmel) du vivant même de la Sainte Vierge, et dont fait mention la légende du bréviaire, fut remplacée par une autre à l'époque Byzantine..."!

وبالعربية:

"بنيت كنيسَة أولى بالقرب من المغارة (في جبل الكرمل) وكانت العذراء مريم على قيد الحياة. هذا ما تأتي على ذكره الشروحات في مقدمة كتاب "فرض الكاهن". وقد استبدلت هذه الكنيسَة بكنيسَة أخرى في العهد البيزنطي..."!

وفي الصفحة 28 جاء بالحرف الواحد ما يلي:

"On comprend qu'ainsi préparés les ermites se soient convertis à la foi chrétienne dès le jour de la Pentecôte, et qu'ils aient, les premiers de tous les hommes, consacré une chapelle à la Vierge, alors qu'elle vivait encore ici-bas. De ce chef, la Montagne du Carmel, berceau de la vie monastique, devenait le fief de Marie, et le sanctuaire de l'esprit contemplatif et marial, qui est la marque distinctive de l'Ordre du Carmel..."!

وبالعربية:

"هكذا نفهم كيف أن رهبان الكرمل، بعد أن أصبحوا مهيأين، قد اعتنقوا الايمان المسيحيّ منذ يوم العنصرة، وكرّسوا، قبل غيرهم من الناس، أول كنيسة مسيحية، وكانت على اسم العذراء مريم، وهي على قيد الحياة! وهكذا أصبح جبل الكرمل، مهد الحياة الرهبانية، موئلاً للعبادة المريميّة، ومركزاً روحياً للحياة التأملية التي هي العلامة المميّزة لرهبانية الكرمل..."

وفي الصفحة 29 من "دليل جبل الكرمل" جاء ما يلي، في ملخص ختامي عن تاريخ جبل الكرمل:

“-33 ans ap. J.C., à la Pentecôte, conversion des ermites du Mont Carmel. Transformation de l’oratoire en Chapelle Chrétienne…”.

"-وفي السَنة 33 للميلاد، رهبان جبل الكرمل يعتنقون المسيحيّة. تحويل المعبد القديم الى كنيسَة مسيحيّة...". (راجع "دليل جبل الكرمل"، الطبعة الاولى (بالفرنسية)، أورشليم، 1946، وخاصة الصفحات 10، 28-29).

عام 1995، صدر كتاب كبير بالفرنسيّة عنوانه: "جبل الكرمل في الأراضي المقدسَة- منذ العصور القديمة الى أيامنا هذه". يعرض الكتاب، بطريقة علمية معاصرة، دراسَة متكاملة عن تاريخ جبل الكرمل وجغرافيته وأهم الاحداث- خاصة الدينية- التي حصلت فوقه، في سفوحه وفي جواره. وهو يستند الى علوم الآثار من خلال التنقيبات العلمية الحديثة والمعاصرة، ويحوي العديد من الوثائق والمراجع والخرائط القديمة والحديثة باللغات اللاتينية والطليانية والفرنسية. كتاب أنيق يزدان بالرسوم والصور الملوّنة، جاء ثمرة عمل جدّي مشترك، قامت به "رهبنة الكرمل" في العالم، التي تمتد جذورها بعيداً في جبل الكرمل والتي بنت أول دير فوقه في اوائل القرن الثالث عشر. لاجل ذلك، يعتبر الكتاب مرجعاً علمياً عن جبل الكرمل- خاصة منذ نشأة المسيحية الى يومنا هذا. لذلك، سَنحاول أن نرجع إليه، كلّما دعت الحاجة، في الفقرات التالية من هذا الفصل.

يقول المؤلف في إحدى مقدمات الكتاب: "إن الرغبة في تحديد الامكنة التي حصلت فيها أحداث الانجيل، كانت ظاهرة بارزة في القرن الرابع للمسيح، وذلك بعد انتصار الملك قسطنطين الكبير وإعطاء الحرية للمسيحيّين وتَقَاطُرْ الحجاج الإفرنج الى الأراضي المقّدسة. كانت رغبة المسيحيين عهد ذاك متجهة الى اكتشاف جذور ديانتهم حتى من النواحي الجغرافية والاجتماعية... غير أن إطلاق التسميات وتحديد الأمكنة التي رافقت نشأة المسيحية حصل، في بعض الاحيان، مع شيء من التسرّع والتبسيط الشعبي وعدم الدقة. وغالباً ما جاءَت التسميات من قبل رحّالة وحجاج يجهلون تماماً لغات تلك البلاد وجغرافيتها وعاداتها، وليس من قبل علماء ومؤرّخين وجغرافيّين ثقاة. وإن أقل ما يمكن أن يقال في ذلك، هو أن إطلاق بعض الاسماء على بعض الامكنة الجغرافية جاء أمراً مشكوكاً فيه وقابلاً للنقاش، إن لم يكن خاطئاً وغير موافق ومطابق من النواحي التاريخية والجغرافية الموضوعيّة..."! الخ... (مقدمة المقالة الرابعة في الفصل الثالث ص 121)

جبل الكرمل هو، في الحقيقة، سلسلة صغيرة من التلال والوديان، طولها حوالي 35 كلم وعرضها 6 كلم، وهي تمتد، من سهل يزرعئيل في الجليل الى البحر

المتوسط، وهي تشبه مثلثاً متساوي الضلعين، زاويته العليا فوق مدينة حيفا، ووجهته من الشمال الى الجنوب الشرقي، مساحته 150 كلم2 تقريباً. رأس الجبل يقع بين الدرجة 32-51ْ من خط العرض شمالاً ، والدرجة 32-37ْ من خط الطول شرقاً. أعلى قمة في جبل الكرمل تعلو 480 متراً عن سَطح البحر. والجدير بالذكر ان هذا الجبل كان، منذ فجر التاريخ حتى فترة قصيرة مضت من الزمن، داخل ارض كنعان وفينيقيا-لبنان، ثم اعتبر داخل فلسطين وأصبح اليوم داخل الدولة اليهودية...

لفظة "كرمل"، والأصل "كَرْم إيل"، لفظة كنعانية، كالعديد العديد من الأسماء في بلادنا، وهي تعني: كَرْم أونبات أو خصوبة "إيل" الإله الكنعاني الكونيّ المعروف (راجع "جبل الكرمل في الاراضي المقدسة منذ العصور القديمة الى ايامنا هذه"، ص 13). ومن الكنعانية انتقلت اللفظة الى العبرية، واستمرّ المعنى أياه: المشجّر، المثمر، الخصب الخ... وفيما بعد، لقّبت المنطقة بكاملها، الجبل وسفوحه وجواره، "أفراته"، ومعناها ايضاً "الخصبة والمثمرة والكثيرة الخصب والثمار." من هنا لقّبت مدينة بيت لحم الاصليّة، التي تقع في هذه المنطقة بالذات، "بيت لحم أفراته" (راجع تكوين 35: 19؛ 48: 7 راعوت 4: 11 وخاصة ميخا 5: 1-2). وهكذا ايضاً بالآرامية والسريانية "أفراتة" تعني الخصبة والمثمرة. ومن جهة ثانية، فلفظة "بيت لحم" الكنعانية الأصل، تعني هي أيضاً مكان الخبز والنبات والزرع أو إله الخبز والنبات والزرع...! (بيت=مكان؛ لحم=الخبز او إله الخبز...) وهكذا بالعبرية والآرامية والسريانية.

وفي الحقيقة، كانت منطقة الكرمل، منذ أقدم العصور مشهورة بخصوبة أرضها وتربتها وكثافة نباتاتها وأشجارها وثمارها وأزهارها، حتى لقّب الكرمل "بالبستان" "وبستان الاشجار والفواكه"، "والغاب" "والجنّة" الخ... والكتاب المقدس نفسَه، في العهد القديم، يتغنّى بخصوبة الكرمل وجماله وبهائه. يقول أشعيا: "لتفرح البريّة والقفر، ولتبتهج البادية وتزهر كالنرجس. لتزهر أزهاراً وتبتهج ابتهاجاً مع هتاف: قد أوتيت مجد لبنان، وبهاء الكرمل والشارون، فهم يرون مجد الربّ وبهاء إلهنا..." (35 :1-2). ويقول إرميا، على لسَان الربّ: "...وأُرجع إسرائيل الى مرعاه فيرعى في الكرمل وباشان وتشبع نفسَه في جبل أفرائيم وجلعاد..." (50: 19). ويصرخ عاموسَ عالياً فيقول: "الرب يزأر من صهيون، ويجهد بصوته من أورشليم، فتنتحب مراعي الرعاة ويجفّ رأس الكرمل..." (1: 2). ونشيد الأناشيد، من جهته، يقول على لسَان الحبيب متغنّياً بحبيبته: "رَأْسُكِ عليك مثل الكرمل، وشعر رَأْسَكِ كأرجوان: ملك مقيّد بالخصائل... ما أجملك وما أشهاك..." (7: 6-7). ويشبّه ميخا جبل الكرمل بالجنّة فيقول: إرعَ شعبكَ بعصاك، غنم ميراثك السَاكنين وحدهم في الغاب في وسَط الجنّة (يقصد جبل الكرمل). فليرعوا في باشان وجلعاد كما في

الأيام القديمة..." (7: 14). ويقول الاب يوحنا المعمدان رئيس دير جبل الكرمل في سَنة 1774 إنه استقدم أشجاراً مثمرة من لبنان وزرعها في جبل الكرم كما فعل سَالفوه...! (جبل الكرمل... ص 112-113)... ولكثرة نباتاته وأشجاره ووديانه ومغاوره، كان جبل الكرمل يأوي بعض الحيوانات البرّية التي تعيش عادة في هكذا أماكن. وأهم حيوانات الكرمل هذه كانت النمر واليحمور والوعل وغيرها. (قاموس الكتاب المقدس، ص 778، العمود الثاني).

وبالاضافة الى خصوبته الأرضية، فقد اشتهر جبل الكرمل بخصوبته الروحية، منذ العصور القديمة، حتى لقب "بالجبل المقدس"، "والجبل المكرّسَ" "لانه يسهّل الاتصال المباشر بالألوهة منذ القديم...". (جبل الكرمل ص 13،18). في الأصل الكنعاني كان مكرساً للإله الكنعاني "إيل". من هنا تسميته "بجبل الكرمل" (كرْم إيل). ثم كرّس للالآهة "أشيراي" أم الآلهة عند الكنعانيّين، وسَمّي "بيت أشيراي" أي "مقام أشيراي". وتحوّرت العبارة "بيت أشيراي"، من خلال التصحيف الشعبي، كسائر العبارات الكنعانية والآرامية والسريانية، فأصبحت: بشاراي أو بشارة. وهكذا عرفت هذه المنطقة فيما بعد باسم "بلاد بشارة"، وكانت تعرف بسبط "أشير" عندما دخلها اليهود مع يشوع (حوالي 1230-1220).

وفي وقت لاحق كُرِّسَ جبل الكرمل للبعل الكنعاني (أدونيس)، إله الخصب في الطبيعة، إله الربيع والحياة وقيامة الزرع من الموت (من تحت الارض). وكان للبعل مقام معروف فوق جبل الكرمل... (جبل الكرمل... ص 21،121). من هنا، مرّة اخرى، تسمية جبل الكرمل ومنطقته "بالخصبة والمثمرة" "وافراتة" (الكثيرة الثمار)، وتسمية المدينة المركزيّة المجاورة "بيت لحم": بيت الخبز أو مقام إله الخبز والزرع والغلّة والخصوبة... وفي إحدى مغاور سفوح جبل الكرمل، التي كانت مكرّسة لادونيسَ الكنعاني-اللبناني، وبالقرب من بيت لحم الكنعانية، ولد المسيح كما سَنرى لاحقاً...! والذي نودّ التركيز عليه هنا هو أن منطقة الكرمل بكاملها والجوار كانت مكرّسة لأدونيسَ الكنعاني، وذلك طوال قرون عديدة. وكان الجبل مع معابده ومغاوره المركز الاساسيّ لعبادة أدونيس، ذلك الشاب الجميل البريء الذي قتله "الخنزير البرّيّ"... ونحن نرى، على خطى بعض آباء الكنيسة الأولين، أن أروع وأجمل وأصدق صورة ورمز وتمهيد ليسوع المسيح هو ... أدونيس نفسَه!

وبالاضافة الى بيت لحم الجليل-بيت الزرع والخصب والخبز- والتي بنيت كمدينة مركزية لعبادة أدونيس، كان هناك العديد من الهياكل والمعابد المكرّسة لأدونيس وعشتاروت في تلك المنطقة، كما يقول الكتاب المقدّس نفسه... وكان هناك ايضاً نهر صغير في سفوح جبل الكرمل الشرقية والشمالية يصبّ في المتوسط يدعى نهر بيلوسَ (من "بيل" وهي تعني البعل-ادونيس، ومن "أوسَ" اللاحقة اليونانية). ثم

سمّاه العرب نهر النعمان- وهو يُعْرَفُ اليوم هكذا- والنعمان، كما هو معروف، لقب لأدونيس. النعمان: الشاب الوسيم والفتيّ الناعم... ومنها شقائق النعمان الحمراء التي ترمز الى دم أدونيس. (وفيما يخصّ تكريسَ منطقة الكرمل لادونيس الكنعاني- اللبناني راجع، على سَبيل المثال: عالم الآثار رينه دوسِّو "ملقارت" مقالة بالفرنسية في مجلة "سيريا"، 1944، ص 205 وما يتبع؛ يوسيفوس المؤرخ، "الحروب اليهودية"، الجزء الثاني، 10؛ سترابون، "جغرافية سَترابون"، 16، بلينوسَ المؤرّخ، "التاريخ العام"، 36،65؛ وغيرهم...).

وفي القرن التاسع قبل المسيح، في عهد النبيّ إيليا وتلميذه اليشاع، كان جبل الكرمل المحور الاساسيّ والمركز الروحي الأول للديانتين: ديانة الإله الواحد "إيل"، وديانة البعل (والأصح البعول بالجمع). وكانت التجمعات الروحية الكبرى لكلتي الديانتين تحصل فوق جبل الكرمل. وفي مغاوره ومعابده العديدة كان يوجد ما سمّي فيما بعد "مدارس" أو "عائلات الأنبياء والنبيّات" الكنعانيين. وقد تأثر أنبياء اليهود الأولون بهذه الظاهرة النبوية الكنعانيّة... وفوق جبل الكرمل حصلت "ذبيحة الكرمل الكبرى" التي انتصر فيها النبي إيليّا على كهنة البعل... (سَفر الملوك الأول 18: 16-40). وبعد ذبيحة الكرمل هذه-أو محرقة الكرمل- أصبح جبل الكرمل يعرف بجبل إيليا النبي، هذه الشخْصية البارزة في التاريخ الديني لتلك البلاد، والذي يشكل مفصلاً وحلقة هامة تربط العهود القديمة لتاريخ جبل الكرمل بعهوده الحديثة.

ان جبل الكرمل، "الجبل المقدس"، "والجبل المكرس"، "الذي كان يسهّل الاتصال المباشر بالألوهة منذ القديم"، كان الموئل الاول الذي حضن أول مركز للجماعة الاسَينية في شكلها القديم، وذلك في أواسط الالف الثاني قبل الميلاد. من المعروف أن فرعون مصر تحوتمسَ الثالث في غزوته الشهيرة لأرض كنعان عام 1449- لم يكن هناك لا يهود ولا فلسطينيون في جنوب أرض كنعان – قد أسّسَ ديراً فوق جبل الكرمل لجماعة روحية سرية متفرعة من "الأخوَّة الكبيرة البيضاء". وهذه الأخيرة هي، في الحقيقة، الحفيدة المباشرة "للجماعة الروحية الهرمسية العالمية"، التي حافظت طوال قرون عديدة على الحقائق الروحية والحكمة السرية التي أعلنها أحنوخ كنعان، تاوتس مصر وهرمسَ اليونان الخ... الذي هو رسول "إيل" الإله الكنعاني المعروف، وناشر ديانته وحضارته في الأرض. وفي جبل الكرمل بالذات، أخذت هذه الجمعيّة الروحيّة السرّية القديمة اسم "الجماعة الاسينيّة". ومن جماعة الكرمل تفرّعت فيما بعد جماعة "بحر العزلة" على ضفاف الأردن في الجليل، وجماعة أنغادي التي سميت فيما بعد قمران على ضفاف البحر الميت.

وإذا عدنا الى إيليا في ذبيحة الكرمل، نجد أنه قبل المحرقة "يرمّم مذبح الرب الذي كان قد تهدّم..." (الملوك الاول 18: 30) مما يدلّ على أنه كان هناك في مكان

المحرقة فوق جبل الكرمل معبد قديم للرب كان قائماً قبل النبيّ إيليا. والرب الذي دعاه إيليا عالياً هو اله ابراهيم واسحق ويعقوب (اسرائيل) (الملوك الاول 18: 36). وقد أجمع المفسَرون على أن إله ابراهيم واسحق ويعقوب هو الإله "إيل" (راجع سَفر التكوين 14: 18؛ 16: 13؛ 21: 33؛ 28: 19؛ 32: 31 وغيرها كثير جداً...). وكان سَفر التكوين 33: 20 واضحاً تمام الوضوح حيث يقول: "وأقام يعقوب هناك (مدينة شكيم) مذبحاً ودعاه باسم إيل، إله اسرائيل..."! (تكوين 33: 20) أجل! إن إيل كان إله اسرائيل قبل أن ينحرف اليهود ويضلّوا، تاركين هذا الإله، إله أجدادهم إبراهيم وإسحق ويعقوب. ألم يقل يسوع المسيح نفسَه "أتيت الى الخراف الضالّة من آل إسرائيل..." (متى 15: 24)؟! وهكذا، فإن الإله الذي دعاه إيليا فوق جبل الكرمل، ورمّم معبده ومذبحه هو الإله "إيل" نفسَه، الإله الكنعاني المعروف.

والجدير بالذكر ان المعبد الذي رمّمه إيليا فوق جبل الكرمل، عاد وجدّده من بعده تلميذُهُ إليشاع النبيّ وعائلات الانبياء. ثم تحوّل هذا المعبد الى دير للجماعة الاسينيّة في أوائل القرن الثاني قبل الميلاد. وكانت هذه الجماعة الاسينية، حفيدة الجماعة الروحية القديمة "الأخوة البيضاء الكبيرة"، والتي أقامت في الكرمل (أي في أرض فينيقية-لبنان)، قد تأقلمت مع بيئتها وانفتحت على محيطها "بفضل الروح الكنعانية" الساعية منذ البدء الى "عالمية الانسان"، والعاملة دوماً على بوتقة البشر في وحدة بنيوية شاملة. لهذه الاسباب انضم الى الجماعة الاسينية تباعاً بعض الاقليات من الاقوام المجاورة، من المتعبّدين السَاعين الى حياة العزلة والانفراد. ومن هؤلاء بعض الجماعات الصغيرة من اليهود، أيام المكابيّين في اواسط القرن الثاني ق.م.، كما يقول يوسيفوس المؤرخ، ثم في أواسط القرن الاول ايضاً. (أمثال المنذورين أو "النذيريم"، و"المكرسين لله" المنتظرين خلاصاً روحياً شاملاً للبشر). وقد ظن البعض بسبب ذلك –وما زال البعض يظن حتى اليوم- ان الاسينيّين هم فرقة من اليهود كالصدوقيين والفرّيسيّين والغيورين وغيرهم. غير أن المتتبّعين للتاريخ الديني في الشرق يعرفون تمام المعرفة أن الجماعة الاسينية عريقة جداً في التاريخ، وأنها ليست فرقة يهودية على الاطلاق، لا من حيث العرق ولا من حيث المذهب والدين، ولا من حيث التوجهات الانسانية والاخلاقية والروحية. أما الجماعة الاسينيّة في الجليل فكانت من "الامم". والكل يعرف العداوة التاريخية الكاملة بين اليهود "والأمم"...

ترك النبي إيليا تأثيراً قوياً خاصة في جبل الكرمل. وقد سمّي الجبل باسمه، ووضعت حول حياته كتب روحية عدّة، ثم جمعت في كتاب كبير يُدعى: "رؤيا إيليا". هذا الكتاب كان معروفاً تماماً لدى المؤرخين والكتبة المسيحيّين في القرون الأولى، وقد ذكروه بالاسم أكثر من مرّة. كما نجد مقاطع من هذا الكتاب في كتب العهد الجديد

القانونيّة نفسها! (راجع على سَبيل المثال: الاولى الى قورنتس 2: 9، في النسخة الفرنسية "لمدرسة أورشليم البيبلية"، ص 1512، الحاشية رقم هـ). هذا الكتاب القديم كان معروفاً ايضاً لدى الجماعات الروحيًة الجليليّة التي سَبقت المسيح: "كالمنذورين"، "والمكرّسين"، "والاسينيين" وغيرهم، الذين كان جبل الكرمل مركزهم الاساسي. وفي أيام المسيح، وفي القرون الاولى للمسيحية، كانت "رؤيا ايليا" مرجعاً روحياً في ثقافة هذه الجماعات الجليلية الروحية. وفي القرن الرابع، عندما أغلقت مدرسة الكرمل، فُقد هذا الكتاب وسُحب من التداول لأسباب عديدة... وفي سَنة 1893، اكتشف المؤرخ الشهير "ماسبيرو" نسخة قبطية "لرؤيا إيليا" في أحد الاديرة القديمة في مصر، التابعة للجماعة الاسينية القديمة. وقد سَهّل هذا الاكتشاف وجود نسَخ اخرى بلغات مختلفة. والذي يهمنا من "رؤيا ايليا" هذه، بنوع خاص، هو أنها تعرض بشيء من التفاصيل تاريخ الجماعات الجليلية الروحية، وخاصة الجماعة الاسينية، منذ إنشائها في جبل الكرمل، حتى "مدرسة الانبياء" أو عائلات الأنبياء"، وصولاً الى إيليّا، كما سبق وذكرنا آنفاً... (راجع الدكتور هـ. سبنسَر لويس، "حياة يسوع السرّية، ص 124-128).

في العهد اليوناني ظلّ جبل الكرمل جبلاً مقدّساً "ومكاناً مميّزاً يُسَهِّلُ الاتصال المباشر بالألوهة" كما في القديم. وكان ذلك معروفاً في عواصم حضارات البحر المتوسط. وكان الفلاسفة وكبار الروحانيّين يقصدون الكرمل ويمضون فترة من الزمن في مغاوره وقممهِ بمثابة "رياضة روحية"، لأنه كان يسهّل التركيز الروحي والاتصال بعالم الروح والسماء. وسَبق وذَكَرْنَا، على لسَان الفيلسوف اللبناني جامبليك (من عنجر-بقاع لبنان) كيف جاء معلّمه الكبير فيتاغوراس الى جبل الكرمل وأمضى فيه فترة من الزمن في الاختلاء والتأمل الروحي.

في العهد الكلداني كان جبل الكرمل مقدساً. ففي أواسط الالف الاول قبل الميلاد أقام نبوكدنصّر معبداً فوق هذا الجبل على اسم أم الآلهة "صرفند" رفيقة الإله الاكبر "ماردوخ"... (يوسف الحوراني "المواقع الاثرية في الجنوب اللبناني خلال تسميات الاعلام ق.م."، ص 18-19).

وفي العهد الروماني كان جبل الكرمل جبلاً مقدّساً مكرّساً لـ"زوسَ كرمِلوس هيليوبوليتانوسَ"، كما يقول المؤرخان الرومانيان تاسيت" و"سويتون". وقد وجد بالفعل، في جبل الكرمل، كتابة باللاتينية على جزء من تمثال "لزوس" تؤكد ذلك حرفياً ("جبل الكرمل..."، ص 13: 126-127). وظل الكرمل مقدساً عند الرومان حتى نهاية عهدهم في الشرق.

وفي العهود المسيحية، ومنذ طفولة العذراء, كان جبل الكرمل وما يزال جبلاً مقدساً مكرّساً للعذراء مريم بنوع خاص، حيث بنيت أول كنيسة لها وهي بعد على

قيد الحياة! ثم بنيت في الكرمل معابد وأديرة مسيحيّة خاصة برهبنة الكرمل-رجالاً ونساءً- واعتبر جبل الكرمل بمثابة المنطلق والمهد الاول لهذه الرهبنة العالمية. كما كانت مغاوره تأوي العديد من المتوحدين والنساك السريان واليونان في العهد البيزنطي ("جبل الكرمل... ص 55-56،65). وفي أيام الصليبيّين شيّدت في جبل الكرمل قلاع وحصون عسكرية، كما رمّمت معابده ومغاوره. ومنذ أوائل القرن السابع عشر عاد جبل الكرمل واصبح موْئلاً لرهبنة الكرمل والتأمل الروحيّ وتكريم العذراء مريم على السواء...

والاسلام بدوره يكرّم جبل الكرمل ويعتبره المركز الاساسي"للخضر". والخضر في التقليد الاسلامي القديم شخصية روحية يلفّها بعض الغموض. فقد قيلت فيها أقوال كثيرة مختلفة وحيكت حولها الأساطير. البعض يقول إنه من الأولياء الأولين في تاريخ البشرية ويربطونه دوماً بظاهرة الاخضرار والزرع والنبات وقيامة الحياة في الربيع... من هنا اسمه: "الخضر". والبعض يجعله رفيقاً لموسى يجترح الآيات، ويسكن على شواطئ البحر المتوسط في فلسطين. من هنا جعل مسكنه في جبل الكرمل. وهو أينما يصلّي "تخضرّ" الارض من حوله، كما انه يلبس دوماً وشاحاً "أخضر". والبعض الآخر يجعله على علاقة بإيليا النبيّ أو يمزج بينه وبين إيليا في الكرمل...؟ (راجع كتاب ابي اسحق النَيْسَبُوري المعروف بالثعالبي "قصص الانبياء المسمّى عرائس المجالس"، المكتبة الثقافية، بيروت لبنان، بدون تاريخ، ص 192-204). ومنهم من يعزي إطلاق لقب "الخضر" على إيليا لكون هذا الاخير لم يمت، فهو لا يزال ينبض بالحياة الخ...

والملفت ان ظاهرة الاخضرار والربيع وقيامة الحياة تلازم دوماً شخصية "الخضر" الروحية. ومع توالي الاجيال صار مزج بين "الخضر" وبين أدونيس الفينيقي-اللبنانيّ، والدليل أن كل مقام في المشرق يكرّم فيه أدونيس او له علاقة بأدونيس يكرم المسلمون فيه "الخضر" ويسبغون عليه نفسَ الصفات التي لأدونيس. وهذا ما حصل في جبل الكرمل بالذات. فهذا الجبل الذي كان مكرساً للبعل وادونيس في العهود القديمة جعله المسلمون مركزاً اساسياً للخضر، وكرّسوا إحدى مغاوره الكبيرة على اسمه (جبل الكرمل... ص 30). وكانت هذه المغارة، وما تزال، مزاراً دينياً يؤمّه المتعبّدون المسلمون في تلك المنطقة. وفي القرون الوسطى، أقام في هذه المغارة، وفي المغاور المجاورة، العديد من المتوحدين والنساك المسلمين ("جبل الكرمل... ص 100). وهؤلاء عندما أقاموا في جبل الكرمل كانوا يعرفون أن مغاورهُ كانت في القديم مكرّسة لأدونيس إله الإخضرار والخصب والربيع وقيامة الحياة! (جبل الكرمل... ص 30-31). وفي وقت لاحق، وفي بلاد المشرق، أخذ المسلمون يمزجون بين القديس المسيحيّ جرجس (الذي استشهد في اول القرن الرابع للميلاد) وبين

الخضر؟! وممن المحتمل أن يعود هذا الربط الى كون الطبقات الشعبية في الأرياف رأت في جرجس تلك القوة الخارقة التي أنقدت الحياة النضرة البريئة، المتمثلة بالفتاة المعدّة للتضحية، من براثن الموت والظلام والطبقات السفلى من الارض، المتمثلة بالتنين القاتل الشرير... بالاضافة الى ان القديس جرجس ولد، على الارجح، في مدينة اللدّ، في فلسطين، القريبة من سفوح الكرمل الجنوبيّة الغربيّة، وأن عيده يقع في منتصف الربيع، في 23 نيسان من كل سَنة... والملفت حقاً أن المسيحيين الشرقيين انفسهم، وخاصة في الجبال والارياف، يبالغون في تكريم مار جرجس حتى حدود الاسطورة، كما أنهم يلقّبونه أيضاً "بالخضر"...!؟ وهناك اليوم بعض المؤرخين والمفسّرين الذين يربطون بين الاسطورة التي حيكت حول حياة الشهيد جرجس، وبين بقايا الذكريات القديمة عن البعل وأدونيس والتي حفظتها الذاكرات الجماعية للشعوب الشرقية...

ويشتهر جبل الكرمل، من جملة ما يشتهر به، بكثرة مغاوره التاريخية المتنوعة الاشكال والأحجام. هناك الكبيرة والمتوسطة والصغيرة. هناك مغاور تحوي بداخلها مغارة أخرى صغيرة. هناك مغاور ذوات طبقتين، الطبقة السفلى للحيوانات الداجنة والعليا لسكن البشر. هناك مغاور تحوّلت الى معابد ومزارات، وهناك أخرى بنيت حولها أديرة وكنائس. هناك مغاور عملت فيها يد الانسان توسيعاً وتحسيناً، وهي قريبة من القرى والمنازل؛ وهناك أخرى نائية بقيت "على الطبيعة". نشير هنا إلى أن علماء الانتروبولوجيا قد وجدوا في بعض هذه المغاور بقايا انسان قديم جداً (مع بقايا حيوانات)، أطلقوا عليه، كما أشرنا سابقاً، اسم: "إنسان الكرمل القديم" أو (أُومو كَرْمِلَنْسِسْ). أكثر المغاور المعروفة في الكرمل هي التي تقع في لحف الجبل وجوانبه وسفوحه الشمالية والشرقية. وهناك أيضاً بعض المغاور البعيدة والنائية التي تقع في الوديان الداخلية في الجوانب الشرقية من الجبل، مثل وادي عين الصيّاح ووادي الغارة ووادي المرارة وغيرها.

أمّا أشهر مغاور الكرمل، التي اطلقت عليها أسماء محدّدة، والتي تقع في لحف الجبل وجوانبه الشمالية الشرقية، فهي التالية:

-"مغارة إيليا"، وهي الأكبر والاشهر. كانت مكرّسة لادونيس في العصور القديمة، سَكنها الرهبان الاسينيّون ثم النبي إيليّا وتلاميذُه وأبناء مدرسَته، ثم لقّبت بمغارة "الخضر" عند المسلمين واصبحت مزاراً لهم. مع العهد الصليبي تسَلّمها الرهبان الكرمليّون لفترة طويلة من الزمن. وبعد أن هُجرت اكثر من مرّة، تحوّلت، بعد قيام دولة اسرائيل، الى "مجمع يهودي"! غير أنها لا تزال، كما كانت منذ نهاية القرن الثالث عشر، مزاراً للمؤمنين أصحاب الديانات الموَحِّدة الثلاث! ("جبل الكرمل"... ص

31،121). على جدرانها الداخلية كتابات كثيرة، باللغة اليونانية، تثبت انها كانت مكرسة لادونيس... ("جبل الكرمل"... ص 126)

-"مغارة اليشاع" تلميذ إيليّا. يقول صاحب مخطوطة "بليزانسَ" الشهيرة والمجهولة المؤلف "إنه زار في سنة 570 للميلاد معبداً قديماً لإليشاع في داخل مغارة ذات طبقتين، تقع الى الجنوب الشرقي لمغارة ايليا... وهناك بقربها مغاور كثيرة... ("جبل الكرمل"... ص 30) (وفيما يخصّ المغاور ذوات الطبقتين راجع ص: 55-56).

-مغاور "أبناء الأنبياء" أو "عائلات الانبياء" أو ايضاً "مدرسة الانبياء"، وهي في الحقيقة المغاور التي تقع في محيط مغارتي إيليا واليشاع، والتي كان يسكنها أنبياء كنعان القدماء ثم الاسينيّون ثم تلاميذ ايليا واليشاع ثم المتوحّـدون المسيحيون في القرون الاولى... وهناك تقاليد قديمة تقول إن "أبناء الانبياء"، ايام إيليا، كانوا، في المناسبات الهامة، يجتمعون في مغارة إيليا الكبرى؛ ولذلك لقبت هذه الأخيرة "بمدرسة الانبياء". (جبل الكرمل"... ص 121).

-"مغارة العذراء مريم"، وهي المغارة التي كانت تلجأ اليها كثيراً العذراء مريم للصلاة والتأمل والعبادة... عندما كانت بعد فتاة صغيرة...!! (جبـل الكـرمـل... ص 31). وهي تقع بالقرب من مغارة إيليا.

-"مغارة العائلة المقدسة"، وهي المغارة التي أمضت العائلة المقدسة ليلة في داخلها قبيل الهرب الى مصر... (جبل الكرمل"... ص 123). وهي تقع بالقرب من مغارة إيليا أيضاً. (إذاً من بيت لحم الجليل ذهبت العائلة المقدسَة إلى مصر، وليسَ من بيت لحم اليهوديّة!...)

-"مغارة أو كنيسة العذراء مريم"، وهي تقع قرب نبع إيليا، في وادي عين الصيّاح، الى الجهة الشمالية الشرقية من جبل الكرمل. وهي ذات طبقتين محفورتين في صخرة "الكدّان" الأبيض. في الأصل كانت الطبقة السفلى مخصّصة لإيواء الحيوانات الداجنة، والعليا لسكن الإنسان. وقد أثبتت التنقيبات الاثريّة التي أجْريت سَنة 1987 على يد عالمة الآثار الاميركية الدكتور "أوجينيا نيتاوسكي"، أن هذه المغارة كانت كنيسَة قديمة جداً، ومزاراً في القرن الخامس للميلاد، ثم أدخلت عليها تحسينات تعود الى العهد البيزنطي ثم العهد الصليبي، وفيما بعد سَكنها الرهبان المتوحّدون. ولقد زار هذه "المغارة-الكنيسة" العديد من الرحّالة والحجاج والمؤمنين وقالوا فيها أقوالاً كثيرة وأبدوا حولها آراء غريبة...؟! ("جبل الكرمل..."، ص 65). ماذا يقصد الكاتب بهذه الآراء الغريبة؟ لماذا لم يفصح اكثر من ذلك؟ هل هناك من قال إن المسيح ولد في هذه المغارة؟!... لماذا التكتم؟ هل هناك حقائق تناقض تماماً الرأي العام السائد منذ قرون؟ أم ماذا؟ أمّا نحن، من جهتنا، فإننا نقول: أن المسيح قد ولد في إحدى هذه المغاور،

في السَفح الشمالي الشرقي لجبل الكرمل. ومن المرجح جداً ان يكون ولد في هذه المغارة بالذات: "مغارة أو كنيسة العذراء مريم"!

هذه هي أهم وأشهر المغاور في جبل الكرمل، وتقع جميعها في الجوانب والسفوح الشمالية والشمالية الشرقية. ونحن نؤكد هنا على هذه الحقيقة-التي طمسها التاريخ: في إحدى هذه المغاور بالذات، ذات الطبقتين (والمعدّة في زمن الميلاد لاستقبال النسَاء الحوامل من قبل الجماعات الروحية الجليليّة،وخاصة الجماعة الاسينية...)، في إحدى هذه المغاور، وبالقرب من بيت لحم الجليل-الشمالية- وعلى طريقها، ولد يسوع المسيح، كما سَنبيّن ذلك بالتفصيل لاحقاً...! كما أننا نكرّر، مرة أخرى، أن كلّ مغاور الكرمل كانت طوال آلاف من السنين- خلال العهود الكنعانية والفينيقية-مكرّسة للبعل وأدونيس. كما أننا نلفت، وعلى خطى العديد من آباء الكنيسة الشرقيين وغيرهم كثيرين، الى أن ادونيسَ نفسَه كان تمهيداً ورمزاً وصورة (من حيث براءته وموته وانبعاثه في الربيع...) للسيد المسيح! ونحن نرى أن كل ما كان قبل يسوع المسيح كان تمهيداً ورمزاً وصورة له: "التسَاعية الكونية التي تسبق الميلاد الكبير"! وكل ما جاء بعده يكمّله وينشره ويتابعه في كل زمان ومكان... إنه "المسيح الكونيّ"!

فيما يخصُّ مغاور الكرمل: هيئاتها، أشكالها واحجامها الخ... والتي في إحداها ولد يسوع المسيح، راجع الصور الحقيقيّة –طبق الاصل- المنشورة في هذا الكتاب).

بالإضافة الى المغاور، يمتاز الكرمل بكثرة معابده وهياكله وأديرته، منها القائم ومنها القديم المندثر ومنها المطمور تحت الارض والذي بدأ يظهر بفضل التنقيبات الاثرية التي تجري في أيامنا هذه، وبالطريقة العلمية الحديثة. ويغلب اليوم الطابع المسيحيّ على معابد الكرمل وأديرته، وذلك لان الرهبانية الكرمليّة التي انطلقت من جبل الكرمل بالذات في اواخر القرن الثاني عشر، قد اعتبرت أن إيليّا النبيّ ناسك الكرمل الكبير هو ملهمها الأول. فقد بنت أديرتها الاولى في الكرمل وظل وجودها مستمراً وبارزاً طوال قرون عديدة، رغم تقلبات الازمنة والاحوال...

ومن المعروف، وقد ذكرنا ذلك سَابقاً، أن الوجود المسيحيّ في الكرمل يعود الى الأيام الاولى للمسيحية. فالجماعات الروحية الجليليّة ومنها خاصة الجماعة الاسينية، التي كان أفرادها يعيشون كرهبان ونسَاك في جبل الكرمل أيام المسيح، قد اهتدوا الى المسيحية في يوم العنصرة وعادوا في الحال الى جبل الكرمل وبنوا فوقه أول كنيسَة مسيحية على اسم العذراء مريم، وهي بعد على قيد الحياة! ونكرر، مرة أخرى، ان جبل الكرمل كان في ذلك الوقت، ودون أدنى شك أو ريب، داخل ارض فينيقيا-لبنان. وبالتالي فإن أول كنيسَة مسيحية في التاريخ قد بنيت فوق أرض لبنان، وعلى اسم العذراء مريم بالذات... أجل! ألم يقل كتاب نشيد الاناشيد: "تعالي معي

من لبنان يا عروسَتي فتتكلَّلين ... تعالي معي من لبنان، من رأس أمانة، من رأس سَنير وحرمون، من مرابض الاسود، من جبال النمور... إن رائحة اطيابك فوق جميع الأطياب. ورائحة ثيابك كرائحة لبنان. أختي العروسَ جنّة مقفلة، جنّة مقفلة وينبوع مختوم... ينبوع جنّات وبئر مياه حيّة... وأنهار من لبنان..."! (سَفر نشيد الاناشيد 4: 8-15).

أما أول دير مسيحيّ في الكرمل فقد بنته الملكة هيلانة والدة قسطنطين الكبير حوالي سَنة 330. وقد هدمته جيوش الفرس سنة 614، والدير الثاني بناه المسيحيون في بداية العهد الصليبي سَنة 1150، ودُمِّرَ سَنة 1291. ويقول المؤرخ اليوناني جان فوكاسَ، في زيارته للأراضي المقدسَة، انه وجد في مغاور الكرمل، في أواخر القرن الثاني عشر، رهباناً من السريان واليونانيين منقطعين الى الصلاة والتأمل؛ كما شاهد آثار بعض الاديرة المندثرة قرب المغاور (جبل الكرمل... ص 30). وفي أوائل القرن الثالث عشر بنى الرهبان الكرمليّون أول دير لهم في جبل الكرمل، ثم توالت أديرتهم، للرهبان والراهبات، في كل أنحاء الكرمل، حتى ايامنا هذه، مع ترميم وإصلاح وتوسيع وإعادة بناء بحَسب تقلبات الايام... وتجدر الاشارة الى ان بعض المتوحدين (المتصوّفين) المسلمين كانوا يسكنون احدى مغاور الكرمل في القرن السَادس عشر ("جبل الكرمل"... ص 125).

أمّا علاقة العذراء مريم بالكرمل فعلاقة تاريخية حميمة ورائعة. فمنذ نشأة المسيحية حتى يومنا هذا تُلقّب العذراء مريم "بسيّدة الكرمل"، "بهاء الكرمل"، "جمال الكرمل"، كما يلقب الكرمل نفسَه "بجبل مريم". وفي الحقيقة، لقد أصبح جبل الكرمل مع توالي السنين موئلاً للعبادة والروحانية المريمية، ومزاراً عالمياً للعذراء مريم. ففي الكرمل هناك اليوم العديد من الاديرة والكنائس والمعابد والمعاهد والمغاور والمزارات على اسم العذراء مريم يؤمّها المؤمنون من كلّ المذاهب والمشارب...

ويذكر التاريخ أن العذراء مريم كانت تأتي وهي صغيرة مع والديها الى جبل الكرمل لزيارة النسَاك والرهبان هناك، ثم وهي صبيّة فتية للصلاة والتأمل في أحدى مغاوره...! ("جبل الكرمل"... ص 31). كما كانت فيما بعد تأتي مع يوسف خطيبها ومع صغيرها يسوع لزيارة رهبان الكرمل... ("جبل الكرمل"... ص 123-125، مع الصورة رقم 38 في ص 39، والصورة رقم 141 في ص 132). وبعد الصعود والعنصرة كانت مريم العذراء تتردّد، برفقة بعض العذارى، الى جبل الكرمل حيث أقامت لهنّ ديراً هناك...!! ("جبل الكرمل"... ص 123). وكما قلنا سابقاً فإن أول كنيسَة مسيحية أقيمت في جبل الكرمل على اسم العذراء مريم وهي بعد على قيد الحياة. ويحدّد كتاب "جبل الكرمل" موقع هذه الكنيسة، "بالقرب من نبعة النبي إيليا... (ص 35، 100-101، 104-105). ويؤيد ذلك التقليدات المحليّة المستمرة. رمّمت هذه الكنيسة في سَنة 38 بعد

الميلاد، ثم في سَنة 83، ثم توسّعت في سَنة 1209 أيام الصليبيين، ثم خربت في نهاية العهد الصليبي. وفي سَنة 1766 بنى الرهبان الكرمليون ديراً كبيراً في مكان الكنيسَة القديمة، لا يزال باقياً الى يومنا هذا ("جبل الكرمل"... ص 125). والملفت أنهم وضعوا في كنيسة هذا الدير، الذي بنوه على اسم العذراء مريم، صورة قديمة جداً للعذراء مريم هي النسخة الاولى المنقولة عن صورة العذراء الاصلية التي وضعها القديس لوقا كما تقول التقاليد المسيحية القديمة. وصورة الكرمل هذه كانت موجودة في رومة في كاتدرائية مريم الكبرى، وقد أهداها الى رئيس الرهبانية الكرملية الكاردينال الروماني فرنسيشكو باربيريني ("جبل الكرمل"... ص 100). أما التمثال الرسمي الكبير لسيّدة الكرمل فقد صنع، كما هو معروف، من خشب أرز لبنان. وذلك لكون العلاقة بين لبنان والكرمل، منذ القديم، علاقة روحية سرّية. فكبار الانبياء، في رؤاهم الروحية، يسمّون الكرمل لبنان، كما يسمّون لبنان الكرمل! (راجع سَفر أشعيا 29: 17). يقول كمال الصليبي في تعليقه على نصّ اشعيا هذا قائلاً: "نص اشعيا 29: 17 يعني: "يتحوّل لبنان الى كرمل". وشرح ذلك على الشكل التالي: النص العبري الأول هو هكذا: "سّب لِبْنُون-ل-كَرْمِلْ"، وهو يعني: يتحوّل لبنان بستاناً، ولكنه يعني في الواقع "يتحوّل لبنان الى كرمل" أو يعود لبنان الى كرمل أو لبنان=كرمل..." ("التوراة جاءَت من جزيرة العرب"، ص 35-36 والحاشية رقم 9).

وفي معرض الكلام على الحديث عن العلاقة بين العذراء مريم والكرمل، نشير الى أن أول كنيسة بنيت في مدينة حيفا، الرابضة عند سَفح الكرمل الى الشمال، على اسم العذراء مريم، وقد رمّمت اكثر من مرّة، وهي كانت وما تزال الكاتدرائية الاسقفية للمدينة. والذي يميّز حقاً هذه الكنيسَة الاثرية كونها الكنيسَة الوحيدة في العالم، على ما نعلم، التي تحوي اليوم صورة مثلثة في إطار واحد: الصورة الأولى تمثّل زواج يوسف ومريم، والثانية تمثل بشارة الملاك جبرائيل للعذراء مريم، والثالثة تمثل ولادة يسوع المسيح...! والملفت أن الصورة تشير، بشكل معبّر تماماً، الى ان هذه الاحداث الثلاثة المترابطة قد حصلت في مكان واحد: "جبل الكرمل". فهذا ما يتوافق مع ما نسعى الى إثباته في هذه الدراسّة من أن يوسف ومريم قد عاشا فترة من الزمن في جبل الكرمل وفيه عقد زواجهما، وأن الملاك جبرائيل بشّر العذراء مريم بولادة ابنها يسوع عندما كانت مقيمة في جبل الكرمل، وأن ولادة يسوع المسيح قد حصلت في إحدى مغاور الكرمل في جوانبه وسفوحه الشمالية الشرقية! وهذه الصورة، على ما نعلم، هي صورة فريدة من نوعها تماماً. وهي، باحتوائها هذه الاحداث الثلاثة المترابطة: بشارة الملاك، زواج يوسف ومريم، والميلاد، تجمع معاً، في مكان واحد، وتجسّد معاً هذه الاحداث التاريخية الثلاثة، عبر تقليدات محلية متواصلة ومستمرّة!

ومن جهة ثانية، وزيادة في توثيق العلاقة بين العذراء مريم والكرمل، نشير أيضاً الى أنه كان هناك مزرعة قديمة جداً باسم القديسة حنّة والدة العذراء مريم، تقع بالقرب من قمة جبل الكرمل، وقد ذكرت مراراً في العهد الصليبي وفي القرون الوسطى... ("جبل الكرمل"... ص 32). (وفيما يخصّ العذراء مريم وحياتها في الكرمل، راجع الفصل الخاص بمريم العذراء في هذه الدراسة). وفي الحقيقة إن علاقة مريم بالكرمل علاقة وثيقة حميمة وسرّية!

وفي ختام حديثنا عن جبل الكرمل، نشير إلى أن هناك حملة تنقيبات أثرية شاملة وعصريّة تجري في يومنا هذا في أهم مناطق الكرمل... مع العلم ان كثيراً من حجارة قلاع الكرمل ومعابده وأديرته قد نقلت الى الجليل لبناء قصور الحكام هناك وذلك في العصور الوسطى والحديثة...! ("جبل الكرمل"... ص 123).

الجدير بالاشارة هو أن رهبان الكرمل، من الاسينيّن والجماعات الروحية الجليلية المماثلة، اعتنقوا المسيحيّة في وقت مبكر، أي في يوم العنصرة بالذات، بعد عظة بطرس الاولى! وقد جاء في أعمال الرسل عن تأثير هذه العظة ما يلي: "فالذين قبلوا كلام بطرس اعتمدوا، فانضمّ في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس..." (أعمال الرسل 2: 41). وذلك لأن هذه الجماعات الروحيّة، كما تحدثنا بالتفصيل سَابقاً، كانوا مهيأين اكثر من غيرهم لمجيء مسيح مخلّص روحي شامل لجميع الناس، يحرّر البشر من عبودية الشرّ والخطيئة، ويعيد العلاقة الروحية بين الله والبشر، ويحلَ ملكوت الله على الأرض كلّها. وليسَ كما كان ينتظره اليهود -في فترة متأخرة، بعد الجلاء الى بابل...- مسيحاً مخلّصاً دنيوياً عسكرياً وقومياً، يحرّر اليهود وحدهم من المحتلّين الغرباء، وينصرهم على أعدائهم، ويجعلهم يسيطرون على جميع الناس ويستعبدونهم...

أمّا لماذا بنى رهبان الكرمل، فوق جبل الكرمل بالذات، أول كنيسّة مسيحية على اسم العذراء مريم وهي بعدُ على قيد الحياة، فأمر في غاية الاهمّية، وهو يلقي في الواقع أضواءً كاشفة على نشأة المسيحية، على طفولة يسوع، على حياة مريم ويوسف، ويدعم بشكل بارز نظريتنا الخاصة في هذه الدراسة. انطلاقاً من هذه الحقيقة التاريخية والجغرافية الثابتة نودّ أن نركّز على أمور بالغة الاهمية والنتائج في نظرنا، أهمها التالية:

-أولاً: إن بناء أول كنيسة في تاريخ المسيحية فوق جبل الكرمل على اسم العذراء مريم وهي بعدُ على قيد الحياة، هو حقيقة طمسَها التاريخ وتناسَاها الناس ولم يبرزها التاريخ المسيحيّ نفسه. لماذا؟ وكيف حصل ذلك؟ هل حصل بفعل طمس مقصود؟ هل هي محاولة متعمّدة –نجحت ولكن الى حين_ قام بها المسيحيّون المتهوّدون في القرون المسيحية الاولى؟ وهل جاء فيما بعد التناسي والنسيان والجهل والخوف... فنزع هذه الحقيقة من ذاكرات الناس بشكل عام، ومن ذاكرات

المسيحيّين بنوع خاص؟ وهل هناك مؤامرة على المسيحية الحقّة نفسَها؟ أسئلة عديدة هامة ومحرجة. الجواب الصحيح هو أن هناك شيئاً من كل ذلك. وقد تكون كلّ هذه الاسئلة في محلها. والاغرب من كل ذلك كيف أن المسيحيين أنفسَهم يغفلون الى اليوم هذه الحقيقة التاريخية؟ لماذا لايقول المسيحيّون –لماذا لا يعترفون ويقرّون- بان أول كنيسَة مسيحية قد بنيت في لبنان؟ لماذا؟

ثانياً: لماذا بنيت اول كنيسَة مسيحية في جبل الكرمل، ولم تبنَ في مكان آخر؟ لماذا لم تبنَ مثلاً في الناصرة إذا كانت الناصرة هي، في الحقيقة، مدينة مريم العذراء؟ وحتى لماذا لم تبنَ في بيت لحم أو في مكان آخر من الجليل نفسَه؟ ثم لماذا لم تبنَ أول كنيسَة مسيحية في مدينة أورشليم نفسَها، حيث كانت الجماعة المسيحيّة الأولى بعد القيامة وحيث نشأت الكنيسة بشكل منظّم؟ ولماذا لم تبنَ في أي منطقة من مناطق اليهودية حيث بشّر المسيح وأجرى الآيات؟ لماذا بنيت اول كنيسة مسيحية في جبل الكرمل بالذات؟ وعلى اسم العَذْراء؟

-ثالثاً: بنيت أول كنيسَة مسيحية فوق جبل الكرمل بالذات، على اسم العذراء مريم وهي على قيد الحياة، لأن العذراء مريم كانت "إبنة الكرمل"، فهي قضت قسماً هاماً جداً من حياتها في جبل الكرمل، في الدير المشترك الكبير الذي بنته الجماعة الاسينية مع سائر الجماعات الروحية الجليلية التي كانت تنتظر بلهفة مجيء المسيح المخلص، كما فصّلنا سابقاً. فمنذ نعومة اظفارها أرسلها أبواها، يواكيم وحنّة، وهما من أبرز وأقدس عائلات تلك الجماعات الروحية، للانضمام الى سَرب العذارى الصغيرات المكرّسات. وفي دير جبل الكرمل هذا أمضت العذراء مريم سَنوات عديدة في التمرّس بالصلاة والتأمل والثقافة الدينيّة والحياة الروحية المكرّسة كلياً لله. وفوق جبل الكرمل، وفي هيكل ديره، بشّرها الملاك جبرائيل بأنها سَتحمل وتلد ابنها يسوع المسيح المخلّص. أجل! فوق جبل الكرمل حصلت بشارة الملاك لمريم العذراء. وفوق جبل الكرمل حصل التجسّد! تجسّد الله الابن، الكلمة الأزليّ: "والكلمة صار جسداً وحلّ فينا...". وذلك لان التجسّد الالهي قد حصل فعلاً في نهاية البشارة "هاءنذا أمة للرب، فليكن لي بحسب قولك..."، كما تعلمنا أمنا الكنيسَة المقدسَة.

-رابعاً: إن رهبان الكرمل، الذين اعتنقوا المسيحيّة يوم العنصرة بعد عظة بطرس هامة الرسل، كانوا يعرفون كلّ شيء بالتفصيل عن حياة مريم العذراء. كانت "إبنتهم"، ابنة الكرمل، منذ تكريسَها وهي صغيرة، في هيكلهم، عذراء للرب، الى اقامتها وخدمتها في الهيكل، الى بشارة الملاك لها، الى حبلها بالمسيح –المخلص، الى ولادة ابنها في مغارة، في سَفح جبلهم، جبل الكرمل. كانوا يعرفون كلّ ذلك تمام المعرفة. ولذلك بعد عودتهم غداة العنصرة من أورشليم الى مناسكهم في جبل الكرمل، باشروا على الفور ببناء معبد على اسم العذراء مريم –وهي بعد على قيد

الحياة! والحقيقة إنها ظاهرة فريدة من نوعها، أن يبنى معبد على اسم شخص وهو بعد على قيد الحياة. ألم تكن العذراء مريم، في الحقيقة، أول هيكل للرب، تحوي في أحشائها الطاهرة الإله المتجسِّد، يسوع المسيح؟! أمّا لماذا بنى رهبان الكرمل أول كنيسة في تاريخ المسيحية فوق جبلهم؟ لأنه، بالإضافة الى كلّ ما تقدم، لم تكن الناصرة قد وجدت بعد –فهي بنيت في القرن الثاني للميلاد- كي يقام فيها معبد للعذراء، هذا اذا كانت العذراء من الناصرة...

-خامساً: إن الذي نريد أن نبيّنه ونركّز عليه ونعلنه للعالم أجمع، هو أنه في أرض لبنان بالذات شيّدت أول كنيسة في تاريخ المسيحية. إنها حقيقة تاريخية وجغرافية وآركيولوجية، موضوعية علمية ومجرّدة. أجل! في أرض لبنان بالذات –في جبل الكرمل وسفوحه- كانت البشارة، وكان الحبل بيسوع، أي التجسّد الإلهي، وكان زواج يوسف ومريم، وكان الميلاد، وكانت أول عائلة مسيحية في التاريخ. وهذا ما يفسّر في الحقيقة، تسمية لبنان، منذ فجر التاريخ، "بجبل الآلهة"، "الجبل المقدّس"، "جبل القداسَة"، "الجبل الملهم وأرض الله"... وهذا ما يفسِّر أيضاً، من جهة ثانية، كون لبنان هو الذي اشتهر وما يزال وسَوف يبقى، اكثر من غيره، البلد الذي يخصّ العذراء مريم بتكريم حارّ، خاص، ومميّز جداً. إنها أم الله! ألم يقل الكتاب: "تعالي معي يا عروسَتي من لبنان فتتكلّلين... تعالي معي من لبنان..."؟ (نشيد الأناشيد 4: 8).

أجل لقد كان العالم الفرنسيّ إرنست رينان على حق تماماً حينما تحدّث عن علاقة لبنان واللبنانيين بالعذراء مريم، وهو البحّاثة المستشرق الذي أقام فترة في لبنان ونقّب في معالمه وآثاره وترك كتاباً ضخماً في ذلك، مع العلم انه ترك شقيقته مدفونة فيه –في بلدة عمشيت- فقد كتب يقول ما ترجمته عن الفرنسية:

"يتنازل اللبنانيّون عن كل شيء ... ولكنهم لا يتنازلون مطلقاً عن اكرام مريم العذراء، كأن رباطاً سرياً أقوى منهم يشدّهم دوماً اليها!" ("بعثة الى فينيقية"، منشورات بسيكاري، باريس 1947، صفحة 216)...

ملحق

جبل الكرمل-في العهد الجديد

(لمحة تاريخية خاطفة)

جبل الكرمل (وسفوحه) كان منذ بداية البشرِية في أرض كنعان وفينيقيا-لبنان، حتى قيام دولة إسرائيل سَنة 1948. فلتراجع جميع خرائط العالم، القديمة والحديثة، المطبوعة والمخطوطة، وبكافة اللغات الميتة والحيّة، حتى يومنا هذا...

سَنة 33 -حلول الروح القدس على التلاميذ (العنصرة). جماعة الكرمل تعتنق المسيحية بعد عظة بطرس الأولى، وتقيم كنيسَة على اسم العذراء مريم- وهي بعدُ على قيد الحياة- فوق جبل الكرمل، قرب مغارة النبي إيليا. انها الكنيسَة الأولى في تاريخ المسيحية، دون أدنى شك، وباجماع المؤرخين. (راجع أيضاً: الليتورجيا اللاتينية القديمة: صلاة الفرض للكاهن...). اذاً اول كنيسَة شيّدت في العالم –فوق الكرمل- كانت في أرض لبنانية!

سَنة 83 –أعيد بناء كنيسة العذراء الآنفة الذكر بالحجر الابيض الصلب. اكتشفت آثار هذه الكنيسة أثناء الحفريات الهامة التي حصلت سّنة 1766، باشراف الاخ يوحنا –المعمدان الكرمليّ.

سَنة 327 –الملكة والقديسة هيلانة، والدة الامبراطور قسطنطين الكبير، تشيّد، فوق انقاض الكنيسَة الصغيرة القديمة، كاتدرائية كبيرة بحَسَب الطقس البيزنطي. وبقربها تعمّر ديراً كبيراً لسَكنى الرهبان الذين كانوا موزعين في مغاور الكرمل. وهذا الدير هو الدير المسيحي الاول الذي بني فوق جبل الكرمل في العهد الجديد.

614 –دمّر الدير المذكور آنفاً، لأسباب إقليمية... (دمّر على يد الفرس)

سَنة 885 –الأمبراطور البيزنطي باسيليوس يرمّم الكاتدرائية البيزنطية فوق جبل الكرمل.

سَنة 1150 –القديس برتولد يشيّد ديراً صغيراً وكنيسَة متواضعة فوق أنقاض الدير المذكور. ويبدأ بتشييد دير آخر في مكان قريب، بجانب نبع صغير على اسم النبي إيليّا، يكمّله من بعده بفترة قصيرة القديس بروكارد.

سَنة 1207 –القديس البير الكبير، معلّم توما الاكويني، يسنّ "القوانين الاولى" لرهبان الكرمل...

سَنة 1238 –على أثر الحملة الصليبية السَادسة (1229)، بقيادة الامبراطور الالماني فريدريك الثاني، وأثناء غزوة المغول للمنطقة، تمّ ذبح جميع رهبان الكرمل في "وادي الشهداء"، في السَفح الشمالي الشرقي لجبل الكرمل، قرب نهر قيشون، حيث ذبح ايليا النبي 450 كاهناً من كهنة البعل، حوالي سَنة 850 ق.م.! (راجع سَفر الملوك الاول 18: 20-40؛ "ذبيحة الكرمل"...). في هذه الأثناء كانت رهبانية الكرمل قد بدأت تنتشر في أوروبا (أديرة قبرص ومسّينا والايغالاديس...) وفي بلاد المشرق (أديرة اورشليم وعكّا وبرّية اريحا وبرَية الاردن، والجليل وجبل طابور وطرابلس وإنطاكية...). وتم ايضاً توسيع دير جبل الكرمل وتحويله الى حصن منيع يلجأ اليه رهبان المنطقة وقت الغزوات والحروب. وقد زار هذا الدير فيما بعد لويس التاسع ملك فرنسَا سَنة 1250، اثناء الحملة الصليبيّة الثامنة واصطحب معه بعض الرهبان لتأسيس دير كرملي في باريس سَنة 1253.

سَنة 1244-1291 خلال غزوات المغول والمماليك للمنطقة دمّرت تباعاً جميع أديرة الرهبان الكرمليّين ومنها دير جبل الكرمل الكبير...

سَنة 1248 –في الأول من شهر أيلول، يثبّت البابا اينوشانسيوس الرابع قوانين الرهبان الكرمليّين.

سَنة 1251 –في السادس عشر من شهر تموز تظهر العذراء مريم على القديس سيمون ستوك الرئيس العام على رهبان الكرمل وتعطيه ثوباً رهبانياً خاصاً وهو عبارة عن كتفيّة او ثوب يلبسه الرهبان على الكتفين والظهر. وكان القديس يومذاك في زيارة لدير كرمليّ في إنكلترا. (من هنا جاء تعيين 16 تموز عيداً "لثوب سيّدة الكرمل"...)

سَنة 1291 –جحافل المماليك تجتاح مدينة عكا وضواحيها وتقتُل ثلاثين ألف مسيحي، وتدمّر دير الكرمليّين في المدينة، ثم تكمل زحفها الى جبل الكرمل فتقتل الرهبان وتَدُكُّ الدير.

طيلة العهد العثماني (1516 - 1918) كان الكرمل في ولاية بيروت إيالة صيدا- سنجق عكا.

سَنة 1562 –إعلان إصلاح وتجديد رهبنة الكرمل على يد القديسة تيريزيا الكبيرة –الأفيليّة. تأسيس دير مار يوسف الكرملي الكبير في مدينة أفيلا في إسبانيا.

سَنة 1631 0-الاب بروسبير الروح القدس الكرمليّ يعود الى جبل الكرمل ويقيم الذبيحة الالهية في المغارة الكبيرة المسمّاة "مدرسة الانبياء" (نسبة الى مدرسّة انبياء كنعان القدماء الذين كانوا يعيشون في مغاور جبل الكرمل... (راجع سَفر صموئيل الاول 10: 5-12؛ سَفر الملوك الاول 18؛ وغيرها...)

سَنة 1635 –يُطرد الاب بروسبير ورهبانه من جبل الكرمل...

سَنة 1636 –الاب بروسبير يعود من جديد وينشئ ديراً جديداً فوق جبل الكرمل. في هذه الفترة يصبح هذا الدير ملجأ لرهبان المنطقة أيام المحن والشدائد.

سَنة 1761 –يُطرد الرهبان ويخرب الدير الآنف الذكر.

سَنة 1766 –اجراء تنقيبات أثرية في قمة جبل الكرمل، باشراف القديس الكسي والاب يوحنا-المعمدان الكرمليّ.

سَنة 1767-1768 –انشاء دير جديد، هو الرابع، بقرب مغارة النبي إيليا. الرهبان يسكنون بعض المغاور في سفوح جبل الكرمل الشمالية الشرقية، ويحوّلونها الى معابد ومناسِك...

سَنة 1799 –نهب محتويات الدير، وقتل جنود نابوليون بونابارت الملتجئين اليه، بعد غزو هذا الدير ومدينة عكا المجاورة.

سَنة 1827-1853 –إنشاء دير كبير جديد، هو الخامس والحالي، باهتمام الاخ الكرمليّ يوحنا –المعمدان القربان الاقدس، من عائلة كازيني الايطالية الشهيرة...

سَنة 1830 –عبد الله باشا يجلب حجارة أديرة الكرمل القديمة ويبني بها قلعة عسكرية في الجليل!...

سَنة 1932-1933 –توسيع دير الكرمل وإنشاء معهد عالميّ للفلسَفة بجانبه. دير الكرمل يشعّ من جديد...

سَنة 1935 –توسيع وتشجير جميع الطرقات المؤدّية الى الدير.

سَنة 1939-1945 –الحرب العالمية الثانية-جبل الكرمل تحت الانتداب البريطاني.

سَنة 1948 –جبل الكرمل يدخل في دولة اسرائيل. وكان منذ بداية البشرية في أرض كنعان وفينيقيا-لبنان...

سَنة 1994 –في دير الكرمل ينعقد لقاء لممثلي الديانات الموحّدة الكبرى الثلاث: اليهودية والمسيحية والاسلام. تركيز على ما يوحّد الديانات السماوية الثلاث. مرة جديدة فوق جبل الكرمل يلتقي البشر، ابناء "إيل"، الإله الكونيّ الواحد...

بداية الالف الثالث –جبل الكرمل="جبل لبنان" عند جميع الانبياء. لبنان="بوتقة وحدة البشر"!...

الفصل الثاني

في أسلوب كتابة الأناجيل المقدّسَة

كتب الأناجيل المقدّسَة ليسَت كتباً تاريخيّة وجغرافيّة بحصر المعنى، بل هي كتب دينية.

إن الكتاب المقدّس، ونكرّرها للمرة الألف، في عهديه القديم والجديد -وبالتالي إن الأناجيل المقدّسَة ليسَت كتباً تاريخية وجغرافية بحصر المعنى، بالمفهوم العلميّ المعاصر للتاريخ والجغرافيا. فلا واضع الكتاب قصد ذلك ولا السلطة الدينية نفسَها تعتبره هكذا. وبالتالي لا يجب أن نتوخى دوماً وبالضرورة في الكتاب الدقة التاريخية والجغرافية والتبولوجية والتُبُونُومِيَّة. الكتاب هو أساساً وبالدرجة الاولى كتاب دينيّ. وقد يكون فيه حقائق تاريخية وجغرافية صحيحة وثابتة، ولكنها ليست هي الغاية والقصد. وقد يكون هناك أيضاً حقائق تاريخية وجغرافية أغفلها الكتاب. فالإنجيليُّون لم يضعوا سيرة لحياةِ السيد المسيح بمفهومنا نحن اليوم "لسيرة الحياة"، اي لم يتوخوا بشكل اسَاسي ومباشر الدقة والتفاصيل العلمية والتسَلسل الزمني الدقيق في مجال التاريخ والجغرافية وما اليهما. بل كان همهم الاسَاسي نقل "البشارة الجديدة" المتمثلة بتجسّد ابن الله يسوع المسيح وتعاليمه الخلاصية، وبكونه المخلّص المنتظر. وإن ذكروا بعض الاحداث التاريخية والامكنة الجغرافية فكان قصدهم من وراء ذلك رسم الإطار الزمني والمكاني لاحداث البشارة الجديدة وليسَ الدقة والتفاصيل الموضوعية.

وأناجيل الطفولة المتمثّلة في متى (1-2) ولوقا (1-2)، ليسَت هي في الحقيقة نصوصاً تاريخية وجغرافية بالمعنى الحصري لكلمة تاريخ وجغرافية بحسَب مفهومنا العصري، بل روايات تنطلق من بعض الوقائع وتركّز بنوع خاص على هدف أسَاسي مباشر ألا وهو ولادة ابن الله بالجسَد، وانتماؤه الى ذريّة آدم، وكونه المسيح والمخلّص المنتظر. ونصوص الميلاد والطفولة وردت فقط في انجيلَي متى ولوقا ولم ترد في إنجيلَيْ مرقس ويوحنا. وقد أصبح من الثابت، في يومنا هذا، أن هذه النصوص، التي تشكّل نوعاً من المقدّمات لإنجيلَي متى ولوقا، قد أضيفت في وقت لاحق الى النصوص الانجيلية القديمة (راجع شارل بيّرو "أحداث طفولة يسوع"، ص 8-11). وهذه الاضافات حصلت على أيدي نسّاخ متّى ولوقا، وبناء على مصادر مختلفة وخاصة بكل منهما، ولم تكن في التقاليد الشفهية والكتابية القديمة. ومرة اخرى، لم يكن القصد من كل ذلك التاريخ بمفهومنا اليوم، بل التمهيد للحدث الاسَاسي الكبير: مجيء المسيح المخلّص "والبشارة الجديدة"...

ومن جهة ثانية، لم يكن للمسيحيّين الأولين، والانجليّون الاربعة منهم، عهد قديم وعهد جديد، كما لنا نحن اليوم. كان لهم فقط كلمة الله المتمثّلة في التوراة والانبياء والمزامير. وكان من البديهي أن ينطلقوا منها ويعتبرونها تمهيداً للمسيح المخلّص. فيقول مثلاً كاتب الرسَالة الى العبرانيين: "إن الله، بعدما كلّم آباءَنا قديماً مرات كثيرة بلسَان الانبياء كلاماً مختلف الوسَائل، كلمنا في هذه الايام، وهي آخر الايام، بابن جعله وارثاً لكل شيء وبه أنشأ العالَمين..." (الرسالة الى العبرانيين 1: 1-2). ويوحنا يقول من جهته: "والكلمة صار بشراً فسَكن بيننا فرأينا مجده، مجداً من لدن الآب لابن وحيد ملؤه النعمة والحق" (يوحنا 1: 14).

إن واضعي كتب العهد الجديد، ومنهم الانجليّون، عندما استشهدوا بكتب العهد القديم في موضوع المسيح، انما استشهدوا بكتب أعيدت كتابتها بعد الجلاء، في القرن الخامس، بحيث كان الفارق الزمني، بين وقوع الاحداث الاصلية وتاريخ كتابتها، عدة قرون! لذلك فقد حوت هذه الكتب الحديثة الكتابة الكثير من الإضافات والزيادات والحذف والتبديل والتغيير في مجالات التاريخ والجغرافية! وهناك إجماع اليوم على أن الأناجيل المقدّسة لم تكن لتهتمّ كثيراً بالدقة والتفاصيل التاريخية والجغرافية وما إليها... (راجع مثلاً في إنجيل مرقس: ما هو هذا "البيت" واين يقع، في 9: 28، 10: 10؛ وما هو هذا "الجبل"، واين يقع، في 3: 13، الخ...). وبالاضافة الى ذلك، فقد بذل كتبة العهد الجديد –وبنوع خاص النسَّاخ المتأخرون...- قصارى جهدهم، مستخدمين كل الاسَاليب الممكنة، كي يبرهنوا لليهود ان يسوع هو المسيح المخلّص الذي ينتظرونه والذي تحدثت عنه الاسفار القديمة والانبياء...

إن طفولة يسوع كانت طفولة عادية مغمورة لم يعرف تفاصيلها الاّ ابواه يوسف ومريم وعدد قليل من الناس. والانجيليان اللذان رويا بعض أحداث الطفولة كتبا بصيغة أدبيّة معروفة عند معاصريهم اليهود الا وهي صيغة "المدراش"... (راجع الفقرات اللاحقة الخاصّة بالمدراش والمدراشيم عند اليهود). فمتّى كتب إنجيله بصيغة كتابة "مدراش موسَى الصغير"، ولوقا كتب إنجيله بصيغة كتابة "مدراش صموئيل"... (راجع شارل بيّرو "أحداث طفولة يسوع"، ص 11-16). ومرّة اخرى، إن صيغة كتابة "المدراش" ليسَت صيغة كتابة تاريخية بحصر المعنى وبحسَب مفهومنا اليوم للتاريخ. إن الهمّ الاسَاسي لمتى ولوقا كان شخص يسوع المسيح ابن الله والمسيح المخلص المنتظر: "البشارة الجديدة" وملكوت السماوات". اما التفاصيل الصغيرة، في حياة المسيح، من تاريخية وجغرافية وما اليهما، فلم يركزا عليها لان نور الحدث التاريخي الجديد -نور تجسّد ابن الله- قد كسَفها وغطّاها...

هناك في أناجيل الطفولة: متى (1-2) ولوقا (1-2) إشارات خاطفة الى أحداث تاريخية ومواقع جغرافية، غير أنه لا يمكننا اعتبارها ابداً تاريخية بالمفهوم الحصريّ للكلمة، لأن فيها بعض الاختلافات الظاهرية الواضحة...! هذا لا يعني انها "أخطاء

تاريخية"، أو "لا علاقة لها بالتاريخ"، كلا! بل هذا يعني فقط أنها مداخل وأطر ومجالات، ولو غير دقيقة تاريخياً، لحقائق اكبر واسمى وأعمق. والحقائق هذه هي هنا: تجسّد ابن الله، شخصية المسيح المخلّص، "والبشارة الجديدة"... ان وجه المسيح هو الحقيقة السَاطعة كالشمس. والناظر الى الشمس من خلال زجاج النافذة لا يعود يهتم كثيراً بحجم حبات الغبار على صفحة زجاج النافذة...

الإختلافات الظاهرية الواضحة في نصوص الاناجيل بشكل عام واناجيل الطفولة -موضوع دراسَتنا- بشكل خاص، عديدة ومتنوعة. ولا علاقة لها البتة بالجوهر، فهي ثانوية سَطحية ومتأتية من ناحية الجهل أو الضعف البشري. إنها ظاهرة انسانية طبيعية. ونكتفي هنا ببعضها على سبيل المثال لا الحصر:

-أولاً هناك اختلافات واضحة في جدولَي نسَب يسوع: بين جدول متى (1: 1-17) وجدول لوقا (3: 23-38). وقد فصّلنا ذلك في مكان آخر.

-ثانياً هناك اختلاف حول اسم جدّ يسوع لابيه، أي والد يوسف: فهو يعقوب عند متى (1: 16)، وهو عالي عند لوقا (3: 24)!؟ وهذا ايضاً فصّلناه في مكان آخر.

-ثالثاً هناك اختلاف حول موطن العائلة المقدّسَة. موطنها بحسب متى هو بيت لحم (2: 16)، وبعد الرجوع من مصر سَكنت الناصرة في الجليل (2: 19-23). أما موطنها بحسَب لوقا فكان منذ البدء في الناصرة (1: 26-27)!؟

-رابعاً هناك تباين واضح وعدم توافق بين متى ولوقا فيما يخصّ هروب العائلة الى مصر وقتل اطفال بيت لحم وتقدمة يسوع الى الربّ. متى يقول إن العائلة المقدسة هربت الى مصر بعيد الولادة وقبل قتل اطفال بيت لحم (2: 13-15) فمتى وأين كانت ختانة يسوع وتقدمته الى الهيكل بحسَب متى؟ أما لوقا فيقول ان العائلة المقدسَة خرجت من الناصرة بعد اربعين يوماً من ولادة يسوع وذهبت الى أورشليم حيث قدمت الطفل يسوع الى الهيكل ثم عادت الى مدينتها الناصرة (2: 22-40)!... الخ.

بالاضافة الى كل ما تقدم، هناك أحداث وتفاصيل في أناجيل الطفولة نَفْسِها يذكرها لوقا ولا يذكرها متى، والعكس هو الصحيح. مع أن لوقا، كما هو معروف وظاهر، أورد احداثاً وتفاصيل اكثر بكثير مما اورد متى. فعلى سبيل المثال: بشارة زكريا، مولد يوحنا، نشيد زكريا، بشارة مريم، زيارتها لاليصابات ونشيد مريم وردت في لوقا ولم ترد في متى. وبالمقابل: شكُّ يوسف بحبل مريم، ظهور النجم، قدوم المجوس، هرب العائلة الى مصر، وقتل اطفال بيت لحم وردت في متى ولم ترد في لوقا. تفاصيل ولادة يسوع، والمذود والرعاة والملاك وختانة يسوع وتقديمه للهيكل، وسمعان الشيخ وحنة النبيّة ويسوع في الهيكل بين العلماء وردت في لوقا ولم ترد في متى. الخ...

لم يبدأ النقاش والتمحيص والبحث التاريخيّ الدقيق حول الصفة التاريخية لاناجيل الطفولة قبل منتصف القرن الحالي -على الاقل في العالم الكاثوليكي، كما يقول شارل بيّرو الاختصاصي الكاثوليكي الكبير في اناجيل الطفولة ("أحداث طفولة يسوع"، ص 57). كان يُظن حتى اليوم أن كلّ ما جاء في هذه الاناجيل، حتى في الأمور التاريخية والجغرافية وما اليهما، هو من الأمور الصحيحة والثابتة. لقد أسبغ المسيحيّون وخاصة عامة الشعب، مع مرور الزمن، طابعاً روحياً دينياً حتى على الاحداث التاريخية والمواقع الجغرافية المتعلقة بشخص المسيح، وخاصة بميلاده وطفولته... حتى أصبح هناك نوع من التماهي المتبادل بين التاريخ والعقيدة، بين الحقائق الدينية والحقائق التاريخية والجغرافية...!

إن البحث والتحليل التاريخي لاناجيل الطفولة يجب أن يرتكز، بحسب آخر الابحاث الحديثة، على مستويات متتالية مترابطة ثلاث: إنطلاقاً من النصوص المكتوبة، صعداً في التاريخ، صوب الحدث التاريخي الاول:

-أولاً البحث الموضوعيّ على مستوى الاناجيل المكتوبة والمعايشين لها...

-ثانياً البحث الموضوعيّ على المستوى السابق زمناً، أي على مستوى التقاليد الشفهية الخاصّة بالتجمّعات المسيحيّة الأولى (بعد القيامة والصعود وحلول الروح القدس...).

-ثالثاً البحث الموضوعي على المستوى السابق زمناً ايضاً، اي على مستوى الاحداث التاريخية الاولى... (حياة وأعمال وأقوال المسيح نفسَها).

إن النقد العلمي التاريخي الموضوعي أصبح يطال اليوم كل شاردة وواردة من حياة واعمال واقوال السيد المسيح، وكل لفظة وعبارة من الفاظ وعبارات كتب العهد الجديد. وذهب البعض منهم، وخاصة في أميركا، بعيداً جداً في هذا المجال... (أمثال "يسوع سيمينار"، وهي جمعية أميركية تأسَست عام 1985 في كاليفورنيا، غايتها دراسة يسوع في الانجيل... فكادت تفرغ الانجيل من كل شيء الاّ من النقد!)

أما دراسَتنا هذه، فتقتصر فقط على الامور التاريخية والجغرافية، والتوبونومية والتوبولوجية، لا غير. وهي لا علاقة لها، على الاطلاق، بالامور الدينية او بعقائد الكنيسة أمّنا أو تعاليمها...

إن الذي كان يعني كتبة الاناجيل ليسَ العرض التاريخي وتسَلسل أحداثه بدقة، بل المعنى والمغزى وحقيقة الحدث التي تنبع من فهمهم هم لهذا الحدث. وهكذا، فان حقيقة هذا الحدث هي صحيحة بالنسبة اليهم وليسَت تزويراً تاريخياً أبداً. وبعبارة أخرى، وكما يقول الشارح الكبير م.أ. بوامار، إن تحليل النص لا يتنافى والتاريخ، غير أن الدراية البالغة ضروريّة في هذا المجال: أمامك، مثلاً، حدث تاريخي حصل فعلاً بحسَب مفهومنا اليوم، ولكنه مرويّ بشكل يُدخل الى الحدث تفاصيل،

هي، بحسَب مفهومنا الغربي اليوم، لم تعد تاريخية. غير أنها من وجهة نظر كتبة الأناجيل تاريخية هي. مثال على ذلك، ان يسوع المسيح هو، بالنسبة الى واضعي الاناجيل، في الحقيقة موسَى الجديد!... وهكذا، بالنسبة الى هؤلاء المؤلفين، إن مفهوم عبارة "تاريخ"، بمعنى علاقة الاحداث في برهة مقاسَة، لا تتطابق مع مفهومنا اليوم! ويجب أن نتذكر دوماً أن هؤلاء المؤلّفين القدماء لم يفهموا لا التاريخ ولا الكتابة كما نفهمها نحن اليوم. وكانت نصوصهم تشكّل مزيجاً تختلط فيه اللغة والثقافة والاسلوب السَامي القديم مع اللغة والثقافة والاسلوب اليوناني الحديث. وهذا في الحقيقة ما يتسَبّب بنوع من التوتر والارتباك والغموض الذي يعتري بعض النصوص أمام قارئ اليوم. ولقد أصبح من الواضح اليوم أن اللغات السامية واللغات الاوروبية تتداول مفهومين مغايرين للزمن. فاللّغة اليونانية وسائر اللغات الأندو-أوروبيّة تتعاطى مع الزمن بكونه ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، بينما العبرانية والآرامية وسائر اللغات السامية لا تعرف من الزمن الاّ الحدث الذي تمّ أو الذي لم يتمّ...! فهذان المفهومان للزمن يتلاقيان ويتصادمان أحياناً في النصوص الكتابية. ينتج عن ذلك أن ما نسمّيه نحن اليوم: "انسجاماً" أو "إنسياقاً" مترابطاً في النصّ، لم يكن له لديهم نفس المفهوم الذي لنا اليوم. إن كتبة تلك العصور كتبوا تبعاً لمقاييس ومعايير خاصة ومغايرة، لذلك علينا أن نحاول فهمهم قدر المستطاع، دون ان نخضعهم قسراً لمفاهيمنا ومعاييرنا في التفكير والكتابة. وإن ما نسمّيه "عدم انسجام أو ترابط" في النص الكتابيّ، أو عدم دقة في الأحداث التاريخية، هو في الحقيقة مفهوم يعكس أحكاماً عصريّة مغايرة تتجاهل أننا أمام ثقافة وفن وأساليب أدبية وكتابية مختلفة تماماً. لذلك كي نفهم ما يفكّرون وما يكتبون علينا ان ننطلق من مفاهيمهم ونتّبع مقاييسهم ومعاييرهم، فهم يكتبون التاريخ تبعاً لمقاصد وغايات سبق وَحَدَّدوها، فجاءت نصوصهم تخدم هذه المقاصد والغايات. إن حوادث الميلاد، وأسفار العائلة المقدسة، وظروف اعتقال المسيح ومحاكمته وصلبه، كلّها أمثلة معبّرة عن طريقة كتابتهم هذه. هذه الطريقة بالذات هي التي تجعل من نصوصهم، كما رأينا، وكأنها لا تراعي الانسجام او الانسياق المترابط في النصّ، أو الدقة في الأحداث التاريخية والجغرافية. وغنيّ عن القول أن تفهّمنا لطريقتهم يجعلنا ندرك حقبة من التاريخ القديم مع ما فيه من اختلافات في التفكير والكتابة. يبقى أن نفهم كيف أن هذه الاختلافات قد تمّ التعاطي معها وتجاوزها، وكيف انها بقيت الى اليوم في النصوص الكتابية ولم تُحذف...؟! هذه التساؤلات ربما تعود بنا الى المرجع الأول والشامل والذي يربط ويوحّد كل تلك النصوص: إنه "الكتاب"، "الكتاب المقدّس"، الذي يشكل تراثهم الوحيد، وثقافتهم الوحيدة، وكتابهم الوحيد، وكنزهم الوحيد الذي يغرفون منه دون حساب. لذلك، فليسَ من باب الصدف، في العهد الجديد نفسَه، أن المجموعة

التي تكوّن الاناجيل الاربعة القانونية (متى ومرقس ولوقا ويوحنا) تبدأ وتنتهي بالعبارة الواحدة نفسَها: "كتاب"...

ما هي طبيعة وغاية النصوص الانجيلية؟ إن كتبة الأناجيل لم يعرضوا الحياة التاريخية المفصّلة ليسوع المسيح، لم يكتبوا تاريخاً، بل كتبوا، يقول لنا يوحنا الانجيلي في نهاية انجيله، "لتؤمنوا بأن يسوع هو المسيح ابن الله، ولتكون لكم إذا آمنتم الحياة باسمه..." (يوحنا 20: 31).

ويقول شارل بيّرو: "إن معلوماتنا عن بيئة العهد الجديد، اي عن الإطار التاريخي والثقافي للقرن الاول للميلاد، قد تطوّرت بشكل ملحوظ منذ بضعة عقود من السنين، وذلك على أثر الكثير من الاكتشافات الاثريّة. نذكر منها اكتشاف مخطوطات قمران -البحر الميت- البالغة الاهمية، والابحاث العلمية المتواصلة في أراضي فلسطين... أمّا في ما يخصّ يسوع نفسَه، وأهله وأقاربه وانسباءه وتلاميذه، فإن المعلومات التي لدينا، وهي قليلة، بقيت هي هي، ولم تتقدّم بشكل يذكر..."! (جيرار موردّيات وجيروم بريّور "الصلب"، ص 23-24).

اما المعلومات التي يوردها مؤرخو الرومان، في ذلك الزمان، عن شخص يسوع، فهي قليلة ولا تزيد شيئاً عما ورد في الاناجيل المقدّسة وفي كتب العهد الجديد الاخرى. (فيما يخص هؤلاء المؤرخين الرومان، راجع: "بلينوس الصغير"، كتب عن المسيح سَنة 111، "تاسيت" كتب عنه بين 116-117 في ""التواريخ السَنوية"، الفقرة 44؛ "سَوّيتون" كتب حوالي 120 في "حياة القياصرة الاثني عشر"؛ يوسيفوس المؤرخ (37-100) في كتابه "الآثار اليهوديّة"؛ "سَلسوس" وقد وردت اقواله وكتاباته في كتاب اوريجانوس الشهير: "ضد سَلسوس"، الموضوع في اواخر القرن الثاني، (كتاب 1 و 2؛ وغيرهم...). ومن جهة ثانية، فإن "التلمود" نفسَه يتحدث، في أحد أقسامه المسمّى "بارايتا"، عن المدعو يسوع الناصريّ: عن اعتقاله ومحاكمته وصلبه، وذلك عشية الفصح اليهوديّ....

مثل صارخ في التصحيح التأريخي:
المسيح ولد في حوالى 7-6 (؟) سَنوات
قبل بداية التأريخ الميلادي المتداول حتى اليوم!

في أية سَنة ولد السيد المسيح؟ الجواب كان، منذ اكثر من ألف وأربعمائة سَنة حتى اليوم، بسيطاً للغاية: في السَنة "صفر" للتأريخ الميلادي. وهكذا ظلت المسيحية ومعها العالم أجمع يستندون الى هذا التأريخ منذ القرن السادس حتى أيامنا هذه. غير أن الواقع والحقيقة التاريخية هما غير ذلك. فقد تأكد اليوم بشكل حسابي قاطع أن هناك خطأً وقع في القرن السَادس ورثه العالم أجمع حتى اليوم،

وهذا الخطأ يتعلّق بتحديد السَنة التي ولد فيها يسوع المسيح! واليكم القصة بشكل مبسّط وسريع، وبإجماع مؤرّخي اليوم:

كان هناك في رومة في أوائل القرن السَادس، راهب سَيتي يدعى "دنيس الصغير" (أو ديونيزيوس أكسيجيورس) وكان عالماً بالاسفار المقدّسة يهتم بشرح وترجمة الأناجيل المقدّسة. وفي سعيه الى تحديد السَنة التي ولد فيها المسيح، انطلق دنيس من نصّ لوقا الشهير (3: 1-6) الخاصّ ببداية بشارة يوحنا المعمدان. النصوص الكتابيّة تقول إن يوحنا بدأ يُبَشِّرُ في السنة الخامسة عشرة من حكم القيصر طيباريوس، والمسيح بدأ يبشر في السَنة التالية. ومن جهة أخرى يقول لوقا (3: 23): "وكان يسوع عند بدء رسالته، في نحو الثلاثين من عمره...". وعمل الراهب دنيس حسابه: رجع ثلاثين سَنة الى الوراء إنطلاقاً من السَنة 15 لطيباريوس، فحصل على السَنة 754 رومانية، أي السَنة 754 لتأسيس مدينة رومة، وجعل هذه السَنة بالذات السَنة "صفر" أي السَنة التي ولد فيها يسوع المسيح: بداية التأريخ الميلاديّ. وهذا التاريخ هو الذي اعتمدته الكنيسَة الرسمية في رومة وعممته على العالم المسيحيّ في كل أصقاع الارض. في الواقع، لم يكن الأمر سَهلاً أمام دنيس الصغير. أولاً يجب ان نعتبر أن السَنة 15 لطيباريوس تُحدّد، ليسَ بالنسبة الى موت اغوسطوسَ قيصر بل بالاحرى الى سَنة ارتقاء خلفه على عرش رومة. ثانياً إن عبارة لوقا "وكان يسوع عند بدء رسالته في نحو الثلاثين من عمره" لا تحدّد بالضبط عمر المسيح، بل يجب أن تُفهم في المعنى الواسع، لا الحصري، للعبارة. علماً ان "عمر الثلاثين" عند اليهود في ذلك العصر كان يعني عمر الدخول في الحياة العامة من النواحي الاجتماعية والدينية. وهذا ما كان لوقا يعنيه بقوله "في نحو الثلاثين من عمره". وقد تبيّن فيما بعد أن دنيس الصغير لم يكن باستطاعته أن يحدّد سَنة وفاة هيرودس الكبير ولا زمن الإحصاء الوارد ذكره في الانجيل... وقد استنتج، دون تثبّت وتحقّق، أن هذين الحدثين: موت هيرودس الكبير والإحصاء، قد حصلا قبل 754 رومانية. واكتفى تماماً بذلك! تبنّت الكنيسة تأريخ دنيس الصغير وجعلته التأريخ الميلادي الرسمي. وقد استمر الجميع في وراثة هذا الخطأ التاريخي الحسابي اكثر من الف واربع مائة سَنة! ومنذ فترة قصيرة، وعلى ضوء التدقيق البالغ في الحسابات الرومانية واليهودية تأكد أن يسوع المسيح قد ولد، ليسَ في السَنة "صفر" أي في بداية التأريخ الميلادي المتداول حتى اليوم، بل في الحقيقة في حوالى 7-6 (؟) سَنوات قبل بداية التأريخ الميلادي المتداول حتى اليوم! هذه هي الحقيقة التاريخية الحسابية العلمية بكل بساطة. وقد تبناها الجميع في ايامنا هذه. والكنيسة المسيحية جمعاء تصرّح بذلك اليوم، وبشكل واضح في شروحاتها وتعليقاتها على النسَخات الجديدة للكتاب المقدّس. (راجع مثلاً النسخة الجديدة-الجدول التاريخي، طبعة 1989، ص 24)!

وكما في التاريخ، كذلك في الجغرافية. وكما أن هناك تصحيحات "علمية" كثيرة... في مجالات التاريخ، هناك ايضاً تصحيحات "علمية" كثيرة... في مجالات الجغرافية والتوبولوجية والتوبونومية وما إليها... وما موضوع دراسَتنا هذه الاّ من باب التصحيحات التاريخيّة-الجغرافيّة، ولو كانت قوية تصدم بعنف كثيراً من العقول والمفاهيم والمستويات... المسترخية في النوم منذ قرون! نحن نحاول هنا أن نُصَحِّحَ فقط خطأً جغرافياً فادحاً وخطيراً ورثه الجميع منذ الفي سَنة. ولكنه خطأ من نوع فريد عمل فيه الطمس المقصود والتناسي والنسيان والجهل الموروث، وبنوع خاص الخوف...، حتى اصبح وكأنه حقيقة تاريخيّة وجغرافيّة على المستوى العالمي. وهذا الخطأ الجغرافي-التاريخي هو بكل بسَاطة التالي: يعتقد الناس جميعاً أن يسوع المسيح قد ولد في بيت لحم يهوذا، في ارض اليهودية، في جنوبي فلسطين، على بعد حوالى 12 كلم عن مدينة أورشليم الى الجنوب -أي بيت لحم المعروفة اليوم. هذا خطأ جغرافي خطير على المستوى العالمي ورثناه منذ ألفي سَنة وله نتائج كثيرة غاية في الخطورة... أما نحن فنحاول أن نثبت، بالحجج والبراهين التاريخية والجغرافية العلمية، من خلال النصوص الكتابية نفسَها والخرائط الجغرافية...، ان يسوع المسيح ولد، في الحقيقة، في بيت لحم أخرى، هي "بيت لحم أفراتة" المدينة الكنعانية -الفينيقية_ اللبنانية القديمة، الكائنة في شمال فلسطين وليسَ في جنوبها، اي في الجليل، "جليل الأمم"، والباقية الى اليوم على الارض وفي الخرائط وفي نصوص الكتاب المقدّس نفسَها...! (راجع سَفر يشوع 19: 10-16)

عصرنا عصر الحقائق السَاطعة. أمّا عصر الظلام والجهل والتخلّف فقد زال، الى غير رجعة. في يومنا هذا، لم تعد الارض مسَطّحة وثابتة في مركزها، تدور حولها الشمس والنجوم والاجرام الكونية. بل أصبحت الأرض، بعد كبلر وكوبرنيكوس وغاليليو، كرويّة الشكل تدور حول الشمس "وتدور"...، وهي بمثابة حبّة غبار متناهية في الصغر تهيم في أوقيانوس هائل في الاتّساع، ومكوّن من كواكب وشموس ونجوم وأجرام وسدم ومجرّات تتحرك وتتمدد بسرعة فائقة في أرجاء الكون الكبير!

وكما كان الناس ينظرون الى الأرض قبل غاليليو... هناك اليوم البعض من الناس لا يزالون يظنون -حتى فيما يخصّ بعض الحقائق التاريخية والجغرافية-أن الأرض مسَطّحة وانها ثابتة في مركزها والكون كلّه يدور حولها. من هذه الحقائق التي كان الناس يظنّها مسَطّحة: كون بيت لحم المعروفة اليوم هي مكان ولادة السيد المسيح!!

"المِدْرَاش والمِدْرَاشِيْمْ" عند اليهود.
"المدراش" (أسلوب يهوديّ قديم في الكتابة)

"ألمدراش"- وجمعها "مدراشيم"- كلمة عبرانيّة مشتقّة من جذر "دَرَش" (وبالعربيّة دَرَسَ) تُفِيْدُ البحث والتقصّي. وردت هذه اللفظة في التوراة مرتين: في سَفر أخبار الأيام الثاني 13: 22 (مدراش النبي عدّو)؛ و 24: 27 (مدراش سَفر الملوك).

في الأدب الديني تعني كلمة "مدراش" التنقيب عن المعنى الخفي الكامن في الكلمة، وعن المعنى البعيد الذي تتضمّنه مختلف الاشارات والتلميحات في النصّ، أو أحياناً محاولة لملء الفجوات التي تظهر في بعض المتون من الكتب المقدّسَة...

فهذا هو أبراهيم مثلاً، أب العبران الروحي، جاء من أور الكلدانيين الى أرض كنعان، ولكن حياته الأولى في أرض بابل وأشّور غامضة لا تذكر أسفار التوراة عنها شيئاً. ولذا تجد في مختلف المدراشيم أخباراً وروايات عديدة عن حياته الأولى. وهذه الروايات تسدّ الفجوات المجهولة من حياته...

فالمدراش إذن تفسير حرفيّ لما ورد في النصّ وتفسير باطنيّ، ذلك لأن للكلمة الواحدة معنيّين: الظاهري والباطني. وقد يكون لحرف الهجاء أو لحرف المعنى تفسير ظاهري وباطني. والمدراش ذاتي بطبيعته يمثّل وجهة نظر المؤلف وتعليقه الخاصّ على الحوادث والظواهر، كما يعكس أفكار عصره وعادات محيطه وأسلوب لغته...

كثيرة هي المدراشيم التي ظهرت بين القرن الثاني قبل المسيح والعاشر بعده... وعندما يقولون "مدراش فلان" فانهم يعنون وجهة نظره الشخصية وتفسيره الخاصّ للأمور. والمدراش نوعان: نوع يتناول قوانين السلوك ويدعى "الهلكة"؛ ونوع آخر يتناول الاخبار والروايات ويدعى "الهجّادة".

كيف نشأ المدراش

يقول التقليد العبري أن من جملة العائدين من السَبي كان عزرا الكاتب الذي أخذ على عاتقه سّنة 444 ق.م.، أي بعد رجوعه من أرض بابل باثنتي عشرة سَنة، جمع كتب التوراة ووضعها بشكلها النهائيّ...

فجمع رؤساء الشعب وأخذ عليهم عهداً أن يقبلوا التوراة دستوراً لحياتهم الدينيّة والسياسيّة. يقول صاحب سَفر نحميا (8-8): "وقرأوا في السَفر في شريعة

الله ببيان، وفسّروا المعنى، وأفهموهم القراءة...". ممّا يدل أن عامّة الشعب لم تكن تستطيع قراءَة النص العبريّ وفهمه، فكانت الحاجة الى التفسير والإيضاح عن طريق القصة والرواية والخرافة، لأن هذه تروق عامّة الشعب اكثر ممّا تروقهم المحاضرات اللاهوتية الرصينة. وكان القرنان اللّذان سَبقا المسيح من أخصب الفترات التي وضعت فيها القصص الدينية "المدراشيم هجّادة" في أرض فلسطين. في هذه الفترة وصلت الحياة الفكرية والروحية الى مستويات دنيا، جعلت الربّانيّين يلوذون بالمجمع "الكنيس"، يتدارسون فيه التوراة، ويقصّون القصص، ويردّدون ما قيل سابقاً مع زيادة في الخيال والإسراف... فكان العامّة من الناس يتنادون أيام السبت والأعياد للذهاب الى "المجمع" الفلاني حيث الخطيب أو القاصّ -وكانوا يسمّونه "آمور"- سوف يمتّعهم بسحر أحاديثه وتنوّع شروحاته وتفسيراته...

كان الربّاي يجلس على منصّة في "المجمع" ويقف الى جانبه مفسِّر يكلّم الناس بالآرامية -لغة الشعب المحكيّة عهد ذاك. وكان الربّاي يقرأ بصوت خافت رصين فلا يسمعه الناس، ولا يبالي سَواء سَمعوه أو لم يسمعوه، لأنه كان يعتمد على المفسّر، على "الآمور"، الذي بقدرته على الخطابة كان يحرّك عواطف الناس ويثير خيالهم. وهذه التعاليم والتفاسير والأقاصيص جمعت فيما بعد فيما سُمّي "المدراشيم". وقد بدأ المدراش في أيام عزرا الكاتب في أواسط القرن الخامس قبل الميلاد، وظل اليهود يكتبون "مدراشيم" حتى القرن العاشر ميلاديّ...

وخلاصة القول، فإن "المدراش" من ناحية اجتماعية فكرية يعتبر سجلاّ للفكر العبري والحياة الروحية والتقاليد، اكثر ممّا يمثّل وقائع التاريخ- في مفهومنا المعاصر اليوم للتاريخ...! إنه أسلوب يهوديّ قديم في الكتابة. وهذا "الاسلوب المدراشي" قد اعتمده متى ولوقا في كتابة أحداث طفولة يسوع، وذلك باجماع مؤرّخي ومفسّري كتب العهد الجديد، في أيامنا هذه. (راجع خاصّة: اللاهوتي والشارح الكاثوليكي الكبير شارل بيّرو في كتابه "أحداث طفولة يسوع"، ص 11-16، 57-61).

من المدراش اليهودي الى المدراش المسيحيّ
في أناجيل الطفولة
(متى 1-2؛ لوقا 1-2)

"مدراش موسَى الصغير"

أعار المجمع اليهوديّ اهتماماً خاصاً بالاحداث المتعلّقة بولادة موسى وطفولته (راجع الفصل الثاني من سَفر الخروج). وانطلاقاً من وثائق مخطوطة يهوديّة في القرن الاول للمسيح، يمكننا رسم الخطوط العريضة للشروحات والتعليقات "المدراشية" حول ولادة موسى وطفولته (راجع: فيلون "حياة موسى"؛ يوسيفوس المؤرخ "الازمنة اليهودية القديمة:؛ "الترجوم الفلسطيني" حول سَفر الخروج: الفصلان الأول والثاني...)

فيما يتعلّق بولادة موسى، تخبرنا هذه الوثائق أن المصريّين القدماء كانوا يضطهدون اليهود بسَبب عددهم... ووصل الأمر بالحكام المصريّين بأن أصدروا أوامر تفرّق الرجال اليهود عن نسائهم خوفاً من تكاثر عدد الاولاد اليهود. غير أن اليهود لم يلتزموا تماماً بهذه الأوامر. وفي هذه الاثناء، "حلم فرعون مصر بأن أحد الكهنة المصريّين المهتمّين بكشف المستقبل، جاءه يقول بان طفلاً يهودياً سيولد عمّا قريب ويعمل على أضعاف سلطة المصريّين وإعلاء شأن اليهود... فخاف الفرعون، خوفاً شديداً، وأمر برمي كل وليد يهودي في مياه النيل..." (يوسيفوس المؤرخ). والترجوم الفلسطينيّ، من جهته، ينقل تقليداً مماثلاً: "وحلم فرعون في نومه حلماً غريباً: فقد رأى أن كل أرض مصر تستوي في كفّة ميزان، وأن حملاً صغيراً يستوي في كفّة أخرى، وأن الكفّة التي تحمل الحمل هي التي رجحت. فقام الفرعون من نومه مذعوراً، وأرسل فدعى جميع السحرة في مصر وقصّ عليهم الحلم. فقام رئيسا السحرة يناسَ ويمبرسَ وقالا: سوف يولد طفل بين اليهود، ويكون خراب مصر على يده... فأمر الفرعون حينئذ بقتل جميع اطفال اليهود في مصر رمياً في مياه النيل... الخ..."

وبالاضافة الى قصة موسى، التي اصبحت مدراشاً في المجامع اليهودية، هناك العديد من "المدارشيم" المماثلة التي تتحدث عن ولادة وطفولة كبار الآباء والرجال أمثال ابراهيم واسحق وشمشون وصموئيل... فهذا النوع من الكتابة كان اذاً منتشراً في صياغة القصص العبري القديم والحديث، داخل المجامع اليهودية. وكان القصد منه التركيز على دور الله وعنايته في تاريخ الشعب ومَسيرته. فالله هو وحده الذي

يخلّص شعبه، وهو وحده الذي يهيء محرّري الشعب ويعلن عن ولادتهم ويرعى طفولتهم...

"مدراش موسى الصغير" وأناجيل طفولة يسوع

هذا النوع اليهوديّ عينه من الكتابة (المدراش) اتّبعه الكتّاب المسيحيون الأولون عندما بدأوا بكتابة الاناجيل وسائر اسفار العهد الجديد! ويظهر هذا بنوع خاص، وبكل وضوح، في اناجيل الطفولة، والتي وضعت، كما يقول اكثر المفسّرين، في وقت لاحق: فمتى المشبع بتقاليد اليهود والذي وضع إنجيله خصيصاً للعبرانيّين، كتب إنجيله، وخاصة نصوص الولادة والطفولة، بطريقة المدراش اليهودي: "مدراش موسى الصغير"، ليبرهن لليهود أن يسوع هو "موسى الجديد"...؛ كما أن لوقا كتب إنجيله، وخاصة النصوص الطويلة المتعلّقة بالولادة والطفولة، بطريقة المدراش: "مدراش صموئيل الصغير"، ليبرهن ليهود الشتات ولغيرهم أن يسوع هو "صموئيل الصغير"... مرّة أخرى، ليست الأناجيل، وخاصة اناجيل الطفولة (متى 1-2؛ لوقا 1-2)، ليسَت كتباً تاريخية بالمعنى الحصري للكلمة، بمفهومنا اليوم، بل هي البشارة الجديدة: أخبار يسوع المسيح ابن الله ومخلّص العالم -كتبت بطريقة "المدراش اليهودي" الذي كان سائداً بين اليهود آنذاك وبين المسيحيّين الأولين أنفسهم...

في الواقع، قبل كتابة الاناجيل والرسائل، لم يكن هناك بالنسبة الى المسيحيّين الأولين عهد قديم وعهد جديد، كما نراه نحن اليوم: كان لهم كتاب مقدّس واحد -كتاب الله- الا وهو كتاب "الشريعة والانبياء"، أي كتاب التوراة وسائر أسفار العهد القديم، كما نقول اليوم. فكان من الطبيعي أن ينظروا الى أحداث ولادة يسوع وطفولته -وان يكتبوها فيما بعد- انطلاقاً من روايات الولادة والطفولة الخاصة بكبار الانبياء وعظماء العهد القديم، الذين حرّروا الشعب اليهودي وخلّصوه من أعدائه: إبراهيم اسحق موسى شمشون وصموئيل... وكان لكل واحد من هؤلاء "مدراش" خاص به، يروي بطريقته الخاصة اخبار ولادته وطفولته...

وهكذا جاءت أخبار "بيت لحم" وطفولة يسوع تختصر أخبار ولادة وطفولة هؤلاء الكبار، وتبلغ بهذه الأخبار الى ذروتها وكمالها وصورتها المثلى... وجاءت أناجيل الطفولة بنوع خاص (متى 1-2؛ لوقا 1-2) تغرف من روايات المجامع اليهودية المتضمنة في "مدراشيم" القدماء، وتستعيد الأفكار والمنهج، وحتى العبارات عينها، السائدة والمتداولة في هذه "المدراشيم". كلّ ذلك، ليبرهن كتبة أناجيل الطفولة كيف "أتمّ" يسوع و"اكمل" "الكتب المقدّسة"... هكذا، وبكل بساطة وموضوعية، كتبت أناجيل الطفولة، وهكذا رويت أحداث "بيت لحم"... وهذا ما يجمع عليه، ويؤكده، كبار مفسّري اناجيل الطفولة، وعلى رأسهم: بيّرو وبوامار وبنوا وغيرهم...

والحق يقال، إن هذه الطريقة في التأليف والكتابة، تظهر لانسان اليوم وللمؤرخ المعاصر، على شيء من الغرابة والحراجة، خاصة فيما يتعلق بالتاريخ العلمي الدقيق لاحداث "بيت لحم" ورواية أحداث الولادة والطفولة. أما عند مسيحييّ القرن الاول، في المقابل، فان رواية أحداث ولادة يسوع وطفولته، خارج اطار طريقة المدراش اليهودي ونصوصه، تظهر وكأنها ترفض أن ترى في المسيح إتمام واكتمال كلام الله المتمثّل في الكتب المقدسة: كتب الشريعة (التوراة) والانبياء... وهل كان ممكناً، عند مسيحييّ القرن الاول، ان يتجاسروا ويكتبوا "احداث بيت لحم"، خارج نطاق هذه الطريقة في الكتابة؟...

ولكي تكون المقارنة، بين المدراش اليهودي والمدراش المسيحي، اكثر موضوعية وعمقاً وتكاملاً، يجدر بنا ان نلفت الى نقطة الخلاف الجوهرية، بين الاثنين، رغم التطابق في نموذج الكتابة والتأليف والاسلوب وحتى التعابير والالفاظ... ونقطة الخلاف هي لاهوتية.

في المدراش اليهودي، وفي نظر يهود القرن الاول للمسيح، كان النص التوراتي -النص الموسَوي- هو الاسَاس والقاعدة، لانه يشكّل الإطار الصحيح والوحيد للوحي الإلهيّ. كان نقطة الانطلاق، وكان المحور الاسَاسي الذي تدور حوله تفسيرات واعظي السبوت وتعليقات العلماء والكتبة... كان كل شيء في خدمة النص التوراتي فقط لا غير. وما "المدراش اليهودي" سوى نوع من "التَأْيِيْن" لهذا النص في الحاضر. وهكذا تتواصل وتتراكم "المدراشيم" عبر التاريخ اليهودي...

اما في "المدراش المسيحي" وفي نظر المسيحيّين الأولين، فان شخص المسيح نفسَه هو الاسَاس والقاعدة، وليسَ النص الكتابي. في المسيح، وفيه وحده، "حلّ ملء اللاهوت..." وهو المحور الاسَاسي الذي تدور حوله "النصوص الانجيلية" وسَائر نصوص كتب العهد الجديد. وهو نفسَه الذي تنبأت وتحدثت عنه الكتب المقدسة: كتب الشريعة والانبياء، والمزامير... وما الانجيل سوى إعلان هذه البشرى: يسوع المسيح القائم من بين الاموات هو ابن الله الوحيد ومخلص العالم. كل شيء ينطلق من المسيح ويعود اليه. إنه "البداية والنهاية"؛ "يسوع المسيح الذي هو كل شيء وفي كل شيء..." (كول 3: 11).

في تعليقه على الكتاب المقدّس، العهد القديم، يقول العلامة والمؤرخ الكبير البطريرك اسطفان الدويهي، "منارة الشرق" وآخر آباء الكنيسة الشرقيين، يقول عن العهد القديم الذي يسميه "العتيقة": "ان اليهود يترجمون عل هواهم ورضاهم، وهم يحرّفون أقوال الكتب المقدّسة...!" (راجع كِتَابَهُ الشهير: :منارة الأقداس"، الجزء الثاني، الشرح الأول، الفصل الثالث (في توحيد الطبع الإلهي وتثليث أقانيمه في العتيقة)، العدد الخامس، ص 40).

يقول شارل بيّرو، الاختصاصيّ الكبير في "المدراش" اليهوديّ، وفي العهد الجديد معاً: "إن تأثير "المدراش" اليهوديّ، الذي كان يتلى في "المجمع"، كان سائداً وفعّالاً، ليس فقط في أيام المسيح، بل ايضاً في الأجيال الاولى للمسيحية... وبالنسبة الى الجماعات المسيحيّة المتهوّدة، فان صيغة "المدراش" التي كانت تستخدمها هذه الجماعات، عملت بشكل اسَاسي على نشأة وتطوّر كتب العهد الجديد... فالمسيحيّون المتهوّدون المتشبّعون بأقوال الشريعة والانبياء، داخل "المجمع"، كان من البديهي أن يفهموا حياة يسوع وأعماله وأقواله، على ضوء ومن خلال صيغة "المدراش" التي كانت سائدة في "المجامع"... وانطلاقاً من كتب التوراة، وتأويلاتها على لسان الانبياء، كان الشارح المسيحيّ المُتَهَوِّد، "كاتب الملكوت"، يسعى جاداً الى "تأيين" التوراة والكشف عن حقيقة يسوع، "موسى الجديد"، في صيغة المدراش المسيحيّ. فالشارح المسيحي المتهوّد كان يملك بيده مفتاح تأويل "الكتب" الذي اعطاه إياه المسيح نفسَه في لوقا 24: 27 "فبدأ (يسوع) من موسى وجميع الانبياء يفسِّر لهما (تلميذي عمّاوس) ما ورد في شأنه في جميع "الكتب"... (شارل بيّرو "قراءة العهد القديم عند يهود الشتات"، ص 196 والحاشية رقم 31، 290).

وهل أوضح من هذا الكلام في تحديد الصيغة الكتابية التي وضعت بها كتب العهد الجديد، وخاصة الاناجيل المقدّسة التي تروي حياة يسوع المسيح واعماله وأقواله؟ وخاصة إذا كان هذا التوضيح صادراً عن أحد كبار مفسِّري العهد الجديد في عصرنا؟ إنها صيغة كتابية بحسَب "المدراش" اليهودي، انها كتابة "التاريخ الديني"، وليسَ التاريخ الموضوعي بحسَب مفهومنا اليوم للتاريخ...

مراجع الفصل

أولاً: المدراش والمدراشيم عند اليهود

-سَفر الخروج 24: 12

-سَفر أخبار الايام الثاني 13: 22؛ 24: 27

-سَفر نحميا 8: 8

-"مدراش رَبَّا"، وهو في عدة اجزاء. ويُعَزَى الى ربّاي هوشعيا من رجال القرن الثالث للميلاد. الجزء الاول والثاني تفسير وتعليق على "سَفر التكوين". نشر النصّ العبري الدكتور يهوذا تيودور اعتماداً على مخطوطة 27169، المتحف البريطاني، برلين 1912. والترجمة الانكليزية بقلم الدكتور هـ. فريدمن وموريس سَيمون، لندن 1951.

-انيسَ فريحه "في القصص العبري القديم"، الطبعة الاولى 1992، دار نوفل، بيروت لبنان، ص:9-20 (مع الحواشي).

-البطريرك اسطفان الدويهي "منارة الاقداس"، الجزء الثاني، الشرح الاول، الفصل الثالث، العدد الخامس، ص 40.

-"The Baby lonian Talmud", English Translation under the Editorship of Rabbi Isodore Epstein (London, Soncino Press, 1935-1961).

-The Apocrypha and Pseudepirgrypha of the Old Testament (2 vols). Ed. R.H. Charles (Oxford, Clarendon Press, 1913).

ثانياً: "المدراشيم المسيحيّة" وأناجيل الطفولة (متى 1-2؛ لوقا 1-2)

*Charles Perrot –"Les récits de l'enfance de Jesus"; Matthieu 1-2; Luc 1-2-Cahiers Evangile, Service Biblique Evangile et Vie, Editions du Cerf, N° 18, p.p. 11-16, avec Notes.

-"La lecture de la Bible dans les synagogues au premier siècle de notre ère", La maison de Dieu, 1976, p.p. 24-41

-"Les récits d'enfance dans la haggada antérieure au 2° siècle de notre ère"; Recherches de Sciences Religieuses, 1967, p.p. 481-518

-"La lecture de la Bible dans la Diaspora hellénistique", Paris, Cerf, "Lectio divina", p.p. 196 et la note N°31, 290.

<u>ثالثاً:</u> بعض المصادر الأجنبية الحديثة عن تاريخ المسيح والأناجيل...

-Marie-Emile Boismard: "Synopse des quatres Evangiles" (en collaboration avec P.Benoît et A. Lamouille). 3 tomes. Traduit en plusieurs langues. Cerf, 1990

-"La vie des Evangiles", avec A. Lamouille, Cerf, 1980

-"Moïse ou Jesus", (Leuven University Press, 1988.

-S.G.F.: "Jésus et les Zélotes", Flammartion, 1975

-Rudolph Bultmann: "Jésus, mythologie et démythologisation", Le seuil, 1968.

-Collectif: "Les Evangiles", Desclée de Brouwer, 1990

-Ennio Floris: "Sous le Christ, Jésus", Flammarion, 1987

-Charles Guignebert: "Jésus", Albin Michel, rééd, 1969,

-Le Christ, Albin Michel, rééd, 1969.

-Pierre Grelot: "Les Juifs dans l'Evangile selon Jean", Gabalda, 1995- "L'Espérance Juive à l'heure de Jésus",Desclée, 1996. -"L'origine des Evangiles", Cerf, 1986.

-Helmut Koester et François Bavon: "Genèse de l'écriture chrétienne", Brépols, 1991.

-Simon Légasse: "Le Procés de Jésus", 2 tomes, Cerf, 1994

-Michel Quesnel: "L'Histoire des Evangiles", Cerf, 1987

-Charles Perrot: "Les récits d'enfance dans la haggada antérieure au 2° de note ère", dans la revue "Recherches de Sciences Religieuses", 1967.

-"Les récits de l'enfance de Jésus", in Cahiers Evangile N°18, Cerf, 1976

-"Jésus et l'Histoire", Deselée, 1993

-Chistian-Bernard Amphoux: "Initiation à la critique textuelle du nouveau Testament", Cerf, 1986

-"L'Evangile selon Matthieu", Le bois d'Orion, 1996.

-Jean-Pierre Lémonon: "Le monde où vivait Jésus", Cerf, 1997

-Daniel Marguerat: "L'Homme qui venait de Nazareth", Ed. Du Moulin, 1990

-Frans Neirynek: "The Four Gospels", Leuven Univ. Press 1992

-Etienne Nodet avec Justin Taylor: "Essai sur les origines du Christianisme", Cerf, 1997.

-Jean-Marie Sevrin: "The New Testament in Early Christianity", Leuven Univ. Press, 1989.

-Etienne Trocmé: "Jésus de Nazareth vu par les témoins de sa vie", Delachaux et Nietslé, 1972

-L'Enfance du Christianisme", Edit. Noêsis, 1997.

-Gerd Theissen: "L'Ombre du Galiléen", Traduit de l'allemand. Cerf, 1994

-"Histoire sociale du Christianisme primitif", Cerf, 1996

-A. Paul: "L'Evangile de l'enfance selon S. Matthieu", Col. Lire la Bible, Cerf, 1968.

-France Quéré: "Evangiles Apocryphes", Le seuil, Points, 1983.

-F. Amiot: "La Bible Apocryphe: Evangiles Apocryphes", Lib. Arthème Fayard, 1952.

-Rainer Riesner "Jésus, the Primitive Community and the Essence Quarter of Jerusalem", dans James H. Charles-Worth (Ed.), Jesus and the Dead Sea Serolls, New York, Doubleday, 1992.

-Pierre-Antoine Bernheim, "Jacques, frère de Jésus", Ed. Noêsis, Paris, 1996.

-Ernst Kaseman, "Le problème de Jésus historique", (Traduit de l'allemand), Neuchâtel, Delachaux et Niestlé, 1972.

-François Blanchetière, "Comment Juifs et Nazaréens se sont-ils séparés?", in Revue de Sciences religieuses, 71, N°1, 1997.

-Jean Daniélou, "Théologie du Judéo-Christianisme", Desclée-Cerf, 2° édition, 1991.

-Laperrousaz Ernest-Marie, "L'Attente du Messie en Palestine à la veille et au début de l'ère chrétienne, Paris, Cerf, 1997.

-D. Marguerat, "Le déchirement. Juifs et Chrétiens au 1er siècle, Genève, Labor et Fides, "Le monde de la Bible", 1996.

الفصل الثالث

في بيئة الميلاد

"سرّ الأسينيّين..."

بعد اكتشاف "مخطوطات قمران" عند البحر الميت، أصبح السؤال اكثر الحاحاً: لماذا لم تتحدّث الاناجيل وسائر كتب العهد الجديد عن الاسينيّين، عن تعاليمهم وأديرتهم، عن نشاطاتهم ومخطوطاتهم الهامّة؟ لماذا هذا الصمت المطبق عنهم عند المسيحيين الأولين، عند آباء الكنيسة، عند واضعي التواريخ والكتب والشروحات المسيحية القديمة؟ هناك فقط بعض الاشارات عنهم عند بعض المؤرخين غير المسيحيّين أمثال يوسيفوسَ المؤرخ وفيلون الاسكندريّ، ولكنها تبقى إشارات عابرة وغير كافية. والحقيقة إن العلاقة بين الاسينية والمسيحية الأولى، وحتى اليوم، بقيت علاقة يشوبها الكثير من الغُموض والغرابة والسرّية...؟! ونحن نرى أن الوقت قد حان، في "أزمنة الحقائق الساطعة" هذه، أن يزاح ولو قسّم من "الستار السرّي" القائم بين الاسينية والمسيحية... وها نحن نحاول الآن هنا، وبكل موضوعية وجرأة، أن نزيح هذا القسم من "الستار السرّي"، الذي كان يرخي بظله على بعض قسَمات وجه المسيحية السَاطع أصلاً كالشمس. ومحاولتنا هذه تقتصر على الإطار التاريخي والجغرافي فقط... وذلك بشكل مبسّط ومختصر، تاركين لغيرنا ان يستفيض بدراسة وتحليل هذه القضية الهامّة.

أما الجواب على السؤال لماذا هذا الصمت الغريب على الاسينية عند نشأة المسيحية، فيعود برأينا الى عدة اسباب مجتمعة، منها المباشر ومنها غير المباشر. ويمكن اختصارها بأربعة. السبب الأول هو أن الجماعة الاسّينية المركزيّة كانت "جماعة سرّية" بكل ما لهذه العبارة من معنى.... السبب الثاني هو أن البيئة اليهودية العنصريّة الضاغطة جعلت واضعي كتب العهد الجديد -وغالبيتهم من أصل يهوديّ- يقصرون اهتمامهم على ربط تاريخ المسيحية بتاريخ اليهود: "كتب الشريعة والانبياء"، ليبرهنوا أن يسوع هو حقيقة المسيح الذي كان ينتظره اليهود... مع ان المسيح "جاء ليكمل، لا لينقض..." جاء ليكمل، ليسَ فقط تاريخ وشرائع اليهود، بل كل التاريخ والشرائع البشرية عامة، وبنوع خاص التاريخ والشرائع الكنعانية التي كانت بحق، وحدها، تشكل ظاهرة "عالمية الانسان...". المسيح هو "عمّانوئيل"، اي "إيل معنا". وايل هو إله الكنعانيين ذو النزعة الوحدوية الكونيّة. والمسيح هو على "رتبة ملكيصادق"، كاهن إيل العليّ، وليسَ على رتبة هارون رئيس كهنة "يهوه"...!!

السبب الثالث -وهو نتيجة للسبب الثاني...- هو ان واضعي تاريخ نشأة المسيحية حاولوا بكل جهدهم، بتأثير ضاغط من اليهود، بشكل مباشر او غير مباشر، حاولوا ان يقطعوا كل علاقة تربط المسيح والمسيحية الناشئة بكل ما هو غير يهودي: بكل ما هو "وثني" او "أممي" أو كنعاني خاصة... وليسَ أدلّ على ذلك من تغيير اسم وموقع "بيت لحم الحقيقية"، وطمس رحلات المسيح الطويلة الامد الى ارض فينيقية-لبنان، وتشويه حادثة شفاء ابنة "الامرأة الكنعانية"، وتزوير حقيقة موقع جبل التجلّي، وغيرها كثير... والسبب الرابع، هو أن الحكمة الالهيّة الدهريّة، لا تسمح بكشف الحقائق والاسرار الكونية كلها دفعة واحدة... نظراً لمستوى استيعاب العقل البشريّ المتطوّر...

في الحقيقة، يعود تاريخ "الجماعة الاسّينيّة" الى عهود قديمة. فهي ترجع في الأصل الى هرمس الأول الكبير-هرمس "الترسَمجسَتي": المثلث العظمة-الذي ورد في التاريخ القديم بألقاب متعددة جداً، منها: تور الكنعانيين وهرمس اليونان ومركور الرومان وأوانّس الميزوبوتاميا وإدريس المسلمين وهرمس الهرامسَة عند مدارس الحكمة الشرقية القديمة وأحنوخ التوراة الخ... أحنوخ هذا الذي قال فيه سَفر التكوين: "... وسار أحنوخ مع الله، ولم يكن بعد ذلك، لان الله رفعه اليه"... (5: 24). وقال فيه سَفر يشوع من سيراخ: "لم يخلق على الارض أحد مثل احنوخ الذي نقل عن الارض..." (49: 14)! وقالت فيه الرسالة الى العبرانيين: "بالايمان رفع أحنوخ من غير أن يرى الموت. فلم يجده أحد لان الله رفعه. وشهد له قبل رفعه بان الله قد رضي عنه..." (عبرانيين 11: 5). وقالت فيه رسالة يهوذا انه "سابع الآباء من آدم..." (1: 14).

ونحن نؤكّد بناءً لمراجع ووثائق عديدة متنوّعة -وبناءً لمخطوطات سريانية قديمة العهد بين ايدينا- بان أحنوخ هذا، هرمس الكبير، كان كنعانياً عظيماً مقيماً في "جبل لبنان" بالذات. وهو الذي نشر، مع أولاده وأحفاده، حضارة "إيل" وديانته التوحيدية الاولى في التاريخ، مؤسِّساً بذلك الحضارات الاولى على الارض. ولما خمدت شعلة الوحدانية وبدأت ظاهرة تعدد الآلهة ودخل الانسان عصر المادة المكثّفة، ظلّت المدرسة الهرمسية أمينة على وديعة الوحدانية، بشكل مدارس شرقية سرّية روحانية (سرانيّة)، منتشرة هنا وهناك... وبقيت أرض كنعان -وجبل الكرمل بالذات- المحور المركزيّ والمدرسة الهرمسية الام. وظهر فرع من هذه المدرسة، ونما ونضج في أرض مصر، أيام الفرعون أمينوفيس الرابع -أخيناتون-(1364-1347) في تلّ العمارنة. هذا الفرعون الشهير الذي حاول ازكاء شعلة الوحدانية في مصر بتأثير من أمّه الكنعانية الملكة "تي". وهو الذي ساعد على انشاء وقيام مدرسة روحية سرّية عملت على تعليم الحقائق الروحية الكبرى. من هذه المدرسة الروحية بالذات انطلقت "الحركة الاسينية" وعادت وانتشرت في ديار المشرق. وكان كل بلد

من هذه البلدان يطلق على هذه الحركة الروحية اسماً او لقباً يتناسب ولغته وأرضه وخصائص شعبه. وهكذا، وفي مدينة الاسكندرية، دعيت هذه الحركة لاول مرّة صراحة باسم "الاخوّة الاسينية". وهناك تفسيرات مختلفة أعطيت فيما بعد لهذه التسمية "أسِّيني"، من الناحية الاتيمولوجية. وفي الحقيقة، إن عبارة "اسِّيني" مشتقة من اللفظة المصرية "كاشى" التي تعني "سرّي". وهناك عبارة شبيهة بالعبرية القديمة "شاهي" تعني "سرّي" و"صامت"، وقد ترجمت هذه العبارة الى "آسِّيوسَ وأسِّيني" وهي تعني "سرّي،سرّاني وروحاني..." ويشرح يوسيفوسَ المؤرخ فيقول: إن الرموز الروحية للنور والحقيقة تتمثّل في العبارة "شوسن"، التي تترجم الى اليونانية حرفياً بعبارة "إسِّين". وفي بعض المصادر التاريخية القديمة نجد أن عبارة "أسيني" كانت تطلق في القديم على كهنة هياكل أفّسُس. وهناك فرع أسِّيني قديم، نشأ في أرض اليونان، ترجم عبارة "اسِّيني" بـ "الشافي"، على اعتبار ان كلمة "أسِّيني" تعني بالسريانية "أسّايا" اي الطبيب. (وبالمناسبة فان عبارة "قزحيا" التي تطلق على الدير المعروف في وادي قنّوبين-قاديشا-في لبنان، مشتقّة، في الحقيقة، من اللفظة السريانية "أسايا أو أزايا": الطبيب أو الشافي... ومعروف انه كان يوجد بجانب هذا الدير، الى فترة قريبة، مغارة كبيرة، تأوي من كان بحاجة الى شفاء من أمراض جسدية أو عقلية أو روحيّة!...)

إن اكثر المصادر التاريخية القديمة تشير بوضوح الى أن عبارة "أسيني" كانت تطلق أصلاً على "جماعة روحية سرّية". واذا كان قسم من هذه الجماعة يتعاطى شفاء الأمراض، الجسدية والروحية، فان قسماً آخر كان ينصرف الى الامور النسكية والتأملية والعلمية... أمّا انتشار "الجماعة الاسينية" في البلدان المجاورة لارض مصر فقد كان انتشاراً بطيئاً يتلاءم والمستوى الروحي لسكّان هذه البلدان. وهكذا رويداً رويداً، أخذت الجماعات الاسينية تركّز على إنشاء معاهد للبحث والدرس والتعليم. وقبل المسيح بعدة قرون كان هناك للجماعات الاسينية مركزان كبيران. الاول في مصر على ضفاف بحيرة "ماوريس"، حيث لمع نجم المعلّم الروحي الكبير "موريّا-إيل"، الذي أسّس، لأول مرّة، رتبة العماد بالماء كمدخل روحي للدخول في طقوس الاسرار... اما المركز الثاني الكبير فكان في جنوبي أرض كنعان -في فلسطين- في منطقة "أنجادّي" على ضفاف البحر الميت (قمران اليوم...). وكان لهذين المركزين الاسِّينيَين تأثير قوي واشعاع روحي في المناطق المجاورة... أما "جماعة قمران اليهودية"، وهي حديثة العهد، فقد تأثرت بالجماعة الاسينية الكنعانية القديمة... ولا مجال للخلط، بالتالي، بين "جماعة قمران" والجماعات الاسينية الأصلية القديمة.

وكان على المركز أو الدير الاسِّينيّ في قمران، أن يتحمل المقاومة والاضطهاد من قبل اليهودية الرسمية ورؤساء الكهنة والحكّام في أورشليم... فانكفأ على نفسه وتحمل العزلة "في البرية"، وزاد من طابعه السرّي الى أبعد الحدود، وألزم

أفراده أو "رهبانه" بالقسَم الرسميّ حفاظاً على السرّية... وقبل ميلاد المسيح بفترة قصيرة ترك القسم الاكبر من "الرهبان الاسِّينيين" دير قمران على ضفاف البحر الميت وأقاموا في الدير الاسِّينيّ القديم فوق جبل الكرمل، تاركين بعض الرهبان في دير قمران مع بعض المخطوطات. أمّا القسم الأكبر والأهم من مخطوطاتهم ووثائقهم فاستقر في دير جبل الكرمل... وهذه المخطوطات والوثائق، التي جلبوا معظمها من مكتبة الاسكندرية الشهيرة، هي التي تخبرنا بشيء من التفصيل عن أصل الاسينيين ونشأتهم، عن عقائدهم وتعاليمهم، عن حياتهم وتقاليدهم الخ... ويبقى قسم من هذه الوثائق سرّياً حتى اليوم...

وكل طالب يبغي الدخول في سلك الجماعة الاسينية، عليه أن يتدرّب على ذلك منذ حداثته تحت إشراف معلّمين ومرشدين يروّضون قواه وطاقاته الجسدية والعاطفية والعقلية والروحية، ويعملون بجد واستمرار على صحة هذه القوى وإنضاجها وإعلائها الى مستويات أرفع وأسمى. أمّا المقبولون في السلك، فيشاركون الاخوة الكبار طعامهم اليومي في داخل الدير، ويعمل كل واحد منهم على إبراز دعوته الخاصة ورسالته الشخصية. وعليه أن يثابر على السير في دعوته هذه، رغم المصاعب والمحن، ولو كلفه ذلك التضحية بحياته... وهناك امتحانات ورتب وطقوس يتدرّج بها المريدون لبلوغ هذه الاهداف السامية. وكان الناجحون يختارون إمّا أن يكونوا أطباء للأجساد والارواح، وإمّا مرسلين مبشّرين، وإمّا معلّمين ومرشدين، وإمّا كتبة وشارحين، وإمّا حِرَفِيين في الأديار وفي خارج الاديار، شرط ان تكون الحرفة غير ضارّة وغير عسكرية، كحرفة النجارة مثلاً... (القديس يوسف النجّار). وعندما ينخرط المريدون رسمياً في الجماعة الاسينية فعليهم أن يتخلّوا عن ملكيتهم الخاصة نهائياً، ويهبوا أموالهم وأرزاقهم الى الدير الذي يدخلون إليه، حيث يوزّع رئيس الدير على رهبانه ما يحتاجون اليه من قوت وكسوة. يعيش الاسِّيني داخل ديره، حياة بسيطة فقيرة، طاهرة، بعيداً عن بهارج العالم وملذاته. وينقسم وقته بين الصلاة والتأمل، والقراءة والدرس، والعمل اليدويّ في الأرض، والعمل الحرفيّ في المهنة الخاصة. وكان يلبس قميصاً أبيض طويلاً غير مخيط، منسوجاً كلّه من أعلاه الى أسفله، تماماً كما لبس المسيح... (راجع يوحنا 19: 23-24). ولا ينتعل حذاءً الاّ عند الضرورة القصوى. وكان الاسينيّ يُعرف من ثيابه، لدرجة أن الاسينيّين كانوا يلقبون "بالاخوة البيض" نسبة الى لون قمصانهم البيضاء الطويلة. اما كلمة "أسِّينيّ" فلم تكن متداولة على ألسِنة الناس... كان المطّلعون على الاسرار وحدهم يعرفون "الاسيني" ويتعرّفون عليه. وهذا ما يفسّر الى حدّ بعيد خلوّ اكثر كتب التاريخ من ذكر اسم "الاسينيين"-ومنها تواريخ نشأة المسيحية والقرون اللاحقة...

وكان الاسِّينيون يعيشون في نوع من الاديرة، حياة مشتركة، منعزلين عن الناس وبعيدين عن المدن. كانوا يعيشون في البرّية... وكان يدير هذه الاديرة مجلس أعلى مؤلّف من قضاة ومستشارين متقدمين في السنّ، يجتمعون كل أسبوع فيستمعون الى تقارير الأعضاء ويديرون شؤون وأحوال الجماعة. كانت الحكمة رائدهم وكانوا شديدي التمسّك بالنظام.

اما عقائد الأسينيّين وتعاليمهم الأسَاسية، وعددها عشرة، فكانت التالية:

المبدأ الأول: الله هو المبدأ والخالق. صفاته لا تظهر للانسان المخلوق الاّ من خلال مخلوقاته. وهو ليسَ شخصاً مثلنا، ولا يظهر للانسان لا بشكل غيمة، ولا بشكل ضوء أو نور أو أي شيء آخر... (كما عند اليهود مثلاً)

المبدأ الثاني: إن قوة الله ومجده وعظمته السامية لا تتأثر إطلاقاً، لا سلباً ولا إيجاباً، بايمان البشر بها او عدم إيمانهم. والله لا يغيّر او يبدل نظامه وشرائعة إرضاء للناس...

المبدأ الثالث: جوهر الانسان يأتي من الله، ويبقى فيه... وبالتالي فهو خالد لا يفنى...

المبدأ الرابع: إن جسد الرجل وجسد المرأة هما مظهران من مظاهر الحقيقة الالهية. غير أن الله نفسَه لا يظهر شخصياً في جسد الرجل أو في جسد المرأة...

المبدأ الخامس: إن جسد الانسان هو الهيكل المقدّس الذي تقيم فيه النفس. ومن خلال نوافذ الحواس يتأمل الانسان في مخلوقات الله، وفي تطوّر أحوالها...

المبدأ السادس: عند الموت وانفصال النفس عن الجسد، الذي هو عبور وانتقال من حالة الى حالة،تدخل النفس في حالة سرّية وتصبح في منأى عن أي إدراك بشريّ. وحدها قوة الروح القدس وعذوبة إشعاعه، بامكانها أن تقدّم العزاء والعون للنفوس القلقة والراغبة في إتمام مسيرتها الجديدة. وبالمقابل، فان النفوس التي لم تستفد من نعمة الله، وسلكت طريق السوء وتبعت تعاليم الاشرار، فانها تبقى مسجونة في جوف الارض، حتى يأتي يوم فتتحرّر فيه من رباط المادة، وتتطهّر تدريجياً حتى يصبح بإمكانها أخيراً أن تدخل الى الملكوت الالهي...

المبدأ السابع: يجب تقديس اليوم المكرّس لله، وذلك بالامتناع عن أي عمل مادّي وزمنيّ، حتى يتسَنّى للنفوس البشرية ان تتّحد بالروح وترتفع الى الاتصال بالله...

المبدأ الثامن: على الاسّينيّ أن يحجب عينه عن الشرّ، ويَصُمّ أذنه عند سماع التجديف، ويلزم الهدوء والصمت عند احتدام المناقشة والجدل. عليه أن لا يقول شراً، ولا يرى شراً، ولا يسمع شراً...

المبدأ التاسع: يجب الحفاظ على التعاليم المقدّسة بسرّية تامة... وعدم الكلام عنها إطلاقاً أمام اي شخص غير كفوء وغير مهيأ ومستعد لاستيعابها وفهمها.

وبالمقابل، عند توافر الاستعداد اللازم، ينبغي ان تكشف للعالم كل حقيقة سرّية تعمل على خيره وتطوره وارتقائه الى مستويات اكثر سمواً وروحانية...

المبدأ العاشر: ينبغي على الاسِّينيّ ان يكون وفياً حتى الموت على علاقات الاخوّة والصداقة. عليه الاّ يستغلّ السلطة ولا يستفيد من امتيازات مرتبطة بمهمّة توكل اليه. عليه أن يكون رحيماً لطيفاً وعذباً في علاقاته البشرية كافة، حتى مع أعدائه... (على عكس ما كان اليهود، في تعاليمهم الرسمية، يقولون ويفعلون: "أحبب قريبك وأبغض عدوّك..." (سَفر الاحبار 19: 18).

وفي كل فرع من فروع الجماعة الاسّينية، هناك وكيل يهتم بالامور المادّية، يجمع وينظّم الأموال والممتلكات الموهوبة من الاعضاء المنتسبين، في صندوق عام يسمّى "صندوق الفقراء"... وريع هذا الصندوق يوزّع على الفقراء والمعوزين في المناطق المجاورة. وهذا ما يذكّرنا، بشكل لافت، بما ورد في الانجيل على لسان يسوع نفسه حين قال: "اذا شئت ان تكون كاملاً، فاذهب وبِعْ مالك وأعطه الى المساكين، فيكون لك كنز في المساء، وتعال فاتبعني..." (متى 19: 21).

وفي بعض الفروع الاسّينية كان هناك مستشفيات يأوي اليها المرضى وأصحاب العاهات، خاصة عند انتشار الأوبئة والمجاعات. هذه المؤسّسات أطلق عليها لقب "بيت صيدا"!... وهي التي شكّلت النموذج الاول للمستشفيات التي شيّدت في القرون اللاحقة. وقد أفرد لهذه المؤسّسات أشخاص مختصّون كانوا يسمّونهم "أصحاب الضيافة". هؤلاء أصبحوا فيما بعد فرقة مميّزة عن الجماعة الاسّينية، وعلى شيء من الاستقلالية. وكان للاسّينيين ايضاً مآوي ومراكز ضيافة يأتي اليها الفقراء والمعوزون من كل فئات الشعب. وعند مدخل كل مدينة كان لهم ما يسمّى "المضافة"، يمرّ فيها المسافرون والغرباء وطالبو الغذاء والنصحية، وفيها يحصلون على مبتغاهم. ومنذ فترة قصيرة اكتشف علماء الآثار عند مدخل أورشليم مضافة كبيرة تسمّى "مضافة الاسينيين"! كما اكتشفوا هيكلاً ومستوصفاً وحيّاً سكنياً للاسّينيين...

لم يرغب الاسينيون في السكنى داخل المدن. بل فضلوا الاقامة في نوع من المجمّعات السكنية المميّزة والمستقلة خارج أسوار وحدود المدن. في هذه المجمّعات، التي كانت تعيش في نوع من الحياة المشتركة، كان لكل منتسب متزوج بيت صغير وبستان ملاصق. أما العازبون منهم فكانوا يعيشون في منزل كبير مشترك. لم يكن محرماً على الاسينيّ أن يتزوّج، كما يظن الكثيرون، بل كانت نظرتهم الى الزواج نظرة سامية روحية. كان يتزوج من كان منهم مهيأً ومستعداً لذلك من كل النواحي، وبعد الحصول على موافقة رؤسائه الأعلين...

كان بامكان النساء أن ينتسبن الى الجماعة الاسينية، وأن يصبحن فاعلات فيها. وقد يصلن، في بعض الحالات، الى مراكز ومراتب عالية، في مجالات العمل

والدراسة والمسؤولية. هذا لا يعني ابداً انه لم يكن لديهم مساواة جوهرية بين الرجل والمرأة بالحقوق والواجبات، بل كانت غالبية الوظائف تتطلّب، في الواقع، عملاً يتلاءم وطبيعة الرجل. ومع ذلك كانت أمّهات الاسّينيّين وأخواتهم وبناتهم بإمكانهنّ أن ينتسبن الى الجماعة الاسينية ويصبحن فاعلات فيها. أمّا اللواتي كنّ عازبات او تلك اللواتي لا يرغبن في الزواج فكنّ يتبنّين غالباً احد اليتامى ويقمن هكذا بعمل انساني داخل الجماعة (كلّ هذه الامور لم تكن موجودة، على الاطلاق، في الديانة اليهودية...)

وفي الحياة الخاصة للجماعة الاسينية، لم يكن هناك لا عبيد ولا خدم. فالعبودية كانت تتناقض وشرائعهم. وفي كل بيت كان أفراد العائلة يقومون بالأعمال المنزلية كافة. والملفت أنه عندما كانت الجماعات الاسّينية تتصرّف على هذا الشكل، كانت غالبية الخدم عند الملوك والحكام والاغنياء، من طبقة العبيد... أمّا بنظر الجماعات الاسينية، فكان جميع الناس أحراراً، متساوين بالحقوق والواجبات، دون أي تمييز جنسيّ أو عرقيّ أو طبقيّ...

كانت العادة أن لا يلتزم الأسِّينيُّ ابداً بمعاهدات او اتفاقيات تتطلّب قسماً أو موافقة خطّية. كانت مبادؤهم وتقاليدهم وعاداتهم معروفة من قبل كل الذين يحتكّون بهم أو يعاشرونهم. وكان الحكّام يعرفون، تمام المعرفة، أن الاسينيّ لا يرتبط بقسَم، بل كان يلتزم بالوفاء لتعهداته، على أسَاس إعطاء كلمته بذلك فقط. فيوسيفوسَ المؤرخ عندما كتب عن أسّينييّ منتصف القرن الاول قبل المسيح، أكّد انهم كانوا معفيّين من إداء قسَم يمين الولاء للملك هيرودس الكبير... كان معروفاً أنهم لم يكونوا يلتزمون بعهد يقتضي شهادة باسم الله، ولا يحلفون باسم الله أبداً، وتحت أي طائل، ولا يذكرون اسمه الاّ في وقت مقدّس داخل هياكلهم. وفي حال الخلافات مع الغرباء كانوا يلجأون الى المسامحة والتضحية بحقوقهم بدل التسبّب بالخصومة والعداء مع الناس.

كان هناك قسّم رسمي علني وحيد يقوم به، امام رؤساء الجماعة، اولئك الذين بلغوا مراتب متقدمة في التنظيم الاسّينيّ. وكان الحالف يرتبط بكلامه وشرفه فقط، لا غير. وهذه ترجمة حرفية للقسم الاسّينيّ:

"أنا فلان أقسم وأتعهّد، أمام المتقدّمين وكبار الاخوة في المنظمة، بان اكون دوماً بسيطاً ومتواضعاً أمام الله، بأن أكون عادلاً مع جميع الناس؛ وأن لا أسيء الى أية خليقة حيّة، بارادتي الذاتية او بإيعاز من الغير. بأن أبغض الشر دوماً، وأساند العدالة والفضيلة. بأن أكون صادقاً وأميناً مع جميع الناس، وخاصة مع أولئك الذين يتقدّمون عليّ بالسنّ والحكمة. وفي حال تسلّمي أي نوع من المسؤولية والسلطة، أتعهّد بأن لا أتنعّم بالامتيازات المترتبة عليها، وأن لا أقلّل من قيمة من هم دوني مرتبة باظهار نفسي متفوقاً عليهم بأي نوع كان. اني اعتبر الحقيقة دوماً

موضوع سَعيي واحترامي، وأتحاشى جميع الذين يميلون الى الكذب ويرتاحون اليه. لا ألوّث يديّ بالسرقة، ولا نفسي بشهوة الربح. سَأسعى دوماً الى التحكّم بأميالي ورغباتي، ولا أسلّم نفسي الى النزق والغضب وسائر النزوات الخسيسة. اما تعاليم منظمتنا السرّية، فاني أتعهّد علناً أمامكم بألاّ اكشف شيئاً منها، امام غير المؤهلين لفهمها، ولو كلّفني ذلك حياتي. لا أزيد شيئاً، ولا أنقّص شيئاً من التعاليم التي تلقنتها، كما أسعى دوماً الى الحفاظ على نقاوتها الاصلية. ولا آلُو جهداً في الحفاظ على وثائق ومخطوطات المنظمة، بكل عناية واهتمام. وأعلن تقديري واحترامي الى الرؤساء والمعلمين واخوتي الكبار." (راجع الدكتور هـ. سبنسر لويس "حياة يسوع السرّية"، الفصل الأول، ص 31-32).

بعد أن يقوم بأداء هذا القسَم، يدعى المنتسب الجديد الى الاشتراك في وجبة الطعام الوحيدة التي يتناولها، وكأنها طقس سرّيّ، إخوة الجماعة كل يوم. وهي تشكّل مناسبة مميّزة للصلاة والتأمل. وجدير بالذكر أن طعام الاسينيين كان بسيطاً ومدروساً في آن، وذلك تبعاً لتعليمات تنُصّ عليها كتبهم القديمة... كانت الخضر والفواكه الطازجة تشكّل الموادّ الأسَاسية لطعامهم اليومي. غير أنهم كانوا يتناولون اللحوم والسمك في مناسبات معينة. الاعتدال والبساطة والتقشّف كانت القواعد المتبعة في تناول المأكل والمشرب. فلا ولائم ولا إفراط ولا سَكَر...

نادراً ما كان أفراد الجماعة يشاركون في المناقشات والمماحكات ذات الطابع الديني أو السياسي. وفي أغلب الأحيان كانوا يلتزمون الصمت، لان الصمت كان شعارهم. غير أنهم كانوا يتقنون فنّ الخطابة، ويتحكّمون بنبرات وتموّجات أصواتهم، بشكل يثير إعجاب السامعين، حتى في أحاديثهم العادية. كان وقع أصواتهم عذباً على الآذان حتى انهم لقّبوا "باصحاب الاصوات العذبة". بالاضافة الى ذلك، كانوا يتمتّعون بشخصية قوية آسرة، تساندها أجسام صحيحة ناشطة وعادات حسَنة وثياب نظيفة. وفوق كل ذلك، كانوا يعملون، وفق تمارين روحية خاصة، على تطوير الهالات الأثيريَّة حول رؤوسهم، حتى كانت، في أغلب الاحيان، تظهر للعيان أمام جميع الناس!...

كانت العادة عند جماعة الاسينيّين، أن يغسلوا ايديهم وأرجلهم قبل الدخول الى بيوتهم او بيوت الاخرين. وكانوا ينظفونها تماماً قبل البدء بالصلاة أو الطقوس الدينية. وفي داخل بيوتهم كانوا يقضون القسَم الكبير من اليوم في التأمل والصلاة في معبدهم الخاص، وفي قراءة المخطوطات الدينية القديمة الخاصّة، والتي كانت توزّع نسخ منها على كل واحد على قدر استيعابه وثقافته ومستواه الروحي.
والملفت حقاً، أن الاسينيّين كانوا يدرسون كل علوم عصرهم، تلك العلوم التي كانت تدرّس فقط في المراكز والمؤسّسات الثقافية والروحية الموزّعة في بعض البلدان الشرقية المتقدّمة، امثال مصر وفينيقية وبابل وبلاد فارس وبلاد اليونان. أما العلوم

التي كانوا يدرّسونها فكانت التالية: علم الفلك، علم التنجيم الفلكي، علم الهيئة، الكيمياء القديمة، علوم الطبيعة، العلوم الروحية، علم التاريخ وبخاصة التاريخ المقارن للديانات... وقد تأثروا بنوع خاص بالديانة الكنعانية-الفينيقية... حتى انهم كانوا يضعون حول اعناقهم قلادة تحمل اسم "إيل": إله الكنعانيين، الإله الموحّد الكونيّ الأول!!... أي "إيل"، إله لبنان، كما أثبتت بشكل قاطع، جميع الابحاث والدراسات الآركيولوجية الحديثة، التي وُضعت حول ملحمة "البعل وعناة"، التي اكتشفت عام 1949، في مدينة أوغاريت -راس شمرا- على الساحل الكنعاني-اللبناني (السوري اليوم...).

كان الأطباء من الجماعة الاسّينية، في أرض فلسطين، يثيرون فعلاً اهتمام جميع فئات الشعب التي كانت معتادة عى طلب المعالجات الطبّية المحلّية القديمة التي تتكوّن من تلاوة شعوذات وعبارات غريبة، وشرب عصير حشائش مخدّرة، ورقصات عنيفة، وأناشيد ترافقها ألحان تصدر عن آلات موسيقية قديمة... أما الاطباء الاسينيون فكانوا يلجأون الى الحديث الهادئ اللطيف مع مرضاهم، ثم يحاولون تشخيص المرض بكل موضوعية ودقّة، مستخدمين بعض العبارات والنبرات الصوتية الشجيّة الناعمة. وغالباً ما كانوا يشفون من الامراض الكبيرة والمستعصية بوضع ايديهم فوق رؤوس مرضاهم (وضع اليد)... أو باعطاء توصيات وعلاجات طبّية نفسية يتابعها المريض بدقة في داخل بيته...

الاخوة الاسينيّون والنساء اللواتي انتسبن الى الجمعية كانوا يلتزمون تربية اولادهم وفقاً للمبادئ والتعاليم الاسينية، داخل أسوار مجمّعاتهم الخاصة، حتى إتمام السَنة الثانية عشرة... بعد ذلك، يبدأون بتدريب إعدادي خاصّ ينتهي عند إتمام السنّ الحادية والعشرين، حيث يصبح بامكانهم الدخول في أولى مراتب "الطقوس السرّانيّة للمنظّمة...". ثم يتدرّجون صعداً سلّم بقية المراتب حتى إتمام سنّ الثلاثين، حيث يصبح بامكانهم التبشير العلني بتعاليم المنظمة... اما النساء فكان بامكانهنّ الانتساب الى عضوية المنظمة عند إتمامهنّ السنّ الحادية والعشرين؛ ويبقين محافظات على هذه الرتبة حتى نهاية حياتهن، شرط المثابرة على الحياة الاسّينية الصافية...

ومن حين الى آخر، كان يسمح لأحد الاخوة الاسينيّين الكبار بان يعظ الجموع ويجري بعض الآيات والمعجزات، وذلك ليسَ لمجرّد إظهار طاقاته وقواه الشخصية، بل من أجل مساعدة الناس، وخاصة المرضى والمقعدين وذوي العاهات المختلفة، جسديّة وعقليّة وروحيّة...

كان رؤساء الجماعة يُختارون عادة من بين الاخوة الكبار الناضجين في السنّ والخبرة والحكمة الروحية. وفي بعض الاحيان كانوا يُكلّفون بالقيام بتأسيس أديرة وجماعات جديدة قريبة او بعيدة. أو يلجأون اليهم لمساندة وتطوير بعض الجماعات

الناشئة أو الضعيفة. لذلك، كانت الاتصالات شبه متواصلة بين الجماعات الاسينية المختلفة والمنتشرة في كل أصقاع الشرق...!

(فيما يخصّ كل الحقائق والامور المذكورة أعلاه عن الجماعات الاسينيّة الاصلية، وخاصة في الكرمل والجليل، راجع كتاب الدكتور هـ. سبنسر لويس "حياة يسوع السرّية"، خاصة الفصل الثاني، ص 19-36 مع الحواشي والشروحات).

قد يتراءى للانسان العادي أن الجماعة الاسينية في فلسطين هي بمثابة إحدى الشيع أو الأحزاب الدينية بين سائر الشيع والاحزاب الدينية اليهوديَّة؛ وانها بالتالي كانت تعتبر كذلك بالنسبة الى اليهودية الرسمية والحكّام المحلّيين. وفي الواقع، نجد في بعض الكتب والوثائق المحقّقة حديثاً –وخاصة اليهودية والمسيحية الغربية منها...- تلميحات واشارات تدّعي ان الجماعة الاسينية هي بمثابة شيعة من الشيع او المنظمات "الرهبانية" اليهودية! مع ان الواقع والحقيقة التاريخية الواضحة هما عكس ذلك تماماً. فاليهود –واليهودية الرسمية ورؤساء الكهنة بنوع خاص- كانوا يعتبرون الجماعة الاسينية، لا كحركة روحيّة داخلية مميّزة، بل كمنظمة دينية مستقلة ذات اصول خارجية غريبة، تناقض كل التناقض، المبادئ والتعاليم والتقاليد اليهودية. لذلك نرى الجماعات الاسينية في فلسطين، وقد تحملت الاضطهادات المتتالية من اليهود والرؤساء والحكام المحلّيين، قد أقامت مجمعاتها السكنية مع هياكلها ومعاهدها، بعيداً عن المدن والبلدات اليهودية، وبما يقرب من الاستقلالية الذاتية في كل الامور. واذا جاءت الى فلسطين فروع وجماعات جديدة من الاسّينييّن، كانت تقيم مجمّعاتها السكنية بشكل ملاصق للمجمعات القديمة، فتعيش الجماعات الاسينية الاخوية معاً... وقد انضمّ الى هذه الجماعات بعض الاقليات الصغيرة من اليهود المتعبّدين، وذلك على فترات متباعدة خاصة في اواسط القرن الثاني قبل الميلاد، في العهد المكابي، وقبل الميلاد بفترة قليلة... (راجع الدكتور هـ.سبنسر لويس "حياة يسوع السرّية" (بالفرنسية) ص 19-36).

والخلاصة، والذي يجب ان نركّز عليه هنا بنوع خاص، هو ان الاسينيين، جميع الاسينيين في الشرق، وفي فلسطين والجليل بنوع خاص، لم يكونوا من اليهود أبداً، لا من حيث الولادة ولا من حيث الدم والقرابة والعرق، ولا خاصة من حيث الديانة... وكان اليهود يعتبرونهم من "الغوويم" اي من "الأمم"، وهذا يعني غير اليهود... هذا هو الواقع، وهذه هي الحقيقة التاريخية. وهذا ما نقرأه ايضاً في كثير من الكتب التاريخية والدينية القديمة، ومن ضمنها كتب اليهود أنفسهم!...

والذي نريد ان نركّز عليه أخيراً، هو أن الاسينيين في كل أصقاع الشرق، وفي فلسطين بنوع خاص، كانوا، قبيل ولادة يسوع المسيح، ينتظرون مجيء مسيح مخلّص للعالم يأتي من صفوفهم. فبفضل تمرّسهم بالعلوم الفلكية، واطّلاعهم المستمرّ على تطورات الحكمة الدهرية وتجليات الاسرار الروحية، وبفضل نقاوة

وصفاوة اجسادهم وعقولهم ونفوسهم، بفضل كل ذلك، اصبح بامكان كبار الاسينيّين أن يتوقّعوا حصول أحداث كبيرة على الصعيد العالمي، كمثل ولادة نبيّ او ملك كبير او مسيح مخلّص...! وفي الواقع، ان المسيح المخلّص الذي كان كبار الاسينيين يتوقعون مجيئه القريب كان مسيحاً "روحيّاً" يخلّصُ العالم أجمع ويوطّد العدل ويعيد العلاقة الباطنية الروحية بين البشر والله؛ على العكس تماماً مما كان اليهود يتوقعون من مسيحهم: أن يأتي من بينهم، من ذرّية داود... وان يكون محارباً وقائداً عسكرياً يحرّرهم، وينتصر على أعدائهم، وان يكون مخلّصاً لهم وحدهم!!؟... وكان اليهود يسعون، من وراء كلّ ذلك، الى استعباد جميع الناس...

وعلى ضوء آخر الاكتشافات الاثرية والابحاث العلمية في قمران واورشليم والكرمل وغيرها من الاماكن في فلسطين، تبيّن أن "رهبان قمران"، قرب البحر الميت، ايام السيّد المسيح، لم يكونوا من الاسّينيين، بحصر المعنى، ولا يجب أن يسمّوا هكذا، بل كانوا، في الحقيقة فرقة يهودية آثرت الابتعاد عن العالم وشهواته وشروره وسلكت طريق الزهد والتأمل والطهارة... إنهم "جماعة قمران" او "الجماعة القمرانية" او "القمرانيون". هكذا يجب أن يُسَمُّوا. أمّا الاسينيون، أو "الجماعات الاسينية" بحصر المعنى، فهي قديمة العهد جداً، وترتبط، كما ذكرنا سابقاً، بالتراث الوحداني الكنعاني الهرمسي. وكان جبل الكرمل بالذات المحور المركزي والمدرسة الهرمسية الروحيّة الأم. وظهر فرع من هذه المدرسة في مصر، ايام أمينوفيس الرابع-أخيناتون. من هذه المدرسة الروحية بالذات انطلقت الحركة الاسينية وانتشرت في ديار المشرق. وكان كل بلد من هذه البلدان يطلق على هذه الحركة اسماً او لقباً يتناسب ولغته وأرضه وخصائص شعبه. وهكذا، وفي مدينة الاسكندرية دعيت هذه الحركة لاول مرّة صراحة باسم الجماعة او "الأخوَّة الاسينية". وفي القرن الثاني قبل المسيح، ظهر اسم "الاسينيين"، لاول مرة في أرض كنعان، على المتوحّدين والنساك الساكنين في جبل الكرمل. وقد ظلّت جماعة الكرمل تسمّى "الجماعة الاسينية" الى ما بعد موت المسيح وقيامته، الى يوم العنصرة بالذات، حيث اهتدت الى الديانة المسيحية، وأقامت في جبل الكرمل اول كنيسة مسيحية، على اسم العذراء مريم وهي بعد على قيد الحياة...! (فيما يخصّ آخر الاكتشافات الاثرية والابحاث العلمية هذه، حول الاسّينييّن و"القمرانيين"، راجع المجلة العلمية المتخصّصة:

(Le monde de la Bible (Revue d’Archéologie, d’Art et d’Histoire)- Numéro spécial: 50 ans après Qumran, N°.107, Novembre-Décembre, 1997, surtout p.p. 63-66).

وإذا كان السيّد المسيح قد تأثر بشرياً، بعض الشيء، بالجماعة الاسينية، وهو أمر طبيعي جداً -هذا إذا كان قد تأثر بهم- فمن الواضح أنه لم يتأثر "بجماعة قمران"

اليهودية التي كانت تسكن قرب البحر الميت في أرض يهوذا، في الجنوب. فقد تأثر "بالجماعة الاسينية الحقيقية" التي كانت تسكن في موطنه، في الجليل، وفي جبل الكرمل بالذات. وسنتحدّث عن هذا التأثير وابعاده في مكان آخر من هذه الدراسة. وعلى كل، فالمسيح، كما قال هو نفسه، "لم يأتِ ليَنْقُض، بل ليُكَمِّل". وقد كمّل بالفعل كل من وما كان قبله، من أسينيين وغيرهم، وكل التاريخ البشري السابق، وذلك بالمعنيين الاثنين لكلمة "يكمّل": يتابعه، ويبلغ به الى الكمال...!

وفي كتب قديمة، جدّدت طبعاتها مراراً، في السنوات الأخيرة، القيت اضواء كاشفة اضافية تؤكد ان المركز الاساسي الأول للجماعة الاسينينة في المشرق كان في جبل الكرمل. فمؤرّخ الديانات القديمة الأميركي الكسندر ويلدر يقول بالحرف الواحد: "إن يوسيفوس المؤرخ يؤكد ان أول مركز للجماعة الاسينية في الشرق شيّد فوق جبل الكرمل، ومنه انتشروا تباعاً في الاقطار المجاورة. وكانوا على اتصال مستمرّ بالاسينيين في مصر، وخاصة في مدينة الاسكندرية... (الكسندر ويلدر "الفلسفة الإنتقائية", (الترجمة الفرنسية)، منشورات الباني، نيويورك، 1869،ـ ص 37). والكاتبة الدينية العالمية هيلينا بتروفنا بلافاتسكي تقول وتؤكد القول السابق، بالحرف الواحد تقريباً في كتابها: "("مفتاح التيوسوفيا"، الترجمة الفرنسية، الطبعة الجديدة، منشورات آديار، باريس 1993، القسم الاول، ص 3 مع الحاشية رقم 3،7). وهذا يتوافق تماماً مع ما قلناه سابقاً عن جبل الكرمل وأهميته التاريخية، وعن الجماعة الاسينية التي بنت اول مركز لها في الشرق فوق قمة هذا الجبل...

وطن المسيح: جليل "الأمم".

من الضروري أن نتعرّف أولاً، بكل دقّة وموضوعية، تاريخياً وجغرافياً، الى الأرض التي فيها ولد يسوع، والى الشعب الذي نما وترعرع بين أبنائه. فالانسان ابن أرضه وشعبه، ابن التاريخ والجغرافية. همّنا هنا فقط الكشف عن الحقيقة التاريخية، بكل موضوعية وتجرّد، ولو كلفنا ذلك الخروج على التقاليد وآراء وظنون دهرية... ذلك لان من نتحدث عنه هو الذي غير التاريخ! اذاً لا مراعاة لاحد ولا لشعب، ولا أفكار مسبقة عنصرية كانت او قومية أو مذهبية... الحقيقة التاريخية فقط، لا غير، لا أكثر ولا أقل...

ونبدأ بأرض فلسطين بالذات. من الثابت أن فلسطين، أيام ميلاد المسيح، لم تكن تحضن شعباً متجانساً، يعتنق ديانة واحدة، ويتكلّم لغة واحدة، وتجمعه مصالح مشتركة، بحيث تجعل من سكانه شعباً موحّداً. فعلى العكس من ذلك، كان يوجد في فلسطين شعوب مختلفة، تعتنق ديانات متعدّدة، تتكلم بلغات متنوعة، بحيث كانت المصالح تتعارض في أغلب الاحيان. كانت هناك أعراق وقوميات تتصارع منذ زمن طويل بحيث كان التعايش السلمي من الامور المستحيلة. الذين كانوا يعتنقون العقيدة اليهودية لم يكونوا جميعهم من العبرانيّين. وهؤلاء كانوا المتحدرين من الشعب الذي خرج من أرض مصر على يد موسى. وكان يجري في عروق اليهود كثير من الدماء الغريبة بفعل الزواج المختلط مع البابليين والاشوريّين (بعد الجلاء)، والكنعانيين والآراميين واليونان والرومان... وقد نتج عن ذلك ما يشبه التنوّع الطبقي. فاليهود العبران لم يكونوا يعتبرون الغرباء الذين اعتنقوا العقيدة اليهودية، متساوين معهم في الحقوق والواجبات. كانوا يهوداً من الدرجة الثانية... وكانوا يعتبرون هذا التمييز العرقي والطبقي متأتياً من شرائع إلههم!؟...

في المناطق الفلسطينية، وفي جوارها، كانت هناك عبادات وطقوس لآلهة متعددة، لها هياكلها ومعابدها، وانبياؤها وكهنتها. في الشمال، والشمال الشرقي، كان هناك الكنعانيون-الفينيقيون، والآراميون-السريان، وبعض الأقليات اليونانية وغيرها.. في الشرق والغرب، كانت الاسرار والطقوس المصرية والفينيقية واليونانية تتنازع السيطرة. أما في داخل فلسطين، فكانت اللغة والطقوس اليونانية هي الغالبة...

وفي الشمال الشرقي من فلسطين، كانت هناك منطقة تسمى "الجليل الأعلى" تسكنها جماعات عرفت باسم "الامم". لذلك دعي "الجليل الأعلى" "جليل الامم"... كانت مدن هذه المنطقة مزدهرة، تضجّ بالحركة، وعلى شيء من الاستقلالية الذاتية. فطبريّا كانت متحرّرة من كل تأثير يهوديّ. غزة كان لها ديانتها الخاصة. يافا كانت تتأثر بالديانة الكنعانية. قيصرية، المدينة الوثنية، كانت تعتبر، من

قبل اليهود، رمزاً لروما -"روما إيدوميا"- لذلك كان يجب تدميرها... فبنظرهم أورشليم وقيصرية لا يمكن ان يتعايشا.

في كل أرجاء فلسطين، كانت الطبقات المثقّفة تتكلّم اللغة اليونانية -لغة الثقافة في شرقيّ حوض البحر الابيض المتوسط . أمّا اللغة العبرانية القديمة فقد طرأ عليها -في البلاد الفلسطينية نفسها- تغييرات جذرية؛ وما عتم ان حلّت محلها اللغة الآرامية، أي السريانية القديمة. ولم تبقَ العبرانية متداولة الاّ في المعاهد العليا والمدارس الدينية اليهودية! الشعب اليهودي، عند مجيء المسيح، كان يتكلّم الآرامية. والمسيح نفسه، الآتي من "جليل الأمم" كان يتكلم ايضاً الآرامية، كما كان يتقن، دون شك، العبرانية واليونانية وغيرها...

كان كبار أحبار اليهود "السرانيّين" يعتقدون -وفقاً للحقائق السرّية القديمة- ان أرض "إسرائيل" (في الأصل: "اسرة إيل" او "عشيرة إيل") الوحيدة والحقيقية، هي تلك الارض التي تقع مباشرة الى الجنوب من انطاكية ومنطقتها، أي أرض كنعان-فينيقية-لبنان بالذات! وذلك قبل انحراف الخراف الضالّة من آل اسرائيل: اي اليهود. ألم يأتي المسيح الى الخراف الضالّة من آل اسرائيل، كما اعلن هو نفسه؟ ألم يُدعى تلاميذه لاول مرّة "مسيحيّين" في انطاكية بالذات؟ ألم تُنشأ أول "كنيسة مسيحية" بين "الامم" في نفس هذه المدينة أيضاً؟ (راجع الدكتور هـ. سبنسر لويس "حياة يسوع السرّية"، الفصل الثاني، ص 38-39).

وعند ولادة المسيح، كانت أرض فلسطين ومدينة أورشليم بالذات مسرحاً للعديد من الديانات والعبادات. ورغم أن الديانة اليهودية كانت متجَذِّرَةً فيها، غير أنها لم تكن تطال غالبية الجموع والطبقات الحاكمة. ثم إنها كانت مجزّأة ومنقسمة على نفسها؛ فبالاضافة الى الفرق أو الشيع الكبيرة التي كانت تتألف منها، كالفرّيسيّين والصدوقيين والغيورين، كان هناك العديد من الفرق والشيع الصغيرة... وكانت جميعها على شيء من الخصومة والعداء المتبادل، حتى من ناحية المبادئ والتعاليم والتقاليد... والامر الوحيد الذي كان كل هؤلاء يجمعون عليه، أكانوا حكاماً أو مرؤوسين، أغنياء أو فقراء، مثقفين أو جهلة، كان البغض الذي كانوا يظهرونه "للأمم"...

أما من النواحي الاقتصادية والمالية فكان اليهود العبران هم أصحاب الثروات الكبيرة، لأن المقدرات المادية كانت جميعها بين أيديهم! فكانت بضائع البلدان الشرقية، حتى الشرق الأقصى منها، تصل الى فلسطين عن طريق القوافل العربية، وتحط في الموانئ الفينيقية، حيث كانت السفن الخاصة باليهود والتي يديرها بحارة من "الامم"، توزّعها في اقطار أخرى من العالم. وكان اليهود يدركون تماماً أهمية هذه المقدرات التجارية والمالية، فكانوا يوظّفونها في الشؤون السياسية... وهكذا كانوا يصلون الى الاطّلاع على اسرار الدول ويَتَسنَّمُون المراكز

العالية في الإدارة والجيش، ممّا كان يسمح لهم بان يحيكوا المؤامرات في سبيل مصالح اليهود...

والجدير بالذكر، أن اليهود العبران كانوا معروفين بتعصبهم الديني وعنصريتهم القومية، وكانوا يعتبرون ذلك من أسمى الفضائل. كانوا يقدّمون جميع المساعدات لبني قومهم أينما كانوا؛ أمّا تجاه الغرباء، وخاصة "الامم"، فكانوا لا يتورعون دوماً عن إظهار الخصومة والعداء في كل ظرف وحال...

كانت مدينة اورشليم اكثر المدن تطوراً في فلسطين. وكان سكّانها على علاقة مستمرة مع بلدان الشرق وحوض المتوسط. والاغنياء من اليهود كانوا يقدمون الاموال الطائلة للحفاظ على امتيازاتهم ونشر عقيدتهم اليهودية في كل هذه البلدان، آملين ان يعود ذلك عليهم باضعاف هذه الاموال. كان العبران في فلسطين يديرون شؤونهم بذواتهم في أغلب المدن. وكانت لهم نفس الحقوق التي للرومان في آسيا. وقد حصلوا، بالاضافة الى ذلك، على بعض الامتيازات الخاصة، مدّعين ان إلههم قد أوصى لهم بذلك لكونهم "شعب الله المختار"؟! في مجال القضاء والأحوال الشخصية كان بامكانهم أن يؤلفوا محاكم ذاتية مستقلة عن سائر المحاكم الاخرى في المدن التي كانوا يقطنونها. وفي المجال الديني كانوا يتمتّعون بحرية كبيرة، ويفاخرون بامتيازاتهم الدينية، ويرفضون منح أمثالها لبني قومهم من غير عقيدتهم.

الطبقة الحاكمة من العبران كانت مكروهة من سائر فئات المواطنين في كل أرجاء فلسطين. وذلك لانهم كانوا يوقفون مصالحهم ويغلقون متاجرهم أيام السبوت، ويتمخطرون في الشوارع بثياب أنيقة فضفاضة، مُظهرين التعالي والازدراء بوجه الجميع. وكانوا يحاولون بشتى الوسائل إغراء النساء من زوجات وقريبات الحكّام والنافذين والاغنياء، بغية إدخالهن في المذهب اليهودي. وهكذا عن طريق الزوجات كانوا يصلون الى التأثير على الازواج، فيعمل هؤلاء على تأمين المصالح اليهودية! وكان هدفهم الاخير من كل ذلك، اخراج الغرباء، وخاصة "الأمم" من الأراضي الفلسطينية.

في المجامع اليهودية، التي كانت تتلاقى فيها الطبقة الحاكمة من اليهود، كانت التفرقة الجنسية تطبق بكل دقة، بحيث كان يحرّم على النساء الحصول على أية وظيفة. وموقف اليهود من المرأة كان يظهر بكل وضوح في طقوسهم الدينية. ففي صلوات الشكران يتلون مثلاً هذه الصلاة الغريبة، بالحرف الواحد: "إني اشكرك يا ربّ، لانك لم تخلقني امرأة"!... لان اليهود كانوا يعتقدون أن المرأة ليس لها نفس روحية، ولا يمكنها بالتالي ان تعمل على تطويرها الروحي. وكان ممتنعاً على رجال الدين من اليهود ان ينفردوا بامرأة لكي يبحثوا معها بالتعاليم الدينية والامور الروحية...! ان موقف اليهود من المرأة، من حيث الاحتقار والإذلال والتمييز الجنسي

والطبقي، لا مثيل له، على ما نعلم، في جميع الديانات والامم والشعوب. بعكس الكنعانيين، مثلاً، الذين اشتهروا باحترامهم وتكريمهم للمرأة، كما تثبت تواريخ اوغاريت وجبيل وصيدا وصور وغيرها من الحاضرات الكنعانية. وقد وصل الامر بالكنعانيين الى حدّ تقديس المرأة...! (راجع على سبيل المثال، لا الحصر، حياة واعمال الآلاهة "عناة" في "ملحمة البعل وعناة"، في أوغاريت...).

كان اليهود في تلك الايام يتآكلهم الغيظ المكبوت، لكون الحكم لم يعد في أيدي ملوك يهوذا وذرّية داود... ولكونهم، وهم "شعب الله المختار"، يرزحون تحت نير الحكم الروماني. كانوا يعتبرون ذلك إذلالاً قوياً لهم، وكانوا ينتظرون بلهفة نهايته في يوم من الايام. كانوا يتوقعون مجيء يوم يتحرّر فيه الشعب من نير الغرباء، فيظهر "ملك المجد" على الارض بِسُؤْدُدْ ومجد ويُعِيْدُ الى اليهود حريتهم وامجادهم السالفة. كانوا ينتظرون مجيء مسيح مخلّص، قائد عسكري قوي، يحارب جيوش الاعداء الغرباء وينتصر عليهم ويطرُدُهُم خارج فلسطين!...

والحق يقال، كانت كل شعوب الشرق وأممه ينتظرون، في تلك الايام، بزوغ عهد جديد للبشرية جمعاء، وذلك على يد نبيّ عظيم، او ملك كبير أو مصلح جديد... وكان هذا الانتظار اللهوف في كل مكان: في أشور وبابل، عند مجوس الفرس... وفي مصر وكنعان. وكان هذا المنتظر الكبير، عند كنعان، من "ابناء الله". فعند كنعان وحده، كانت "البُنُوَّةُ الالهيّة" من صلب ديانتهم، ديانة "إيل"، الاله الكوني الاوحد، اله السلام واللطف والمحبة. الم يلقّب إيل "باللطفان" في ملحمة "البعل وعناة"، المكتشفة حديثاً في مدينة "أوغاريتْ الكنعانية" -رأس شمرا؟ الم تكن رسالته ووصيته الخاصة الى ابنته "عناة" البتول العذراء، والتي أوصلها "ابنه البعل" بعد انتصاره وجلوسه على عرشه:

"أبذري في التراب محبّةً
أسكبي سلاماً ولطفاً في كَبدِ الارض
أكثري من الحُبِّ في قلبِ الحقول..."!!!
(ملحمة "البعل وعناة" 7: 3 و4 -منذ حوالي اربعة آلاف سَنة!)

في المجال الاخلاقي، كانت فلسطين قبيل مجيء المسيح، بلاداً ينخرُها الفساد وتتآكلها الرذائل والموبقات. والأدهى أن هذه الحال كانت شيئاً عادياً وعلنياً، ولا من يردع. فالمستوى الاخلاقي العام كان حقاً يرثى له كثيراً. المؤامرات والجرائم كانت تحصل داخل اقواس المحاكم والقضاء. فئتان اجتماعيتان كانتا تتقاسمان السلطة: الأشراف والكهنة. فالأشراف لم يكن يهمهم من الحياة سوى اشباع غرائزهم والانغماس في الملذّات الجسدية. ولم يكونوا يعترفون بالقوانين الاّ بمقدار ما تخدمُ مصالحهم المادية. وكان أغلبهم من شيعة الصدّوقيّين. من الجهة الثانية، كان هناك فئة الكهنة الذين لقّبوا بالفرّيسيّين. هؤلاء كان همّهم الوحيد

التشبّص بالسلطة والامتيازات، وإجبار الغير على التقيّد بشرائعهم، بحرفية جوفاء، مدّعين أنها من الله. كان الفرّيسيّون والصدّوقيون على خلاف مستمر، يبلغ أحياناً حدّ العداوة، خاصة عندما يكون الامر متعلّقاً ببعض الامتيازات الاجتماعية والمظاهر الخارجية.

أما جموع الشعب "فكانت كالخراف التي لا راعي لها..."،تنؤ تحت نير السلطة الدينية والمدنية، جاهلة كل الامور السياسية والاجتماعية. لذلك كانت تنتظر زعيماً او قائداً يحرّرها ويؤمّن لها كرامتها وحقوقها... فلا عجب اذا رأينا هذه الجموع، واغلبهم من البسطاء والفقراء، ينخرطون، من حين الى آخر، في تيارات وحركات اجتماعية، بغية نزع نير العبودية والقهر عنهم. وكانوا دائماً يدفعون ثمن أحلامهم الجريئة دماءً أو مزيداً من القهر والعنف. وقد حصل ذلك اكثر من مرّة في القرن الاول قبل المسيح... وكان من الطبيعي، والحالة هذه، ان تكون جموع الشعب، في فلسطين، تنتظر "مخلّصاً" يأتي بقوة وسلطة، ويحرّرهم من جهلهم وعبوديتهم، ويعيد الى كل انسان كرامته وحقوقه وينشر السلام والعدل بين الناس...

أما بالنسبة الى اليهودية الرسمية، فكان الاعتقاد السائد بأن المخلّص -مخلص اليهود وحدهم...- سوف يأتي من ذرّية داود الملكية، ملكاً وقائداً عسكرياً يحارب اعداءهم وينتصر عليهم. غير أن ذرّية داود الملكية كانت قد انقطعت منذ زمن طويل... والحكم اليوم هو بيد الغرباء... فكبار الأحبار من اليهود، والذي من الممكن ان يأتي مسيح ومخلص كبير من بين صفوفهم، كانوا يهوداً بالمهنة والوظيفة فقط. كانت آراؤهم السياسية رومانية، وثقافتهم يونانية. أما من حيث الذرّية والقرابة، فلم يكونوا يمتّون بأية صلة الى "بيت داود" وذرّيته... وهكذا فمسيحهم ومخلّصهم المنتظر، الذي سوف يحرّرهم كما فعل موسى في السابق، لا يمكن له ان يولد، لا من سلالة الحكام الحاليين، ولا من سلك الاحبار والكهنة...

وبقيت هناك نبوءة قديمة منسية، وردت في نصوص العهد القديم، تقول: "ومن بين اخوتك، سوف أقيم واحداً يقود شعبي..."!

منذ فجر التاريخ كانت الأرض التي سمّيت فيما بعد "فلسطين" جزءاً من أرض كنعان، وقد سمّيت "جنوب أرض كنعان" من قبل جميع المؤرخين، ومن قبل التوراة نفسها. وذلك قبل أن يستوطن الفلسطينيّون شاطئها الجنوبي الغربي فتسمّى باسمهم، وقبل ان يغتصبها اليهود على يد يشوع بن نون، في الربع الأول من القرن الثالث عشر قبل المسيح... أما الجليل، الذي يشكّل القسم الشمالي من فلسطين، فقد اقتسمته اسباط أشير ونفتالي وزبولون ويسّاكر، وذلك منذ دخول العبران الى نشوء المملكة حوالي سَنة 1030 ق.م.، حيث انتهى عهد الاسباط. وظلّ الجليل داخل مملكة اليهود الموحّدة، أيام داود وسليمان، حتى أيام الانشقاق الكبير، سَنة 933 ق.م.، الى "مملكة إسرائيل" في الشمال "ومملكة يهوذا" في

الجنوب. وظلّت أرض الجليل ضمن مملكة اسرائيل حتى انهيار هذه المملكة سَنة 722 ق.م.، على يد ملك الاشوريّين تغلات فلآسر الثالث. من ذلك التاريخ حتى احتلاله على يد الحاكم اليهودي أريسطوبولس الاول سَنة 103 ق.م.، ظلّ الجليل، كما كان في السابق، خارج التاريخ اليهودي تماماً، هذا التاريخ الذي تمحور حول أرض اليهودية بنوع عام، وحول مدينة أورشليم بنوع خاص.

والجدير بالذكر هنا ان الحاكم اليهودي اريستوبولس الأول الذي احتلّ الجليل أعلن نفسه ملكاً وعمل على إجبار غير اليهود -"الغويم" أو "الامم"- على الختان واتباع الشريعة الموسوية، وذلك بقوة السلاح. وكان من هؤلاء الامم المقيمين في الجليل، الذين أجبروا بالقوة على الختان واتباع شريعة موسى، آباء وأجداد يوسف ومريم والدي يسوع المسيح، كما سنرى لاحقاً. وقدنزحوا من جنوب لبنان، ومن قانا الجليل بالذات، الى أرض الجليل، كما سنفصل ذلك فيما بعد. والتاريخ يذكر هذه النزوحات المتعاقبة، من جنوب لبنان الى أرض الجليل، في القرنين السابقين على الميلاد، وذلك لاسباب حربية أو دينية أو معيشية. وعندما بدأ جبل الكرمل، في القرن الاول قبل الميلاد، يصبح مركزاً روحياً بارزاً للعديد من الجماعات الروحية، قصد منطقة الكرمل الكثير من عائلات تلك الجماعات، ومنهم آباء وأجداد يسوع المسيح. وكانت بيت لحم الجليل بلدة مركزية في منطقة الكرمل هذه... وكانت تسمّى "بيت لحم أفراتة".

وكان الجليل في آخر القرن السابع ق.م. قد أصبح تحت حكم البابليّين حتى سَنة 539 حيث دخل ضمن الامبراطورية الفارسية. وبعد موت الاسكندر الكبير، سَنة 323 ق.م.، أصبح الجليل تحت الحكم الهلّينستي: تحت حكم اللاجيين (البطالسة) في مصر، ومن بعدهم تحت حكم السلجوقيين في المشرق، وذلك حتى عهد القائد اليهودي أريسوبولس الأول، كما ذكرنا سابقاً. ورغم ازدياد النفوذ اليهوديّ في عهد هذا القائد، ظلّ الجليل يحوي اكثرية غير يهوديّة، من شعوب مختلفة وخاصة من الكنعانيين، ولذلك لقب الجليل "بجليل الأمم". وبعد موت الملك هيرودس الكبير في أريحا سَنة 4 ق.م.، حكم الجليل ابنه هيرودس أنتيباس الذي في أيامه ولد وعاش ومات يسوع المسيح. (راجع: الجدول التاريخي المقارن في "النسخة الجديدة" للكتاب المقدّس، 8، ص 23-25).

ويجدر بنا هنا أن نلقي نظرة قريبة ولو خاطفة على أحوال الأقلية اليهودية التي كانت ساكنة في "جليل الأمم"، في الفترة السابقة على الميلاد، في هذه المنطقة التي فيها ولد يسوع المسيح ونشأ وترعرع، وبشّر وعلّم، ومنها انطلق الى المناطق المجاورة. يجمع المؤرّخون على أن العهد اليوناني والعهد الهلّينسي الذي تلاه قد تركا تأثيراً قوياً على بلدان شرقي البحر الأبيض المتوسط ومنها فلسطين. والثقافة الهلّينية، ثمرة لقاء وتفاعل بين اليونان والمشرق، حملت عناصر من الثقافتين:

اليونانية والمشرقية. وبفضل هذا التقارب الفكريّ برزت حركة تمازج وتوحيد بين بلدان شمالي حوض المتوسط وشرقه وجنوبه، لدرجة أن الثقافة الهلّينية أخذت رويداً رويداً تشكّل نوعاً من الهوية الجديدة التي تتخطّى الحدود الجغرافية والإتنيّة التي كانت قائمة عهد ذاك. كان اليونان في العهد الكلاسيكي متّحدين برابطة الدم واللغة والثقافة الواحدة. أمّا بدءاً من القرن الرابع، ومع توسّع أمبراطوريتهم، فقد فقدالدم أهميته كعنصر رباط ووحدة، واقتصر الرباط على اللغة والثقافة. وأصبح بمقدور المرء، والحالة هذه، أن يصبح يونانياً بفضل اللغة والثقافة اليونانية لا غير.
فهذا الامتداد الهلّينيّ أثار ردود فعل قوية ومتباينة لدى الاقلية اليهودية في الجليل، التي سبق وتأثرت بثقافة "الامم" -وخاصة الكنعانيّين- التي كانت تعيش بينها.
فمنهم من تأثر بالثقافة الهلّينية الجديدة كالتجار والمثقفين، ومنهم من حاول الانطواء على الذات سعياً الى الحفاظ على الهوية والخصائص المميّزة كرجال الدين وعامة الشعب. فيهود مصر مثلاً حافظوا على التوازن الدقيق بين هذين الاتجاهين، واعتبروا كيونانيّين مع كونهم يهوداً. وبالمقابل، واعتباراً من القرن الثاني قبل الميلاد، كان بإمكان المرء أن يصبح يهودياً بالاهتداء فقط الى المذهب اليهوديّ، ولم يعد رباط الدم والأرض ضروريين، وذلك عند بعض الجماعات اليهودية على الأقل. وهكذا أصبح هذا التطوّر الجديد مرتبطاً بالعامل الشخصي المتنامي في العالم الهيلّينيّ. فالديانة التي كانت بالامس ظاهرة جماعية مرتبطة بالضرورة بالدم والأرض، أصبحت شيئاً فشيئاً قضية اختيار شخصي مرتبط بالتطلعات والاهداف الذاتية.أمّا في فلسطين فقد حاولت النخبة اليهودية في أورشليم، انطلاقاً من سَنة 175 قبل الميلاد، أن تتبنّى بعض المفاهيم والعادات اليونانية، في مجال الادارة والنظام الاجتماعي، دون الخروج على المفاهيم اليهودية الاساسية. غير ان هذه المحاولات قد أحدثت شرخاً واضطرابات بين فئات المجتمع، مما جعل بعض المعارضين لهذا النهج يستنجدون بالحكام اللاجيين (البطالسة) في مصر لوقف هذه المحاولات. هذا الالتفات الى الخارج، الذي يرمي الى تغيير في الداخل، أحدث ردة فعل عنيفة جداً لدى الحاكم السلجوقي في فلسطين انطيوخس الرابع أبيفانيوس (175-164)، فأصدر أمراً في أول سَنة 167 ق.م.، بتحريم عبادة يهوه في فلسطين وتكريس هيكل اورشليم لزوس الأولمبي. وحاول فرض الهلّينية بالقوة على يهود فلسطين، فمنع الختان، وقتل النساء اللواتي كنّ يختنّ أولادهنّ، ثم قتل الأطفال المختونين، ومنع الشعائر الدينية اليهودية في كل أرض فلسطين الخ... فقد جاء في سَفر المكابيّين الأول (1: 41-53، 55-57، 60-61) ما يلي: "وكتب الملك أنطيوخس الى مملكته كلّها بأن يكونوا جميعاً شعباً واحداً ويتركوا كلّ واحد سَننه، فأذعنت الأمم بأسرها لكلام الملك. وكثيرون من إسرائيل رحّبوا بعبادته فذبحوا للاصنام واستباحوا حرمة السبت. وأنفذ الملك كتباً عن أيدي رسل الى أورشليم ومدن يهوذا أن يتّبعوا سنناً غريبة عن

أرضهم، ويبعدوا المحرقات والذبيحة والسكيب عن المقدّس، ويستبيحوا حرمة السبوت والأعياد، وينجّسوا المقدس والاقداس، ويبنوا مذابح وهياكل ومعابد للأصنام ويذبحوا الخنازير والحيوانات النجسة. ويتركوا بينهم قلفاً وينجّسوا أنفسهم بكل نجاسة وقبيحة، كي ينسوا الشريعة ويغيّروا جميع الاحكام. ومن لا يعمل بمقتضى كلام الملك يقتل. وكتب بمثل هذا الكلام كلّه الى مملكته بأسرها وأقام مراقبين على كلّ الشعب، وأمر مدن يهوذا بأن يذبحوا في كلّ مدينة. فانضمّ اليهم كثيرون من الشعب، كل من نبذ الشريعة، فصنعوا الشرّ في تلك الارض... وكانوا يحرقون البخور على أبواب البيوت وفي الساحات. وما وجدوه من أسفار الشريعة مزّقوه وأحرقوه بالنار. وكلّ من وجد عنده سِفْرٌ من العهد أو اتّبع الشريعة، كان يقتل بأمر الملك... وكانوا بمقتضى الأمر الصادر، يقتلون النساء اللواتي ختنّ أولادهنّ، ويعلّقون أطفالهنّ في أعناقهنّ، ويقتلون أيضاً أقاربهنّ والذين ختنوهم..."!

هذه الاحداث دفعت باليهود الى إعلان تمرّد عسكري بقيادة متتيا الكاهن الذي كان من عائلة الحشمونيّين. خلفه ابنه يهوذا الملقّب بالمكّابي (166-160) فسمّيت الثورة "ثورة المكّابيّين". واستمرت مع أخويّ يهوذا المكّابي: يوناتان (160-143)، وسمعان (143-141)، حيث انتهت بتحرير فلسطين من الحكم السلجوقي وإقامة المملكة الحشمونية فيها، حتى بداية العهد الروماني مع القائد بومباي سنة 63 قبل الميلاد.

وخلال الثورة المكابية والحكم الحشمونيّ، حاول اليهود ان ينتقموا من الملك السلجوقي انطيوخس الرابع أبيفانيوس ومن المظالم التي حلّت بهم في أيامه، كما رأينا آنفاً، فأعادوا عبادة يهوه وكرّسوا هيكل أورشليم من جديد، <u>ثم فرضوا اليهودية بالقوة على جميع الساكنين في فلسطين وأجبروهم على اتباع شريعة موسى والطقوس والشعائر اليهودية، وكانوا يختنون بالقوة اطفال الكنعانيين واليونان وسائر "الأمم"...</u> هذا ما نقرأه صراحة وبالحرف الواحد في الكتاب المقدس نفسه، في سَفر المكّابيّين الأول (2: 42-48): "... حيئنذٍ اجتمعت الى متتيا وأصحابه جماعة الحسيديّين وهم ذوو البأس في اسرائيل وكلّ من تطوّع في سبيل الشريعة. وانضمّ اليهم جميع الذين فرّوا من الشرّ وأصبحوا سَنداً لهم. وألّفوا جيشاً وضربوا الخاطئين في غضبهم ورجال الإثم في حنقهم. وفرّ الباقون الى الأمم طالبين النجاة. ثم جال متتيا وأصحابه وهدموا المذابح <u>وختنوا بالقوة كلّ من وجدوه في بلاد اسرائيل من الأولاد القلف...</u> وطاردوا ذوي التعجرف، ونجحوا في عمل أيديهم. وانتزعوا الشريعة من أيدي الأمم وأيدي الملوك، ولم يدعوا للخاطئ أيّة قوة...". هذا ما حصل بالتحديد، ايام الحكم الحشموني، في اليهودية، على عهد يوحنا هيرقانس (134-104 ق.م.)، وإسكندر ينّي (103-67)، وفي الجليل، على عهد اريسطوبولس الأول (104-103). وفي أيام هذا الأخير، <u>كان من جملة الذين ختنوا بالقوة وأجبروا</u>

على اتّباع شريعة موسى من "أمم الجليل"، أجداد يسوع المسيح، كما رأينا سابقاً.
(راجع فيما يخصّ فرض اليهودية على سكان الجليل من "الأمم": سَفر المكابيين الأول 2: 42-48؛ هـ. سبنسر لويس "حياة يسوع السرّية"، بالفرنسية، ص 46-47؛ بيار انطوان-برنهايم "يعقوب أخ يسوع"، (بالفرنسية) ص 74-75، 203، 229، 373؛ ا.ج. بيكرمان "اليهود في العهد اليوناني"، بالانكليزية، كمبريدج، منشورات جامعة هارفارد، 1988؛ س.د. كوهين "من المكّابيّين الى "المشنه"، بالانكليزية، فيلادلفية، منشورات وستمنستر، 1987، ص 120-123؛ جون ب. ماير "اليهود المهمّشون"، بالانكليزية، نيو يورك، دوبلداي، المجلّد الاول، ص 271-278؛ س. فان هوتن :الغرباء تحت الشريعة اليهودية"، بالانكليزية، شيفّيلد، منشورات شيفّيلد الاكاديمية، 1991، وغيرها...).

وتسجّل التواريخ فيما بعد أن الأمبراطور الروماني أدريان منع، في سَنة 132 ب.م.، ختان الاطفال عند اليهود... ممّا سبّب انتفاضة يهودية مسلّحة بقيادة المدعو بركوكبا أو "ابن النجمة". غير أن أدريان سَحق بسرعة هذه الانتفاضة، ومنع اليهود من الاقامة في أورشليم... فتشتّت اليهود، التشتّت الكبير، في كل انحاء العالم...

وإذا عدنا الى سلالة الحشمونيين اليهود نجد ان الخلافات الداخلية بين الحكام تسبّبت في نهايتهم. فقد تنازع ابنا الملك الاسكندر ينّي: هرقانس الثاني وأرسطوبولس الثاني، تنازعا الملك ووظيفة عظيم الكهنة، ممّا سهّل للقائد الروماني بومباي الاستيلاء على مدينة أورشليم، عام 63 ق.م. وفي الفترة التي سبقت مباشرة هذا الاستيلاء، كان الاضطراب قد اشتد في فلسطين. هرقانس الثاني يصبح عظيم الكهنة، عام 50، لكن الوزير أنتيباطر الأدومي يحكم البلاد. في السنة 40 حصل اجتياح فرثي للبلاد. أنتيغونس، ابن أرسطوبولس الثاني، يصبح ملكاً وعظيم كهنة معاً. وعلى الأثر تشتدّ الاضطرابات داخل فلسطين. وفي السَنة 37، يستولي هيرودس الكبير، ابن الوزير أنتيباطر، على أورشليم ويصبح ملكاً على فلسطين (اليهودية والسامرة والجليل)، حتى وفاته سنة 4 ق.م. بعده أصبح ابنه هيرودس أنتيباس أمير الربع على الجليل وعلى عبر الأردن (4ق.م.-39م.)، وابنه أرخيلاوس حاكماً على اليهودية والسامرة وأدوم (4 ق.م.-6م.). في حوالي السَنة 10 ق.م. حصل إحصاء في الامبراطورية الرومانية؟ وفي حوالي السَنة 6 او 7 قبل التأريخ الميلادي المعمول به حالياً، ولد يسوع المسيح!

أقارب يسوع

قبل الحديث عن ميلاد يسوع والموقع الحقيقيّ لولادته، لا بدّ من الكلام عن أهله وأقاربه وأنسبائه. فهؤلاء جميعاً عاشوا وماتوا في الجليل: في "جليل الأمم". ويسوع المسيح هو، مثلهم، "جليليّ"، بكل ما في الكلمة من معنى ومدلول وأبعاد. هذه حقائق تاريخية واضحة كالشمس ولكنها قاطعة كحدّ السيف. ويترتّب عليها نتائج بالغة الاهمية والخطورة، اللّهم إذا وضعت في إطارها الجغرافيّ الحقيقيّ الدقيق، ودُرست بموضوعية تاريخية مجرّدة بعيداً عن السطحية والاستنتاجات الظاهرية السريعة... أو عن الأفكار المسبقة!

التقاليد وكتب التاريخ والأناجيل نفسها، تجمع كلها، وبشكل قاطع، على أن يسوع المسيح عاش وأقام وتجوّل وبشّر في الجليل: "جليل الأمم"، حتى انه لقّب "بالجليليّ"... (راجع مثلاً: متى 4: 12-17 نقلاً عن اشعيا 8: 23، 9: 1؛ مرقس 1: 14-15؛ لوقا: 4: 14-15؛ وغيرها كثير...). غير أن القارئ العادي للأناجيل، ولو ظهر ذلك غريباً للغاية، لا يتوقّف كثيراً عند هذه العبارة: الجليل أو جليل "الأمم"!؟ فاذا قيل عن يسوع المسيح انه "جليليّ"، ومن جليل "الأمم"، فهذا يعني بالتالي، حتماً، أن يسوع المسيح كان يعتبر غريباً من قبل اليهود وبلاد اليهودية!... والانجيل نفسه يقول: "... واما المسيح فلا يعرف حين يأتي من أين هو..." (يوحنا 7: 27 -والملفت حقاً أن النسخة الكاثوليكية الجديدة-اليسوعية- للانجيل، توضح فتقول بالحرف الواحد، صفحة 311، الحاشية رقم 7، ما يلي: نجد هنا، في موضوع أصل يسوع ومكان ولادته، صدى مجادلات استمرت بين اليهود والمسيحيين طوال القرون الثلاثة الاولى...)!!! فمن البديهي والضروري في آن، أن نجيب على السؤال التالي، بموضوعية مجرّدة، ومن النواحي التاريخية والجغرافية: لماذا الجليليّون هم "أممّيون"، ولماذا سكن الامميّون منطقة الجليل؟

للاجابة على هذا السؤال، ننطلق من الكتاب المقدّس عينه -العهد القديم. جاء في سَفر المكابيّين الاول 5: 14-23، ما يلي:

"... وبينما هم يقرأون الكتاب، إذا برسل آخرين قد وفدوا من الجليل وثيابهم ممزّقة، وأخبروا بمثل ذلك قائلين: قد اجتمعوا علينا من بطلمايس (عكا) وصور وصيدا وكل "جليل الأمم" ليبيدونا... فلما سمع يهوذا المكابي والشعب هذا الكلام، عقدوا مجمعاً كبيراً وتشاوروا فيما يصنعون لاخوتهم الذين يعانون الشدّة وهجمات الأعداء ("الأمم"). فقال يهوذا لسمعان أخيه: إخترلك رجالاً وامضِ وأنقذ إخوتك الذين في الجليل... ومضى سمعان الى الجليل وشنّ على "الأمم" حروباً كثيرة، فانسحقت "الأمم" أمام وجهه، فتتبّعها الى باب بطلمايس. فسقط من "الأمم" نحو ثلاثة الآف

رجل وسلب غنائمهم. وأخذ الذين في الجليل وعربات من حديد، مع النساء والاولاد، وكل ما كان لهم، وجاء بهم الى اليهودية بسرور عظيم..."

في هذه الاحداث يظهر بوضوح الجو الذي كان سائداً في شمال فلسطين، وكيف كان اليهود في أورشليم وأرض اليهودية ينظرون الى الجليليّين: هؤلاء لم يكونوا بنظرهم "أمميّين" وحسب، اي شعوباً تنتمي الى عرق غريب وتعتنق ديانة غريبة، بل ايضاً كانوا أعداء لهم بكل معنى الكلمة. فخروج اليهود من الجليل الذي يشار اليه هنا، حصل في السَنة 164 قبل الميلاد. وفي نفس الفترة ايضاً، هبّ يهوذا المكابي الى نصرة اخوته اليهود الذين كانوا بين "الوثنيين" في شمالي فلسطين وفي شرقي الاردن، وعاد بهم الى أورشليم... ورغم ذلك، بقي في الجليل بعض الجاليات اليهودية الصغيرة التي كان يتزايد عدد افرادها يوماً بعد يوم، كما يظهر من سَفر المكابيين نفسَه ومن أقوال يوسيفوس المؤرخ وغيره من المؤرخين. غير أن الجليل بقي منطقة تسكنها "الأمم" -الوثنيون"- حتى السنة 103 قبل الميلاد. في هذه الاثناء بدأت سلالة الحَشمونيين (عائلة المكابيّين) مع يوحنا هرقانس (134-104) ابن سمعان المكابي. ثم خلفه ابنه ارسطوبولس (104-103) الذي لقّب نفسه ملكاً. وهكذا ترسّخ حكم الحشمونيّين وامتد الى شمال فلسطين، الى منطقة "جليل الأمم"، بعد حملات عسكرية. في هذا الوقت، وفي السنة 103 قبل الميلاد بالتحديد، حصل أمر بالغ الأهمية وذو نتائج خطيرة، مع انه ظل مكتوماً لأسباب مجهولة، رغم أنه يلقي أضواء قوية على احوال سكان الجليل، "جليل الأمم" في تلك الايام- وبالتالي على حقيقة أجداد المسيح وأهله وأقاربه وأنسبائه...! وهذا الأمر البالغ الاهمية والخطورة بنظرنا، هو التالي: في السنة 103 قبل الميلاد، فرض الملك الحشموني ارسطوبولس، حفيد سمعان المكابي، فرض بالقوة الختان وشريعة موسى، على جميع سكان الجليل! أجل على جميع سكان الجليل... أي على "الأمم" ايضاً. ومن هؤلاء أجداد يسوع وأقاربه. إنها حقيقة تاريخية ثابتة لا تقبل الشك واللبس! (راجع الدكتور هـ. سبنسر لويس "حياة يسوع السرية"، ص 47)

ينتج عن كل ذلك، أن "الامم" الذين كانوا يسكنون في الجليل، والذي تسمّى الجليل باسمهم: "جليل الأمم"، والذين كان أجداد يسوع وأقاربه منهم، لم يكونوا يهوداً حقاً، حتى بعد إجبارهم بالقوة على الختان وعلى اتباع شريعة موسى... وبعبارة اخرى، فمنذ السَنة 103 قبل الميلاد، كان على "أمم الجليل" وأبنائهم وأحفادهم... أن يخضعوا للختان ويتّبعوا شريعة موسى. وزيادة في الإيضاح، نقول ان "أمم الجليل" هم في الحقيقة مزيج من شعوب وأمم شرقية تمازجت مع مرّ الايام وتوالي الفتوحات والغزوات والاسفار، وانصهرت أخيراً في بوتقة جنوبي ارض كنعان- فينيقية. ذلك لان ارض كنعان كانت منذ القديم أرض الانفتاح والتسامح والسلام،

ارض التفاعل الحضاري والديني، حيث تتلاقى الشعوب والحضارات والديانات، فتتفاعل وتتناضج وتتكامل. "وأمم الجليل" التي نحن بصددها هي خلاصة وتجسيد لهذه التفاعلات الحضارية والدينية. وكان العنصر الكنعاني هو الغالب في هذه الخلاصة الانسانية، لانه الاقدم والاعمق والافعل. ولان الروح الكنعانية هي التي سعت دوماً الى إبراز "عالمية الإنسان"...

إن أجداد المسيح وأهله وأقاربه وأنسباءَهُ، هم جميعاً، دون استثناء، من "أمم الجليل" هذه. وكان عليهم وعلى ابنائهم وأحفادهم ان يرضخوا لقبول الختان اليهودي واتباع شريعة موسى؛ وعند بلوغهم السنّ الثانية عشرة، كانوا يقدمون عادة نوعاً من الامتحان الديني، امام "علماء المجمع"... حتى يقبلوا رسمياً كاتباع لشريعة موسى... وهذا ما فعله يسوع، برفقة والديه، يوسف ومريم، جرياً على العادة...! (راجع انجيل لوقا 2: 41-50).

هناك نقوش كتابية مسمارية خاصة بِتِغْلاتْ- فلاسار الثالث (747-728) تروي فتح بلاد الجليل، وتسميِّها أرض "حماة". وقد ورد هذا الاسم ايضاً في العهد القديم. وهناك خطأ شائع حول تفسير هذه العبارة وتحديد موقع "حماة"،ويعتبرها على أنها المدينة المعروفة في سوريا اليوم. غير أنها في الواقع كانت العاصمة القديمة لبلاد الجليل. وفي الأصل عبارة "حماة" ترمز الى نبع ماء ساخن معروف يبعد بضع كيلومترات جنوبي مدينة طبريّا على الضفة الغربية لبحر الجليل (بحيرة طبريّا). وفي أسفار العهد القديم، وردت اكثر من مرّة عبارة "مدخل حماة" وتدلّ على منطقة في شمالي فلسطين تقع في وادي الهمّان قرب مدينة مجدلا حيث ولدت مريم المجدلية. وجاء في بعض النصوص ان ملك "حماة" الذي ارسل ابنه لزيارة الملك داود كان جليليّاً. كما أن المخازن والمستودعات العسكرية التي بناها الملك سليمان كانت تقع بجانب بحر الجليل. واللفظة الاصلية لكلمة "حماة" هي: "حمّاة" او "حمّوة"، من الاشورية: "حمّاتي" وتعني النبع "الساخن". وهناك إشارات تاريخية أخرى تقول إن "حماة" تقع في بلاد الجليل، وان جاليات آريّة واشورية وغيرها من الشرق أتت تباعاً وسكنت في الجليل، وخاصة بعد رجوع اليهود من الجلاء الى بابل. ووثائق سرجون الثاني تؤكد انه أجلى الى "حماة" في الجليل، زعيم الماديين مع قبيلته... (راجع الدكتور هـ. سبنسر لويس "حياة يسوع السرية"، الفصل الثالث، ص 74-79)!

من هذه الجاليات الشرقية التي استوطنت "جليل الأمم" كان هناك بعض الفروع من الجماعات الاسينية القديمة...، التي ما عتمت أن بدأت باتصالات متواترة مع مثيلاتها في أرض مصر. وكانت الجماعات الاسينية المصرية في أوج تطوّرها العلميّ والروحيّ، ممّا جعلها ترسل بعض المعلّمين والمرشدين والعناصر لتدعيم وتطوير الجماعات الاسينية في جبل الكرمل وضواحي بحر الجليل ومنطقة أَنْغادِي

(قمران فيما بعد...). فالعديد من المحفوظات والوثائق التاريخية المصرية، وخاصة الاسينية منها، تشهد على هذه العلاقات المستمرة التي كانت قائمة بين الاسينيّين في مصر واخوتهم في "جليل الأمم"...، وخاصة في جبل الكرمل! (المرجع السابق، ص 49).

ومن الثابت تاريخياً ان لهجة أهل الجليل، عند مجيء المسيح، كانت تختلف كثيراً عن لهجة أهل اليهودية. وكان سكان تلك المناطق يتكلّمون باكثر من لغة، وذلك نظراً الى تنوّع الأعراق والجاليات الاجنبية. كان هناك العبراني والكنعاني والآرامي والروماني واليوناني... وبشكل عام كانت العبرية لغة الاحبار والكهنة اليهود في طقوسهم الدينية، والآرامية لغة الشعب، واليونانية لغة المثقفين. وكان المسيح، على الارجح، يتقن أهم تلك اللغات. كان يتحدث بالعبرية في مجامع اليهود شارحاً أسفار العهد القديم، وباليونانية مع المثقفين، وبالرومانية مع الحكام الرومان وجاليتهم وجنودهم، وبالآرامية-السريانية القديمة- مع سائر فئات الشعب. ويستنتج ذلك بسهولة من نصوص عديدة في الأناجيل، وفي كتابات آباء الكنيسة الاولين، وفي الأناجيل المنحولة... (راجع خاصة انجيل مرقس 5: 41؛ 7: 34؛ 14: 36؛ الخ...). وبطرس، رئيس الرسل، الذي كان هو ايضاً من "جليل الأمم"، عرفه اليهود من لهجته أنه "جليلي" (متى 26: 69 و 73؛ راجع ايضاً مرقس 14: 70؛ لوقا 22: 59). ويظهر ان اليهود كانوا يعرفون بسهولة اللهجة الجليلية، لكون الجليليّ لا يميّز تماماً، في مخارج صوته، بين الاحرف الحلقية السامية...

كل ما سبق, وغيره كثير، يثبت بشكل قاطع، أن أقارب يسوع كانوا "أمميّين" من "جليل الأمم"، وأن لغتهم تختلف عن لغة اليهود في أورشليم وفي أرض اليهودية كلها، وأنهم كانوا من "الامم" الذين اقتبل اجدادهم بالقوة الديانة اليهودية... وشريعة موسى والختان. وانهم كانوا يعيشون ضمن الجماعات الروحية المختلفة المنتشرة في جليل الأمم-وأهم تلك الجماعات "الجماعة الاسينية"... في هذه البيئة التاريخية والجغرافية والمتفاعلة انسانياً وحضارياً ودينياً ولد ونشأ وكبر وعاش يسوع المسيح مخلّص العالم...

ومنذ بداية القرن السابع عشر كان هناك كتابات مسيحية تشير الى ان يسوع المسيح قد ولد في الجليل وليس في اليهودية. ففي رسالة بعثها البابا أوربانوس الثامن الى بطريرك الموارنة يوحنا مخلوف الإهدني (1608-1633) جاء ما يلي:

"الى نور الكنيسة الشرقية،

الى الاخ المحترم بطرس بطريرك إنطاكية على الموارنة،

"... إن محبّة السيد المسيح تدفعنا دائماً الى إظهار عنايتنا الخاصة ببلاد الجليل حيث ولد السيد المسيح القادر في تلك الارجاء التي اراد ان تدعى: وطن الربّ، الخ..." (راجع طوبيا أَلْعَنَيْسِي العاقوري "البراءات البابويّة، رومة 1911، ص 139).

وجاء مثل هذه الاقوال عن الجليل كمكان مولد السيد المسيح، عند العديد من البابوات والمؤرخين والكتبة المسيحيين وغيرهم...

وفي تعليقه على عرس قانا الجليل، يقول المؤرخ بيار-أنطوان برنهايم في دراسة تاريخية نقدية حديثة: "وبالاستناد الى مخطوطة انجيلية قديمة جداً تدعى "رسالة الرسل"، يظهر ان يسوع قد دعي وحده الى عرس قانا الجليل، لانه كان قد بدأ للتوّ رسالته التبشيرية في انحاء الجليل. ولم يدع تلاميذه الى العرس كما جاء في بعض المخطوطات الاخرى... وكانت أمه واخوته موجودين في قانا الجليل، وبالتالي فإنهم لم يدعوا الى العرس..."! ("يعقوب أخو الرب"، ص 114). ويورد المؤلف أقوال يوحنا فم الذهب والقديس ابيفانيوس في تعليقهما على يوحنا 2: 1-2، واللذين يقولان نفس القول تقريباً. كما يورد أقوالاً قريبة من هذه على لسان المفسّر المعاصر روبير ت. فورتنا وغيره (راجع:

Robert T. Fortna “The Fourth Gospel and its Predecessors, Edim bourg, T et T Clark, 1989, pp. 49-61).

وفي موضع آخر من كتابه "يعقوب أخو الربّ"، يقول المؤلف: "وانطلاقاً من إنجيلي مرقص ويوحنا، وخاصة يوحنا الذي يوحي <u>بأن المسيح ولد في الجليل وليس في بيت لحم اليهودية،</u> يظهر أن نسّاخ متى قد حوّروا بعض الشيء نصوص العهد القديم الخاصة بمجيء المسيح، واختلقوا نبؤات قديمة غير موجودة (مثل: انه يدعى ناصرياً "كما جاء على لسان الانبياء..."؟) ليبرهنوا أن المسيح يولد في بيت لحم اليهودية... كما انه من المتعذر تماماً ان تقوم مريم باسفار عديدة بين الناصرة في الجليل وأرشليم او بيت لحم يهوذا، بسبب المسافات الطويلة جداً..." (يعقوب أخو الرب"، ص 48-49). والملفت ان هذه النصوص جاءَت في دراسة تاريخية نقدية حديثة جداً (1996)!

<u>أقارب يسوع وأنسباؤه في الأناجيل المقدّسة</u>

يظهر جلياً في الأناجيل، وبشكل قاطع، أن أبوي يسوع، يوسف ومريم، وجميع اقاربه وانسبائه كانوا من الجليل. ولم يكونوا من أرض يهوذا. كانوا من الجليل حيث "بيت لحم جليل الأمم"، ولم يكونوا من اليهودية حيث "بيت لحم يهوذا"! المعروفة اليوم.

<u>-أولاً-في إنجيل متى:</u>

وضع متى في بداية إنجيله "نسب يسوع المسيح ابن داود ابن ابراهيم..."، ذاكراً اجداده وآباءه حتى "يوسف زوج مريم التي ولد منها يسوع وهو الذي يقال له المسيح...". (راجع متى 1: 1-17).

وفي الفصل الثاني عشر يتحدث متى عن اسرة يسوع الحقيقية (البشرية) فيقول:

"وبينما هو يكلّم الجموع، اذا أمّه وإخوته قد وقفوا في خارج الدار يريدون أن يكلّموه، فقال له بعضهم: إن أمك واخوتك واقفون في خارج الدار يريدون أن يكلّموك. فقال للذي أخبره بذلك: من أمّي؟ ومن أخوتي؟ ثم اشار بيده الى تلاميذه وقال: هؤلاء هم أمّي واخوتي. لأن من يعمل بمشيئة أبي الذي في السماوات هو أخي وأختي وأمّي..."! (متى 12: 46-50؛ 13: 1-2).

الثابت هنا أن يسوع عندما قال هذه الاقوال كان في الجليل، على ضفاف بحر الجليل (بحيرة طبريا) وفي كفرناحوم، كما تجمع التفسيرات والشروحات. والدليل ان النص نفسه يكمل هكذا: "وفي ذلك اليوم خرج يسوع من البيت ، وجلس بجانب البحر (بحيرة طبريا أو بحر الجليل). فازدحمت عليه جموع كثيرة، حتى إنه صعد الى سفينة وجلس فيها، والجمع كلّه قائم على الشاطئ" (متى 13: 1-2).اذاً ان ام يسوع واخوته (اي أقاربه الادنين) كانوا من الجليل، مثلما كان هو جليلياً. وفي الجليل توجد الناصرة، وبقرب الناصرة توجد "بيت لحم جليل الأمم"!...

وجاء ايضاً في إنجيل متى ما يلي:

"ولمّا أتمّ يسوع هذه الامثال ذهب من هناك (من كفرناحوم) وجاء الى وطنه (الناصرة)، وأخذ يعلم الناس في مجمعهم، حتى دهشوا وقالوا: من اين له هذه الحكمة وتلك المعجزات؟ أما هو ابن النجّار؟ اليست أمه تدعى مريم، وإخوته يعقوب ويوسف وسمعان ويهوذا؟ أوليس جميع أخواته عندنا؟ فمن أين له كل هذا؟ وكان لهم حجر عثرة. فقال لهم يسوع: لا يزدرى نبيّ الاّ في وطنه وبيته. ولم يكثر من المعجزات هناك لعدم ايمانهم..." (متى 13: 53-58).

وهنا يتبيّن ايضاً، ولكن بشكل اكثر وضوحاً وتفصيلاً، ان أهل يسوع وجميع أقاربه وأنسبائه كانوا، مثله، من الجليل، حيث توجد "بيت لحم جليل الامم". ولم يكونوا، ولم يكن واحد منهم على الأقل، من أرض يهوذا، من جنوب فلسطين، حيث توجد "بيت لحم يهوذا". إنها لحقيقة ساطعة كالشمس، قاطعة كحدّ السيف! إن مريم أم يسوع (وأباه يوسف طبعاً) واخواته يعقوب ويوسف وسمعان ويهوذا، وجميع اخواته هم من الجليل وليسوا من أرض يهوذا. وفي الجليل وبالقرب من الناصرة تقع "بيت لحم الحقيقية"، حيث ولد يسوع، وفي الجليل تربّى وعاش وبشّر. وبين الناصرة وبيت لحم الجليل القريبة منها جداً، من جهة، وبين بيت لحم يهوذا في أقاصي الجنوب، من جهة ثانية، مسافات طويلة، وجبال واودية وهضاب وسهول ومقاطعات وبلدان...!

-ثانياً-في إنجيل مرقس

وجاء في إنجيل مرقس ما يلي: "... وجاءَت أمّه وإخوته فوقفوا في خارج الدار، وأرسلوا إليه من يدعوه. وكان الجمع جالساً حوله، فقالوا له: إن أمك وإخوتك في خارج الدار يطلبونك. فأجابهم: من أمّي ومن إخوتي؟ ثم أجال طرفه في الجالسين حوله وقال: هؤلاء أمّي وإخوتي، لان من يعمل بمشيئة الله هو أخي وأختي وأمي. وعاد الى التعليم بجانب البحر (بحر الجليل أو بحيرة طبريّا)، فازدحم عليه جمع كثير جداً، حتى إنه صعد الى سفينة في البحر وجلس فيها، والجمع كلّه قائم في البرّ على ساحل البحر..." (مرقس 3: 31-35؛ 4: 1).

وهنا في مرقس يتبيّن كما في متى، وبشكل واضح، ان يسوع كان يعلّم في الجليل، على ضفاف بحيرة طبريا، وان أمّه واخوته الذين جاؤوا يطلبونه كانوا مثله من الجليل حيث الناصرة وبيت لحم القريبة جداً منها، ولم يكونوا بالتالي من أرض اليهودية حيث أورشليم وبيت لحم يهوذا في الجنوب... اي بيت لحم المعروفة اليوم.

وجاء ايضاً في إنجيل مرقس:

"وانصرف من هناك وجاء الى وطنه يتبعه تلاميذه. ولمّا أتى السبت أخذ يعلّم في المجمع، فدهش كثير من الذين سمعوه، وقالوا: من أين له هذا؟ وما هذه الحكمة التي أعطيها حتى إن المعجزات المبينة تجري عن يديه؟ أما هو النجّار ابن مريم؟ أخو يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان؟ أوليست أخواته عندنا ههنا؟ وكان لهم حجر عثرة. فقال لهم يسوع: لا يزدرى نبيّ الاّ في وطنه وأقاربه وبيته. ولم يستطع أن يجري هناك شيئاً من المعجزات، سوى أنه وضع يديه على بعض المرضى فشفاهم. وكان يتعجّب من عدم إيمانهم. ثم سار في القرى المجاورة يعلّم..." (مرقس 6: 1-6).

مرّة أخرى، وبحسب إنجيل مرقس بالذات، يتضّح أن وطن يسوع هو ناصرة الجليل، وأن أهالي الناصرة يعتبرون يسوع وإخوته وأخواته مواطنين لهم من الجليل. وهناك دقة وتحديد في التفاصيل: "أليس هو النجّار ابن مريم؟ اليس إخوته يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان؟ أوليست أخواته عندنا ههنا؟" انهم يعرفونه تمام المعرفة، وهو واحد منهم. ويعرفون أهله وأقاربه وأنسباءَهُ تمام المعرفة، وهم بينهم ومنهم. انهم جليليّون، وليسوا من أرض اليهودية...! إنهم من شمال فلسطين وليس من جنوبها حيث بيت لحم يهوذا...

-ثالثاً-في إنجيل لوقا

يضع لوقا جدول نسب يسوع في بداية حياته العلنية. وكان متى قد وضعها في بداية انجيله. ويقول لوقا: "وكان يسوع عند بدء رسالته، في نحو الثلاثين من

عمره. وكان الناس يحسبونه (لاحظ هنا جيداً عبارة "يحسبونه"...؟!) ابن يوسف بن عالي، بن... بن... بن... بن آدم، ابن الله" (راجع لوقا 3: 23-38)

يشار هنا الى أن لوقا يذكر آباء المسيح وأجداده بدءاً بيوسف وصولاً الى آدم. وذلك تأكيداً على طبيعة المسيح البشرية، على ارتباطه الحقيقي بذرّية آدم الانسانية، وعلى أن خلاص المسيح يشمل جميع الناس، لا بل الكون كله. بينما متى يركز على الناحية الايمانية في الخلاص، فيبدأ بابراهيم أب المؤمنين، وصولاً الى "يوسف زوج مريم التي ولد منها يسوع وهو الذي يقال له المسيح...".

وفي الفصل الثامن يقول لوقا الانجيليّ" "وجاءت اليه أمه واخوته، فلم يستطيعوا الوصول اليه لكثرة الزحام. فقيل له: إن أمك واخوتك واقفون في خارج الدار يريدون أن يروك. فأجابهم: إن أمّي وإخوتي هم الذين يسمعون كلام الله ويعملون به..." (لوقا 8: 19-21).

واذا عرفنا ان هذه الاحداث التي يرويها لوقا هنا، حصلت حينما كان يسوع يعلم على ضفاف بحر الجليل، ظهر لنا بوضوح مرة أخرى، كما في متى ومرقس، أن أقارب يسوع وانسباءه هم جميعهم، مثله، من الجليل، حيث الناصرة "وبيت لحم جليل الامم"، وليسوا من جنوب فلسطين، من أرض اليهودية، حيث أورشليم "وبيت لحم يهوذا"... (راجع ايضاً: لوقا 4: 16-30).

رابعاً-في إنجيل يوحنا

وأخيراً، جاء في إنجيل يوحنا ما يلي:

"... فتذمّر اليهود عليه لانه قال: انا الخبز الذي نزل من السماء. وقالوا: اليس هذا يسوع ابن يوسف، ونحن نعرف أباه وأمّه؟ فكيف يقول الآن: إني نزلت من السماء؟..." (يوحنا 6: 41-42).

هذه الاقوال قيلت والمسيح يبشّر على ضفاف بحر الجليل. ومرة اخرى، يتبين بوضوح تام، ان يسوع وأقاربه وأنسباءَهُ هم جميعاً من الجليل، كما جاء في أناجيل متى ومرقس ولوقا.

والملفت حقاً، أن جميع الاناجيل تؤكد بشكل قاطع، وهنا تتطابق مع جميع التواريخ الزمنية، ان يسوع وأهله (ابواه: يوسف ومريم) وأقاربه وأنسباءه جميعاً هم من الجليل وليسوا من اليهوديّة. هم من "جليل الأمم" وليسوا من أرض يهوذا. هم من "جليل الأمم" حيث "بيت لحم اللبنانية" منذ آلاف السنين اي بيت لحم الكنعانية كما جاء في سَفر يشوع (19: 14-16) والتي سميت، زمن الاسباط، بيت لحم زبولون، لانها وقعت في أرض زبولون أو سبط زبولون بحسَب جغرافية يشوع في توزيع أراضي جنوب كنعان على أسباط إسرائيل الاثني عشر...

والملفت اكثر من ذلك، هو أنه لا ذكر على الاطلاق، لا من قريب، ولا من بعيد، ولا حتى اشارة ولو غامضة، عن وجود أحد من أقرباء يسوع أو أنسبائه في أرض اليهودية في الجنوب، حيث "بيت لحم يهوذا"...!؟ لا في حياته، ولا عند صلبه ودفنه، ولا بعد قيامته... والملفت أيضاً أنه عند دفن يسوع لم يوجد من أقربائه أحد يسعى لدفنه لا في بيت لحم اليهودية ولا في بلاد اليهودية كلها...؟ بل الذي دفنه في قبر جديد له هو يوسف الذي من الرامة (على بعد 35 كيلومتراً من أورشليم، الى الشمال الغربي منها). (راجع لوقا 23: 50-56)؟! وفي الواقع، وقبل ولادته، كان والدا يسوع، يوسف ومريم، وجميع اهله وأقربائه وأنسبائه في "جليل الأمم". وهنا يفرض السؤال نفسه فرضاً: ماذا كانوا يفعلون جميعهم في الجليل؟ الجواب في منتهى البساطة: لأنهم جميعاً من الجليل! اما القول بأن يوسف صعد من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود التي تدعى بيت لحم، فقد كان من بيت داود وذريته... فهو قول يفتقر الى ابسط قواعد وحقائق التاريخ والجغرافية. إنها رواية شعبية تحاول، عبثاً، ربط يسوع، من خلال والديه، بذرية داود وهذا باطل كما شرحنا سابقاً. عدا عن كون السَفر بحد ذاته كما ترويه الاخبار الشعبية أمر متعذّر يناقض الواقع والمنطق الخ... وفي حال كون يوسف من بيت لحم الجنوبية في أرض يهوذا، لماذا لم يكن هناك وقت ولادة يسوع احد من الأهل والأقرباء والأنسباء؟ اين الاهل في بيت لحم نفسها لينزل عندهم؟ اين ضيافة الانسباء والاقرباء؟ الغريب حقاً هو أنه لا ذكر لاحد الاقارب او الانسباء وقت ولادة يسوع...!؟ ولا حتى بعد ولادته... كانوا جميعهم في جليل الامم. وقد تأكد اليوم، تاريخياً وجغرافياً وآركيولوجياً، أن مدينة الناصرة لم تكن موجودة أيام المسيح، فكيف "صعد يوسف من مدينة الناصرة الى اليهودية، الى مدينة داود التي تدعى بيت لحم، فقد كان من بيت داود وذريته"؟! (وسوف نتحدث عن الناصرة بالتفصيل... في فصل لاحق: الفصل السادس من هذا القسم).

وفي حياة يسوع الخفية والعلنية وخلال تنقلاته ورحلاته وفي كل مراحل حياته، لا يرد أي ذكر لاحد اقربائه او انسبائه في بيت لحم اليهودية (ولا في اليهودية كلّها). ولم يكن له اي علاقة مع هذه القرية! وعند محاكمته وصلبه وموته ودفنه لا يرد أي ذكر لهذه القرية اليهودية، أو لأحد انسبائه فيها. والملفت حقاً هو أنه بعد موت يسوع لم يطلب أحد جسده ليدفنه، لا من بيت لحم اليهودية ولا من تلك المنطقة كلها! اين أهله هناك؟ وأين أقاربه وأنسباؤه؟ واين اصدقاؤه ومعارفه؟ بل "جاء عند المساء رجل غنيّ من الرامة اسمه يوسف، وكان هو ايضاً تتلمذ ليسوع. فذهب الى بيلاطس وطلب جثمان يسوع. فأمر بيلاطس بأن يسلّم اليه. فأخذ يوسف الجثمان ولفّه في كتّان خالص، ووضعه في قبر له جديد كان قد حفره في الصخر، ثم دحرج حجراً كبيراً على باب القبر وانصرف. وكانت هناك مريم المجدلية ومريم

الأخرى جالستين تجاه القبر..." (متى 27: 57-61). فمريم المجدليّة ومريم الاخرى كانتا من الجليل كما هو معروف. وجميع الذين كانوا قربه وقت صلبه وموته ودفنه كانوا من الجليل. وخاصة النساء والمريمات: "وكان هناك (وقت الصلب) كثير من النساء ينظرن عن بعد، وهن اللواتي تبعن يسوع من الجليل ليخدمنه، منهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب ويوسف، وأم ابني زبدى..." (متى 27: 55-56). وبعد قيامته على الفور طلب يسوع نفسه من المريمات أن يبلغن تلاميذه أن يمضوا الى الجليل، فهناك يرونه: "فقال لهما يسوع: لا تخافا! إذهبا فبلّغا إخوتي أن يمضوا الى الجليل، فهناك يرونني..." (متى 28: 10؛ راجع ايضاً متى 28: 7؛ مرقس 16: 7). لم يطلب يسوع ان يبقى تلاميذه في اليهودية، حيث صلب ومات وقبر، بل طلب اليهم ان يذهبوا فوراً من اليهودية حيث كانوا وقت محاكمته وصلبه، الى الجليل حيث يرونه هناك. فلا علاقة له أو لهم ببيت لحم يهوذا او بأرض اليهودية. إنهم جليليّون، فليعودوا الى الجليل. وفي الفترة الممتدّة من قيامته الى صعوده، ليس هناك من ذكر لاي أحد من انسبائه أو أقاربه في بيت لحم يهوذا او في اليهودية كلها... ورغم ان الاناجيل القانونية لا تذكر عن هذه الفترة سوى بعض الظهورات، فان الاناجيل المنحولة وغيرها تتحدث بالتفصيل عن لقاءات المسيح وتلاميذه في الجليل، عن تعليماته ووصاياه الاخيرة. وقد أكد ذلك اكثر من مرة شهود من اليهود من بينهم كهنة ولاويّون، شاهدوا بأم عينهم يسوع المسيح، بعد قيامته، يعطي تلاميذه تعليماته الاخيرة على جبل في الجليل يسمّى "جبل ملكوم"، وهو جبل مقدس في الجليل منذ العهود الكنعانية. وقد أكّد الشهود على ذلك اكثر من مرّة، أمام رؤسائهم والشعب بشكل علني ورسمي... (راجع "الأناجيل المنحولة"، إعداد فرانس كيرى، ص 142، 149، وايضاً: "أعمال بيلاطس 14: 1، 16: 5 "وقاموس الكتاب المقدس" ص 934-935)! ونحن نؤكد ان "جبل ملكوم" هذا، ما هو الاّ جبل الكرمل بالذات... (راجع الفصل الخاص بجبل الكرمل في هذا الكتاب) أجل! لقد عاد المسيح، بعد قيامته، الى جبل الكرمل المقدس منذ القدم، حيث درس وتعلم وأَمضى فترة طويلة من حياته التي سمّوها "خفيّة". وهناك اجتمع طويلاً بتلاميذه ورسله، ولقّنهم الطقوس والحقائق السرّية، وقواعد الحكمة الروحية السرانيَّة، وأعطاهم تعليماته ووصاياه الاخيرة وودّعهم. ومن هناك، أي من جبل الكرمل المقدس بالذات، صعد المسيح الى السماء وجلس عن يمين الله الآب. ومن الثابت والمؤكد ان جبل الكرمل كان في ارض فينيقة-لبنان عهد ذاك! (فلتراجع جميع الخرائط القديمة، من مطبوعة ومخطوطة، وبجميع اللغات...) أجل! من جبل الكرمل، من لبنان، صعد يسوع الى السماء...! وهذه ايضاً حقيقة تاريخية جغرافية خطيرة طمسها اليهود والمسيحيون المتهوّدون، ثم لفّها التناسي والنسيان والجهل الموروث والخوف... الى يومنا هذا. ونحن الآن من هنا-من لبنان بالذات-نعلن قيامها من نومها الطويل!...

ان موضوع صعود المسيح البالسماء يخرج عن اطار هذه الدراسة. غير أننا نشير هنا -اشارة خاطفة- الى المكان المحدّد الذي حصل فيه هذا الصعود. وهذا المكان هو جبل الكرمل في لبنان. ولنا عودة مفصّلة الى هذا الموضوع الهام الذي طمسه الطامسون وأغفله الجهلاء كغيره من المواضيع الهامة التي طمستها الاهواء وذلك لانها حصلت في لبنان... اما التقليد القائل بان جبل الزيتون القريب من اورشليم هو "جبل الصعود"، فهو تقليد تقوي شعبي متوارث منذ القديم، كغيره من التقاليد التقوية الشعبية المتوارثة والتي لم تُبْنَ على أسس تاريخية وجغرافية علمية... والنقد التاريخي العلمي الحديث كشف العديد من الحقائق التاريخية والجغرافية التي كانت تحجبها تقاليد شعبية تقوية متوارثة.. وفي الأصل، كان بعض المسيحيين المتهوّدين الاولين يحاولون ان يجعلوا من أورشليم وجوارها محوراً لكثير من عظائم الامور، ولو كان بعض هذه الامور قد حصل بعيداً عن أورشليم. وكل ذلك، كما رأينا مراراً، في سبيل تفخيم وتعظيم المثلّث اليهودي المعروف: سبط يهوذا، داود والعاصمة أورشليم، وربط يسوع بهذا المثلث... فكما جعلوا من بيت لحم يهوذا في جنوب فلسطين المدينة التي ولد فيها يسوع المسيح-مع انه ولد في بيت لحم جليل الامم، في شمالي فلسطين، المدينة الكنعانية القديمة...-جعلوا من جبل الزيتون القريب من أورشليم... جَبَلَ الصعود. ونحن نعلم أن بعض الاناجيل المنحولة والتقاليد القديمة تتحدث عن جبل ملكوم حيث كان السيد المسيح يتردّد، قبيل صعوده، ويعطي تلاميذه تعليماته ووصاياه الاخيرة. ومعلوم ان ملكوم هذا كان يسمّى ايضاً "البعل" الكنعاني (إرميا 32: 35- راجع ايضاً سَفر اللاويين 18: 21، الملوك الاول 11: 5 الملوك الثاني 23: 10، حزقيال 20: 26 اشعيا 57: 9 الخ...). والظاهر انه قد حصل هناك التباس فظنّ البعض ان مولوك وملكوم هما مختلفان، اذ يقال عن الأول ان عبادته كانت في وادي هنوم قرب أورشليم، وفي الثاني انها كانت على جبل الزيتون قرب أورشليم ايضاً (الملوك الثاني 23: 10-13). غير انه يظهر من سَفر الملوك الاول (11: 5-7) أن ملكوم "رجس الموآبين" هو هو نفسه مولوك "رجس بني عمون" الكنعانيين... (راجع قاموس الكتاب المقدس ص 935) من هنا نشأ الالتباس بين جبل "ملكوم" في الجليل، وجبل الزيتون، قرب أورشليم، مقر عبادته... وقال البعض فيما بعد ان جبل الزيتون هو جبل الصعود. وظل هذا الاعتقاد سائداً، بين عامة الناس، الى أيامنا هذه...! اما الحقيقة التاريخية فهي ان يسوع المسيح صعد الى السماء من جبل الكرمل من لبنان، حيث درس وتعلّم وقضى فترة طويلة من "حياته الخفية...".

وبالاضافة الى ما تقدم، يستدل من الفصل الاول من انجيل لوقا (26-56) أن اليصابات كانت تقيم في الجليل حيث تقيم نسيبتها مريم (في ناصرة الجليل): "وها إن نسيبتك اليصابات قد حبلت هي أيضاً بابن في شيخوختها، وهذا هو الشهر

السادس لتلك التي كانت تدعى عاقراً (36)... وفي تلك الايام قامت مريم فمضت مسرعةً الى الجبل وزارت نسيبتها اليصابات (39). ..."وأقامت مريم عند اليصابات نحو ثلاثة أشهر، ثم عادت الى بيتها (56). وهكذا، فزكريا واليصابات، وهما من انسباء يسوع، كانا يقيمان في الجليل. ويوحنا المعمدان نفسَه، ابن زكريا واليصابات، ولد وعاش وعلّم وعمد في الجليل... (راجع مرقس 6: 14-29 وايضاً متى 14: 1-2 ولوقا 9: 7-9). وهيرودس أنتيباس أمير الربع على الجليل هو الذي سجن يوحنا وقطع رأسه: "ذلك بان هيرودس هذا قد أرسل الى يوحنا من أمسَكه وأوثقه في السجن، من أجل هيروديا امرأة أخيه فيلبّس لانه تزوجها. فكان يوحنا يقول لهيرودس لا يحلّ لك أن تأخذ امرأة أخيك. وكانت هيروديّا ناقمة عليه تريد قتله فلا تستطيع، لان هيرودس كان يهاب يوحنا لعلمه أنه رجل بارّ قديس، وكان يحميه... الخ" (مرقس 6: 17-29). وهكذا فهيرودس انتيباس كان أميراً على الجليل، ويوحنا المعمدان كان من رعاياه في الجليل نَفْسِهِ...

الجميع كان يعرف تماماً أن يسوع وأهله وأقاربه هم من الجليل: أهل الجليل أنفسهم على اختلاف مجموعاتهم وفئاتهم وأممهم (جليل الأمم)، والسامريون، واليهود على اختلاف فئاتهم من فرّيسين وصدوقيين وغيورين وعلماء شريعة وكتبة وعامة الشعب، واليونان والرومان المقيمون في فلسطين والجليل والمناطق المجاورة، جميع الناس كانوا يعرفون ويصرّحون بان يسوع المسيح هو من الجليل، حتى الجموع وعامة الشعب... فقد جاء في إنجيل متى (21: 10-11) ما يلي: "ولما دخل يسوع أورشليم ضجّت المدينة كلّها وسألت: من هذا؟ فأجابت الجموع: هذا النبيّ يسوع من ناصرة الجليل...." وتعلّق النسخة الجديدة على هذا النصّ فتقول: "الترجمة اللفظية: "اهتزّت" (فعل يستعمل لزلزال الارض: متى 17: 51 و 28: 4 وراجع 8: 24 ورؤيا 6: 13). حين يدخل يسوع الى أورشليم ملكاً مشيحياً، تهتزّ المدينة كما اهتزّت عند بلوغ خبر ولادته (2: 3)، فحياة يسوع حدث علني يهم جميع الناس... ويعترف الناس هنا بيسوع نبياً، <u>من دون اثارة اي اعتراض على أصله الجليليّ</u>، كما ورد أيضاً في يوحنا (7: 52) وفي متى (13: 57)..." (النسخة الجديدة، متى 21: 10-11، والحاشيتان رقم 7 ورقم 8، ص 94). ان اعتراف الجموع بيسوع كونه من الجليل هو اعتراف واضح جلي علني ومحدّد، ولا يحتمل أي ريب والتباس. والملفت حقاً، أن اعتراف الجموع "بجليليّة" يسوع لا يتضمن، على الاطلاق، اية اشارة ولو غير مباشرة، ولا حتى اي تلميح بعيد، الى كونه ولد في بيت لحم اليهودية القريبة من أورشليم، او الى كونه وكون والديه يرتبطون بأية علاقة بذرّية داود أو غيرها من الذريات اليهودية...! "إنه نبيّ من ناصرة الجليل". ولو كان ولد-على سبيل الافتراض-في بيت لحم اليهودية واهتزّت مدينة أورشليم عند بلوغ خبر ولادته كما يقول متى نفسه (2: 3) والنسخة الجديدة (الحاشية رقم 7 ص 94)،

فكيف اختفى وتلاشى وزال هذا الحدث الخطير من ذاكرة الجميع، مع انه هزّ (وزلزل) مدينة أورشليم والملك هيرودس وعظماء الكهنة والكتبة وعامة الشعب؟! ألم يوجد، وعلى سبيل الصدفة، واحد من الناس يقول: بل إن يسوع ولد في بيت لحم اليهودية أو إنه من ذرّية داود الخ... إنه حقاً لامر غريب عجيب! "إنه نبيّ من ناصرة الجليل" _بكل معنى الكلمة. هذا ما عرفته جموع الشعب، وهذا ما صرّحت به عالياً وعلناً...

ويسوع المسيح نفسه يقر ويعترف علناً بان الجليل هو وطنه. ولم يشر، ولو تلميحاً، ولا مرّة الى كونه ولد في بيت لحم اليهودية، حتى في أصعب الظروف وأثناء محاكمته. ولم يشر الى أية علاقة نسَب تربطه، او تربط والديه واهله وأنسباءَه بذرّية داود، أو باية ذرّية يهودية. لا بل فقد رفض اكثر من مرّة ان يدعى ابن داود، كما رأينا سابقاً. كان يدعو نفسه دوماً: "ابن الانسان". وهل يمكن ان يكون هناك أحد يعرفه اكثر مما يعرف هو نفسه؟! أوليس يسوع هو نفسه القائل: "...لم أرسل الاّ الى الخراف الضالة من آل اسرلئيل..."؟ (متى 15: 21-24، راجع ايضاً متى 10: 5-7). والمعروف أن الخراف الضالّة من آل اسرائيل هم اليهود انفسهم، وليس غيرهم. فهل يعقل بالتالي ان يكون يسوع هو نفسه من هؤلاء "الخراف الضالّة من آل اسرائيل"؟ أي أن يكون يهودياً مثلهم؟ حاشا وكلا! وأيضاً أليس يسوع هو نفسه القائل لليهود: "أنتم أولاد أبيكم إبليس..." (يوحنا 8: 44)؟ وهل يعقل ان يكون هو مثلهم ابناً لابليس؟ حاشا وكلاّ!...

وهناك اكثر من دليل على أن المسيح نفسه قد أقرّ واعترف علناً بأن الجليل هو وطنه ووطن أهله وأقاربه وانسبائه. فقد جاء في انجيل متى (13: 53-58) ما يلي: "ولمّا أتمّ يسوع هذه الامثال ذهب من هناك وجاء الى وطنه، واخذ يعلم الناس في مجمعهم، حتى دهشوا وقالوا: من أين له هذه الحكمة وتلك المعجزات؟ اليس هذا ابن النجّار؟ اليست أمه تدعى مريم، واخوته يعقوب ويوسف وسمعان ويهوذا؟ أوليس جميع أخواته عندنا؟ فمن أين له كل هذا؟ وكان لهم حجر عثرة. فقال لهم يسوع: لا يزدرى نبيّ الا في وطنه وبيته . ولم يكثر من المعجزات هناك لعدم إيمانهم..." وتعلّق النسخة الجديدة على هذا النص في متى فتقول: ""وطن": يدل هذا اللفظ في اليونانية إمّا على أرض الآباء في مجملها (راجع 2 مكابيين 8: 21 ويوحنا 4: 44)، وإمّا على مسقط الرأس، على المدينة او القرية التي تقيم فيها العائلة..." (النسخة الجديدة، متى 13: 54 والحاشية رقم 23، ص 76). وفي الموضوع نفسَه، جاء في انجيل مرقس (6: 1-6) ما يلي: "وانصرف يسوع من هناك وجاء الى وطنه يتبعه تلاميذه. ولمّا أتى السبت أخذ يعلّم في المجمع، فدهش كثير من الذين سمعوه، وقالوا: من أين له هذا؟ وما هذه الحكمة التي أعطيها حتى إن المعجزات المبينة تجري عن يديه؟ أليس هذا النجّار ابن مريم، أخا يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان؟ أوليست أخواته عندنا ههنا؟ وكان لهم حجر عثرة. فقال لهم يسوع: لا يزدرى نبيّ

الاّ في وطنه وأقاربه وبيته. ولم يستطع ان يجري هناك شيئاً من المعجزات، سوى أنه وضع يديه على بعض المرضى فشفاهم. وكان يتعجّب من عدم ايمانهم. ثم سار في القرى المجاورة يعلّم...". اليست هذه النصوص الانجيلية، بما فيها من وضوح ودقة وتفصيل، بغنى عن اي شرح وتفسير؟ اليس واضحاً تمام الوضوح ان الجليل هو وطن يسوع ووطن أهله وأقاربه وأنسبائه؟ "لا يزدرى نبيّ الاّ في وطنه وأقاربه وبيته...."! هل من حاجة بعدُ الى توضيح ودقة وتفصيل: وطنه وأقاربه وبيته؟! غير أن النسخة الجديدة، في تعليقها على هذا النص في مرقس، تزيد الوضوح وضوحاً فتقول: "اليس هذا النجّار ابن مريم: عدم ذكر الاب أمر عجيب في بيئة يهودية! ولكن قد يكون أن مرقس اهمله هنا، كما في 3: 31-35 و 1: 29-30، علماً بان الله هو ابو يسوع (8: 38 و 13: 32 و 14: 36) (النسخة الجديدة، مرقس 6: 3، الحاشية رقم 4، ص 142)! أجل إن عدم ذكر الاب هو أمر عجيب في بيئة يهودية! فكيف كان يسوع يدعى "ابن مريم"؟ هذا صحيح تماماً. غير أن تسميته "بابن مريم" يدل، مرّة أخرى، وبشكل واضح، على أن يسوع لم يكن فعلاً في بيئة يهودية، بل على العكس، في بيئة جليليّة معادية تماماً للبيئة اليهودية، كما كشف لنا التاريخ حديثاً. والملفت أن الناس في أيامنا هذه لا يقدرون مدى التباين والتباغض والخصومة التي كانت سائدة ايام يسوع بين اليهود والجليليّين... ويقول لوقا عن بداية رسالة يسوع، في الجليل، ما يلي: "وعاد يسوع الى الجليل بقوة الروح، فانتشر الخبر في الناحية كلّها. وكان يعلّم في مجامعهم فيمجّدونه جميعاً. وأتى الناصرة حيث نشأ، ودخل المجمع يوم السبت على عادته وقام ليقرأ... وكانوا يشهدون له بأجمعهم، ويعجبون من كلام النعمة الذي يخرج من فمه فيقولون: أما هذا ابن يوسف؟ فقال لهم: لا شك انكم تقولون لي هذا المثل: يا طبيب اشفِ نفسك. فاصنع ههنا في وطنك كل شيء سمعنا أنه جرى في كفرناحوم. وأضاف: الحق أقول لكم: ما من نبيّ يقبل في وطنه..." (لوقا 4: 14-24).

وهناك ايضاً نصوص إنجيلية اخرى، خاصة في يوحنا، تؤكد بوضوح تام أن الجليل هو وطن يسوع بكل معنى الكلمة، وتنفي بشكل قاطع إجماع الناس حول ولادته في بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم. كما تظهر، من جهة ثانية، تباين نظرة الناس واختلاف آرائهم فيما يخص وطن المسيح المنتظر، ورسالته بشكل عام، ووطن يسوع المسيح ورسالته بشكل خاص. فقد جاء في إنجيل يوحنا 0الذي لم يذكر شيئاً عن ميلاد المسيح وطفولته-جاء ما يلي: "...فقال أناس من أهل أورشليم: أليس هذا الذي يريدون قتله؟ فها إنه يتكلّم جهاراً ولا يقولون له شيئاً. ترى تبيّن للرؤساء أنه المسيح؟ على أن هذا نعرف من أين هو، وأمّا المسيح فلا يُعرف حين يأتي من أين هو. فرفع يسوع صوته وهو يعلّم في الهيكل قال: أجل، إنكم تعرفونني وتعرفون من أين أنا. على أني ما جئت من نفسي، فالذي أرسلني هو صادق. ذاك

الذي لا تعرفونه أنتم. وأمّا أنا فأعرفه لأني من عنده وهو الذي أرسلني. فأرادوا ان يمسكوه، ولكن لم يبسط إليه أحد يداً، لأن ساعته لم تكن قد أتت. فآمن به من الجمع خلق كثير وقالوا أيجري المسيح من الآيات حين يأتي اكثر ممّا أجرى هذا الرجل؟ فسمع الفرّيسيون الجمع يتهامسون بذلك في شأنه، فأرسل عظماء الكهنة والفرّيسيّون بعض الحرس ليمسكوه..." (يوحنا 7: 25-32). وعلى الآية 27، التي جاءت على لسان الجموع والتي تقول: "على أن هذا نعرف من أين هو، وأمّا المسيح فلا يُعرف حين يأتي من أين هو..."، تعلّق النسخة الجديدة فتقول: "نجد هنا صدى مجادلات استمرّت بين اليهود والمسيحيين طوال القرن الاول (؟!)... فالمسيح هو في آن واحد انسان (أصله معروف) (راجع 6: 42)، وابن الله (أصله السماوي يخفى على البشر)..." (النسخة الجديدة، يوحنا 7: 27، الحاشية رقم 15، ص 311). غير أن "رينان"، من جهته، فيؤكد أن المناقشات والمجادلات بين اليهود والمسيحيّين استمرت طوال القرون الثلاثة الاولى للمسيحية! وكانت هذه المجادلات تتمحور، في هذا المجال، حول حقيقتين اثنتين: الأولى حول علاقة يسوع المسيح بذرّية داود وسلالته الملكية... والثانية حول حقيقة ميلاد يسوع المسيح في بيت لحم اليهودية. ولم يحصل اتفاق البتة في ذلك الوقت حول أي من هاتين الحقيقتين. واستمر الحال هكذا حتى يومنا هذا. غير أن التقليد الشعبي التقوي، بقطع النظر عن التمحيص العلمي الموضوعي، والقائل بان المسيح هو من ذرّية داود وانه ولد في بيت لحم اليهودية، هو الذي ساد فيما بعد، واستمر سائداً حتى يومنا هذا...!؟

"إن هذا نعرف من أين هو..." هذا ما صرّحت به جموع أورشليم بالنسبة الى يسوع المسيح. وقد حدّدت من أين هو: "إنه النبيّ يسوع من ناصرة الجليل". الجميع كان يعرف تماماً انه من الجليل. ولم يقل أحد بتاتاً إنه ولد في بيت لحم يهوذا القريبة من أورشليم!! لا هو ولا أهله وأنسباؤه وأقاربه، ولا رؤساء الكهنة وعلماء الشريعة والكتبة، ولا الفرّيسيّون والصدوقيّون، ولا أحد من الناس قال أو المح الى أنه ولد في بيت لحم يهوذا. وأمّا قول الجموع: " وأمّا المسيح فلا يُعْرف حين يأتي من أين هو.."، فقد رد عليه المسيح شخصياً بشكل واضح وقاطع، وبالحرف الواحد: "أجل! إنكم تعرفونني وتعرفون من أين أنا" (الآية 28). نحن نعطي لهذا الكلام أهمّية بالغة، لانه جاء على لسان المسيح نفسه. وهو كلام يفوق، في الموضوع الذي نحن بصدده، كل كلام آخر، وهو بغنى عن أي تعليق وشرح وتفسير. الكلام بسيط واضح محدّد قاطع: "أجل! إنكم تعرفونني وتعرفون من أين أنا". إنه جواب مباشر فوري على تساؤل جموع أورشليم: "على ان هذا نعرف من أين هو، وأمّا المسيح فلا يُعرف حين يأتي من أين هو". هذا يعني انه هو المسيح، وأنهم يعرفونه شخصياً، ويعرفون والديه وأقاربه وانسباءه، ويعرفون تماماً أنه من الجليل.

إنهم جميعهم يعرفون أنه من الجليل. فهو يوافقهم هذا القول ويؤكد عليه علناً وعلى الملأ. أجل! انه من الجليل كما يقولون. غير أنه لم يقل لهم انه ولد في بيت لحم يهوذا قرب أورشليم. ومن المؤكد أن كلام المسيح هذا: "أجل! انكم تعرفونني، وتعرفون من أين أنا"، يُقصد به معرفة أصله ووضعه البشري، فهم لا يستطيعون الربط بين وضع يسوع البشري وأصله الإلهي: فالايمان الذي هو هبة من الله يمكّن وحده من ذلك. فمن الناحية الروحية الالهية هم "لا يعرفونه، ولا يعرفون من أين هو".
وهل كانت جموع أورشليم هذه تعرف انه ابن الله الوحيد، الكلمة الأزلي، المساوي للآب في الجوهر، المرسل من لدن الآب لخلاص البشرية جمعاء والكون كلّه؟ ان التلاميذ ورسل المسيح انفسهم لم يعرفوا هذه الحقائق قبل حلول الروح القدس عليهم...

وهناك نصوص أخرى في يوحنا تلقي أضواءً إضافية على مضمون النصوص التي نحن بصددها. فقد جاء في إنجيل يوحنا (7: 40-52) ما يلي: "فقال أناس من الجمع وقد سمعوا ذلك الكلام (كلام يسوع في هيكل أورشليم في عيد المظالّ عند اليهود): هذا هو النبيّ حقاً. وقال غيرهم: هذا هو المسيح! ولكن آخرين قالوا: أفترى من الجليل يأتي المسيح؟ ألم يقل الكتاب إن المسيح هو من نسل داود وإنه يأتي من بيت لحم (يقصدون بيت لحم اليهودية...)، القرية التي منها خرج داود؟ فوقع بين الجمع خلاف في شأنه... وأراد بعضهم أن يمسكوه، ولكن لم يبسط اليه أحد يداً. ورجع الحرس الى عظماء الكهنة والفرّيسيّين فقال لهم هؤلاء: لماذا لم يأتوا بِه؟ أجاب الحرس: ما تكلّم انسان قط مثل هذا الكلام. فأجابهم الفرّيسيّون: أَخُدعتم أنتم أيضاً؟ هل آمن به أحد من الرؤساء أو الفرّيسيِّين؟ أمّا هؤلاء الرعاع الذين لا يعرفون الشريعة، فهم ملعونون... فقال لهم نيقوديمس وكان منهم، وهو ذاك الذي جاء قبلاً الى يسوع: أتحكم شريعتنا على أحد قبل أن يُستمع اليه ويُعرف ما فعل؟ أجابوه: أوأنت أيضاً من الجليل؟ إبحث ترَ أنه لا يقوم من الجليل نبيّ...".

يظهر جلياً من النصّ أن جموع الناس كانوا آنذاك منقسمين حول شخصية يسوع وطبيعة رسالته. منهم من قال: إنه "النبيّ". وكانت الناس في انتظار نبيّ ما. ومنهم من قال: هذا هو المسيح! وكان الشرق بكامله في انتظار مسيح مخلّص، لأن المجتمعات البشرية والاوطان وحتى الديانات نفسها كانت في حالة يرثى لها من التفكك والانحلال الاخلاقي والفراغ الروحي... ومنهم أيضاً من كان متردداً حائراً: "أفترى من الجليل يأتي المسيح؟ ألم يقل الكتاب إن المسيح هو من نسل داود وأنه يأتي من بيت لحم القرية التي منها خرج داود؟" ويسوع هذا هو من الجليل فكيف يكون المسيح المنتظر؟ وهكذا "وقع بين الجمع خلاف في شأنه...".
والخلاف هذا، كما هو بيّن، يقتصر فقط على شخصية المسيح وطبيعة رسالته. هل هو النبيّ؟ هل هو المسيح؟ أم ليس هذا ولا ذاك؟ من هو، في الحقيقة، هذا

الرجل؟ الكل يعرف أنه من الجليل. والبعض يعرف أنه من ناصرة الجليل... والملفت حقاً انه لم يوجد أحد يقول او يلمح تلميحاً الى كون يسوع ولد في بيت لحم يهوذا، لا أهله وأقاربه، لا تلاميذه ورسله، لا رؤساء الكهنة وعلماء الشريعة والكتبة، لا الفريسيّون ولا الصدوقيون ولا أحد من عامة الشعب... مع أن الموقف كان حرجاً للغاية، "لأن البعض ارادوا ان يمسكوه..." (الآية 44). والاهم من كل ذلك ان المسيح نفسه لم يقل لهم -لا هنا ولا في اي مكان آخر في الأناجيل...- انه ولد في بيت لحم يهوذا، أو أنه من اليهوديّة، أو أن أصل أهله واقاربه من اليهوديّة. ولم يشر الى اية علاقة تربطه بيهوذا أو بداود او باليهودية، لا من قريب و لا من بعيد. بل على العكس تماماً، الجميع يقولون ويصرّحون علناً انه من الجليل، انه "جليليّ": وهو يوافقهم تماماً هذا القول ويصرّح علناً: "أجل! انكم تعرفونني، وتعرفون من أين أنا." اي انني من الجليل بكل معنى الكلمة، كما تقولون. المقصود هنا طبعاً هو أصل يسوع ووضعه البشري. لان أصله الالهي لا يعرف الاّ بالايمان. فعندما سأله الفريسيون عن الآب الذي ارسله قائلين له: "اين ابوك؟ أجاب يسوع: انتم لا تعرفونني ولا تعرفون أبي، ولو عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً..." (يوحنا 8: 19-راجع ايضاً يوحنا 12: 45؛ 14: 7 الخ...). لماذا لم يقل لهم المسيح انه ولد في بيت لحم اليهودية، اذاً لكان زال الخلاف الذي وقع في شأنه ولكان عرف الجميع انه المسيح المنتظر. اليهود كانوا ينتظرون مسيحاً مخلّصاً يأتي من بيت لحم يهوذا مدينة داود... فلو كان المسيح ولد في هذه المدينة، فلماذا لم يقل لهم ذلك؟ لم يقل المسيح لهم ذلك، لانه لم يولد في بيت لحم يهوذا، ولم يكن مسيحاً دنيوياً عسكرياً محرّراً لليهود وحدهم، فيتسَلطون على باقي الشعوب ويستعبدونهم، بل هو المسيح المنتظر من قبل البشر أجمعين والخلائق جمعاء، الذي يخلّص الناس من الشرّ والخطيئة ويحرّرهم حقاً ويرفع الانسان والكون الكبير لى الله الآب المبدأ الاول والهدف الاخير لكلّ موجود...

وفي نهاية نصوص يوحنا التي نحن بصددها هنا، هناك مقطع أخير يلقى ضوءاً إضافياً على ما جاء من قبلنا من تعليقات وشروحات. وهذا المقطع الهام هو التالي: "فقال نيقوديمس للفرّيسيين وكان منهم، وهو ذاك الذي جاء قبلا الى يسوع (راجع يوحنا 3: 1-21): أتحكم شريعتنا على أحد قبل ان يُستمع اليه ويعرف ما فعل؟ أجابوه: أوأنت أيضاً من الجليل؟ ابحثْ ترَ انه لا يقوم من الجليل نبيّ..." (يوحنا 7: 50-52). يظهر من النص بشكل واضح تماماً ان الفرّيسيّين كانوا على بيّنة تامّة أن يسوع هو من الجليل: ليس من اليهودية، ولم يولد بالتالي في بيت لحم اليهودية؛ إنه جليليّ بكل معنى الكلمة، ولا علاقة له مع اليهودية، لا من قريب ولا من بعيد، لا من حيث الاصل والذرّية، ولا من حيث المولد والاقامة الخ... إنه رجل آتٍ من الجليل ويدّعي انه ابن الله... ويظهر أيضاً من النص كيف كان الفرّيسيّون ينظرون الى الجليل

والجليليّين. ومعروف أن اليهود كانوا يعتبرون أهل الجليل من "الأمم"، من "الغويم" ويكنون لهم منذ البداية البغض والكراهية ويظهرون تجاههم الازدراء والاستخفاف. وكانت الخصومة بين الاثنين قديمة ومستحكمة. ولا يقدّر انسان اليوم مدى هذه الخصومة وشدّتها. ولا ننسَ أيضاً أن المسيحيين، فيما بعد، كثيراً ما لقّبهم جليليين خصومُهم الذين من اليهوديّة. والغيورون أيضاً أُطلق عليهم أحياناً هذا اللقب (النسخة الجديدة، ص 313، الحاشية رقم 31). كل هذا يفسّر جواب الفرّيسيّين الى نيقوديمس الذي هو منهم: أوأنت أيضاً من الجليل؟ إبحثْ ترَ انه لا يقوم من الجليل نبيّ...". مع انه، في الحقيقة، قام من الجليل اكثر من نبيّ واكثر من رجل صالح معروف في العهدين القديم والجديد...! فيونان النبيّ المشهور، ابن امتاي، هو من الجليل، من مدينة جت حافر وهي اليوم قرية "المشهد" على بعد نحو 4 اميال شمالي الناصرة. وقد تنبأ في أيام الملك ياربعام الثاني ملك السامرة. (787-747). (راجع سَفر يشوع 19: 13، سَفر الملوك الثاني 14: 25 وقاموس الكتاب المقدس ص 1126، العمود الثاني). النبيّ الكبير إيليا نفسه هو من الجليل، من مدينة "تشبة" في جنوب قادش المدينة القديمة المعروفة. ويسمّى ايضاً إيليا التشبيتي (راجع سَفر الملوك الاول 17: 1 والحاشية رقم 1 في النسخة الجديدة، ص 663، طوبيا 1: 1، قاموس الكتاب المقدس ص   144 العمود الاول). والنبيّ ناحوم هو ايضاً من الجليل، من مدينة ألقوش في شمالي بحيرة طبريا أي بحر الجليل. ويشار اليوم الى قبر النبيّ ناحوم شمالي هذه البحيرة حيث مدينة كفرناحوم نفسها... (راجع سَفر ناحوم 1: 1، قاموس الكتاب المقدس ص 106 العمود الاول). ويقول العديد من آباء الكنيسة ومنهم القديس أبيفانيوس ان النبيّ هوشع هو ايضاً من الجليل، من "بليمون" وهي مدينة في الجليل الاسفل (راجع "تاريخ الناصرة" للقس أسعد منصور، ص 29، والحاشية رقم 5). فاذا كان هناك، على الاقل، اربعة انبياء معروفون قاموا من الجليل، فكيف ولماذا قال الفرّيسيّون لنيقوديمس: "إبحثْ ترَ انه لا يقوم من الجليل نبيّ..."؟ هل كانوا يقصدون، يا ترى، كما يقول بعض المفسرين: انه لا يقوم من الجليل "النبيّ" (المنتظر قدومه) وليس نبيّ... أم ان عداوتهم لاهل الجليل قد أعمت قلوبهم فقالوا إنه لا يقوم من الجليل نبيّ؟... ومهما يكون تفسير هذا القول، وبالاضافة الى الانبياء الأربعة الذين قاموا من الجليل، فقد قام من الجليل ايضاً أربعة قضاة. ومعروف أن القضاة كانوا يُعتبرون بمثابة "مخلّصين" للشعب... وهؤلاء القضاة هم: باراق من مدينة قادش في الجليل الأعلى (قضاة   4: 6)، تولع من الجليل الاسفل (قضاة 10: 1)، إبصان من بيت لحم الجليل نفسها... (يشوع 19: 12 قضاة 12: 8)، وايلون الزبولوني من منطقة بيت لحم الجليل ايضاً (قضاة 12: 11)!

إن الأمر الذي نودّ أن نلفت إليه، في ختام كلامنا هذا، هو أن أقارب يسوع وأبواه يوسف ومريم، ولو كانوا، أيام المسيح، مقيمين في الجليل في منطقة بيت لحم

الشمالية وجبل الكرمل، غير أنهم قد نزحوا من قانا الجليل اللبنانية القريبة من صور. وهذا ما سوف نتحدث عنه بالتفصيل في الفصول اللاحقة، وبنوع خاص في كلامنا عن "مقام النبيّ عمران"-يواكيم والد مريم عند المسيحيّين. (راجع الفصل الخاص "بمقام النبيّ عمران"). وعلى كل حال، فأقارب يسوع وأبواه نزحوا من قانا الجليل - وهي أرض لبنانية- وأقاموا في منطقة بيت لحم الجليل والكرمل- وهي أرض لبنانية أيضاً. إنهم نزحوا من منطقة لبنانية الى منطقة لبنانية أخرى: لقد كانوا وبقوا في أرض لبنان! (راجع الخرائط المنشورة في هذا الكتاب). ولقد أصبح من المؤكد، في أيامنا هذه، أن 4 أو 5 من تلاميذ المسيح كانوا من قانا الجليل اللبنانية وجوارها... وأن أقارب يوسف ومريم - وبالتالي أقرباء يسوع المدعوّين "إخوة الربّ"، أو الأقرباء الادنين لأمه او لأبيه - كانوا من قانا الجليل اللبنانية أو من منطقتها. ولا عجب، فإن آباء وأجداد يوسف ومريم-وبالتالي آباء وأجداد يسوع المسيح جميعهم - هم من قانا الجليل اللبنانية. وهذا ما سوف نثبته بالتفصيل وبالبراهين الحسّية فيما يلي، في الفصل الخاص "بمقام النبيّ عمران"، هذا المقام الموجود الى اليوم، في جوار قانا، والذي يحوي رفات وأضرحة آباء وأجداد يوسف ومريم ويسوع. ومن له عينان مبصرتان فليذهب ويرَ ويلمس!

مراجع الفصل

المراجع العربية-

<u>العهد القديم:</u>

-سفرالملوك الثاني 17: 5-6؛ 24-34 (مع الحواشي والشروحات في النسخة الكاثوليكية الجديدة-اليسوعية- ص 707-709)

<u>العهد الجديد:</u>

-إنجيل متى 1: 1-17؛ 2: 21-23
4: 12-17
12: 46-50
13: 1-2؛ 53-58
-إنجيل مرقس 1: 14-15
3: 31-35؛ 4: 1
6: 1-6
-إنجيل لوقا 1: 26-27
3: 23-38؛ 4: 16-30
4: 14-15
8: 19-21
-إنجيل يوحنا 4: 43-53
6: 41-42

-"النسخة الجديدة"، ص 76، 142- 143، 203- 204، 300- 301، مع الحواشي والشروحات...

-قاموس الكتاب المقدس، ص 934-935.

-الأب برنابا مؤرخ الناصرة الاول -جديد الأرض المقدسة"، نقله القس أسعد منصور: راجع المصدر التالي:

-القس أسعد منصور "تاريخ الناصرة من أقدم أزمانها الى أيامنا الحاضرة"، مطبعة الهلال، مصر، 1924، الباب الثالث، الفصل الثاني، ص 137، والحاشية رقم 1.

-الأب يعقوب تيريني اليسوعي "تحفة الجيل في تفسير الأناجيل" -بشارة يوحنا- الفصل الخامس عشر، ص 716-717 (وفيه اقوال من آباء الكنيسة الأولين...)

-مخطوطات إجرتون: بردى (بابيروس) إجرتون: الفقرة الأولى.

-ندرة اليازجي "ردّ على التوراة"، دار الغربال، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، 1974.
-الدكتور أسد رستم، مؤرخ الكرسي الانطاكي "مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران"، طبعة ثانية منقّحة ومفهرسة، بيروت، لبنان، 1990.
-يوسف الحوراني "لبنان في قيم تاريخه-العهد الفينيقي"، ص 85، 88، 136، 204- 205، 215- 217، 228- 229، 262.
-فراس السواح "لغز عشتار-الألوهة المؤنثة وأصل الدين والاسطورة"، ص 55- 56.

مراجع الفصل

المراجع الأجنبية-

-Protévangile de Jacques:
1.2; 3.1; 7.1.2; 8.1-3; 9.1-3; 10.1; 11.1-3; 12.1 (cf. France Quéré "Evangiles apocryphes", Ed. Du Seuil, 1983, pp. 69-78 et Notes)

-Histoire de Joseph le Charpentier:
2 (cf. "France Quéré", Evang. Apocry. Pp. 97-98)

-Evangile du Pseudo-Matthieu:
Chapitres IV, V, VI
(cf. F. Amiot, "Evangiles Apocryphes", Librairie Arthème Fayad, Paris 1952, pp. 65-68)

-Dorothée Kœchlin de Bizemont, "L'Univers d'Edgar Cayce", Tome I, pp. 320-325

-Dr. H. Spencer Lewis, "La vie mystique de Jésus", Chapitre III, pp. 45-61, 83-105

-Ernest Renan, "Vie de Jésus", Tome 1, Chap. 4, p. 50

-Charles Guignebert, "Jésus", Collection l'Evolution de l'Humanité, Ed. Albin Michel, 1969, Chap. III, pp. 87-93

-Jacques Duquesne, "Jésus", pp. 54-56

-Pierre-Antoine Bernheine "Jacques, frère de Jésus", Editions Noêsis, Paris, 1996, pp. 54-60, 280.

-Shay J.D. Cohen, "From the Maccabees to the Mishnah", Westminster Press, 1987, pp. 120-123.

-John Meier, "A Marginal Jew", New York, Double-day, Vol. 1, pp. 271-278.

-Elias J. Bikerman, "The Jews in the Greek Age", Cambridge, Harvard University Press, 1988, pp. 250-255

-Eusèbe de Césarée Histoire Ecclésiastique 2.23; 5-7 (Eusèbe cite aussi Hégésippe l'un des premiers historiens chrétiens).

-Helena P. Blavatsky, “La Clef de la Théosophie”, (Traduction française), nouvelle édition, éditions Adyar, Paris, 1993, section I, pp. 3 avec la note N̊ 3;7.

-Alexander Wilder, “La Philosophie Eclectique”, (Traduction française), texte publié dans “New Platonism and Alchemy”, Albany, N.Y., Weed, Parsons and Company, 1869, p. 37.

الفصل الرابع

مَدِيْنَتَا بيت لحم في التاريخ والجغرافية

-أولاً- بيت لحم "اللبنانية" في التاريخ المدنيّ-القديم والحديث

إن أقدم وأهم المراجع التاريخيّة عن بيت لحم "الكنعانيّة-الفينيقيّة-اللبنانيّة" هي وثائق أو "رسائل تلّ العمارنة" الشهيرة في مصر. "والعمارنة" في الأصل اسم قبيلة مصرية. "وتلّ العمارنة" هو المكان الذي استقرّت فيه هذه القبيلة فترة من الزمن. ونظراً لقيمة هذه الوثائق البالغة الاهمية في تاريخ مصر وبلاد الشرق الادنى القديم، لا بد من كلمة ولو مختصرة عن هذه الرسائل-الوثائق.

في المكان الذي سمّي فيما بعد "تلّ العمارنة"، كان أمينوفيس الرابع أخيناتون -وهو من أوائل روّاد "الوحدانية" في التاريخ- قد بنى، بالقرب من هيليوبوليس، عاصمتَهُ الشهيرة "أخيناتون" حوالي سنة 1370 ق.م. وبين 1887 و 1893، قام عالم الآثار الانكليزي السر "فلندرز بترى" بحفريّات هامة في تلك المنطقة. ومن أبرز اكتشافاته أكثر من 358 لوحة من الآجر هي كناية عن رسائل مع أجوبتها كان قد أرسلها فرعون مصر أمينوفيس الثالث والفرعون أمينوفيس الرابع أخيناتون الى ملوك كنعان-فينيقية الموالين لمصر. والرسائل مع أجوبتها مكتوبة بالخط المسماريّ وباللغة الاكاديّة، اللغة الدبلوماسية في ذلك العهد، في الشرق الادنى القديم.

وفي هذه الوثائق المخطوطة معلومات هامة جداً عن أحوال الشرق في القرن الرابع عشر ق.م. إذ إن عصر هذه "الرسائل" يمتد بين سنة 1400 وسنة 1360 ق.م. وهي اليوم تعتبر أهم الوثائق التاريخية عن هذا العصر. ومن جملة هذه الرسائل، رسائل عديدة أرسلها ملوك كنعان وفينيقية، يطلبون فيها النجدة من أخيناتون لصدّ عدوان الحثيّين الآتين من الشمال... وفي هذه الرسائل بالذات يذكر ملوك كنعان، اكثر من مرّة، المدن الكنعانية المهدّدة بالاجتياح من قبل الحثيّين. ومن جملة هذه المدن: مدينة بيت لحم الكنعانية -الفينيقية التي تقع- كما يحدّدون هم- بالقرب من مدينة "مجدّو" الشهيرة. ونحن نقرأ في النص رقم 190 من "رسائل تل العمارنة"، وهو عبارة عن احدى الرسائل التي بعثها "عبدي هبة" ملك أورشليم الكنعانيّ الى الفرعون أخيناتون، نقرأ ما يلي:

"الى الملك مولاي. هكذا يقول خادمك "عبدي هبة". أنظر الى ما فعله "ملك-إيلو" وشوار داتا" بأراضي الملك مولاي. لقد دفعوا بقوات من "جازر" ومن "جَتّْ" ومن كيله. أخذوا أراضي "روبوتو". وأراضي الملك سُلّمت الى شعب "العابيرو". حتى مدينة "بيت لحم" قد أعطيت الى "كيلة". فَلْيُصْغِ مليكي الى خادمه "عبدي هبة" ويرسل قوات تعيد الأراضي الملكيّة الى الملك. وإذا لم تصل القوّات فإن أراضي الملك ستغدو للعابيرو..."

في هذا النص، كما في اي نصّ تاريخي قديم آخر، هناك مواقع لم يتم التعرّف عليها الى اليوم، وأخرى مرجّحة، وثالثة ثابتة بالدليل الأركيولوجي القاطع. فموقع

"كيلة" مشكوك بأمره. "وروبوتو" يرجّح كثيراً أن تكون في مكان ما جنوب غربي "مجدّو" المدينة التاريخية الاثرية الشهيرة. أما "جازر" فمدينة كنعانية هامة تقع على المنحدرات الغربية للسلسلة المركزيّة في فلسطين، بدأ التنقيب في موقعها منذ مطلع القرن الحالي، وتمّ التعرّف عليها خلال الحملات المتتابعة باجماع كلّ علماء الآثار. أما مدينة بيت لحم الكنعانية فتقع -بحسب نصّ "رسائل تلّ العمارنة"- بالقرب من مجدو الى الشمال. "فمجدّو" تقع في المنحدرات الشرقية-الجنوبية لجبل الكرمل، وبيت لحم تقع في المنحدرات الشمالية- الشرقية لجبل الكرمل نفسه؛ فهي اذاً في شمال فلسطين وليس في جنوبها كما هي بيت لحم المعروفة اليوم في اليهودية او أرض يهوذا في جنوب فلسطين... (انظر الخرائط المنشورة في هذا الكتاب-مدينة مجدّو الشهيرة، تل المتسلّم حديثاً، تقع بالقرب من الكرمل، في شمال فلسطين لا في جنوبها. وبيت لحم الكنعانية اللبنانية تقع بالقرب من مجدّو الى الشمال).

وما نودّ أن نركّز عليه هنا، هو أن "رسائل تلّ العمارنة" -وبالتالي ذكر مدينة بيت لحم الكنعانية-الفينيقية- قد سبق مجيء الفلسطينيين واليهود الى فلسطين (جنوب أرض كنعان) بمئات من السنين! وبالتالي فان مدينة بيت لحم المعروفة اليوم، والتي تقع في جنوب فلسطين وعلى مسافة عشرة كيلومترات الى الجنوب من اورشليم، لم تكن قد أنشئت بعد؛ فهي قد أنشئت في وقت لاحق (القرن الثالث قبل الميلاد؟) (انظر في مراجع هذا الفصل: و.ف. ألبرايت "الرسائل الاكادية" ص 439، 489؛ اللاروس "الانسيكلوبيدي"، الجزء الاول، ص 189، العمود الثاني؛ فراس السواح "الحدث التوراثي والشرق الادنى القديم"، صفحة 57، والحاشيتين رقم 30 و 31؛ "ورسائل تلّ العمارنة"، النص EA- N 190).

وفي دراسة آركيولوجيّة حديثة العهد جداً (1997)، أجرت عالمة الآثار المعاصرة كاترين فيل-روشان تنقيبات أثرية في مدينة بيت لحم اليهودية، المعروفة اليوم، أكّدت في نهايتها ان أقدم أثر في هذه المدينة يعود الى العهد الروماني! وليس الى ما قبل هذا العهد. والمعروف ان العهد الروماني بدأ في فلسطين على ايام القائد الروماني بومباي عام 63 ق.م. راجع دراستها المنشورة في :

“Maisons de Bethléem” par R. Rivault, S. Santelli et C.W- Rochant; Maison neuve et Larose, Institut du monde Arabe, Paris, 1997, p.p. 7-13; avec Figures, Photos et Cartes.

وتؤكد الدراسات العلمية الحديثة أن "بيت لحم" المدينة القديمة، المذكورة بوضوح في "رسائل تلّ العمارة"، ليست هي بيت لحم يهوذا، جنوبي اورشليم، المعروفة اليوم، بل هي في الحقيقة، كما قلنا وكرّرنا اكثر من مرّة، "بيت لحم" في الجليل، في السفوح الشمالية الشرقية لجبل الكرمل... (راجع على سبيل المثال:

هـ. كازيلّ، الاستاذ في المعهد الكاثوليكي في باريس، في مجلة "عالم البيبليا" - مجلّة آركيولوجية، فنية، تاريخية- العدد الممتاز الخاصّ بمدينة "بيت لحم"، أوكتبر، 1983، ص 24-بالفرنسية).

وهكذا يتبيّن بوضوح أن بيت لحم الجليل، في شمال فلسطين، هي مدينة كنعانية-فينيقية كانت موجودة كمدينة قبل زمن "رسائل تل العمارنة" أي قبل القرن الرابع عشر قبل الميلاد. أما زمن تأسيسها فَغَيْرُ محدّد تماماً حتى اليوم، ولكنه يعود الى العهدد الكنعاني القديم. ويرتبط اسم "بيت لحم"، الكنعاني الأصل، بالبعل وادونيس إله الزراعة والخصب، كما ذكرنا سابقاً؛ وفيما بعد بإله (أو مقام) الخبز في العهد الآرامي-السرياني.

في القرن الثالث عشر ق.م.، ذكر هذه المدينة، على انها مدينة كنعانية "مع قراها"، يشوع بن نون نفسه، خليفة موسى. وقد حدّد موقعها بالضبط جغرافياً، في سبط زبولون، في السفوح الشمالية-الشرقية لجبل الكرمل. وكان سَفر التكوين قد ذكرها على انها "أفراته" اي "المثمرة" أو الكثيرة الثمار، والخصبة. ومعروف أن جبل الكرمل والمنطقة المحيطة به كانت تسمى قديماً "المثمرة" والكثيرة الثمار: "أفراتة". وبعد التكوين ويشوع ورد ذكر بيت لحم هذه في بعض أسفار العهد القديم.

في العهد الجديد هدمت بيت لحم الجليل وعمّرت اكثر من مرّة، بفعل تقلّبات الزمان والزلازل والحروب. في أيام المسيح كانت معروفة تماماً، ولكنها كانت في "جليل الأمم"... وفي جليل الاسفل بالتحديد. ولو لم تكن معروفة لما حذف نسّاخ متى (2: 6) عبارة "أفراتة" المأخوذة من ميخا (5: 1)، واستبدلوها بعبارة "أرض يهوذا" غير الموجودة في النص الاصلي للكتاب المقدس، كما يقول بالحرف الواحد المفسّر اكاثوليكيّ الشهير شارل بيرو في كتابه "أحداث طفولة يسوع"، بالفرنسية، ص 31! (راجع ايضاً سَفر يشوع 19: 15). وهكذا تَمَّ حذف عبارة "أفراته" الملازمة دوماً والتي هي بمثابة مرادف لبيت لحم الجليل، كي يظهر أن المسيح، رغم كل القرائن التاريخية والجغرافية المعاكسة، ولد في بيت لحم اليهودية، بالقرب من أورشليم...! وهكذا بعد كتابة إنجيلي متى ولوقا، نسي التاريخ بيت لحم الاصلية الحقيقيّة في الجليل، وركّز على بيت لحم اليهودية الحديثة العهد. وذلك لان بيت لحم اليهودية قريبة جداً من أورشليم وهي في أرض يهوذا..." اما بيت لحم الجليل فهي بعيدة جداً عن أورشليم وهي في "أرض الأمم" و..."الوثنيين"-"أَلغُويْمْ": غير اليهود؛ ومن غير المعقول، بنظر اليهود والمسيحيّين المتهوّدين الذين كتبوا ونسخوا الاناجيل في القرون الاولى للمسيحيّة، من غير المعقول اذاً ان يولد المسيح بين "الامم الوثنية"... بل عليه ان يولد حيث يريدون هم، وهم الذين يحدّدون بالضبط مكان ولادته... وهكذا حصل تماماً. فقد تسلّم المسيحيّون هذه الامور كما نقلت اليهم منذ البداية حتى اليوم. والذي كرّس بشكل نهائي، وعلى الأرض، كون بيت

لحم اليهودية هي مسقط رأس المسيح، هو أن الملك قسطنطين الكبير وأمه هيلانة قد شيّدا, فوق مغارة في بيت لحم اليهودية، كنيسة كبيرة، حوالي سَنة 325، كما قيل لهما من قبل المسيحيّين المُتَهَوِّدِين المتواجدين رسمياً على الارض؛ ونسي التاريخ المسيحيّ تماماً، منذ ذلك الوقت، بيت لحم الحقيقية حيث ولد المسيح، في الجليل، لانها عادت واصبحت من جديد في أرض "الامم" الوثنية...!

إن مدينة بيت لحم الشمال في "جليل الامم"، والتي ولد فيها برأينا يسوع المسيح بحسب النصوص الاصلية غير المحوّرة لتنبؤات الانبياء، هذه المدينة كانت دوماً وأبداً مدينة كنعانية-فينيقية-لبنانية، منذ فجر التاريخ البشري حتى نهاية العهد العثماني والحرب العالمية الاولى (1914-1918)! وبالتالي كانت داخل أراضي فينيقية-لبنان، تحديداً، عندما ولد فيها السيّد المسيح. فالتاريخ والجغرافية تثبتان ذلك بشكل واضح وصريح، واسمها منذ البداية يدلّ على ذلك. "فرسائل تلّ العمارنة"، وهي أهم الوثائق عن الشرق الادنى القديم في القرن الرابع عشر قبل المسيح، تقول ذلك بصراحة، ثم جغرافية يشوع في الربع الاول من القرن الثالث عشر قبل المسيح، ومن بعده أهم اسفار العهد القديم. وفي ايام المسيح كانت مدينة من مدن "الأمم" أي "الوثنيين" وكانت تدعى، كما دعيت دوماً، منذ التكوين، بيت لحم "أفراتة"، والبرهان القاطع على كونها كانت موجودة في زمن الميلاد، هو ان متى قد اضطر لحذف عبارة "أفراتة"، لئلا يظن الناس انه ولد فيها (متى 2: 6) واستبدلها بعبارة "أرض يهوذا" وهي اختلاق وإضافة (وهناك اليوم إجماع تام حول هذا الموضوع). وبعد هذا التحوير الجغرافي المقصود، غابت بيت لحم "الأمم"، في الشمال، عن مسرح الاحداث، وظهرت بقوة بيت لحم اليهودية في الجنوب قرب أورشليم، وكأنها، ياللغرابة، بيت لحم الوحيدة في التاريخ المسيحيّ منذ ولادة المسيح حتى يومنا هذا!! انه، في الحقيقة، أمر غريب جداً يثير أعلى درجات التساؤل والدهشة والعجب... كيف غاب، يا ترى، عن بال المسيحيّين طوال ألفي سَنة وجود مدينة بيت لحم "الأمم"، في الشمال، وهي مدينة عريقة جداً في التاريخ، وقد ذكرتها بوضوح أهم الوثائق التاريخية والجغرافية، وأسفار الكتاب المقدس نفسه، وذلك بشكل واضح وصريح ومحدّد؟!

وفي القرون المسيحيّة الاولى، وحتى القرن الثامن للميلاد، ظلّت بيت لحم الشمال منسيّة من التاريخ لان بيت لحم الجنوب قد استقطبت كل الانظار والاهتمامات. ماذا حلّ ببيت لحم الشمال، يا ترى، طوال هذه الفترة المتقلّبة من التاريخ؟ هل خربت ومتى؟ وهل اعيد بناؤها ومتى؟ لا أجوبة تاريخية واضحة عن هذه التساؤلات، على ما نعلم، حتى اليوم. هناك آراء وظنون عديدة ومتباينة. منهم من يقول إنها بقيت قائمة حتى القرن الثامن. ومنهم من يقول انها خربت عند استشهاد أطفال بيت لحم، "عندما ارسل الملك هيرودس فقتل كل طفل في بيت لحم وجميع

أراضيها من ابن سنتين فما دون، بحسب الوقت الذي تحققه من المجوس..." (متى 2: 16)، هذا في حال حصلت الولادة في بيت لحم الشمال، وتمّ استشهاد الاطفال فيها؛ ومن ثم هرب سكانها وتوزّعوا على المدن والقرى المجاورة، وبعد فترة من الزمن -في القرن الثاني للميلاد- سكن قسم منهم في الناصرة. ومنهم أخيراً من يقول انها خربت في القرن الاول للميلاد ثم اعيد بناؤها في أواسط القرن الرابع ايام قسطنطين الكبير الخ...

يذكر التاريخ أن بيت لحم الجليل قد هجرها أهلها وأصبحت خراباً، حوالي سَنة 775، ايام الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، حيث سافر مسيحيو الجليل الى قبرص... وبقيت خراباً الى بداية العهد الصليبي حيث سَكنها المسيحيّون من جديد. ثم خربت مرّة اخرى على يد جنكيزخان التتري المغولي عام 1242 ("تاريخ الناصرة"، ص 42-44).

في بداية العهد العثماني، حوالي سَنة 1620، عمّرت بيت لحم الجليل على يد الامير اللبناني فخر الدين المعنيّ الثاني الكبير، وأصبحت، من ضمن منطقة صفد المركزية، تابعة لامارة لبنان الكبير طيلة ايام فخر الدين الكبير. وكانت صفد والناصرة وبيت لحم الجليل تابعة للواء عكا وصيدا في ولاية بيروت. في القرن الثامن عشر، أصبحت الناصرة والقرى المحيطة بها ومنها بيت لحم، تحت سيطرة القبيلة العربية: قبيلة ظاهر العمر، وذلك حتى حكم ابراهيم باشا سَنة 1831. وفي سَنة 1826 كان السلطان محمود قد أقطع الرهبان الفرنسيسكان الناصرة وقراها، ومنها بيت لحم، يؤدون خراجها للدولة. وفي هذا الصدد، يقول يعقوب فرح مؤرخ الناصرة، في كتابه "تاريخ الناصرة": "وفي تلك الايام ضمن الرهبان وترجمانهم يوسف الجريس شمّا يمّين، ضمن الناصرة وقراها (ومنها بيت لحم)، وأصبحوا حكّاماً فيها، فكبرت بهذه الواسطة طائفتهم ولا تزال تنمو الى يومنا هذا، واخذ الدير يزداد بالبنا والتمليك من حوانيت ودكاكين وبساتين وأراضي وحواكير ولوكندات وخلافه، وصاروا في هذه البلاد ليس رهباناً فقط بل حكاماً أيضاً. وتبلغ طائفتهم 750 نسمة..." (راجع "تاريخ الناصرة" للقس أسعد منصور، ص 65، حيث يذكر كلام يعقوب فرح في كتابه "تاريخ الناصرة"، المخطوط والموضوع سَنة 1857، وتوجد نسخة منه عند حفيده قدس الأب الخوري صالح فرح).

عرفت بيت لحم الجليل والمناطق المحيطة بها زلزالين قويين تركا آثاراً مدمّرة، وذلك في عام 1759 وعام 1837، وقد تلى ذلك الطاعون والجراد، فمات العديد من الناس وهجر البعض الآخر...

"وفي أواسط القرن التاسع عشر كانت أراضي الناصرة والقرى المحيطة بها تبلغ مائة فدان رومي (والفدان الرومي عبارة عن 160 دونماً، والدونم كلمة تركية وهو عبارة عن 1600 ذراع مربع): للمسلمين 33 وللروم 33 وللاّتين والموارنة 24

وللكاثوليك 10، تبعاً لجداول القنصل الانكليزي م. روجرز عام 1854... وفي عام 1869، باعت الحكومة، حكومة راشد باشا مشير إيالة صيدا التابعة لولاية بيروت، باعت الصفقة الأولى كل أرض الناصرة وبعض القرى المحيطة بها كما يأتي: ً1-أرض الناصرة السهل والوعر ً2-جنيجار ً3-العفولة ً4-الفولة ً5-جباتا ً6-خنفيس ً7-تلّ الشمّام ً8-تلّ نور ً9-معلول ً10-سمونة ً11-كفرتا ً12-جيرا ً13-بيت لحم ً14-أم العمر ً15-طبعون ً16-قصقص ً17-الشيخ بريك. منها 19 قيراطاً لحبيب بسترس ونقولا سَرسَق و 1/2 3 للتويني و1/2 1 لمتى فرح، وكلّهم من تجّار وأغنياء بيروت! ثم اشترى سَرسَق حصة بسترس وبعض حصص أخرى حتى أصبح معظم الملك له. وسَنة 1872 باعت الحكومة قرى أخرى، في الضفة الثانية، وهي: ً1-المجدل ً2-الهريج ً3-الحارثية ً4-الباجور ً5-الخريبة تابعة الباجور. منها 18 قيراطاً لسَرسَق و4 قراريط لسليم الخوري اللبناني... وقال لورنس أوليفانت في كتابه "أرض جلعاد" ان البيع جرى عام 1872، والارجح أنه يجمع الصفقتين في تاريخ واحد. وقال بهذا الصدد ما ترجمته: "ملك الخواجا نقولا سَرسَق صاحب بنك في بيروت نحو سبعين ميل مربّع من أفضل أراضي فلسطين قيل لي أنه دفع ثمنها 18000 ليرة عثمانية... فالخواجا سَرسَق يملك الآن عشرين قرية عدد سكّانها 4000 نسمة. وقيل لي إن دخله السنوي منها يبلغ30000 ليرة إنكليزيّة... وقد جرى البيع في أيام راشد باشا والي إيالة صيدا التابعة لولاية بيروت..." (راجع تاريخ الناصرة-من أقدم أزمانها الى ايامنا الحاضرة (1924)، للقس أسعد منصور، ص 286-288 مع الحواشي).

"وفي عام 1906، فُصل قضاء الناصرة عن ولاية عكا وصيدا وألحق بولاية القدس، وكانت أراضي الناصرة، ومنها بيت لحم، لا تزال ملكاً لعائلة سَرسَق البيروتية اللبنانية. غير أن هذا الإلحاق الغريب أثار دهشة كبيرة لانه الحاق مُفتعل وغير طبيعي. ففضلاً عن صلة قضاء الناصرة بلواء عكا، من الناحية الطبيعية الجغرافية، فإن هذا الالحاق بالقدس يتجاوز لواء نابلس الذي هو بين لواء القدس ولواء عكا وصيدا. ومن الظنون التي حامت حول هذا العمل الغريب أن في ذلك يداً صهيونية بغية امتلاك بعض قرى سَرسَق... فان الشغل في القدس أسهل عليهم (الصهيونيون) مما هو في عكا وبيروت... وعبثاً حاول الناصريون طلب ارجاعه (قضاء الناصرة)، حتى جاء الانقلاب العثماني فأرجع سَنة 1909..."! (راجع كتاب "تاريخ الناصرة- من أقدم أزمانها الى أيامنا الحاضرة"، ص 102). وفي هذه الفترة، حاول الرهبان الفرنسيسكان ان يوسّعوا أملاك أديرتهم في أراضي الناصرة والقرى المجاورة. "غير أن الصهيونيّين استأجروا، سَنة 1913، أراضي الناصرة من الخواجه سَرسَق استئجاراً هو مقدّمة البيع... وخوفاً من أن يُعدّ هذا الجبل ("جبل القفزة" الملاصق للناصرة) داخلاً في البيع أعطى بعض الأهالي للرهبان مضبطة بأن الجبل المذكور ملكهم مع جزء من المرج عند أسفله... وفي أوائل سَنة 1914، نزل الرهبان

أنفسهم ومعهم فعلة ووضعوا حدوداً من الجنوب لهذه الأرض. ولا تزال الدعوى قائمة بينهم وبين صاحب الأرض (الخواجه سَرسَق) الى يومنا هذا (1924)..." ("تاريخ الناصرة"، ص 146).

وقعت الحرب العالمية الأولى (1914-1918)، وبيت لحم الجليل، في جوار الناصرة، قرية خربة ومهجورة بفعل الزلزال القوي الذي ضرب منطقة الجليل، عام 1837، كما ذكرنا سابقاً. "ومن بداية الحرب الى عام 1924، اصبحت بيت لحم "شبه مستعمرة المانية": فقد سكنها "الهيكليّون" الألمان، وهم ينتمون الى جمعية مسيحية سرّية عالمية شهيرة في التاريخ...!! (راجع أ. كوندر "بنت يورك في فلسطين"، بالانكليزية، ص 301- والقس أسعد منصور "تاريخ الناصرة..."، ص 191، 262-263). بعد نهاية الحرب كانت بيت لحم تحت الانتداب الانكليزي (1918-1948). وفور إعلان الهدنة، قسمت الحكومة البريطانية بلاد فلسطين الى خمسة الوية، اثنين في الجنوب: لواء القدس وسمّته لواء اليهودية ومركزه القدس، ولواء يافا ومركزه يافا، ولواء الوسط سمّي لواء السامرة ومركزه نابلس، واثنين في الشمال: لواء فينيقيا على الساحل ومركزه حيفا، ولواء الجليل في الداخل ومركزه الناصرة. ثم نقل المركز الى طبريا، على ضفاف البحيرة، ثم اعيد الى الناصرة عام 1919. وفي سنة 1922، ألغي لواء الجليل ودعي مع لواء فينيقيا اللواء الشمالي ومركزه حيفا وصارت الناصرة مركز قضاء.

وفي سنة 1924، ترك "الهيكليّون" بيت لحم، فعادت قرية مهجورة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية. وخلال هذه الفترات كانت بيت لحم تابعة مع اراضيها لقضاء الناصرة، هذه المدينة التي عرفت، من جديد، نمواً وعمراناً بعد الحرب العالمية الأولى. وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية، أخذت بيت لحم تعمر بالسكان شيئاً فشيئاً. وفي سنة 1948، عند قيام دولة اسرائيل، دخل الجليل وفيه الناصرة وبيت لحم، تحت السَيطرة اليهودية. وفي أوائل التسعينات عرفت بيت لحم نمواً جديداً، وهي اليوم قرية كبيرة عامرة وظاهرة للعيان! (راجع جميع الخرائط الحالية لدولة اسرائيل وبجميع اللغات). أمّا لماذا رمّمت وعمّرت من جديد بيت لحم هذه، الاولى والاصلية، الكنعانية واللبنانية الأصل، والتي ولد فيها السيّد المسيح، كما نؤكد نحن، ولماذا عادت الى الوجود والظهور، في هذا الوقت بالذات؟ فأمر يعود الى أسرار التاريخ البشري، والعناية الالهية، والله أعلم! وقد يكون انبعاث بيت لحم الحقيقية، في هذا الوقت بالذات الذي يحتفل به العالم بذكرى السَنة الألفين لولادة السيّد المسيح "في بيت لحم"...، قد يكون هذا الانبعاث، من تحت تراب الطمس والنسيان والجهل والخوف كما كان بالنسبة الى سابقتها قانا الجليل اللبنانية، إشارة ورمزاً ودلالة على أنها هي بيت لحم الحقيقية، لان عصرنا اليوم أصبح، كما هو ظاهر تماماً للعيان، عصر الحقائق الساطعة والصارخة والصاعقة...

وهكذا عرفت بيت لحم، كأرض كنعان التي تنتمي اليها، أحوال الأزمنة وتقلبات الأيام. في الأصل هي مدينة كنعانية-فينيقية-لبنانية قديمة العهد جداً. وقد ظلّت دوماً هكذا، واسمها يدل عليها -لغةً- حتى قيام الساعة. ثم عرفت غزوات واحتلالات وعهوداً كثيرة، كالأرض التي تنتمي اليها: من اسرائيلية أولاً ثم أشورية وكلدانية وفارسية ويونانية ورومانية وعثمانية وصهيونية (اليوم)... ولم تكن يهودية ولا يوماً من الايام على الاطلاق!

-ثانياً- بيت لحم اليهوديّة في التاريخ المدنيّ- القديم والحديث:

إن تاريخ إنشاء مدينة بيت لحم، المعروفة اليوم، الى الجنوب من أورشليم، غير معروف حتى اليوم، لا في كتب التاريخ ولا في اسفار الكتاب المقدس نفسَه. هناك آراء متعدّدة ومختلفة حول هذا الموضوع. منهم من يظن أنها بنيت بعد الرجوع من سبي بابل، على ايام عزرا ونحميا في النصف الثاني من القرن الخامس ق.م. "فبنو بيت لحم"، بحسب عزرا، "ورجال بيت لحم" بحسب نحميا (والاثنان يقصدان بيت لحم الشمال لان بيت لحم الجنوب لم تكن موجودة، ولان جميع يهود الجليل والسامرة واليهودية عادوا، عند الرجوع من السَبي، الى اليهودية وحدها...)، رجال أو بنو بيت لحم اذاً عادوا الى اليهودية، ولما لم يجدوا مدينة يسكنون فيها، أنشأوا مدينة بيت لحم المعروفة اليوم بجانب تلّة الى الجنوب من أورشليم عليها حصن قديم صغير مندثر يدعى حصن بيت لحم. ولم يكن هناك اي بناء غير هذا الحصن الصغير في كل تلك المنطقة. (راجع سَفر عزرا، الفصل الثاني، وسَفر نحميا، الفصلين السابع والحادي عشر). والبعض الآخر يقول أن بيت لحم اليهودية ترجع الى عهد الثورة المكابية (167 ق.م. – 143ق.م.). وذلك عندما أجلى سمعان المكابي، بواسطة أخيه يهوذا، يهود الجليل، وأسكنهم في أورشليم وجوارها، لانهم كانوا على خلاف شديد مع "الأمم". ومن جملة يهود الجليل هؤلاء، بعض سكان مدينة بيت لحم "جليل الأمم"، الذين بنوا بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم (راجع سَفر المكابيّين الأول، المدخل-والفصل الثالث عشر، النسخة الجديدة، ص 948 مع الحواشي والشروحات). وهناك ايضاً من يقول إن بيت لحم المعروفة اليوم قد أنشئت في الزمن الذي سبق مباشرة النسخة السبعينية (اليونانية) للعهد القديم، في الاسكندرية، على عهد بطليموس الثاني وبأمره (285 ق.م.-246 ق.م.). وذلك لان هذه النسخة هي التي ذكرت، لاول مرة، اسم بيت لحم "اليهودية". أمّا النسخ القديمة التي سبقت النسخة السبعينية فلم تذكر بيت لحم اليهودية...! (راجع سفر يشوع، المدخل، ص 418، والفصول 12: 7-24: 15: 59-60 والحاشية رقم 8؛ 19: 10-16؛ النسخة الجديدة، الجدول التاريخي ص 22). وهناك أخيراً مجموعة من علماء الآثار اليوم يرجعون تاريخ انشاء مدينة بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم الى بداية العصر الروماني!! (القرن الأول ق.م.) (راجع كتاب "بيوت بيت لحم"، بالفرنسية، للعلماء فيليب ريفو، سيرج سانتلّلي وكاترين ويل-روشان، منشورات ميزونوف ولاروز، معهد العالم العربي، 1997، ص 7-12 مع الرسوم والصور والخرائط). نعرض فيما يلي جدولاً تاريخياً ببيت لحم "اليهودية" المعروفة اليوم، وبأهم الأحداث التي حصلت فيها، منذ الميلاد الى يومنا هذا:

37-4 ق.م. هيرودس الكبير، ابن انتيباطر، يستولي على أورشليم ويملك على فلسطين. وكانت هذه في أيامه موحّدة وتحت الانتداب الروماني. كان هيرودس هذا أدوميّ الأصل. والأدوميون كانوا قد رضخوا للمذهب اليهودي بالقوة منذ سَنة 125 ق.م.

20-19 ق.م. بدء اعادة بناء هيكل أورشليم على يد الملك هيرودس الكبير، الآنف الذكر.

في حوالي 7-6 (؟) قبل تأريخنا الراهن: ميلاد يسوع المسيح!

في 4 ق.م. موت الملك هيرودس الكبير في مدينة أريحا.

4 ق.م.-6 ب.م. أرخلاوس والي اليهودية والسامرة.

4 ق.م.-39 ب.م. هيرودس أنتيباس، ابن هيرودس الكبير، أمير ربع على الجليل وعلى عبر الاردن. (بعد موت هيرودس الكبير ألغى أوغسطس قيصر النظام الملكي في فلسطين التي قسمت الى عدة ولايات).

6 ب.م. أوغسطس خلع أرخلاوس ونفاه الى فيينا (غاليا).

6 ب.م.-41 ب.م. اليهودية اقليم، عليه والٍ- عاصمتها قيصريّة فلسطين-البحريّة.

70 ب.م. حصار أورشليم، إحراق الهيكل. تشتت اليهود في الشرق والغرب. قسم منهم يقيم في الجليل؛ ومع الوقت يزداد عددهم وتقوى شوكتهم، فيحاولون، بكل الوسائل، استئصال كل أثر أو ذكر للمسيحية في مناطق الجليل... ولقد دامت هذه الهيمنة اليهودية على الجليل حوالي 300 سَنة، حتى قسطنطين الكبير الذي اطلق الحرية للمسيحية... سَنة 313.

الى الآن لا ذكر، على الاطلاق، لبيت لحم اليهودية (أرض يهوذا) في التاريخ المدني للعهد الجديد (خارج الكتاب المقدس). ويظهر انها ظلّت بمنأًى عن أحداث 70 ب.م. ونتائجها. وكانت قرية صغيرة لا أهمية لها. غير أنها في عهد الامبراطور أدريانوس، نالت حصّتها من التدابير الرومانية العنيفة، على اثر الانتفاضة المسلّحة الثانية التي قام بها بركوكبا اليهوديّ ضد السلطة الرومانية الحاكمة، بين سَنة 132 و 135 مسيحية... وبدافع ديني ملفت،، أقام أدريانوس تمثالاً للإله أدونيس فوق مغارة بيت لحم التي ولد فيها المسيح (بحسب كتبة اسفار العهد الجديد...)، وغرس حول التمثال غابة كثيفة لإكرامه. كما أنه أقام فوق الجلجلة وقبر المسيح ومكان القيامة تماثيل لجوبيتر وفينوس... وبما أن اليهود كانوا قد حُرموا من الاقامة في أورشليم وبيت لحم في هذه الفترة التي دامت طويلاً، فان سكان بيت لحم كانوا في غالبيتهم من الوثنيين. وكان الجو متاحاً لهم لاقامة طقوس عبادة الديانات الشرقية القديمة، من جديد، في بيت لحم وجوارها. أما المسيحيون المتهوّدون (المسيحيون الأول من أصل يهوديّ...) فكانوا أقلية تعيش في الخفاء... ولم يكن باستطاعتهم مقاومة الأوامر الامبراطوريّة. وهكذا، في الفترة الممتدّة من سَنة 70 الى سَنة

313، كانت فلسطين تعيش رسمياً في ظل الديانة الوثنية، كسائر أقطار العالم الروماني عهد ذاك...

وفي سَنة 324، زارت الملكية هيلانة والدة قسطنطين الكبير الأراضي المقدسة. وفي السَنة التالية، وبناء لطلب مكاريوس أسقف أورشليم الذي التقى قسطنطين في مجمع نيقية، أعطى هذا الاخير الاوامر ببناء الكنائس في فلسطين. وفي هذه الفترة بنيت كنيسة مسيحية فوق مغارة بيت لحم يهوذا. ومنذ ذلك الحين اخذت بيت لحم تصبح تدريجياً موْئلاً للحياة الرهبانية، غربية وشرقية. ومن أبرز الوجوه الرهبانية القديس إيرونيموس، الذي بقي في بيت لحم من سَنة 384 الى سَنة 420، يعيش حياة الزهد والتقشف والتأمل. وفي الوقت عينه كان يحارب البدع التي بدأت تظهر في المسيحية. أمّا العمل الجبار الذي خلّده في تاريخ المسيحية، والذي كلّفه به البابا داماسيوس، فهو مراجعة الترجمات اللاتينية القديمة لاسفار الكتاب المقدس، ووضع ترجمة جديدة انطلاقاً من النصوص العبرانية واليونانية الاصلية. وقد سميت ترجمة ايرونيموس هذه "الفولغاته" اي المُيَسَّرَة أو المبسّطة...

في سَنة 386، وصلت الى بيت لحم الشريفة الرومانية باولا مع ابنتها اسطوخيا، وبدأت بتشييد الاديرة للرهبان والراهبات. وقد تَبِعَتْهَا بعد فترة قصيرة نخبة من النساء الرومانيات الشريفات، واخترن على مثالها الحياة الرهبانية. ولقد خصّصت الشريفة باولا ثروتها الكبيرة لبناء ديرين كبيرين، الاول لايرونيموس وتلاميذه، والثاني لها ولراهباتها، بالاضافة الى تشييد بيت كبير لاستضافة الزوار الذين يقصدون بيت لحم. وفي هذه الفترة اخذت شهرة ايرونيموس تنتشر وتشعّ، إنطلاقاً من بيت لحم، في مجالات الكتاب المقدس والحياة الرهبانية والكتابة الروحيّة. ويجمع المؤرخون على ان كتاب "حياة القديس انطونيوس الكبير"، أب الرهبان، الذي وضعه القديس اتناسيوس سَنة 350، كان له الأثر الكبير في انطلاقة الحياة النسكية والرهبانية في فلسطين أولاً ثم في سائر اقطار المشرق المسيحي...

توفي القديس ايرونيموس سَنة 420، ودفن في احدى مغاور بيت لحم القريبة من مغارة الميلاد...! وخلفه في رئاسة رهبان بيت لحم أوسابيوس الكريموني أحد كبار تلاميذ القديس إيرونيموس. ولكن أوسابيوس توفي بعد سنتين من رئاسته، مما عجّل في اضمحلال الحياة الرهبانية في بيت لحم وجوارها...

في هذه الاثناء انقسمت الامبراطورية الرومانية الى قسمين: الغربية والشرقية (395). وعندما احتلّ رومه فيزيغوط ألاريك (410) قصد المشرق الآف والآف من اللاجئين واستقروا في مدنه وقراه ومنها بيت لحم.

وخلال ثورة السامريّين في منطقة نابلس ضد الحكم البيزنطي، سَنة 529، خرّبت العساكر قرية بيت لحم التي كانت أسوارها مهدّمة لا تشكل أية حماية. بعد سنتين من هذا الاجتياح، وبناء لطلب القديس سابا، موفداً من بطريرك أورشليم،

أرسل الامبراطور يوستنيانوس بعثة عملت على إعادة بناء البازيليك فوق مغارة المهد، بالاضافة الى تشييد الكنائس والاديار واقامة سور حصين يلفّ بيت لحم من كل جهة.

وفي الحرب التي دارت رحاها بين الفرس والبيزنطيين، إحتلت جيوش أحشورش الثاني الفارسي بلاد فلسطين في سنة 614. وقد هلّل اليهود للجيوش الغازية ظنّا منهم بأنها سوف تقضي على المسيحية التي بدأت تترسّخ وتتنامى في المنطقة. أمّا الفرس الذين خرّبوا أورشليم وأعملوا فيها السيف والنار فقد وقفوا أمام بيت لحم متهيبين دون أن يصدر عنهم أي عمل مزعج. وسبب ذلك انهم رأوا في داخل كنيسة المهد فسيفساء كبيرة تمثل سجود المجوس وهم باللباس الفارسي... وهكذا سلمت بيت لحم وحدها من الغزو الفارسي، الذي لم يدم طويلاً في فلسطين. فقد تمكن الأمبراطور البيزنطي هيرقل من طرد الفرس من المشرق واستعادة فلسطين في سنة 629.

وفي سنة 637 وصل الفتح العربي الى أبواب أورشليم. ولاول مرّة منذ ثلاثة قرون متوالية لم تتمكن بيت لحم من الاحتفال بعيد الميلاد. فبعد أن دحر البيزنطيين، احتل الخليفة عمر ابن الخطّاب مدينة أورشليم سَنة 638، واطلق عليها اسماً جديداً: "القدس". ثم دخل بيت لحم وصلّى في كنيسة المهد. وكان له سياسة سمحاء تجاه المسيحيّين بحيث إنه آمن بالتعايش الاخوي بين الاسلام والمسيحية. فقد عقد اتفاقاً مع صفرونيوس بطريرك أورشليم، يُسمَح بموجبه للمسلمين بان يقوموا بتأدية صلاتهم داخل كنيسة المهد في الناحية القبلية-باتجاه مكة، ويحتفظ المسيحيّون بكامل حريتهم في العبادة والصلاة، مع حق الاحتفاظ والاعتناء باماكن العبادة من كنائس وأديرة ومزارت. وقد دامت الحال، على هذا المنوال، سنوات طويلة...

غير أن الفتح العربي أخذ، مع الوقت، يحدث تغييراً جذرياً في بيت لحم، حتى ان الحياة المسيحية اخذت بالذبول وعدد المسيحيين بدأ يتضاءل. فبينما كان هناك ستة أديرة في بيت لحم تعجّ بالرهبان والراهبات عدا الكهنة والنساك والمتوحدين، أيام الامبراطور يوستنيانوس في أواسط القرن السادس، فإن عدد رجال الدين المسيحيين قد تدنى الى 17، ايام "شارلماني" بحسب إحصاء سَنة 808، بين كاهن وراهب ومتوحّد...! ورغم ذلك، ظلّت سياسة الخلفاء الراشدين بعد عمر بن الخطاب، سياسة وفاقية سمحاء مع المسيحيين. غير أن الامور قد تغيرت تماماً، واخذت منحى خطيراً، مع الخليفة الفاطمي، في مصر، الحاكم بأمر الله... ففي سّنة 1010 أمر هذا الخليفة باضطهاد المسيحيين ودكّ كنائسهم وأديرتهم. ووصل به الأمر الى هدم كنيسة القيامة في القدس. وحصل ضيق شديد على جميع مسيحيّي فلسطين. غير أن بيت لحم وحدها قد نجت من هذا الاضطهاد الشديد.

والبعض يعزو هذا الامر الى حصول آيات وعجائب منعته من تدمير بيت لحم، والبعض الآخر يقول بل هي الاموال الطائلة التي كانت تجنيها البلدة من الحجّاج والزوار الآتين من كل اصقاع الأرض. وقد أمر بإرسالها اليه باستمرار...

في سَنة 1099 خرّبت جيوش الاسلام بيت لحم عند اقتراب الصليبيين من أبواب أورشليم. ومخافة أن يطال الخراب كنيسة المهد، كما طال غيرها من الكنائس والاديار، أرسل سكان بيت لحم الى القائد الصليبي "غودفروا ده بويّون"، المتمركز في مدينة عمّاوس، شمال-غربي أورشليم، يطلبون إليه أن يأتي ويحتلّ بلدتهم فيقيها هكذا من الخراب والدمار. فأرسل غودفروا فرقة من مائة خيّال، بقيادة "تانكرير"، لإتمام هذه المهمّة. وهكذا ارتفع علم الصليبيين فوق قبة كنيسة المهد... وفي ليلة الميلاد من سَنة 1100، توّج بطريرك أورشليم في كنيسة المهد، الملك بودوين، كأول ملك صليبي على أورشليم. وهكذا فعل الملك بودوين الثاني سَنة 1119.

وفي الواقع، عرفت بيت لحم، إبّان الحملات الصليبيّة، عهداً جديداً زاهراً من تاريخها. لقد أعيد بناؤها من جديد وأصبحت مدينة محصّنة. وقامت فيها أديار جديدة للرهبان والراهبات، شرقيّين وغربيّين. وبما أن الكنيسة البيزنطية لم تكن تميّز كنيسة المهد عن غيرها من الكنائس، فظلت هكذا بيت لحم رعية صغيرة تابعة لبطريرك أورشليم، عمل الصليبيون على إبراز بيت لحم وكنيسة المهد فيها. فطلب الملك بودوين الاول من البابا باسكال الثاني ان يجعل من بيت لحم مقراً لاسقفية جديدة. غير أن اسقفية بيت لحم لم تدم طويلاً، فقد تحوّلت فيما بعد الى نيابة أسقفيّة.

بين سَنة 1165 وسنة 1169 تعاون الامبراطور البيزنطي مانويل والملك الافرنجي أموري وراوول اسقف بيت لحم على ترميم كنيسة المهد وتجديدها وتزيينها. فقد أزالوا السقف القديم وأبدلوه بخشب من أرز لبنان ورصاص، وفرشوا أرض الكنيسة والجدران بالرخام الفاخر من مدينة "كارّارة" في إيطاليا، وغطّوا السقف والحنيّة الكبرى بالفسيفساء الملوّنة. أمّا سقف مغارة المهد فقد فرشوه بالذهب... وفي هذه الفترة لبست كنيسة المهد ومغارة الميلاد افخر الحلل في تاريخها الطويل...

بعد انتصار صلاح الدين الايّوبيّ على الصليبيّين، في معركة حطّين، سَنة 1187، أصبحت مدينة بيت لحم تحت حكم الايوبيّين، كسائر مدن فلسطين. وفي سنة 1192، وبتوسط "هوبير والتر" أسقف سالزبري وسفير ريكاردوس قلب الأسد، سمحت السلطات الاسلامية لطائفة اللاتين بإقامة الشعائر الدينية في كنيسة المهد، لقاء جزية يدفعها المؤمنون المسيحيّون. ولم تدم الحال هكذا فترة طويلة من الزمن. فقد غاب الحضور المسيحيّ عن بيت لحم مرّة جديدة، من سَنة 1192 الى

سَنة 1229. في هذه السَنة عاد الحضور المسيحي بقوة الى بيت لحم، بفضل معاهدة أبرمت بين الامبراطور فريدريك الثاني وبين سلطان مصر "الملك الكامل"، وتجدّدت بين ملك نافارّ وسلطان دمشق...

في عهد المماليك (1252-1517) عرفت بيت لحم أياماً عصيبة سادها الجور والاضطهاد. ففي سَنة 1266، أمر الملك بيبرس المملوكي بدكّ أسوار بيت لحم وطرد المسيحيين منها. غير أن الاماكن المقدسة ظلَّت تستقبل الحجاج والزوار كالمعتاد، واصبحت وارداتها تذهب الى خزينة الدولة المملوكية.

في هذه الاثناء، ومنذ بداية القرن الثالث عشر، أخذ الرهبان المرسلون الفرنسيسكان يتوافدون تباعاً الى فلسطين بدءاً بمدينة أورشليم. في بادئ الأمر كان هؤلاء الرهبان يؤمّنون الخدمات الروحية والرعاية الانسانية للحملات الصليبية. وبعد زوال الحكم الصليبيّ نهائياً سَنة 1291، عمل الرهبان الفرنسيسكان على البقاء في فلسطين بغية الاهتمام بالاماكن المقدسة فيها. وبين سَنة 1333 وسَنة 1337 تملّكوا الأراضي المبنيّة فيها عليّة صهيون وكنيسة القيامة. وقد فوّضهم البابا اكليمنضوس السادس حراسة جميع الاماكن المقدسة، في رسالة مؤرّخة في 21 تشرين الثاني سَنة 1342. وفي سَنة 1347، استقرّوا نهائياً في بيت لحم، وبدأوا باقامة الشعائر الدينية المسيحية فيها كالمعتاد...

في نهاية القرن الخامس عشر كان هناك بقايا من سور مدينة بيت لحم تحوي برجين كبيرين، واحد في أعلى المدينة والثاني قرب كنيسة المهد. وعندما انتصر السلطان سليم الاول على المماليك وبدأ العهد العثماني، عملت جيوش السلطان على إزالة كل أثر لسور بيت لحم. وفي القرن السادس عشر أصبحت بيت لحم شبه مهجورة. ففي كتاب وضعه سَنة 1586 الرحالة الافرنسي زوالآر، كتب يصف بيت لحم:

"... وبيت لحم اليوم بلدة فقيرة، تتوزع أبنيتها بين أخربة كثيرة وبيوت قليلة حقيرة. سكانها فقراء يتوزعون بين بعض العائلات المحمّدية وبعض العائلات المسيحية الشرقية... وكان فتيان المسيحيين يتهافتون نحو وفود الزوار يعرضون عليهم مسابح وصلباناً من خشب. ولذلك كانوا يحفظون بعض الالفاظ والعبارات من لغات الافرنج... ويبدو ان غالبية السكان قد هجرت بيت لحم..." (Jean Zuallart "Très dévot Voyage de Jérusalem", Anvers 1586).

في بادئ الامر، حاول العثمانيون أن يظهروا تسامحاً دينياً مع غير المسلمين، وأن يركّزوا على الأمور الإدارية والإعمارية. يشار هنا بالمناسبة الى الاسوار التي أقامها السلطان سليمان الاكبر حول أورشليم بين سَنة 1539 وسَنة 1542، والباقية الى يومنا هذا!... غير أنه مع توالي الأيام والسنين أخذت تشتد وطأة الظلم والجور

من قبل ولاة وحكام الاتراك على بلدان المشرق كافة. وقد عرفت بيت لحم خلال العهد العثماني، طوال 400 سَنة، الكثير من التخلّف والجور والظلم. أضف الى ذلك النزاعات الشديدة التي بدأت في القرن السادس عشر، بين الطائفتين اللاتينية واليونانية (الاورثوذكسية) حول حق الرعاية داخل كنيسة المهد ومغارة الميلاد. وكانت هذه النزاعات تتكرّر وتشتدّ حتى تصبح دموية في كثير من الاحيان!...

كان الآباء الفرنسيسكان قد نالوا من السلطان العثماني، منذ 1347، حق الرعاية التامة على كنيسة المهد ومغارة الميلاد. وفي اواخر القرن الرابع عشر سعى الرئيس الأعلى للآباء الفرنسيسكان في فلسطين، لدى ملوك وامراء وأوروبا، الى ترميم وتجديد جميع الأماكن المقدّسة في بيت لحم. وتواصلت اعمال الترميم خلال القرن الخامس عشر. كل ذلك، بالاضافة الى فَرَمَانات سلطانية عدة بحوزة الفرنسيسكان، جعلت من هؤلاء أصحاب الحق الشرعيّين في رعاية جميع الاماكن المقدسة في فلسطين ومنها بيت لحم...

غير أنه، وابتداء من القرن السادس عشر، أخذ الرهبان اليونانيون، من الطائفة الأُرثوذكسية، وبتسهيل من الباشوات والحكّام، يشترون بعض الأراضي المحيطة بالاماكن المقدسة، والتي بحوزة الرهبان الفرنسيسكان. حتى إن بعض الاماكن المقدسة عينها كانت تسلّم تارة الى اللاتين وتارة الى اليونانيّين...

بالاضافة الى ما تقدم، كان مصير الرهبان اللاتين في فلسطين مرتبطاً بالحروب التي كانت تنشب من حين الى آخر بين العثمانيين "والجمهوريات البحرية" من حوض المتوسط الاوروبي. فهكذا مثلاً، على أثر تدمير اسطوله البحري من قبل عساكر "جنوا" سَنة 1537، انتقم السلطان سليم الثاني من ذلك، فأمر بسجن الرهبان الفرنسيسكان في أورشليم وبيت لحم. وقد سُجنوا أولاً في "برج داود" في أورشليم ثم نقلوا بعد ذلك الى سجون دمشق. وقد استمر احتجازهم هذا اكثر من ثلاث سَنوات. وعندما انتصرت جيوش بني عثمان على "جمهورية البندقية" سَنة 1669، أصبح وضع الرهبان اللاتين حرجاً للغاية في فلسطين. وهكذا تمكن الرهبان اليونانيون من الاستيلاء على كنيسة المهد ومغارة الميلاد...

في سَنة 1690، تمكن الرهبان الفرنسيسكان من استعادة حقوقهم في مغارة الميلاد فقط، فاخذوا يقيمون الشعائر الدينية فيها بحسب الطقس اللاتيني، كما في السَابق. وفي سَنة 1717، استبدلوا النجمة المعدنية القديمة التي كانت موضوعة فوق المكان الذي ولد فيه المسيح، بحسب التقليد الشعبي المحلّي، استبدلوها بنجمة جديدة، وحفروا عليها العبارات التالية باللغة اللاتينيّة: "Hic de Virgine Maria Jesus Christus natus est" التي تعني بالعربيّة: "هنا ولد يسوع المسيح من العذراء مريم"؟. وفي سَنة 1757 تملّك الرهبان اليونان الأرثوذكس، من جديد، كنيسة المهد ومذبح مغارة الميلاد –اجل، المذبح فقط!- وبقيت الفسحة المتبقية

من المغارة بحوزة اللاتين! ونزع اليونان نجمة المغارة الآنفة الذكر التي تشهد –من حيث الكتابة اللاتينية- على حقوق الطائفة اللاتينية. وبعد مفاوضات بين الحكومة الفرنسيّة "والباب العالي" وُضعت، سَنة 1853، نجمة لاتينية تحت مذبح مغارة الميلاد. وقد استمرت "حرب النجمة" داخل مغارة الميلاد، اكثر من قرنين ونصف من الزمن، بين اليونان واللاتين، ولم تضع هذه الحرب -الفضيحة أوزارها الاّ حوالي منتصف القرن العشرين...!

منذ أوائل القرن التاسع عشر، أصبح هناك ثلاث طوائف مسيحية تتقاسم كنيسة المهد ومغارة الميلاد! اللاتين واليونان الارثوذكس ثم الارمن الارثوذكس. وكان لكل طائفة مذبحها الخاص في الكنيسة تقيم عليه احتفالاتها الدينية بحسب طقسها! حتى إن مغارة المهد الصغيرة، اصبحت هي ايضاً مقسمة بين هذه الطوائف الثلاث...! وفي فترة لاحقة سُمح لسائر الطوائف المسيحية الشرقية بإقامة الصلوات والاحتفالات في كلا الكنيسة والمغارة في بيت لحم...

بين سَنة 1831 وسَنة 1841، عرفت بيت لحم فترة هادئة ومميّزة، أيام محمد علي، باشا مصر، وابنه ابراهيم باشا. أراد محمد علي الانفصال عن السلطنة العثمانية، وجعل مصر دولة مستقلة. فدارت بينه وبين الجيش التركي معارك عدة في المشرق. وفي إحدى المعارك، أرسل محمد علي الى فلسطين فرقة عسكرية من 30 ألف رجل بقيادة ابنه ابراهيم باشا. ومنذ سَنة 1831 حتى سَنة 1841، كانت فلسطين كلها تحت حكم ابراهيم باشا. في هذه الاثناء ترك العديد من المسلمين بيت لحم وأصبح حيُّهُم خراباً. وهكذا اصبح المسيحيون يشكّلون الاكثرية فيها...

في سَنة 1841، عادت فلسطين وبالتالي بيت لحم، من جديد، تحت الحكم العثماني. فعرفت الاماكن المقدسة المسيحية مراقبة اكثر تشدّداً من ذي قبل. وعادت المنازعات تتجدّد وتأخذ طابع العنف، حول كنيسة المهد ومغارة الميلاد، بين اليونان واللاتين... ففي سنة 1873، هجم الرهبان اليونان الارثوذكس على الرهبان اللاتين أثناء إحتفال هؤلاء في كنيسة المهد ومغارة الميلاد، فجرحوا ثمانية منهم، والحقوا أضراراً بالمغارة واستولوا على كل ثمين فيها! وبسَبب ذلك أمر السلطان العثماني بوضع حراسة مشدّدة ليل نهار لفرض الأمن في الكنيسة والمغارة. وبعد الحرب العالمية الأولى، ومع الانتداب البريطاني، استمرت الحراسة المشدّدة والمتواصلة. وبرغم كل ذلك، ظلت المناوشات، ولو خفيفة، تتجدّد من حين الى آخر...

سَنة 1948، قامت دولة اسرائيل، فاصبحت بيت لحم تحت سلطة المملكة الهاشمية في الاردن، التي عملت على رعاية وحماية جميع الاماكن المقدسة بكل سماحة وكرامة. فعرفت بيت لحم أيام سلام وأمان تذكّر بايام عمر ابن الخطّاب

والخلفاء الراشدين. وعلى أثر حرب حزيران سَنة 1967، واحتلال اسرائيل لبعض الاراضي العربية، أصبحت بيت لحم تحت السيطرة الصهيونية. وأصبحت الاحتفالات الدينية تقام فيها تحت الحراب وبنادق الجيش، وباجواء ضاغطة عدائية...

وفي ميلاد سَنة 1995، أصبحت بيت لحم يهوذا تحت حكم السلطة الفلسطينية، بعد مفاوضات سلمية بين اليهود والفلسطينيّين.. وبدأ فيها عهد جديد من التعايش بين المسلمين والمسيحيّين. وقد اصبح المسيحيّون أقليّة...

اما العلاقات بين الطوائف المسيحية نفسَها، في بيت لحم، وفي الاماكن المقدسة فيها بالتحديد، فقد دخلت، بدءاً بأيام المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، (1962-1965)، عهداً جديداً من التآلف والتآخي بين المسيحيّين أنفسهم وبين المسيحيّين وسائر الأديان والمذاهب. علَّ هذا العهد الجديد يستمر ويتواصل ويأخذ أبعاداً كونيّة على مشارف القرن الحادي والعشرين... في الوقت الذي تكاد تصبح فيه الارض "قرية إلكترونية واحدة"!

كلمة "اليهوديّة"

يقول المؤرخ كمال الصليبي: " "اليهودية" في فلسطين (المذكورة في الأناجيل...)، وهي منطقة القدس والخليل، اتخذت اسمها في العصرين الهلّينستي والروماني من سكّانها اليهود وليس من اسم شعب أو أرض "يهوذا" ..." ("التوراة جاءت من جزيرة العرب"، صفحة 174 والحاشية رقم 7). وهكذا إذاً فكلمة "اليهودية" حديثة العهد نسبياً - بالنسبة مثلاً الى كلمة "إسرائيل" ... وهي بالاحرى تسمية قوميّة سياسيّة اجتماعيّة، وليست تسمية دينية. وبالتالي لا تمتّ بصلة الى "المشيحانية" أي الى عهد انتظار المسيح في العهد القديم. ومع الوقت اصبحت كلمة "اليهودية" تعني، في بعض الاحيان، أرض فلسطين كلّها، بالمعنى الواسع للكلمة. أمّا بالمعنى الحصريّ فهي تعني دوماً أرض يهوذا في جنوب فلسطين (منطقة القدس والخليل). وهكذا عند لوقا مثلاً، الذي يستعمل كثيراً كلمة "اليهودية"، في إنجيله وفي أعمال الرسل، تارة يستعملها بالمعنى الواسع للكلمة، وتارة أخرى بالمعنى الحصريّ. فهو يستعمل كلمة "اليهودية"، كما يفعل اليونان، ليدلّ على أرض اليهود كلّها، أي كل فلسطين والجليل حيث استوطن اسباط اليهود الاثنا عشر، في إنجيله في 1: 5؛ 4: 44؛ 6: 17؛ 23: 5 وفي أعمال الرسل 10: 37. ويطلق كلمة "يهودية"، كما يفعل اليهود، على جنوب فلسطين وحده، المميّز عن السامرة والجليل، في إنجيله، في 3: 1؛ 5: 17 وفي أعمال الرسل 9: 31 (راجع النسخة الجديدة، صفحة 186 والحاشية رقم 10 مع الشروحات). وفي العهد الجديد قد تطلق كلمة "اليهودية" على كل فلسطين، حتى وعلى بعض أراضي شرقي الاردن كما في متى 19: 1 ومرقس 10: 1!

كان أرخيلاوس والياً على اليهودية من السَنة 4 ق.م. الى السنة 6 ب.م. ومن السَنة 6 الى السَنة 41 ب.م.، أصبحت اليهودية إقليماً عليه والٍ، عاصمتها قيصريّة فلسطين على المتوسط. وكان بيلاطس البنطي والياً على اليهودية من السَنة 26 الى سَنة 36. وكانت حدود اليهودية الشمالية تمتد من يافا على ساحل المتوسط الى نقطة نهر الاردن التي تبعد 10 أميال الى الشمال من البحر الميت. وحدودها الجنوبية من وادي غزّة على بعد 7 أميال الى الجنوب الغربي من غزّة، فإلى بئر سَبع، فالى القسم الجنوبي من البحر الميت. من الشرق يحدّها نهر الاردن والبحر الميت، ومن الغرب البحر الابيض المتوسط. كان طول اليهودية من الشمال الى الجنوب حوالي 55 ميلاً، ونفس هذه المساحة تقريباً من الشرق الى الغرب.

وبالاضافة الى انجيل لوقا الذي تحدثنا عنه سابقاً، فقد ذكرت اليهودية مراراً في العهد الجديد، وكانت تعني القسم الجنوبي من فلسطين، المميّز عن السامرة والجليل. (راجع مثلاً: متى 2: 1، 21؛ 24: 16 -يوحنا 4: 3، 7: 3 -أعمال الرسل 1:

8، 9: 31، 10: 37، 12: 19، 28: 21- رومة 15: 23-2 قورنتس 1: 16 - 1 تسالونيكي 2: 14 الخ...).

وهكذا عندما يطلق الكتاب المقدس، القديم والجديد، لقب "اليهودية" على مدينة بيت لحم بالمعنى الواسع للكلمة (أي كل فلسطين والجليل حيث استوطن الاسباط الاثنا عشر...) فهذا يعني ان المقصود هو بيت لحم الشمالية الجليلية، وذلك حتى نهاية القرن الرابع أو بداية الثالث قبل المسيح. لان هذا التاريخ هو تاريخ انشاء بيت لحم الجنوبية، المعروفة اليوم: في أرض يهوذا. وعندما يطلق الكتاب المقدس، القديم والجديد، لقب "اليهودية" على مدينة بيت لحم بالمعنى الحصري للكلمة (اي القسم الجنوبي من فلسطين، المميّز عن السامرة والجليل) فهذا يعني أن المقصود هو حتماً بيت لحم الجنوبية، في أرض يهوذا، المعروفة اليوم، ولكن فقط ابتداء من أواخر القرن الرابع أو أوائل الثالث قبل المسيح، أي تاريخ إنشائها كمدينة... <u>والمعروف، من النصوص الكتابية نفسها، أن كلّ النبوأت التي تتحدّث عن المسيح المخلّص المنتظر - عن مجيئه وطبيعته ورسالته ومكان مولده - انما قيلت في الأصل قبل القرن الرابع قبل الميلاد، اي قبل انشاء مدينة بيت لحم المعروفة اليوم!!...</u>

مراجع الفصل

المراجع العربيّة:

-فراس السواح "الحدث التوراتي والشرق الادنى القديم"، ص 57، والحاشيتين رقم 30 و 31.

-أسعد منصور "تاريخ الناصرة - من أقدم أزمانها الى أيامنا الحاضرة"، مطبعة الهلال، مصر، 1924.

-غاستون لى هردي "تاريخ الناصرة وجوارها" باريس 1905، الترجمة العربية بقلم الشيخ فارس الخوري اللبناني 1912.

-الاب بروسبير فيود "الناصرة"، رئيس دير تِرَّاسانطا في الناصرة، باريس 1913، بالفرنسيّة.

-الاب أتناس برون "الناصرة"، رئيس ميتم السلزيان في الناصرة، نيس 1908، بالفرنسيّة.

-الدكتور سكر مجر "الناصرة"، أدنبرج 1913، بالانكليزيّة.

-الآباء الفرنسيسكان في القدس "تاريخ الناصرة - تقويم الارض المقدسة"، القدس 1920، بالعربية.

-"قاموس الكتاب المقدس"، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 1971.

-راجع ايضاً الخرائط القديمة لمنطقتي الجليل واليهوديّة.

المراجع الاجنبية:

-W.F. Albright "The Akkadian Letters", 1939, pp. 439, 489

-Larousse Encyclopédique, 1[ere] partie, p. 189, col 2

-Lettres "Tel-El-Amarina", Texte N° 190, 5: 1

-H. Cazelles, "A travers l'Ancien Testament", in "Le Monde de la Bible" (Revue-Archéologie, Art, Histoire), Numéro spécial: Bethléem, Cité messianique, Octobre, 1983, p. 24

-Charles Perrot, "Les recits de l'Enfance de Jésus", p. 31

-Conder "Pent Wark in Palestine", p. 301

-R. Rivault, S. Santelli, C.W. Rochant, "Maisons de Bethléem". Maison neuve et Larose, 1997, p.p. 7-13 (Avec Figures, Photos et Cartes).

-Maria Teresa Petrozzi "Bethléem" (Traduit de l'italien par Albert Storme), coll. "Lieux Saints de Palestine", Franciscan Printing Press, Jérusalem, édition revue et corrigée, 1985, pp. 17-37

-J.A Knudtzon, "Die El-Amarma - Tafeln" and S.A.B. Mercer: "Tel-El-Amarna Tablets", I, pp. 249, 882.

الفصل الخامس
الميلاد بين التقليد والحقائق التاريخيّة والجغرافيّة

-الميلاد في الأناجيل المقدّسة

رواية متّى:

يجدر بنا أولاً ان نعرض رواية الميلاد وما رافقها من أحداث، كما جاءَت في الأناجيل القانونية، وبالتحديد في إنجيلي متى ولوقا، لان مرقس ويوحنا لم يتحدثا عن ولادة المسيح...؟

جاء في إنجيل متى، بعد جدول نسَب يسوع الذي يفتح الكتاب، ما يلي:

"أما ميلاد يسوع المسيح، فهكذا كان: لمّا كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف، وُجدت قبل أن يتسَاكنا حاملاً من الروح القدس. وكان يوسف زوجها بارّاً، فلم يرد أن يشهر أمرها، فعزم على أن يتركها سرّاً. وما نوى ذلك حتى تراءى له ملاك الربّ في الحلم وقال له: يا يوسف ابن داود، لا تخف أن تأتي بامرأتك مريم الى بيتك، فإن الذي كوّن فيها هو من الروح القدس، وسَتلد ابناً فسَمّه يسوع، لانه هو الذي يخلّص شعبه من خطاياهم. وكان هذا كلّه ليتمّ ما قال الربّ على لسَان النبيّ: "ها إن العذراء تحمل فتلد ابناً يسَمّونه " عمّانوئيل " أي "الله معنا". فلمّا قام يوسف من النوم، فعل كما أمره ملاك الربّ، فأتى بامرأته الى بيته، على أنه لم يعرفها حتى ولدت ابناً فسمّاه يسوع...

"ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهوديّة، في أيام الملك هيرودس، إذا مجوس قدموا أورشليم من المشرق وقالوا: أين ملك اليهود الذي ولد؟ فقد رأينا نجمه في المشرق، فجئنا لنسجد له. فلما بلغ الخبر الملك هيرودس، اضطرب واضطربت معه أورشليم كلّها. فجمع عظماء الكهنة وكتبة الشعب كلهم، واستخبرهم أين يولد المسيح. فقالوا له: في بيت لحم اليهوديّة، فقد أوحي الى النبيّ فكتب: "وأنت يا بيت لحم، أرض يهوذا، لست أصغر ولايات يهوذا، فمنك يخرج الوالي الذي يرعى شعبي اسرائيل...".

"فدعى هيرودس المجوس سرّاً وتحقّق منهم في أي وقت ظهر النجم. ثم أرسلهم الى بيت لحم وقال: إذهبوا فابحثوا عن الطفل بحثاً دقيقاً، فإذا وجدتموه فأخبروني لأذهب أنا أيضاً وأسجد له. فلما سَمعوا كلام الملك ذهبوا. وإذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدّمهم حتى بلغ المكان الذي فيه الطفل فوقف فوقه.

فلما أبصروا النجم فرحوا فرحاً عظيماً جداً. ودخلوا البيت فرأوا الطفل مع أمه مريم. فَجَثَوْا له سَاجدين، ثم فتحوا حقائبهم وأهدوا اليه ذهباً وبخوراً ومرّاً. ثم أوحي إليهم في الحلم الاّ يرجعوا الى هيرودس، فانصرفوا في طريق آخر الى بلادهم...

"وكان بعد انصرافهم أن تراءى ملاك الربّ ليوسف في الحلم وقال له: قم فخذ الطفل وأمه واهرب الى مصر وأقم هناك حتى أعلمك، لان هيرودسَ سيبحث عن الطفل ليهلكه. فقام فأخذ الطفل وأمه ليلاً ولجأ الى مصر. فأقام هناك الى وفاة هيرودس، ليتم ما قال الربّ عن لسَان النبيّ: "من مصر دعوت ابني"...

"فلما رأى هيرودسَ أن المجوس سخروا منه، استشاط غضباً وأرسل فقتل كلّ طفل في بيت لحم وجميع أراضيها، من ابن سَنتين فما دون ذلك، بحسَب الوقت الذي تحقّقه من المجوس. فتمّ ما قال الربّ على لسَان النبي إرميا: "صوت سُمِعَ في الرامة، بكاء ونحيب شديد. راحيل تبكي على بنيها، وقد أبت أن تتعزّى لانهم زالوا عن الوجود"...

"وما إن توفي هيرودس حتى تراءى ملاك الربّ في الحلم ليوسف في مصر، وقال له: قم فخذ الطفل وأمّه واذهب الى أرض اسرائيل، فقد مات من كان يريد إهلاك الطفل. فقام فأخذ الطفل وأمّه ودخل أرض إسرائيل. لكنه سَمع أن أرخلاّوس خلف أباه هيرودس على اليهوديّة، فخاف أن يذهب اليها. فأوحي اليه في الحلم، فلجأ الى ناحية الجليل. وجاء مدينة يقال لها الناصرة فسَكن فيها، ليتمّ ما قيل على لسَان الأنبياء: إنه يدعى ناصريّاً...". (إنجيل متى 1: 18-25؛ والفصل الثاني بكامله، مع الحواشي والشروحات).

النسخة الجديدة، في تعليقها على أحداث الميلاد هذه، في رواية متى، توضح بعض الأمور على الشكل التالي. في تعليقها على 1: 18 "أمّا ميلاد يسوع المسيح"... تقول: "... إن أمر الميلاد الشرعي يشير الى أن يوسف قبل يسوع في سلالته. لا شك أن هذه الرواية هي نتيجة <u>تأمل لاهوتي طويل</u>. ومن الراجح أن متى استند الى أحلام يوسف (راجع متى 2: 13 و 19) يشير الله فيها، من خلال اعترافات يوسف، الى الافتراءَات المتعلّقة بالميلاد من بتول. واستشهد متى بنبؤة اشعيا (اشعيا 7: 14) المعبّرة عن ميلاد المسيح من عذراء (راجع أيضاً لوقا 1: 26-38). وبذلك أجاب متى عن السؤال الذي يطرحه النسَب: فيسوع هو من سلالة يوسف مع كونه مولوداً من عذراء". (النسخة الجديدة ص 37، حاشية رقم 5).

وفي تعليقها على الآية 19 "وكان يوسف زوجها"، توضح النسخة الجديدة فتقول: "كان الشاب والشابة المتواعدان بالزواج يُعدّان زوجين حتى قبل المسَاكنة، وكان الطلاق الشرعي وحده يفسَخ الوثاق الذي يربطهما". (النسخة الجديدة، ص 37، حاشية رقم 6).

وفي تعليقها على الآية 20 "وما نوى (يوسف) ذلك حتى تراءى له ملاك الرب في الحلم"، تقول: تدلّ هذه التسمية "ملاك الرب"، كما في العهد القديم، على تدخّل الله نفسَه (التكوين 16: 7 و 13 والخروج 3: 2). لا بدّ من التمييز بين "ملاك الرب" "والملائكة". (النسخة الجديدة ص 38، حاشية رقم 8).

وفي تعليقها على الآية الاولى من الفصل الثاني: "ولمّا ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام الملك هيرودس" تقول: ولد هيرودس الكبير حوالى السَنة 73 قبل المسيح. كان ابن انتيباتر، خازن يوحنا هرقانس الثاني (63-40 ق.م). فعيّنه الرومانيون في السَنة 47 قائد حرس الجليل، ثم قائد حرس البقاع، وفي السَنة 41 أمير الربع على اليهوديّة، وفي السَنة 40 عيّنه مجلس الشيوخ الروماني ملكاً على اليهوديّة. استولى هيرودس الكبير على أورشليم في السَنة 37 وأباد الحشمونيّين، وحصل من القيصر على طراخونيطس وباشان وحوران في شمال فلسطين. عرف بمهارته السياسيّة وبكثرة المدن الهلّينسَتية التي بناها واعتمد على حزب الفرّيسيّين. توفي في السّنة 4 ق.م.، علماً بأن يسوع المسيح ولد قبل وفاة هيرودسَ بسنتين!... ومتّى يجعل صلة بين هيرودس الملك ويسوع، مشيراً بذلك الى النزاع الذي سيقوم بين السلطات الرسميّة والملك الحقيقي الذي سَيخلّص شعبه (متى 1: 21 و 2: 2). وهناك موضوع آخر ينفرد به متى، هو أن الذي تنبذه سلطات الشعب تسجد له الأمم الوثنية المتمثّلة بالمجوس..." (النسخة الجديدة، ص 38، الحاشية رقم 1). وفيما يخصّ كلمة "مجوس"، تعلّق النسخة الجديدة فتقول: كان لكلمة "مجوس" اليونانية معانٍ مختلفة: كهنة فرس وسَحرة ودعاة دينيّون ومشعوذون... ولم ترد في الترجمة اليونانية للكتاب المقدّس الاّ في سَفر دانيال (2: 2 و 10). وقد تدل هنا (في إنجيل متى) على منجّمين من بابل، لربّما كانوا على <u>صلة بالمشيحيَّة اليهودية</u>...! (صفحة 38، الحاشية رقم 2). وهذا يوافق ما ذهبنا اليه سابقاً من أن الاسينيّين كانوا على اتصال متواتر مع جمعيات دينية شبيهة بهم في بلاد المشرق، وأن هذه الجمعيات الدينيّة المتطورة كانت تنضوي جميعها تحت لواء هرمس الكبير، هرمس الهرامسَة... (المنظمة الهرمسية الكونيّة...). ويسوع المسيح نفسه، ألم يكن، كانسان، على "رتبة ملكيصادق"، كاهن الإله الكنعاني إيل؟ كما يقول الكتاب المقدس نفسه وخاصة المزمور 110: 4، والرسالة الى العبرانيين الفصلان 6 و 7؟ والمعروف أن هرمس الاكبر هو أول مبشّر بديانة إيل، وان المنظمة الهرمسية الكونية تشكل الاستمرارية السرّانية لديانة الإله الواحد الكنعاني: إيل. والمسيح، للمرة الألف، هو "عمّانوئيل"، أي: إيل معنا، أو الله معنا، كما تنبأ اشعيا الكبير (7: 14) وكما جاء في الإنجيل المقدّس (متى 1: 23).

وتعترف النسخة الجديدة نفسَها، في تعليقها على الآية 6 من الفصل الثاني من متى، والتي تقول: "وأنتِ يا بيت لحم أرض يهوذا، لست أصغر ولايات يهوذا،

فمنك يخرج الوالي الذي يرعى شعبي اسرائيل..."، تعترف فتقول: هذا النصّ مأخوذ من النبي ميخا (5: 1) بتصرّف..."! (ص 39، الحاشية رقم 5). وفي الواقع، نكرّر هنا ما فصَّلناهُ سَابقاً، نظراً لأهمية الموضوع: لقد تصرّف ناسخ متى وبالغ في التصرّف حتى وقع في التحريف مرتكباً ثلاثة اخطاء دفعة واحدة (؟!!) في القسم الاول من الآية: الخطأ الأول: ميخا يقول بالحرف الواحد: "وأنتِ يا بيت لحم أفراتة" – وناسخ متى يقول: "وأنتِ يا بيت لحم أرض يهوذا"! لقد حذف الناسخ كلمة "أفراتة" (الهامّة جداً) واستبدلها بعبارة "أرض يهوذا"، مع انه لا وجود على الاطلاق "لارض يهوذا" في نصّ ميخا كلّه. الخطأ الثاني: ميخا يقول: "إنك أصغر عشائر يهوذا" – ومتى يقول: "لستِ أصغر ولايات يهوذا". وبين عبارة "إنكِ أصغر" وعبارة: "لستِ أصغر" فرق هائل! والخطأ الثالث: ميخا يقول: "عشائر يهوذا" أي قبائل يهوذا – وناسخ متى يلغي عبارة "عشائر يهوذا" ويستبدلها – هكذا وبكل بساطة – "بولايات يهوذا! في الحقيقة، هذا لم يعد تصرّفاً ولا حتى تحريفاً، بل هو تبديل وتغيير اساسي جوهري في النصّ! "فالعشائر" شيء، و"الولايات" شيء آخر تماماً. ومعروف أن ناسخ متى فعل كل ذلك ليبرهن أن يسوع هو المسيح المخلّص الذي كان ينتظره اليهود، وانه بالتالي ولد في بيت لحم أرض يهوذا. مع أن المسيح الذي كان ينتظره اليهود هو مسيح زمني دنيوي محارب يجعلهم ينتصرون على أعدائهم بقوة السلاح. أما يسوع المسيح فهو ابن الله الوحيد، رجاء الخلائق كلّها وانتظار الشعوب أجمعين، المخلص الوحيد للبشر وللكون الكبير بكامله... ويطيب لنا هنا أن نذكر بعض الصلوات المعبّرة وذات الطابع الشمولي والكونيّ التي ترددها أمنا الكنيسة المارونية خلال تسَاعية الميلاد فتقول: "يا رجاء الآباء وانتظار الشعوب، الذي بميلادك منحت الرجاء لبني البشر... يا كلمة الله الخارجة من فم الله لتكون حياة لكل انسان، الذي صرت خبزاً حيّاً وولدت في قرية الخبز (معنى اسم: بيت لحم) لتشبع جوعنا... أرسل الله ابنه الوحيد نوراً للأمم، واحتجب في حشى مريم ومنها تجسّم ... تسعة اشهر حملت مريم بحامل الأكوان، ولم تحسّ منه بثقل لانه إله وانسان... قدّوس قدّوس قدّوس ربنا، وحيد اللاهوت ونور العالم، قدّوس قدّوس قدّوس الابن الذي اشرق بأمه مريم... أشرق بالجسد على بني آدم... وتقبّل السجود من كلّ الأمم...". إذاً، يسوع المسيح هو "انتظار الشعوب كلها"، "منح الرجاء لبني البشر أجمعين"، "إنه الحياة لكلّ إنسان"، "إنه النور للأمم"، "إنه نور العالم"، "أشرق بالجسد على بني آدم"، "وتقبل السجود من كل الأمم". فهل أبلغ وأصدق وأوضح من هذا الكلام الطقسي الماروني في وصف المسيح الحقيقي؟

وفي تعليقها على الآية 18 من الفصل الثاني من متى: "صوت سمع في الرامة، بكاء ونحيب شديد، راحيل تبكي على بنيها وقد أبت أن تتعزّى لأنهم زالوا من الوجود"، تقول النسخة الجديدة: "ترجمة بتصرّف لنصّ إرميا 31: 15 العبري، مع بعض

الاقتباسات من النصّ اليوناني. راحيل، أم بني اسرائيل الشمال، تبكي على بنيها المجلوّين. وبيت لحم هي الموقع التقليدي لقبر راحيل... والرامة هي مكان تجمّع المنفيين المسوقين الى الجلأ (إرميا 40: 1)". (النسخة الجديدة، ص 40، الحاشية رقم 11). وهكذا تعترف النسخة الجديدة بأمور ثلاث غاية في الأهمية: الأمر الأول أن هناك تصرفاً من قبل ناسخ متى في ترجمة نص إرميا (31: 15) العبري، مع بعض الاقتباسات من النصّ اليوناني! الامر الثاني، وهو الأهم، إنها تعترف ان بيت لحم هي الموقع التقليدي لقبر راحيل كما جاء في سَفر التكوين (35: 19-20 و 48: 7). والأمر الثالث، وهو نتيجة للأمر السَابق، أن بكاء راحيل على بنيها قد حصل في الشمال حيث بيت لحم الحقيقية، وليسَ في الجنوب حيث بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم، والتي بنيت بعد وقوع هذه الأحداث بمئات من السنين! والغريب، كما رأينا آنفاً، ان نسّاخ التوراة المتأخرين قد جعلوا قبر راحيل في جنوب أورشليم قرب بيت لحم المعروفة اليوم، مع ان سَفر التكوين ومن بعده سَفر يشوع يحدّدان موقع قبر راحيل في شمال فلسطين، قرب بيت لحم أفراته، أي في الجليل، في أرض زبولون! (تكوين 35: 19؛ 48: 7؛ يشوع 19: 15).

وفي تعليقها على الآية 21 من الفصل الثاني من متى: "فقام (يوسف) فأخذ الطفل وأمّه ودخل أرض اسرائيل..."، تقول النسخة الجديدة موضحة: "لا شك أن متى استند، في هذه الرواية، الى رواية هرب موسَى الى مدين (راجع سَفر الخروج 4: 19-23)". (ص 40، الحاشية رقم 12). وهذا يوافق تماماً ما قلناه سَابقاً مستندين الى المفسِّر الكاثوليكي المعاصر الكبير شارل بيرّو (أحداث طفولة يسوع – متى 1-2 لوقا 1-2، ص 11-16 مع الحواشي) من أن الانجيلي متى كتب انجيله وخاصة أحداث طفولة يسوع بصيغة "المدراش اليهوديّ"، وبالتحديد بصيغة "مدراش موسَى الصغير"، ولم يكتب تاريخاً دقيقاً ومتسَلسلاً بحسب مفهومنا المعاصر للتاريخ... كان قصده أن يبرهن أن يسوع خلّص شعبه في العهد الجديد كما أن موسَى خلص شعبه في العهد لقديم. (راجع أيضاً فيما يخص الشبه بين احداث طفولة موسَى واحداث طفولة يسوع، على سَبيل المثال: سَفر الخروج 2: 15 = متى 2: 14؛ خروج 3: 2 = متى 1: 20؛ خروج 4: 19-23 = متى 2: 12 الخ...).

وتعلّق النسخة الجديدة على الآية الاخيرة من آيات طفولة يسوع بحسَب متى، والقائلة: "وجاء (يوسف) مدينة يقال لها الناصرة فسَكن فيها، ليتمّ ما قيل على لسَان الانبياء: إنه يدعى ناصريّاً"، تعلّق موضحة فتقول: "ناصريّاً: يصعب علينا أن نعرف بدقة ما هو النصّ الذي يستند اليه متى !؟ فاللفظ المستعمل لا يدلّ على أحد سكان الناصرة (!!!) ولا على أحد أعضاء شيعة الناصريّين، بل يرى متى فيه لفظاً يعادل لفظ "الجليلي" 26: 69. ويجوز أن نفهم هنا: "الذي في الناصرة" (21: 11، وراجع يوحنا 1: 45 أعمال الرسل 10: 38. ولربما أراد متى أن يشير به الى

"قدّوس الله" المثالي، الى "النذير" (سَفر القضاة 13: 5، وراجع متى 16: 17 ومرقس 1: 24). ونحن نكرّر هنا قضية تفسير الآية "إنه يدعى ناصريّاً"، نظراً لاهميتها على الصعيدين التاريخيّ والجغرافيّ، موضوعي دراستنا هذه حول بيت لحم الحقيقية... فاذا كانت عبارة "ناصريّاً" لا تدل، بحسّب النسخة الكاثوليكية الجديدة، على أحد سكان الناصرة، أي ليسَت نسبة الى مدينة الناصرة، فهذا يعني، على الأقل، ان الباب قد اصبح مفتوحاً، بشكل واسع، لتصحيح بعض الأمور التاريخية والجغرافية الواردة في رواية الميلاد، على ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة والحقائق الموضوعية. علماً ان هذه الامور هي محض دنيوية زمنية –تاريخية وجغرافية- ولا تمت بصلة على الاطلاق الى صحة الوحي وحقيقة الاحداث وجوهر العقيدة والدين. ومعروف تماماً حتى هذه السَاعة، ان عبارة: "إنه يدعى ناصرياً"، تعني أن يسوع هو من الناصرة، هو أحد سكّان مدينة الناصرة، أي إن "ناصريّاً" هي نسبة الى الناصرة، تاريخياً وجغرافياً. وقد رأينا، في الفقرة السابقة، ان هذا التفسير التقليدي –منذ حوالي ألفَي سَنة!- هو غير صحيح. الا يدعو هذا الأمر الى العجب والغرابة؟ وهكذا، وعلى هذا المثال، فنحن ندعو في هذه الدراسَة –التي هي دراسة محض تاريخية وجغرافية، مرة أخرى- ندعو الى تصحيح تحديد الموقع والمنطقة التي ولد فيها حقاً السيِّد المسيح. فمنذ حوالي الفَي سَنة يظن الجميع ان السيّد المسيح ولد في مدينة بيت لحم، في جنوب فلسطين، في أرض يهوذا أو اليهودية، على بعد حوالي 12 كلم الى الجنوب من اورشليم (أي بيت لحم المعروفة اليوم). أما نحن فنحاول ان نثبت، بالبراهين والحجج التاريخية والجغرافية ومن خلال الخرائط، ان السيّد المسيح قد ولد، في الحقيقة، في مغارة بالقرب من مدينة بيت لحم المدينة الكنعانية العريقة المشهورة، الكائنة في شمال فلسطين، في الجليل – "جليل الأمم"، وان هذه المغارة تقع في السّفح الشمالي الشرقي لجبل الكرمل بالتحديد، وأن جبل الكرمل مع سفوحه ومغاوره الكثيرة كان داخل أراضي فينيقيا – لبنان منذ بدء التاريخ، وفي أيام السيّد المسيح، وبعد المسيح بحوالي 70 سَنة! (راجع جميع الخرائط المخطوطة والمطبوعة، القديمة وبجميع اللغات الشرقية والغربية...). أجل! إن يسوع المسيح قد ولد في لبنان! "ومن له أذنان سَامعتان فليسمع..."! (وسَوف نفصّل ذلك في الفصول اللاحقة). لقد ولد في لبنان، لا في اليهودية.

رواية لوقا:

أما رواية الميلاد وما رافقها من أحداث في إنجيل لوقا، فقد جاءَت على الشكل التالي:

"... وفي الشهر السَادس أرسَل الله الملاك جبرائيل الى مدينة في الجليل اسمها الناصرة، الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف، واسم العذراء مريم. فدخل اليها فقال: إفرحي أيتها الممتلئة نعمة، الربّ معك. فداخلها لهذا الكلام اضطراب شديد، وسَألت نفسها ما معنى هذا السَلام. فقال لها الملاك: لا تخافي يا مريم، فقد نلت حظوة عند الله. فسَتحملين وتلدين ابناً فسَمّيه يسوع. سَيكون عظيماً وابن العلي يدعى، ويوليه الرب الإله عرش أبيه داود، ويملك على بيت يعقوب أبد الدهر، ولن يكون لملكه نهاية. فقالت مريم للملاك: كيف يكون هذا ولا أعرف رجلاً؟ فأجابها الملاك: إن الروح القدس سَينزل عليك، وقدرة العلي تظلّلك، لذلك يكون المولود قدّوساً وابن الله يدعى. وها إن نسيبتك اليصابات قد حبلت هي أيضاً بابن في شيخوختها، وهذا الشهر السَادس لتلك التي كانت تدعى عاقراً. فما من شيء يعجز الله. فقالت مريم: أنا أمة الرب، فليكن لي بحسب قولك. وانصرف الملاك من عندها...

"... وفي تلك الأيام قامت مريم فمضت مسرعة الى الجبل الى مدينة في يهوذا، ودخلت بيت زكريًا، فسَلّمت على اليصابات. فلمّا سَمعت اليصابات سَلام مريم، ارتكض الجنين في بطنها، وامتلأت من الروح القدس، فهتفت بأعلى صوتها: مباركة أنت في النساء! ومباركة ثمرة بطنك! من أين لي أن تأتي أم ربي؟ فما إن وقع صوت سَلامك في أذنيّ حتى ارتكض الجنين في بطني. فطوبى لمن آمنت: فسَيتمّ ما بلغها من عند الرب... وأقامت مريم عند اليصابات نحو ثلاثة أشهر، ثم عادت الى بيتها...

"وفي تلك الايام، صدر أمر عن القيصر أوغسطس بإحصاء جميع أهل المعمور. وجرى هذا الاحصاء الأول إذ كان قيرينيوس حاكم سوريّة. فذهب جميع الناس ليكتتب كل واحد في مدينته. وصعد يوسف أيضاً من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود التي يقال لها بيت لحم، فقد كان من بيت داود وعشيرته، ليكتتب هو ومريم خطيبته وكانت حاملاً. وبينا هما فيها حان وقت ولادتها، فولدت ابنها البكر، فقمّطته وأضجعته في مزود لانه لم يكن لهما موضع في المضافة...

"وكان في تلك الناحية رعاة يبيتون في البريّة، يتناوبون السَهر في الليل على رعيتهم. فحضرهم ملاك الربّ وأشرق مجد الربّ حولهم، فخافوا خوفاً شديداً. فقال لهم الملاك: لا تخافوا، ها إني أبشّركم بفرح عظيم يكون فرح الشعب كلّه: ولد لكم اليوم مخلّص في مدينة داود، وهو المسيح الربّ. واليكم هذه العلامة: سَتجدون

طفلاً مقمّطاً مضجعاً في مزود. وانضمّ الى الملاك بغتة جمهور الجند السَماويين يسَبّحون الله فيقولون: المجد لله في العلى! والسَلام في الأرض للناس أهل رضاه!

"فلما انصرف الملائكة عنهم الى السماء، قال الرعاة بعضهم لبعض: هلمّ بنا الى بيت لحم، فنرى ما حدث، ذاك الذي أخبرنا به الربّ. وجاؤوا مسرعين، فوجدوا مريم ويوسف والطفل مضجعاً في المزود. ولمّا رأوا ذلك جعلوا يخبرون بما قيل لهم في ذلك الطفل. فجميع الذين سَمعوا الرعاة تعجّبوا مما قالوا لهم. وكانت مريم تحفظ جميع هذه الأمور، وتتأمّلها في قلبها. ورجع الرعاة وهم يمجّدون الله ويسَبّحونه على كلّ ما سَمعوا ورأوا كما قيل لهم...

"ولمّا انقضت ثمانية أيام فحان للطفل أن يختن، سمّي يسوع، كما سَمّاه الملاك قبل أن يحبل به...

"ولمّا حان يوم طهورهما بحسَب شريعة موسَى، صعدا به الى أورشليم ليقدّماه للربّ، كما كتب في شريعة الربّ من أن كلّ بكر ذكر يُنْذِرُ للرب، وليقرّبا كما ورد في شريعة الربّ: زوجي يمام أو فرخي حمام.

"وكان في أورشليم رجل بارّ تقيّ اسمه سمعان، ينتظر الفرج لاسرائيل، والروح القدس نازل عليه. وكان الروح القدس قد أوحى اليه أنه لا يرى الموت قبل أن يعاين مسيح الربّ. فأتى الهيكل بدافع من الروح. ولمّا دخل بالطفل يسوع أبواه، ليؤدّيا عنه ما تفرضه الشريعة، حمله على ذراعيه وبارك الله فقال: الآن تطلق، يا سيّد، عبدك بسَلام، وفقاً لقولك. فقد رأت عيناي خلاصك الذي أعددته في سَبيل الشعوب كلّها. نوراً يتجلّى للأمم ومجداً لشعبك اسرائيل. وكان أبوه وأمّه يعجبان ممّا يقال فيه. وباركهم سمعان، ثم قال لمريم أمّه: ها إنه جعل لسقوط كثير من الناس، وقيام كثير منهم في اسرائيل، وآية معرّضة للرفض، وأنتِ سينفذ سيف في نفسك لتنكشف الأفكار عن قلوب كثيرة...

"وكانت هناك نبيّة هي حنّة ابنة فنوئيل من سَبط أشير ، طاعنة في السنّ، عاشت مع زوجها سَبع سَنوات ثم بقيت أرملة فبلغت الرابعة والثمانين من عمرها، لا تفارق الهيكل، متعبّدة بالصوم والصلاة ليل نهار. فحضرت في تلك السَاعة، وأخذت تحمد الله، وتحدّث بأمر الطفل كلّ من كان ينتظر افتداء أورشليم...

"ولمَّا أتمّا جميع ما تفرضه شريعة الربّ، رجعا الى الجليل الى مدينتهما الناصرة. وكان الطفل يترعرع ويشتدّ ممتلئاً حكمة، وكانت نعمة الله عليه...". (إنجيل لوقا 1: 26-45؛ 2: 1-40 مع الحواشي والشروحات).

تعلّق النسخة الجديدة على مقدمة انجيل لوقا (1: 1-4)، فتقول: "يستهلّ لوقا إنجيله بمقدمة على طريقة الكتّاب اليونانيّين المعاصرين له. فيذكر من سَبقه ويلفت النظر الى تقصّيه الأمور وترتيبه المعلومات، ويهدي كتابه أخيراً الى شخص وجيه. ويظهر من خلال خطواته هذه قصده أن يكون "مؤرّخاً دينيّاً"!: إنه يريد أن يكتب إنجيلاً

معتمداً "التقليد"... وسَنرى في كتاب لوقا أن المقصود ليسَ ترتيباً زمنياً في الدرجة الأولى، بل ترتيباً أدبيّاً وتعليمياً..."! (ص 186، الحاشيتان رقم 1 ورقم 5).

وتعلّق على الآية 5 من الفصل الأول: "كان في أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا..."، شارحة وموضّحة فتقول: "إنه هيرودس الكبير، المتوفي في السَنة 4 ق.م. (علماً بأن يسوع المسيح ولد قبل وفاة هيرودس بسَنتين...!؟) –راجع متى 2: 1 والحاشية رقم 1... وتدلّ كلمة "يهوديّة"، هنا وفي لغة اليونانيّين، على أرض اليهود كلّها. وسَيستعمل لوقا هذا اللفظ بالمعنى نفسَه في 4: 44 و 6: 17 و 23: 5 وأعمال الرسل 10: 37. وسَيطلقه، كما يفعل اليهود، على جنوب فلسطين، المميّز عن الجليل، في 3: 1 و 5: 17 وأعمال الرسل 9: 31" (ص 186 والحاشيتان رقم 9 ورقم 10).

أمّا بخصوص بشارة الملاك للعذراء مريم، بشكل عام، فالنسخة الجديدة توضح: "إن هذه الرواية تتم فصولها في الناصرة... وهي تصوّر رسَالة يسوع أولاً بصورة المشيح التقليديّ كما وردت في أقوال أشعيا 7: 14 و 9: 6 وصموئيل الثاني 7: 14-16 (الآيات: 31-33)، ثم بصورة ابن الله المثالي (الآية 35 وراجع أيضاً رومة 1: 4). والحبل البتولي بيسوع هو علامة هذه البنوّة الفريدة والعجيبة... وفي لوقا 2: 32 هناك أيضاً تخطٍ واضح لحدود هذه المشيحية القومية اليهوديّة ...؟! (ص 188-189، والحاشيتان رقم 42 ورقم 54).

أما بخصوص مكان البشارة –الناصرة- وقضية زمن اقامة العذراء في هذه القرية، فهناك عدم توافق واضح، إن لم نقل تناقضاً، من الناحيتين التاريخيّة والجغرافية، كما رأينا سَابقاً، بين رواية متى ورواية لوقا. ونكرر هنا هذا القول نظراً لاهميته وعلاقته المباشرة بطبيعة دراستنا هذه التي هي محض تاريخية وجغرافية. فمتى يقول، عند عودة يوسف ومريم ويسوع من مصر: "... فقام يوسف فأخذ الطفل وأمه ودخل أرض اسرائيل. لكنه سَمع أن أرخلاّوس خلف أباه هيرودس على اليهودية. فخاف أن يذهب اليها. فاوحي اليه في الحلم، فَلَجَأَ الى ناحية الجليل. وجاء مدينة يقال لها الناصرة فسَكن فيها، ليتم ما قيل على لسَان الانبياء: إنه يدعى ناصريّاً..." متى 2: 21-23 والحواشي رقم 12، 13، 14). اما لوقا من جهته فانه يقول: "وفي الشهر السَادس (بعد حبل اليصابات بيوحنا)، أرسَل الله الملاك جبرائيل الى مدينة في الجليل اسمها الناصرة، الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف، واسم العذراء مريم..." (لوقا 1: 26-27). إن عدم التوافق واضح جداً بين النصّين من الناحيتين التاريخية والجغرافية. فبحسَب متى، أقامت مريم في الناصرة، مع يوسف ويسوع، بعد رجوع الثلاثة من مصر. اما بحسَب لوقا، فقد كانت مقيمة في الناصرة عندما بشرّها الملاك جبرائيل بابنها يسوع!؟ في هذه القضية بالذات، يقول كبار مفسّرِي الأناجيل اليوم، ومنهم بنوا وبوامار وبيرّو وغيرهم، إن هناك في الواقع تبايناً

ظاهراً بين النصين ومن الأفضل أن نقرّ ونعترف بضعفنا وجهلنا في إعطاء الجواب الشافي على ذلك، لان كتب الأناجيل ليسَت كتباً تاريخية بحصر المعنى وبحسَب مفهومنا اليوم للتاريخ...

وعلى كلام الملاك لمريم: "لذلك يكون المولود قدُّوسَاً" تعلّق النسخة الجديدة: "قدوس": يدل هذا اللفظ على الانتماء الى الله وحده ، وهو من أقدم التعابير عن ألوهية يسوع (أعمال الرسل 3: 14 و 4: 27 و 30 راجع أيضاً لوقا 4: 34)". إذاً عبارة "قدّوس" تدل على الانتماء الى الله وحده! وليسَ على الانتماء الى داود... والعبارة التالية تؤكد على ذلك: "وابن الله يدعى". فليسَ هناك لا ابن داود... ولا من يحزنون. بل هناك "قدّوس وابن الله يُدعى". كما أن عبارة "وابن العليّ يُدعى" في لوقا 1: 32، تعني في الحقيقة وبحسَب النصّ الأصلي الاول "وابن عليّان يدعى"، أي "ابن إيل يدعى"، لان صفة "عليّان" الكنعانية، برأي الجميع اليوم، تعني: العالي جداً او المتعالي، وهي من أهم صفات الإله الكنعاني "إيل"! (راجع ملحمة البعل وعناة في "ملاحم وأساطير من أوغاريت (راس شمرا)" لأنيس فريحه، ص 373، 409، 414، 434، 438 الخ...).

وتعلّق النسخة الجديدة على لوقا 2: 2 "وجرى هذا الإحصاء الأول إذ كان قيرينيوس حاكم سوريا..."، فتقول: "ببليوس سَلبيسيوس قيرينيوس معروف في التاريخ بأنه حاكم على سورية، أجرى إحصاء فلسطين في السَنة 6 ب.م.، أي بعد وفاة هيرودس الكبير بعشر سَنوات (وقعت هذه الوفاة بعد ميلاد يسوع، بحسَب ما ورد في متى 2: 19 وراجع لوقا 1: 5). كان مسؤولاً عن السياسَة الرومانية في الشرق الأدنى منذ السَنة 12 ق.م. أفتراه باشر عمليات الإحصاء في فلسطين قبل وفاة هيرودس الكبير؟ أم هل استبق لوقا الإحصاء اللاحق؟ لا تمكّننا المعلومات التي لدينا من البتّ في هذا الأمر..."!! (ص 193-194 والحاشية رقم 4).

لقد بيّنا سَابقاً بالتفصيل أن مدينة داود، في العهد القديم، هي أورشليم –وليسَ بيت لحم، وبالتالي ان ربط يسوع بذرّية داود عن طريق بيت لحم يهوذا، أي كون داود ويسوع هما اصلاً من مدينة بيت لحم هذه، هذا الربط هو غير صحيح من الناحيتين التاريخية والجغرافية. وفي التعليق على نصّ لوقا هذا، الذي نحن بصدده، الآية 4: "وصعد يوسف أيضاً من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود التي يقال لها بيت لحم..."، تؤكّد النسخة الجديدة على ذلك، فتقول بالحرف الواحد: "في العهد القديم، تدلّ "مدينة داود" دائماً على أورشليم (لا على بيت لحم). (صموئيل الثاني 5: 7-9 و 6: 10-12 وسَفر اشعيا 22: 9)". (النسخة الجديدة ص 194، والحاشية رقم 6).

وجاء في نص لوقا الذي نحن بصدده في الآية 22 من الفصل الثاني: "ولما حان يوم طُهورهما...". فعلى هذه الآية الغامضة جداً، تعلّق النسخة الجديدة فتقول:

"في بعض المخطوطات: "طُهورِه"، وفي بعض المخطوطات الاخرى "طُهورِها"؟.
إن الشريعة الواردة في سَفر الاحبار 12: 1-8 تتناول الأم (ولذلك القراءة الثانية) (ص 195 الحاشية رقم 24). يبقى السؤال: طهور من، في النص الأصلي الأول؟ هل المقصود طهور يوسف؟ وما دخل يوسف في موضوع الطهور، وهو لم يقم علاقة جسَديّة مع مريم؟ أو هل المقصود طهور مريم، وهي التي جاء عنها في النص نفسَه أنها: "عذراء"، "ممتلئة نعمة"، نالت "حظوة عند الله"، الروح القدس سَينزل عليها"، وقدرة العلي تظلّلها والمولود منها قدوس وابن الله يُدعى"؟ فبعد كل ما قيل فيها، هل هي بحاجة الى طهور؟ جوابنا هو كلا! معاذ الله ان تكون العذراء مريم، أم الله، بحاجة الى أي نوع من الطهور. إنها ممتلئة نعمة" وكلّية الطهارة. وإذا قيل حصل الطهور إتماماً لشريعة موسَى ولإعطاء المثل الصالح الخ... فالجواب هو أن المخطوطات القديمة غير واضحة ومحدّدة، فمنها ما يقول: "طهوره"، ومنها "طهورها"، ومنها أيضاً "طهورهما"! هذا من جهة. ومن جهة أخرى، راينا سَابقاً أن أجداد يسوع هم من أصل غير يهودي وانهم أجبروا على اعتناق اليهودية قسراً والالتزام ظاهرياً باتّباع شريعة موسَى، وذلك قبل قرن من الميلاد على الأقل، على أيام أرسطوبولس الاول (104-103 ق.م.) ابن سمعان المكابي، الذي لقّب نفسَه ملكاً (سلالة الحشمونيين). وهكذا، فمن الممكن ان يكون اتمام شريعة الطهور قد حصل على هذا الشكل. مع العلم أن عملية الطهور لم تحصل أصلاً في أورشليم، بشكل تاريخي ثابت، كما سَنرى في الفقرات التالية. ومن المرجَّح جداً انها حصلت في الجليل وليسَ في اليهوديّة...

وإذا عدنا الى نشيد سمعان الشيخ في لوقا (2: 29-33)، والذي جاء فيه: "فقد رأت عيناي خلاصك الذي أعددته في سبيل الشعوب كلها، نوراً يتجلّى للأمم..."، نتبين بوضوح الطابع الروحي الشمولي لرسالة المسيح الحقيقي المنتظر، مما يتناقض مع الطابع العنصري القومي الضيّق الذي كان يسبغه اليهود على مسيحهم المنتظر. والنسخة الجديدة، من جهتها، تعلّق على ذلك موضحة: "هذه أول مرّة يبشر فيها بخلاص الوثنيّين في انجيل لوقا... ولن يعلن صراحة الاّ ابتداءً من وحي الفصح... (لوقا 24: 47)" (ص 196 الحاشية رقم 34). مما يوحي بأن سمعان الشيخ كان هو أيضاً من الجليل –"جليل الأمم"- فهو ينتظر مسيحاً روحياً عالمياً، "نوراً للأمم" "ومخلّصاً للشعوب كلها"، وليسَ مسيحاً دنيوياً عنصرياً محارباً قومياً كما كان اليهود ينتظرون. ان سمعان الشيخ، بالتالي، كان اقرب الى "الاسِّينيين" "والنصارى"، "والمنتظرين" المسيح الشامل، منه الى اليهود واليهوديّة الرسمية...

وهكذا كان الامر مع حنّة النبيّة، التي كانت هي أيضاً من الجليل. فاسمها واسم والدها والسبط التي هي منه، كل ذلك يدل على أنها جليلية: "وكانت هناك نبيّة هي حنّة ابنة فنوئيل من سَبط أشير طاعنة في السنّ..." (لوقا 2: 36).

فسَبط أشير كما هو معروف وظاهر في الخرائط يقع في الجليل، على شاطئ المتوسط، الى الشمال الغربي من سَبط زبولون، حيث توجد بيت لحم الحقيقية، الشمالية الجليلية وحيث ولد في الحقيقة يسوع المسيح. ومن جهة ثانية، جاء في نص لوقا نفسه (2: 38) "أن حنّة النبيّة حضرت في تلك السَاعة، وأخذت تحمد الله، وتحدّث بأمر الطفل كل من كان ينتظر افتداء أورشليم...". فاذا كان الأمر كذلك، وإذا كان يسوع ولد حقيقة في بيت لحم اليهودية القريبة جداً من أورشليم، أفلا يحق التساؤل، على الأقل، كيف نسي جميع هؤلاء الناس الذين سَمعوا كلام سمعان الشيخ وخاصة كلام حنّة النبيّة، كيف نسوا جميعهم أخبار الطفل يسوع وكونه ولد في بيت لحم القريبة منهم؟ زد على ذلك أن الرعاة انفسهم، قبل سمعان وحنّة، "جاؤوا مسرعين، فوجدوا مريم ويوسف والطفل مضجعاً في المزود. ولما رأوا ذلك جعلوا يخبرون بما قيل لهم في ذلك الطفل. وجميع الذين سَمعوا الرعاة تعجّبوا ممّا قالوا لهم... ورجع الرعاة وهم يمجّدون الله ويسَبحونه على كلّ ما سَمعوا ورأوا كما قيل لهم..." (لوقا 2: 16-20). فكيف يا ترى نسي الرعاة وجميع من سمعوا أخبارهم قصة هذه الولادة العجيبة التي حصلت قربهم في بيت لحم اليهودية؟ والاغرب من كل ذلك، كيف نسيت "أورشليم كلها" مع جوارها، وكيف نسيت "بيت لحم وجميع أراضيها" قصة هذه الولادة الفريدة، ولادة الطفل يسوع؟! فقد جاء في متى: "ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية، في أيام الملك هيرودس، إذا مجوس قدموا أورشليم من المشرق وقالوا: أين ملك اليهود الذي ولد؟ فقد رأينا نجمه في المشرق، فجئنا لنسجد له. فلما بلغ الخبر الملك هيرودس، اضطرب واضطربت معه أورشليم كلّها. فجمع عظماء الكهنة وكتبة الشعب كلّهم واستخبرهم أين يولد المسيح. فقالوا له: في بيت لحم اليهودية، فقد أوحي الى النبي فكتب: "وأنتِ يا بيت لحم، أرض يهوذا، لست أصغر ولايات يهوذا، فمنك يخرج الوالي الذي يرعى شعبي اسرائيل... ولما رأى هيرودس أن المجوس سَخروا منه، استشاط غضباً وأرسل فقتل كلّ طفل في بيت لحم وجميع أراضيها، من ابن سَنتين فما دون ذلك، بحسَب الوقت الذي تحقّقه من المجوس. فتمّ ما قال الرب على لسَان النبي إرميا: "صوت سمع في الرامة، بكاء ونحيب شديد، راحيل تبكي على بنيها وقد ابت ان تتعزّى لانهم زالوا من الوجود..." (لوقا 2: 1-6 و 16-18).

فبعد كل هذه الأحداث الخطيرة والكبيرة والتي انتشرت في كل تلك المنطقة من اليهودية، يتساءل المرء كيف ان جميع الناس قد نسوا كل ذلك، وكيف تلاشت نهائياً من ذاكرتهم هذه الاحداث الفريدة والخطيرة؟! فاذا كان المسيح قد ولد فعلاً في بيت لحم اليهودية، ألم يبقى، على الأقل، شخص واحد يتذكّر شيئاً من كل تلك الأحداث؟ اليسَ في الأمر غرابة قصوى، هذا إذا كان المسيح قد ولد فعلاً في بيت لحم اليهودية؟... غير ان المسيح لم يولد، في الحقيقة، في بيت لحم اليهودية

المعروفة اليوم والتي تقع على بعد حوالي 10 كلم الى الجنوب من أورشليم، بل قد ولد فعلاً بالقرب من بيت لحم الجليل في الشمال. فكان هناك طمس مقصود من قبل اليهود والمسيحيّين المتهوّدين من جهة، وجهل موروث ونسيان وخوف... من قبل الباقين حتى اليوم...! أما المسيحيون المتهوّدون فقد ركّزوا منذ البداية على أن المسيح ولد في بيت لحم اليهودية، مستعملين كل الوسائل... لكي يبرهنوا لليهود أن المسيح ولد عندهم في اليهودية، وانه بالتالي هو المسيح المخلّص الذي كان ينتظره اليهود، والذي كان انبياء اليهود يتنبأون عنه... من هنا كان التصرّف والتبديل والتحوير في نصوص الانبياء الذين تنبؤا عنه كي تصبح مؤاتية وملائمة لمسيح اليهود!

والبرهان على ذلك –والامر غريب وملفت حقاً- انه كان هناك منذ البداية، وعلى أيام المسيح نفسَه، تباين واختلاف حول مولد المسيح ونشأته وأصله. والخلاف في هذا الشأن كان ظاهراً وعلنياً بين الناس. فقد جاء في إنجيل يوحنا ما يلي: "... فقال أناس من أهل أورشليم: اليسَ هذا الذي يريدون قتله؟ فها إنه يتكلّم جهاراً ولا يقولون له شيئاً. تُرى هل تبيّن للرؤساء أنه المسيح؟ على أن هذا نعرف من اين هو، وأمّا المسيح فلا يعرف حين يأتي من أين هو. فرفع يسوع صوته وهو يعلّم في الهيكل قال: أجل انكم تعرفونني وتعرفون من أين أنا... فقال أناس من الجمع وقد سَمعوا ذلك الكلام: هذا هو النبيّ حقاً! وقال غيرهم: هذا هو المسيح! ولكنّ آخرين قالوا: أفترى من الجليل يأتي المسيح؟ ألم يقل الكتاب إن المسيح هو من نسل داود وانه يأتي من بيت لحم، القرية التي منها خرج داود؟ فوقع بين الجمع خلاف في شأنه. وأراد بعضهم أن يمسكوه، ولكن لم يبسط اليه أحد يداً. ورجع الحرس الى رؤساء الكهنة والفرّيسيين، فقال لهم هؤلاء: لماذا لم تأتوا به؟ أجاب الحرس: ما تكلّم إنسان قط مثل هذا الكلام. فأجابهم الفرّيسيّون: أخدعتم أنتم أيضاً؟ هل آمن به أحد من الرؤساء أو الفرّيسيين؟ أمّا هؤلاء الرعاع الذين لا يعرفون الشريعة، فهم ملعونون. فقال لهم نيقوديمس وكان منهم، وهو ذاك الذي جاءَ قبلاً الى يسوع: أتحكم شريعتنا على أحد قبل أن يُستمع اليه ويعرف ما فعل؟ أجابوه: أوأنت أيضاً من الجليل؟ إبحث ترَ أنه لا يقوم من الجليل نبيّ... ثم انصرف كلّ منهم الى بيته..." (يوحنا 7: 25-28 و 40-53).

يظهر جليّاً من النصّ أنه كان هناك خلاف واضح وعلني بين الجموع في شأن يسوع. خلاف حول أصله وموطنه، هل هو من الجليل ام من بيت لحم اليهودية؟ وخلاف ايضاً حول طبيعة دعوته ورسالته، هل هو النبيّ؟ هل هو المسيح المخلّص المنتظر؟ من هو في الحقيقة هذا الرجل؟ وما هي رسالته؟ ورغم ان الاكثرية الساحقة كانت تعتقد أنه جليلي "هذا النبي يسوع من ناصرة الجليل..." (متى 21: 11)، فإن الخلاف في شأنه، ظل قائماً فيما بعد، طوال ثلاثة قرون، بين المسيحيين

من جهة واليهود والمسيحيّين المتهوّدين من جهة ثانية... وكان الخلاف يدور حول علاقة يسوع بذرية داود، وحول مكان مولد يسوع: هل ولد في الجليل أم في اليهودية؟ هل ولد في ناصرة الجليل أم في بيت لحم يهوذا؟ هل مدينَتُهُ الناصرة أم بيت لحم؟...

هذه التساولات تعود بنا الى نهاية رواية الميلاد عند لوقا –أو انجيل الطفولة- الذي نحن بصدده. يقول لوقا: "... ولمّا أتمّا (يوسف ومريم) جميع ما تفرضه شريعة الرب (حول تقدمة يسوع لله وما اليها) رجعا الى الجليل الى مدينتهما الناصرة. وكان الطفل يترعرع ويشتدّ ممتلئاً حكمة، وكانت نعمة الله عليه..." (لوقا 2: 39-40). وهنا أسئلة هامة تفرض نفسَها من الناحيتين التاريخية والجغرافية، ولم تجد لها أجوبة الى اليوم حتى عند كبار شارحي ومفسّري الأناجيل المقدسة في يومنا هذا. وهذه الأسئلة تختصر بالتالية:

أولاً: انطلق يوسف ومريم من الناصرة الى أورشليم، بحسَب لوقا، لتقدمة يسوع الطفل لله في الهيكل. لكن بحسَب متى، سَكنت العائلة المقدسة في الناصرة، بعد عودتها من مصر؟ ما هي الحقيقة التاريخية؟ ومتى سَكنت العائلة المقدسة الناصرة؟ لا جواب تاريخي قاطع حتى اليوم...!

ثانياً: متى لم يذكر تقدمة يسوع الطفل لله في هيكل أورشليم. لماذا؟ هل حصلت هذه التقدمة، بحسب متى؟ ومتى حصلت؟ ذلك لان ملاك الرب طلب من يوسف، مباشرة بعد رجوع المجوس الى بلادهم، "أن يهرب بالطفل وأمه الى مصر..." (متى 2: 13-15). وهنا أيضاً لا جواب تاريخيّ قاطع على هذا السؤال حتى اليوم!

ثالثاً: وبحسَب لوقا أيضاً (2: 22-40)، ذهبت العائلة المقدسة، بكل هدوء وبشكل طبيعي جداً، من الناصرة "مدينتهم" الى أورشليم لتقدمة الطفل يسوع لله في الهيكل، وكأن شيئاً لم يكن!؟ كأن المجوس لم يأتوا ولم يسألوا: "أين ملك اليهود الذي ولد؟ فقد رأينا نجمه في المشرق، فجئنا لنسجد له..." (متى 2: 2)! وكأن "هيرودس لم يضطرب وتضطرب معه أورشليم كلها..." (متى 2: 3)! وكأن "عظماء الكهنة وكتبة الشعب كلّهم لم يجتمعوا بهيرودس ويقولوا له: إن المسيح يولد في بيت لحم اليهودية بحسب النبي القائل: "وأنت يا بيت لحم، أرض يهوذا، لست أصغر ولايات يهوذا، فمنك يخرج الوالي الذي يرعى شعبي اسرائيل..." (متى 2: 4-6)! وأكثر من ذلك كلّه، كيف ذهبت العائلة المقدسة من الناصرة الى أورشليم لتقدمة الطفل يسوع لله في الهيكل بعد أربعين يوماً من ولادته، وكأن "الملك هيرودس لم يستشط غضباً ويرسل فيقتل كل طفل في بيت لحم وجميع أراضيها، من ابن سَنتين فما دون ذلك، بحسَب الوقت الذي تحقّقه من المجوس. فتم ما قال الرب على لسان النبي إرميا: صوت سمع في الرامة، بكاء ونحيب

شديد. راحيل تبكي على بنيها، وقد أبت أن تتعزّى لانهم زالوا عن الوجود..." (متى 2: 16-18)! كيف حصل كل ذلك؟ ومتى؟ ألم يخف يوسف ومريم من غضب الملك هيرودس؟ ألم يخافا من عظماء الكهنة ورؤساء اليهود؟ ألم يخافا من أحد وهم يقطعا تلك المسافة الشاسعة التي تفصل الناصرة عن مدينة أورشليم؟ مع انه بعد انصراف المجوس على الفور "تراءى ملاك الرب ليوسف في الحلم وقال له: قم فخذ الطفل وأمه واهرب الى مصر وأقم هناك حتى أعلمك، لان هيرودس سَيبحث عن الطفل ليهلكه. فقام يوسف فأخذ الطفل وأمّه ليلاً ولجأ الى مصر. فأقام هناك الى وفاة هيرودس، ليتم ما قال الربّ على لسان النبيّ: من مصر دعوت ابني..." (متى 2: 13-15)! فكيف والحالة هذه، ذهبت العائلة المقدسة هكذا بكل هدوء وبشكل طبيعي جداً، من الناصرة الى أورشليم، لتقدمة يسوع لله في الهيكل بعد أربعين يوماً من ولادته؟ وكيف انه "لما أتما (يوسف ومريم) جميع ما تفرضه شريعة الرب، رجعا الى الجليل الى مدينتهما الناصرة. وكان الطفل يترعرع ويشتد ممتلئاً حكمة، وكانت نعمة الله عليه..." (لوقا 2: 39-40). وكيف حصل الذهاب من الناصرة الى أورشليم والاقامة فيها والرجوع الى الناصرة، هكذا بكل هدوء وبشكل طبيعي جداً، وهيرودس يفتش عن الطفل ليهلكه "ويُرسل فيقتل كل طفل في بيت لحم وجميع أراضيها، من ابن سَنتين فما دون ذلك..."؟! فكيف حصل كل ذلك اذا كان المسيح قد ولد قرب أورشليم، في بيت لحم اليهودية؟ اليسَ في الأمر، كما هو واضح جداً من مقابلة النصوص، غرابة حقيقية من الناحيتين التاريخية والجغرافية؟...

على كل هذه التسَاؤلات المحرجة يجيب كبار الشارحين ومفسِّري الأناجيل، وعلى رأسهم بنوا وبوامار، يجيبون بما معناه: إن كتب الأناجيل ليست كتباً تاريخية بالمعنى الحصري للكلمة، أي بالمفهوم العلمي الحديث لعبارة "تاريخ"، لا أجوبة قاطعة على هذه التسَاؤلات، ومن الأفضل ان نقرّ بجهلنا وضعفنا! ...الخ...

أمّا إذا اعتبرنا ان يسوع المسيح قد ولد في مغارة بالقرب من بيت لحم الجليل الشمالية، القريبة جداً من الناصرة –وهذا ما تسعى هذه الدراسَة الى اثباته- فان كل هذه التسَاؤلات التاريخية والجغرافية المحرجة تبطل تلقائياً ويستقيم الامر تماماً من حيث المنطق والواقع معاً. وهذا ما سَنفصّله لاحقاً.

وبعد أن عرضنا فيما سَبق رواية الميلاد والاحداث المحيطة بها بحسب متى ولوقا، ونقلنا تعليقات وشروحات النسخة الكاثوليكيّة الجديدة حولها، يجدر بنا هنا ان نضيف بعض الملاحظات التي وردت في الفترة الاخيرة حول هذه الاحداث عند بعض الشارحين والمؤرّخين والعلماء... فقد تأكد اليوم بفضل الاكتشافات الآركيولوجية –وبالتالي التاريخية والجغرافية- أن مدينة الناصرة لم تكن موجودة أيام الميلاد، فهي قد بنيت خلال القرن الثاني للميلاد! فهذا يغيّر أموراً كثيرة، ويوضح تماماً أموراً أخرى،

ويكشف عن الحقيقة المجرّدة، مما يؤكد ويثبت، بشكل قاطع ونهائي، نظريتنا الخاصة في هذه الدراسة!! (راجع فيما يخص زمن بناء الناصرة كلام اتيان نودى الاستاذ في المدرسة البيبلية والآركيولوجيَّة في كتاب جيرار مورديّا وجيروم بريُّور "ملك اليهود"، بالفرنسية، منشورات كوربُسَ كريستي-آرتي، تورين إيطاليا، 1997، ص 29-31).

ففيما يخصّ بشارة الملاك جبرائيل للعذراء مريم، وبالتحديد فيما يخص تعيين المكان الذي حصلت فيه هذه البشارة، هناك اقوال وآراء مختلفة... منهم من يقول إن البشارة حصلت في بيت مريم ويوسف في ناصرة الجليل. ومنهم من يقول إنها حصلت في ضواحي الناصرة عند "عين الماء" حيث كانت مريم تستقي ماءً. ومنهم من يقول إنها حصلت في هيكل أورشليم عندما كانت العذراء تصلّي في داخله. ومنهم من يقول في مكان ما في الجليل دون تحديد الموقع. ومنهم من لا يحدّد أين حصلت البشارة... الخ...؟

فعلى ضوء ما رأينا يتعذر القول، بشكل علمي جغرافي ثابت، إن البشارة حصلت في الناصرة او في ضواحيها، وذلك لان اقامة مريم في الناصرة، قبل رجوع العائلة المقدسة من مصر، غير ثابت من الناحية التاريخية والجغرافية. ففي حين يقول لوقا: "إن الله أرسَل الملاك جبرائيل الى مدينة في الجليل اسمها الناصرة، الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسُف، واسم العذراء مريم..." (لوقا 1: 26-27)، يقول متى، من جهته، إن يوسف عند عودته من مصر مع مريم ويسوع، "خاف ان يذهب الى اليهودية، فأوحي اليه في الحلم، فلجأ الى ناحية الجليل. وجاء مدينة يقال لها الناصرة فسَكن فيها، ليتمّ ما قيل على لسَان الانبياء: إنه يدعى ناصريّاً..." (متى 2: 22-23)؟! والقول، على ما يظهر، إن البشارة حصلت في الناصرة أو في جوارها يعود إمّا لكون العائلة المقدسة سَكنت في الناصرة، برأيهم، لفترة من الزمن، وإمّا لتفسيرات شعبية تقويّة متوارثة، وإما للإثنين معاً... والثابت أنه ليسَ هناك اسَاس تاريخي وجغرافي محقّق لحصول البشارة في الناصرة او في جوارها، عدا عن أن الناصرة نفسَها لم تكن موجودة في تلك الأيام...

أمّا القول بأن بشارة الملاك للعذراء مريم قد حدثت في هيكل اورشليم، فهو قول تقوي شعبي سطحي لا أسَاس له من الصحة على الإطلاق. فمن الثابت ان العذراء مريم قد عاشت، مع جميع اقربائها وانسبائها، في الجليل، على الأقل قبل موت ابنها يسوع على الصليب. والتقاليد القديمة، على أنواعها، مسيحيّة كانت او يهودية أو إسلامية، تقول كلها ان مريم كانت في الجليل قبل موت المسيح. ونحن نعلم مدى سَعي المسيحيّين المتهوّدين لربط أهم الامور والاحداث بمدينة أورشليم تمشياً مع اليهود...!

إن العذراء مريم، عندما بشّرها الملاك جبرائيل، كانت في الجليل، دون أدنى شك، ولم تكن اطلاقاً في الجنوب في أرض يهوذا أي في اليهودية. وبالتحديد، لم تكن في الناصرة بعد رجوعها من مصر، لان الناصرة، كما ثبت اليوم، لم تكن موجودة بعد، فهي قد بنيت في القرن الثاني بعد الميلاد. إذاً، أين كانت العذراء مريم مقيمة بالتحديد عندما بشرها الملاك جبرائيل بالحبل بابنها يسوع المسيح؟

رأينا سَابقاً أن أهل يسوع وأقاربه وأنسباءَه وأجداده كانوا جميعاً في الجليل. وهناك إجماع تام حول هذا الموضوع. ورأينا، من جهة ثانية، أن والديه، يوسف ومريم، كانا من الجماعات الروحيّة السَاكنة في "جليل الأمم"، والتي كانت تنتظر بلهفة مجيء مخلّص روحي للبشر أجمعين يحرّر الناس كلهم من ربقة الشر والخطيئة ويحلّ ملكوت الله على الأرض ويحقق المصالحة الروحية بين الله والناس، بعكس المسيح الذي كان ينتظره اليهود. فهؤلاء كانوا ينتظرون مسيحاً زمنياً محارباً قومياً يحرّرهم من الغرباء وينتصر على أعدائهم الخ... كانت الجماعات الجليلية الروحية أصحاب نظرة انسانية روحية شاملة، وكانت على علاقة متواصلة مع جماعات روحية متشابهة منتشرة في كل اصقاع الشرق ومنها جماعة المجوس... وكانوا جميعاً ينتظرون مجيء مخلّص بشريّ روحيّ. وكانت لهم بالاضافة الى دير الاسينيّين على ضفاف البحر الميت –الذي اصبح في يومنا هذا معروفاً وشهيراً جداً- مراكز في كل فلسطين، ومنها حيّ كبير في مدينة أورشليم نفسَها مع مضافة ومستشفى في الجهة الجنوبية من المدينة. وكان احد "ابواب" اورشليم يسمّى "باب الاسينيين"...! (كل هذه الحقائق التاريخية المسجّلة في التواريخ والخرائط القديمة كانت قبل اليوم منسيّة مطموسة إمّا عن قصد أو عن جهل موروث أو عن خوف... أمّا اليوم فقد أصبحت معروفة من الجميع...! راجع الخرائط القديمة والجديدة).

هذه الجماعات الروحيّة الجليليّة، والتي منها "الاسينيّون" "والمنتظرون" (مجيء المخلّص الروحي) "والنذيريم" و"المكرّسون" وغيرهم...، والتي تحدثنا عنها بالتفصيل سَابقاً، هذه الجماعات كانت، قبل الميلاد بحوالي 70 سَنة، قد انتظمت في مجموعة كبرى وشيّدت ديراً كبيراً ومجموعات سَكنية فوق جبل الكرمل، بالقرب من المعبد الكنعاني القديم الذي كان قد تهدم ورمّمه النبي إيليا (سَفر الملوك الاول 18: 30). وبعد اطّلاعنا على العديد من المخطوطات والكتب التاريخية القديمة، بالاضافة الى ما نشر مؤخراً عن مخطوطات قمران (البحر الميت) وبعض الكتب السرّية الحديثة، وبعد مقابلة كل ذلك مع كتب العهد الجديد القانونية والمنحولة، تبيّن لنا بوضوح ان بشارة الملاك للعذراء مريم وأن التجسّد الالهي (لان التجسّد قد حصل في أحشاء العذراء بعد حدث البشارة على الفور) قد حصلا في الواقع، تاريخياً وجغرافياً، فوق جبل الكرمل، في الدير الكبير الذي شيدته هذه الجماعات الروحية الجليلية الآنفة الذكر! وإليكم التفاصيل:

كانت هذه الجماعات الروحية المنفتحة على الحضارات والديانات والمذاهب الروحية الشرقية كافة، تنتظر عما قريب وبلهفة قوية مسيحاً روحياً ومُخلّصاً بشرياً شاملاً يحقّ الحق وينشر العدالة بين الجميع ويصالح الناس مع الله. وكانت لهم دراساتهم وتنبؤاتهم الفلكية، وكانوا على اتصال متواتر بالمجوس الشرقيّين حول تحديد مجيء هذا المسيح المخلّص المنتظر... وقد أثبتت مخطوطات قمران في البحر الميت مؤخراً صحة وجود هذه الجداول الفلكية عند الجماعة الاسينية! وهكذا، وقبيل ميلاد يسوع المسيح، كان الشرق كله، ومنه فلسطين والجليل، ينتظر بلهفة قوية مجيء "نبيّ كبير" أو مسيح مخلّص... والأناجيل القانونية نفسَها مليئة بالإشارات حول هذا الانتظار الكبير (راجع متى 16: 13-16؛ مرقس 8: 27-30؛ لوقا 9: 18-21)

وقبل الميلاد بفترة قصيرة، واستعداداً وتحضيراً لمجيء هذا المخلّص الروحي الذي كانوا يعتقدون أنه سَيولد عندهم، باشر كبار ورؤساء هذه الجماعات الروحيّة الجليلية، وعلى رأسهم الاسينيّون، بالتحضير المباشر لهذه الولادة الفريدة... فاختاروا 12 فتاة أو صبيّة عذراء (لاحظ الرقم 12)، من أطهر وأقدس العائلات عندهم، عَلَّ المخلّص المنتظر يولد من إحداهن. وكانت هذه الفتيات تقمن خصيصاً في الدير الكبير فوق جبل الكرمل. وقد أصبح من المعروف اليوم، وبعد اكتشاف مخطوطات قمران، أن التجمّعات السَكنية لهذه الجماعات الروحيّة المنفتحة كانت تضم الرجال والنسَاء. وهذا ما لم يكن معتاداً عند اليهود... وكانت هذه الفتيات يَعشن سَوية في نوع من العزلة "والحصن" كالراهبات المتعبدات، يقضين أيامهنّ في الصلاة والتأمل وخدمة الهيكل. وهذه ظاهرة لم تكن معروفة اطلاقاً عند الشعب اليهودي، بل كانت سَائدة عند الاسينيّين وبقية الجماعات الروحية الجليلية المماثلة. وبالاضافة الى ذلك كانت هذه الفتيات المختارات يحصلن على ثقافة روحية وفكرية متقدمة، وذلك دون شك بتأثير مباشر من البيئة الكنعانية الحضارية المحيطة، كما كنّ يَتَلَقَنَّ الحقائق السرّية والإعداد المعيّن. من هذه الفتيات الاثنتي عشر المختارات بالذات كانت مريم العذراء. وكان والدها، يواكيم وحنّة، من أبرز واطهر العائلات الروحية بين تلك الجماعات الجليلية. وكانا قد تخليا عن كل ما يملكان في سَبيل تحقيق هذا الهدف السَامي. وعندما دنت سَاعة حنّة لتلد قرّر الوالدان في حال رزقهما الله صبيّة بأن يسَمياها "مريم" ويكرسَاها للرب، فتكون في عداد الفتيات المختارات. وهكذا كان. وعندما بشّرها الملاك جبرائيل بالحبل بيسوع ابن الله، كانت مريم العذراء –الملقّبة "بحمامة إيل"- تعيش بين تلك الفتيات الاثنتي عشر فوق جبل الكرمل بالذات. وجبل الكرمل هذا، كما هو معروف وثابت ومؤكّد (راجع جميع التواريخ والخرائط القديمة)، كان منذ فجر التاريخ، وفي أيام الميلاد، وبعد الميلاد بحوالي 70 سَنة، كان جبل الكرمل هذا داخل أراضي فينيقية-لبنان!!!

أجل! في لبنان بالذات حصلت بشارة الملاك لمريم. في لبنان بالذات حصل الحبل بيسوع، إذ إن الحبل به قد حصل فعلاً، كما يجمع المفسّرون، في نهاية البشارة عندما قالت مريم للملاك: "فليكن لي حسَب قولك...". في لبنان بالذات، حصل التجسّد الالهي "والكلمة صار جسداً وحلّ فينا...". وولادة يسوع المسيح عينها حصلت أيضاً في لبنان، في مغارة بالقرب من بيت لحم الشمالية –لا الجنوبية- في سَفح جبل الكرمل الشمالي الشرقي، وهو موضوع هذه الدراسَة.

بعد قصة بشارة الملاك جبرائيل للعذراء مريم، ومكان حصول هذه البشارة، وبعد الحبل بيسوع، تأتي قصة الاكتتاب أو الإحصاء الذي قام به الرومان. "وفي تلك الأيام، صدر أمر عن القيصر أغسطس بإحصاء جميع أهل المعمور. وجرى هذا الاحصاء الاول إذ كان قيرينيوس حاكم سورية. فذهب جميع الناس ليكتتب كلّ واحد في مدينته. وصعد يوسف أيضاً من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود التي يقال لها بيت لحم، فقد كان من بيت داود وعشيرته، ليكتتب هو ومريم خطيبته وكانت حاملاً..." لوقا 2: 1-5).

يجمع المؤرخون وشارحو الكتاب المقدس اليوم أنه قد حصل بالفعل نوع من الاكتتاب والاحصاءات في ذلك العصر، من قبل الرومان، لسكّان المملكة الرومانية والبلاد التابعة لسلطة قيصر. غير أنه قد ثبت اليوم ان هذه الاحصاءات قد حصلت، بشكل مؤكّد، قبل ولادة المسيح بفترة طويلة او بعد ولادته بسَنوات عديدة ولم يحصل أي إحصاء كان عند ميلاد يسوع بالذات، كما في رواية لوقا؟! وهناك اليوم إجماع تامّ حول هذا الموضوع بالذات، من قبل جميع المؤرخين وشارحي ومفسّري الكتاب المقدّس...! والمؤرخون في ذلك العصر، وعلى رأسهم المؤرخ الشهير يوسيفوس (فلافيوس جوزاف)، لم يذكروا أي نوع من الإحصاء أو الاكتتاب في الزمن الذي ولد فيه المسيح. حتى إن متى نفسَه الذي تحدّث عن الميلاد والاحداث المحيطة به لم يذكر شيئاً عن الإحصاء والاكتتاب ولا عن سَفر يوسف ومريم الحبلى من الجليل الى بيت لحم... كما أن مرقس ويوحنا هما ايضاً، من جهتهما، لم يذكرا شيئاً عن الميلاد وطفولة يسوع! والنسخة الكاثوليكية الجديدة، التي بين أيدينا، تعلّق على موضوع الاحصاء، وقد أشرنا الى ذلك سَابقاً، فتقول: "ببليوس سَلبيسيوس قيرينيوس معروف في التاريخ بأنه حاكم على سوريَّة، أجْرى إحصاءَ فلسطين في السَنة 6 ب.م. أي بعد وفاة هيرودس الكبير بعشر سَنوات (وقعت هذه الوفاة بعد ميلاد يسوع، بحسَب ما ورد في متى 2: 19 وراجع لوقا 1: 5). كان مسؤولاً عن السياسَة الرومانية في الشرق الأدنى منذ السَنة 12 ق.م.، أفتراه باشر عمليات الاحصاء في فلسطين قبل وفاة هيرودس الكبير؟ أم هل استبق لوقا الاحصاء اللاحق؟ لا تمكننا المعلومات التي لدينا من البتّ في هذا الأمر..." (النسخة الجديدة في تعليقها على الاحصاء في لوقا 2: 1-5 والحاشية رقم 4 ص:193-194).

وهكذا، وبعد مرور الفي سَنة على ميلاد يسوع، لا يمكن النسخة الجديدة ان تبت بتحديد زمن الاحصاء الذي ورد في لوقا. هل حصل قبل الميلاد ام بعده؟ وهي تتساءل اليوم: أفترى قيرينيوس باشر الإحصاء في فلسطين قبل وفاة هيرودس الكبير؟ أم هل استبق لوقا الإحصاء اللاحق؟! وهي تعترف أنه لا تمكننا المعلومات التي لدينا من البتّ في هذا الامر..."! أما التواريخ –بالمفهوم الحصري الحديث لكلمة "تاريخ"- فانها تؤكّد بالاجماع أنه قد حصلت إحصاءات رومانية قبل ولادة المسيح بفترة طويلة وبعد هذه الولادة بسَنوات عديدة، وأنه بالتالي –وهذا هو المهم والخطير في نظرنا- لم يحصل إحصاء أو اكتتاب البتّة في زمن الميلاد بالذات. وهذا يعني بوضوح، وكنتيجة منطقية حتمية، ان يوسف والد يسوع لم يذهب من الناصرة الى اليهودية، الى بيت لحم مدينة داود، ليكتتب هو ومريم خطيبته وكانت حاملاً...!!! فمن جهة، لم يحصل إحصاء في ذلك الوقت كي يذهب يوسف... ومن جهة ثانية، لم يكن هناك ناصرة لينطلق منها يوسف...! هذه هي الحقيقة.

وجاء في أعمال الرسل، حول موضوع الاحصاء، ما يلي: "فقام في المجلس فريسيّ اسمه جملائيل، وكان من علماء الشريعة، وله حرمة عند الشعب كلّه. فأمر بإخراج هؤلاء الرجال (الرسل المسجونين في مجلس اليهود) وقتاً قليلاً، ثم قال لهم: يا بني إسرائيل، إياكم وما توشكون أن تفعلوه بهؤلاء الناس. فقد قام ثودس قبل هذه الأيام، وادّعى أنه رجل عظيم، فشايعه نحو أربعمائة رجل، فقتل وتبدّد جميع الذين انقادوا له، لم يبقَ لهم أثر. وبعد ذلك قام يهوذا الجليلي <u>أيام الاحصاء</u>، فاستدرج قوماً الى اتّباعه، فهلك هو أيضاً وتشتّت جميع الذين انقادوا له..." (أعمال الرسل 5: 34-37).

فالنسخة الجديدة تعلق على هذا النص، فتقول: "كتب المؤرخ اليهوديّ يوسيفوس أن "ثودس" كان يدّعي أنه نبيّ ويعد أنصاره بأنهم سَيعبرون نهر الاردن على اليبس، كما فعل يشوع محرّر أرض الميعاد... والعصيان الذي تزعّمه "يهوذا الجليليّ" ورد ذكره أيضاً عند يوسيفوس المؤرخ، ولقد نتج عن الاحصاء مباشرة (4 ق.م. أو 6 ب.م.). وكان هذا العصيان منطلقاً لحركة الغيورين، علماً بأن هذه الحركة لم تفشل..." (ص 388، الحاشيتان رقم 16 ورقم 17). وهذا دليل آخر، في الكتاب المقدّس نفسَه، وفي يوسيفوس المؤرّخ أيضاً، أن الإحصاء أو الاكتتاب لم يحصل زمن الميلاد نفسَه، بل قبله بفترة من الزمن! مع أن لوقا يقول عن الإحصاء الذي جرى وقت الميلاد أنه الاحصاء الاول؟! فقد جاء بالحرف الواحد: "وفي تلك الأيام، صدر أمر عن القيصر أوغسطس بإحصاء جميع أهل المعمور. وجرى <u>هذا الإحصاء الأول</u> إذ كان قيرينيوس حاكم سورية. فذهب جميع الناس ليُكتتب كل واحد في مدينته. وصعد يوسف أيضاً من الجليل من مدينة الناصرة... ليكتتب هو ومريم خطيبته وكانت حاملاً..." (لوقا 2: 1-5)؟! ونذكّر هنا، مرّة أخرى، بتعليق النسخة الجديدة التي تقول

حول هذا الموضوع: "... لا تمكّننا المعلومات التي لدينا من البتّ في هذا الامر..." (ص 194، الحاشية رقم 4، المقطع الأخير)؟!

يقول الشارح واللاهوتي الكاثوليكي الكبير، والاستاذ في المعهد الكاثوليكي في باريس، شارل بيرّو: "إن مشكلة الإحصاء في الأناجيل لم تحسم بعد، فهي قائمة الى يومنا هذا... ("يسوع والتاريخ"، 1979، ص 86). ويوافق هذا القول لاهوتي كبير لآخر، هو أوسكار كولمن في كتابه: "الولادة وشجرة الميلاد"، منشورات "سَيرف"، 1933. وهكذا، يتبين لنا أن كتب الأناجيل المقدسة لا يمكن اعتبارها، مرة أخرى، كتباً تاريخية بحصر المعنى وبحسَب مفهومنا اليوم، العلمي والدقيق، لكلمة "تاريخ". وهكذا، لم يذهب يوسف ليكتتب هو ومريم خطيبته الحامل، لانه، وبكل بسَاطة، لم يكن هناك اكتتاب او احصاء في ذلك الوقت بالذات! والذي جعل عامة الناس يعتقدون أن المسيح ولد في بيت لحم اليهودية، الجنوبية، بالقرب من أورشليم، وليس في بيت لحم الشمالية في الجليل، هو هذا المقطع الوارد في لوقا 2: 1-8، والغير الثابت والدقيق تاريخياً وجغرافياً، والذي ورد فيه: "وفي تلك الأيام، صدر أمر عن القيصر أغسطس بإحصاء جميع أهل المعمور... وصعد يوسف أيضاً من الجليل من <u>مدينة الناصرة</u> الى اليهودية... ليُكتتب هو ومريم خطيبته وكانت حاملاً..." (لوقا 2: 1-7). مرّة أخرى، الناصرة لم تكن موجودة أيام يوسف!

يقول اليوم الشارحان الكاثوليكيان الكبيران ب. بنوا وم. أ. بوامار: "أن الاحصاء او الاكتتاب الذي ذكر وقت الميلاد <u>هو أمر غير مؤكد وغير ثابت تاريخياً</u>..." (راجع كتابهما الضخم الشهير بالفرنسية: "إزائية الأناجيل الأربعة، الجزء الثاني، ص 63، الحاشية رقم 9، المقطع الأخير). غير أنهما يذكران أكثر من إحصاء حصل في الامبراطورية الرومانية قبل الميلاد أو بعده. والعالم شارل بيرّو، أحد كبار شارحي الانجيل وكتب العهد الجديد، يقول: "في كل الاحصاءات التي حصلت في أيام أغسطس قيصر، في بلاد الغال، في إسبانيا، في مصر، في سوريّة وغيرها، كان كل انسان يسجّل في <u>مكان إقامته وليسَ في وطنه الأصلي أو مسقط رأسه</u>... وكانت الغاية من تلك الاحصاءات إمّا تعداد الرجال الصالحين للحرب وإما معرفة حجم الممتلكات والخيرات بغية تحسين الضرائب. فإذا كان الامر كذلك، <u>فمن المستبعد جداً ان يكون يوسف قد سَافر من الجليل الى اليهودية لهذه الغاية</u>..." ("أحداث طفولة يسوع"، بالفرنسية، ص 51، العمود الأول). وجاك دوكين في كتابه الشهير "يسوع" يقول نفس القول تقريباً (الفصل الثالث، ص 45). وهكذا، وإذا افترضنا أن إحصاءً ما حصل عند الميلاد، في أيام يوسف، فان هذا الأخير يكون قد اكتتب في بيت لحم في الجليل، لانه كان من هذه المدينة. غير أنه في الحقيقة التاريخية، كما ذكرنا، لم يحصل أي احصاء او اكتتاب في أيام يوسف، أي في زمن الميلاد. أمّا رواية سَفر يوسف المزعومة من الناصرة الى اليهودية اى مدينة داود التي يقال لها بيت لحم (مع انه من الثابت أن

اورشليم كانت تسمّي هي وحدها دوماً "مدينة داود"...)، لانه كان من بيت داود وعشيرته، ليكتتب هو ومريم خطيبته وكانت حاملاً...، هذه الرواية، من حيث ربطها الميلاد بأرض اليهودية ومن هذه الناحية فقط، لا تستند الى أي أسَاس تاريخيّ وجغرافيّ. أما فيما سَوى ذلك، فالميلاد، كما جاء في الأناجيل المقدّسة، هو حقيقة تاريخية وجغرافية ثابتة ومؤكّدة، لا لبسَ فيها ولا إبهام ولا شك، على الإطلاق؛ وهي بكل تأكيد أعظم حقيقة في تاريخ البشرية والأرض. غير أن ربط أحداث رواية الميلاد بأرض اليهودية، وببيت لحم اليهودية بالذات، كان الغاية منه ربط يسوع المسيح بسَبط يهوذا وببيت داود وبأورشليم عاصمة اليهود (ولو عاصمتهم لفترة قصيرة من الزمن...) أي بالمثلث القومي اليهودي المعروف، والذي تحدثنا عنه مراراً وتكراراً. ومفتعلو هذا الربط غير الصحيح وغير الثابت هم بعض من النسّاخ الأقدمين من المسيحيّين المتهوّدين، الذين كان همّهم اقناع اليهود، بكل الطرق والوسائل، أن يسوع هو المسيح المخلّص الذي كان ينتظره اليهود. ومعروف تماماً أن المسيح المخلّص الذي ينتظره اليهود هو قائد عسكري قومي يحرّر اليهود وينصرهم على أعدائهم ويجعلهم يستعبدون الناس أجمعين. أما المسيح المخلّص الحقيقي –أي يسوع المسيح نفسه، "فهو مخلص العالم أجمع" (يوحنا 4: 42) وهو النور للأمم والمخلّص الذي أعدّه الله للشعوب كلّها..." (لوقا 2: 31-32). وهو المخلّص الوحيد للكون الكبير بكامله... نقول ذلك تكراراً وتكراراً عن قصد، وذلك لان الصفة الكونية للمسيح تبطل الصفة الضيقة العنصرية القومية "لمسيح اليهود".

بعد قضية الإحصاء وعلاقته بالميلاد، تأتي قضية مجيء المجوس من المشرق الى أرض فلسطين بحثاً عن المولود الفريد "الذي رأوا نجمه في المشرق...". ولقد كتب الكثير الكثير عن قصة مجيء المجوس هذه. فالبعض يثبت حدوثها تاريخياً، ومنهم التقليد الشعبي المسيحي –كما وردت في رواية متى. والبعض الآخر ينفي حدوثها تاريخياً ويرجعها الى الرواية الاسطورية الشعبية كبعض المؤرخين المعاصرين... والبعض الآخر أيضاً يلمح الى بعض المبالغات في الرواية ويناقش بعض التفاصيل فيها. أمّا نحن فالذي يهمّنا في رواية مجيء المجوس، في هذه الدراسَة، هو الناحية الجغرافية والمكان الذي قصدوه عند مجيئهم وعلاقة ذلك بمكان ولادة يسوع المسيح. وقبل أن نفصّل رأينا في ذلك، ننقل أولاً رواية قدوم المجوس وسجودهم ليسوع، كما جاءَت في إنجيل متى:

"ولمّا ولد يسوع في بيت لحم اليهودية، في أيام الملك هيرودس، إذا مجوس قدموا أورشليم من المشرق وقالوا: أين ملك اليهود الذي ولد؟ فقد رأينا نجمه في المشرق، فجئنا لنَسجد له. فلما بلغ الخبر الملك هيرودس، اضطرب واضطربت معه أورشليم كلّها. فجمع عظماء الكهنة وكتبة الشعب كلّهم واستخبرهم أين يولد المسيح. فقالوا له: في بيت لحم اليهودية، فقد أوحي الى النبيّ فكتب: "وأنتِ يا

بيت لحم، أرض يهوذا، لستِ أصغر ولايات يهوذا، فمنك يخرج الوالي الذي يرعى شعبي اسرائيل". فدعا هيرودس المجوس سرّاَ وتحقق منهم في أي وقت ظهر النجم. ثم أرسلهم الى بيت لحم وقال: إذهبوا فابحثوا عن الطفل بحثاً دقيقاً، فإذا وجدتموه فأخبروني لأذهب أنا أيضاً وأسجد له. فلما سَمعوا كلام الملك ذهبوا. وإذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدّمهم حتى بلغ المكان الذي فيه الطفل فوقف فوقه. فلما أبصروا النجم فرحوا فرحاً عظيماً جدّاً. ودخلوا البيت فرأوا الطفل مع أمّه مريم. فجثوا له سَاجدين، ثم فتحوا حقائبهم وأهدوا إليه ذهباً وبخوراً ومرّاً. ثم أوحي اليهم في الحلم الاّ يرجعوا الى هيرودس، فانصرفوا في طريق آخر الى بلادهم"... (متّى 2: 1-12).

إن الذي يهمنا من قضية قدوم المجوس، في هذه الدراسَة، هو بالدرجة الأولى تحديد الموقع الجغرافي الذي قصدوه، مع الاعتراف بمجيئهم من الناحية التاريخية. وتحديد الموقع الجغرافي يفسِّر، بشكل غير مباشر، أموراً تاريخية ظلت فترة طويلة مبهمة وغامضة وحتى متناقضة في بعض التفاصيل حتى اليوم. مرادنا أن نبرهن على أن المجوس قد قدموا من المشرق الى منطقة الجليل وحدها، ولم يدخلوا قط أرض اليهودية في الجنوب. وإليكم القرائن والأدلة والبراهين بالتفصيل. هذا مع العلم أنه إذا كان المجوس قد قدموا الى الجليل فقط ولم يدخلوا قط أرض اليهودية، فهذا يعني بوضوح ان ولادة يسوع المسيح قد حصلت في بيت لحم الشمالية في الجليل وليسَ في بيت لحم اليهودية كما يظنّ حتى اليوم!

رأينا سَابقاً، واكثر من مرّة، أن الجماعات الروحية في الجليل، وعلى رأسهم الاسينيّون في الدير الكبير فوق جبل الكرمل، كانوا ينتظرون قبيل الميلاد مجيء "مسيح روحيّ" مخلّص للناس أجمعين، وليسَ مسيحاً قومياً عنصرياً محارباً كما كان اليهود ينتظرون... وكانت هذه الجماعات الروحية في الجليل على اتصال متواتر بسَائر الجماعات الروحية المماثلة في بلاد المشرق، في مصر وفارس وبابل. وقد تبيّن مؤخّراً أن هذه الجماعات الروحية الخاصة كانت تنتمي الى تيار روحي واحد وشبه منظمة روحية مشرقية هي المنظّمة الروحية الهرمسية العالمية...، التي كانت مطّلعة عن الاسرار الكونية والحقائق السرّية. كانت كل هذه الجماعات تنتظر سَوية مجيء هذا المخلّص الروحي الشامل، بواسطة الدراسات الفلكية وتقصّي علامات الأزمنة. وكانت الجماعات الجليلية –وخاصة الجماعة الاسينية- قد اكتشفت، بواسطة جداولها الفلكية-الروحية، بأن المسيح الروحي المنتظر سَوف يولد قريباً في منطقتهم أي في الجليل. واليوم أصبح من الثابت والمحقق وجود هذه الجداول الفلكية عند الاسينيين، بعد أن تمّ اكتشافها بين مخطوطات قمران – البحر الميت...! ولهذا، أخذت الجماعات الروحية في الجليل تستعد بشكل واع ومباشر لتقبّل هذا المخلّص، فاختارت، كما أوضحنا سَابقاً، 12 فتاة من أطهر وأقدس

عائلاتهم، عَلَّ المخلّص يأتي من إحداهنّ. وكانت مريم العذراء من بين هذه الفتيات...

والملفت حقاً، أن النسخة الكاثوليكية الجديدة نفسَها، في تعليقها على كلمة "مجوس"، تعترف بشكل واضح بالعلاقات التي كانت قائمة بين جماعة المشيحيّة القديمة في فلسطين –أي المنتظرين مجيء المسيح- وبين علماء الفلك في بابل! وهذا الاعتراف بالعلاقة بين الجماعتين، هو، على ما نعلم، الأول من نوعه في شروحات الكتاب المقدّس. وتقول النسخة الجديدة، في تعليقها على الآية الأولى من الفصل الثاني من متى والقائلة: "ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية، في أيام الملك هيرودس، إذا مجوس قدموا أورشليم من المشرق..." تقول النسخة: كان لكلمة "مجوس" معانٍ مختلفة: كهنة فرس ودعاة دينيون... وقد تدل هنا على منجّمين من بابل، لربّما كانوا على صلة بالمشيحية القديمة في فلسطين... (ص 38 والحاشية رقم 2). ويقول العالم المسيحي جاك دوكين في كتابه الشهير "يسوع"، الصادر حديثاً، يقول، مستنداً إلى مخطوطات قمران-البحر الميت: "إن الجماعة الاسينية قد حدّدت، من خلال جداولها الفلكيّة المفصّلة، زمن مجيء المسيح المخلّص. هذا ما وجدناه بين مخطوطات مغاور قمران-البحر الميت..." (ص 58، المقطع الأول)! ومن الجليل نفسَه انطلقت أخبار توقّع المخلّص وعمّت كلّ أرجاء فلسطين وجوارها. لذلك نجد في نصوص الأناجيل المقدّسة عينها اكثر من إشارة واضحة الى هذا "الانتظار الكبير": انتظار مسيح أو مخلّص أو نبيّ كبير، أو حتى عودة أحد الانبياء الكبار... يقول متى: "ولمّا وصل يسوع الى نواحي قيصرية فيلبّسَ سَأل تلاميذه: من ابن الإنسان في قول الناس؟ فقالوا: بعضهم يقول: هو يوحنا المعمدان (وكان قد مات)، والبعض الآخر يقول: هو إيليا، وغيرهم يقول: هو إرميا أو أحد الانبياء... فقال لهم: ومن أنا في قولكم أنتم؟ فأجاب سمعان بطرس: أنتَ المسيح ابن الله الحيّ" (متى 16: 13-16). ويقول مرقس من جهته: "وذهب يسوع وتلاميذه الى قرى قيصرية فيلبّس، فسَأل في الطريق تلاميذه: من أنا في قول الناس؟ فأجابوه: يوحنا المعمدان. وبعضهم يقول: إيليّا، وبعضهم الآخر: أحد الانبياء. فسَألهم: ومن أنا، في قولكم أنتم؟ فأجاب بطرس: أنتَ المسيح. فنهاهم أن يخبروا أحداً بأمره..." (مرقس 8: 27-30). ولوقا يقول أيضاً: "واتفق أنه كان يصلّي في عزلة والتلاميذ معه فسَألهم: "من أنا في قول الجموع؟ فأجابوا: يوحنا المعمدان. وبعضهم يقول: إيليّا. وبعضهم: نبيّ من الأولين قام. فقال لهم: ومن أنا في قولكم أنتم؟ فأجاب بطرس: مسيح الله. فنهاهم بشدّة أن يخبروا أحداً بذلك..." (لوقا 9: 18-21) الخ...

وهكذا كان الجليل وفلسطين وجوارها في انتظار حدث روحي كبير، يدور حول مجيء مسيح أو مخلّص أو نبي كبير أو عودة أحد الانبياء الكبار الأقدمين... وهكذا

كل الحاضرات الشرقية الثقافية والروحية. الانتظار كان يعمّ الشرق كلّه! وحدها الجمعيات الجليلة الروحية –وعلى رأسها الجماعة الاسينيّة- كانت تنتظر قدوم "مسيح روحي" غير زمني وذي طابع انسَانيّ شامل. وكان يعزز هذا الطابع الانساني الشمولي الروح الكنعانية المحلية التي ما فتئت تعزّز، من خلال صهرها لكل المعتقدات والمذاهب، الروح الانسانية الشاملة وتسعى الى ترسيخ "عالمية الانسان"...! وجَاءت مخطوطات قمران-البحر الميت لتؤكد وتثبت روحية وشمولية المسيح المنتظر... ولذلك، نجد المسيح نفسَه ينهى تلاميذه، أكثر من مرّة، أن يخبروا أحداً بأنه المسيح! والسَبب في نهي المسيح هذا هو، دون شك، حرصه على الاّ يظن الناس أنه مسيح زمني دنيوي كما كان يعتقد اليهود، ولان الناس لم يكونوا مُهيّأينَ بعد لاقتبال مسيح روحيّ سَماويّ... يقول متى: "... ثم أوصى يسوع تلاميذه بالاّ يخبروا أحداً بأنه المسيح..." (متى 16: 20). ومرقس من جهته، يقول بعد اعتراف بطرس بأن يسوع هو المسيح: "فنهاهم أن يخبروا أحداً بأمره..." (مرقس 8: 30). ولوقا يقول بعد اعتراف بطرس أيضاً: "فنهاهم بشدّة أن يخبروا أحداً بأنه المسيح..." (لوقا 9: 21).

والنسخة الجديدة في تعليقها على نهي المسيح هذا، الوارد في مرقس (8: 30)، تقول: "لا يتضمن ردّ فعل يسوع هذا، في نظر مرقس، أي استنكار للقب "المسيح"، علماً بأنه سَيقبله (في 14: 62). يخضع هذا اللقب (المسيح) للتوصية بالسكوت كلقب ابن الله وسَائر تعابير الكنيسَة. (راجع 1: 34 +، و1: 44 +) وهي تعد سَابقة لأوانها قبل انتهاء رسَالة يسوع بالموت والقيامة (راجع 4: 22 + و 9: 9). وإن أردنا أن نفهم سَبب تشديد مرقس على "سرّ" يسوع، لا بدّ لنا ان نأخذ بعين الاعتبار، لا التباسات الالقاب المشيحية اليهودية فقط، وهي غير كافية لتحديد رسَالة يسوع، بل التقدّم الذي أحرزه إيمان الكنيسة القديمة أيضاً، واجتهاد مرقس في إعادة قراءة حياة يسوع الأرضية في ضوء وحي الفصح..." (النسخة الجديدة، ص 152 والحاشية رقم 21). والبرهان على ذلك، أن يسوع نفسَه في الوقت المناسب، وفي اثناء محاكمته مثلاً، صرّح عالياً وبوضوح تام انه هو "المسيح" ابن الله الحيّ. يقول مرقس: "فسَأله عظيم الكهنة ثانية قال له: أأنت المسيح ابن المبارك؟ (والمبارك هو الله) فقال يسوع: أنا هو. وسَوف ترون ابن الانسان جالساً عن يمين القدير، وآتياً في غمام السماء" (مرقس 14: 61-62). ومن بقية النص عينه، يتضح ان يسوع هو غير "المسيح" الذي كان ينتظره اليهود. لان مرقس يتابع: "فشقّ عظيم الكهنة ثيابه وقال: ما حاجتنا بعد الى الشهود؟ لقد سَمعتم التجديف، فما رأيكم؟ فأجمعوا على الحكم بأنه يستوجب الموت. وأخذ بعضهم يبصقون عليه، ويُقَنّعُون وجهه ويلطمونه ويقولون: تنبّأْ! وانهال الخدم عليه باللّطم..." (مرقس 14: 63-65). أجل! ان يسوع، كما هو واضح في الأناجيل المقدسة وكما صرّح هو نفسه

علناً بذلك، ليسَ "المسيح" الذي كان ينتظره اليهود –مسيحاً زمنياً دنيوياً ملكاً محارباً...- بل هو في الحقيقة "المسيح الحق"، المسيح الروحيّ السماويّ الشامل، مخلّص الناس أجمعين والكون الكبير بكامله...

هذا المسيح الروحي الشامل هو الذي كان ينتظره كبار الجماعات الروحية الجليلية بعد أن حدّدوا زمان مجيئه من خلال دراسَاتهم وأبحاثهم الفلكيّة. وهذه الدراسَات الفلكيّة كانت مقتصرة عليهم وحدهم في كل تلك المنطقة، لان كتب التوراة كانت تحرّم بشدّة على اليهود اللجوء الى الفلكيين والعرّافين والمنجّمين. فقد جاء في كتاب أشعيا النبي ما يلي: "قد أعييتِ، أيتها البكر بنت بابل، من كثرة مشوراتك. فليقف المنجّمون الناظرون في الكواكب، المعرّفون عن رؤوس الشهور، وليخلّصوكِ ممّا هو أتٍ عليكِ. إنهم سَيصيرون كالقشّ فتحرقهم النار، ولا ينقذون أنفسهم من يد اللّهيب، ولا تبقى جمرة يستدفأ عليها، ولا نار يقعد أمامها..." (سَفر أشعيا 47: 13-14). وسِفْرُ الأحبار يشدّد على ذلك فيقول: "لا تقصُدُوا العرافين والمنجّمين، فتتنجّسوا بهم: أنا الرب إلهكم..." (سِفْرُ الأحبار 19: 31).

"لقد قلّب علماء الاسينيّين طرفهم في السَماوات وسَامروا النجوم ورقبوا الكواكب ورعوها ليتبيَّنوا خطة الله فيها، وكتبوا في ذلك ودوّنوا... فهناك درج يتضمّن أثر النجوم والكواكب في مصير الإنسان جسَداً وعقلاً... وهناك ما يبحث في تغييرات الطقس وآثارها في الحوادث الجارية: فبرقة أو رعدة معيّنة قد تنبئ بوصول غريب الى قمران أو بوقوع حادث غير عادي الخ..." (الدكتور أسَد رستم مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران طبعة ثانية، بيروت لبنان، 1990، ص 72).

وهكذا في حين كانت علوم الفلك والتنجيم محرّمة تماماً على اليهود، حتى في النصوص الكتابية نفسها، كانت الجماعات الروحيّة الجليليّة، وخاصة جماعة الاسينيّين، يلجأون الى هذه العلوم لمعرفة أحوال المستقبل. وقد أجمع علماء اليوم الذين درسوا مخطوطات البحر الميت في قمران أن جماعة قمران كان لديها درج خاص يحوي جداول ولوائح منتظمة في علوم الفلك والتنجيم، بغية معرفة أحوال المستقبل...

يقول الدكتور هـ. سبنسر لويس في كتابه "الحياة السرّية ليسوع": "تقول الوثائق والمخطوطات الشرقية القديمة إن جماعة المجوس، وهم من المنظمة الهرمسية الروحية العالمية، قد لمحت في المشرق بعد دراسات وأبحاث فلكية مفصّلة، النجم الذي يدلّ على ولادة المسيح المخلّص البشريّ المنتظر... وقد توجهوا الى منطقة فلسطين قبل عدة أسابيع من وقوع الحدث الكبير... وبعد أن قدّموا للطفل الالهي الاكرام والتقدمات الثمينة صعدوا الى جبل الكرمل المتاخم لمكان الولادة حيث أطلعوا كبار جماعة الكرمل على طبيعة ورسّالة هذا المولود الفريد وطلبوا اليهم توفير كل الظروف الملائمة لتربيته وتثقيفه وإعداده... وبعد فترة

من الزمن قفلوا راجعين الى حيث انطلقوا..." (الفصل السَادس: "مكان ولادة يسوع والمجوس"، ص 104-105).

يتبيّن من هذا النص، بالاضافة الى ما ذكرنا في الفقرات السَابقة، عدّة حقائق تاريخيّة وجغرافية لم يحصل تركيز وافٍ عليها حتى اليوم، او لم يجرؤ أحد على إعلانها حتى اليوم، وهي التالية: أولاً كانت حاضرات الشرق كلها تتلهّف لمجيء مخلّص بشري روحي كبير، وكان علماء الفلك والمنجّمون يجرون الأبحاث والدراسات حول تحديد زمن مجيئه. ثانياً كانت جماعات المنظّمة الهرمسية في الشرق على اتصال متواتر، بعضها مع بعض، حول تحديد زمن ولادته . وقد توافقت أخيراً هذه الجماعات الروحية على ن منطقة فلسطين (آنذاك، أي جنوب أرض كنعان) هي المكان المحدّد لولادة هذا المخلّص. ثالثاً عندما قدم مجوس الشرق الى المنطقة لم يذهبوا الى الجنوب أي الى اليهودية، بل قصدوا الجليل، في الشمال، لأنهم كانوا يعرفون بالتحديد موقع الولادة... وبعد أن سَجدوا للطفل الالهي كان من الطبيعي جداً أن يبقوا في المنطقة لفترة من الزمن يتوافقون خلالها مع زملائهم المحليّين – الجماعات الجليليّة الروحيّة- حول مصير الطفل وظروف تربيته وتثقيفه وإعداده... نظراً لرسَالته البشرية السَامية. لذلك، وبعد سجودهم للطفل الالهيّ قصدوا جماعة جبل الكرمل الملاصق لمكان الولادة... هذه الجماعة الذين كانوا على اتصال مستمر معها حول مجيء هذا المخلّص. رابعاً اذا كانت كل هذه الامور قد حصلت فعلاً في الجليل، في منطقة جبل الكرمل، فان ولادة يسوع قد حصلت، ليسَ في بيت لحم اليهودية في أقاصي الجنوب، بل بالاحرى في بيت لحم الشمالية الجليلية المتاخِمة لجبل الكرمل بالذات، والكائنةـ الى اليوم، في سفوحه الشمالية الشرقية (راجع جميع خرائط العالم القديمة والحديثة، المخطوطة والمطبوعة، بجميع اللغات...!). وتكرارنا لمراجعة الخرائط مقصود أيضاً، وذلك لان الطابع "العلمي" للخرائط يقنع نظر انسان اليوم وعقله ومنطقه العلميّ.

وعلى ضوء كلّ ما سَبق، وبالاضافة اليه، وزيادة في التأكيد، نفهم الآن لماذا تؤكد الأناجيل المنحولة –من النواحي التاريخية والجغرافية...- أن المجوس لم يدخلوا قط أرض اليهودية في الجنوب، بل دخلوا أرض الجليل حيث ولد يسوع، في بيت لحم الجليلية، وحيث قدموا وسَجدوا به... يقول الانجيل القديم بحسَب يعقوب –وقد ثبت أن هذا الانجيل هو أقدم الأناجيل وأقدم كتب العهد الجديد كلّها- يقول ما ترجمته الى العربية، بالحرف الواحد: "... وقد أوحى ملاك الرب الى المجوس الآتين من المشرق بالاّ يدخلوا الى أرض اليهودية بل الى أرض الجليل..." (الانجيل القديم ليعقوب 21: 1-4 راجع أيضاً: "الاناجيل المنحولة" إعداد وتقديم دانيال روبس و ف. أَميو، ص 63، "الأناجيل المنحولة" اعداد وتقديم فرانس كيرى ص 83؛ وب. بنوا وم.أ. بوامار في مجلّدهما الكبير "إزّائية الأناجيل الأربعة"، الجزء الأول، ص 10، الحاشيتين

رقم 1 ورقم 2). وهكذا، وبحسَب هذه الأناجيل أيضاً، يتبيّن أن المجوس الآتين من المشرق لم يدخلوا أرض اليهودية في الجنوب، بل قصدوا مسبقاً أرض الجليل حيث تمّت ولادة يسوع في بيت لحم الجليلية الشمالية. وحتى أنهم لم يعرّجوا على اليهودية حيث بيت لحم المعروفة اليوم، لا في مجيئهم ولا في إيابهم. أمّا لماذا حاول النسّاخ المتأخرون، وهم من المسيحيّين المتهوّدين، أن يوهموا الناس بأن المجوس قدموا الى أورشليم واجتمعوا بالملك هيرودس –وبالتالي أن المسيح ولد في بيت لحم اليهودية القريبة من أورشليم بالذات- فَلأَسباب عينها التي ذكرناها أكثر من مرّة ألا وهي: التركيز على أورشليم العاصمة اليهودية أنذاك وجعلها محور الأحداث، ومحاولة ربط يسوع بذرية داود وسلالته، كلّ ذلك لكي يبرهنوا ان يسوع المسيح هو مسيح اليهود...!؟

أما إذا عدنا الى التاريخ، بالمفهوم الحديث لكلمة "تاريخ"، فلا نجد أي ذكر لمجيء المجوس الى أرض اليهودية عند جميع مؤرخي ذلك العصر. فالمؤرّخ فلافيوس جوزاف –يوسيفوس- الذي ذكر كل شاردة وواردة حصلت في اليهودية في ذلك الزمان لا يذكر شيئاً عن قدوم المجوس الى اليهوديّة! مع أن مجيء المجوس للبحث عن مكان ولادة "ملك اليهود"، بحسَب نسّاخ متى المتأخرين، قد هزّ بقوة هيرودس الملك وأحبار اليهود وأورشليم كلّها. فقضية ولادة ملك جديد لليهود قضية في غاية الاهمية والخطورة بالنسبة الى الجميع، وحتى بالنسبة الى قيصر رومه نفسَه. وهذا أمر طبيعي جداً وفي غاية المنطق والمعقول. ومع هذا كلّه، فان المؤرخ الامبراطوري الكبير يوسيفوس، وهو المؤرخ المرجع الثقة، لم يذكر أي شيء عن هذا الحدث البالغ الخطورة! إنه، في الحقيقة والواقع، أمر في غاية الغرابة! والمؤرخون الرومان، امثال لاكتانس وبلينوس وسَيّوتون وغيرهم، الذين تحدثوا عن يسوع المسيح، لم يذكروا شيئاً عن مجيء المجوس ولا عن ولادة "ملك جديد لليهود"، مع أن هذا الامر كان يعنيهم بشكل مباشر... وذلك لأنهم رومان، ولأن هذا الملك يهدّد سلطة الملك هيرودس الذي عينه الرومان ملكاً على اليهوديّة...!

وإذا تصفحنا كتب كبار المؤرّخين العرب والمسلمين، كالطبري والمسعودي وغيرهم، فلا نجد أي ذكر فيها لمجيء المجوس الى أرض اليهوديّة أو الى أورشليم بالذات، ولا أي ذكر لولادة ملك جديد لليهود. يروي الطبري، المؤرخ والمفسّر المسلم الشهير، من الجيل العاشر المسيحي، قدوم المجوس الآتين من الشرق، ويعطي عن تقادمهم شرحاً يقرب من تفسير المسيحيّين: "فالذهب يقدم لامير عصره، والمرّ بلسَم لجراحه وما البخور الاّ رائحته تبلغ السماء...". غير ان الطبري لا يذكر أي شيء عن اليهودية أو أورشليم أو الملك هيرودس. بل يقول بالحرف الواحد: "مرّ المجوس، الآتون من الشرق، بملك الشام وأخبروه بامر المولود الجديد..." (راجع تاريخ الطبري 1: 727-729؛ راجع أيضاً: " مروج الذهب" للمسعودي 4: 77-80؛

"وكتاب العبر" لابن خلدون 2: 148، وغيرهم...). والمعروف أن فينيقية عهد ذاك كانت تسمّى: فينيقية –سوريّة... (الشام)- راجع أيضاً الخرائط المنشورة في هذا الكتاب.

وهكذا يتبيّن لنا أخيراً وبوضوح أن المجوس الآتين من الشرق لم يدخلوا أرض اليهودية حيث أورشليم وبيت لحم يهوذا، بل دخلوا أرض الجليل في الشمال حيث منطقة الكرمل وبيت لحم الحقيقية حيث ولد السيّد المسيح في مغارة قريبة من بيت لحم الجليل، وفي سفوح جبل الكرمل بالذات. وذلك بالاستناد الى الوثائق والخرائط والقرائن التاريخية والجغرافية القديمة، والأناجيل المنحولة، وبعض كبار مؤرخي العرب والاسلام، وبعض المؤرخين والمفسِّرين المسيحيين من قدماء وحديثين ومعاصرين...

وبعد قضية المجوس ومجيئهم من الشرق الى الجليل، تأتي قضية قتل أطفال بيت لحم وجميع أراضيها على يد هيرودس الملك، كنتيجة مباشرة لمجيء المجوس والولادة المزعومة لملك اليهود... هذا يعني أنه لو لم يأت المجوس ويسألوا عن "ملك اليهود الذي ولد..."، بحسَب رواية متى (2: 1-12)، لما اضطرب الملك هيرودس وخاف على ملكه... "فأرسل فقتل كل طفل في بيت لحم وجميع أراضيها، من ابن سَنتين فما دون ذلك، بحسَب الوقت الذي تحقّقه من المجوس..." ولئلا نقع في التكرار نقول إن كل ما قدمناه، في الفقرات السابقة، عن المجوس وقصدهم من المجيء ودخولهم فقط الى أرض الجليل حيث حصلت الولادة، وعن عدم دخولهم الى اليهودية حيث بيت لحم المعروفة، كل ذلك، وكل ما ينتج عنه، ينطبق بالتالي، وكنتيجة منطقية حتمية، على قضيَّة قتل اطفال بيت لحم وكل أراضيها... وبعبارة أبسَط إن عملية قتل أطفال بيت لحم هذه لم تحصل أبداً في أرض اليهودية في الجنوب، بل هي قد تكون حصلت –في حال حصلت بالفعل تاريخياً- في مدينة بيت لحم الجليل الشمالية "وكل أراضيها"...

إن قتل أطفال بيت لحم "وكل أراضيها"، هو في الحقيقة، مجزرة بشرية بكل ما لهذه الكلمة من معنى. ونحن نعرف، والكتاب المقدس نفسه يصرّح بوضوح انه كان لمدينة بيت لحم شيوخ عديدون يمثلونها، وكان لها أبواب ومداخل وسَاحات يجتمع فيها الشعب. فقتل كل أطفالها وأطفال جميع أراضيها من ابن سَنتين فما دون ذلك، يشكّل في الواقع مجزرة انسانية حقيقية. والقتل هو قتل اطفال صغار ابرياء وعزّل... فلو كانت هذه المجزرة الفظيعة قد حصلت فعلاً في بيت لحم اليهودية بالقرب من أورشليم، أفلم يكن من البديهي والطبيعي والمعقول أن يأتي على ذكرها، ولو بإشارة عابرة، واحد من مؤرخي العالم؟ وبنوع خاص واحد من مؤرخي ذلك العصر وتلك المنطقة بالذات؟ أنه في الواقع لأمر عجيب غريب للغاية فلا المؤرخون اليونان ولا المؤرخون الرومان ولا المؤرخون العرب والمسلمون ولا غيرهم، اشاروا الى هذه

المجزرة البشعة، ولو بكلمة واحدة. والمؤرخ الكبير يوسيفوس، المؤرخ اليهودي لذلك العصر ولكل تلك المنطقة، والذي أورد كثيراً من التفاصيل في تواريخه، هو أيضاً لم يذكر هذه المجزرة بعبارة واحدة؟ وحتى في يومنا هذا، لا أحد من المؤرخين ولا من شارحي ومفسّري الأناجيل المقدسّة يؤكد حصول مجزرة بيت لحم هذه، بشكل تاريخي، في أرض اليهودية. أما اذا كانت مجزرة بيت لحم قد حصلت –هذا اذا كانت قد حصلت فعلاً- في بيت لحم الحقيقية الشمالية في الجليل، كما تحاول هذه الدراسة ان تثبت، فان كل التساؤلات تبطل دفعة واحدة، وينتفي العجب وتتلاشى الغرابة وتلتقي القرائن ويسود المنطق التاريخي والجغرافي. فلا مجال في علم التاريخ والجغرافية للأفكار المسبقة والتفسير التقوي والتأويلات الشعبية السَطحية، ولا بالأحرى للطمس والتحريف والجهل الموروث... والخوف... وعندما نقول "الخوف" ونكرر هذا القول، في هذه المواضيع بالذات، فانما نَعْنِي الخوف من اليهود ومن المسيحيّين المتهوّدين...

وإذا عدنا الى المؤرخ الكبير يوسيفوس، مؤرخ ذلك العصر وتلك المنطقة، نقرأ في كتابه الكبير "الآثار اليهوديّة" ما ترجمته الى العربية: "أغرق هيرودس الكبير، بواسطة حرسه الخاص، ابن حميّه الشاب الجميل "أرِستوبيل" الذي كان ذا شعبية كبيرة... والذي كان مهيأ لان يصبح رئيس الكهنة... وكان ارستوبيل عندما مات غرقاً بعمر السابعة عشر! ثم قتل على التوالي: ابن حميّه الآخر المدعو جوزيف، ثم الملك الشيخ العجوز هيرقان الثاني الذي كان بعمر 80 سَنة، ثم قتل زوجته الاشمونية "مريامن" ذات الشخصية القويّة، والتي كان يحبّها كثيراً، ثم قتل ولديه "أرستوبيل والكسندر"... وقبل موته، أثناء مرضه العضال، أمر هيرودس بقطع رأس ابنه الثالث "أنتيباتر"...، ثم أمر بإحراق 40 شاباً يهودياً لانهم خلعوا "النسر الذهبي" الذي وضعه فوق باب الهيكل في أورشليم... وقبيل موته بسَاعات قليلة أمر بقتل وجيه يهوديّ في كلّ منطقة من مناطق اليهودية، لكي يعمّ هكذا البكاء والعويل والحزن على موته كل انحاء اليهودية... وكان قد أمر برجم يعقوب أخي يسوع المدعو المسيح..." ("الآثار اليهويدة" 20: 1-2؛ راجع أيضاً" جيرالد مسّاديه: "الانسان الذي صار الهاً" ص 88-89؛ جاك دوكين: "يسوع" ص 61-64 مع الحواشي والشروحات؛ دانيال روبس: "يسوع في زمانه" ص 120، وغيرهم كثيرون...). وهكذا، يروي يوسيفوس مؤرخ اليهودية آنذاك كل هذه الحوادث والجرائم، الصغيرة والكبيرة، التي قام بها هيرودس الكبير، وهو يروي أيضاً غيرها، دون ان يذكر حرفاً واحداً عن قتل اطفال بيت لحم في أرض اليهودية؟!

وخلف الحاكم أرخلاوس أباه هيرودس الكبير على اليهودية، وحكم من السَنة 4 قبل الميلاد حتى سَنة 6 بعد الميلاد (الكتاب المقدس –العهد الجديد، انجيل متى 2: 21، الحاشية رقم 1، الطبعة الثامنة، ص 39). ويقول دانيال روبس في أرخلاوس:

"وخلف أرخلاوس أباه هيرودس الكبير على اليهودية وكان أكثر شراسة من أبيه. فقد قتل في بداية عهده حوالي ثلاثة الآف يهودي لأسباب مختلفة..." ("يسوع في زمانه"، ص 123). ولم يذكر كلمة واحدة عن قتل اطفال بيت لحم اليهودية "وجميع أراضيها". ومتى، من جهته، يستطرد في الكلام عن أرخلاوس حاكم اليهودية فيقول: "وما إن توفي هيرودس حتى تراءى ملاك الرب في الحلم ليوسف في مصر وقال له: قم فخذ الطفل وأمه واذهب الى أرض اسرائيل، فقد مات من كان يريد اهلاك الطفل. فقام فأخذ الطفل وأمه ودخل أرض اسرائيل. لكنه سَمع أن أرخلاوس خلف أباه هيرودس على اليهودية، فخاف ان يذهب اليها. فأوحي اليه في الحلم، فلجأ الى ناحية الجليل. وجاء مدينة يقال لها الناصرة فسَكن فيها، ليتمّ ما قيل على لسَان الانبياء: إنه يدعى ناصريّاً..." (متى 2: 19-23). ويقول دانيال روبس أيضاً عن عودة يوسف ومريم والطفل يسوع من مصر، أيام أرخلاوس، وإقامتهم في ناصرة الجليل، ما يلي: "ويتبيّن لنا ممّا تقدم أن يسوع المسيح قد ولد، دون شك، بين 749 و 748 لرومة. وكان عند عودته من مصر مع أبويه، بعمر ما بين 8 أشهر و18 شهراً..." ("يسوع في زمانه"، ص 123). وعندما يتعرّض لقضية رواية قتل أطفال بيت لحم، يرجّح دانيال روبس أنها كتبت على الطريقة التي استعملت في ولادات عظماء الرجال أمثال أغوسطوس قيصر... فيقول: "يروي "سَيّواتون" المؤرخ الروماني ان مجلس الشيوخ في رومة، عندما نمي اليه، عن طريق العرافة، أن طفلاً سَيولد ويجلس على عرش رومه مكان أوغسطوس قيصر، أرسل فقتل العديد من الأطفال في تلك النواحي التي من الممكن ان يولد فيها أطفال يطمحون الى الجلوس على عرش رومه..." ("يسوع في زمانه"، ص 122).

واذا عدنا الى رواية قتل اطفال بين لحم نفسها بحسَب متى، نجد أن كبار المفسّرين، وعلى رأسهم شارل بيرّو، يقولون إن متى الذي وضع انجيله على طريقة واسلوب "المدراش اليهودي"، وهنا بالتحديد على طريقة واسلوب "مدراش موسَى الصغير"، عرض رواية قتل اطفال بيت لحم في أطار كتابة "المدراش": موسَى هو مخلص شعبه... في العهد القديم، وقد مات عند ولادته العديد من أطفال العبرانيين. ويسوع هو مخلّص شعبه... في العهد الجديد، وقد مات عند ولادته العديد من الأطفال الأبرياء، أطفال بيت لحم... فقد جاء في سَفر الخروج عن مولد موسَى ما يلي: "وكلّم ملك مصر (الفرعون رعمسيس الثاني 1304-1238) قَابِلَتَيّ العبرانيّات اللتين اسم إحداهما شفرة والاخرى فوعة وقال: إذا وَلَّدْتُما العبرانيات، فانظرا الى جنس المولود، فإن كان ابناً فأميتوه، وإن كانت ابنة فلتحيا... وأمر فرعون كل شعبه قائلاً: كل ابن يولد للعبرانيّين فاطرحوه في النيل، وكل ابنة فاستبقوها... ومضى رجل من آل لاوي فتزوّج بابنة لاوي. فحملت المرأة وولدت ابناً. ولما رأت أنه جميل، أخفته ثلاثة أشهر. ولمّا لم تستطع أن تخفيه بعد، أخذت له

سلّة من البرديّ وطلتها بالحمر والزفت، وجعلت الولد فيها ووضعتها بين القصب على حافة النهر... فنزلت ابنة فرعون الى النيل لتغتسل، فرأت السلّة بين القصب، فأرسلت خادمتها فأخذتها. وفَتَحَتْها ورأت الولد، فاذا هو صبيّ يبكي... فأشفقت عليه وقالت: هذا من أولاد العبرانيّين. فقالت أخته لابنة فرعون: هل أذهب وأدعو لكِ مرضعاً من العبرانيات ترضع لك الولد؟ فقالت لها ابنة فرعون: اذهبي. فذهبت الفتاة ودعت أمّ الولد. فقالت لها ابنة فرعون: اذهبي بهذا الولد فأرضعيه لي، وأنا أعطيك أجرتك. فأخذت المرأة الولد وأرضعته. ولما كبر الولد، جاءَت به ابنة فرعون، فأصبح لها ابناً، وسمّته موسَى وقالت لانني انتشلته من الماء..." (سَفر الخروج 1: 15-22؛ 2: 1-10 مع الحواشي والشروحات...).

يقول شارل بيرّو: "ان نصوص الانجيل بحسَب متى ترتبط ارتباطاً وثيقاً باسلوب كتابة المدراش عند اليهود، وعلى الخصوص "بمدراش موسَى الصغير". والبعض من هذه النصوص يستوحي "مدراش أجّاداً"... والبعض الآخر "مدراش بيشر".... وعند الجماعات المسيحية الأولى كان هذا الاسلوب متّبعاً بشكل عادي شفهياً وكتابة. وكيف، يا ترى، يمكن لهؤلاء المسيحييّن أن يتأملوا بأحداث ميلاد يسوع وطفولته دون الرجوع الى الولادات الفريدة التي تتحدث عنها اسفار العهد القديم؟ ودون الأخذ بالشروحات والتفسيرات الخاصة بهذه الولادات، والسَائدة في أيامهم؟ فبالنسبة الى المسيحييّن الأولين، كانت أحداث طفولة يسوع تختصر كل تلك الولادات القديمة وتبلغ بها الى حد كمالها... فكل هذه الاعتبارات تلقي ضوءاً جديداً على احداث ولادة يسوع وطفولته... ومتى عندما يروي أحداث الميلاد والطفولة، يركّز فقط على شخص يسوع ورسالته الجديدة، دون الاهتمام الكافي والوافي للتفاصيل التاريخية والجغرافية وما إليها...! ويمكن أن يسَمّى هذا "انتقالاً لاهوتياً" على حسَاب "الانتقال التاريخي"...! (شارل بيرّو: "أحداث طفولة يسوع" ص 11-16؛ وأيضاً: "أحداث الطفولة في مدراش هجاداً" ابتداء من القرن الثاني قبل الميلاد"، ص 481-518)!

-الولادة السرّية ليسوع المسيح

يقول المسيح، في صون الحقائق السرّية المقدسة، في إنجيل متى: "لا تعطوا الكلاب ما هو مقدّس، ولا تلقوا جواهركم الى الخنازير، لئلا تدوسها بأرجلها، ثم ترتدّ إليكم فتمزّقكم..." (متى 7: 6). وفي شرح "مثل الزارع" المتعلّق باسرار ملكوت السَماوات، قال المسيح: "من كان له أذنان سَامعتان فليسمع!" فدنا تلاميذه وقالوا له: لماذا تكلّمهم بالامثال؟ فأجابهم يسوع: لأنكم أعطيتم أنتم وحدكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السَماوات، وأمّا أولئك فلم يعطوا ذلك... لأن من كان له شيء، يعطى فيفيض... ومن ليس له شيء، ينتزع منه حتى الذي له. وإنما اكلّمهم بالأمثال

لأنهم ينظرون ولا يبصرون، ولأنهم يسمعون ولا يسمعون ولا هم يفهمون. وفيهم تتمّ نبؤة أشعيا حيث قال:

تسمعون سَماعاً ولا تفهمون
وتنظرون نظراً ولا تبصرون.
فقد غلظ قلب هذا الشعب...
وأصَمّوا آذانهم وأغمضوا عيونهم
لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم
ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا.
أفأشفيهم؟..."

(راجع انجيل متى 13: 3-15، مع الحواشي والشروحات في النسخة الكاثوليكية (اليسوعية)، طبعة 1989).

وبولس رسول "الأمم"، يشير الى الحقائق الدهريّة السرّية الخاصة بالراشدين بالروح...، فيقول:

"... وإننا على حكمة نتكلّم بين المؤمنين الراشدين، وليسَت بحكمة هذه الدنيا، ولا بحكمة رؤسَاء هذه الدنيا ومصيرهم للزوال، بل نتكلّم على حكمة الله السرّية التي ظلّت مكتومة في الماضي... تلك التي أعدّها الله قبل الدهور في سَبيل مجدنا. ولم يعرفها أحد من رؤساء هذه الدنيا، ولو عرفوها لما صلبوا ربّ المجد... وإننا لا نتكلّم عليها بكلام مأخوذ من الحكمة البشريّة، بل بكلام مأخوذ عن الروح، فنعبّر عن الأمور الروحيّة بعبارات روحيّة. فالإنسان البشريّ لا يقبل ما هو من روح الله فإنه حماقة عنده، ولا يستطيع أن يعرفه لأنه لا حكم في ذلك الاّ بالروح... وإني، أيها الإخوة لم أستطع أن اكلّمكم كلامي لأناس روحيّين، بل لأناس بشريّين، لأطفال في المسيح. وقد غذوتكم باللّبن الحليب لا بالطعام، لأنكم ما كنتم تطيقونه ولا أنتم تطيقونه الآن، فإنكم لا تزالون بشريّين"... (الأولى الى كورنتس 2: 6-8، 13-14؛ 3: 1-3، مع الحواشي والشروحات). وفي الرسالة الى العبرانيين، نقرأ في الموضوع نفسَه، وفي "سرّ ملكيصادق" –عظيم كهنة "إيل"- بالتحديد، ما يلي:

"... ان الله أعلن المسيح عظيم كهنة على رتبة ملكيصادق... ولنا في هذا الموضوع كلام كثير صعب التفسير ، لأنكم كسَالى عن الإصغاء، وكان عليكم أن تستفيدوا من الزمن فتصبحوا معلّمين، في حين أنكم محتاجون الى من يعلّمكم أوليّات أقوال الله، محتاجون الى لبن حليب، لا الى طعام قويّ. فكلّ من كان طعامه اللبن الحليب لا تكون له خبرة بكلمة البرّ لأنه طفل، في حين أن الطعام القويّ هو للراشدين، لأولئك الذين بالتدرّب روّضت بصائرهم..." (الرسالة الى العبرانيين 5: 10-14). وفي موضوع آخر، تقول الرسَالة نفسَها في " سرّ" ملكيصادق، الذي كان المسيح "على رتبته"، ما يلي: "... والرجاء هو لنا مثل مرسَاةٍ للنفس أمينة تخترق

الحجاب الى حيث دخل يسوع من أجلنا سَابقاً لنا وصار عظيم كهنة للأبد على رتبة ملكيصادق... فإن ملكيصادق هذا هو ملك شليم وكاهن الله تعالى، خرج لملاقاة إبراهيم عند رجوعه، بعدما كسَر الملوك، وباركه، وله أدّى إبراهيم العشر من كلّ شيء. وتفسير اسمه أولاً ملك البرّ، ثم ملك شليم، أي ملك السَلام. وليسَ له أب ولا أم ولا نسَب، وليسَ لأيامه بداية ولا لحياته نهاية، وهو على مثال ابن الله... ويبقى كاهناً أبد الدهور... فانظروا ما أعظم هذا الذي أدّى له إبراهيم عشر خيار الغنائم، مع أنه رئيس الآباء... إن الذين يقبلون الكهنوت من بني لاوي تأمرهم الشريعة بأن يأخذوا العشر من الشعب، أي من إخوتهم، مع أنهم خرجوا هم أيضاً من صلب إبراهيم. أمّا الذي ليسَ له نسَب بينهم، فقد أخذ العشر من إبراهيم وبارك ذاك الذي كانت له المواعد. وممّا لا خلاف فيه أن الأصغر شأناً يتلقى البركة من الاكبر شأناً. ثم إن الذين يأخذون العشر ههنا بشر مائتون، وأمّا هناك فإنه الذي يُشهد له بأنه حيّ. فيجوز القول إن لاوي نفسَه، وهو الذي يأخذ العشر، قد أدّى العشر في شخص إبراهيم، لأنه كان في صلب أبيه يوم خرج ملكيصادق لملاقاته...". (الرسَالة الى العبرانيين 6: 19-20؛ 7: 1-10، مع الحواشي والشروحات...). وتوضح الشروحات لهذه النصوص، في النسخة الكاثوليكية الجديدة، فتقول (صفحة 703): "يأخذ الكاتب بمبدأ تفسير للربّانيّين فيستند هنا الى ما لا تذكره رواية تكوين 14 ليخطّ رسماً يجعل خارج الزمان صورة ملكيصادق الغامضة والنبوية. ويرى في ملكيصادق صورة سَابقة ليسوع المسيح... لا يضع الكتاب المقدّس حدّاً زمنياً لكهنوت ملكيصادق. وهذه الصفة تميّزه عن كهنوت عظماء الكهنة اليهود، علماً بأن كهنوت أحبار اليهود كان ينتهي عند موتهم (راجع سَفر العدد 20: 24-28)". ونرى هذه الصفة نفسَها كاملة في كهنوت المسيح، غير اليهوديّ، القائم من الموت: "انه كاهن الى الأبد على رتبة ملكيصادق...". ويستخدم الكاتب جباية العشر من إبراهيم على يد ملكيصادق ليدلّ على تفوّق كهنوته على كهنوت اليهود، كهنوت هارون واليعازر ولاوي المولودين من إبراهيم... وحين يتم إثبات الشبه القويّ بين المسيح وملكيصادق بالاستشهاد بمزمور 110، يبلغ الاستدلال خاتمته: إن كهنوت المسيح ليسَ كهنوتاً يهودياً، وهو أفضل من كهنوت اللاويّين اليهود، لأنه على "رتبة ملكيصادق"... فالكتاب المقدس نفسَه في عهديه، القديم (مزمور 110)، والجديد (الرسَالة الى العبرانيين 7)، يؤكّد اذاً أن كهنوت المسيح ليسَ كهنوتاً يهودياً، بل كهنوتاً على رتبة ملكيصادق. وملكيصادق، كما هو واضح وضوح الشمس عند الظهيرة في سَماء لبنان الصافية، هو كبير كهنة الإله الكنعانيّ-اللبنانيّ "إيل". فالنتيجة السَاطعة كالشمس أو كحدّ السيف هي التالية: ان كهنوت يسوع المسيح ابن مريم العذراء هو كهنوت كنعاني! هذه حقيقة سَاطعة كالشمس، تبهر العيون الضعيفة لشدّة سطوعها... وهذه الحقيقة يؤكدها التاريخ والجغرافية والوحي الالهيّ

والتقليد والكتاب. ويؤكدها، بنوع خاص، العهد الجديد والقديس بولس وتلاميذه... أما لماذا لا يراها الكثيرون؟ "لأنهم يبصرون ولا ينظرون...". أو لأنهم خارجون لتوّهم من ظلمات المغاور اليهوديّة القديمة الى سطوع شمس وجه المسيح: إن شدّة سطوع هذه الشمس القوية تبهر عيونهم الضعيفة المشبعة بالظلمات الحالكة، والتي لم تَعْتَدْ بعدُ على التحديق بالشمس مباشرة!... أما نحن، فبفضل تشبعنا من الإصالة الكنعانيّة، نعلن هذه الحقيقة، الآن وهنا، بالفم الملآن امام العالم أجمع، امام الكون الكبير، امام البشر والحضارات الكونية والملائكة وقوات السَماء أجمعين: أجل! ان كهنوت يسوع المسيح هو كهنوت كنعاني –لبناني!...

لقد مهّدنا لهذا الفصل المتعلق بسرّ ولادة المسيح، بهذه المقدمة الكتابيّة الطويلة، نظراً لأهمية موضوع هذا الفصل من جهة، ومن جهة ثانية، نظراً لمتانة "الأسَاس الكتابي" المستند على الوحي وكلام الله...

تحدّثنا في الفصول السَابقة عن "جليل الأمم" موطن يسوع المسيح، عن نسَبه وأقاربه، عن البيئة الجغرافية والفكرية والدينية التي ولد ونشأ وبشّر فيها. ثم تحدّثنا عن الجماعات والفرق المذهبية والروحية التي كانت منتشرة في هذه البيئة، والتي كانت تشكل بوتقة إنسانيّة حضاريّة دينيّة... وقد ركّزنا، بنوع خاص، على الجماعة الاسينية الفريدة، والآن أصبح بامكاننا أن نتكلّم على ولادة يسوع المسيح، هذه الولادة ذات الطابع السرّي والفريد...،بشكل طبيعي وموضوعي. ولو حمل كلامنا هذا بعض الغرابة...

في زمن الميلاد، كانت "الجماعة الاسينيّة" راسخة ومنتشرة في مناطق عدة من مصر وفلسطين "وجليل الأمم". وكانت مدينة الاسكندرية تحتضن المركز الأسَاسي للجماعة الاسينية المصرية. أمّا الهيكل الاسينيّ السرّي الكبير فكان قائماً في مدينة هيليوبوليس الشهيرة بقدمها وروحانيتها العريقة، حيث كان كبار الأخوة الاسينيّين يعقدون دورياً اجتماعاتهم السرّية ويحتفلون بأسرارهم وطقوسهم الدينية. وكانت الوثائق التاريخية القديمة تتحدث عن هذا الهيكل الكبير بكثير من الهيبة والوقار وتسميه "هيكل هيليوس" أو "هيكل الشمس". أما في "جليل الأمم" –في شمالي فلسطين- فكان نشاط الجماعة الاسينيّة ينطلق من مركزها الاسَاسي وديرها الكبير فوق جبل الكرمل. ومن دير قمران بجانب البحر الميت، يمتد نشاطها الى أورشليم وسَائر اليهوديّة. وكان لها هيكل خاص قرب أحد أبواب أورشليم مخصّص للاحتفالات الدينية... وقد سَلّطت الاكتشافات والدراسات العلمية النقدية الحديثة كثيراً من الأضواء على هذه الحقائق التي ظلّت مطموسَة الى يومنا هذا !

وبفضل هذه الأضواء بدأنا نعرف حالة المرأة في الجماعات الروحية الجليلية، وخاصة الاسينية، التي كانت مريم العذراء تنتمي اليها دون شك.

والملفت حقاً في هذه الجماعات، ان المرأة كان لها دورها البارز في جميع المجالات الانسَانيّة، وخاصة الثقافية منها والدينية، خلافاً لما كانت عليه الحال في المجتمعات اليهوديّة التي لم تعترف بأن للمرأة روحاً كالرجل! وذلك يعود الى التأثير القوي الذي كان لمصر وكنعان خاصة على "الروح الاسينية". ألا يُبرز التاريخ دور "أيزيس" "وهاتور" "وتانيت" في الحضارة الفرعونية، ودور "إيلات" "وأشيراي" "وعشتار" "وعناة" في الحضارة الكنعانية؟ "وعناة نفسَها، إبنة الإله الكنعاني "إيل"، العذراء والبتول، ألم تكن المثال والظاهرة الأولى والفريدة للعذرية والبتولية الحقة، في التاريخ الكنعانيّ القديم قبل مريم العذراء؟ وفي الحقيقة كانت "عناة" رمزاً وصورة وتمهيداً للعذراء مريم...!

وكانت العذارى الاسينيّات يخدمن داخل الهياكل والمعابد الاسينية كعروسات مكرّسات لله، فترة محدّدة من الزمن. وكن يخترن عادة من بنات كبار الإخوة الاسينيّين. وكان هؤلاء يرعون بناتهم بكل عناية داخل المعابد، ويؤمّنون لهنّ الثقافة الزمنية والدينية بحيث يبلغن مرحلة متقدمة من النضج الانساني والروحيّ، ويمثلن ويعكسن هكذا الوجدان الروحيّ الكونيّ...! أجل! كان للمرأة دور روحيّ بارز جداً عند هذه الجماعات الجليلية الروحية، على عكس ما يظن البعض في أيامنا هذه. وذلك بفصل "البوتقة الروحية" التي كانت تمتاز بها الحضارة الكنعانية نفسَها...

وقبيل زمن الميلاد، كان هناك في "جليل الأمم" كاهن أسينيّ كبير يدعى يواكيم، وكان خادماً في هيكل "هيليوس-خارج- الاسوار" (وهيليوس باليونانية تعني: "إيل"...) وقد "باع ما يملك وأعطاه للمساكين"، ليتكرّس كلياً لله، منصرفاً الى خدمة أسراره وطقوسه. وحين جاء وقت امرأته حنّة لتلد وكانت أسّينيّة مثله، قرّر وإياها، إذا كان المولود طفلة، أن يكرّساها لله فتكون عذراء عروساً روحية في الهيكل. ووضعت حنّة طفلة، كما تنبأ لها فلكيّو (مجوس) الهيكل، وسَمّتها "مريم"، لأنها عندما ولدت كانت الشمس في برج الميزان...

وعندما بلغت الطفلة مريم ستة أشهر، أخذها والدها الى هيكل هيليوس فوق جبل الكرمل، كما كانت العادة عهد ذاك، ليباركها الكهنة وينظروا روحياً في أمرها... وبعد إداء الفريضة المقدسة، رجع الوالدان، يواكيم وحنّة، الى منزلهما، أما الكهنة فسرّوا وفرحوا وباركوا الله لأن كاهنهم الكبير يواكيم قدّم طفلته الى الهيكل...

ولقد وفت الوالدة حنّة بوعدها. فأقامت معبداً صغيراً في بيتها وفرشته بقماشة من هيكل هيليوس كي لا تطأ قدما الصبيّة مريم الأرض حتى يوم تكريسها في الهيكل... وعملت على الاّ تقترب الصبيّة مريم من أي شيء نجس... ودعت بعضاً من عذارى الهيكل الطاهرات ليكنّ برفقة ابنتها في المعبد الصغير في المنزل. كانت مريم "منذورة" للربّ...

وعند بلوغ الطفلة مريم سَنتها الأولى، كان فرح واحتفال ديني، في بيت يواكيم وحنّة، حيث دعي كهنة الجماعة مع الأقارب والجيران. وأخذ يواكيم ابنته مريم وقدّمها للكهنة. فصلّى هؤلاء عليها وباركوها ورشوا عليها أوراق الورد، كما كانت العادة، واطلقوا عليها رسمياً اسم "مريم"، ولقّبوها "بعروس الهيكل" "وحمامة هيليوس" (أي حمامة "إيل"...). ثم تلوا فوق رأسها هذه الصلاة النبويّة: "يا إله القلوب والأرواح، بارك ببركتك الابوية هذه الطفلة الصغيرة "مريم"، واجعل أن يكون هذا الاسم الذي أطلق عليها مباركاً لدى الأجيال الآتية من أبناء الله...". وبعد انتهاء الاحتفال ذهب كلّ واحد الى بيته، ورجع الكهنة يخبرون أخوة الجماعة، في كل منطقة "جليل الأمم" بان ابنة كاهنهم الكبير يواكيم أصبحت رسمياً عروساً للهيكل مكرّسة لله، باسم "مريم" الملقّبة "بحمامة إيل"...! (فيما يخصّ هذه الفقرة: "الولادة السرّية ليسوع المسيح"، راجع: الدكتور هـ. سبنسر لويس "حياة يسوع السرّية"، بالفرنسيّة، الفصل الخامس، ص 83-94). ومن مريم العذراء، الملقّبة "بحمامة إيل"، ولد يسوع المسيح "عمّانوئيل" (أي إيل معنا، او الله معنا)، كما يقول الإنجيل نفسه (متى 1: 23). وهكذا كانت "الولادة السرّية" ليسوع المسيح...!

-الميلاد وبيت لحم "اللبنانية" في القرآن الكريم

جاء في سَورة آل عمران الآيات 34-36، ما يلي: "إذ قالت امرأة عمران ربِّ إني نذرت لك ما في بطني محرّراً فتقبّل منّي إنك أنت السَميع العليم. فلمّا وضعتها قالت ربِّ إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليسَ الذكر كالانثى، وإني سَمّيتها مريم وإني أعيزها بك وذرّيتها من الشيطان الرجيم. فتقبّلها ربّها بقبول حسَن وأنبتها نباتا حسَناً وكفلها زكريّا كلما دخل عليها زكريّا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنّى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حسَاب."

يتّضح من هذا النصّ القرآني أولاً أن امرأة عمران قد نذرت لله ما في بطنها محرّراً. فمريم هي اذاً من "المنذورات لله" أو "المكرّسَات له". والمنذورات لله لم يرد ذكرهن في التوراة ولا في تواريخ اليهود. كان عندهم "المنذورون" من الرجال فقط، وليسَ من النسَاء. لأن الامرأة عند اليهود لم تكن مؤهّلة للتكريس لله، وهذا أمر معروف... أمّا النساء المكرّسات والمنذورات لله فكان أمرهنّ شائعاً في الجماعات الروحية غير اليهوديَّة في جليل الأمم قبل المسيح وفي أيامه. ومن هذه الجماعات: الاسينيون والناصريون، والنذيرون –المنذورون، والمكرّسون وغيرهم... كان المكَرَّسُون والمكرّسَات من هذه الجماعات الروحية الجليلية، غير اليهود، يسكنون أمكنة خاصة في أغلب الأحيان ويتّبعون نظاماً حياتياً ومعيشياً خاصاً بهم، يغْلب عليه التقشّف والزهد والصلاة. وهذا ما يتفق مع ما جاء في تواريخ هذه الجماعات

الروحية الجليلية من جهة، كما رأينا سابقاً، ومن جهة ثانية مع ما جاء في القرآن نفسَه عن مريم بالذات، حيث يقول في سَورة مريم الآيتين 15 و16: "واذكر في الكتب مريم اذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً فاتخذت من دونهم حجاباً فارسَلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سَويّاً". كما ان النص الذي نحن بصدده (سَورة عمران الآيات 34-36) يقول هو أيضاً في الآية 36: "فتقبّلها ربّها بقبول حسَن وانبتها نباتاً حسَناً. وكفلها زكريا. كلما دخل عليها زكريّا المحراب وجد عندها رزقاً. قال يا مريم أنّى لك هذا. قالت هو من عند الله. إن الله يرزق من يشاء بغير حسَاب". هذا يعني بوضوح أن مريم المكرّسة والمنذُورة لله قد قبلها الله هكذا، وكانت تقيم في "المحراب" أي في المعبد أو الهيكل: وهذا لم يكن معروفاً عند اليهود. وكانت ضروريات الحياة مؤمّنة لمريم في المحراب نفسّه: السَكن والمأكل والمشرب واللباس وغيره. وهذا أيضاً لم يكن معروفاً عند اليهود، بل كان معروفاً وسَائداً عند الجمعيات الروحية الجليلية الآنفة الذكر.

ومن جهة ثانية، تقول الآية القرآنية التالية (37): "هناك دعا زكريّا ربه. قال ربِّ هب لي من لدنك ذرّية طيّبة. إنك سَميع الدعاء". مما يدلّ أن زكريّا كان يسكن قريباً من مسكن مريم، في الجليل، وليسَ في اليهودية في جنوبي فلسطين، كما كان يُظن. فقد جاء في انجيل لوقا (1: 39-40): "وفي تلك الأيام قامت مريم فمضت مسرعة الى الجبل الى مدينة في يهوذا. ودخلت بيت زكريّا، فسَلّمت على اليصابات...". فالتفسيرات القديمة كانت تقول: ان هذه "المدينة في يهوذا" هي عين كارم، على بعد ستة كيلومترات الى الجنوب الغربي لمدينة أورشليم؟ والتفسيرات الحديثة، من جهتها، تقول: ان كلمة "الجبل" تدلّ أحياناً على أحد أقضية اليهودية الأحد عشر؟ (راجع النسخة الجديدة: لوقا 1: 39 والحاشية رقم 64، ص 190)... أمّا المفسِّران الكاثوليكيان الشهيران "ب. بنوا وم.أ. بوامار" فيؤكدان أن عبارة "الى مدينة في يهوذا" هي عبارة مضافة الى النصّ الأصلي، زيدت فيما بعد على يد بعض النسّاخ المتأخرين من المسيحيّين المتهوّدين (راجع كتابهما "إزائية الأناجيل الأربعة" في مراجع الفصل) فيكون ان النص الأصليّ في لوقا 1: 39 هو كالتالي: "وفي تلك الأيام قامت مريم فمضت مسرعة الى الجبل، ودخلت بيت زكريّا، فسَلمت على اليصابات". فهل يعقل أن تذهب مريم من الناصرة (والناصرة لم تكن موجودة بعد)، وهي حبلى، مسرعة الى الجبل الى مدينة في يهوذا في جنوب فلسطين، قاطعة مسَافات طويلة (أكثر من 150 كيلومترا!) يتخللها جبال ووديان ووهاد، بالاضافة الى صعوبات وعوائق ومطبات الطريق الناتجة عن الاعداء السامريّين وجنود الرومان... ولصوص الطرق المنتشرين في تلك النواحي، كما يؤكد اليوم جميع مؤرخي ذلك العصر؟! وكيف عادت مريم أيضاً –دائماً لوحدها- من اليهودية الى الجليل؟ هل هذا أمر معقول؟

ولا يغرب عن بالنا أن لوقا نفسه صاحب النص الذي نحن بصدده، سَبق وقال: "وفي الشهر السَادس (بعدما حبلت اليصابات بيوحنا المعمدان) أرسل الله الملاك جبرائيل الى مدينة في الجليل اسمها الناصرة، الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف، واسم الفتاة مريم...". والمعروف أن حبل مريم بيسوع قد تمّ فعلاً في ختام بشارة الملاك، عندما قالت له: "أنا أمة الرب، فليكن لي بحسَب قولك" (لوقا 1: 38). اذاً عندما حبلت مريم بيسوع كانت مقيمة في مدينة في الجليل اسمها "الناصرة". وهكذا، فالحقيقة هي ان مريم الحبلى والمقيمة في "الناصرة" قد ذهبت مسرعة لزيارة نسيبتها اليصابات الى الجبل: الى جبل الكرمل في الجليل، هذا الجبل الذي هو قريب جداً من "الناصرة" على مسَافة بضعة كيلومترات فقط! فهناك كانت اليصابات تسكن مع زوجها زكريا. فهكذا، وهكذا فقط، يحصل التوافق والتطابق بين النص الانجيلي وبين الحقيقة والواقع الجغرافي المنطقي الموضوعي المجرّد! بعيداً عن الأفكار المسبقة والتفسيرات التقوية الشعبية وزيادة النسَّاخ المتأخرين والطمس المقصود والجهل الموروث...

وجاء أيضاً في سَورة عمران، الآيات 41-44، ما يلي: "وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاكِ وطهّركِ واصطفاكِ على نسَاء العالمين. يا مريم أقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين. ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك. وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون. إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشَرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسَى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقرّبين".

يظهر بوضوح من النص القرآني أولاً أن مريم كانت منذورة ومكرّسة ومصطفاة من الله. وترد كلمة "اصطفاكِ" مرتين! وهذا يثبت ما قلناه سَابقاً من أن مريم كانت من "جماعة المنذورات –النذيرات"، و"المكرّسَات لله"... ويظهر ثانياً أنها كانت تلازم مكاناً مقدساً مع زميلات لها: "يا مريم اقتني لربك واسجدي واركعي مع الراكعين". كانت في حالة زهد ونسك وصلاة في "المحراب"، في المعبد أو الهيكل. وهذا أيضاً، مرّة أخرى، ما كان سَائداً في الجمعيات الروحية الجليلية في ذلك الوقت كما اسلفنا. ويظهر ثالثاً ان المسؤولين عن قبولها في الجماعة والمشرفين على رعايتها فيما بعد كانوا يلجأون الى القرعة لمعرفة من يكفلها في الجماعة، كما كانت العادة آنذاك، وكما هي مستمرة حتى اليوم، في بعض الجمعيات الروحية والرهبانية... "إذ يلقون اقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون". ويجمع كبار مفسِّري القرآن، كالجلالين وغيرهما، أنهم كانوا يلقون اقلامهم، بشكل قرعة، في مياه النهر، ليعرفوا من يكفل مريم. والنهر هو هنا، دون أدنى شك، نهر قيشون (أو أحد روافده)، الذي يمر بين "بيت لحم اللبنانية"، الجليلية في شمال

فلسطين، وبين جبل الكرمل القريب جداً منها. هذا هو الواقع الجغرافي الظاهر للعيان حتى اليوم. أمّا بيت لحم اليهوديّة، في أرض سَبط يهوذا، في جنوب فلسطين، أي بيت لحم المعروفة اليوم، والذي يُظنّ ان المسيح ولد فيها، فلا تجاور لا نهراً ولا غديراً ولا جدولاً كما هو معروف وظاهر!...

وفي سَورة مريم (الآيتان 15-16) نقرأ ما يلي: "واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً. فاتخذت من دونهم حجاباً فارسَلنا اليها روحنا فتمثّل لها بشراً سَويّاً". يتبيّن من النص أن مريم، وقبل أن يبشرها الملاك بالحبل بيسوع، قد ابتعدت عن أهلها وذويها والناس واحتجبت عن الأعين "فاتخذت من دونهم حجاباً". ولا شك انها انقطعت الى الزهد والنسك والصلاة، ولازمت حياة "التكريس لله"، متمّمة نذر والدتها التي قالت: "ربِّ إني نذرت لك ما في بطني محرّراً فتقبّل منّي إنك أنت السميع العليم" (سَورة آل عمران، الآية 34). هذا مع العلم ان كتب العهد الجديد القانونية، ومنها الأناجيل المقدسة، لم تاتِ على ذكر والدي مريم – يواكيم وحنّة- بل أخذتهما الكنيسة المسيحية، مع غيرها من الأمور، من الأناجيل المنحولة!...

والملفت حقاً، أن مريم قد "انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً أي بعيداً والى ناحية الشرق، أي شرقيّ جبل الكرمل حيث كانت تقيم مع أهلها داخل الجماعة الروحية. وهذا المكان الذي انتقلت اليه هو بالتحديد، جغرافياً، منطقة بيت لحم الجليل (ومغارتها) والمغاور التي تقع في السفوح الشرقية لجبل الكرمل نفسَه. والذي نبغي التركيز عليه هنا هو أن جبل الكرمل نفسَه وسفوحه الشرقية والمغاور التي في هذه السفوح تقع جميعها في داخل أرض فينيقية – لبنان بالذات في تلك الأيام (وطيلة الألاف من السنين التي سَلفت). هذه هي الحقيقة المرتكزة على الواقع التاريخي والجغرافي، والتي طمسّها التاريخ المزوّر من قبل اليهود والمسيحيّين المتهوّدين والجهل الموروث...! (فلتُراجَعْ جميع الخرائط الجغرافيّة، المخطوطة والمطبوعة، وبكل لغات العالم حتى يومنا هذا)

وجاء في سَورة مريم نفسَها، في الآيات 21-24، ما يلي: "فحملته فانتبذت به مكاناً قصيّاً. فجاءها المخاض الى جزع النخلة فقالت يا ليتني متُّ قبل هذا وكنتُ نسَياً منسيّاً. فناداها من تحتها الاّ تحزني قد جعل ربّك تحتكِ سَريّاً. وَهُزّي اليك بجزع النخلة تسقط عليك رطباً جنيّاً". مرّة أخرى، تقول "سَورة مريم" إن مريم، قبيل ولادة ابنها، ذهبت الى مكان قصيّ بعيداً عن أعين الناس. وهذا المكان الذي قصدته يقع بقربه نهر. لأن النص يقول: قد جعل ربّك تحتك سَريَاً" – والسرِيّ هو النهر. والمعروف أن مغاور بيت لحم في الجليل، والتي تقع في أرض فينيقية –لبنان، يمرّ بقربها نهر "قيشون" أو أحد روافده، في السفوح الشرقية لجبل الكرمل. ونشير الى ان المسؤولين عن قبول مريم في جماعتهم الروحية، كانوا قد "رموا اقلامهم"،

بشكل قرعة، كما اسلفنا، في مياه النهر نفسَه: نهر قيشون. كما ان السواحل الشمالية والشرقية لهذه المنطقة – منطقة بيت لحم الفينيقية – كانت تكثر فيها اشجار النخيل، كما هو ظاهر حتى اليوم.

ومن جهة ثانية، وهذا امر بالغ الاهمية، لا تذكر النصوص القرآنية أيّ شيء على الاطلاق عن سَفر طويل قامت به مريم (وهي حبلى!؟) مع زوجها يوسف (على الحمار؟!) أي عن السَفر الطويل التي قامت به مريم مع زوجها يوسف، من "الناصرة" في الجليل، حيث بشرها الملاك وحيث حبلت بيسوع، الى مدينة بيت لحم في أرض اليهودية، في أقاصي جنوب فلسطين. هذا السَفر، الذي يتنافى تماماً مع المنطق والحقيقة والواقع الجغرافي. أجل! مرّة أخرى، هذا السَفر الطويل والشاق هو أمر مستغرب للغاية ويتنافى مع الحدّ الأدنى للعقل السَليم. لماذا هذا التَحَايُلْ السَخيف والضعيف على الحقيقة والمنطق والواقع والجغرافية، وهناك، على مسافة كيلومترات قليلة جداً من "الناصرة" حيث كانت تقيم مريم، توجد مدينة اسمها "بيت لحم" بالذات، منذ الألاف من السنين، ولم تنتقل من مكانها أبداً!!... وهكذا يُستدلّ من نصوص الآيات القرآنية ومن القرائن الجغرافية الملازمة ان ولادة المسيح قد حصلت في بيت لحم الجليل حيث تمت بشارة مريم والحبل بيسوع...

يقول ياقوت الحمويّ في قاموسه الجغرافي الشهير "معجم البلدان" (المجلّد الأول ص 521-522)، يقول في باب كلمة "بيت لحم" (وهو يقصد بيت لحم اليهودية في جنوبي فلسطين) ما يلي: "بيت لحم" قرية على نحو فرسَخ من جهة جبرين، بها ولد عيسَى بن مريم، عليه السَلام، وثمّ كانت النخلة وليسَ ترطب النخيل بهذه الناحية، ولكن جعلت لها آية..." فهو يذكّر بالنص القرآني الذي أوردناه: سَورة مريم، الآيات 22-24، والذي يقول: فجاءها المخاض الى جزع النخلة قالت يا ليتني متّ قبل هذا وكنت نسياً منسيّاً. فناداها من تحتها الاّ تحزني قد جعل ربك تحتك سريّاً. وهزّي اليك بجزع النخلة تسقط عليك رطباً جنيّاً". فيوضح ياقوت الحموي مفسّراً: "وثم كانت النخلة وليسَ ترطب النخيل بهذه الناحية، ولكن جعلت لها (لمريم) آية..." اذاً، وبشهادة ياقوت الحموي كبير جغرافيّي العرب، لم يكن يوجد نخيل في تلك الناحية أي في منطقة "بيت لحم" اليهودية الجنوبية. وقد رأينا أن النخيل يكثر في منطقة بيت لحم الجليلية الشمالية. هذا برهان تاريخي – جغرافي آخر على أن ولادة المسيح قد حصلت في منطقة "بيت لحم" الجليليّة الشماليّة. وبالاضافة الى ياقوت الحمويّ، يجمع مؤرّخو المنطقة والمفسّرون على أن شجر النخيل لا ينبت في منطقة بيت لحم اليهوديّة في الجنوب، بل ينبت كثيراً في منطقة بيت لحم الجليل، كما هو ظاهر للعيان في أيامنا هذه.

ويقول الطبريّ، المؤرخ الكبير، في كتابه الشهير "تاريخ الأمم والملوك"، ص 593-594)، يقول عن مريم ويوسف ما يلي: "... وكانت مريم ويوسف بن يعقوب ابن

عمّها يليان خدمة الهيكل... وكان ذلك الهيكل يومئذ من أعظم هياكلهم، وكانت مريم ويوسف يخدمان في ذلك الهيكل في ذلك الزمان. وكان لخدمته فضل عظيم، فرغبا في ذلك، فكانا يليان معالجته بأنفسهما وتجميره وكناسَته وطهوره، وكل عمل يعمل فيه... وكان لا يعلم من أهل زمانهما أحد أشدّ اجتهاداً وعبادة منهما...".

يظهر جلياً من النص أن يوسف بن يعقوب هو ابن عم مريم، مما يتوافق والتقليد المسيحي المستمر الذي يقول ان مريم ويوسف كانا نسيبين... والانجيليّ متى يقول من جهته: "... ويعقوب ولد يوسف زوج مريم التي ولد منها يسوع وهو الذي يقال له المسيح" (متى 1: 16). كما يتضّح من مجمل النصّ ان مريم ويوسف كانا ملازمين للهيكل، يخدمان فيه ويقومان بكل عمل يعمل فيه من "تجمير وكناسَة وطهور" الخ... إنها في الواقع حياة المكرّسين والمكرّسات لله، المنذويين والمنذورات لله، ممّا يتوافق تماماً مع ما جاء على لسَان والدة مريم عندما كانت حبلى: "إذ قالت امرأة عمران ربِّ اني نذرت لك ما في بطني محرَّراً فتقبّل منّي انك أنت السميع العليم". ونحن نعلم انه لم يكن مسموحاً ابداً للنساء والبنات عند اليهود أن يخدمن الهيكل. فينتج أن مريم كانت تخدم في أحد هياكل الجماعات الروحية الجليلية، "وكان ذلك الهيكل يومئذ من أعظم هياكلهم". وهذا الهيكل كان قائماً، بنظرنا، فوق جبل الكرمل، أقدس امكنة الجليل، وفي المنطقة نفسَها حيث بشر الملاك مريم وحيث حبلت هي بيسوع، وحيث تمت ولادة يسوع.

ويضيف الطبري في نفس الكتاب: "تاريخ الأمم والملوك" (ص 599) فيقول شارحاً ومحدّداً تماماً مكان ولادة يسوع: "وولدت مريم طفلها الى الجهة الشرقية من محراب قومها..."! وكان الطبري يشرح في كلامه المحدّد والواضح هذا، الأيتين 15 و16 من سَورة مريم حيث جاء: "واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسَلنا اليها روحنا فتمثّل لها بشراً سَويّاً...". وجاء أيضاً في سَورة التحريم، الآية 12: "ومريم بنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا فصدّقت بكلمات ربّها وكتبه وكانت من القانتين"، أي من النسَاء التقيّات المتعبّدات، "المكرّسات" "والمنذورات لله"... والملفت حقاً، ان مغارة بيت لحم الجليل حيث ولد يسوع تقع تماماً الى الجهة الشرقية من جبل الكرمل حيث "المحراب" الكبير، وبالتحديد في السفوح الشرقية لهذا الجبل المقدس الذي كان القطب الروحي لكل منطقة الجليل منذ أقدم العصور حتى سَنة 70 بعد المسيح... في هذه المنطقة بالذات حصلت بشارة مريم والحبل بيسوع وولادته. والطبري، هو أيضاً، لا يأتي، لا من قريب ولا من بعيد، على ذكر سَفر قامت به مريم من مكان ولادتها وإقامتها الى جنوبي فلسطين، الى بيت لحم اليهودية...

ويقول الطبري أيضاً في نفس الكتاب (ص 598) ما يلي: "أوحى الله عزّ وجلّ الى مريم ان تكون وابنها عيسَى في بلاد الشام، ففعلت الذي أُمرت به. فلم تزل

هي وابنها في بلاد الشام حتى كان ابن ثلاثين سَنة... فجاءَهُ الوحي على ثلاثين سَنة، وكانت نبوّته ثلاث سنين، ثم رفعه الله اليه...". لم يذكر الطبري أن المسيح ولد أو عاش في اليهودية بل في بلاد الشام. ولم يأتِ على ذكر اليهودية لا من قريب ولا من بعيد. ومعروف أن أرض كنعان – فينيقية كانت تدعى في أيام المسيح: فينيقية – سورية (الشام...)... (فلتُراجَعْ جميع الخرائط الجغرافية، المخطوطة والمطبوعة بكل اللغات القديمة والحديثة حتى يومنا هذا).

ملحق الفصل

الميلاد عند اليهود

منذ القرن الثاني بعد المسيح، بدأت تظهر في الأوساط اليهودية في فلسطين كتابات أطلق عليها فيما بعد اسم "أخبار يسوع" (بالعبرية: "توليدوت يشوع"). وهي تروي، كما يظهر من عنوانها، ومن منظار اليهود انفسهم، حياة يسوع من ميلاده الى صلبه، بشكل مختصر، مركّزة على ولادته وخلافه مع رؤساء اليهود، وعلى محاكمته وموته. ومن مجرد البدء بقراءة "أخبار يسوع" هذه، يظهر بشكل واضح انها مجرد صورة سَاخرة بذيئة للانجيل المقدس. وهي مليئة بالتشنيع السخيف والتجديف الحاقد اللّئيم على السيّد المسيح، وعلى امه العذراء مريم الكلية الطهارة "والممتلئة نعمة"، "وأشرف نسَاء العالمين".

وفيما بعد، حتى القرون الوسطى، ظهرت "أخبار" جديدة في اوروبا باللغات السريانية والعبرانية والالمانية. ومعظمها يستوحي كتاب اليهود الشهير: "التلمود". وهذه "الأخبار" الجديدة كانت تتابع نهج "أخبار" القرن الثاني في التهجم على المسيحية والتشهير المنحط والبذيء بالسيّد المسيح وأمه البتول العذراء مريم. وتجدر الإشارة الى أن "أخبار يسوع" هذه (توليدوت يشوع) غير معروفة من عامة الناس حتى ايامنا هذه. والى القراء الكرام، فيما يلي، مقطعاً معرّباً عن الفرنسية من إحدى "توليدوت يشوع"، وهو المقطع الخاص بالحبل بيسوع وبولادته:

كيف ولد يسوع
(بحسَب "توليدوت يشوع" وتلمود اليهود)

"في بيت ملاصق لبيت مريم، كان يسكن رجل جميل الهيئة يدعى جوزيف بن بنديرا، وكان ينظر اليها دوماً نظرة سوء. وفي ذات ليلة عند نهاية يوم السَبت شرب خمراً وتسلّل الى بيت مريم، وكان زوجها غائباً، ويدعى يوحانان. أما هي فظنّت أنه زوجها وغطّت وجهها خجلاً. فاقترب منها وقبّلها. فقالت له: لا تلمسني، فإنني لست "طاهرة"! أمّا هو فلم يُعر كلامها انتباهاً، فنام معها وحملت منه... وعند منتصف الليل عاد زوجها يوحانان. وعندما اقترب منها بادرته قائلة: ماذا دهاك؟ هذا ليسَ من عادتك، فمنذ ان تزوجتني لم تدخل عليّ مرتين في ليلة واحدة. فأجابها زوجها: ولكنها المرة الأولى التي أدخل عليك فيها هذه الليلة! فقالت مريم: لقت أتيت منذ فترة وقلتُ لك إنني لستُ "طاهرة"، فلم تعر كلامي انتباهاً، فقضيت وطركَ

وانصرفتَ. عند ذلك، عرف زوجها أن جارها جوزيف بن بنديرا، الذي كان ينظر اليها دوماً نظرة سوء، هو الذي اقترف معها هذا الاثم الشنيع..."!! (مقطع مأخوذ من مخطوط "ستراسبورغ" في كتاب "إنجيل الغيتُّو" الذي وضعه بالفرنسية جان –بيار أوزْيه، طبعة بيرغ انترناسيونال، 1984).

هكذا حُبل بيسوع! وهكذا ولد! هذه هي أمّه! وهذا هو أبوه! بحسب اليهود "أبناء أبليس" كما دعاهم المسيح شخصياً في انجيله المقدس (إنجيل يوحنا 8: 44)... (ألم يقرأ المسيحيون، الى اليوم، هذه الآية الإنجيليَّة الواضحة جداً؟!).

الفصل السادس
يسوع "الناصريّ"...

منذ قرون، لقب يسوع "بالناصريّ" نسبة الى مدينة "الناصرة" في الجليل. وكان سَائداً أنه ترعرع وعاش في الناصرة، مدينة والديه يوسف ومريم، حتى بداية حياته العلنية. كان هذا التفكير مبنياً على الاعتقاد التالي: اذا كان يسوع "ناصرياً"، فهذا يعني انه ولد في مدينة تسمى "الناصرة"، وبما ان أقاربه وهو نفسه عاشوا في الجليل، فينتج بالضرورة ان مدينة الناصرة تقع في هذه المنطقة. من هذا النوع من التفكير البديهي –ظاهرياً – سَاد الاعتقاد، عند عامة الناس، وهو سَائد حتى اليوم، بأن "الناصرة" هي مدينة والديه، وأن يسوع نشأ وعاش فيها... ولذلك لقّب "بالناصريّ".

وفي الواقع، إن عامة الناس كانوا، طوال ألفي سَنة، وحتى اليوم، يظنّون ان لفظة "ناصريّاً" في الانجيل تعني: النسبة الى "مدينة الناصرة". أي إن يسوع المسيح كان من مدينة الناصرة: كان "ناصرياً". غير ان النسخة الكاثوليكية الجديدة – للآباء اليسوعيين – للكتاب المقدس، العهد الجديد، طبعة 1989، تقول في الصفحة 40، حاشية رقم 14، في شرح عبارة "أنه (أي المسيح) يدعى ناصريّاً" (متى 2: 23)، تقول بالحرف الواحد:

"ناصرياً: يصعب علينا أن نعرف بدقة ما هو النصّ الذي يستند اليه متى. فاللفظ المستعمل لا يدلّ على أحد سكّان الناصرة! ولا على أحد شيعة الناصريّين، بل يرى متى فيه لفظاً يعادل "الجليليّ" (متى 26: 69). ويجوز أن نفهم هنا: "الذي في الناصرة" (متى 21: 11)؛ راجع أيضاً يوحنا 1: 45، وأعمال الرسل (10: 38). ولربما أراد متى أن يشير بها (لفظة: ناصريّاً) الى قدّوس الله المثالي، الى "النذير" [المنذور لله] (سَفر القضاة 13: 5؛ راجع أيضاً متى 16: 17 ومرقس 1: 24)"!!

وهكذا، وبناء على الترجمة الجديدة الكاثوليكية للكتاب المقدس وعلى النص المحدّد: "إنه يدعى ناصريّاً"، يتضح لنا اليوم أن عبارة "يدعى ناصريّاً" التي اطلقت على يسوع المسيح، لا تعني أبداً أن يسوع المسيح هو من مدينة الناصرة، أو ينتسب إليها أو هو أحد سكّانها، كما يعتقد الناس منذ قرون طويلة...! بل عبارة:

"يدعى ناصريّاً"، هي أقرب ما تكون الى ما معناه: قدوس الله، النذير، المنذور او المكرّس لله...

هذه الحقيقة بالذات، التي أصبحت اليوم ثابتة أكيدة ومحقّقة عند الجميع، تشكّل، بالنسبة الى هذه الدراسة، إحدى المرتكزات الاسَاسية، كما سَنفصّل ذلك لاحقاً.

من الثابت، تاريخياً وجغرافياً، أن مدينة "الناصرة" لم يرد لها أي ذكر في أسفار الكتاب المقدّس – العهد القديم – ولا الوثائق المصرية والاشورية والحثية والآرامية والكنعانية والفينيقية، ولا تواريخ يوسيفوس التي تعدّد بالاسم جميع مدن فلسطين والجليل، وبلداتها وقراها... لا ذكر لمدينة الناصرة قبل الميلاد، على الاطلاق. واول ما ذكرت في الانجيل... وقد ثبت اليوم أنها بنيت في القرن الثاني بعد الميلاد.

هناك تباين ظاهر في الحديث عن علاقة يسوع بالناصرة، عن زمن سَكناه فيها وعن طريقة هذه السكنى...! فقد جاء في انجيل متى: "... وما إن توفّي هيرودس حتى تراءى ملاك الرب في الحلم ليوسف في مصر وقال له: "قم فخذ الطفل وأمّه واذهب الى أرض اسرائيل، فقد مات من كان يريد إهلاك الطفل" (راجع سَفر الخروج 4: 19)، فقام فأخذ الطفل وأمّه ودخل أرض اسرائيل. لكنه سَمع أن أرخلاوس (حكم أرخلاوس في اليهودية من السَنة 4 قبل الميلاد حتى السَنة 6 بعد الميلاد) خلف أباه هيرودس على اليهوديّة، فخاف أن يذهب اليها. فأوحي اليه في الحلم، فلجأ الى ناحية الجليل. وجاء مدينة يقال لها "الناصرة" فسَكن فيها، ليتمّ ما قيل على لسَان الانبياء (؟): "إنه يدعى ناصريّاً" (متى 2: 19-23)!...

يلاحظ أولاً، أن متى الذي كتب إنجيله، كما رأينا، على طريقة المدراش اليهوديّ – مدراش موسَى الصغير – يستوحي بشكل مباشر حادثة عودة موسَى من مدين الى مصر، كما جاء في سَفر الخروج حرفياً: "... وقال الرب لموسَى بمدين: اذهب فارجع الى مصر، فإنه قد مات جميع الناس الذين يطلبون نفسَك. فأخذ موسَى امرأته وبنيه وأركبهما على الحمار ورجع الى أرض مصر... (سَفر الخروج 4: 19-20). إن متّى كان يريد من ذلك أن يبرهن أن يسوع المسيح هو "موسَى الجديد"... فكما أن موسَى خلّص شعبه من أرض مصر في العهد القديم، هكذا المسيح يخلّص شعبه من خطاياه، في العهد الجديد، ويدخله ملكوت السَماوات...

يلاحظ ثانياً، أن يوسف ومريم ويسوع، بعد رجوعهم من أرض مصر، جاؤوا مدينة في الجليل يقال لها الناصرة فسَكنوا فيها. فغنيّ عن القول أنهم قبل ذلك لم يكونوا مقيمين في الناصرة. فأين كانوا يقيمون اذاً؟ مع العلم أنهم كانوا من الجليل، هم وأقاربهم وأنسباؤهم جميعاً، وأن يسوع كان يدعى "جليلياً، وأن تلاميذه، وعلى رأسهم بطرس، كانوا جليليّين... ما عدا يهوذا الأسخريوطي فقد كان وحده يهودياً، من أرض يهوذا، من قرية تدعى: "إشخريوط"!

أما الانجيلي لوقا، من جهته، فقد كتب يقول: "... وفي الشهر السَادس (في الشهر السَادس بعدما حبلت اليصابات، نسيبة مريم، بيوحنا المعمدان...)، أرسل الله الملاك جبرائيل الى مدينة في الجليل اسمها "الناصرة"، الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف، واسم الفتاة مريم..." (لوقا 1: 26-38).

من الواضح، في نصّ لوقا هذا، أن العذراء مريم منذ البشارة كانت تقيم في مدينة الناصرة. خلافاً لما جاء في انجيل متى الذي يقول، كما رأينا، انها جاءَت، مع يوسف ويسوع، بعد رجوعهم من أرض، مدينة في الجليل اسمها الناصرة وسَكنت فيها...؟! ومن جهة ثانية، اذا كانت العذراء مريم من ناصرة الجليل، فمن الطبيعي، جرياً على عادات تلك الأيام، ان يكون خطيبها يوسف من أقربائها وأنسبائها، إمّا من ناصرة الجليل أو من أحدى مدن الجليل الأخرى. وبعبارة أخرى كان يوسف أيضاً "جليلياً"...

مرّة أخرى، نذكّر بان كتب الأناجيل ليسَت كتباً تاريخيّة، بالمعنى الحصريّ لكلمة "تاريخ"، بحسَب مفهومنا اليوم. بل هي قبل كل شيء "بشرى" الخلاص (مرقس 1: 1)، وأعلان هذه البشرى التي حصلت في شخص يسوع المسيح. أما الدقة والتفاصيل التاريخية والجغرافية فلم تكن من أهدافها الاسَاسية، ولا من اهتماماتها الكبرى...

لقد رأينا أن عبارة متى: "انه يدعى ناصريّاً"، لا تدلّ أبداً على أحد سكان الناصرة. بل تحتمل عدة معانٍ وتفسيرات، وذلك بحسَب النسخة الكاثوليكية الجديدة نفسَها! بل يرى فيها متى لفظاً يعادل لفظ الجليلي (26: 69)؛ ويجوز ان نفهم هنا: "الذي في الناصرة" (21: 11، راجع أيضاً يوحنا 1: 45، واعمال الرسل 10: 38). ولربما اراد متى ان يشير به الى "قدوس الله"، أو الى "النذير" "والمكرس لله"... (راجع قضاة 13: 5؛ متى 16: 17 ومرقس 1: 24)!

وإذا عدنا الى وثائق اليهود وتقاليدهم في تلك الأيام، نجدهم يطلقون لفظة "ناصري" على كل انسان غريب عن ديانتهم، ملتحق بشيعة غريبة، او معتنق لديانة سرّية من الديانات التي كانت منتشرة منذ القديم في مناطق "جليل

الأمم" وشمالي فلسطين. وهناك إشارات عديدة في أسفار العهد القديم، وفي سَفر القضاة بنوع خاص، كانت تدلّ على شيع واشخاص خرجوا على تقاليد اليهودية الرسمية، وتسميتهم: "ناصريين" (Nazaréens)... وحتى في كتب العهد الجديد نفسه، وفي "أعمال الرسل" بالتحديد، فقد وردت لفظة "نصارى" (جمع "ناصري")، بكل وضوح، في محاكمة القديس بولس الرسول لدى الحاكم فيلكس: "... وبعد خمسَة أيام نزل حننيا عظيم الكهنة ومعه بعض الشيوخ ومحام اسمه طرطلّسَ فرفعوا للحاكم دعواهم على بولس. فلما دعي استهل طرطلّسَ اتهامه بقوله: ... أرجو أن تصغي الينا قليلاً بما أنت عليه من اللطف. وجدنا هذا الرجل آفة من الآفات، يثير الفتن بين اليهود كافة في العالم أجمع، وأحد أئمة شيعة النصارى... وقد حاول أن يدنّس الهيكل فقبضنا عليه. فتستطيع، اذا استجوبته عن هذه الامور كلّها، أن تتبيّن ما نتّهمه به... فسَانده اليهود زاعمين أن الأمور على ذلك..." (أعمال الرسل 24: 1-9)! وفي بعض الترجمات للأناجيل يطلق على يوحنا المعمدان نفسَه لقب "النّاصريّ" أيضاً، طبعاً ليسَ بمعنى أحد سكّان الناصرة، بل بالمعنى الوارد أعلاه. وبكلمة، كان اليهود يطلقون لقب "ناصريّ" على كل مواطن لهم يعتنق مذهباً دينياً غير مذهبهم، وخاصة اذا كان يلتزم بمفهوم فلسَفي وروحاني خاص، أو يتبع قواعد اخلاقية وسلوكية مغايرة لقوانينهم... كانوا يلقبونه "بالناصري" لعدم وجود لقب آخر اكثر مطابقة ودقّة...

من جهة ثانية، وفي أزمنة الميلاد، كان هناك شيعة معيّنة تلقّب "بشيعة النصارى"، ترد مراراً وبوضوح في المراجع والوثائق اليهوديّة. وكانوا يطلقون عليهم اسم "شيعة المسيحيّين الأولين". أي أولئك الذين كانوا مستعدين ومهيأين لقبول "المسيح" والمسيحيّة. وفي الواقع، نجد في التواريخ والموسوعات اليهودية كافة، أن لقب "ناصريّ" يتضمن كلّ المسيحيّين، من أصل يهودي، الذين، من دون أن يغيّروا نهج حياتهم السَابق، كانوا يحاولون أن يوافقوا بين عقائدهم القديمة (اليهودية) وعقائدهم الجديدة (المسيحيّة)... وفي الوقت نفسَه، تؤكّد هذه التواريخ والموسوعات اليهودية عينها، ان هناك قواسم مشتركة بين "النصارى" هؤلاء وبين الأسّينيّين، وأن لهم نهجاً باطنياً روحانياً مشتركاً... وكان أحبار اليهود وعلماؤهم يعتبرون "النصارى" و"الاسّينيّين" بمثابة "هراطقة". مع الملاحظة أنه كان هناك فرق بين هاتين العبارتين: فالاسينيّون لم يكونوا معروفين لدى عامة الناس مثلما كان "النصارى"؛ ومن النادر أن يطلق أحد لقب "اسّيني" على إنسان ما، ما لم يكن على بيّنة من الفرق بين "ناصريّ" و"اسّيني"... وبالمقابل، كان هناك عادة عند عامة الناس، أن يطلقوا غالباً لقب

"نصارى"، ليسَ فقط على الاسينيّين، بل أيضاً على كل الذين يتّبعون شيعاً ذات مذهب مختلف، أو يعتنقون ديانة غير الديانة اليهودية الرسمية...

والقديس ايرونيمس نفسَه، المترجم والشارح المسيحي الأكبر للكتب المقدسة، يذكر مراراً أنه كان هناك على أيامه، في أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس، شيعة بين اليهود، تتجمع حول المجامع اليهودية الشرقية. وكان الفريسيّون يعتبرونها بمثابة هرطقة، ويرذلونها. وكان أفراد هذه الشيعة يسمّون: "نصارى"! ويوضح إيرونيموس أن "هؤلاء النصارى" كانوا يؤمنون بان المسيح، ابن الله، ولد من مريم العذراء؛ وانه تألم في عهد بيلاطس البنطي، وصعد الى السماء. غير أنه يؤكد أيضاً: "... وبالرغم من أنهم كانوا يزعمون انهم يهود ومسيحيون في الوقت نفسه، فلم يكونوا في الحقيقة لا يهوداً ولا مسيحيّين...".

والخلاصة، وبناء على الوثائق اليهودية والمسيحية، وغيرها أيضاً...، يمكن القول بانه كان هناك <u>قبل أزمنة الميلاد</u>، في فلسطين وفي "جليل الأمم" بنوع خاص، شيعة من أصل يهودي أو ذات صبغة يهودية...، تحاول أن تحافظ على التقاليد اليهودية القديمة، ولكنها في الوقت نفسَه تنتظر بلهفة مجيء مسيح يولد بطريقة عجائبية ويكون مخلصاً روحياً لهم وللناس أجمعين... وهكذا عندما بدأ يسوع المسيح برسالته، اعترف "هؤلاء النصارى" أنه المسيح المنتظر وتبعوا تعاليمه الجديدة، مع تعلّقهم بالوقت نفسَه بالمبادى العامة لليهودية. "هؤلاء النصارى" رفضوا بولس "رسول الأمم"، ورفضوا تعاليمه المتضمنة في رسائله الشهيرة. وكان العديد منهم لا يرى في يسوع المسيح سوى انسان خارق ومصلح روحيّ...

وكان هناك، عند اليهود، لقب آخر، يطلقونه على المنشقّين والهراطقة المتواجدين بينهم. وهذا اللقب هو "النذير" (منذور ومكرّس...) – Nazarite– وكانت السلطات اليهودية تطلقه على الذين يعيشون، على نفس الارض، خارج الجماعة اليهودية، أو الذين انشقّوا عن هذه الجماعة لاسباب تعود الى اختلافات مناقبية واخلاقية ومذهبيّة... (راجع سَفر القضاة 13: 5). وهؤلاء يكونون عادة من الذين "لا يشربون خمراً ولا مسكراً..." ولا يأكلون شيئاً نجساً، أو الذين لا يعلو رأسهم موسىً منذ ولادتهم، أو الذين يتمنعون عن لمس الميت خلال حفلة الجنازة الخ... وكانت أصول هذه الشيع تعود الى عهود قديمة يلفّها الغموض. والعهد القديم نفسَه يذكر في عداد "النذيرين" – Nazarites -، شمشون الجبّار وأمه. فقد جاء في سَفر القضاة: "فتراءى ملاك الرب للمرأة (زوجة منوح والد شمشون) وقال لها: إنك عاقر لم تلدي، ولكنك سَتحملين وتلدين ابناً. فانتبهي الآن ولا تشربي خمراً ولا مسكراً، ولا تأكلي شيئاً نجساً، لأنك سَتحملين وتلدين

ابناً لا يعلو رأسه موسىً، لأن الصبيّ يكون "نذيراً" لله من البطن، وهو يبدأ بخلاص اسرائيل من يد الفلسطينيين. فجاءت المرأة وكلّمت زوجها وقالت له: جاءَني رجل الله، ومنظره كمنظر ملاك الله، له هيبة عظيمة، وأنا لم أسأله من أين هو، وهو لم يخبرني باسمه. وقال لي: انك سَتحملين وتلدين ابناً. فلا تشربي الآن خمراً ولا مسكراً ولا تأكلي شيئاً نجساً، لأن الصبيّ يكون نذيراً لله من البطن الى يوم وفاته... فقام منوح وانطلق وراء زوجته واقبل على الرجل وقال له: ... كيف يكون التصرف في أمر الصبيّ وماذا يعمل به؟ فقال ملاك الرب لمنوح: لتحترز المرأة من كل ما قلت لها: من كلّ ما يخرج من كرمة الخمر لا تأكل، وخمراً ومسكراً لا تشرب، ولا تاكل شيئاً نجساً، بل تحفظ كل ما أمرتها به..." (سَفر القضاة 13: 3-14).

والنبي صموئيل (يعني "اسم إيل") نفسَه كان من جماعة "النذيرين". فقد جاء في سفر صموئيل الأول: "ونذرت حنّة (زوجة ألقانة والد صموئيل وكانت عاقراً...) نذراً وقالت: يا ربّ القوات، إن أنت نظرت الى بؤس أمتك وذكرتني ولم تنسَ أمتك وأعطيت أمتك مولوداً ذكراً، أعْطِهِ للربّ لكلّ أيام حياته، ولا يعلو رأسه موسى"... وكان في انقضاء الأيام أنّ حنة حملت وولدت ابناً فدعته صموئيل، لانها قالت: "من الرب التَمَسْتُهُ"... ثم قالت: متى فطم الصبيّ أذهب به ليمثل أمام الرب ويقيم هناك للأبد...". (سَفر صموئيل الأول 1: 10-11، 20-22). سَيكون صموئيل الابن الذي وهبه الله لام عاقر، كما كان اسحق وشمشون ويوحنا المعمدان. والولد المنتظر تنذره امه للرب ليكون مكرّساً له. وسَيكون الشعر الطويل علامة لهذا النذر، كما كان شمشون.

تعود قصة النذر "والنذير" واحوال حياته الى أيام موسَى في صحراء سيناء، حين بدأ بتنظيم الشرائع الأولى لشعب اسرائيل. فقد جاء في سَفر العدد: "وخاطب الربّ موسَى قائلاً: أي رجل أو امرأة أراد أن ينذر نذر "النذير" للربّ، فليمتنع عن الخمر والمسكر ولا يشرب خلّ خمر وخلّ مسكر، ولا يشرب أي عصير من العنب، ولا يأكل عنباً رطباً ولا يابساً، ولا يأكل طوال أيام نذره من كل ما يصنع من جفنة الخمر، من الحبب الى القشر. وطوال أيام نذره لا تمرّ موسىً برأسه، ويكون مقدّساً الى أن تتمّ الأيام التي نذر فيها نذر النذير للرب، ويربّي خصل شعر رأسه. وطوال أيام نذره للربّ لا يدخل على جثة ميت. ولا يتنجّس لا بأبيه ولا بأمه أو أخيه أو أخته عند موتهم، لأن نذر الهه على رأسه. إنه كل أيام نذره مقدس للرب.

فان مات عنده ميت فجأة على بغتة وتنجّس رأسه وهو النذير، فَلْيَحْلِقْ رأسه في يوم طهره، في اليوم السَابع يحلقه. وفي اليوم الثامن يأتي بزوجي يمام أو

فرخي حمام الى الكاهن... الى باب خيمة الموعد، فيصنع الكاهن ذبيحة خطيئة، والآخر محرقة، ويكفّر عنه ما خطئ به بالقرب من الميت، ويقدّس رأسه في ذلك اليوم. فينذر للربّ أيام نذره، ويأتي بحمل حوليّ ذبيحة إثم، وتسقط الأيام السَابقة، فقد تنجّسَ نذره...

وهذه شريعة النذير: يؤتى به، يوم تتمّ أيام نذره، الى باب خيمة الموعد. فيقرّب قربانه للربّ: حملاً حوليّاً تاماً للمحرقة، ونعجة حولية تامة لذبيحة الخطيئة، وكبشاً تاماً للذبيحة السَلامية، وسَلة فطير من سَميذ، أقراص فطير ملتوتة بزيت، ورقاقات فطير مدهونة بزيت، وتقدمتها وسَكبها. فيقدّمها الكاهن أمام الرب، ويصنع ذبيحة خطيئة النذير ومحرقته. ويصنع الكبش ذبيحة سَلاميّة للربّ مع سَلّة الفطير، ثم يصنع الكاهن تقدمة النذير وسَكيبه. ويحلق النذير رأسه، وهو النذير، عند باب خيمة الموعد، ويأخذ شعر رأسه، وهو النذير، ويلقيه في النار التي تحت الذبيحة السَلاميّة. ويأخذ الكاهن الكتف مطبوخة من ذلك الكبش، وقرص فطير من السَلّة ورقاقة فطير، ويضعها على راحتَي النذير، بعد حلقه شعره وهو النذير. ويحرّكها الكاهن تحريكاً أمام الربّ: إنها قدس، فللكاهن تكون مع صدر التحريك وفخذ التقدمة، وبعد ذلك يشرب النذير خمراً.

تلك شريعة من نذر أن يكون نذيراً. ذلك قربانه للربّ في شأن نذره، فضلاً عمّا يكون في يده، وبحسَب نذره الذي نذره يعمل على حسَاب شريعة نذره..." (سَفر العدد 6: 1-21).

وهكذا كان "النذير" يلتزم بالامتناع عن قصّ شعره وشرب المسكرات والاقتراب من الجثث والاشياء الدنسَة. وتعبّر القاعدة الأولى عن تكرّسهِ لله وعمل الله فيه (راجع تكوين 49: 26، وتثنية الاشتراع 33: 16 حيث يطلق هذا اللقب على يوسف...). وتدلّ القاعدة الثانية على رفضه العيشة السَهلة (راجع ما يقال في جماعة الريكابيّين في سَفر ارميا 35: 5-8). وأمّا القاعدة الثالثة فهي عبارة عن انتسَابه الخاصّ الى الله. (راجع سَفر الاحبار 21: 1-2 و10-11). وكان باستطاعة الام وحدها أن تنذر ولدها نذيراً للرب: مثل شمشون (قضاة 13: 5-7 و14 و16: 17) وصموئيل (صموئيل الأول 1: 11) وفيما بعد يوحنا المعمدان (لوقا 1: 15)... وكان النبيّ إرميا نذيراً لله من بطن امه (ارميا 1: 5)، والنبيّ اشعيا "عبد الله – عبد يهوه" (اشعيا 49: 1) والنبيّ عاموسَ (عاموسَ 2: 11-12)، وغيرهم...

وفي العهد الجديد نجد، منذ بدايته، إشارات واضحة الى جماعة "النذيرين"، المنذورين والمكرّسين للرب، حتى "وهم في البطن". فقد جاء في انجيل لوقا: "... فقال الملاك لزكريّا: لا تخف يا زكريّا، فقد سَمع دعاؤك وستلد لك امرأتك اليصابات ابناً فسَمّه يوحنا. وستلقى فرحاً وابتهاجاً، ويفرح بمولده أناس كثيرون.

لأنه سَيكون عظيماً أمام الربّ، ولن يشرب خمراً ولا مسكراً...، ويمتلئ من الروح القدس وهو في بطن أمّه..." (لوقا 1: 13-15). وحنّة والدة العذراء مريم، نذرت ابنتها "نذيرة للرب"، وهي "بعد في البطن"، كما جاء في التقاليد المسيحية الأولى – والمستمرّة حتى اليوم في الشرق – وفي الأناجيل المنحولة، وفي العديد من الوثائق والتواريخ.

وجاء في أعمال الرسل أيضاً: "... ومكث بولس بضعة أيام في كورنتس، ثم ودّع الاخوة وأبحر الى سوريّة، ومعه برسَقلّة وأكيلا، بعدما حلق رأسه في قنخريّة لنذر كان عليه... فلما وصلوا الى أفَسس فارقهما، ودخل المجمع فأخذ يخاطب اليهود..." (أعمال الرسل 18: 18-19) وفي مكان آخر، جاء أيضاً: "... وقال الاخوة في أورشليم لبولس: ترى، أيها الأخ، كم الفٍ من اليهود قد آمنوا وكلّهم ذو غيرة على الشريعة... وقد بلغهم ما يشاع عنك من أنك تعلّم جميع اليهود المنتشرين بين الوثنيين أن يتخلّوا عن موسَى، وتوصيهم بالاّ يختنوا أولادهم ولا يتبعوا السَنة... فما العمل؟ لا شك بأنهم سَيسمعون بقدومك. فاعمل بما نقوله لك: فينا أربعة رجال عليهم نذر... فسَر بهم واطّهر معهم، وأنفق عليهم ليحلقوا رؤوسهم، فيعرف جميع الناس أن ما يشاع عنك باطل، في حين أنك سَالك مثلهم طريق الحفاظ على الشريعة. أمّا الذين آمنوا من الوثنيّين فقد كتبنا إليهم ما قرّرناه: بأن يجتنبوا ذبائح الأصنام والدم والميت والزنى... فسَار بولس بأولئك الرجال في غَدِهِ، فاطّهر معهم ودخل الهيكل وأعلن الموعد الذي تنقضي فيه أيام الاطّهار لكي يقرّب فيه القربان عن كلّ منهم...". (أعمال الرسل 21: 20-26)

ينتج عن كل ما تقدم، أن عبارات: "ناصريّ"، "وإنه يدعى ناصريّاً" (أي المسيح)، "ونصارى" (Nazaréens)، "ونذيرين" (جمع نذير ومنذور...) (Nazarites)، كل هذه العبارات ومشتقاتها، الواردة في العهدين القديم والجديد، وفي الانجيل بنوع خاص، حتى ميلاد المسيح ضمناً، ليسَ لها صلة أو علاقة، لا من قريب ولا من بعيد، بمدينة تسَمّى "الناصرة"، لا في الجليل ولا في سَائر مناطق فلسطين...! انها حقيقة تاريخية – جغرافية موضوعية مجرّدة! ولو صدمت آذان القارئ العادي وعامة الناس. ولكنها الحقيقة! أما كيف دخل في أذهان عامة الناس – والمسيحيّين منهم بنوع خاص... - ان هذه العبارات تدل على مدينة "الناصرة" في الجليل، فيمكن اختصاره بما يأتي:

في القرون المسيحية الأولى، حاول آباء الكنيسة وتلاميذهم، تباعاً، ان يعيّنوا ويحدّدوا جميع الأماكن التي لها علاقة بحياة يسوع المسيح منذ ولادته حتى صعوده الى السَماء. كل موقع مرّ أو أقام فيه، كلّ حادثة حصلت خلال حياته، كل ما كان له علاقة بحياته ورسالته، كل ذلك كان يدوّن ويرتب بعناية واحترام... ومع

توالي الأيام وازدياد عدد السيّاح والزوار والرحالة من أوروبا الى الأراضي المقدّسة، بلغ الأمر بالسكان المحليّين، ولاسباب لا تخفى على أحد، الى المبالغة والاكثار والتفنن في تعداد وتعيين وتفريغ الأماكن والمواقع المقدسة وكل ما يمت بصلة الى حياة يسوع المسيح. وكانوا يحيطون كل موقع بهالة كبيرة من الاحترام والرهبة، ويحيكون حوله القصص والحكايات. حتى بلغ بهم الأمر مثلاً الى تعيين سَبعة اماكن حصلت فيها بشارة الملاك جبرائيل للعذراء مريم...! والذي يزكّي ما نقول هو ان ملوك وملكات الفْرنج، ومن بعدهم رهبنات الفرنج، من رجال ونسَاء، أقاموا سَبعة معابد – مزارات تخليداً لهذه الاماكن السَبعة المختلفة والمتباعدة!

أما فيما يخصّ مدينة الناصرة بالذات، فالامر كان مختلفاً تماماً، حتى ان امكانية التسمية، في بادئ الأمر، لم تكن متوفرة. فلم يكن من ذكر ولا حتى من إشارة الى مدينة تسَمى بهذا الاسم –"الناصرة"- لا في التواريخ القديمة والمعاصرة، ولا في اسفار العهد القديم، ولا في التلمود، ولا حتى في كتب المؤرّخ يوسيفوس المعاصر للمسيح، ولا، بالتالي، في أية خريطة من الخرائط حتى المعاصرة للمسيح. وفيما بعد، وخلال القرن الثالث بعد الميلاد، اكتشف البعض مزرعة صغيرة في الجليل تدعى en-Nasira، شيّدت في الأصل حول بئر ماء تلقب ببئر "الناطرة" (Puits de la maison de garde) او الحارسة او المحروسَة أو المحبوسَة. فاطلق عليها اسم "الناصرة" (Nazareth) وجعلوا منها "المدينة" التي ترعرع فيها يسوع المسيح...! وبقيت على هذا الاسم الى اليوم. وقد لقّبت أحياناً "القضيب المزهر والمثمر"، بالنسبة الى "قضيب يسَّى" والد داود، الذي أزهر وأثمر فأعطى المسيح...(؟!!)، وبئر الماء التي فيها سمّيت فيما بعد "بئر القديسة مريم" الخ... وتغيير الاسماء هذا حصل جرياً على عادة السكان المحليّين الذين لجأوا الى هذه الطريقة ارضاء للزوار والسياح والرحالة الاجانب!... (فيما يخص اسماء الناصرة ومعانيها عبر العصور، راجع: القس أسعد منصور "تاريخ الناصرة من أقدم أزمانها الى أيامنا الحاضرة"، ص 24-26 مع الحواشي).

فقد جاء في إنجيل مرقس: "وانصرف يسوع من هناك وجاء الى وطنه يتبعه تلاميذه. ولما أتى السَبت أخذ يعلّم في المجمع، فدهش كثير من الذين سَمعوه، وقالوا: من أين له هذا؟ وما هذه الحكمة التي أعطيها حتى ان المعجزات المبينة تجري عن يديه؟ أليسَ هذا النجّار ابن مريم، أخا يعقوب ويوسَى ويهوذا وسمعان؟ أوليسَت اخواته عندنا ههنا؟ وكان لهم حجر عثرة. فقال لهم يسوع: لا يزدرى نبيّ الاّ في وطنه وأقاربه وبيته. ولم يستطع ان يجري هناك شيئاً من المعجزات، سوى أنه وضع يديه على بعض المرضى فشفاهم.

وكان يتعجّب من عدم إيمانهم. ثم سَار في القرى المجاورة يعلّم..." (مرقس 6: 1-6، مع الحواشي والشروحات؛ راجع أيضاً متى 13: 53-58؛ ولوقا 4: 16-30).

يسود الاعتقاد، عند العامة، حتى اليوم، ان هذه الحوادث حصلت في مدينة الناصرة "وطنه"، وأنه ولد في الناصرة. مع أن مرقس في النص أعلاه يقول: "جاء الى وطنه" ويقصد الجليل ولا يسمّي مدينة الناصرة. ومتى يقول أيضاً: "جاء الى وطنه"، وهو أيضاً لا يسمّي مدينة الناصرة، بل يقصد وطنه الجليل. الاّ ان لوقا وحده يقول: "وأتى الناصرة حيث نشأ"، تمشياً مع قوله في 1: 26-27؛ مع انه يقول حيث نشأ، ولم يقل حيث ولد. ومن جهة ثانية –والامر هنا واضح تماماً من النواحي التاريخية والجغرافية والتوبولوجية والتوبونومية كافة- اذا كان المسيح قد جاء الى وطنه فالمقصود هو الجليل، "جليل الأمم"؛ واذا كان بشّر "في المجمع" جموعاً غفيرة، فهذا لا يصحّ اطلاقاً على المزرعة الصغيرة المدعوّة en Nasira "الناطرة والمحروسَة"... التي سميت فيما بعد "الناصرة" Nazareth. والدليل القاطع على ذلك ان الناصرة لم يكن فيها مجمع قبل القرن الثالث او الثاني بعد المسيح! ومن غير المعقول، بالاضافة الى ذلك كله، ان يكون هناك مجمع في مزرعة صغيرة –وقد اكتشفت في القرن الثالث بعد المسيح- وان يكون قد احتشد في مجمعها، وهو غير موجود، جموع غفيرة. فالجموع الغفيرة لم تكن متواجدة حتى في جميع المناطق المحيطة بهذه المزرعة الصغيرة النائية...!

واذا عدنا الى الوثائق التاريخية والجغرافية نجد أن لا ذكر لمدينة الناصرة في الجليل الاّ في كتب العهد الجديد التي وضعت في وقت لاحق لحياة يسوع المسيح. ولا ذكر لها على الاطلاق، لا في كتب العهد القديم، ولا في التلمود، ولا في كتب يوسيفوس المؤرخ ولا في غيرها من كتب التاريخ والخرائط الجغرافية. ففي زمن المسيح كانت مدينة يافا – في سَفح جبل الكرمل – هي المدينة الوحيدة في مقاطعة الجليل التي كانت تستقطب الجموع. وكان فيها مجمع كبير. وقد ذكرتها كتب التاريخ مراراً. اما ما يسَمّى "بالناطرة" en Nasira، فقد كانت معروفة، حتى أيام الملك قسطنطين الكبير، بكونها بلدة يهودية صرف، لا يسكنها الاّ اليهود فقط. فلا يعقل ان تكون، والحالة هذه، مركزاً لتجمع "الأمم" في الجليل، على أيام المسيح...

وأقدم نصّ يأتي على ذكر الناصرة، بعد الأناجيل، وضعه مؤرخ الكنيسة الأول الأسقف اوسابيوس القيصري، في أوائل القرن الرابع بعد المسيح، في كتابه "أونوما سَتيكون" (Onomasticon). وهو بحث مفصل، باليونانية، في اسماء الاماكن الخاصة بجغرافية الكتاب المقدس، وفيه عرض متسَلسل وجداول لهذه الاسماء بحسَب الحروف الابجدية، ووصف موضوعي لهذه الاماكن، مع ذكر

الاسماء المتتالية التي حملتها هذه الاماكن خلال تاريخها الطويل. ونصّ اوسَابيوس هذا يقول: "Nazara- "نازاراه" القريبة من جبل طابور...".

وأقدم نصّ بالعبرانية عن الناصرة جاء في كتاب المؤرخ اليهودي "اليازر كالير" في القرن السَابع بعد المسيح، ويذكرها على أنها بلدة في الجليل.

هناك اليوم إجماع عند علماء الآثار والتاريخ –بالمفهوم العلمي اليوم للتاريخ- بان الناصرة لم تكن موجودة في أيام المسيح، ولو كانت هذه الحقيقة التاريخية تصدم الكثيرين... ففي دراسَة حديثة يقول المؤرخ الفرنسي بيار-انطوان برنهايم: "لم تكن الناصرة موجودة أيام المسيح، وهذا ثابت من الناحية التاريخية والآركيولوجية. وبالتالي لم يكن هناك من مجمع لليهود في الناصرة... (متى 13: 53-58؛ مرقس 6: 1-6؛ لوقا 4: 16-30). وذلك بالاستناد الى نسَخ قديمة جداً للأناجيل مثل مرقس القديم وغيره من النسَخ القديمة... وهكذا يقول أيضاً المفسّر الكاثوليكي الكبير م.أ. بوامار في كتاباته الحديثة عن إنجيل مرقس، وغيره من المفسّرين أمثال تروكمي وكروسمان وكولبير وغيرهم..." (يعقوب أخو الرب" بالفرنسيّة، ص 111؛ وأيضاً م.أ. بوامار في كتابه "انجيل مرقس في جذوره القديمة"، بالفرنسيّة، غابالدا، باريس، 1994).

ولو كان هناك، أيام المسيح مدينة تدعى الناصرة، ولو كان المسيح قد سَكنها، لكان من الطبيعي جداً ان يقال إنه يُدعى "ناصريّاً" أي بالنسبة الى الناصرة أو سَاكناً فيها. والكنيسة الكاثوليكية نفسَها لا تفسّر الآية: "إنه يدعى ناصريّاً" بمعنى أنه "أحد سكان الناصرة" أو من الناصرة، أو مقيم في الناصرة، أو ما شابه، بل تفسّرها على الشكل التالي: انه يدعى قدوساً، مكرّساً لله، منذوراً لله او ما شابه. ومن جهة ثانية، هناك إجماع تام اليوم على أن قول متى 2: 3 "ليتمّ ما قيل على لسَان الانبياء: إنه يدعى ناصريّاً"، هذا القول لا وجود له لا على لسَان الانبياء ولا في كتبهم، ولا في أي سَفر من أسفار الكتاب المقدس! (وبخصوص تفسير الكنيسة الكاثوليكية لعبارة "إنه يدعى ناصريّاً" بمعنى "انه يدعى مكرساً أو منذوراً..." راجع: النسخة الجديدة، متى 2: 23، الحاشية رقم 14، ص 40).

والخلاصة، كان هناك منذ البدء التباس لغوي بين عبارتين Nazoraios و Nazarenos. الأولى بمعنى "النذير" أو المنذور، والثانية بمعنى "الناصريّ". وقد ازداد الالتباس في النقل والترجمات فيما بعد. علماً أن العبارتين هما من أصل كنعاني وآرامي وعبراني، ولا وجود لهما أصلاً لا في اليونانية ولا في اللغات الحديثة. وقد توارث الناس هذا الالتباس الى يومنا هذا! والبرهان على ذلك أنه إذا سَمع أو قرأ أي إنسان –وأي مسيحيّ بنوع خاص- عبارة "يسوع الناصري"، يفهما على أنها تعني، من باب النسبة: الذي هو من مدينة الناصرة، أو أحد

السَاكنين والمقيمين فيها. مع أن الحقيقة، كما رأينا، هي أن عبارة "الناصري" لا تعني: الذي هو من مدينة الناصرة، بل تعني "المكرس" أو "المنذور لله".

أمّا فيما يخصّ تاريخ انشاء الناصرة، فليسَ هناك حتى اليوم، على ما نعلم، زمن محدّد ودقيق. وهناك افتراضات وآراء عديدة ومختلفة حول تاريخ إنشائها. غير أنه من الثابت والمؤكّد، من الناحية التاريخية – الآركيولوجية، انه لم يكن هناك شيء او مكان أو قرية اسمها الناصرة قبل القرن الثاني للميلاد! ومنذ حُدّدَتْ النسَخ القانونيّة للأناجيل وكتب العهد الجديد التي تذكرها بالاسم، في القرن الرابع للميلاد، بدأت الناصرة تأخذ أهمية كبيرة في التاريخ المسيحيّ على أنها موطن السيّد المسيح. ومنذ القديم وحتى اليوم، هناك بعض المؤرخين، ومنهم أرنسَت رينان، وبعض الشارحين والمفسِّرين، يرفضون كون المسيح ولد في بيت لحم اليهودية، ويرجّحون أنه ولد في الناصرة، ناصرة الجليل... (راجع شارل بيرّو "أحداث طفولة يسوع"، ص 51). وفيما يخصّ تاريخ إنشاء الناصرة، هناك من يقول إنه بعد خراب بيت لحم الجليل، لجأ قسم من أهاليها بسَبب "مقتل أطفال بيت لحم" (هذا في حال كون بيت لحم الجليل هي المدينة التي ولد فيها المسيح...)، لجأوا الى مكان قريب سمّي فيما بعد الناصرة، ذلك لكونهم "ناصريّين" بمعنى "المكرسين والمنذورين للربّ". وهكذا سمّي المسيح فيما بعد ناصريّاً (وقد سمّي هكذا بعد القرن الثاني للميلاد، على الأقل)، لا لكونه من مدينة الناصرة أصلاً، بل لأنه من "المكرّسين والمنذورين "للربّ". ولعل ذلك يتفق، من جهة، مع النصوص الانجيلية، ومن جهة أخرى، مع تفسير الكنيسة الكاثوليكية اليوم. مع التذكير، مرة أخرى أنه لم يكن هناك من مدينة اسمها الناصرة في أيام المسيح، وان عبارة "يسوع الناصري" لا تعني أصلاً "أحد سكان الناصرة" بل تعني، في الحقيقة: "المكرس أو المنذور لله".

وفي كتابه الآنف الذكر، يقول المؤرخ بيار أنطوان برنهايم: "كان يوسف زوج مريم كاهناً... وكان يعقوب مثل أخيه يسوع من "المنذورين" للرب..." ("يعقوب أخو الرب"، ص 297-280 – راجع أيضاً: أوسَابيوس القيصري "تاريخ الكنيسة"، 2: 23، 5-7 حيث يورد المؤلف نصوصاً من هيجيزيب أحد أقدم الكتبة المسيحيّين).

وخلال حفريات أثريّة حديثة كشف العلماء، في مدينة الناصرة، فسَيفسَاء كبيرة تزيّنها الصلبان وترجع الى القرن الثالث ميلادي، وهي قطعة في أرض كنيسَة مسيحيّة. ولم يكشف عن أي أثر في مدينة الناصرة، يعود الى ما قبل القرن الثاني ميلادي...!

كان هذا، باختصار وتبسيط، الوضع التاريخي الحقيقيّ المجرّد، في "جليل الأمم" أيام المسيح، بعيداً عن الافكار المسبقة والعواطف الدينية والمبالغات الشعبية السَطحية. ومن الضروري معرفة هذا الوضع من نواحيه كافة الاتنيّة والاجتماعية والفكرية والدينية، لكلّ من يريد أن يعرف بشكل موضوعي البيئة الجغرافية التي عاش فيها يسوع المسيح. كان "جليل الأمم" بوتقة بشرية تجيء اليها العناصر البشرية المتنوعة والمختلفة، فتتلاقى وتتفاعل، تتناضج وتتكامل، فتشكل هذه الظاهرة الفريدة في التاريخ، والتي سَمّاها اليهود انفسهم، مع شيء من الاحتقار: "جليل الأمم"... هذه الظاهرة التي كان بامكانها وحدها، وهي ذات طابع انسَاني شامل وموّحد، أن تهيء مباشرة مجيء مسيح كونيّ ومخلّص للبشريّة جمعاء، بعيداً عن العنصرية القومية والدينية لليهود... أليسَ المسيح الحقيقي مخلص الناس أجمعين؟ أليسَ هو القائل: "جئت لا لأنقض، بل لأكمّل؟" أي ليكمّل شرائع وتطوّر وتاريخ "الأمم" والشعوب كافة، ويسمو بها الى المستوى الالهيّ... وكانت "الروح الكنعانية"، ذات النزعةالكونية الموحدة والشاملة، هي التي تميّز وتحرّك تلك الظاهرة الفريدة التي تجلّت بوضوح فيما سمّي "جليل الأمم". ألم يأتِ المسيح الحقيقي الكوني على "رتبة ملكيصادق" كاهن "إيل"، إله الكنعانيين الأوحد الكونيّ؟ كما تصرح بوضوح جميع الكتب المقدسَة بعهديها القديم والجديد، من المزامير نفسَها (مزمور 110) الى بولس رسول "الأمم" (الرسالة الى العبرانيين، الفصل السَابع)؟ "أنت كاهن الى الأبد على رتبة ملكيصادق...". وذلك بشهادة اليهود انفسهم! ولم يقل: على رتبة هارون رئيس كهنة اليهود، بل على "رتبة ملكيصادق"، رئيس كهنة الكنعانيين: "رئيس كهنة الأرض". هذه هي الحقيقة التاريخية السَاطعة التي يجب أن تقال وتعلن عالياً وبوضوح وجرأة، أمام العالم أجمع!

وفي الواقع، كان هناك في الجليل وعلى ضفاف بحيرة طبريّا (بحر الجليل) بنوع خاص، جماعات متنوعة ومختلفة القوميات والأديان والمذاهب، تلقب "بالجليليّين" أي سكان "جليل الأمم". وابرز هذه الجماعات: الاسينيّون والناصريّون والمكرّسون والمنذورون (النذيريمْ)... وجميعهم من غير اليهود في الأصل. منهم من يعتنق ديانات غير الديانة اليهودية، ومنهم من أجبر على الختان واتباع شريعة موسَى وكانوا يعدّون يهوداً في الظاهر، كأجداد يسوع المسيح وأقاربه وأنسبائه.

وهؤلاء كانوا يقدّمون اولادهم الى المجامع اليهودية، عند اتمامهم الثانية عشرة من عمرهم، كي يسَجّلوا رسمياً في عداد اليهود. وهذه الجماعات "الجليلية"، غير اليهودية أصلاً، كانت تظهر نوعاً من الروحانية السَامية والشاملة، ولا تلتزم بالشرائع اليهودية الاّ بقدر ما تخدم هذه الشرائع روحانيتهم هذه...

ومن أبرز هذه الجماعات الجماعة الاسينية الفريدة، التي تحدثنا عنها آنفاً. وكان قلب هذه الجماعة ومحورها وإشعاعها في "جليل الأمم" بالذات. وكان ديرهم الكبير فوق جبل الكرمل المركز الأسَاسي ونقطة الانطلاق لاشعاعهم الروحي السَامي والمميز. هذا الدير الهام جداً الذي اغفله التاريخ تماماً، إن بسَبب سرّية نظامه التامّة، أو بسبب الجهل، او التجاهل والطمس المقصود من قبل اليهود انفسهم – وعلى خطاهم من قبل، المؤرخين المسيحيّين الغربيّين المتأثرين باليهود الى اليوم بشكل غريب حقاً...

وكان الى جانب الاسينيّين، جماعة "النصارى" أو "الناصريين"، الذين كانوا قبل المسيح. وقد وضعوا تعاليمهم الروحية السرّية في وثيقة ذات شهرة عالمية تدعى: "الكودكس الناصريّ" (Codex Nasaréus). كانوا يواصلون، على طريقتهم، "التراث الهرمسي" العريق في القدم، في نوع من المنظمة الروحية، يمارسون اسرارهم الخاصة، "اسرار الحياة"... وكانوا ينتظرون مجيء الانسان الذي تتحقّق فيه الألوهة، أي مجيء مخلّص روحاني لجميع البشر، في إطار دورة كونية –إنسَانية شاملة: من الله وإليه...

وكان هناك أيضاً جماعة "النذيرين"، المنذورين لله، والمكرّسين له، الذين يعيشون خارج الجماعة. كانوا يتّبعون نظاماً حياتياً وأخلاقياً مميزاً. يمتنعون عن شرب الخمر والمسكر، يطوّلون شعرهم، ويتحاشون الأشياء الدنسَة على أنواعها...

كانت هذه الجماعات الروحية، مع غيرها من الجماعات الصغيرة، تتعايش معاً في "جليل الأمم". وكانت كل جماعة تمارس تعاليمها وطقوسها بحرّية تامّة، دون التدخل بامور غيرها. ومع مرور الأيام، وبفضل الانفتاح المتبادل، أصبح لهذه الجماعات قواسم مشتركة، وفي بعض الاحيان، تعاليم واحدة. ومع ذلك، ظل "الناصريون" "والنذيرين" أكثر قرباً من عامة الناس. ولهذا السَبب كان كلٌ من يرفض اليهوديّة الرسميّة، أو يتبع تعاليم تعتبر منحرفة عن تعاليم الأحبار، يعتبر من "النصارى" أو "النذيرين"؛ ولا يعتبر "أسينياً"، لأن الاسينيين كانوا منعزلين عن الشعب، في جوّ من السرّية التامّة...

كل هذه الجماعات الخاصة، كانت قبيل مجيء المسيح، في حالة من الترقب والانتظار. كانوا يترقبون، كلّ على طريقته، مجيء مسيح أو مخلّص أو نبيّ كبير،

يزيل الظلم والفسَاد ويقيم العدالة والسَلام بين البشر أجمعين. وليسَ كما كان ينتظر اليهود، مجيء مسيح محارب ينتصر على أعدائهم ويخلصهم وحدهم دون سَائر الناس...!؟

وفي إطار فكرة مجيء مسيح أو مخلّص أو نبيّ كبير، كان الاعتقاد السَائد، عند هذه الجماعات الروحية وعند اليهود أنفسهم في زمن المسيح، أن ذلك سَوف يتمّ عن طريق عودة أحد الرجال الكبار السَالفين أمثال إيليّا أو إرميا أو أحد الانبياء... أجل! ان فكرة العودة هذه، كانت سَائدة، وبشكل واضح جداً، عند الجميع: عند اليهود وغيرهم، عند الكبار والصغار، عند الأحبار وعامّة الناس، كما يظهر في الوثائق التاريخية وفي الكتب المقدّسة عينها، بعهديها القديم والجديد.

فقد جاء في إنجيل متى: "... ولما وصل يسوع الى نواحي قيصريّة فيلبّس سَأل تلاميذه: من ابن الإنسان في قول الناس؟ فقالوا: بعضهم يقول: هو يوحنا المعمدان، وبعضهم يقول: هو إيليّا، وغيرهم يقول: هو إرميا أو أحد الأنبياء... فقال لهم: ومن أنا في قولكم أنتم؟ فأجاب سمعان بطرس: أنت هو المسيح ابن الله الحيّ" (متى 16: 13-16). ومرقس يقول في إنجيله: "وذهب يسوع وتلاميذه الى قرى قيصرية فيلبّس، فسَأل في الطريق تلاميذه: من أنا في قول الناس؟ فأجابوه: يوحنا المعمدان. وبعضهم يقول: إيليّا، وآخرون: أحد الأنبياء... فسَألهم: ومن أنا، في قولكم أنتم؟ فأجاب بطرس: أنت المسيح. فنهاهم أن يخبروا أحداً بأمره...". (مرقس 8: 27-30). أمّا لوقا فيقول في إنجيله: "واتفق أنه كان يصلّي في عزلة والتلاميذ معه فسّألهم: من أنا في قول الجموع؟ فأجابوا: يوحنا المعمدان. وبعضهم يقول إيليا. وبعضهم: نبيّ من الأولين قام... فقال لهم: ومن أنا في قولكم أنتم؟ فأجاب بطرس: أنت مسيح الله. فنهاهم بشدة أن يخبروا أحداً بذلك...". (لوقا 9: 18-21). وهكذا يتّضح من الأناجيل المقدسة نفسَها، أن الاعتقاد كان سَائداً بين الجميع في أيام المسيح، بمجيء "مسيح الله" أو بعودة أحد الأنبياء الكبار وقيامته من بين الأموات: أمثال "إيليا، أو إرميا أو أحد الأنبياء..."

أمّا الجواب القاطع، الذي لا يحتمل أي لبس وغموض وتأويل، بخصوص مسألة "العودة ثانية الى الأرض"، فقد جاء على لسَان يسوع المسيح نفسَه: "... وبينما هم نازلون من الجبل (بعد التجلّي...) أوصاهم يسوع قال: لا تخبروا أحداً بهذه الرؤيا الى أن يقوم ابن الانسان من بين الأموات. فسَأله التلاميذ: فلماذا يقول الكتبة إنه يجب أن يأتي إيليّا أولاً؟ فأجابهم: ان إيليّا آتٍ وسَيصلح كلّ شيء. ولكن أقول لكم ان إيليّا قد أتى، فلم يعرفوه، بل صنعوا به كل ما أرادوا. وكذلك ابن الانسان سَيعاني منهم الآلام, ففهم التلاميذ أنه عنى بكلامه يوحنا المعمدان"... (متى 17: 9-13). والانجيلي مرقس يقول، هو أيضاً، وفي الموضوع

نفسَـه: "... وسَأله تلاميذه: لماذا يقول الكتبة إنه يجب أن يأتي إيليّا أولاً؟ فقال لهم: إن إيليّا يأتي أولاً ويصلح كلّ شـيء. فكيف كتب في شأن ابن الانسان أنه سَيعاني آلاماً شديدة ويزدرى؟ على أنّي أقول لكم إن إيليّا قد أتى، وصنعوا به كلّما أرادوا كما كتب في شأنه..." (مرقس 9: 11-13). وقد ركّز المسيح نفسَه على يوحنا المعمدان، على صفاته وتفوقه، وعلى كونه "إيليّا المنتظر رجوعه"، مرة ثانية الى الأرض... فقد جاء في انجيل متى، وعلى لسَان المسيح نفسَه ما يلي: "... فماذا خرجتم ترون؟ أنبيّاً؟ أقول لكم: نعم، بل افضل من نبيّ. فهذا الذي كتب في شأنه: "هاءَنذا أرسل رسولي قدامك، ليعد الطريق أمامك...". الحق أقول لكم لم يظهر في أولاد النسَاء اكبر من يوحنا المعمدان، ولكن الأصغر في ملكوت السَماوات أكبر منه. فمنذ أيام يوحنا الى اليوم ملكوت السَماوات يؤخذ بالجهاد، والمجاهدون يختطفونه. فجميع الأنبياء قد تنبأوا، وكذلك الشريعة، حتى يوحنا. فإن شئتم أن تفهموا، فهو إيليّا المنتظر رجوعه. من كان له أذنان فليسمع!" (متى 11: 9-15)... يذكر المسيح هنا بنبوءة قديمة جاءَت على لسَان النبيّ ملاخي، حول عودة إيليّا مرة ثانية الى الأرض... يقول ملاخي: "هاءنذا مرسَل رسولي فيعدّ الطريق أمامي، ويأتي فجأة الى هيكله السيّدُ الذي تلتمسونه... هاءنذا أرسل اليكم إيليّا النبيّ قبل أن يأتي يوم الرب العظيم الرهيب، فيردّ قلوب الآباء الى البنين وقلوب البنين الى آبائهم، لئلا آتي وأضرب الأرض بالتحريم..." (سَفر ملاخي 3: 1، 23-24).

أمّا مدينة الناصرة اليوم، فهي أكبر مدن منطقة الجليل، الجليل الأسفل، أي الجزء الشمالي من فلسطين. وهي تقوم على جبل مرتفع (لوقا 4: 29) ويرى منها جبل الشيخ (حرمون) والكرمل وطابور ومرج بن عامر، وتبعد اربعة عشر ميلاً الى الغرب من بحيرة طبريّا (بحر الجليل)، وتسعة عشر ميلاً شرقي عكّا، وستة وثمانين ميلاً الى الشمال من أورشليم. وهي تقع على الحافة الشمالية من مرج بن عامر، وهي ذات حجارة بيضاء، وتحيط بها كروم التين والعنب والزيتون.

ومع أن الناصرة لم تنشأ قبل القرن الثاني للميلاد، كما رأينا، ومع أن شهرتها قد بدأت مع إعلان مجموعة كتب العهد الجديد، في القرن الرابع، فإن سكانها الأولين أطلقوا بعض الأسماء على أمكنة قريبة منها تذكّر بالأحداث الانجيلية. مثال على ذلك مقام "سمعان الشيخ" على جبل الى الشمال من الناصرة... (راجع أسعد منصور "تاريخ الناصرة..."، ص 189-190 مع الحواشي). نذكّر بان سمعان الشيخ هو الذي حمل الطفل يسوع بين ذراعيه يوم دخل بالطفل يسوع أبواه الى الهيكل (لوقا 2: 27-35). والحقيقة ان هذا الهيكل كان في الجليل، ولم يكن هيكل أورشليم إطلاقاً. وبالاضافة الى الهيكل "وسمعان الشيخ" الذي كان من الجليل، فإن "حنّة النبيّة"، التي كانت أيضاً في الهيكل، كانت هي أيضاً من الجليل، وتحديداً من سَبط أشير، كما يقول الانجيل حرفياً (لوقا 2: 36-38؛ راجع أيضاً: خرائط الجليل وسَبط أشير)! أجل، حصل كل ذلك في الجليل لا في اليهوديّة...

إن علم الآركيولوجيا الحديث هو الذي يحدّد ويقرّر، بشكل قاطع، تاريخ بناء أي أثر بشريّ، وبالتالي بناء أي مسكن ومدينة. وهكذا فقد حدّد هذا العلم تاريخ بناء الناصرة بشكل نهائي. يقول العالم إتيان نودى، الاستاذ في مدرسة أورشليم البيبليّة والآركيولوجية الشهيرة، ما يلي، بالحرف الواحد:

On a fait des fouilles à Nazareth, sous la basilique actuelle, dans une ou deux maisons voisines, et dans les sous – sols, etc... On retrouve assez bien des restes du II^{e} siècle et ultérieurs. Du I^{er}? Ce n'est pas très clair, pour ne pas dire davantage...”!! (Gérard Mordillat et Jérome Prieur, “Roi des Juifs”, Corpus Christi, Arte Editions, Editions Mille et une Nuits, Turin (Italie). 1997, p. 30).

وبالعربية: "لقد أجرينا تنقيبات أثرية في الناصرة، تحت البازيليك الحالية، في بيت أو بيتين مجاورين، وفي الطبقات السفلى، الخ... فوجدنا بعض البقايا التي ترجع الى القرن الثاني (بعد الميلاد) وما بعده. من القرن الأول؟ لم نجد شيئاً واضحاً،

إن لم نقل أكثر من ذلك..."!! (جيرار مورديّا وجيروم بريّور في "ملك اليهود"، كوربوس كريستي، (بالفرنسيّة) منشورات آرتى، الف ليلة وليلة، تورين (إيطاليا)، 1997، ص 30) (راجع أيضاً الدكتور هـ. سبنسر لويس "حياة يسوع السرّية" الفصل 3، ص 51-59). وكون الناصرة لم تكن موجودة قبل القرن الثاني للميلاد، كما قد ثبت اليوم، يفسِّر أموراً كثيرة ويوضح أخرى، ويدعم بشكل علميّ بارز نظريتنا الخاصة في هذه الدراسَة.

"سنوات يسوع الخفيّة"

في التقليد المسيحي وفي كتب الأناجيل، هناك كلام قليل جداً وتلميحات خاطفة عن طفولة المسيح وصباه وفتوّته وشبابه ودروسَه... حتى بداية حياته العلنية التبشيرية... هذه الفترة الطويلة من حياة يسوع المسيح يلفّها الصمت شبه التام الى اليوم. وهي بدورها تقسَم الى قسمين: الأول يبدأ من ولادته في "بيت لحم" وينتهي عند ذهابه الى هيكل أورشليم، في سنّ الثانية عشرة، حيث جلسَ بين العلماء يستمع اليهم ويسألهم ويحاورهم... والثاني يمتد من اجتماعه هذا بعلماء الهيكل، الى بداية حياته العلنية في الجليل – "جليل الأمم"...

هذا الصمت الغريب عن أطول فترة زمنيَّة من حياة يسوع المسيح دفع البعض الى إبداء آراء ونظريات خاصّة ومتطرفة حول حياته، والبعض الآخر الى الشكّ حتى بوجوده! ونتج عن كل ذلك مسَاجلات ومنازعات وانقسَامات، لو جمعت لكوّنت مكتبة ضخمة. ويصرّ العديد من هؤلاء النقّاد على اعتبار كتب الأناجيل كتباً تاريخية بحصر المعنى كما نفهمها نحن اليوم! ويتسَاءلون، انطلاقاً من هذا الاعتبار، لماذا كل هذه الأخبار والتفاصيل عن بشارة الملاك لمريم، وعن حبلها العجيب وعن ولادة يسوع في مغارة بيت لحم، وعن سجود الرعاة ومجيء المجوس، وعن تقدمة الطفل يسوع الى الهيكل...، ولا أخبار ولا تفاصيل عن طفولة يسوع وفتوّته وصباه وشبابه ودروسه وسَائر ظروف ومراحل حياته حتى بداية حياته العلنية؟! ويضيفون أن الذين تحدّثوا بشيء من التفصيل عن الظروف التي سَبقت ولادة يسوع، وظروف ولادته، والظروف التي تلت مباشرة هذه الولادة، كانوا على بيّنة إذاً من مصادر الأخبار، فلماذا أغفلوا فترة هامة جداً من حياته؟ هل فعلوا ذلك عن قصد أو غير قصد؟ وما هي الغاية من كل ذلك؟ وهل فعلوا ذلك لأنهم اعتبروا أن الناس عهد ذاك لم يكونوا مستعدّين تماماً بعد لتقبّل جميع الحقائق المتعلقة بالمسيح؟ أم أنهم ركّزوا اهتمامهم، وهم في بيئة يهوديّة، على تبشير اليهود بأن يسوع هو المسيح والمخلص المنتظر الذي كان أنبياء اليهود قد تنبأوا بمجيئه؟ وأخيراً، الا يعقل أن تكون جميع أخبار المسيح، وخاصة أخبار صباه وفتوته وشبابه وكل ما يتعلق بتربيته وتثقيفه ودروسه، قد سجّلت، أو سجّل أهمّها، من قبل بعض الجماعات الروحية المعاصرة له؟ كالاسينيّين مثلاً؟ او كالمجوس أيضاً: وهل يعقل أن هؤلاء المجوس الذين قدموا من بعيد، "مفتشين أين يولد "ملك اليهود"، لأنهم قد رأوا نجمه في المشرق، وجاؤوا ليسجدوا له"، فهل يعقل انهم اكتفوا بذلك فقط، ولم يتابعوا اهتمامهم به،

بتربيته ودروسه وإعداد مستقبله؟ هل يعقل أنهم، بعد سجودهم له، وهو المسيح المخلّص المنتظر، قفلوا راجعين بسرعة من حيث أتوا، دون أي اهتمام آخر؟ ما سرّ هذا الصمت التام اذاً؟

من الطبيعي جداً أن يكون هناك تسَاؤلات كهذه حول شخص بهذا الحجم، حوّلَ مجرى التاريخ البشريّ بكامله. حول شخص "به كان كل شيء، وبدونه ما كان شيء مما كان، فيه كانت الحياة، والحياة نور الناس...، وهو النور الحق الآتي الى العالم والمنير كل إنسان... الذي كان في العالم وبه كان العالم...". في الحقيقة "ان العالم لم يعرفه". جاء الى بيته، فما قبله أهل بيته..."!

ومن الطبيعي أيضاً، بالمقابل، أن تكون أهم الاحداث المتعلّقة بتربية المسيح وثقافته ودروسه، بصباه وفتوّته وشبابه حتى بداية حياته العلنية، قد دوّنت بالفعل من قبل جماعات روحية مثقّفة معاصرة له... وفي الواقع، هذه الاحداث – وهي محض تاريخية – قد دوّنت بالفعل وحفظت! بعضها كتب في الأناجيل المنحولة، وبعضها كان سرّياً ونشر حديثاً، والبعض الآخر بقي سرّياً الى اليوم، ولم ينشر بعد... وكل هذه الاحداث –التاريخية، مرة أخرى- بدل أن تقلّل من أهمية المسيح أو تشوّه صورته الحقيقية، فهي، على العكس تماماً، تظهر وتوضح شخصيته الحقيقية، وصورته الكاملة، واشعاعه الشامل الكونيّ: هو المسيح الكوني، هو الإله-الانسان، هو الانسان-الإله، هو البداية والنهاية، "الذي هو كل شيء وفي كل شيء"، هو هو نفسه مسيح الكنيسة، مسيح يوحنا وبولس وآباء الكنيسة الأولين... هو المسيح بكل أبعاده وإشعاعاته الانسانية والكونية والالهية...! طبعاً ليس هو المسيح المحارب العسكريّ الذي كان ينتظره اليهود مخلّصاً لهم وحدهم، ولا مسيح المسيحيّين المتهوّدين... بل المسيح الحق الذي أرسله الآب مخلصاً للناس وللكون أجمع، والذي كان ينتظره الكون، وتنتظره كل خليقة، وينتظره كل إنسان، وتنتظره كل الكائنات الروحية والسَماوية، وينتظره كلّ شيء... ومرة أخرى –وللمرّة الألف- هو هو "الكلمة الذي به كان كل شيء وبغيره لم يكن شيء مما كان... به كانت الحياة... وهو النور الذي يضيء كل إنسان..." كما كتب يوحنا في مقدمة إنجيله منذ ألفي سَنة! ويوحنا نفسَه يختم انجيله بهذا الكلام المعبّر: "وهناك أمور أخرى كثيرة أتى بها يسوع، لو كتبت واحداً واحداً، لحسبت أن الدنيا نفسَها لا تسَع الأسفار التي تدوّن فيها..."!

أجل! هناك اذاً أمور كثيرة متعلقة بتلك الفترة من حياة يسوع التي يلفّها الصمت، قد دونتها وحفظتها بعض الجماعات الروحية – السرّية، ولم تعرفها عامة الناس الى اليوم... وهذه الأحداث التاريخية قد أبقيت مكتومة عن قصد، ولم تنشر. وذلك إمّا لأن مستوى تقبّل الناس عهد ذاك لحقائق المسيح السريّة الكاملة لم

يكن متوفّراً بشكل عام...، وإما لأن الظروف الزمنية المحدّدة عهد ذاك لم تكن تسمح بذلك... والكنيسة التي "هي عمود الحق" – وصاحبة الحكمة الدهرية – كانت على صواب تام في نشر ما نشرت... من حياة المسيح حتى اليوم! أما اليوم، فكل شيء يدعو، وبإلحاح، الى نشر ما يمكن نشره من الوثائق التاريخية غير المنشورة عن حياة يسوع المسيح. وغني عن القول تماماً، بأن هذه الوثائق المحفوظة كمخطوطات سرّية تتحدث فقط عن أمور زمنية تاريخية وجغرافية، ولا علاقة لها اطلاقاً، لا من قريب ولا من بعيد، بالإيمان والعقائد والتعاليم المسيحية الرسميّة... بل على العكس تماماً، فهي تعترف بها وتؤيدها وتدعمها، ولو بشكل غير مباشر. ومرّة أخرى، لأن الكنيسة "هي عمود الحق"، و"أبواب الجحيم لن تقوى عليها..."، ولأن المسيح نفسَه هوالقائل للكنيسة، في آخر آية من انجيل متى: "... وهاءنذا معكم طوال الأيام الى نهاية العالم".

من الطبيعي جداً – لا بل من البديهيّ – أن يكون يسوع المسيح الانسان قد تلقّى دروساً نظاميّة متكاملة، واطّلع عن كثب على ثقافة عصره. كان له، بالاضافة الى طبيعته الالهية، "وهو مسَاو للآب في الجوهر"، طبيعة بشرية حقيقية كاملة كأي انسان (طبعاً ما عدا الخطيئة). وغنيّ عن القول أن طبيعته البشرية، بكل قواها وطاقاتها وَأَمْدَائِهَا، كانت تنمو بشكل طبيعي كسَائر الناس، جسَداً ونفساً وروحاً. والانجيل نفسَه يقول في هذا الموضوع: "وكان يسوع ينمو ويتسَامى في الحكمة والقامة والحظوة أمام الله والناس..." (لوقا 2: 52). وتبعاً لطبيعته البشرية الحقيقية، كانت كل قواه العقلية (المعرفة والارادة والحرية... الحافظة والذاكرة والمخيّلة والمصوّرة الخ...) تنمو وتتطوّر وتنضج وتتسَامى بشكل طبيعي كسَائر الناس – ولو كان هو الانسَان المثال الأنموذج والكامل بشرياً في التاريخ البشري كلّه...

والدليل الواضح على كون يسوع قد تلقى دروساً ابتدائية نظامية مكثّفة هو حادثة اجتماعِهِ بالعلماء في الهيكل. فقد جاء في انجيل لوقا: "وكان أبواه يذهبان كلّ سَنة الى أورشليم في عيد الفصح. فلما بلغ اثنتي عشرة سَنة، صعدوا اليها جرياً على السَنة في العيد. فلما انقضت أيام العيد ورجعا، بقي الصبيّ في أورشليم، من غير أن يعلم أبواه. وكانا يظنّان أنه في القافلة، فسَارا مسيرة يوم ثم أخذا يبحثان عنه عند الأقارب والمعارف. فلمّا لم يجداه، رجعا الى أورشليم يبحثان عنه. فوجداه بعد ثلاثة أيام في الهيكل، جالساً بين العلماء، يستمع اليهم ويسألهم... وكان جميع سَامعيه معجبين أشدّ الاعجاب بذكائه وجواباته..." (لوقا 2: 41-47). فهذا النصّ الانجيلي الواضح يغني، بحد ذاته، عن أي شرح وتفسير وتعليق، وهو يتضمن الدليل القاطع على أن الصبيّ يسوع، ابن الثانية

عشرة، كان قد تلقّى، بقطع النظر عن ذكائه الشخصي المتفوّق، دروساً نظاميّة مكثّفة جعلت "جميع سَامعيه معجبين أشدَ الاعجاب بذكائه وجواباته...". الا تعني جواباته هذه، على اسئلة علماء الهيكل ثقافة علمية محدّدة وناضجة؟ واذا كان شخص المسيح، وهو ابن الله، على اتصال مباشر ومستمر بابيه السَماوي، يتلقى منه كلّ الانوار الالهية، فهذا لا يمنع اطلاقاً كونه تلقّى بشكل طبيعي وبشريّ عادي التربية والثقافة والعلوم الانسانية التي تمكّنه من إيصال أفكاره وبشارته ورسَالته الى الجميع حتى عامة الناس. وفي الواقع، نراه في روايات الأناجيل، يخاطب جميع فئات الشعب، كلّ بلغته وأسلوبه وحتى تعابيره... يخاطب الحكّام والعلماء، الفريسيّين والصدوقيّين، الأغنياء والفقراء، المثقفين والبسَطاء، اليهود والرومان و"الأمم"...

أمّا الادّعاء بان يسوع لم يكن بحاجة الى تربية وثقافة وعلوم بشريّة، لأنه ابن الله ولأن طبيعته الالهية تغنيه عن كل ذلك، فهو ادعاء خاطئ مردود وينتقص من طبيعته البشرية الحقيقية. فكما أن جسده البشريّ، ككل جسَد بشري، بحاجة الى غذاء ونمو وتطور، فهكذا نفسَه وروحه بحاجة، ككل نفس وروح بشريين، الى غذاء ونمو وتطوّر. وهذا لا ينتقص أبداً من طبيعته الالهية، بل يؤكد على طبيعته البشرية المسَاوية لطبيعة كل انسان...

هل يخطر على بال انسَان، ولو للحظة واحدة، أن العذراء مريم والدة يسوع كانت مُعْفاةً من تدريبه مثلاً على المشي والنطق، على تناول الشراب والغذاء، على تلبية حاجاته الطبيعية الخ...؟ هل كانت كلّ هذه الأمور تأتيه بالوحي والالهام من علُ؟ أو هل كانت أموراً مكتسَبة منذ ولادته...؟ أليسَت كل هذه الأمور تندرج في إطار النمو الطبيعي والتدريب البشري؟ وهكذا في الامور العقلية والفكرية والعلمية، فمن الطبيعي والضروري ان يكون هناك معلمون وملقّنون ومدرّبون. ومن البديهي ان يسوع لم يشذّ عن هذه القواعد والقوانين الطبيعية البشرية العادية...

يستنتج القارئ المتبصّر في الأناجيل، بكل سهولة، أن يسوع كان يتكلّم، على الأقل، ثلاث لغات: العبرية وهي لغة التوراة والشريعة والطقوس اليهودية؛ الآرامية –أي السريانية القديمة – اللّغة الشعبية المحكية في الجليل وفلسطين والبلدان المجاورة؛ واليونانية، لغة الثقافة والعلوم في شرقي حوض البحر الأبيض المتوسِّط، والتي كان يتكلّمها الحكّام وضبّاط الجيش والمثقفون وطلاّب الصفوف العالية حتى من اليهود أنفسهم. فغنيّ عن القول أن يسوع كلّم الشعب والجموع بلغتهم المحكية أي الآرامية. وفي مجامع الجليل واليهودية، قرأ وفسَر وشرح وعلّق على الكتب بالعبرية لغة الشريعة والانبياء، واللّغة الطقسيّة –

الدينية عند اليهود. والأدلّة على ذلك كثيرة في الأناجيل... (راجع مثلاً: متى 4: 23-25؛ مرقس 1: 21-28، 6: 1-5؛ لوقا 4: 14-24؛ الخ...). وقد تكلّم يسوع باليونانية، على ما يقول كثير من المفسِّرين، مع قائد المئة عندما شفى له عبده المريض (راجع متى 8: 5-13؛ لوقا 7: 1-10)، ومع عامل الملك، عندما شفى له ابنه المريض (راجع يوحنا 4: 46-54). وقد تكلّم، على الارجح، باللغة اليونانية أيضاً، مع الحكام والعلماء والمثقفين... كان من الطبيعيّ جداً أن يتقن المسيح اللغات التي كان مواطنوه في الجليل – وفي سائر مناطق فلسطين – يتكلّمون بها، وذلك نظراً الى أهمية رسالته الخلاصية السَامية الموجّهة الى كل فئات الشعب. وهل يخطر على بال انسان عاقل واحد، وللحظة واحدة، انهم كانوا يترجمون للمسيح لغات كان يتقنها مواطنوه؟ وهل من المعقول ان يكون المسيح أقل ثقافة من مواطنيه؟!

فبالاضافة الى اللّغات الثلاث: العبرية والآرامية واليونانية، من الطبيعي والمنطقي والبديهي أن يكون المسيح قد تلقى دروساً عالية في جميع الموادّ التي كانت تلقّن في محيطه وبيئته، وحصل، دون أدنى شك، على ثقافة متقدّمة ومتكاملة في جميع المجالات الدينية والفكرية والعلمية... أمّا كيف ولماذا وأين تلقى هذه لثقافة العالية، فهذا ما سَنبيّنه ونفصّله في ما يأتي.

رأينا سَابقاً أن يسوع المسيح ولد من عائلة جليليّة داخل بيئة أسينية... فهذا وحده كاف ليؤمّن للطفل يسوع اكبر قدر ممكن من التربية والثقافة التي كانت تعطى في بيئته عهد ذاك. ذلك لأن المدارس الاسينية كانت تؤمن للطلاب من أبنائها ثقافة مثالية متكاملة بفضل معلّمين ومرشدين أكملوا تخصّصهم بعلوم عصرهم في مختلف بلدان الشرق. أضف الى ذلك أن الفروع الاسينية في هذه البلدان كانت تتبادل باستمرار المعارف والعلوم، مما كان يميّزها عن غيرها من الجماعات، ويجعل منها بوتقة حضاريّة متقدمة...

وقدوم المجوس الى بيت لحم أكبر دليل على التبادل العلمي والروحي بين هذه الجماعات المشرقية. فَهُمْ قد رأوا نجم المسيح في المشرق فجاؤوا ليسجدوا له... واذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم حتى بلغ المكان الذي فيه الطفل فوقف فوقه. ولما أبصروا النجم فرحوا فرحاً عظيماً جداً... ودخلوا البيت فرأوا الطفل مع أمه مريم. فجثوا له سَاجدين، ثم فتحوا حقائبهم وأهدوا اليه ذهباً وبخوراً ومرّاً...

وقد جاء في انجيل الطفولة (28: 2-3) "أن بعض المرافقين والجنود الذين أتوا مع المجوس من المشرق بقوا في أرض الجليل. وعندما بلغ يسوع عمر الثانية عشرة، كان يحاورهم في أمور الدين والروح والحياة الثانية..."!

هؤلاء المجوس، الذي لم يذكر الانجيليّ متى اسماءهم ولا عددهم، كانوا من علماء الفلك ومن كهنة هياكل الاسرار الشرقية الضالعين في أساليب التربية والثقافة والحكمة الاكثر تقدماً وتطوراً في زمانهم. وقد أثبتت الأبحاث الحديثة انهم كانوا على اتصال مستمر بالمنظّمات العلميّة الروحيّة في مصر وفي جبل الكرمل بالذات. وكانوا جميعاً من العائلة الهرمسية الكبرى المنتشرة في كل أصقاع الشرق. وما مجيء المجوس أنفسهم الى بيت لحم، وتعرّفهم الى المسيح، وسجودهم له، وتقديم هداياهم له، سوى اقرار علني وتكريس رسمي لهذا المسيح – المخلّص الذين كانوا ينتظرونه هم، والمنظمة الهرمسية الكبرى في الشرق، والعالم أجمع...

فهل يعقل، بعد هذا الحدث البالغ الأهمية على الصعيد العالمي، ان يقفل المجوس راجعين تواً الى ديارهم، تاركين الطفل المخلّص وحيداً بين أيدي والديه؟ اليسَ من البديهي والمنطقي أن يسعوا الى الاهتمام الخاص به، ويبذلوا كلّ جهدهم لتوفير كل الظروف التي تؤمن له التربية المثالية والثقافة الملائمة؟

رأينا في ما سَبق، أن الجماعات الاسينيّة، في زمن الميلاد، كانوا في أوج تقدمهم وازدهارهم في منطقة الجليل. وكانت مراكزهم المنظمة تتوزّع بين معاهد ومستشفيات وبيوت مضافة واستقبال للغرباء والزوار والمحتاجين في الجليل وكافة مناطق فلسطين. وبالاضافة الى كل ذلك، كانوا يزوّدون بعناصرهم الاكفاء، هيكلهم الكبير في مصر، اديرتهم في الجليل، وفي اليهودية (دير قمران)، وفي بَعْضِ البلدان المجاورة...

أمّا الموضوع التاريخي الخطير الذي بقي مغموراً وسرّياً طيلة أجيال وأجيال، والذي طمسَه عن قصد التعصّب اليهوديّ، وتبعه المسيحيون المتهوّدون وغيرهم فيما بعد، فهو يتركز حول حقيقة "جبل الكرمل"، الذي كان أنبياء اليهود أنفسهم يسمّونه، في رؤاهم الروحية، "جبل لبنان". نعم "جبل لبنان"! هذا الموضوع كان من أكبر ضحايا التعصب اليهودي العنصري والقومي والديني، هذا التعصب الذي قتل المسيح نفسَه وشوّه التاريخ البشري بكامله وما يزال يشوّهه حتى اليوم! هذا الموضوع يعيد أموراً كثيرة الى نصابها الحقيقي، يسَلّط أضواء جديدة كاشفة على حياة يسوع الخفية، ويشكل العمود الفقري لبحثنا في هذا الكتاب. ونحن من قلب لبنان بالذات، نعلن هذه الحقيقة التاريخية، التي ظلت مطموسَة طيلة أجيال، نعلنها بالفم الملآن أمام العالم أجمع! والتفاصيل في ما يأتي:

في منتصف القرن الأول قبل الميلاد، حدث أمر ثقافيّ – روحيّ فوق جبل الكرمل بالذات، أمر بالغ الأهميّة، كان من طبيعته سرّياً، وقد تناساه التاريخ عن قصد أو عن غير قصد، بشكل شبه تام حتى أيامنا هذه. ولم تدوّنه سوى بعض

المخطوطات والوثائق عند بعض الجمعيات السرّية الخاصة في المشرق. وهذا الأمر بالذات يلقي أضواءً كاشفة على حياة يسوع "والسَنوات الخفية" من حياته الخاصة، قبل البدء بحياته التبشيرية العلنية. كما يسَلّط أضواء إضافية على ظروف الميلاد وموقع بيت لحم الحقيقية ونشأة المسيحية عينها. ألم تكن "السَنوات الخفية من حياة المسيح" موضوع تسَاؤلات وتقديرات ونظريات كثيرة، حتى أيامنا هذه؟

في منتصف القرن الأول قبل الميلاد إذاً، بدأت الجماعة الاسينية توحّد جهودها مع الجماعات الجليلية الروحية الأخرى ومنها "مدارس وعائلات الانبياء والنبيّات"، "والمنذورون" (نذيريم)، "والمكرّسون لله"، "والمتوحّدون"، بغية إقامة مركز محوريّ روحي كبير فوق جبل الكرمل. ومن المعروف انه كان هناك مغاور عديدة بالاضافة الى معبد صغير فوق الجبل. أما المشروع الجديد هذا، فكان يبغي انشاء دير كبير وشبه "جامعة دينية – علمية متخصّصة" ونظامية، لها أقسَامها وفروعها مع مكتبة ضخمة تجمع الوثائق والمخطوطات القيّمة الآتية من مكتبة الاسكندرية الكبرى ومن سَائر المدن والعواصم الحضارية في الشرق وفي محيط البحر المتوسط. وقد نفّذ هذا المشروع الكبير المشترك، في أواسط القرن الأول للميلاد!! ومن أهم الاسباب التي دفعت هذه الجماعات الروحية الى انشاء هذا المركز المحوري فوق جبل الكرمل بالذات، الاضطهادات المتتالية التي حصلت على هذه الجماعات في مراكزها المتفرقة في فلسطين، من قبل الحكام والرؤساء اليهود، دينيّين ومدنيّين. وكانت هذه الجماعات تشكل الأعداء الألداء لليهوديّة الرسميّة، كما يؤكد يوسيفوس المؤرخ وغيره من مؤرّخي ذلك العصر. أضف الى هذه الاسباب الزلازل التي حصلت بين سَنة 31 ق.م. وسَنة 37 ق.م. في بعض مناطق فلسطين ومنها منطقة البحر الميت وقمران. وقد انقطع السَكن في دير قمران من سَنة 31 ق.م. الى سَنة 4 ق.م. (راجع المؤرّخ أسَد رستم "مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران"، طبعة ثانية، بيروت، لبنان، 1990، ص 21 مع الحواشي والشروحات). غير أن أهم الأسباب التي دعت هذه الجماعات الى إقامة هذا المركز الثقافي – الروحي الكبير، فوق جبل الكرمل تحديداً، هو ان هذا الجبل مع سفوحه كان يقع، في ذلك الوقت ضمن أراضي فينيقية – لبنان. مع العلم ان جبل الكرمل هذا، كان يقع ضمن أراضي فينيقية – لبنان، منذ بداية التاريخ البشري، وطوال القرون المتتالية حتى نهاية العهد العثماني! (راجع، مرّة أخرى، جميع الخرائط القديمة).

وهكذا، عندما أنشأت هذه الجماعات الروحيّة مركزها المحوريّ خارج الأراضي اليهودية، وداخل أراضي فينيقية –لبنان، أصبحت بمنأى عن تدخل اليهود

واضطهادهم المتواصل، وحافظت هكذا على حرّية أفكارها ومعتقداتها وطقوسها، لأن أرض فينيقية – لبنان كانت دوماً وأبداً، كما هو معروف من الجميع، أرض الحرية والانفتاح والتفاعل الثقافي والديني والحضاري. كانت، كما هو لبنان اليوم، "بوتقة وحدة البشر"...!

في هذا المركز الثقافي –الروحيّ في جبل الكرمل، أمضى يسوع المسيح القسم الأكبر، على الأرجح، من سَنوات "حياته الخفيّة" التي يتسَاءل عنها عامة الناس الى ايامنا هذه. غير أن السرّية التامة كانت الطابع المميّز الذي كان يتقيد به رسمياً، وبقسم علني، جميع سكان هذا المركز. فكانوا على قناعة تامّة بأن الحقائق السرّية والحكمة الروحية الدهريّة، لا يجوز إطلاقاً ان ترمى رمياً أمام أقدام الجهلة والفاسدين والأشرار... وهذا يذكّرنا بالحكمة الدهرية التي جاءَت على لسَان السيّد المسيح نفسه، القائل: "لا تعطوا الكلاب ما هو مقدّس... ولا تلقوا جواهركم الى الخنازير... لئلا تدوسها بأرجلها، ثم ترتدّ اليكم فتمزّقكم..."! (متى 7: 6). في مركز الكرمل هذا، أقام يسوع منذ نعومة أظافره، بعد السَنوات الأولى من طفولته التي أمضاها مع أبويه في بيتهما. وفيه تلقى الدروس، بشكل نظاميّ ومركّز، في اللّغات والثقافة والعلوم والروحانية والأديان... وظل في هذا المركز حتى بداية حياته العلنية.

وإذا عدنا الى قضية مجيء المجوس من المشرق، وبحثهم الدؤوب عن مكان ولادة المسيح، وسجودهم له، وتقديمهم له الهدايا الملكية، فهل يعقل، وهم من كبار علماء الفلك والروحانية الذين كانوا يترقبون مجيئه، أن يقفلوا راجعين لتوّهم الى بلدانهم البعيدة دون إبداء أي اهتمام او عناية بهذا المخلّص البشري الكبير الذي كان ينتظره، بلهفة وشوق، عالم الشرق بكامله؟ إنَّ الذي حصل في الحقيقة، هو أن المجوس بعد سجودهم للمسيح وتقديمهم الإكرام له، ذهب قسم منهم الى مصر ليخبروا كبار الروحانيّين هناك بالحدث المنتظر الكبير، وصعد القسم الآخر الى جبل الكرمل، واجتمعوا بشيوخ وكبار المركز هناك، بغية تأمين كل وسَائل العناية والاهتمام لاعداد تربية خاصة جداً تليق بهذا المولود الفريد. بعد ذلك عادوا الى بلادهم، تاركين بعض العناصر في الكرمل، كي يتابعوا قضية تربيته وتثقيفه وإعداده الإعداد المناسب. (راجع الدكتور هـ. سبنسر لويس "حياة يسوع السرّية"، ص 122-123).

قلنا إن مركز الكرمل الكبير كان شبيهاً "بجامعة". وفي الحقيقة، كانت الدروس تعطى بشكل نظامي ومركّز. كانوا يدرّسون كلّ علوم عصرهم، تلك العلوم التي كانت تدرّس فقط في المراكز والمؤسّسَات في العواصم والحاضرات الثقافية والروحية الموزّعة في أهم البلدان الشرقية المتقدمة، أمثال فينيقية ومصر وبابل

وبلاد فارس وبلاد اليونان. والعلوم التي كانوا يدرّسونها هي التالية: اللغات، علم الفلك والتنجيم الفلكي، علوم الطبيعة، الكيمياء القديمة، علم الهيئة، التاريخ، الديانات، العلوم الروحانية والأسرار الكونية... وقد تأثروا بالديانة الكنعانية، ديانة إيل، حتى ان الكبار منهم كانوا يضعون حول أعناقهم قلادة تحمل اسم إيل، إله الكنعانيّين، الإله الموحّد الكوني الأول. أجل! سَوف يلقّب يسوع المسيح نفسه "عمانوئيل" – أي إيل معنا، أو الله معنا – كما قال الانجيل المقدس نفسه.
وسوف يقول المسيح نفسَه على الصليب: "إيلي، إيلي، لماذا تركتني"؟... لقد خاطب "إيل" – أباه – إله الكنعانيين اللبنانيين الذي أصبح اليوم معروفاً جداً، ولم يخاطب "يهوه" إله اليهود، لأنه كان كنعانياً لبنانياً، لا يهودياً!

في هذا المركز المتقدّم علمياً ودينياً، أمضى يسوع المسيح "سَنواته الخفيّة" حتى بداية حياته العلنية. وخلال هذه السَنوات الطويلة – من السَادسَة الى الثلاثين من عمره – تلقي دروساً نظامية ابتدائية ومتوسطة وعالية في أهم علوم ذلك العصر. وكان محاطاً دوماً بأشخاص من كبار الروحانيّين، يؤمّنون له باستمرار الإعداد والعناية الملائمين، وذلك في جميع المجالات والنشاطات الانسَانية...

هذه هي حقيقة "سَنوات يسوع الخفيّة". وهذه الحقيقة، التي أغفلها التاريخ، تتلاءم وتنسجم وتتوافق تماماً، حتى بتفاصيلها، مع الحقائق والقرائن والدلائل التاريخية والجغرافية والاجتماعية... التي تخصّ ميلاد المسيح وطفولته ونشأته وبيئته الاجتماعية حتى بداية حياته العلنية وتبشيره.

(فيما يخصّ "سَنوات يسوع الخفيّة"، راجع: دكتور هـ. سبنسر لويس "حياة يسوع الخفيَّة" الفصل الثامن ص 117-131 والفصل التاسع ص 133-157- راجع أيضاً في هذه الدراسَة: القسم الثالث، الفصل الاول: جبل الكرمل، والفصل الثالث: في بيئة الميلاد – سرّ الاسينيّين).

مراجع الفصل السَادس

المراجع العربية

-القس أسعد منصور "تاريخ الناصرة – من أقدم أزمانها الى أيامنا الحاضرة". مطبعة الهلال، مصر، 1924.

-"تاريخ الناصرة" عن "تقويم الأراضي المقدسة"، طبع الآباء الفرنسيسكان، القدس. (بدون ذكر المؤلف – بدون تاريخ).

-يعقوب فرح "تاريخ الناصرة"، 1857.

-حنا سَمارة "تاريخ الناصرة" – مخطوط – يوجد نسخة منه في مكتبة المؤرخ عيسَى اسكندر المعلوف.

-سجلاّت العقود الرسمية (السجل الفاهومي في الناصرة) من أول القرن 19 الى سَنة 1923.

-صكوك ومخطوطات تاريخية، بحوزة مؤرخ الناصرة القس أسعد منصور، من القرن 17 الى سَنة 1923.

-الاب برنابا (مؤرخ الناصرة الأول) "جديد الأرض المقدسة" ذكرهُ القس أسعد منصور في كتابه "تاريخ الناصرة..."

-الأب يوسف يمّين "قانا الجليل في لبنان"، منشورات "إيل" –2؛ إهدن، لبنان، 1994.

راجع أيضاً:

الكتاب المقدس: النسخة الكاثوليكية الجديدة (اليسوعية)، (أنا الألف والياء)، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1989 – مع الحواشي والشروحات والمصادر:

العهد القديم:

سَفر الخروج 4: 19-20

سَفر العدد 6: 1-21

سَفر القضاة 13: 3-17

صموئيل الأول 1: 10-22

سَفر اشعيا 49: 1

سَفر ارميا 1: 5

35: 5-8

سَفر عاموس 2: 11-12

العهد الجديد:

انجيل متى 2: 19-23

16: 17

انجيل مرقس 1: 24

انجيل لوقا 1: 26-38

أعمال الرسل 18: 18-19

21: 20-26

24: 1-9

المراجع الأجنبيّة

-Gaston le Hardy “Histoire de Nazareth", Paris, 1905.

نقل الى العربية ولم يطبع بعد. موجود في حوزة القس أسعد منصور، مؤرخ الناصرة، وقد عرّبه الشيخ فارس الخوري اللبناني...

-Dm. R.P. Prosper Viaud D.F.W. "Nazareth”, Paris, 1913. L’auteur était le supérieur du couvent "Terra Santa" à Nazareth.

-R.F. Atanase Prun "Nazareth”, Nice, 1908. L’auteur était le supérieur de l'orphélinat des P.P. Salésiens à Nazareth.

-Docteur Sérimegour "Nazareth Today", Edinbourg, 1913. L’auteur était médecin à l'Hopital britannique à Nazareth.

-H.P. Blavastky "La Doctrine Secrète”, Vol. 3 et 5.

-Charles Perrot "Les récits de l'Enfance de Jésus”, Mathieu 1-2; Luc 1-2. Paris, 1976.

-Daniel – Rops “Jésus en son temps"; La meilleure Bibliothèque, p.p. 124-125.

-Dr H. Spencer Lewis "La vie mystique de Jésus”, Ed. Robert Laffont, Paris, 1972, Chapitre III, p.p. 45-61.

-“Onomastica Sacra", Gœttinger, 1870.

-E. Klosterman in "Corpus" de Berlin, Leipzig, 1904.

-Gerald Messadié, “L’Homme qui devint Dieu", Tome 2,

Les Sources, p.p. 95-96

-M.-E. Boismard, “L’Evangile de Marc – Sa préhistoire”, Paris, Gabalda, 1994.

-Pierre – Antoine Bernheim, “Jacques, frère de Jésus”, Noêsis, Paris, 1996.

-Gerard Mordillat et Jérôme Prieur, “Roi des Juifs”, Corpus Christi, Editions Arte – Mille et une Nuits, Turin, Italie, 1997.

مراجع القسم الثالث

المراجع العربية

-الطبري "تاريخ الأمم والملوك"، دار سويدان، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية 1967 المجلّد الأول، ص 593 – 600 (مع الحواشي والشروحات).

-فيليب حتّي + "تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخيّة الى عصرنا الحاضر"، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1972، ص 53-54، 114، 320، 394، 455 + "تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين"، الجزء الأول، 1982، ص 9-11.

-يوسف الحوراني: "المواقع الأثرية في الجنوب اللبناني خلال تسميات الأعلام، ق.م." ص 18-19، والحاشية 43.

-ابن الأثير "تاريخ ابن الأثير" (ورد كلامه عن مكان بشارة العذراء مريم في "تاريخ الناصرة" للقس أسعد منصور، ص 159)

-القس أسعد منصور "تاريخ الناصرة من أقدم أزمانها الى أيامنا الحاضرة"، مطبعة الهلال بمصر، 1924، ص 159.

-فؤاد فضّول "الماسونية خلاصة الحضارة الكنعانية"، منشورات دار كنعان، مطبعة المتني، بيروت (بدون تاريخ)، ص 86 والحاشية رقم (1)، 99، 112 مع الحواشي...

-مارسيون مجموعة مجلة "صدى الأرز"، العدد 18، ص 30-31

-"ملحمة اقهات"، اللوحة الثانية: 5-6

-"التوراة الكنعانية" تأليف هـ. 1. ديل ميديكو، ترجمة جهاد هوّاش وعبد الهادي عبّاس؛ (1949)، ص 132-155

-القرآن سَورة آل عمران الآية 36؛ سَورة مريم الآيات 15، 16، 22

-سَفر العدد 24: 17

-سَفر صموئيل الأول 10: 5-16، 19: 20، مع الحواشي (النسخة الكاثوليكية الجديدة – اليسوعية – أنا الألف والياء – دار المشرق، بيروت، لبنان، طبعة 1989.

-سَفر الملوك الأول الفصل 18 بكامله مع الحواشي...؛ 22: 10-12

-سَفر الملوك الثاني الفصلان الأول والثاني مع الحواشي... 4: 38

-سَفر المزامير 2: 7

-سَفر اشعيا: 28: 7 وما يتبع.

-عبرانيين الفصل السابع بكامله مع الحواشي...

-أطلس الكتاب المقدّس، دار النشر المعمدانيّة، بيروت، لبنان، 1983، خارطة رقم 14 ص 16-17.

المراجع الأجنبيّة

-Fr. Camilo Maccise, "Les racines bibliques de la spiritualité Carmélite" in "La Splendeur du Carmel" (Revue), N° 5, Beyrouth, Liban, 1994, p.p. 1-9.

-P. Jean Sleiman O.C.D, "Le Liban Carmel deviendra: Implantation des Carmes au Liban 1643-1653", in "La Splendeur du Carmel" (Revue), N°5, Beyrouth, Liban, 1994, et Note N° 29.

-A.D. Grad "Les Clefs secrètes d'Israël", p. 207 (citant le livre de "zohar"...)

-Gérald Messadié. "L'homme qui devint Dieu", Tome II, Les Sources – N° 21-22, p.p. 108-109; N° 66, p.p. 250-251

-Edouard Dhorme "Les Religions de Babylone et d'Assyrie", P.U.F, 1949, p.p. 148-150.

-R.P. Tellier "Atlas Historique du Nouveau Testament", Editions Spes, Paris, 1936, -Et Cartes p.p. 11, 12, 19, 23, 25, 35.

-Charles Virolleaud "Legendes de Babylone et de Canaan. Paris, Adrien – Maisonneuve, 1949, p. 68.

-Dorothée Kœchlin de Bizemont "L'Univers d'Edgar Cayce", Robert Laffont, Paris, 1992.

Tome 1er p.p. ↘ 254-255; 298-299; 316-326; 338-343; 460-461

Tome 3 p.p. ↘ 83-84 avec Les Notes;

-Anne – Cathérine Emmerich, "Visions", Editions Téqui, p. 83.

-Cyril Scott, "Vision du Nazaréen", Collection "L'Initié", p. 98

-T.D. Mc. Coum and Arthur Keith "The Stone Age of Mount Carmel", Vol. II, Oxford, 1939, chap. 2.

-Dr. H. Spencer Lewis "La vie mystique de Jésus" Robert Laffont, Paris, 1972, p.p. 123-131.

-Protévangile de Jacques, 3: 1; 18-24

-Evangiles Apocryphes, F. Quéré, p. 70-85

-P. Benoit et M-.E. Boimard "Synotique des quatre Evangiles", Tome2, p. 65, Note N° 14 (Adoration des Mages…).

-Jane Roberts "L'Enseignement de Seth"; J'ai lu, New Age, 1991, p. 446.

-G. Serbanesco "Histoire de la F.M. Universelle", Lettre: E.

-Jamblique "Vie de Pythagore", p.p. 297-298

-H.P. Blavatsky "La Doctrine Secrète", Editions Adyar, Volume 3, 1984, p. 490; Volume 5, 1982, p.p. 53 et Note N° 2, 299 et Notes, 309 avec Note N°2, 316-317 et Notes, 338 et Notes N°1.

-A. Wilder, "New Platonism and Alchemy", 1899 p.p. 3-4; 7-9.

-Jacques Duquesne "Jésus", Flammaration, 1994, p.p. 53-58.

-J.M. Ragon, "Royal Masonic Cyclopœdia", Section 29

-Charles Perrot "Les récits de l'enfance de Jésus", Cahiers Evangile, Editions du Cerf, Paris, 1976, N°18, p.p. 26, 66

-Flavius Josèphe, "Guerres Juives", II, p.p. 119, 121

-Dorothy A.E. Garrod and D.M.A. Bate "The Stone Age of Mount Carmel" Vol. I, Oxford, 1937, Chs. 4-8

-Joseph Chami, "De la Phénicie", Librairie du Liban, Beyrouth, Liban, 1967, p. 47.

-Silvano Giordano, ocd "Le Carmel en Terre Sainte – des origines à nos jours", Arenzano (Italie), 1995. (Avec références, dessins, images et cartes)

-"Speculum Carmelitanum", Tome I, Anvers 1680, p.p. 50, 58, 60, 72, 82, 84

-Jean – Baptiste de Saint Alexis "Compendio historico dello stato antico e moderno del Carmelo", Turin, 1780.

-Carlo Cicconetti "La regola del Carmelo – Origine, natura, significato", Roma, 1973.

-Florencio Del Niño Jesùs "El Monte Carmelo", Madrid, 1924.

-Jean de Cheminot, ocd "Speculum fratrum ordinis beatae Mariae de Monte Carmeli", Paris, 1350.

-Petit Guide du Mont Carmel, 1ère édition, Jerusalem, 1946 – The commercial Press. p.p. 10, 28-29.

(Avec dessins, images et "Résumé Historique").

-Revue: "Bible et Terre Sainte", N° 110, Avril, 1969.

-Alfred S. Romer "Man and the Vertebrates", Chicago, 1941, p.p. 219-222.

-Pline, "Histoire Naturelle", V, p. 17.

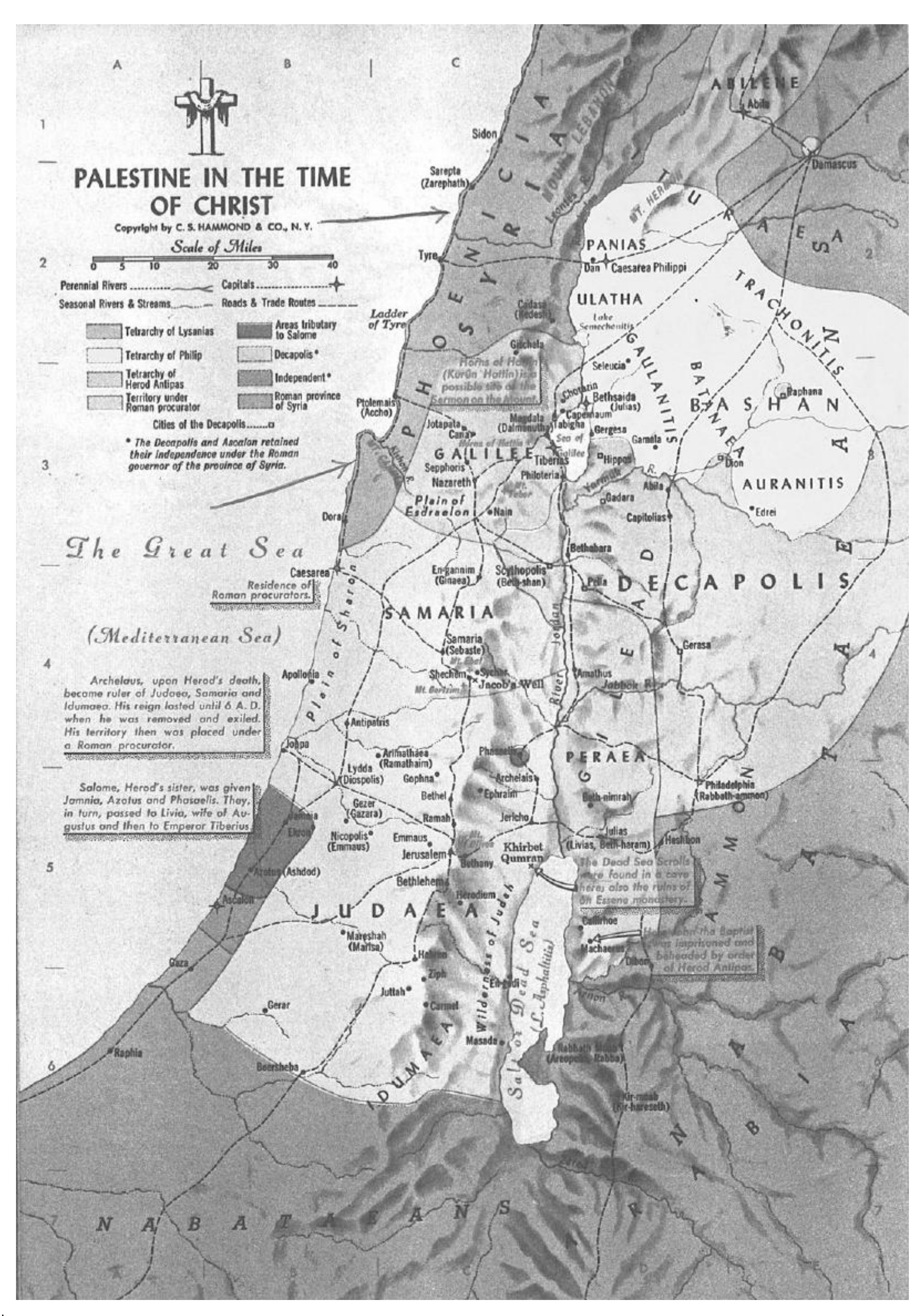
-A Neher, "L'Essence du Prophétisme", p.p. 30 et suiv.

-L. Monloubou, "Les Prophètes de l'Ancient – Testament", Cahiers Evangiles, N° 43, Ed. Du Cerf, Paris, 1983, p.p. 10-15.

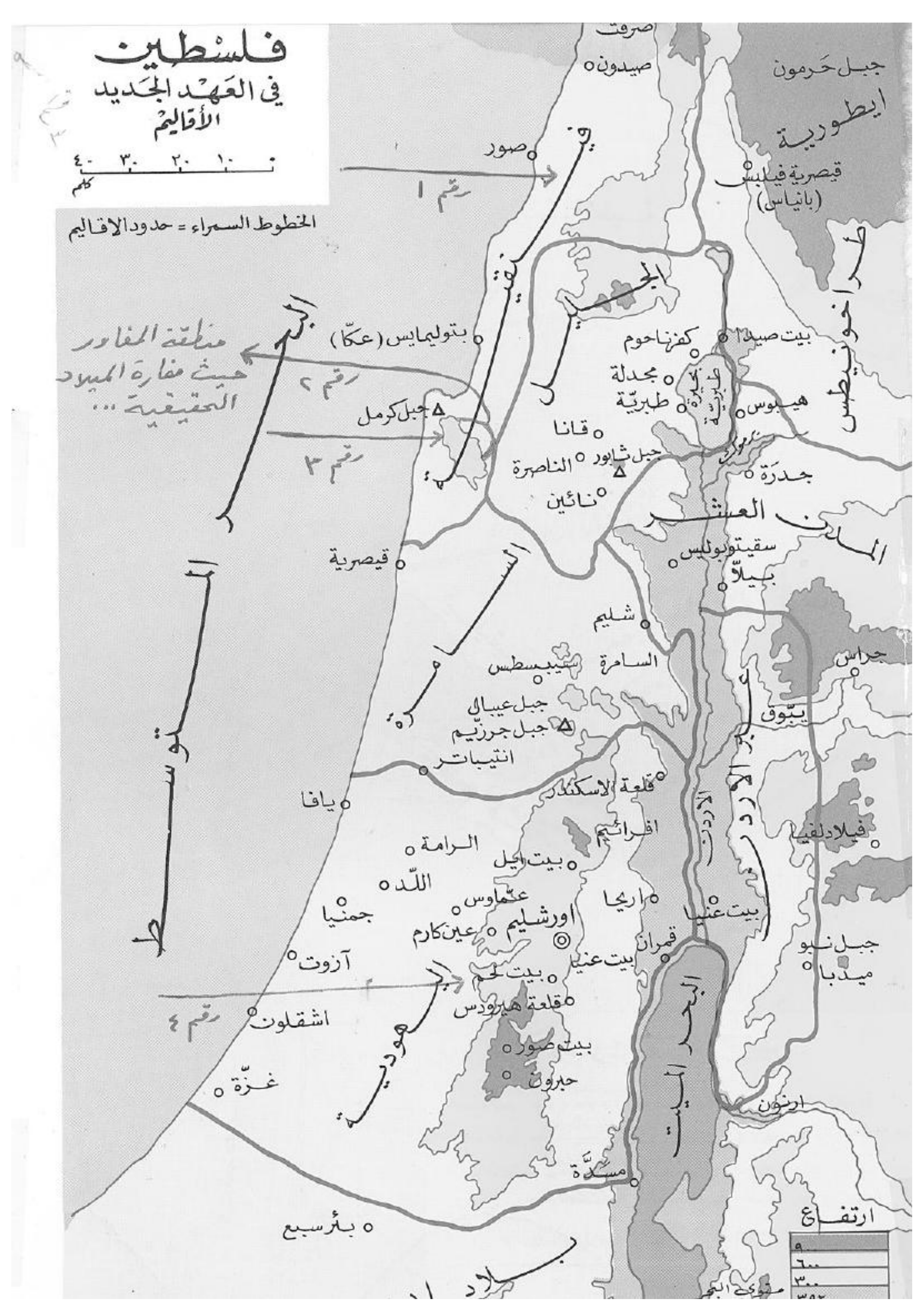
-Earnest A. Hooton "Up from the Ape", New York, 1946, p.p. 336-339

-Papus "La cabbale – Tradition secrète de l'Occident", 17eme Edition, Editions Dangles, St – Jean – De – Brage, France, 1992, p.p. 52-55

-Revue: "La Splendeur du Carmel", N°5, Beyrouth, Liban, 1994, p.p. 1-31.

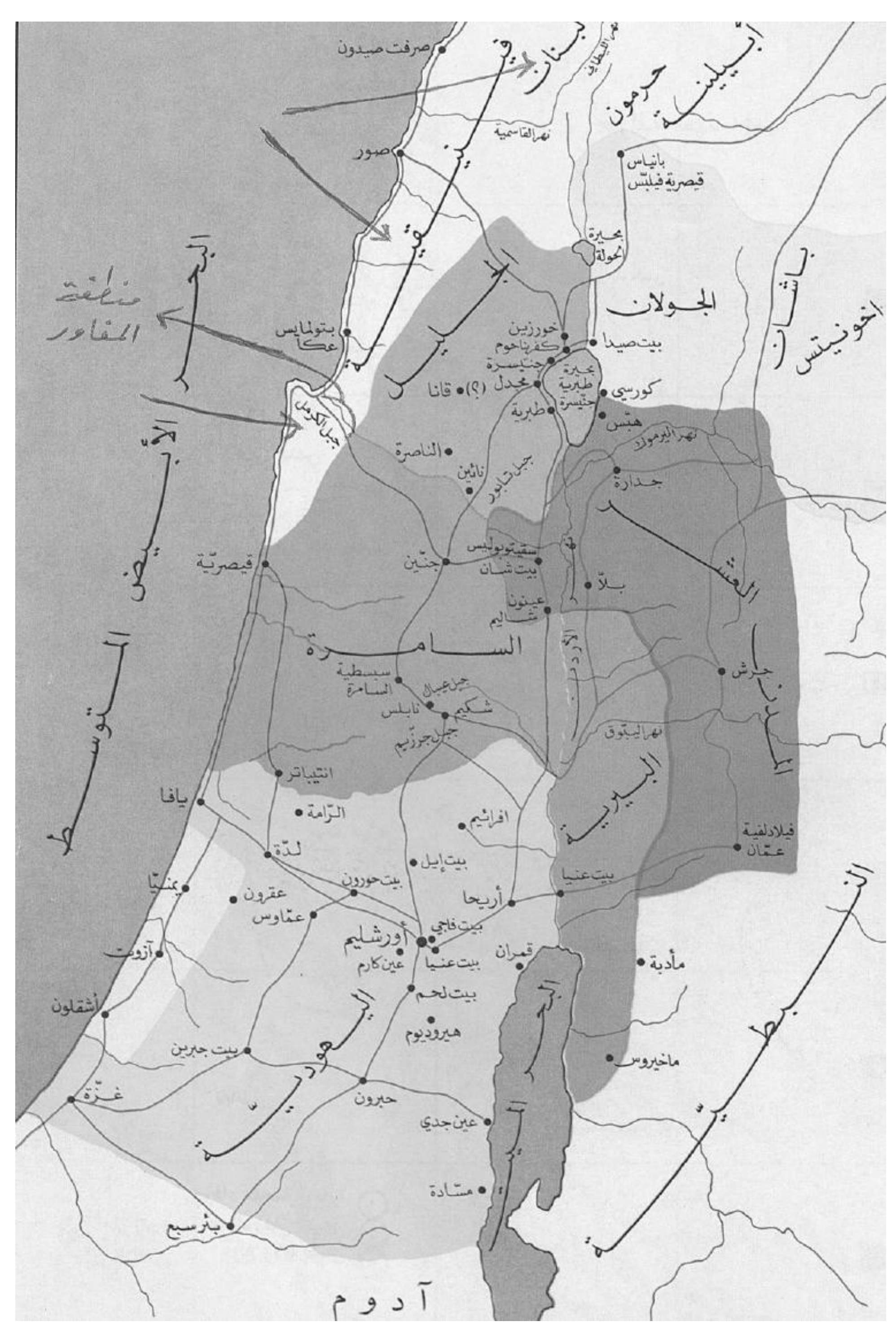


خريطة فلسطين في زمن السيّد المسيح، يظهر فيها بوضوح تامّ جبل الكرمل وسفوحه كلّها داخل أراضي فينيقيا – لبنان. والمسيح ولد بالقرب من بيت لحم وليسَ بداخلها، في مغارة في السفوح الشمالية الشرقية لجبل الكرمل. والناصرة في الخريطة هي بالقرب من بيت لحم هذه. (نشرها ك.س. هامّون وشركاه في كتابه "أطلس الأراضي المقدسة"، نيويورك 1962)

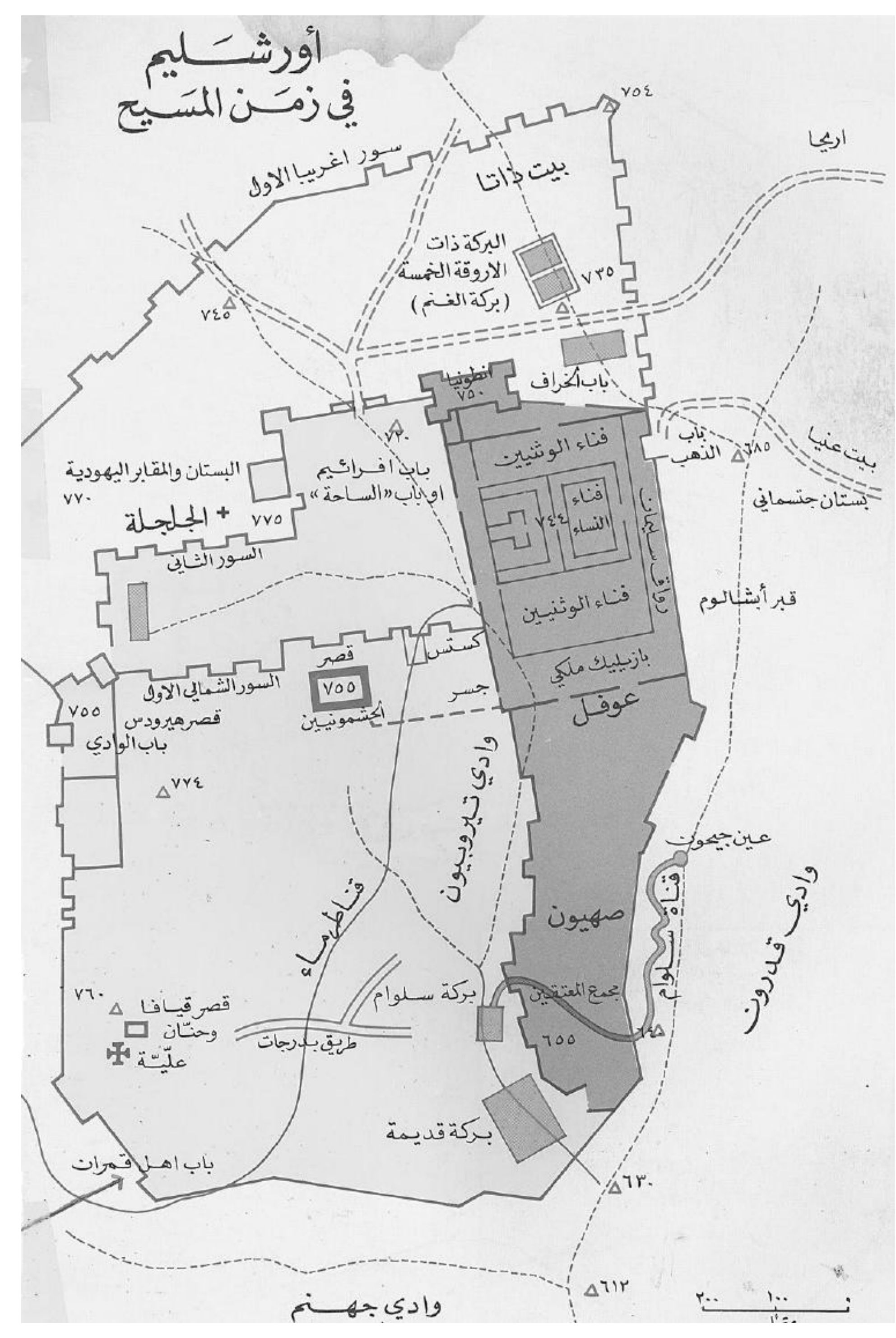


يظهر في الخريطة أعلاه جبل الكرمل بكامله مع جميع سفوحه داخل أرض فينيقية (أنظر السَهم رقم 3). لا حظ منطقة المغاور، حيث مغارة الميلاد الحقيقية، قريباً من الناصرة، في السفوح الشمالية الشرقية لجبل الكرمل (أنظر السَهم رقم 2).

(مأخوذة من خرائط اكتاب المقدّس – أنا الألف والياء – النسخة العربية الجديدة للآباء اليسوعيّين، دار المشرق، بيروت، لبنان، طبعة 1989).



خريطة فلسطين في زمن السيّد المسيح (الأقاليم). ويظهر فيها بشكل واضح جداً أن جبل الكرمل وجميع سفوحه هي داخل أرض فينيقية – لبنان. ومنطقة المغاور، ومنها مغارة الميلاد الحقيقية قرب بيت لحم الشمال، تقع في السفوح الشمالية الشرقية لجبل الكرمل، داخل أراضي فينيقية – لبنان الظاهرة بوضوح في الصورة أعلاه. (نشرها الأب موسى الحاج الأنطوني في كتابه "الأرض المقدسة – دليل سياحي وروحيّ مصوّر"، بيروت لبنان 1997).



رسم بياني إجمالي لمدينة أورشليم في زمن السيّد المسيح. لاحظ في أسفل الرسم الى اليسار باب أهل قمران (الاسّينيين) أحد الأبواب الرئيسية للمدينة. وفي الفترة الأخيرة أثبتت الاكتشافات الأثرية ان كل تلك المنطقة كان يسكنها الاسّينيون (مستشفى، مأوى، هيكل، أحياء الخ...) (مأخوذة من خرائط الكتاب المقدس–أنا الألف والياء –النسخة العربية الجديدة للآباء اليسوعيّين، دار المشرق، بيروت، لبنان، طبعة 1989).

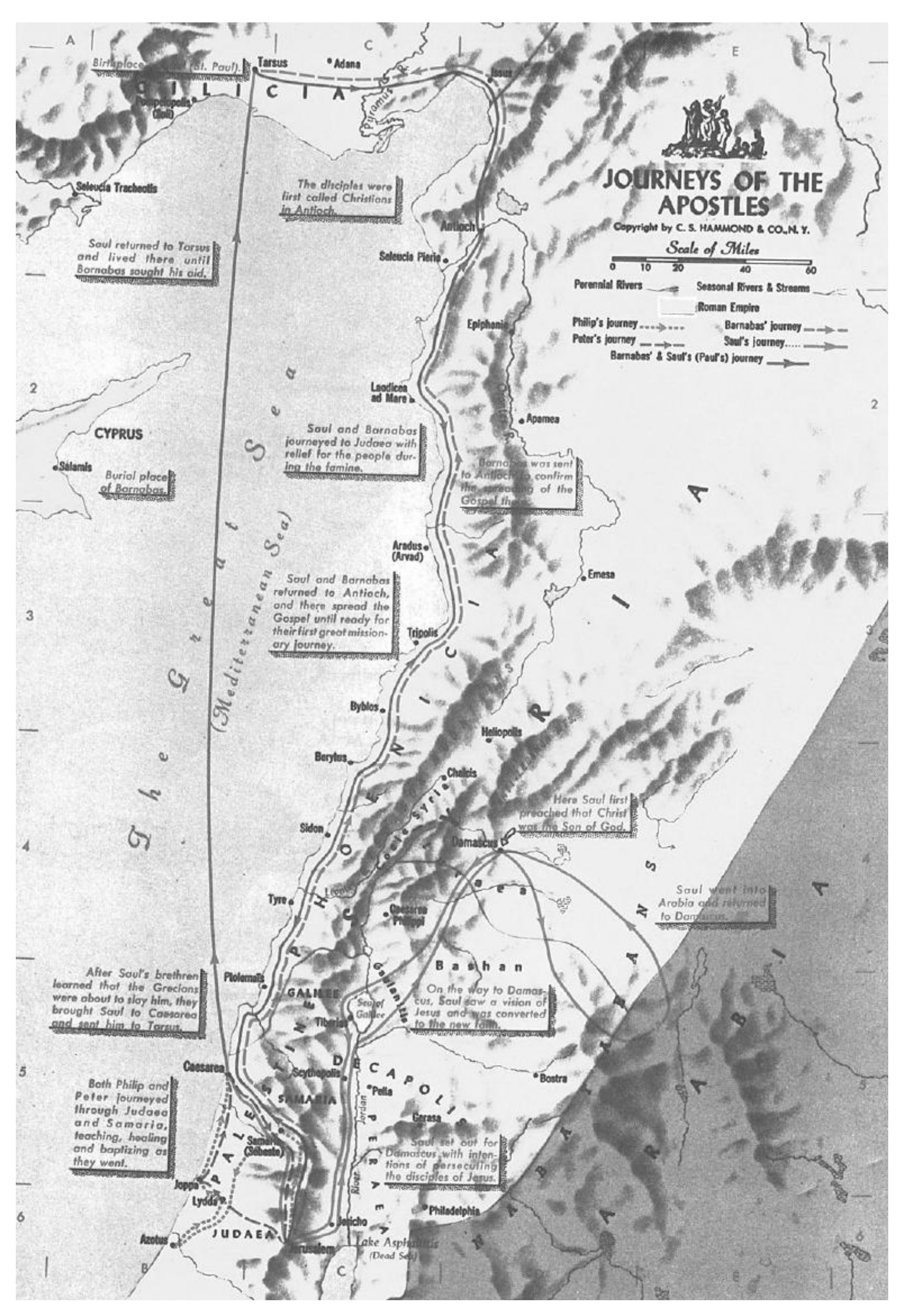


خريطة الأراضي التي كانت تحت حكم هيرودس أغريبا الأول (37-44 بعد الميلاد). يظهر جليّاً أن جبل اكرمل وسفوحه (حيث مغارة الميلاد الحقيقيَّة) ظلّت طوال هذه الفترة داخل أراضي فينيقية – لبنان.

(نشرها ك.س. هامّون وشركاه في كتابه "أطلس الأراضي المقدسة"، نيويورك 1962)

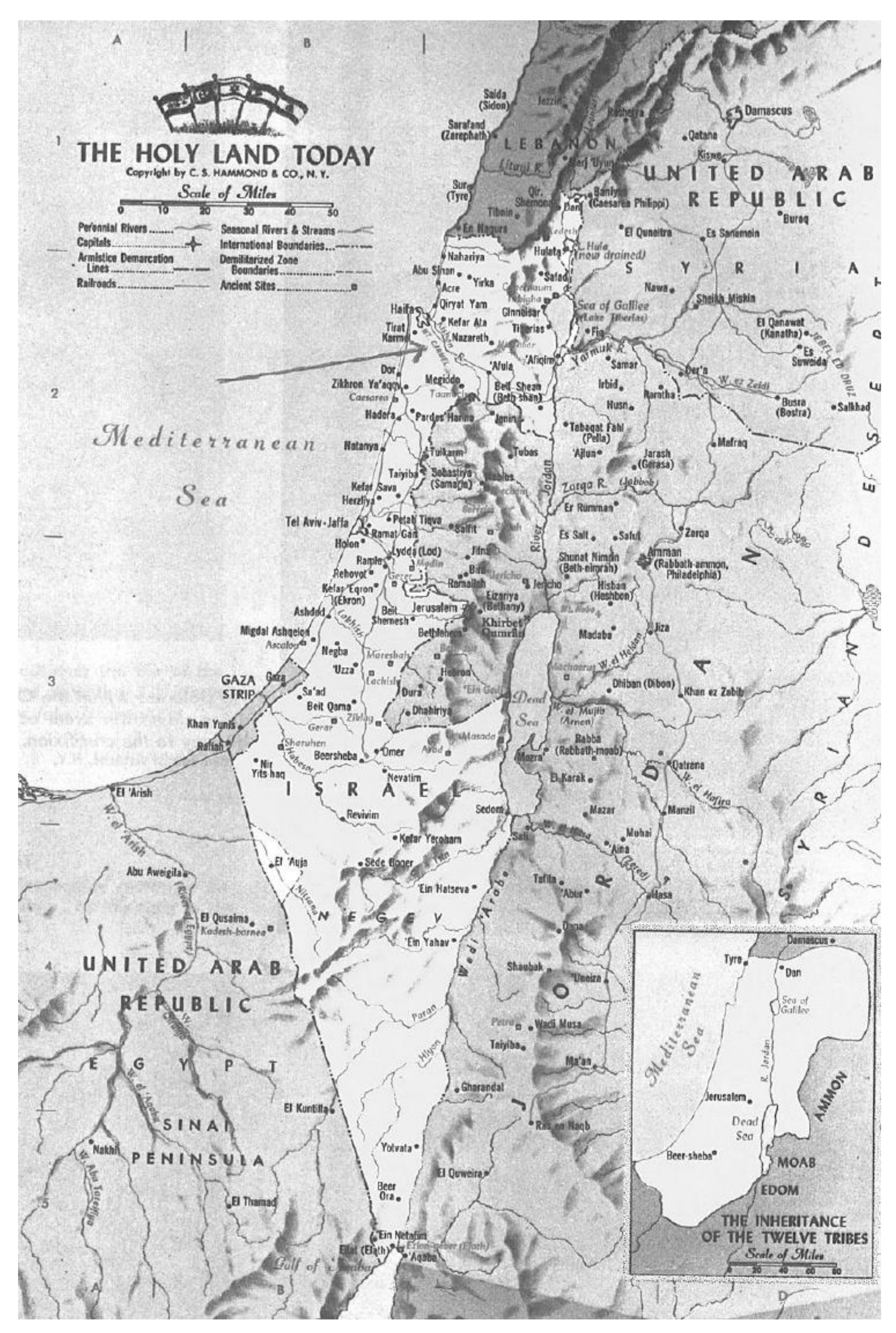


خريطة فلسطين والمنطقة المجاورة في زمن الحرب الرومانية اليهودية (66-73 بعد الميلاد). ويظهر جلياً أيضاً ان جبل الكرمل وسفوحه (حيث مغارة الميلاد الحقيقية) ظلت حتى سَنة 73 بعد الميلاد داخل أراضي فينيقية – لبنان. بعد هذا التاريخ غيّر الرومان خريطة المنطقة ولم يعد جبل الكرمل وسفوحه داخل لبنان... (هامّون... "أطلس الأراضي المقدسة"، نيويورك 1962)

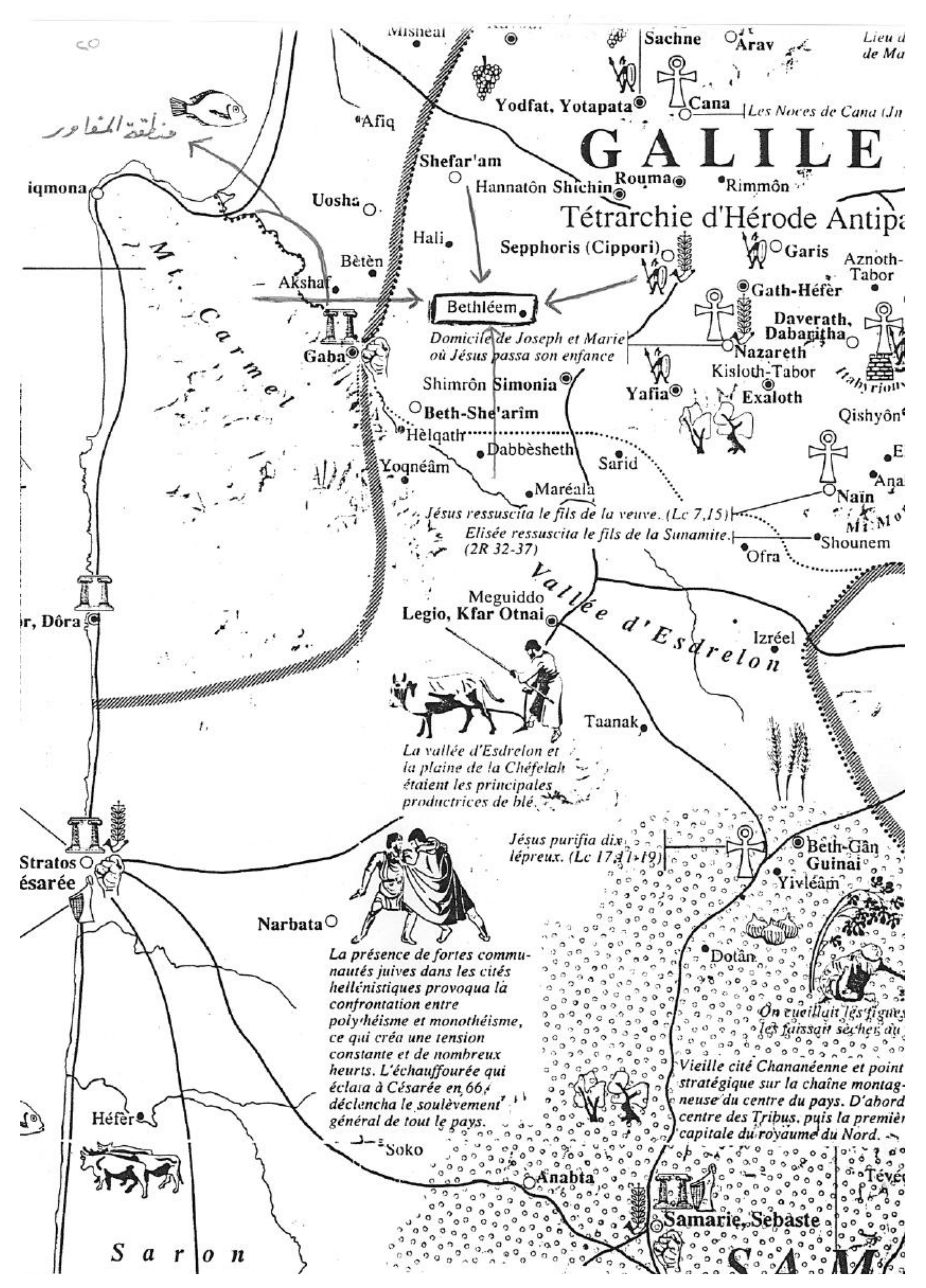


خريطة المنطقة أيام رسل السيّد المسيح. يلاحظ أن أكثر من رسول قد سلكوا الشواطئ اللبنانية، وخاصة بطرس وبولس وفيليبوس.

(نشرها ك.س. هامّون وشركاه في كتابه "أطلس الأراضي المقدسة"، نيويورك 1962)



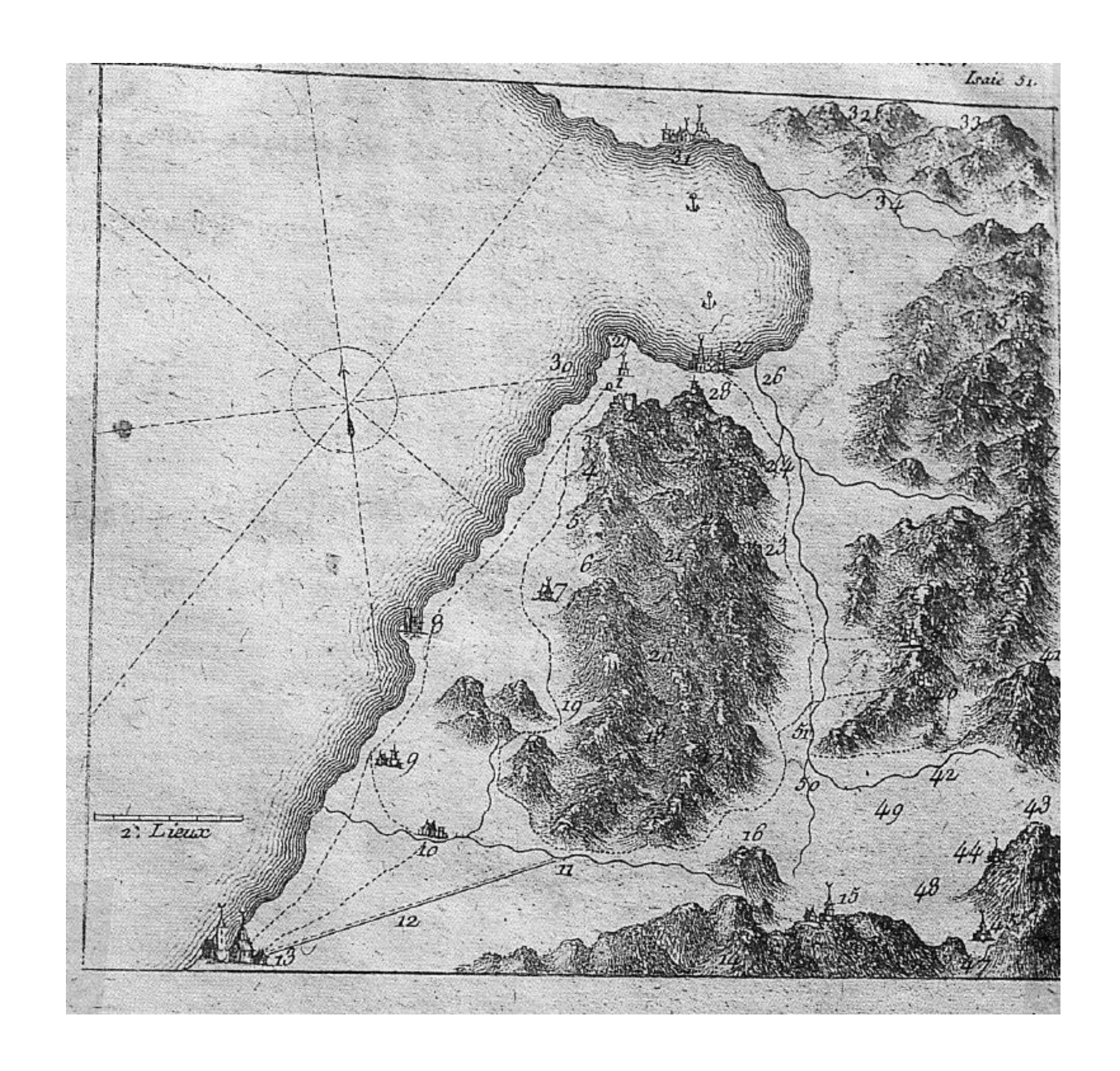
خريطة الأراضي المقدسة في أيامنا هذه. يظهر فيها بوضوح أن جبل الكرمل وسفوحه (حيث مغارة الميلاد الحقيقية)، لم تعد داخل أراضي لبنان، بل قد ضمّتها إسرائيل إليها، وأصبحت كل تلك المنطقة تابعة لأرض اسرائيل. وهي الى اليوم كذلك. وطوال 300 سَنة بعد المسيح عمل اليهود على استئصال كل أثر للمسيحية (في الجليل) من جذوره. فطمسوا كل الحقائق التاريخية والجغرافية ونسي العالم بيت لحم الحقيقية ومغارتها...! (هامّون، المرجع السَابق نفسَه)



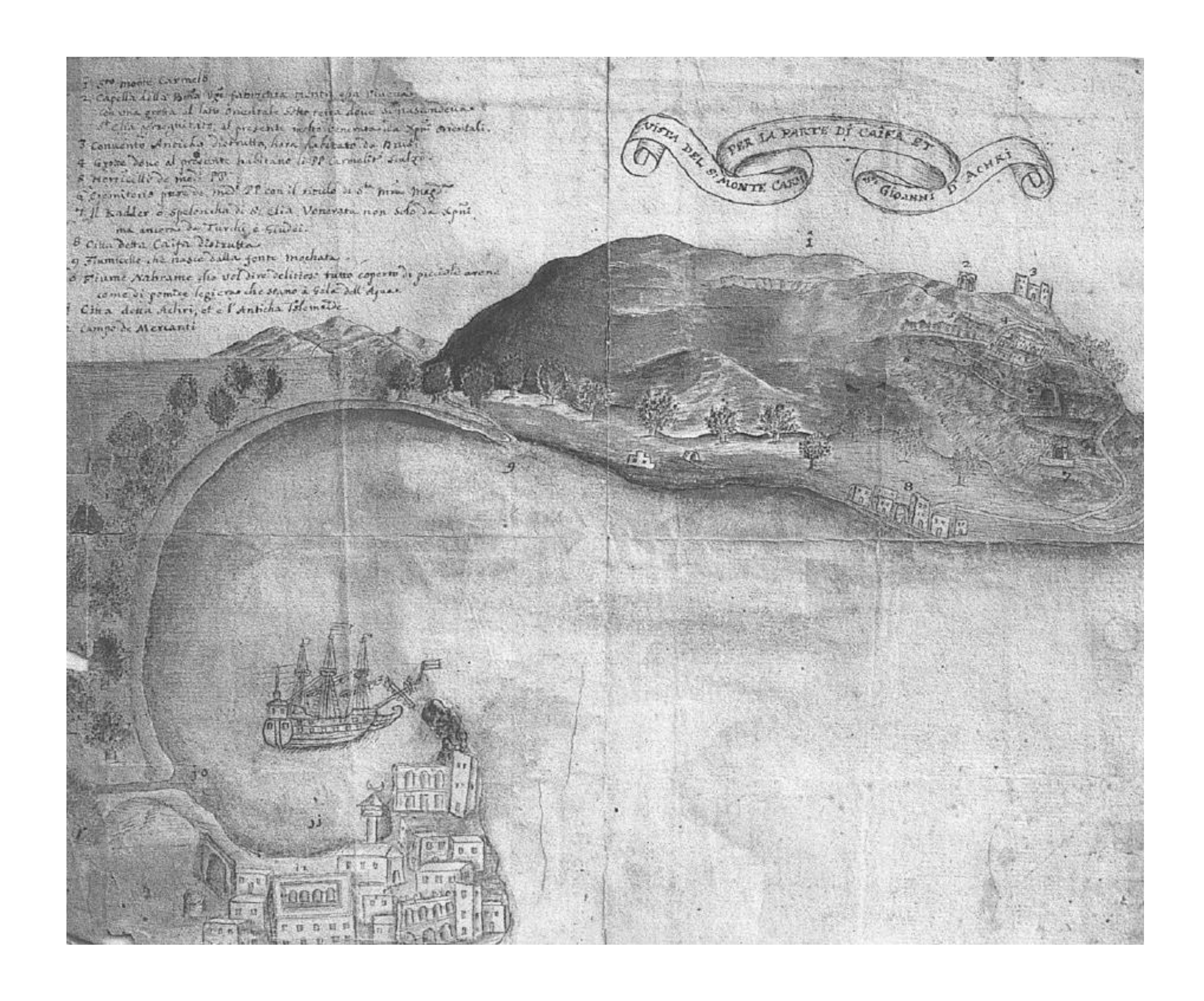
تفصيل لمنطقة الجليل والكرمل أيام السيّد المسيح. تظهر فيها بوضوح تام مدينة بيت لحم الجليلية الشمالية حيث ولد المسيح. وبالتحديد تقع مغارة بيت لحم غربي المدينة في لحف جبل الكرمل الشمالي الشرقي، داخل أرض فينيقيا – لبنان (نشرها كورازين، روش بينا، إسرائيل 1992)

المسافات بين المدن الرئيسيّة

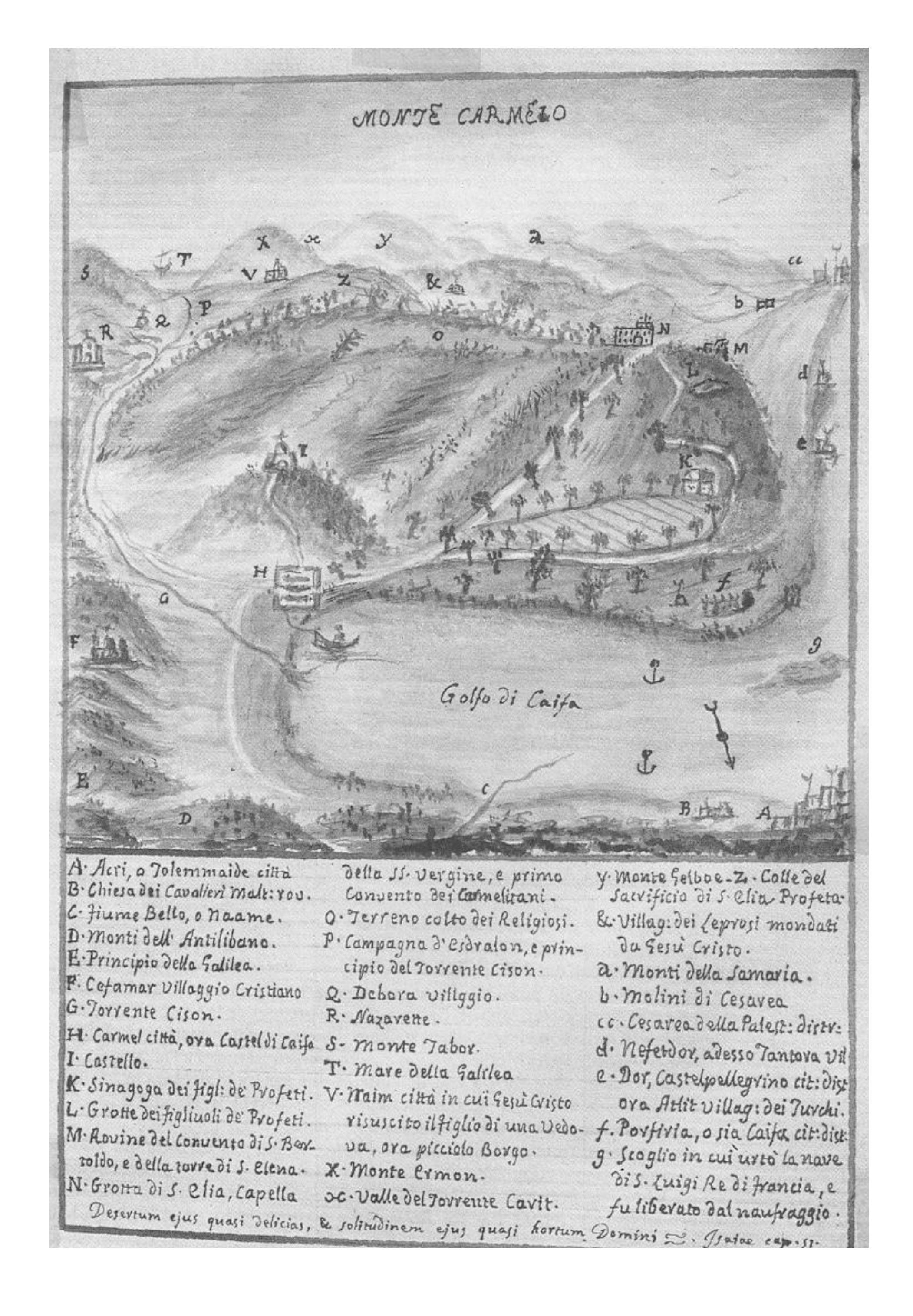
	أورشليم - القدس	يافا - تل أبيب	حيفا	طبريّا	بئر سبع	ايلات
أورشليم - القدس		٥٨	١٥١	١٥٢	٨١	٣٠٩
يافا - تل أبيب	٥٨		٩٥	١٣٤	١٠٥	٣٤٦
حيفا	١٥١	٩٥		٦٩	١٩٧	٤٣٨
طبريّا	١٥٢	١٣٤	٦٩		٢٣٣	٤٠٥
بئر سبع	٨١	١٠٥	١٩٧	٢٣٣		٢٤١
ايلات	٣٠٩	٣٤٦	٤٣٨	٤٠٥	٢٤١	
عكّا	١٧٣	١١٧	٢٢	٥٥	٢١٩	٤٦٠
بانياس	٢٢٢	٢٠٤	١١٤	٧٠	٣٠٣	٤٧٥
الخليل	٣١	٩٢	١٨٢	١٨٣	٥٠	٢٩١
أريحا	٣٦	٩٧	١٤٩	١١٦	١٦٣	٢٨٩
الناصرة	١٣١	١٠٢	٣٥	٢٩	١٠٧	٤٨٨
رأس الناقورة	١٩٣	١٣٧	٤٢	٧٥	٢٣٩	٤٨٠
نابلس	٥٩	٥٧	٩٣	١٠٢	١٤٤	٣٥٩



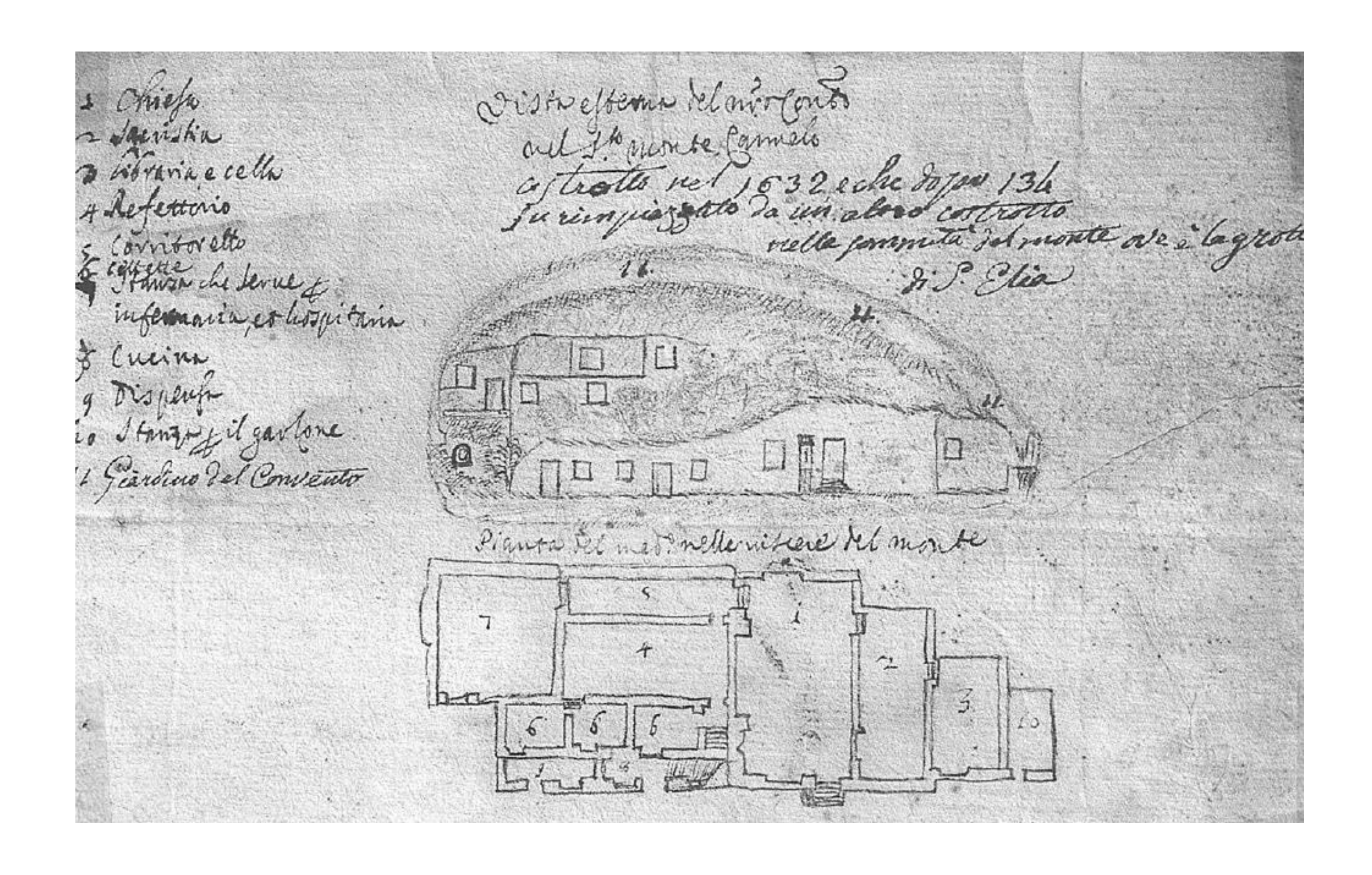
سلسلة جبل الكرمل (في وسط الصورة) والمناطق المحيطة بها. من كتاب قديم وضعه باللغة اللاتينية الأب يوحنا المعمدان الكرمليّ سَنة 1772 ص 1.
عنوان الكتاب بالعربية: "المجموعة التاريخية للقوانين القديمة والحديثة لرهبانية الكرمل المقدسة". الأرقام تشير الى أهم الأماكن، ومنها: 2)كنيسة العذراء مريم، مغارة النبيّ إيليّا ودير الكرمليّين القديم –4) وادي الشهداء، نبع النبيّ إيليّا وخرائب دير قديم العهد للكرمليّين (دير الأب بركار) – 17) موقع محرقة النبيّ إيليّا –27)مدينة حيفا –29)بورفيريا، المكان القديم لمدينة حيفا –31)مدينة عكا – 37)جبل التطويبات –40)مدينة الناصرة –41)جبل طابور –52)تلّ القسيس أو جبل الكهنة.



رسم قديم وضعه الراهب الكرملي ّالأب بروسبير الروح القدس بين 1631-1635. (من وثائق الرئاسَة العامة لرهبنة الكرمل في روما). ويمثل الرسم خليج حيفا وجبل الكرمل المشرف على البحر. وفي أعلى الرسم الى الشمال تحديد بالأرقام لأبرز الأماكن التي تهمّ رهبان الكرمل. (اللّغة إيطالية).



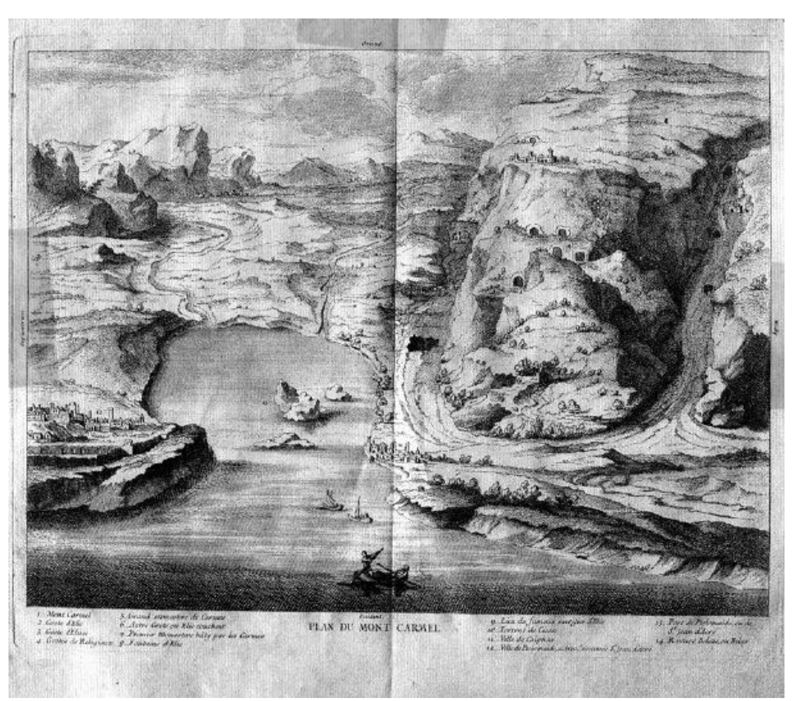
رسم آخر لجبل الكرمل والمناطق المحيطة به، وضعه الراهب الكرمليّ الأب بروسبير الروح القدس. وفي أسفل الصورة حروف أبجديّة تدلّ على أهم الأماكن تقابلها نفس الحروف في الرسم (اللغة إيطالية).



مخطّط إجمالي وضعه الراهب الكرمليّ الأب بروسبير الروح القدس. يمثّل القطع المستعرض – من فوق الى تحت – وتصميماً للدير الذي أقامه داخل مغارة كبيرة في جبل الكرمل. وفي أعلى الصورة الى اليسَار أرقام تدلّ على أقسَام الدير الداخليّة (اللغة إيطالية).



رِجْل بشرية من الحجر الأبيض وضعت بشكل "تقدمة" في هيكل جوبيتير الذي كان قائماً فوق جبل الكرمل في العصر الروماني. والكتابة باللاتينيَّة تمدح جوبيتير كارملوس هيليوبوليتانوس (متحف دير "نجمة البحر" الكرمليّ – حيفا)



جبل الكرمل وخليج حيفا في رسم قديم يعود تاريخه الى القرن السَابع عشر (مأخوذ عن كتاب "الكرمل في الأرض المقدسة منذ القدم الى أيامنا هذه" وضعه الأب الكرمليّ سيلفانو جيوردانو بالفرنسية 1995)

صك – وثيقة من الأمير أحمد طربيه يسمح بموجبه للأب الكرمليّ بروسبير الروح القدس أن يسكن في جبل الكرمل (عن كتاب "الكرمل في الأرض المقدسة..." إيطاليا، سَنة 1995). تاريخ تحرير الصك: 1041 هـ، 1663م.



"ثوب سَيّدة الكرمل" وضع سَنة 1680 (وثائق الرئاسَة العامة لرهبنة الكرمل في روما)



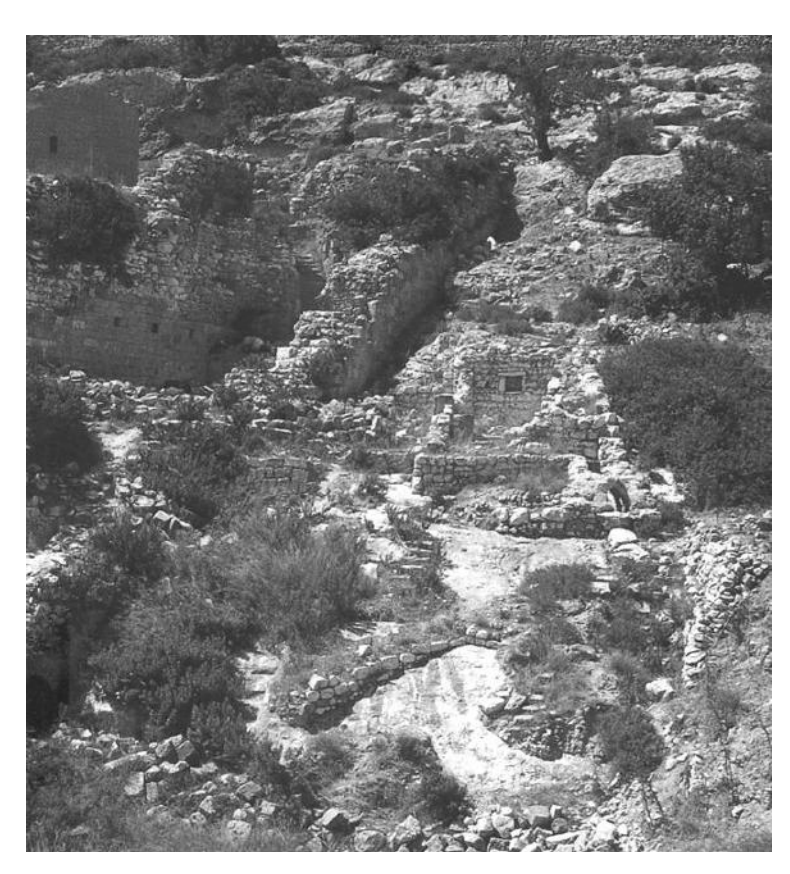
COMPENDIO
ISTORICO
DELLO STATO ANTICO, E MODERNO
DEL CARMELO
DEI PAESI ADIACENTI, E DELL' ORDINE
MONASTICO ORIENTALE.
OPERA
DI FRA GIAMBATTISTA
DI S. ALESSIO CARMELITANO SCALZO
PROFESSO DELLA PROVINCIA DI PIEMONTE, E MISSIONARIO
PER PIU' ANNI NEL DETTO MONTE.

FECIT JUXTA VERBUM DOMINI

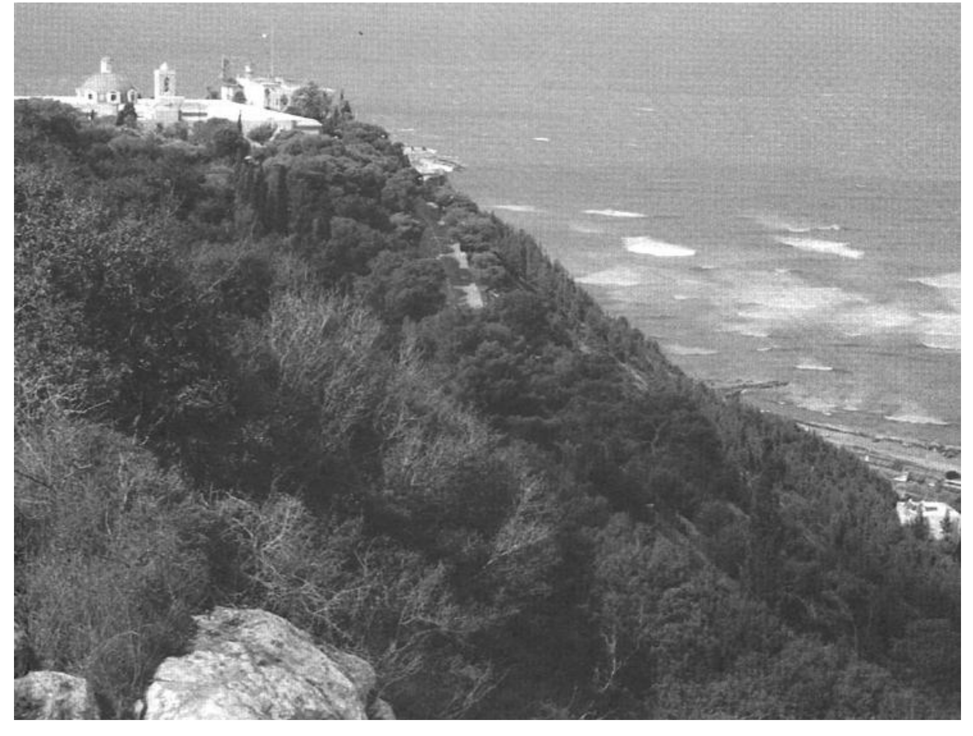
TORINO MDCCLXXX.

NELLA STAMPERIA D'IGNAZIO SOFFIETTI.

غلاف الكتاب الذي وضعه الاب يوحنا المعمدان الكرمليّ عن "تاريخ جبل الكرمل القديم والحديث". طبع ونشر في مدينة تورين بإيطاليا باللغة الإيطالية سَنة 1780 (من وثائق رئاسَة الرهبنة الكرمليّة في روما)



مدخل دير الرهبان الكرمليّن الذي بني في جبل الكرمل في القرون الوسطى. (كتاب الكرمل في الأرض المقدسَة"...)



الدير الحالي للرهبان الكرمليّين فوق جبل الكرمل. (المرجع السَابق أعلاه)



لوحة واحدة من البرونز، مثلثة المشاهد، على المدخل الرئيسيّ لكنيسة دير الرهبان الكرمليّين، في جبل الكرمل. صنعها قبيل الحرب العالمية الثانية الأخ سيرافينو ملكيورى الكرمليّ. في الأعلى، يمثل المشهد زواج يوسف ومريم (وهو رسم نادر جداً). في الوسَط، بشارة الملاك جبرائيل للعذراء مريم. وفي الأسفل، ميلاد الطفل يسوع، "ونجم المجوس". وقد نقلها الراهب الفنّان عن لوحة زيتية قديمة العهد جداً كانت في كنيسَة دير قديم للرهبان الكرمليين فوق جبل الكرمل.

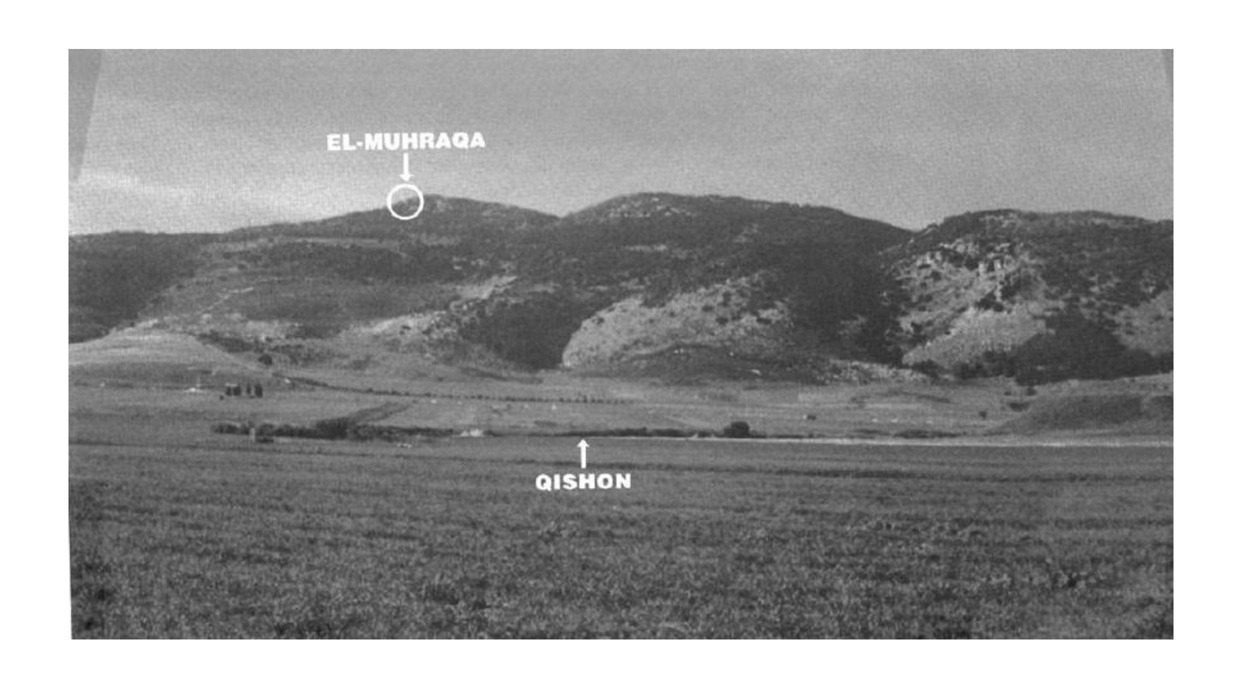
اللوحة نادرة جداً ومعبّرة للغاية. فهي تجمع في إطار واحد موحّد أحداثاً ثلاثة هامة جداً في تاريخ المسيحية: زواج يوسف ومريم، بشارة الملاك للعذراء مريم وميلاد يسوع المسيح. وهي، حين تجمع هذه الأحداث الثلاثة في إطار واحد، كأنها تدل ببسَاطة وواقعية الى أن هذه الاحداث الثلاثة قد حصلت فعلاً في مكان واحد محدّد: في جبل الكرمل بالذات! وهذا ما سَعينا نحن، في هذه الدراسَة الى إثباته: أجل! في جبل الكرمل، عقد زواج يوسف ومريم، في جبل الكرمل، تمّت بشارة الملاك للعذراء مريم، وفي مغارة، في اللحف الشمالي الشرقي لجبل الكرمل، حصلت ولادة الطفل يسوع. في جبل الكرمل، حصل التجسّد الإلهي والميلاد معاً. وكان جبل الكرمل عند الميلاد – وقبله وبعده – داخل أرض فينيقية – لبنان!

(اللوحة مأخوذة من كتاب "الكرمل في الأرض المقدسة..."، بالفرنسيّة، ص 146).



جدرانية رسَمها الأخ لويس بوجّي الراهب الكرملي تمثل زيارة العائلة المقدسة الى رهبان دير جبل الكرمل!! تاريخ الجدرانية: (1926-1928) وهي موجودة في قبة دير "نجمة البحر" للرهبان الكرمليّين في مدينة حيفا. (كتاب "الكرمل في الأرض المقدسة...") وهي وثيقة بالغة الأهمية التاريخية عن علاقة العائلة المقدسة بجبل الكرمل...

وثيقة تاريخية مُعَبِّرَةٌ جداً... وبالغة الأهمّية!



الجهة الشمالية لجبل الكرمل. الصورة مأخوذة من سَهل إسدرلون (في الأسفل). في الأعلى: موقع محرقة النبي إيليّا، في الوسط نهر قيشون (المرجع السَابق أعلاه)



قبة دير جبل الكرمل الحالي للآباء الكرمليّين. الكتاب المقدس يعتبر جبل الكرمل، مثل جبل لبنان، رمزاً للجمال والخصوبة بوفرة أشجاره ونباتاته وجمال أزهاره... (المرجع السَابق)



"سَيّدة الكرمل" ترتفع فوق جبل الكرمل في سَاحة دير الرهبان الكرمليّين، (المرجع السَابق). والتمثال يمثل الصورة الرسمية – الحالية – لسَيّدة الكرمل.

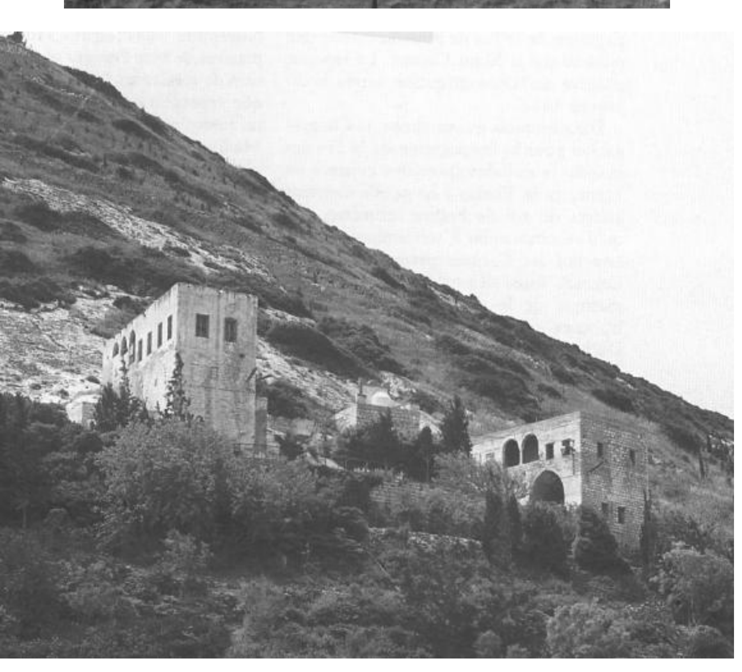


الجانب الشمالي الشرقي لجبل الكرمل. الى اليمين: الاتجاه الى مدينة حيفا. في الوسَط الى الشمال "تلّ القسيس"، وفي الأفق البحر الأبيض المتوسط. (المرجع السَابق).



تمثال "سَيّدة الكرمل"، صنعه، من خشب أرز لبنان...، الفنّان إيمانويل ريادا (1932-1933). أمّا الرأس واليدان فمن صنع الفنّان تمارافانتا. يلاحظ ان العذراء تحمل بيدها اليمنى "ثوب سَيّدة الكرمل". إنها الصورة الرسميّة – الحالية – لسَيّدة الكرمل (المرجع السَابق) يذكر أن تمثالاً قديماً لسَيدة الكرمل، صنع أيضاً من خشب أرز لبنان، أصبح اليوم داخل الكنيسة القديمة "لسَيّدة حريصا" في لبنان!

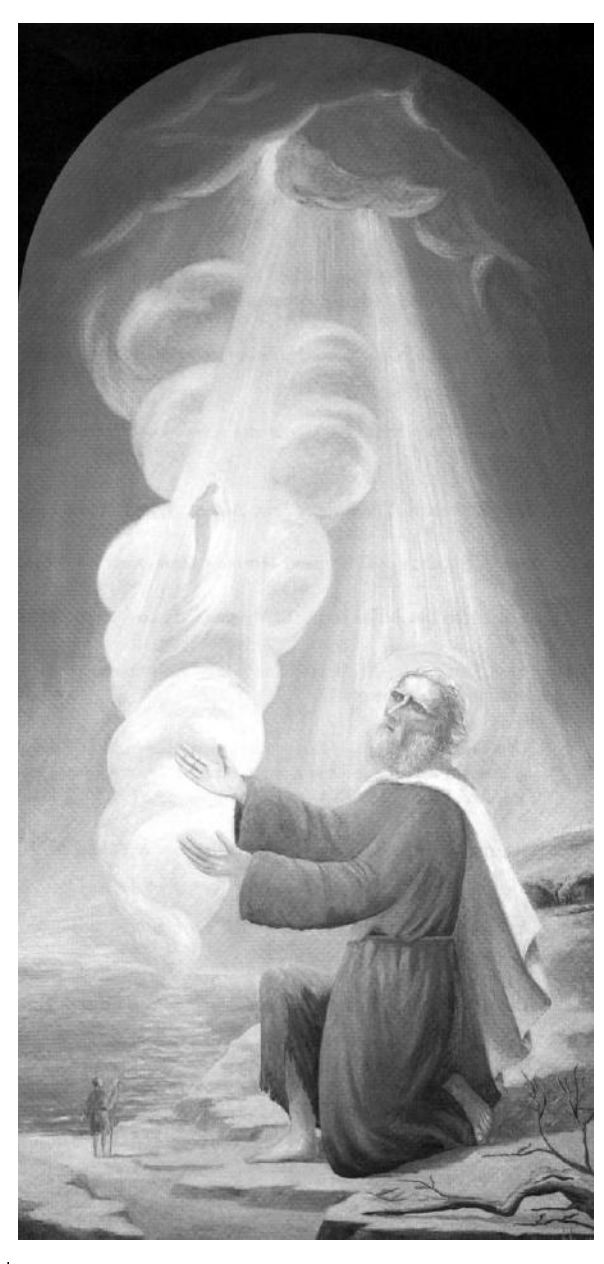
لوحة من البرونز تمثل العذراء
مريم وبين يديها الطفل يسوع
يحمل "ثوب سَيّدة الكرمل"
(الى اليمين). والى اليسَار
النبيّ إيليّا يحمل غصناً من
الشجر، فوق الغصن "محرقة
الكرمل". في أعلى اللّوحة
الى اليمين أسقف باللّباس
الحبريّ. وفي الأعلى "نجمة
البحر" (على بوابة دير "نجمة
البحر" للآباء الكرمليّين –
حيفا).



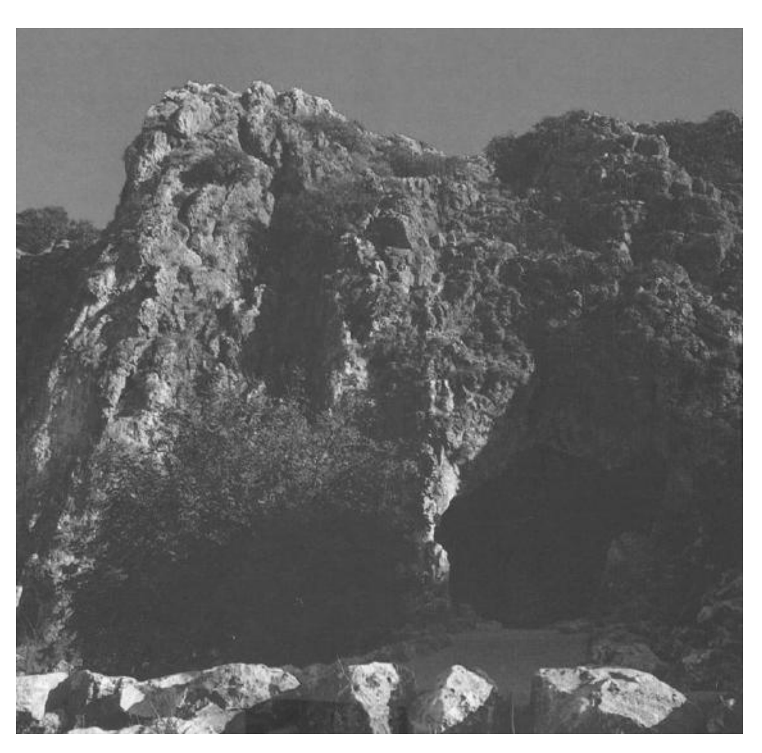
في اللحف الشمالي لجبل
الكرمل يظهر دير قديم للآباء
الكرمليّين. وبين جناحَي الدير
يظهر مدخل "مغارة الخضر" –
مغارة أدونيس سَابقاً – والتي
دعاها الكرمليون فيما بعد
"مدرسَة الأنبياء"، نسبة الى
عائلات الأنبياء الكنعانيّين
الذين ذكرهم صراحة الكتاب
المقدس في سَفر الملوك
الأول والثاني، والذي كان
يتردّد اليهم النبيّ إيليّا ومن
بعده تلميذه وخليفته النبيّ
إليشاع (المرجع السَابق).



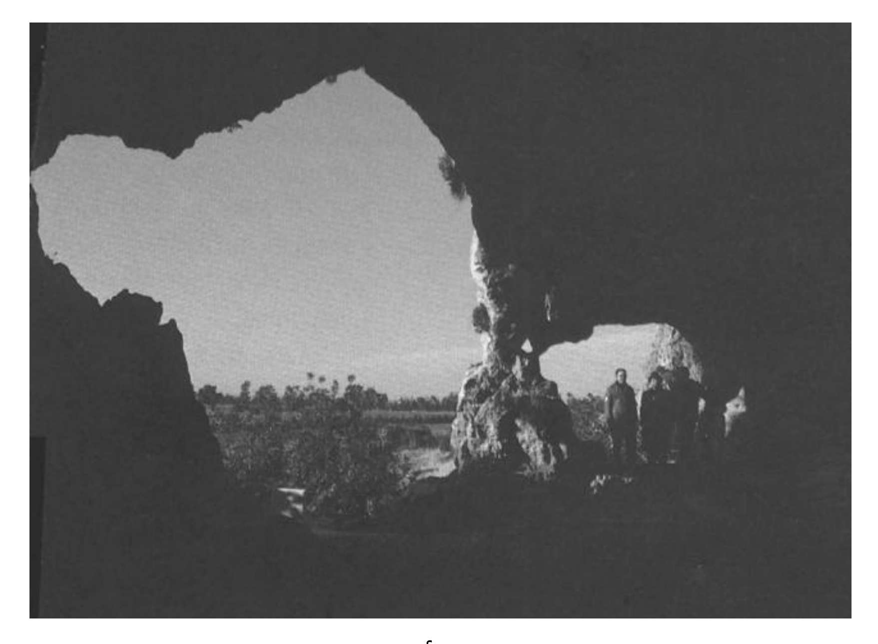
لوحة زيتية فريدة بين جدرانيَّات كنيسَة "القديس بطرس الشهيد"، هامة الرسل، في طوليدة بإسبانيا. عنوان اللّوحة: "مريم أم وبهاء الكرمل". واللوحة منقولة عن لوحة أخرى كانت في السَابق في كنيسَة دير رهبان الكرمل. وهذا الدير مندثر من زمن قديم. في الوسَط مريم ترفع يديها علامة الحماية للرهبنة الكرملية. في الأسفل الى اليسَار النبي إيليّا (بثياب الكرمل) يدل أبناء الأنبياء على الغيمة وبداخلها العذراء مريم. وفي الأسفل، بين الصورتين شعار رهبانية الكرمل. وفي الأسفل الى اليمين، رهبان الكرمل القدماء يبنون فوق جبل الكرمل أول كنيسَة مسيحية (بعد العنصرة)، على اسم العذراء مريم – وهي بعدُ على قيد الحياة! (هكذا يقول بالحرف الواحد التعليق اللاتيني الموجود تحت هذه الصورة بالذات). إنها وثيقة تاريخية بالغة الأَهمّية! (المرجع السَابق).



لوحة زيتية تمثل النبيّ إيليّا فوق جبل الكرمل يتضرع الى الله وقت "المحرقة"...
(المرجع السَابق)



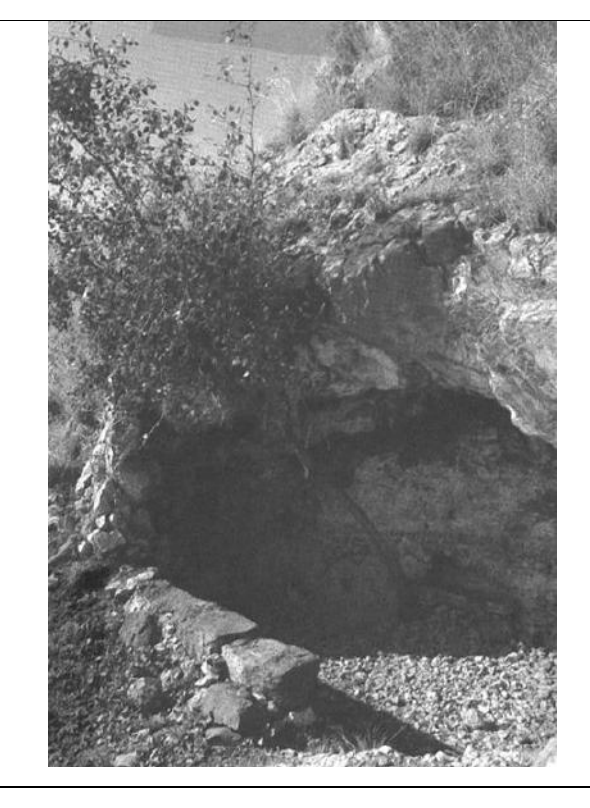
مغاور تاريخيّة في وادٍ صغير تسَمّى "وادي المرارة" في اللحف الشمالي الشرقي لجبل الكرمل. لاحظ كبر المغاور.

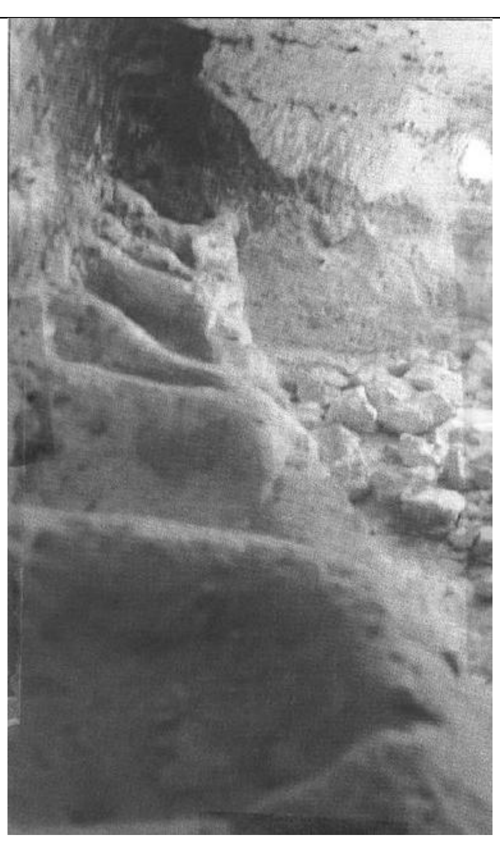
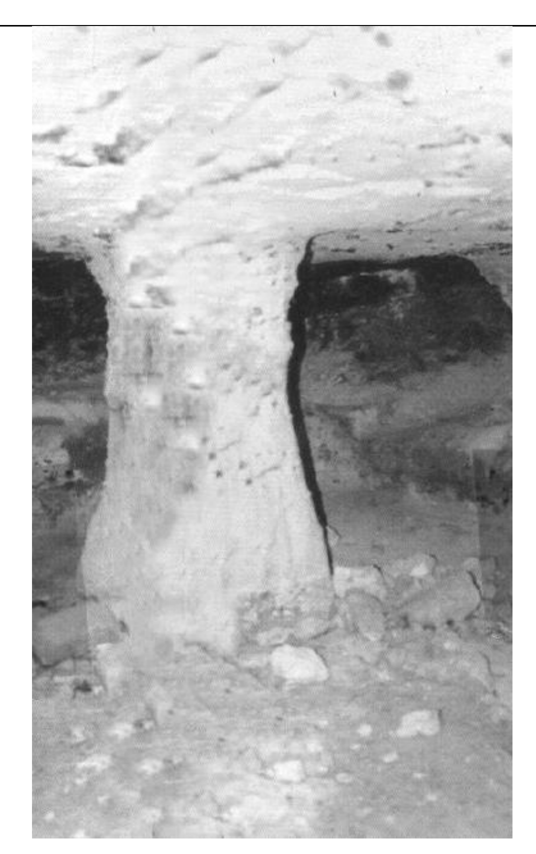


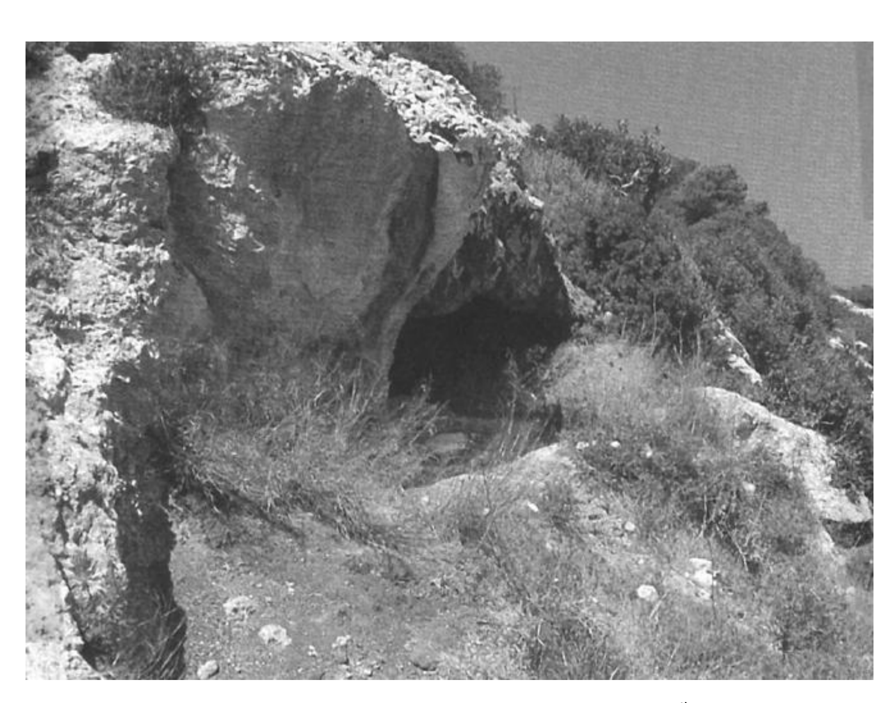
مغارة تاريخية مجاورة للمغاور السَابقة أعلاه. في هذه المغاور اكتشف علماء الآثار، بين 1929 و 1934، بقايا نوع من انسَان قديم دعوه "انسَان الكرمل" بالنسبة الى الجبل. لاحظ كبر واتِّسَاع المغاور.



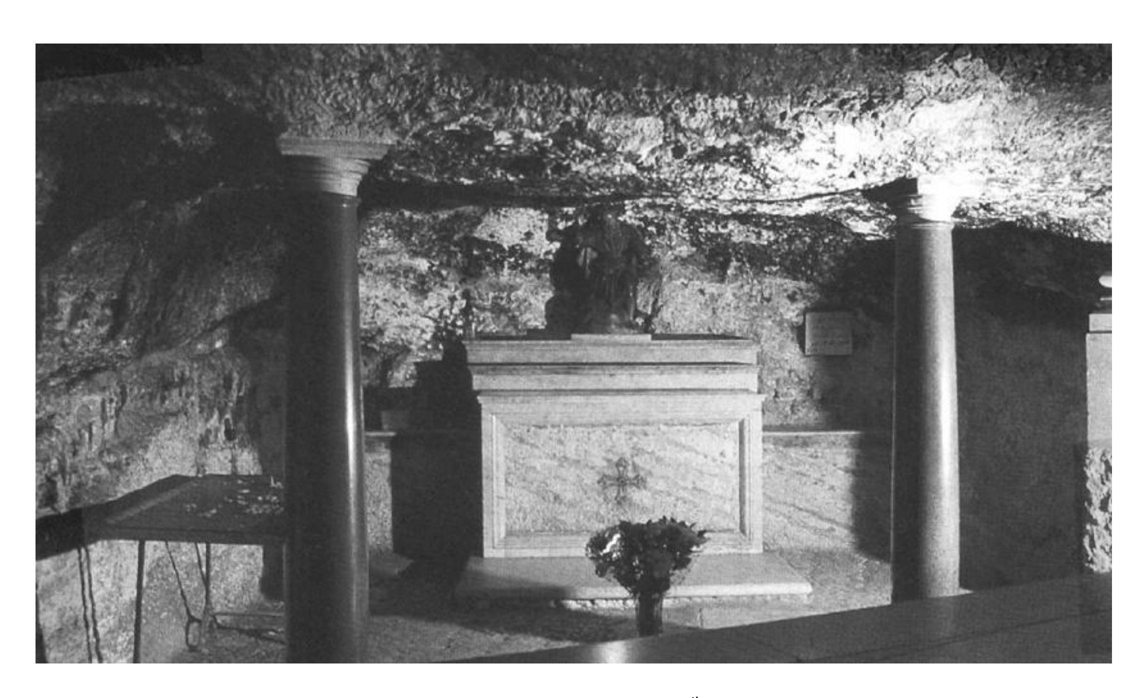
مغاور في السَفح الشمالي الشرقي لجبل الكرمل. سَكنها النسّاك والرهبان. وفي أسفل الصورة حجارة مبعثرة وبقايا أبنية قديمة. وهناك مغاور كثيرة في هذا السَفح من جبل الكرمل. وفي إحدى هذه المغاور، كما نؤكد نحن، ولد يسوع المسيح. وكانت هذه المغاور بعيدة عن منازل السَكن، ولكنها كانت قرب بيت لحم الجليل وتابعة لها، وعلى طريق يسَمّى "طريق بيت لحم"!!

مغارة أخرى في السَفح الشمالي – الشرقي لجبل الكرمل. لاحظ حجارة البناء عند مدخل المغارة.	

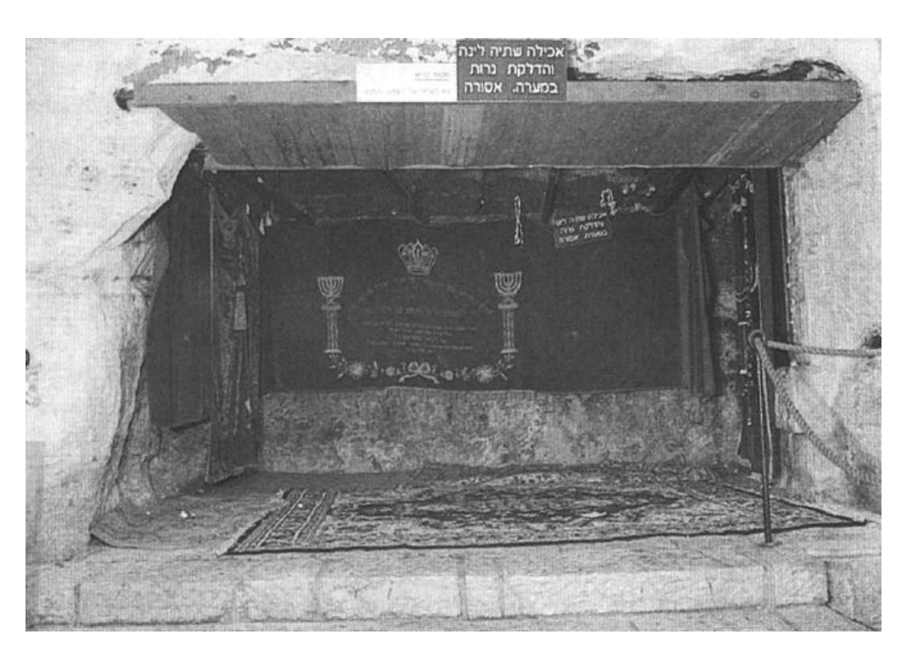
<table>
<tr>
<td>
مغارة ذات طبقتين. الحفر الملاصقة للجدران الداخلية تشكّل معالف للماشية. (تذكّر بأجواء مغارة الميلاد...)</td>
<td>
مغارة ذات طبقتين. العمود في الوسَط يسند سَقف الطبقة السفلى. (تذكّر بأجواء مغارة الميلاد...)</td>
</tr>
</table>



مغارة في اللّحف الجنوبي من جبل الكرمل. منظر من الخارج.



"مغارة النبيّ إيليّا" الشهيرة، في حلّة عصرية. استعملت في القرون الماضية، تارة مقبرة للأموات وتارة خزاناً للمياه. المغارة ذات طبقتين. لاحظ العمودين الحديثين الكبيرين، وهما يسندان سَقف الطبقة السفلى. في الوسط مذبح مسيحي يعلوه تمثال النبي إيليّا. وتستخدم المغارة اليوم ككنيسَة مسيحيّة ومزار.

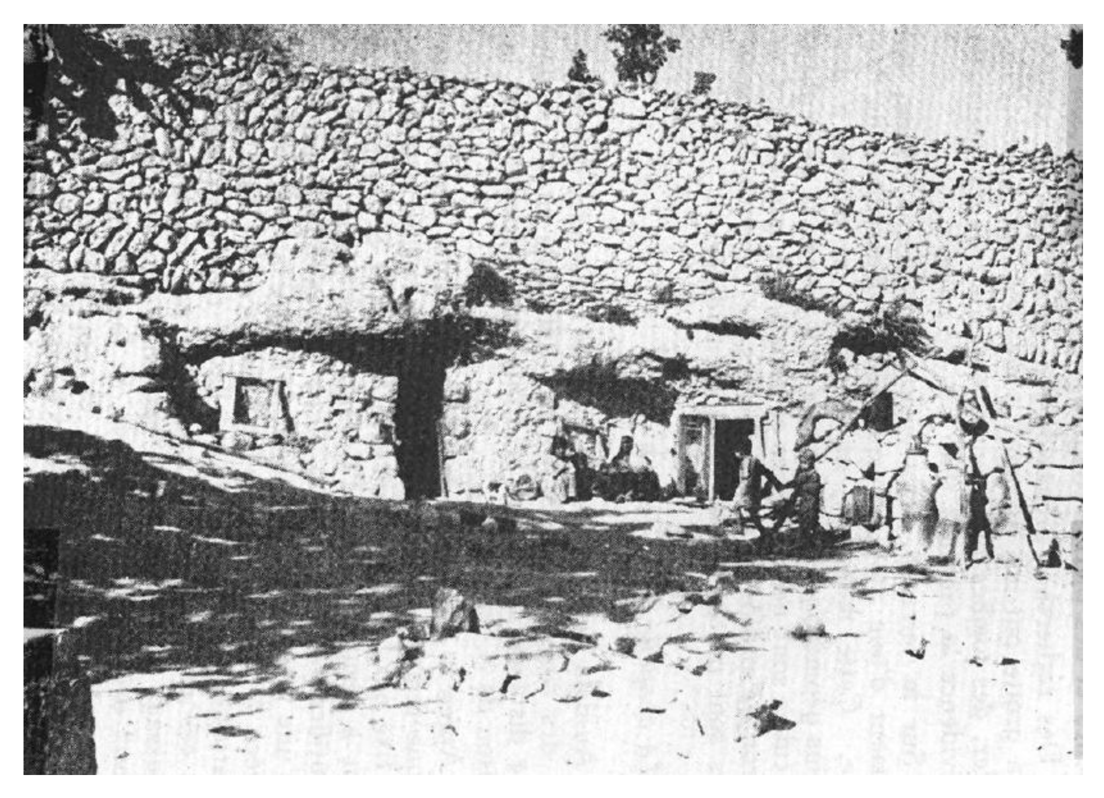


مغارة صغيرة نقشت في الصخر في الجانب الشمالي من "مغارة الخضر" – مغارة أدونيس سَابقاً – وقد عرفت قديماً، من قِبَل رهبان الكرمل "بمغارة السَيّدة". واليوم يستخدمها اليهود كما هو ظاهر من الرموز والكتابات باللغة العبرانية... وهذا دليل واضح على الطمس اليهودي المقصود للآثار المسيحية القديمة...

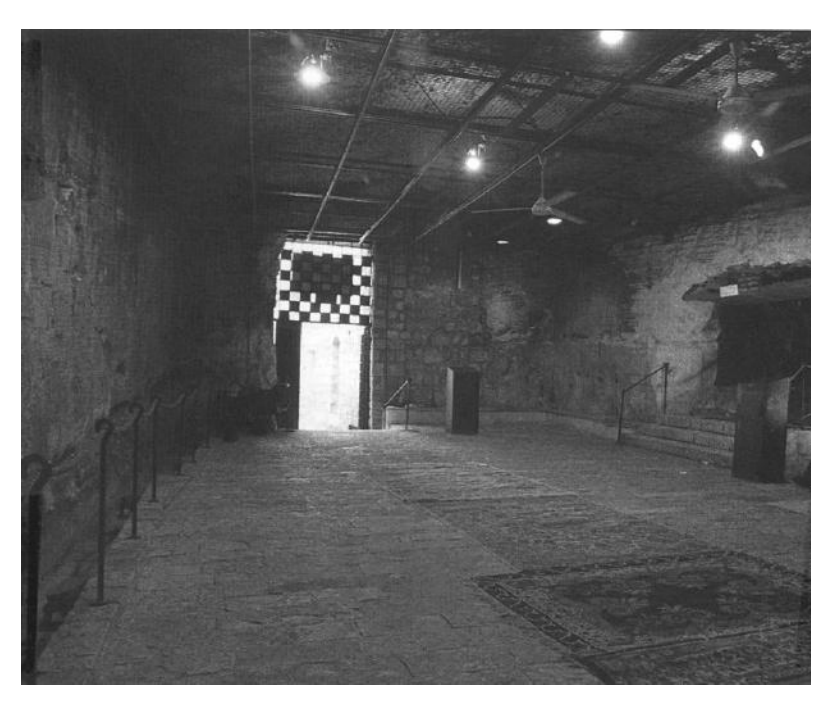
مغارة تستخدم كمنزل للسَكن. ويوجد حتى اليوم بعض المغاور من هذا النوع في مناطق الجليل.



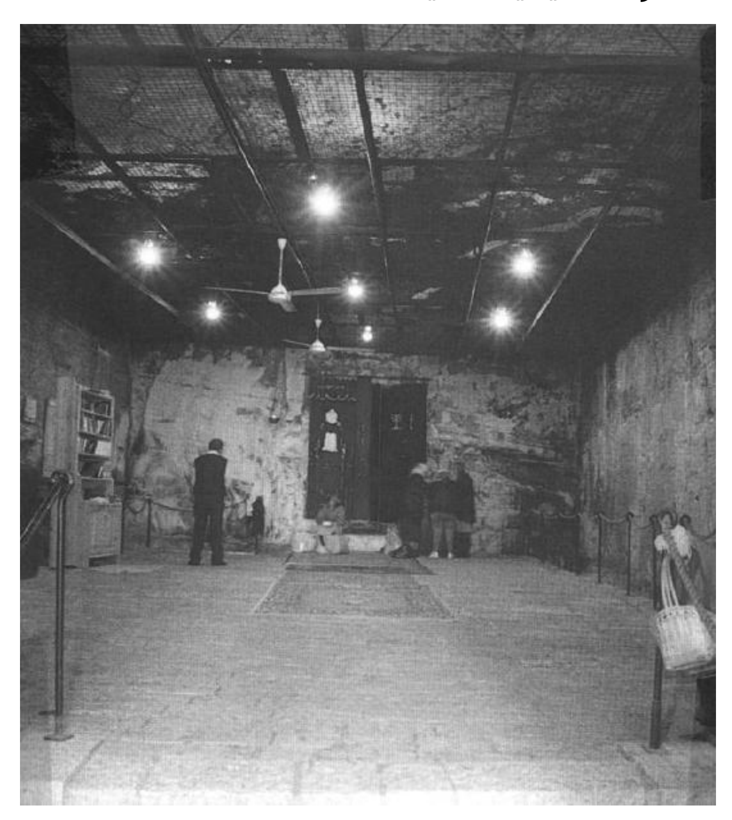
مغارة المهد الحاليّة في بيت لحم اليهوديّة (المعروفة اليوم).



مغارة تستخدم كمنزل للسَكن. ويوجد حتى اليوم بعض المغاور من هذا النوع في مناطق الجليل.

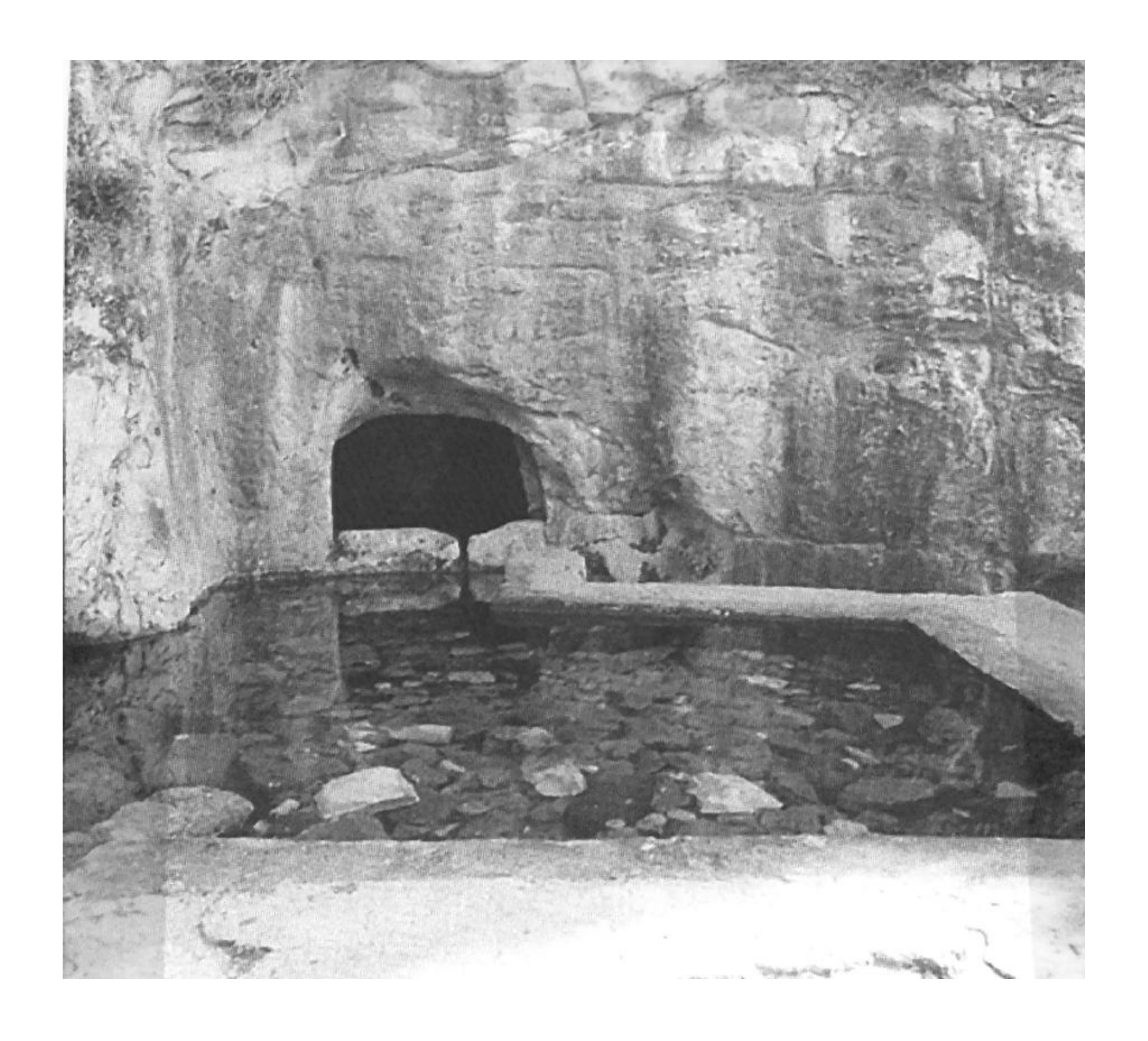


منظر داخلي "لمغارة الخضر" – مغارة أدونيس سَابقاً – والتي سمّيت أيضاً "مغارة إيليّا الكبرى". المدخل والقسم الأمامي. وقد حوّلها اليهود، في أيامنا هذه، الى "مجمع" ومزار لهم...! وذلك طمساً للآثار المسيحيّة القديمة...



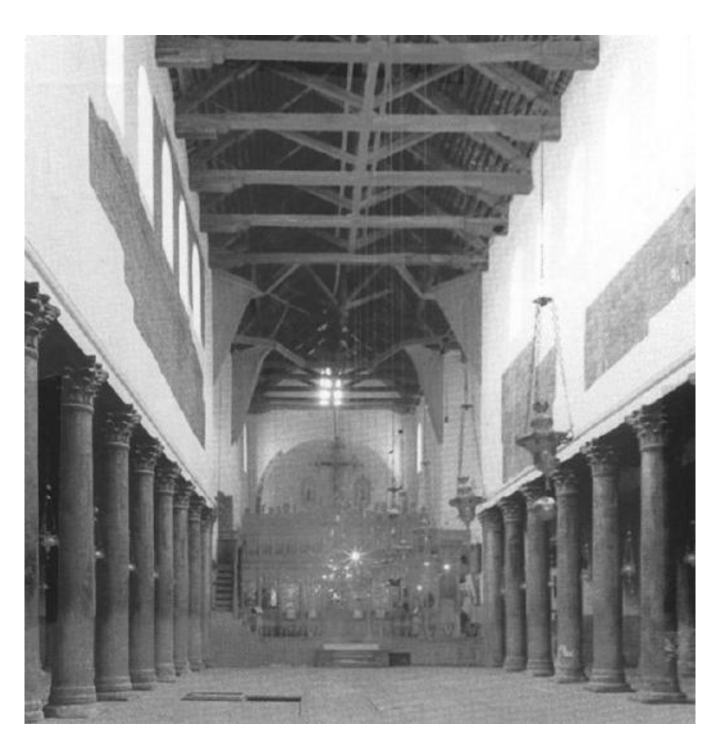
الجانب الآخر من نفس المغارة أعلاه. لاحظ الحجّاج

اليهود في هذه المغارة الكبيرة الحجم!

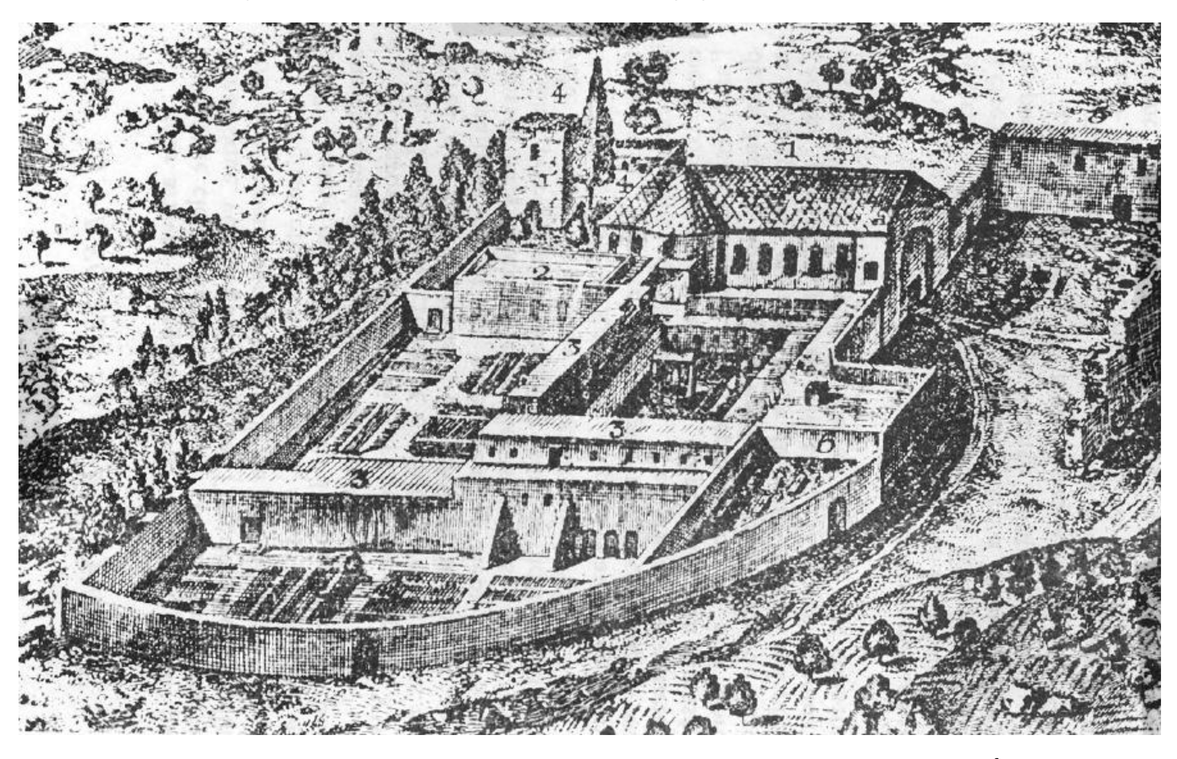


مغارة أخرى محفورة في الصخر، في السَفح الشمالي الشرقي من جبل الكرمل. تقع خلف كنيسَة قديمة تابعة لدير كرمليّ مندثر منذ فترة طويلة. لاحظ المدخل وحوض الماء أمامه. وهناك نبع، يسَمّى "النبع الأعلى"، الى يسَار الحوض.

(صور المغاور مأخوذة من كتاب "الكرمل في الأرض المقدسَة منذ القديم الى أيامنا هذه" (بالفرنسية). وضعه الأب سيلفانو جيوردانو الكرمليّ، أرانزانو، إيطاليا، 1995 – والكتاب غنيّ جداً بالوثائق والمراجع القديمة والحديثة، وبالخرائط والرسوم والصور. وقد أشرفت على إعداده وطبعه ونشره الرئاسَة العامّة للرهبانية الكرمليّة في العالم).



كنيسَة المهد الحالية من الداخل حيث نشاهد
الأعمدة القديمة ولوحات الفسَيفسَاء على الجدران.



صورة قديمة للأبنية الدينية في بيت لحم المعروفة اليوم. وقد رسَمها ل. ماير (1749-1752).
مأخوذة عن كتاب "بيت لحم" وضعته بالإيطالية المؤرّخة وعالمة الآثار ماريّا تيريزا بتروتزي –
منشورات "الأراضي المقدسة في فلسطين"، مطبعة الآباء الكبّوشيين، أورشليم، سَنة 1985.



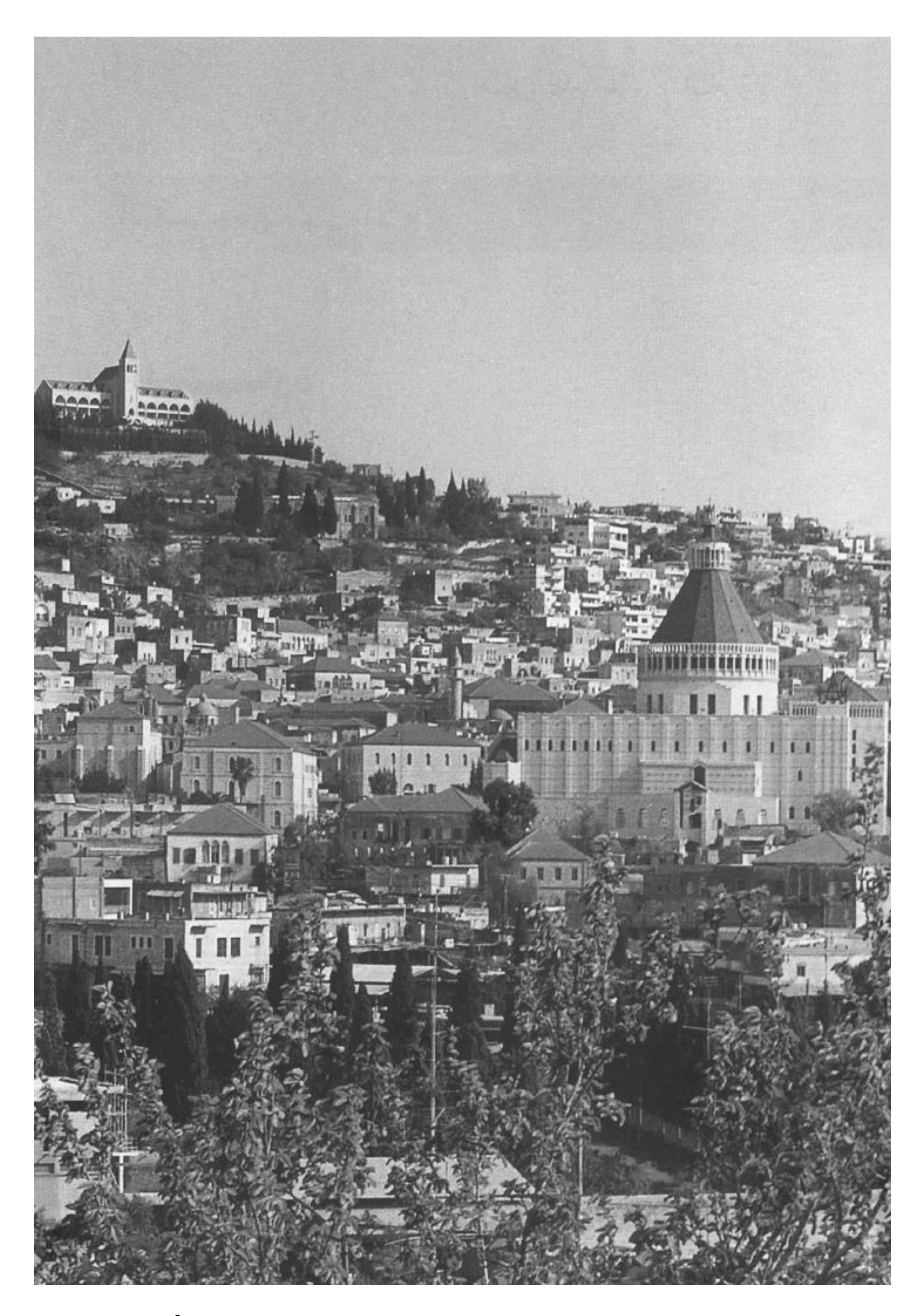
لوحة من العاج لميلاد الطفل يسوع، في كنيسَة القديس مكسيميان في الكرسي الاسقفي لمدينة رافينّا في إيطاليا. (القرن السَادس). لاحظ القابلة قرب مريم العذراء... وكأن المغارة من طبقتين: في الطبقة السفلى العذراء والقابلة، وفي الطبقة العليا يوسف والطفل يسوع والبقرة والحمار... (مجلّة "عالم البيبليا"، عدد آب أيلول تشرين الأول 1983)



منظر لجانب من بيت لحم اليهوديّة. كنيسة المهد من الخارج: نشاهد الباب الصغير الذي منه
ندخل الى الكنيسة والى مغارة المهد.



منظر لجانب آخر من مدينة بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم.



منظر لجانب من مدينة الناصرة في الجليل، في أيامنا هذه.

القسم الرابع

المسيح ولد في لبنان

لا في اليهوديّة

الفصل الأول

المسيح لم يولد في بيت لحم اليهوديّة
بل في مغارة بالقرب من بيت لحم الجليل
والمغارة كانت في أرض فينيقية – لبنان!

-أولاً- سفر يوسف ومريم وهي حبلى من الناصرة الى بيت لحم اليهودية؟!

-قبيل الميلاد-

جاء في رواية ميلاد يسوع المسيح، بحسب لوقا، ما يلي: "وفي تلك الأيام، صدر أمر عن القيصر أوغسطس بإحصاء جميع أهل المعمور. وجرى هذا الإحصاء الأول إذ كان قيرينيوس حاكم سوريّة. فذهب جميع الناس ليكتتب كلّ واحد في مدينته. وصعد يوسف أيضاً من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود التي يقال لها بيت لحم، فقد كان من بيت داود وعشيرته، ليكتتب هو ومريم خطيبته وكانت حاملاً. وبينما هما فيها حان وقت ولادتها، فولدت ابنها البكر، فقمّطته وأضجعته في مزود لأنه لم يكن لهما موضع في المضافة..." (لوقا 2: 1-7)

نعرض أولاً التعليقات والشروحات التي توردها النسخة الكاثوليكية الجديدة التي اعتمدنا عليها، بنوع خاص، في هذه الدراسَة. فقد جاء في "مدخل" إنجيل لوقا ما يلي:

"... وهكذا عرّف لوقا نفسَه على طريقة المؤرخين، كما أنه اتّبع عاداتهم في تلك الأيام (3: 1-2)، ولكن التاريخ الذي أراد أن يرويه "تاريخ مقدّس"... فجوهر قصده هو الدلالة على معنى الأحداث عند المؤمن المستنير بسرّ الفصح وحياة الكنيسَة... كما أننا نجد مثلاً في رواية رحلة يسوع الى أورشليم (9: 51؛ 19: 28) تقطيعاً شكلياً محضاً لا تربط بين أجزائها الثلاثة أية صلة جغرافية، والرحلة لا تخضع لتخطيط مكانيّ... ولوقا يميّز بين زمن يسوع وزمن الكنيسَة، والغاية من هذا التمييز هي تسليط الأضواء على مراحل العمل الإلهيّ في التاريخ... وكتابه موجه خاصة الى مسيحيّين ذوي ثقافية يونانية. ويبدو أن المؤلف نفسَه ينتمي الى العالم الهلّنسَتي بلغتهِ وبعدد من الميزات الأخرى... وغالباً ما تبين للنقّاد

عدم معرفته لجغرافية فلسطين ولكثير من عادات هذا البلد..."! (المدخل الى انجيل لوقا ص 179-185). وفيما يخصّ الأحداث التي سَبقت الميلاد مباشرة "كصدور الأمر عن أوغسطس قيصر بإحصاء جميع أهل المعمور"، وعملية الإحصاء نفسَها التي "جرت اذ كان قيرينيوس حاكم سورية..."، فقد تحدثنا عنها بالتفصيل سَابقاً، وحدّدنا زمانها تاريخياً (راجع الفصل الخاص برواية الميلاد بحسَب لوقا). نذكّر فقط بأنه لم يكن هناك إحصاء زمن الميلاد... بل حصل إحصاء قبل الميلاد بفترة من الزمن او بعده...

ويتابع لوقا روايته عن الميلاد فيقول: "وصعد يوسف أيضاً من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود التي يقال لها بيت لحم، فقد كان من بيت لحم وعشيرته، ليكتتب هو ومريم خطيبته، وكانت حاملاً. وبينما هما فيها حان وقت ولادتها، فولدت ابنها البكر، فقمّطته وأضجعته في مزود لأنه لم يكن لهما موضع في المضافة..." (لوقا 2: 4-7).

أمّا تحديد يوم ميلاد يسوع المسيح فأمرٌ لم يُبتّ فيه بشكل قاطع ونهائي حتى اليوم. هناك تقاليد مسيحية شرقية – وبعضها باق الى اليوم – حدّدت يوم ميلاده في السَادس من شهر كانون الثاني. وهناك تقاليد شرقية أخرى، تحدّد الميلاد، بحسَب بعض آباء الكنيسَة، في تواريخ أخرى في الشتاء وفي بدايات الربيع. أمّا تحديد يوم 25 كانون الأول يوم ولادة يسوع المسيح فيرجع الى القرن الخامس بعد الميلاد. والسَبب في ذلك يعود الى أن يوم 25 كانون الأول كان في الشرق القديم عيد "الشمس"، عيد النور، "عيد ميترا" وعيد انتصار الضوء على الظلام والليل. وكان عيداً شعبياً كبيراً، ذا مسحة فلكية كونيّة، تعمّ فيه الاحتفالات والأفراح. والكنيسَة رأت في يسوع المسيح الشمس الجديدة (وهو القائل: "أنا نور العالم") والنُور الحقيقي الذي يسَيطر على الجهل والشر والخطيئة ويحقق الخلاص للبشرية جمعاء، فَقرّرت أن تعيّن يوم 25 كانون الاول عيد ميلاد يسوع المسيح. وهكذا كان. وقد غطّى الميلاد الجديد عيد الشمس القديم... (فيما يخصّ تواريخ حياة المسيح والاعياد المسيحية وما اليها، راجع خاصة: سَ. ريناخ "الطقوس والميتولوجيا والديانات"، الجزء الثالث، الفصل 18 وما يليه).

أمّا في أيّ وقت بالضبط ولد يسوع المسيح: في عهد أي ملك أو حاكم أو أمير ولد؟ فهناك تباين تاريخيّ واضح بين الانجيل وبين الدقة التاريخية الموضوعية. فقد جاء في إنجيل متى (2: 1) ما يلي: "ولمّا ولد يسوع في بيت لحم اليهودية، في أيام الملك هيرودس...". وهكذا التقليد المسيحيّ الشعبي العام المستمر حتى اليوم، المستند الى نصّ متى هذا... غير أنه بعد النقد التاريخي المعاصر،

فقد تبيّن ان يسوع المسيح لم يولد، في الحقيقة، أيام هيرودس الملك (الكبير) لأن هذا كان قد مات قبل ميلاد المسيح بأربع سَنوات، وكان ملكاً على اليهودية والجليل، بل ولد المسيح أيام هيرودس أنتيباس ابن هيرودس الملك (الكبير)، وأمير الربع في الجليل، ولم يكن ملكاً، في حين كان أرخيلاوس والياً على اليهودية.

وفي هذا الموضوع تقول "النسخة الجديدة": "... وفي السَنة 40 ق.م. عين مجلس الشيوخ الروماني هيرودس الكبير ملكاً على اليهودية... وتوفي في السَنة الرابعة قبل المسيح..." (متى 2: 1 الحاشية رقم 1، ص 38). وفي مكان آخر، تقول النسخة الجديدة، حول الموضُوع نفسَه: "حكم هيرودس أنتيباس الجليل من السَنة الرابعة قبل المسيح الى السَنة التاسعة والثلاثين بعده. ويسَمّى "أمير الربع" للتمييز بينه وبين أبيه الملك هيرودس الكبير". (لوقا 3: 1، الحاشية رقم 3، ص 198). كل هذ1 يدل بوضوح تام الى أن الأناجيل المقدسة ليسَت كتباً تاريخية وجغرافية بالمفهوم الحصري الحديث لكلمتي "تاريخ" و"جغرافية"... (ونحن نكرّر ذلك، عن قصد، في هذه الدراسَة، لأن الموضوع يتعلّقُ، تاريخياً وجغرافياً، بمفاهيم خاطئة متراكمة وموروثة مرّ عليها ألفا سَنة...!)

أمّا قصة ذهاب – أو سَفر يوسف الطويل والشاق – من الناصرة في الجليل الى بيت لحم في اليهوديّة، مع مريم وهي حامل، فلنا فيها – ولغيرنا أيضاً – كلام كثير... نبدأ أولاً من نقطة الانطلاق، نقطة انطلاق يوسف في سَفره هذا: أي من الناصرة. لقد رأينا سَابقاً، وبشيء من التفصيل، أن هناك تبايناً صارخاً جداً، من الناحيتين التاريخية والجغرافية، حول الزمن الذي سَكنت فيه العائلة المقدسَة في الناصرة. فقد جاء في نص متى بالحرف الواحد ما يلي: "وما ان توفي هيرودس حتى تراءى ملاك الرب في الحلم ليوسف في مصر وقال له: قم فخذ الطفل وأمه واذهب الى أرض إسرائيل، فقد مات من كان يريد إهلاك الطفل. فقام فأخذ الطفل وأمه ودخل أرض إسرائيل. لكنه سَمع أن أرخلاّوس خلف أباه هيرودس على اليهوديّة، فخاف أن يذهب إليها. فأوحي إليه في الحلم، فلجأ الى ناحية الجليل. وجاء مدينة يقال لها الناصرة فسَكن فيها، ليتمّ ما قيل على لسَان الأنبياء: إنه يدعى ناصرياً..." (متى 2: 19-23). إذاً، بحسَب رواية متى، سَكنت العائلة المقدسَة الناصرة بعد رجوعها من مصر. وهذا أمر واضح وجليّ جداً، بحسَب النص نفسَه. أمّا لوقا، من جهته، فيقول: "وفي الشهر السَادس (لحبل اليصابات بيوحنا)، أرسَل الله الملاك جبرائيل الى مدينة في الجليل اسمها الناصرة، الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف، واسم العذراء مريم"... (لوقا 1: 26-27). ثم يقول لوقا في نصّ آخر، وهو النصّ الذي نحن

بصدده الآن: "وصعد يوسف أيضاً من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود ليكتتب هو ومريم خطيبته وكانت حاملاً"... (لوقا 2: 4-5). يظهر بشكل واضح في نصَّي لوقا هذين، أولاً أن مريم كانت تسكن في الناصرة حين بشّرها الملاك جبرائيل، وثانياً أن يوسف ذهب من الناصرة ليكتتب هو ومريم خطيبته، وهذا يعني أنهما كانا يسكنان في الناصرة قبل الميلاد. وهكذا، يكون التباين صارخاً جداً بين متى ولوقا، من الناحيتين التاريخية والجغرافية، حول زمن سَكن العائلة المقدسَة في الناصرة. وقد رأينا سَابقاً أن كبار شارحي ومفسِّري الأناجيل اليوم لم يتوصلوا الى بتّ هذا الموضوع بالذات...! مع أن الناصرة، كما تأكد اليوم، لم تكن موجودة، أيام يوسف ومريم...

يتابع لوقا فيقول: "صعد يوسف من الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود التي يقال لها بيت لحم...". وإذا راجعنا جميع أسفار العهد القديم، لا نجد أبداً، ولا مرّة واحدة، أن بيت لحم هي مدينة داود، بل إن أورشليم وحدها كانت تدعى مدينة داود، دائماً وأبداً. وهذا ما تقوله، بالحرف الواحد، النسخة الجديدة، في تعليقها على هذا النصّ بالذات: "في العهد القديم، تدل مدينة داود دائماً على أورشليم وحدها (صموئيل الثاني 5: 7 و9؛ 6: 10، وسَفر أشعيا 22: 9، وغيرها..." ص 194، الحاشية رقم 6). لماذا إذاً سَمّى لوقا بيت لحم اليهودية مدينة داود؟! فهي لم تكن تسَمّى كذلك أبداً.

أما عبارة "وكان يوسف من بيت داود وعشيرته" فهي من قبيل النسبة التقوية، ومحاولة من قبل المسيحيّين المتهوّدين لربط يوسف وبالتالي مريم ويسوع بذرية داود وسلالته... والقصد من ذلك كلّه أقناع اليهود أن يسوع المسيح، ابن يوسف ومريم، هو المسيح الذي كان اليهود ينتظرونه... ولقد سَبق وقلنا أكثر مرة، وبالتفصيل، أن يوسف ومريم ويسوع ليسَت لهم أية علاقة، لا من قريب ولا من بعيد، بذرّية داود أو نسَبه أو سلالته... (راجع الفصول الخاصة بأهل يسوع وأقاربه، ويسوع وذرّية داود، وغيرها...).

ونصل الآن الى السَفَرِ عينه، ذلك السَفر المزعوم، الطويل والشاق، العجيب والغريب، الذي قام به يوسف، مع خطيبته مريم وهي حامل...، من ناصرة الجليل في شمال فلسطين الى بيت لحم اليهودية في الجنوب، قاطعاً مسَافات طويلة جداً من الجبال والتلال والهضاب، من الوديان والصرود والطلعات والسهول...! انه، في الحقيقة، سَفر طويل شاق ومضن، يقرب الى الخيال والاسطورة أكثر منه الى الواقع الممكن والمنطقي والمعقول. والبراهين على ذلك عديدة ومتنوّعة. واليك أهمها:

تجدر الاشارة أولاً أن لا أحد اليوم من المؤرخين والباحثين، مسيحيّين أو غير مسيحيّين، أو من شارحي ومفسِّري الكتاب المقدس، يعتقد بإمكانية حصول هذا السَفر، نظراً للمسَافة الطويلة جداً، ومشقّة الطريق، ووعورة المسَالك، وكثرة المخاطر والمطبّات، وخاصة في تلك الأيام (هذا ما تتحدث عنه بالتفصيل تواريخ تلك الحقبة) وبنوع أخص، بالنسبة الى امرأة حامل مثل مريم العذراء... لا أحد يؤمن اليوم بإمكانية هذا السَفر، من النواحي العقلية والمنطقية والواقعية، عدا عن كون الناصرة، نقطة انطلاق السَفر، لم تكن موجودة آنذاك!

-أولاً: طول المسَافة

المسَافة بين الناصرة وبيت لحم اليهودية طويلة، وطويلة جداً. وكان هناك في ذلك العهد، أمام المسَافرين من الجليل الى أورشليم فبيت لحم، طريقان عاديتان، الأولى تمرّ في وادي الأردن وهي الأطول (أكثر من 200 كيلومتر)! والثانية تمر في وسَط البلاد: السَامرة فاليهودية (ما يقارب الـ200 كيلومتر)! مع الأخذ بعين الاعتبار منعطفات وتعرّجات الدروب والمسَالك في تلك الأيام...

-أ- الطريق الأول – طريق وادي الأردن:

ينطلق المسَافر من الناصرة، ويتجه بعض الشيء الى الشمال فيصل الى جتّ حافر فغاريس. ومن غاريس يتجه شرقاً الى الشاطئ الجنوبي لبحيرة طبريّا (بحر الجليل)، مروراً بعين غنيّم، يغنيئيل وسَنابريس. ومن سَنّابريس يتجه الى الجنوب ويدخل وادي الاردن الطويل فيصل الى بيت شان، ومن بيت شان يتابع سَيره في وادي الأردن باتجاه الجنوب حتى مدينة أريحا. ومن أريحا يصعد، باتجاه الجنوب الغربي الى أورشليم. ومن أورشليم يتجه جنوباً فيمرّ ببيت كارم ويصل أخيراً الى بيت لحم اليهودية.

تمتاز هذه الطريق بمسَافتها الطويلة، وبشدة الحرّ أيام الصيف، لأنها تمرّ ببيد ونجاد شبه صحراوية. غير أنها، رغم طولها وصعوبتها، كانت الطريق التي يسلكها أكثر المسَافرين القادمين من الجليل وشمال فلسطين الى أورشليم واليهودية.

ب- الطريق الثاني – في وسَط البلاد: مروراً بالسَامرة فاليهودية.

ينطلق المسَافر من الناصرة ويتجه أولاً الى شمرون في الجنوب الغربي. ومن شمرون يتجه الى مجدّو جنوباً. ومن مجدّو الى تعناك في الجنوب الشرقي،

ومن تعناك يتابع السَير باتجاه الجنوب الى مدينة السَامرة، ثم الى سيخار، وبيت إيل، والمصفاة، والرامَة فأورشليم. ومن أورشليم يتابع المسَافر سَيره الى بيت كارم فبيت لحم اليهودية.

في أغلب الأحيان، كان جنود الرومان يسلكون هذه الطريق في تنقلاتهم بين اليهوديّة والسَامرة والجليل. أما بالنسبة الى عامة الناس، فكانت هذه الطريق صعبة المسَالك وكثيرة المطبّات والمخاطر، وفيها العديد من التعرّجات...

ثانياً – وعورة الطرق والمسَالك

إن المسَافر من ناصرة الجليل الى بيت لحم يهوذا يقوم بسَفر طويل صعب وشاق، وهو بالنسبة الى تلك الأيام سَفر شبه مستحيل بالنسبة الى امرأة حامل كمريم العذراء... سَوف يقطع المسَافر مسَاحات شاسعة جداً من الأراضي متعددة الشكل مختلفة الطبيعة... فيها الجبال والتلال والهضاب، فيها التعرّجات والوديان والصرود، فيها البيد والنجاد والصحارى الصغيرة، بالاضافة الى المطبات الكثيرة والمتنوعة، منها الطبيعي، ومنها الأمني ومنها العسكري الخ... إن القيام بهذا السَفر هو في الحقيقة، بالنسبة الى الرجال أنفسهم، أمر شاقّ جداً وخطر، ويقرب الى المغامرة الخطرة منه الى السَفر العادي. فكيف، يا ترى، يكون الأمر بالنسبة الى امرأة حامل كمريم العذراء؟! لذلك، لا يصدق أحد، في هذه الأيام، من المؤرّخين والباحثين، أو الشارحين والمفسِّرين، بأن العذراء مريم يمكن أو يعقل أن تقوم بمثل هذا السَفر الطويل الشاقّ والخَطِر، وهي حامل...

ثالثاً – صعوبة المرور بالسَامرة

كان من المعروف جداً أن مرور اليهود بالسَامرة في طريقهم الى أورشليم واليهودية، كان من الأمور الصعبة للغاية، وذلك بالنظر الى العلاقات القديمة المتبادلة من العداوة والكراهية والبغض التي كانت قائمة بين اليهود والسَامرين. وكان السَامريّون يؤذون اليهود ويمنعونهم من متابعة سَيرهم، خاصة اذا كانت غاية السَفر روحية أو وطنية. وهناك إجماع، حول هذا الأمر، عند المؤرخين على اختلاف مذاهبهم. ونجد في الانجيل نفسَه إشارات واضحة الى هذه الممانعة السَامرية. فقد جاء في انجيل لوقا: "ولمّا حانت أيام ارتفاعه، عزم على الاتجاه الى أورشليم. فأرسَل رسلاً يتقدّمونه، فذهبوا فدخلوا قرية للسَامريّين ليعدّوا العدّة لقدومهن فلم يقبله السامريون لأنه <u>كان متّجهاً الى أورشليم</u>. فلما رأى ذلك تلميذاه يعقوب ويوحنا قالا: يا ربّ، أتريد أن تأمر النار فتنزل من السَماء

وتأكلهم؟ (أي تأكل السَامريّين!). فالتفت يسوع وانتهرهما قائلاً: لستما تعلمان من أي روح أنتما، فابن الانسَان لم ياتِ ليهلك نفوس الناس، بل ليخلّصها..." (لوقا 9: 51-56)! وتعلّق النسخة الجديدة على هذا النصّ فتقول: " كان اليهود يتجنّبون الاتصال بالسَامريّين، وكانوا يكرهونهم بسَبب فسَاد أصلهم واختلاف أفكارهم الدينيّة..." (ص 226 والحاشية رقم 59). وأثناء اللقاء المعروف بين المسيح والمرأة السَامريّة، تقول هذه: "وكيف تسألني ان أسقيك وأنت يهودي وأنا امرأة سَامريّة؟ لأن اليهود لا يخالطون السَامريّين..." (يوحنا 4: 9). وتعلّق النسخة الجديدة عى هذا النصّ أيضاً، فتقول: "إن الانشقاق "السَامري" الذي نشأ عن ردّ فعل على تصلّب الاصلاح اليهوديّ التابع للجلاء، كان قد أدّى الى معارضة شديدة بين الفريقين: اليهود والسَامريّين. فكان على اليهوديّ المتديّن أن يتجنّب كل صلة بالمنجّسين (هنا السَامريّين)، وكم بالأحرى أن يتجنّب طلب طعامٍ منهم..." (ص 298 والحاشية رقم 3). ويسوع نفسَه أوصى تلاميذه الاّ يدخلوا مدينة للسَامريّين. فبعد أن يعرض متى أسماء التلاميذ الاثني عشر الذين اختارهم يسوع، يتابع قائلاً: "هؤلاء الاثنا عشر أرسَلهم يسوع وأوصاهم قال: لا تسلكوا طريقاً الى الوثنيّين ولا تدخلوا مدينة للسَامريّين..." (متى 10: 5). وتعلّق النسخة الجديدة فتقول: "كان السَامريّون من أصل خليط منذ سقوط السَامرة في السَنة 721 ق.م.، وكان لهم هيكلهم الخاص في جبل جَرِزّيم (يوحنا 4: 10). وكان عداء بينهم وبين اليهود..." (ص 64 والحاشية رقم 8). وفي العهد القديم، هناك أقوال كثيرة في السَامريّين، نكتفي هنا بقول واحد، على سَبيل المثال. جاء في سَفر يشوع بن سيراخ، ما يلي: "يقول الربّ: أمّتانِ مقتتهما نفسي، والثالثة ليسَت بأمّة: السَاكنون في جبل سَعير، الفلسطينيّون، والشعب الأحمق السَاكن في شكيم (أي السَامريّون)..." (50: 25-26 والحاشيتان رقم 7 ورقم 8). وهكذا، كان اليهود إذا أرادوا أن يشتموا أحداً يقولون له: "أنتَ سَامريّ". هكذا قالوا للمسيح. (راجع يوحنا 8: 48).

السَامرة هي القسم الوسَط من بلاد فلسطين بين جنوب الجليل وشمال اليهودية. فتحها الاشوريّون السَنة 721 قبل الميلاد، فجلوا أهلها وأسكنوا فيها شعباً غريباً، أخذ عن اليهود شريعة موسَى وعَبد الله، ولكنه بنى هيكلاً على جبل جرِزّيم في السَامرة (يوحنا 4: 20). فأنكره اليهود واستحكم الخلاف طويلاً بينهم وتمكّنت العداوة بين الشعبين فلم يخالط بعضهم بعضاً. وكان السَامريّ في نظر اليهود هو مثال الانسان الذي انفصل عن "الشعب المختار" والذي يخضع للتأثيرات الفاسدة... لذلك قال اليهود للمسيح: "ألسنا على صواب في قولنا إنك سَامريّ، وإن بك مسّاً من الشيطان...؟" (يوحنا 8: 48). واذا أرادوا أن يشتموا أحداً من الناس يقولون له بسخرية وغضب: "أنت سَامري"... وكان السَامريّون

يؤذون اليهود اذا مرّوا من عندهم ليذهبوا الى أورشليم... وكان اليهود يعتبرون السَامريّين منجّسين... الخ...

فاذا كانت هذه حال السَامرة والسَامريّين بالنسبة الى اليهود المسَافرين الى أورشليم واليهودية، فكيف خاطر يوسف ومريم وهي حامل...، ودخلا السَامرة وقطعاها بطولها من الشمال الى الجنوب دون أن يحصل لهما أي مكروه؟! وفي الحقيقة، هل كان هذا السَفر، والحالة هذه، سَفراً ممكناً ومنطقياً ومعقولاً؟ هذا إذا حصل. ولكنه لم يحصل...

رابعاً – مطبّات الطرق الوعرة

بالإضافة الى طول المسَافة ووعورة المسَالك وممانعة السَامريّين، كان المسَافرون من الجليل الى اليهودية يتعرّضون، خاصة أثناء الليل وفي المسَالك الموحشة، لمطبّات عديدة ومختلفة. منها كثرة اللصوص والمجرمين وقطّاعي الطرق والهاربين من وجه العدالة، ومنها جنود الرومان والمرتزقة الغرباء العائثين فسَاداً في البراري والصحاري. وكان اغتصاب النسَاء والسَلب والنهب والتعديات على أنواعها من الأمور العاديّة واليومية. أضف الى ذلك كلّه المطبّات المتأتية من طبيعة الطقس وتقلّباته: كالبرد القارس وسقوط الثلج في الشتاء، أو الحرّ الشديد في الصيف خاصة في وادي الأردن في الطريق التي غالباً ما كان يسلكها هؤلاء المسَافرون. زد على ذلك عدد الأنهر والجداول، منها الشتوي ومنها الدائم، التي تعترض مسَالك المسَافرين...

نجد مثل هذه التفاصيل في كتب التاريخ القديمة أمثال يوسيفوس المؤرّخ ("حروب اليهود" – الكتاب الثالث، الفصل الثالث)، وفي التواريخ الحديثة، أمثال دانيال روبس ("يسوع في زمانه" ص 100 +)، وغيرها... (راجع أيضاً: الخرائط القديمة والحديثة، مع الشروح والتفسيرات التي تتضمّنها. على سَبيل المثال: "إسرائيل في زمن المسيح" – خريطة تاريخية (كورزين)، الترجمة الفرنسية للأب فنسَان مورا الراهب البندكتي، طبعت في إسرائيل، سَنة 1992 – منشورات كورزين، روش بينا، إسرائيل..)

يقول المؤرخ يوسيفوس في الأحوال الأمنية في فلسطين قبيل الميلاد ما يلي: "في السَنوات القليلة التي سَبقت الميلاد، كانت الفتن والاضطرابات قد امتدت الى سَائر مناطق فلسطين. وكان كلّ إنسَان يعمل ما يحلو له. وكانت اليهوديّة مليئة بالزمر الخارجة على القانون من مرتزقة غرباء وقطاع طرق وخارجين على القانون ومجرمين ولصوص الخ... واذا سَيطرت جماعة ما في منطقة ما نصّبت

عليها ملكاً... ومع ان هؤلاء الملوك الصغار لم يكوّنوا مشكلة تذكر أمام السلطات الرومانية، فانهم دون شك كانوا سَبباً مباشراً لازدياد الخلافات والانشقاقات بين الشعب وتأزيم الأحوال الأمنية في تلك المناطق..." (راجع كتاب جيرار مورديّات وجيروم بريّور "ملك اليهود"، منشورات آرتى، بالفرنسية، 1997، ص 26).

والباحث جوزيف كلوسَنر، في كتابه "يسوع الناصري"، يقول في الأحوال الأمنية في الجليل، في السَنوات القليلة السابقة على الميلاد، ما يلي: "... وهكذا أصبح الجليل بفضل طبيعته الجبلية ومغاوره العديدة مركزاً هامّاً للمتعلّقين جداً بأرضهم، للثوريين الوطنيّين والمثاليّين... وفي منطقة صيفوريس الى الغرب من الناصرة، حيث ولد يسوع، جمع يهوذا الجليلي جيشاً من الرجال الوطنيّين المتطرفين، وقام بمهاجمة خزائن أسلحة ودخائر الدولةووزعها على أنصاره. كما وضع يده على ممتلكات وأموال الدولة في بعض مناطق الجليل. بعد ذلك قام باضطهاد ومحاربة كلّ من لم يؤيد أفكاره وأهدافه من يهود "وأمم"... وكما يحصل دوماً في مثل هكذا ثورة وعصيان، لم يميّز يهوذا الجليليّ تماماً بين صديق وعدو، بين مسَالم وخائن... فنشر الخوف والرعب في كل أنحاء الجليل..." (المرجع السَابق، ص 26-27). إن العصيان الذي تزعّمه "يهوذا الجليلي" ورد ذكره أيضاً عند المؤرخ يوسيفوس، ولقد نتج عن الاحصاء مباشرة... (4 ق. أو 6 ب.م.؟) وكان هذا العصيان منطلقاً لحركة "الغيورين"، علماً بأن هذه الحركة لم تفشل. ومعروف أن واحداً، على الأقل، من رسل المسيح كان من "الغيورين" وهو سمعان "الغيور"... والملفت في كلام الباحث جوزيف كلوسنر قوله: "الى الغرب من الناصرة حيث ولد يسوع...". فهو يعترف بأن يسوع ولد في الناصرة، في الجليل، وليسَ في بيت لحم اليهودية. وهناك بعض الباحثين من قدماء ومعاصرين يقولون القول نفسَه. وقد ورد ذكر عصيان "يهوذا الجليلي" هذا في أعمال الرسل (5: 37) حيث جاء: "وبعد ذلك قام يهوذا الجليلي أيام الإحصاء، فاستدرج قوماً الى اتّباعه فهلك هو أيضاً وتشتّت جميع الذين انقادوا له...".

فإذا كانت هذه هي الحال في الجليل وسَائر مناطق فلسطين من توتر وعصيان وغليان، فكيف يعقل ان تقوم امرأة حامل بمثل هذا السَفر الطويل والشاق والمليء بالمطبّات، وخاصة أنه لم يكن هناك من ضرورة ماسّة للقيام بمثل هكذا سَفر...؟!

خامساً – يستحيل على امرأة حامل... (مثل مريم العذراء) أن تقوم، بوسَائل تلك الأيام، بمثل هذا السَفر الطويل والكثير المصاعب والمشقّات والمطبّات الخ...

وهكذا، إذا أخذنا بعين الاعتبار كل ما سَبق وتحدثنا عنه: من طول المسَافة بين الناصرة في الجليل وبيت لحم في اليهودية، ووعورة الطرق والمسَالك، وصعوبة المرور بالسَامرة ومطبّات الطرق الوعرة والموحشة على أنواعها...، يتبيّن لنا ولكل انسَان عاديّ عاقل وطبيعي أنه من المتعذّر لا بل من المستحيل على امرأة حامل، مثل مريم العذراء، أن تقوم بوسَائل تلك الأيام (على الحمار أو على الحصان أو مشياً على الأقدام...!)، بمثل هذا السَفر الطويل والكثير المصاعب والمشقّات والمطبّات على أنواعها. مع العلم أنها كانت امرأة حاملاً عادية فقيرة وليسَ لها نفوذ سياسي أو عسكري حتى يمكن مسَاعدتها. كيف قامت بهذا السَفر؟ بأي طريقة أو وسيلة؟ كيف تمّ هذا السَفر، هكذا، وبكل بسَاطة؟ الا يصعب تصديق هذا السَفر العجيب الغريب أبداً على عقل انسَان طبيعي عاقل وعادي؟ أليسَ هذا السَفر أقرب الى السَفر الغرائبي العجائبي أو الملحمي الاسطوري؟ وهذا النوع من السَفر يذكّرنا بالتفسير الذي تقدمه بعض الأناجيل المنحولة الأكثر حداثة. وهي الى كونها لم تقتنع بحصول هذا السَفر، بشكل عادي طبيعي، تقول: "لقد وصل يوسف ومريم الحامل الى بيت لحم اليهودية، بطريقة عجائبية، بمدّة سَاعتين فقط"!!؟ أجل! من الناصرة الى بيت لحم في الجنوب بمدّة سَاعتين من الزمن فقط لا غير؟ ولكن بطريقة عجائبية! مع أن الأناجيل المنحولة الأولى والقديمة (إنجيل يعقوب القديم بشكل خاص) تقول صراحة ان المسيح ولد في مغارة بالقرب من بيت لحم الجليل الشمالية وليسَ قرب بيت لحم الجنوب في اليهودية، وان يوسف، في اليوم التالي لولادة يسوع، قصد الذهاب الى أرض اليهودية...! (راجع إنجيل يعقوب القديم 20، 21). هكذا، وبالحرف الواحد: "إن يوسف، في اليوم التالي لولادة يسوع، قرّر الذهاب الى أرض اليهودية..."! فاذا قرّر الذهاب الى أرض اليهودية، في اليوم التالي لولادة يسوع، فهذا يعني بكل بسَاطة ووضوح أن الولادة قد حصلت في الجليل وليسَ في اليهودية. وإن بيت لحم المقصودة، التي في مغارة بقربها ولد المسيح، هي بيت لحم الجليل في الشمال، وليسَ، طبعاً، بيت لحم اليهودية في الجنوب.. فاذا كانت الولادة قد حصلت فعلاً في اليهودية، وكان يوسف بالتالي في اليهودية، فكيف يعقل أن يقصد يوسف الذهاب الى اليهودية، في اليوم التالي للولادة؟ هل من جواب على هذا السؤال؟ وهل هذا أمر طبيعي وممكن ومعقول؟!...

خلاصة القول، إن هذا السَفر المزعوم، وقت الميلاد، الذي قام به يوسف مع مريم وهي حامل، من الناصرة في شمال فلسطين الى بيت لحم اليهودية في الجنوب، هذا السَفر لم يحصل. وذلك لأسباب عديدة. منها ما ذكرناه في الفقرات السَابقة، وقد رأينا فيها أن هذا السَفر يتناقض تماماً مع أبسَط قواعد الحقيقة والواقع والممكن والمنطقي والمعقول معاً. ومنها أنه لم يكن هناك، في الحقيقة، من إحصاء أو اكتتاب وقت الميلاد، فقد ثبت من الناحية التاريخية أن الاكتتاب هذا قد حصل قبل الميلاد أو بعده بفترة من الزمن. ولنفرض أنه كان هناك اكتتاب وقت الميلاد، فانه لم يكن هناك من داعٍ أبداً أن يصطحب يوسف مريم خطيبته من أجل الاكتتاب. أضف الى ذلك أنها كانت حاملاً، وان السَفر كان طويلاً وشاقاً كما رأينا. لم يكن هناك وقت الميلاد لا اكتتاب ولا سَفر! أضف الى ذلك كلّه، أن الناصرة لم تكن موجودة أيام يوسف حتى يقوم بهذا السَفر – إنطلاقاً من الناصرة.

بعد كل ذلك، لماذا كلّ هذا الإصرار على هذا السَفر الاسطوري؟ لماذا هذا التَعّنُّت بالسَير قدماً في التيار المعاكس للتاريخ والجغرافية، للحقيقة والواقع، للمنطقي والممكن والمعقول؟ لماذا حصل كلّ ذلك؟ لماذا؟ الجواب بسيط وجارح. لقد حصل كل ذلك إرضاءً لليهود، بغية ربط يسوع المسيح بذرية داود وسلالته، من خلال يوسف والده : "الذي كان من بيت داود وعشيرته"، وهكذا يجعلون المسيح يولد في بيت لحم اليهودية لأنها مدينة داود. أما في الحقيقة، فقد تبين لنا: أولاً: أن ليسَ هناك، على الاطلاق، أي علاقة نسَب أو ذرية أو قرابة، من أي نوع كان، بين يسوع المسيح واليهود! ثانياً: أن يوسف والد يسوع لم يكن لا من بيت داود ولا من عشيرته. فهو لا يرتبط بأي علاقة نسَب أو ذرية أو قرابة مع اليهود. وينطبق هذا تماماً على خطيبته مريم العذراء... ثالثاً: لم تكن بيت لحم اليهودية ابداً مدينة داود...، بل أورشليم هي التي كانت دوماً، وحدها، "مدينة داود"، وذلك بشهادة الكتاب المقدس نفسَه، أكثر من مرّة...، كما بيّنا آنفاً. أجل! لماذا كل هذا التحايل على التاريخ والجغرافية، على الحقيقة والواقع، على الممكن والمنطقي والمعقول، حتى على بعض آيات ونبؤات الكتاب نفسَه، لماذا كل هذا التحايل المقصود من قبل بعض النسّاخ المتهوّدين؟ لماذا كل ذلك؟ وهناك بيت لحم أخرى، في الجليل نفسَه، قريبة جداً من الناصرة نقطة انطلاق "سَفر يوسف ومريم الحامل"، على بعد كيلومترات قليلة... هذا في حال كون الناصرة كانت موجودة (وهي لم تكن موجودة)، وفي حال كون يوسف قد انطلق من الناصرة (وهو لم ينطلق منها لأنها لم تكن موجودة بعد). لماذا التفتيش عن بيت لحم أخرى، على بعد مسَافات شاسعة جداً، وهناك بيت لحم الحقيقية على مسَافة قريبة جداً، وعلى رمية حجر؟ لماذا هذا السَفر الاسطوري وهناك

بجوار الناصرة، محل إقامة يوسف ومريم، مدينة تسَمّى بيت لحم أيضاً، وهي من جهة ثانية قريبة جداً من جبل الكرمل حيث كان يوسف ومريم يقيمان في ديره الكبير فترة من الزمن. وفي مغارة في سَفح جبل الكرمل الشمالي الشرقي، وبالقرب من مدينة بيت لحم الجليل، هذه، "أفراته"، سوف يولد يسوع المسيح. وهذا ما يتوافق مع آيات ونبؤات أسفار العهد القديم من جهة، ومع الواقع التاريخي والجغرافي والممكن والمعقول من جهة ثانية.

واليوم، لا أحد يصدّق بحصول هذا السَفر بين الناصرة في الشمال وبيت لحم في الجنوب. غير أن البعض ينطلق من عدم إمكانية حصول هذا السَفر ويذهب بعيداً في الاستنتاج فيقول، مع الأسَف الشديد، أن رواية الميلاد هي رواية اسطورية... كلا! فرواية الميلاد ليسَت رواية اسطورية على الاطلاق. إنها رواية حقيقية واقعية حصلت فعلاً في الزمان والمكان. غير أن كاتب هذه الرواية كان همه الأسَاسي أن يركّز فقط على الحدث التاريخي الخارق الا وهو تجسّد ابن الله وصيرورته انسَاناً مثلنا. امّا التفاصيل التاريخية والجغرافية فلم يركّز عليها ولم يهتم بها كثيراً، فهي ثانوية جداً بالنسبة اليه. وهو، على كل حال، لم يقصد وضع كتاب تاريخي بالمعنى الحصريّ لكلمة "تاريخ"، بحسَب مفهومنا العصريّ اليوم. أجل! وللمرة الألف، إن الأناجيل المقدسة ليسَت كتباً "تاريخية"...

الأسفار الطويلة المزعومة الأربعة، التي قامت بها تباعاً مريم العذراء، ذهاباً وإياباً، من الناصرة في الجليل، في شمالي فلسطين، الى بيت لحم اليهودية في الجنوب؟!!

من أهم البراهين على كون الأناجيل المقدسة ليسَت كتباً تاريخية بحصر المعنى، هي هذه الأسفار الطويلة المزعومة التي نوضح حقيقتها الآن، والتي تذكّرنا بها رواية السَفر الطويل وقت الميلاد، بين الناصرة وبيت لحم، والتي أوضحنا حقيقتها في الفقرة السَابقة. في النصوص الكتابيّة هناك كلام واضح عن زيارات أربع هي في الحقيقة والواقع أسفار طويلة – مزعومة – أربعة، قامت بها تباعاً العذراء مريم!؟... وذلك من الناصرة في الشمال الى بيت لحم في الجنوب، إما ذهاباً وإياباً، واما ذهاباً أو إياباً.

-أ- الزيارة أو السفر (المزعوم) الأول لمريم: قبل الميلاد، "عند زيارتها نسيبتها اليصابات" وكانت وحدها وهي حامل. وذلك ذهاباً وإياباً.

قال الملاك جبرائيل في ختام بشارته لمريم العذراء: "... وها إن نسيبتك اليصابات قد حبلت هي أيضاً بابن في شيخوختها، وهذا هو الشهر السَادس لتلك التي

كانت تدعى عاقراً. فما من شيء يعجز الله. فقالت مريم: أنا أمة ارب، فليكن لي بحسَب قولك. وانصرف الملاك من عندها. وفي تلك الأيام (بعد البشارة وبعد الحبل بيسوع...) قامت مريم فمضت مسرعة الى الجبل الى مدينة في يهوذا. ودخلت بيت زكريّا، فسَلّمت على اليصابات. فلما سَمعت اليصابات سَلام مريم، ارتكض الجنين في بطنها، وامتلأت من الروح القدس، فهتفت بأعلى صوتها: مباركة أنتِ في النساء! ومباركة ثمرة بطنك! من اين لي ان تأتيني أم ربّي؟ فما إن وقع صوت سَلامك في أذنيّ حتى ارتكض الجنين ابتهاجاً في بطني. فطوبى لمن آمنت: فسَيتمّ ما بلغها من عند الربّ... وأقامت مريم عند اليصابات نحو ثلاثة أشهر، ثم عادت الى بيتها..." (لوقا 1: 36-45، 56).

يظهر جلياً من النص أن العذراء مريم، بعد ان بشّرها الملاك بفترة قصيرة، قامت بزيارة نسيبتها اليصابات المقيمة في اليهودية، "في مدينة في يهوذا". هناك شبه إجماع في تعليقات وشروحات الكتاب على أن هذه "المدينة في يهوذا" هي "قرية" عين كارم على بعد ستة كيلومترات الى الجنوب الغربي لمدينة أورشليم (كذا في النسخة الفرنسية "لتوراة أورشليم"، صفحة 1353 والحاشية رقم هـ). أمّا النسخة الكاثوليكية العربيّة الجديدة فلا تعلّق على هذه "المدينة في يهوذا"؟ لكنها تعلّق على كلمة "الجبل" في عبارة "فمضت مسرعة الى الجبل" فتقول: "الجبل: يدلّ هذا اللفظ أحياناً على أحد أقضية اليهوديّة الأحد عشر" (ص 190 الحاشية رقم 64). وهكذا يظهر، في كل حال، أن المدينة التي قصدتها مريم حيث كانت نسيبتها اليصابات، موجودة في أرض اليهودية، "في يهوذا"، وأن غالبية التقاليد الكتابية والشفهية تحدّدها بالقرب من مدينة أورشليم...

في الحقيقة، ولأول وهلة، عندما يقرأ أيّ منا، تحت عنوان: "زيارة مريم لاليصابات"، هذا النص: "وفي تلك الأيام قامت مريم فمضت مسرعة الى الجبل الى مدينة في يهوذا. ودخلت بيت زكريّا، فسَلمت على اليصابات... الخ"، عندما يقرأ أيّ منا هذا النص للوهلة الأولى يظن، بشكل بسيط وبديهيّ، أن هذه الزيارة هي زيارة بسيطة، وان اليصابات كانت مقيمة في جوار الناصرة، وأن المسَافة قصيرة، وأن قطع هذه المسَافة لم يستغرق كثيراً من الوقت. غير أن الحقيقة هي عكسَ ذلك تماماً. فقد رأينا أن المسَافة بين الناصرة ومدينة أورشليم مسَافة طويلة جداً، وأن المسَافر بين هاتين المدينتين عليه ان يقطع الجبال والتلال والوديان والسهول والبيد والصحاري، وأن يعاني كثيراً من المصاعب والمشقّات وان يتعرّض للعديد من المطبّات... (راجع الفقرة الخاصة "بسَفر يوسف ومريم وهي حامل من الناصرة الى بيت لحم اليهودية). كما يلاحظ أيضاً، في

زيارة مريم الى اليصابات، أن مريم قامت وحدها في هذا السَفر، وكانت حاملاً، وذهبت مسرعة الى الجبل... ثم عادت وحدها من منطقة أورشليم في اليهودية الى الناصرة في الجليل. وكلّها أمور ملفتة يصعب تصديقها هكذا وبكل بسَاطة. وهل من الممكن والمنطقي والمعقول أن تقوم مريم العذراء وهي صبيّة لا تتجاوز الخامسَة عشرة، وهي حامل، أن تقوم لوحدها بمثل هذا السَفر الطويل والشاق...؟ وذلك ذهاباً وإياباً؟ إنه في الحقيقة لأمر يستحيل تصديقه.

أما ما يمكن تصديقه في أمر زيارة مريم لاليصابات، فهو أن الاثنتين كانتا تقيمان في الجليل، في منطقة الناصرة وبيت لحم والكرمل القريبة الواحدة من الأخرى. وقد رأينا سَابقاً أن يسوع ووالديه وأهله وأقاربه وأنسباءه كانوا جميعاً سَاكنين في الجليل. ولم يكن له أي قريب أو نسيب في أرض اليهودية في جنوب فلسطين. كانوا كلّهم جليليّين، بكلّ ما لكلمة "جليل" من معنى: "جليل الأمم"... واذا كانت اليصابات نسيبة مريم مقيمة في الجليل – وهذه هي الحقيقة – تصبح زيارة مريم لها زيارة عادية مقبولة يسهل تصديقها بين الانسباء. وفي الحقيقة، كان زكريا واليصابات ينتميان هما أيضاً – مثل يوسف ومريم – الى الجماعات الجليلية الروحية التي تحدثنا عنها أكثر من مرة، والتي كانت تنتظر بلهفة مجيء مسيح مخلّص روحيّ شامل لجميع الناس. وقد جاء في إنجيل يعقوب القديم، وهو انجيل منحول ولكنه أقدم الأناجيل زمناً، جاء ما يلي: "وعلمت اليصابات أنهم يريدون قتل ابنها (إشارة الى مجزرة أطفال بيت لحم) فحملته وأرادت أن تخبأه في جبل قريب. وصرخت وهي تبكي: يا جبل الله المقدس اقتبل أمّاً مع طفلها الصغير. غير أن الجبل كان عالياً ولم تستطع الياصابات الوصول الى القمة..." (انجيل يعقوب القديم 22، 23، 24). يستفاد من هذا النص ومن النصوص اللاحقة، أن اليصابات كانت تقيم في الجليل، قريباً من نسيبتها مريم، وأن الجبل الذي قصدته هو جبل الكرمل المجاور... فاذا كانت اليصابات مقيمة في جوار أورشليم، كما يقول التقليد المتهوّد حتى اليوم (في عين كارم)، فلماذا تحاول ان تُخَبِّئ ابنها في جبل عالٍ؟ اين هو هذا الجبل العالي؟ وما اسمه؟ ليسَ هناك من جبل عالٍ قرب عين كارم وبيت لحم اليهودية، بل هناك جبل عالٍ فوق بيت لحم الجليل، هو جبل الكرمل...

وفي تعليقهما على زيارة مريم لاليصابات، يؤكد الابوان والشارحان الكاثوليكيان بنوا وبوامار أن عبارة "مدينة في يهوذا" في النص: "قامت مريم فمضت مسرعة الى الجبل الى مدينة في يهوذا..."، هي عبارة مُزادة مضافة الى النصّ الأول الأصليّ، وأنها من فعل النسّاخ المتأخرين الذين كان همهم إبراز دور أرض يهوذا وأورشليم وجعلها محور جميع الاحداث. وهذه العبارة تغيّرت وتشوّهت أكثر من

مرّة خلال الترجمات...! (راجع ب. بنوا و م.أ. بوامار "إزائية الأناجيل الأربعة"، المجلّد الثاني، صفحة 62، والحاشية رقم 5). وهكذا، وعلى عبارة مضافة زادها النسّاخ المتأخرون (المسيحيّون المتهوّدون)، بنيت تقاليد خاطئة، تاريخياً وجغرافياً، ظلّ المسيحيّون فيما بعد، يتوارثونها طوال قرون عديدة!!

-ب- السَفر (المزعوم) الثاني لمريم وهي حامل: زمن الميلاد، مع خطيبها يوسف، من الناصرة في الجليل الى بيت لحم في اليهودية.

لقد تحدثنا بالتفصيل عن هذا السَفر في مكانه. راجعه في باب: "سَفر يوسف ومريم وهي حامل من الناصرة الى بيت لحم اليهودية"...؟!

-ج- السَفر (المزعوم) الثالث لمريم مع يوسف ويسوع: يوم طهورهما في اليوم الأربعين بعد ولادة يسوع، ويوم تقدمة يسوع لله، وذلك من بيت لحم الى أورشليم، ثم من أورشليم الى الناصرة مدينتهم في الجليل.

جاء في انجيل لوقا (2: 22-24، 39-40) ما يلي:

"ولمّا حان يوم طهورهما بحسَب شريعة موسَى، صعدا به الى أورشليم ليقدّماه للربّ، كما كتب في شريعة الربّ من أن كلّ بكر ذكر يُنذر للربّ، وليقرّبا كما ورد في شريعة الربّ: زوجي يمام أو فرخيّ حمام... ولمّا أتمّا جميع ما تفرضه شريعة الربّ، رجعا الى الجليل الى مدينتهما الناصرة. وكان الطفل يترعرع ويشتدّ ممتلئاً حكمة. وكانت نعمة الله عليه...".

وتعلق النسخة الجديدة على هذا النص فتقول: "في بعض المخطوطات: "طهوره" أو "طهورها"... إن الشريعة الواردة في سَفر الاحبار 12: 1-8 تتناول الأم – ولذلك القراءَة الثانية..." (ص 195 والحاشية رقم 24). وسَفر الأحبار يقول في طهور الأم: "أية امرأة حبلت فولدت ذكراً تكون نجسة سَبعة أيام، كأيام طمثها تكون أيام نجاسَتها، وفي اليوم الثامن تختن قلفة المولود، وثلاثة وثلاثين يوماً تظلّ في تطهير دمها... وعند اكتمال أيام طهرها، تأتي بحمل حوليّ محرقة وبفرخ حمام أو بيمامة ذبيحة خطيئة... فان لم يكن في يدها ثمن حمل، فلتأخذ زوجي يمام أو فرخيّ حمام، أحدهما محرقة والآخر ذبيحة خطيئة، فيكفّر عنها الكاهن فتطهر..." (سَفر الأحبار 12: 1-8).

وفيما يخص تقدمة يسوع لله في الهيكل: "ليقدّماه للربّ، تقول النسخة الجديدة معلّقة وشارحة: "الترجمة اللفظية: "كلّ ذكر فاتح رحم يدعى مقدّساً للربّ". كانت هذه الشريعة تنص عن فداء البكر (سَفر الخروج 13: 13 و34: 20) وكانت تتمّ بدفع خمسَة مثاقيل فضّة في خلال الشهر التابع للولادة (سَفر العدد 18: 15-16). والملفت أن لوقا لم يذكر شيئاً عن فداء يسوع هذا..." (ص 195 والحاشية رقم 25)؟!

وهكذا، في اليوم الأربعين بعد ولادة الطفل يسوع، ذهب يوسف ومريم الى أورشليم ليقدّماه للرب... ولمّا أتمّا جميع ما تفرضه شريعة الربّ، رجعا الىالجليل الى مدينتهما الناصرة التي تركاها قبيل الميلاد وسَافرا الى بيت لحم اليهودية... غير أن هذه الأسفار المتلاحقة بعد الميلاد، من بيت لحم الى أورشليم لتقدمة الطفل يسوع الى الربّ، ومن أورشليم الى الناصرة مدينتهما في الجليل، تثير في الواقع الدهشة والعجب البالغين وتطرح العديد من المسَائل التارخية والجغرافية التي لم توجد لها حلاً حتى يومنا هذا.

<u>أولاً:</u> كيف ذهب يوسف ومريم بعد الميلاد بأربعين يوماً من بيت لحم اليهودية الى أورشليم ثم من أورشليم الى الناصرة في الجليل، هكذا بكل بسَاطة وهدوء وطمأنينة، كأن شيئاً لم يكن؟! كيف تبخّرت كل أحداث الميلاد ونتائجها الخطيرة؟ هل حدث كل ذلك في فلسطين والجليل أم في بلد آخر؟ وقدوم المجوس وسجودهم ليسوع؟ وقلق الملك هيرودس واضطراب أورشليم وتجمّع عظماء الكهنة وكتبة الشعب كلّهم حول هيرودس؟ ومجزرة بيت لحم وقتل كل طفل فيها وجميع أراضيها، من ابن سَنتين فما دون ذلك؟ أين "الصوت الذي سَمع في الرامة، بكاء ونحيب شديد، راحيل تبكي على بنيها، وقد أبت أن تتعزّى لأنهم زالوا عن الوجود..."؟ هل يعقل ان يقوم يوسف ومريم والطفل يسوع، والحالة هذه، بهذه الأسفار من بيت لحم اليهودية الى أورشليم ومن أورشليم الى الناصرة في الجليل؟ أليسَ في ذلك ما يصعب تصديقه تماماً، من الناحيتين التاريخية والجغرافية؟

<u>ثانياً:</u> بالنسبة الى السَفر نفسَه، من أورشليم في الجنوب الى الناصرة في الشمال، في الجليل، فقد رأينا سَابقاً أنه سَفر طويل وشاق جداً، وذلك بالنسبة الى طول المسَافات ووعورة الطرق والمسَالك، وصعوبة المرور بالسَامرة وكثرة المطبّات في الطرق الوعرة والنائية وتوتّر الاحوال الامنية الخ... وبالاضافة الى

ذلك كله، يجب الأخذ بعين الاعتبار، في هذا السَفر الأخير بالذات، أحوال مريم الصحية بعد أوضاع الولادة...، ودقة أحوال الطفل الرضيع وما الى ذلك... فهل يعقل، والحالة هذه، مرّة أخرى، أن يقوم يوسف ومريم والطفل يسوع بهذا السَفر الطويل والشاق؟

ثالثاً: يقول النص: "... رجعا الى الجليل الى مدينتهما الناصرة. وكان الطفل يترعرع ويشتدّ ممتلئاً حكمة، وكانت نعمة الله عليه...". فيظهر من النص بوضوح أن ناصرة الجليل هي مدينة يوسف ومريم وليسَت بيت لحم. هذا في لوقا. أما في متى فكل الدلائل والقرائن تشير الى أن يوسف هو من بيت لحم وليسَ من الناصرة. ونذكّر هنا، مرّة أخرى، بالتناقض المعروف، من الناحيتين التاريخية والجغرافية، بين متى ولوقا، في ما يخص مسقط رأس يوسف ومريم وزمن إقامة العائلة المقدسة في مدينة الناصرة. لوقا يقول: "وفي الشهر السَادس، أرسَل الله الملاك جبرائيل الى مدينة في الجليل اسمها الناصرة، الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف، واسم العذراء مريم...". يظهر بشكل جليّ من النصّ أن العذراء مريم كانت مع خطيبها يوسف في الناصرة بالذات عندما بشّرها الملاك جبرائيل بالحبل بيسوع. أما متّى، من جهته، فيقول، بعد عودة العائلة المقدسة من مصر: "...فقام فأخذ الطفل وأمّه ودخل أرض اسرائيل. لكنه سَمع أن أرخلاّوس خلف أباه هيرودس على اليهودية، فخاف أن يذهب اليها. فأوحي اليه في الحلم، فلجأ الى ناحية الجليل. وجاء مدينة يقال لها اناصرة فسَكن فيها. ليتم ما قيل على لسَان الانبياء: إنه يدعى "ناصرياً"..."؟! خلاصة القول: بحسَب متى، يفهم ان بيت لحم اليهودية هي موطن يوسف ومريم، ولم يسكنا الناصرة في الجليل الاّ بعد عودتهما من مصر. ولكن يظهر بوضوح بحسَب لوقا أن ناصرة الجليل هي موطن يوسف ومريم. والى اليوم، لم يلقَ هذا التناقض التاريخي والجغرافي أي شرح وتفسير، ولن يلقى ما دام الناس يظنون ان المسيح ولد في بيت لحم اليهودية في جنوب فلسطين. غير أن هذا التناقض يزول تماماً، وتزول معه كل التناقضات التاريخية والجغرافية الملازمة لأحداث الميلاد، اذا أقرّينا ان يسوع المسيح قد ولد فعلاً في بيت لحم الجليل القريبة جداً من الناصرة، وليسَ كما يظن الناس الى اليوم، في بيت لحم اليهوديّة جنوبي فلسطين والبعيدة جداً عن ناصرة الجليل. وهذا، مرة أخرى، ما تحاول أن تثبته بالأدلّة والبراهين والقرائن هذه الدراسة، كما تحاول أن تثبت غيره من الأمور المتلازمة، تاريخياً وجغرافياً، والمتعلقة بالمسيح وأصله وميلاده ونشأته وحياته...

وهي أمور غطّاها الطمس المقصود أو التناسي والنسيان أو الجهل الموروث أو... الخوف من إزعاج اليهود وإغضابهم!!!

-د- السَفر المزعوم الرابع لمريم، مع يوسف ويسوع، عند دخول المسيح الى هيكل أورشليم واجتماعه بالعلماء وهو في عمر الثانية عشرة، وذلك من الناصرة في الجليل الى مدينة أورشليم ذهاباً وإياباً.

جاء في إنجيل لوقا: "وكان أبواه يذهبان كل سَنة (لاحظ: كلّ سَنة!) الى أورشليم في عيد الفصح. فلما بلغ اثنتي عشرة سَنة، صعدوا إليها جرياً على السَنّة في العيد. فلما انقضت أيام العيد ورجعا، بقي الصبيّ يسوع في أورشليم، من غير أن يعلم أبواه. وكانا يظنّان أنه في القافلة، فسَارا مسيرة يوم، ثم أخذا يبحثان عنه عند الأقارب والمعارف. فلما لم يجداه، رجعا الى أورشليم يبحثان عنه. فوجداه بعد ثلاثة أيام في الهيكل، جالساً بين العلماء، يستمع اليهم ويسألهم. وكان جميع سَامعيه معجبين أشدّ الإعجاب بذكائه وجواباته. فلما أبصراه دهشا، فقالت له أمّه: يا بنيّ، لما صنعت بنا ذلك؟ فأنا وأبوك نبحث عنك متلهّفين. فقال لهما: ولما بحثتما عنّي؟ ألم تعلما أنه يجب عليّ أن أكون عند أبي؟ فلم يفهما ما قال لهما...

ثم نزل معهما، وعاد الى الناصرة، وكان طائعاً لهما. وكانت أمه تحفظ تلك الأمور كلّها في قلبها. وكان يسوع يتسَامى في الحكمة والقامة والحظوة عند الله والناس..." (لوقا 2: 41-52).

يظهر جليّاً من النصّ أن يوسف ومريم كانا يسَافران كل سَنة الى أورشليم في عيد الفصح. ومعروف لدى لوقا ان يوسف ومريم كانا يقيمان منذ البداية في الناصرة، لأن الناصرة كانت مدينتهما. إذاً هذا االسَفر الطويل هو أيضاً قد حصل من الناصرة الى أورشليم ذهاباً وإياباً. وكل الأسفار السَنوية التي تتمّ في عيد الفصح كانت تحصل دوماً من الناصرة في الجليل الى اورشليم في جنوب فلسطين. وقد رأينا كم كانت تتضمّن هذه الأسفار من صعوبات ومشقّات وأخطاء ومطبات متعددة ومختلفة وخاصة من الجليل الى اليهودية في تلك الأيام. فكم بالحري اذا كان هناك أكثر من سَفر واحد في السَنة، قامت به مريم العذراء، في غير عيد الفصح، كما رأينا في الأسفار الأربعة التي نحن في صددها الآن؟

هذه كانت الأسفار الأربعة الطويلة المزعومة التي قامت بها مريم العذراء من الناصرة الى أورشليم أو الى بيت لحم في اليهودية، ذهاباً وإياباً، أمّا لوحدها

وهي حامل! وإمّا مع يوسف وهي مشرفة على الوضع! وإما مع يوسف ويسوع. السَفر الأول، قبل الميلاد، عند زيارتها نسيبتها اليصابات، ذهاباً وإياباً، وكانت وحدها وهي حامل. السَفر الثاني، وهي مشرفة على الوضع، زمن الميلاد، مع خطيبها يوسف عند الاكتتاب... والسَفر الثالث، مع يوسف والطفل يسوع، يوم طهورهما وتقدمة يسوع الى الله في الهيكل، وذلك من بيت لحم اليهودية الى أورشليم ثم من أورشليم الى الناصرة في الجليل...! والسَفر الرابع مع يوسف ويسوع من الناصرة الى أورشليم ذهاباً وإياباً، عند دخول يسوع الى الهيكل وكان عمره 12 سَنة.

وهناك سَفر معروف جداً، بالاضافة الى الأسفار الأربعة الآنفة الذكر، وهو السَفر الطويل جداً الى مصر، ذهاباً وإياباً، الذي قامت به مريم مع يوسف والطفل يسوع. فلا بد من ذكره، على الأقل، ولو لم يدخل مباشرة في صلب دراسَتنا هذه. فقد جاء في انجيل متى ما يلي:

"وكان بعد انصرافهم (المجوس) أن تراءى ملاك الربّ ليوسف في الحلم وقال له: قم فخذ الطفل وأمّه واهرب الى مصر وأقم هناك حتى أعلمك، لأن هيرودس سَيبحث عن الطفل ليهلكه. فقام يوسف فأخذ الطفل وأمه ليلاً ولجأ الى مصر. فأقام هناك الى أن توفيّ هيرودس، ليتمّ ما قال الربّ على لسَان النبيّ: "من مصر دعوتُ ابني"... وما ان توفّي هيرودس حتى تراءى ملاك الرب في الحلم ليوسف في مصر وقال له: قم فخذ الطفل وأمّه واذهب الى أرض إسرائيل، فقد مات من كان يريد إهلاك الطفل. فقام فأخذ الطفل وأمّه ودخل أرض إسرائيل. لكنه سَمع أن أرخلاّوس خلف أباه هيرودس على اليهودية، فخاف أن يذهب اليها. فأوحي اليه في الحلم، فلجأ الى ناحية الجليل. وجاء مدينة يقال لها الناصرة فسَكن فيها، ليتمّ ما قيل على لسَان الأنبياء: إنه يدعى ناصريّاً..." (متى 2: 13-15، 19-23).

فإذا أضفنا السَفر الطويل جداً الى مصر ذهاباً وإياباً، الى الأسفار الأربعة الطويلة الآنفة الذكر، ثم أضفنا الى ذلك الأسفار التي كانت تقوم بها كل سَنة الى أورشليم في عيد الفصح، ثم أضفنا الى ذلك كله الرحلات الطويلة التي قامت بها مريم وهي ترافق ابنها أثناء رسَالته في الجليل وفينيقية واليهودية... تكون العذراء مريم، في الواقع، قد قضت كل حياتها تقريباً في الرحلات والأسفار الطويلة والشاقة! قاطعة آلاف وآلاف الكيلومترات على الأقدام أو على الحمار... تارةً لوحدها، وهي حبلى أو مشرفة على الوضع، وتارةً بعد الولادة، وتارة مع يوسف والطفل يسوع، ودائماً بالوسَائل المتواضعة المتوافرة في تلك الأزمنة. فهل كان كل ذلك ممكناً ومنطقياً ومعقولاً؟ كلاّ! في الحقيقة، أليسَ في كل ذلك ما يدعو

الى التساؤل الشديد والعجب والغرابة؟ إنها أمور يصعب لا بل يتعذّر تماماً تصديقها. إنها أقرب الى الروايات الشعبية التقوية منها الى الحقائق التاريخية الموضوعية. أمّا إذا كان هناك بيت لحم أخرى – وهي موجودة – في جوار الناصرة، واذا كانت ولادة يسوع قد تمت في بيت لحم هذه – وهذا ما حصل فعلاً – فكل تلك التساؤلات والتناقضات تتلاشى على الفور، وكل تلك الأمور والأسفار العجيبة تصبح في الحال طبيعيّة عاديّة منطقية مقبولة وسَهلة التصديق تماماً... أي أنها تصبح داخل دائرة علوم المنطق والتاريخ والجغرافية البشرية!...

ومن جهة ثانية، وبعد أن اثبتت الأبحاث والتنقيبات الآركيولوجيّة اليوم أن مدينة الناصرة لم تكن موجودة قبل القرن الثاني للميلاد، كما ذكرنا بالتفصيل سَابقاً، فإن السؤال الخطير يعود ويفرض ذاته بالحاح من جديد: كيف يمكن ان تقوم العذراء مريم بكل تلك الأسفار الطويلة جداً إنطلاقاً من الناصرة، والناصرة لم تكن موجودة بعد؟! كيف انطلقت من الناصرة الى زيارة نسيبتها اليصابات، ثم الى بيت لحم اليهودية وقت الميلاد، ثم الى أورشليم في اليوم الأربعين بعد الولادة يوم طهورهما ليقدما الطفل للربّ، ثم كلّ سَنة الى أورشليم في عيد الفصح، ثم الى أورشليم عند دخول يسوع الى الهيكل في سنّ الثانية عشرة، ثم الى مصر، كيف انطلقت اذاً من الناصرة الى كل تلك الأمكنة، كما تقول النصوص الكتابيَّة، والناصرة لم تكن موجودة بعد؟

سَوف نتحدث بالتفصيل عن كل "سّفر" من هذه "الأسفار" التي قامت بها العذراء مريم لوحدها او برفقة يوسف ويسوع، وهي في الحقيقة زيارات صغيرة وقصيرة حصلت كلّها في مناطق متجاورة في قسم محدّد من الجليل (ما عدا السَفر الى مصر... في حال حصوله فعلاً من الناحية التاريخية ؟). ذلك لأن بيت لحم الحقيقية التي ولد فيها المسيح كانت في الجليل، ولأن الهيكل الذي تكرسَت فيه العذراء مريم وأقامت فيه فترة من الزمن وتردّدت اليه مراراً كان هو أيضاً في الجليل: في جبل الكرمل بالذات! مع التذكير، مرة أخرى، أن الناصرة لم تكن موجودة قبل القرن الثاني للميلاد...

ولادة يسوع تمّت في "مغارة" بالقرب من بيت لحم الجليل.

إن التحديد الدقيق لمكان ولادة يسوع كان، وما يزال، موضوع دراسَات وآراء متعدّدة ومختلفة. وذلك عائد الى طبيعة التقاليد المسيحية القديمة من جهة، والى طبيعة النصوص الكتابية نفسَها من جهة ثانية. ماذا تقول أولاً النصوص الكتابية في المكان المحدّد الذي ولد فيه يسوع؟

جاء في انجيل متى أنه "لما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية، في أيام الملك هيرودس، إذا مجوس قدموا أورشليم من المشرق وقالوا: أين ملك اليهود الذي وُلد؟ فقد رأينا نجمه في الشرق، فجئنا لنسجد له... ودخلوا البيت فرأوا الطفل مع أمّه مريم. فجثوا له سَاجدين، ثم فتحوا حقائبهم وأهدوا اليه ذهباً وبخوراً ومرّاً..." (متى 2: 1-12)

يظهر من النص ان الطفل يسوع كان في "بيت" عندما وصل المجوس: "ودخلوا البيت" فرأوا الطفل مع أمّه مريم...". غير أن النصّ يورد عبارة "البيت"، بشكل عام، دون الاشارة الى طبيعة هذا البيت، أو مكانه او حجمه أو شكله، أو أية صفة من صفات هذا البيت...

أمّا لوقا، من جهته، فيقول: "وبينما هما (يوسف ومريم) في بيت لحم حان وقت ولادتها، فولدت ابنها البكر، فقمّطته وأضجعته في مزود لأنه لم يكن لهما موضع في المضافة..." (لوقا 2: 6-7). النص يقول: "في مزود"، وليسَ في بيت أو في فندق أو مضافة أو غرفة، كما أنه لم يحدّد بوضوح طبيعة هذا المزود أو مكانه وموضعه.

لماذا إذاً يسود الاعتقاد في العالم المسيحيّ، وبشكل شامل وقاطع، أن يسوع ولد في "مغارة"، مع أن النصوص الكتابية لا تذكر عبارة "مغارة"، بل "في البيت" أو في "مزود"؟ للاجابة على هذا السؤال يجدر بنا الرجوع الى التقليد المسيحي القديم. ففي المجمع المسكوني الذي انعقد في "نيقية" سَنة 325 بعد الميلاد، تقدّم الاسقف أوسابيوس القيصريّ (قيصرية فلسطين على المتوسط)، أول مؤرّخ للكنيسة، ببيان طويل أوضح فيه أمام آباء المجمع ان يسوع المسيح ولد في مغارة، وطلب إليهم إقرار هذه الحقيقة وإعلانها. وهكذا كان. ويظهر أن أوسَابيوس كان على علم بالتقاليد المسيحية القديمة حول مكان ولادة يسوع، فدوّنها ونقلها الى آباء المجمع.

واليوم أصبح من الثابت أن التقليد الذي يقول إن المسيح ولد في "مغارة" هو تقليد قديم جداً ويعود على الأقل الى أواسط القرن الثاني بعد الميلاد. وإن أول

من كتب يقول إن يسوع المسيح ولد في "مغارة" هو القديس جوستين تلميذ الرسل. وقد ورد ذلك في كِتَابِهِ "المحاورات" (70: 2 و78: 4، 5، 6) الذي وضعه سَنة 150 بعد الميلاد. وقد قال القول ذاته العديد من كبار آباء الكنيسة الأولين أمثال ترتليانوس (200 ب.م.) والقديس إيرونيموس (375 ب.م.) وغيرهما. وقد أجمعوا على أن المسيح ولد في "مغارة". كذلك الاناجيل المنحولة والعديد من الكتبة المسيحيّين الاولين. فقد جاء مثلاً في "إنجيل يعقوب القديم" ما يلي: "ووجد هناك يوسف مغارة فأدخل إليها مريم خطيبته التي أوشكت على الوضع... وإذا بغمامة تملأ المغارة لفترة من الزمن، ثم انزاحت الغمامة وحلّ محلها نور سَاطع يبهر العيون..." (إنجيل يعقوب القديم: 18، 19)

ومن جهة ثانية، وتمشياً مع التقليد القائل بأن يسوع ولد في مغارة، فان البازيليك التي شيدها الملك قسطنطين الكبير عام 326 في بيت لحم (اليهودية)، شيّدها فوق مغارة كما هو ظاهر حتى اليوم، مع العلم أن هذه البازيليك قد رمّمت أكثر من مرّة. وكانت القديسة هيلانة والدة قسطنطين قد زارت الأراضي المقدسة عام 324، وعادت وفي نيتها بناء كنيسة كبيرة فوق المغارة التي ولد فيها المسيح، وقد نقلت رغبتها هذه الى أبنها الملك. وفي السَنة التالية، 325، عندما التقى الملك قسطنطين مكاريوس أسقف أورشليم في مجمع "نيقية"، سَلّمه مبالغ طائلة من المال لبناء كنائس في الأراضي المقدّسة. وكانت بازيليك المهد الأولى التي شيّدت من هذه الكنائس، وكان ذلك عام 326. أمّا لماذا شيّدت البازيليك في بيت لحم اليهودية؟ فنقول، ونكرّر، بان بيت لحم الحقيقية في الجليل حيث ولد يسوع المسيح كانت عرضة للطمس المقصود من قبل اليهود الذين أقاموا في الجليل طوال 300 متوالية بعد خراب الهيكل، سَنة 70 بعد الميلاد، وعملوا بكل الوسَائل على استئصال أي أثر للمسيحيّة في تلك المنطقة. ومن جهة ثانية، أصبح هناك قرية تحمل نفس الاسم: بيت لحم، وهي في أرض يهوذا وبالقرب من اورشليم. وهكذا، أصبح كلّ شيء متوفّراً لدى المسيحيّين المتهوّدين في القرون الاولى لإقناع اليهود بأن يسوع هو نفسَه مخلص اليهود ومسيحهم المنتظر، وبأنه ولد بينهم في بيت لحم اليهودية، وبأنه من ذرّية داود الخ... أما بيت لحم الحقيقية الجليلية فاصبحت هناك، في البعيد، تحت حكم البرابرة و"الوثنيين" والغرباء... والمغارة اتي ولد فيها يسوع ظلّت هناك في البعيد، في سفوح جبل الكرمل الشمالية الشرقية، في منطقة "أفراتة"، في أرض فينيقية – لبنان البعيدة الغريبة...! وظلّت بيت لحم ومغارتها عند "الأمم"، عند "الوثنيين"، "الغُوِّيم".

(فيما يخصّ ولادة يسوع المسيح في "مغارة"، راجع من المصادر القديمة، وعلى سبيل المثال: "إنجيل يعقوب القديم" (المنحول) 17: 1، 2، 3؛ 18: 1 –"الاناجيل المنحولة"، إعداد فرانس كيرى، ص 79 –"الاناجيل المنحولة"، إعداد روبس – أَمْيُو، ص 60 – القديس جوستين "المحاورات" 70: 2؛ 78: 4، 5، 6، وهو يستشهد بسَفر أشعيا 33: 16 – سَفر أشعيا 33: 16. وفيما يخصّ المراجع الحديثة، راجع على سَبيل المثال: "ب. بنوا وم. أ. بوامار "أزائية الاناجيل الأربعة" الطبعة الثالثة، 1972، الجزء الأول، ص 6-7 مع الحواشي، وهو يعرض النصوص الموازية في الاناجيل المنحولة، ونصوص آباء الكنيسة الاولين – شارل بيرّو "أحداث طفولة يسوع"، دفاتر الانجيل، عدد 18، 1976، ص 51-52 – الدكتور هـ. سبنسر لويس "حياة يسوع السرّية"، الفصل الخامس ص 83-94، والفصل السَادس ص 95-105).

ويجدر بنا هنا أن نقول كلمة، ولو سَريعة، في من هم المسيحيّون المتهوّدون. معروف أن الجماعة المسيحيّة الأولى قد تعرّضت، منذ نشأتها لاضطّهادات عنيفة من قبل رؤساء الكهنة اليهود والسلطات الرومانية على السَواء. (راجع كتاب أعمال الرسل). غير أن الشعلة المسيحيّة لم تنطفئ بعد موت الرسل والتلاميذ، بل ظلت حيّة، في فلسطين، في قلوب بعض اليهود الذين اهتدوا الى المسيحية عند نشأتها. "واما الذين شتتهم الضيق الذي وقع بسَبب اسطفانوس، فانهم انتقلوا الى فينيقية..." (أعمال الرسل 11: 19). ومن فينيقية، نقطة انطلاق المسيحية نحو الأمم، انتشرت المسيحية في قبرس وانطاكية وبعض الأقطار المشرقية. وفي انطاكية دعي أتباع الناصريّ، لأول مرة، "مسيحيّين..." وفيما بعد انتشرت المسيحيّة على يد بولس ومعاونيه الى أهم مدن حوض المتوسط.

أما المسيحيّون الذين بقوا في فلسطين فكانوا من أصل يهوديّ. لذلك، ظلّوا في الوقت نفسَه يتّبعون شريعة موسَى، خاصة في الختان، ويعتبرونها توطئة ضرورية للدخول الى المسيحيّة. إنهم "المسيحيّون المتهوّدون". ولهذا السَبب سُمّيت جماعتهم "كنيسة الختان"...! وقد سُمّوا في بادئ الأمر "أتباع بطرس" أو "بطرسيّين" تمييزاً عن أتباع بولس أو "البولسيّين"، أي الأمميّين المهتدين الى المسيحية، الذين كانوا يرفضون إتّباع شريعة موسَى والختان كشرط أسَاسي للدخول الى المسيحية. فيما يخصّ هذا الخلاف، راجع الفصل الخامس عشر من كتاب "أعمال الرسل"...

إن قضية وجود "كنيسة الختان"، أو جماعة "المسيحيّين المتهوّدين" في فلسطين، ليسَت فرضية تاريخية أو احتمالاً ورد عند بعض المؤرخين أو المفسِّرين. إنها واقع تاريخي ثابت ومحقّق. وإن أبحاث وكتابات الكردينال جان

دانيالو والأبوين أ. تيستا وب. باغاتّي الكبوشي قد أظهرت للعيان، وبشكل موضوعي محقّق، حقيقة وجود وأعمال وآثار "كنيسة الختان" أو "جماعة المسيحيّين المتهوّدين" في فلسطين. ولقد أظهرت هذه الدراسَات أن أول أثر لوجود هذه الجماعة يكمن في تاريخ الكنيسَة الأولى نفسَها. فإن اتهامات سَلسوس (178-180) للمسيحيّين، والتي تتمحور حول قيامهم بأعمال سحريّة في الظلام...، قد تسَببت بسجالات طويلة بينه وبين آباء الكنيسة وخاصة أوريجانوس الذي وضع كتاباً دفاعيّاً دعاه "ضد سَلسوس". في هذه الأثناء كانت "كنيسَة الختان" معروفة تماماً من رؤساء الكهنة اليهود ومن آباء الكنيسة على السَواء أمثال ايريناوس وجوستين واوريجانوس وكيرللّس وإيرونيموس وأبيفانيوس وغيرهم. وظلت "كنيسة الختان" هذه معروفة تماماً من الفئتين حتى القرن الرابع. وإن أصلهم اليهوديّ جعل المسيحيّين المتهوّدين يبالغون في التركيز على أسفار العهد القديم أثناء تبشيرهم بيسوع المسيح. وكانوا يستخدمون الأناجيل الشعبية التي سمّيت فيما بعد "محرّفة أو منحولة"، بالاضافة الى بعض المخطوطات الكتابية الخاصة بالمسيح المنتظر، المسَمّاة "تستيمونيا"، التي كانت تتداولها الطبقات الشعبيّة...

كان همّ المسيحيّين المتهوّدين، الأوَل والأساسي، أن يبرهنوا لليهود إخوتهم غير المؤمنين بعد بالمسيح، أن يسوع هو هو نفسَه المسيح المخلّص الذي كان ينتظره اليهود، والذي تنبأت عنه كتبهم وأنبياؤهم. وبالاضافة الى ذلك، كانوا، من جهة ثانية، يحاولون إقناع مسيحيّ الأمم باتّباع شريعة موسَى، وخاصة الختان، كمدخل طبيعي وتاريخي الى الديانة المسيحيّة. ويظهر أن العديد من كتبهم التعليمية والطقسية قد فقدت فيما بعد، ولم يبقَ منها سوى بعض المقتطفات والمقاطع الواردة في كتب آباء الكنيسَة أنفسهم.

من جهة ثانية، ترك المسيحيّون المتهوّدون آثاراً خاصة بهم في بعض المغاور المعروفة في أورشليم وجوارها. نذكرمن هذه المغاور: "مغارة المهد"، كما يدّعون، في بيت لحم اليهودية، ومغارة تحت الجلجلة في أورشليم التي تذكّر بانتصار المسيح على الظلمة والموت، ومغارة جبل الزيتون، ومغارة الأبانا، التي تذكّر بانتقال الابن المتجسِّد الى الآب السَماويّ. فبالاضافة الى الاهمية التاريخية لهذه المغاور في العهد الجديد، فإن المسيحيّين المتهوّدين استخدموها كرموز روحية للحديث عن لاهوت "النور الالهي" مقابل "ظلام الارض" المتمثّل في التعاليم والاسرار الوثنية. فبحسَب هذه الاسرار، على "العارفين" أن "يخرجوا" من مغارة الأرض المظلمة كي يشاهدوا الله ينبوع كل الأنوار. أمّا المسيحيّون المتهوّدون فكانوا يقولون، بعكس ذلك، إن المسيح هو الذي "يدخل"

المغاور السرّية المظلمة فينيرها ويضيء القلوب. وإن قوى الإنسان لا يمكنها لوحدها أن تجعل الإنسان يبصر النور الحقيقي: على ابن الله نفسَه أن يتّحد بالطبيعة البشريّة ويدخل المغاور المظلمة كأنه الشمس المشعّة. من هنا جاءَت تسمية: "المغاور المضاءة"، "المغاور المشعة"، الخ... والاعتراف بان يسوع المسيح هو النور الحقيقي أصبح من التعاليم الرسمية للكنيسة كما هو ظاهر في "قانون الإيمان" المسيحيّ عينه: "إله من إله، نورُ من نور..."

كانت مغارة المهد، بالنسبة الى المسيحيّين الأولين المرحلة الأولى في حياة المسيح الأرضية. إنها الرمز الأول للعبور من الظلمة الى النور. وان الكلمة الالهي نزل من عليائه وولد ليسَ في بيت بناه البشر، بل تحت الأرض في "مغارة" مظلمة لم يصلها النور بعد. ويشرح إيريناوس فيقول: "إن كلمة الله، غير المرئي بطبعه، لم يره الناس عندما نزل الى الأرض". وغريغوريوس النيصي يقول من جهته: "عند الولادة أضاء النور الالهي ظلمة المغارة، التي أصبحت "مغارة الحياة...". والملفت أننا نجد اصداءً لهذه التعاليم والأقوال في الأناجيل المنحولة نفسَها التي كان يستخدمها المسيحيّون المتهوّدون كما ذكرنا. فقد جاء مثلاً في انجيل يعقوب القديم: "وتوقفوا عند المغارة. وإذا بسَحابة من الضوء تملأ المغارة... ثم انزاحت السَحابة وملأ المغارة نور سَاطع مشعّ أبهر عيوننا... وأخيراً أخذ هذا النور بالانحسَار في الوقت الذي بدأ الطفل يسوع يظهر من أحشاء أمّه مريم..." (إنجيل يعقوب القديم، فقرة 19). (راجع أيضاً: "إنجيل متى المنحول"، فقرة 13 – "إنجيل الطفولة" فقرة 5؛ الخ...).

كان النجم يرافق دوماً الطفل يسوع خلال أحداث الميلاد. قال المجوس: "لقد رأينا نجمه في المشرق، فجئنا لنسجد له... وإذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدّمهم حتى بلغ المكان الذي فيه الطفل فوقف فوقه. فلمّا أبصروا النجم فرحوا فرحاً عظيماً جداً..." (متى 2: 2، 9-10). وكان في تلك الناحية رعاة يبيتون في البرّية، يتناوبون السَهر في الليل على رعيتهم. فحضرهم ملاك الربّ وأشرق مجد الرب حولهم، فخافوا خوفاً شديداً..." (لوقا 2: 8-9). وكان التقليد المسيحي القديم يرسم نجمة فوق رأس الطفل يسوع المولود في المغارة، وظلّت هذه النجمة ترافق مغارة الميلاد الى يومنا هذا. كل ذلك يذكّرنا برمز النور الالهي الذي يضيء ظلمة مغارة الأرض، والذي ركّز عليه المسيحيّون الأوّلون. فقد جعلوا من المغارة المضاءة مكاناً لتجلّي النور الالهيّ. والذي أضفى على نظرتهم الروحية اللاهوتية هذه طابعاً مميّزاً هو أنها جاءت في وقت كانت عبادة أدونيس مزدهرة في فلسطين وفي أورشليم وبيت لحم بالذات. ففي سَنة 135 أقام الامبراطور أدريانوس تماثيل لأدونيس في أهم الاماكن المقدّسة التابعة لليهود

والمسيحيين على السَواء. وكانت الغابة التي تحيط بمغارة بيت لحم مكرّسة لإقامة طقوس أدونيس الدينية. ومن هذه الطقوس الاحتفال بموت أدونيس وانحداره الى "ظلمات أسَافل الأرض"... ثم قيامته في الربيع مكلّلا بالخضرة والجمال "والنور والضياء"...

بالاضافة الى مغاور بيت لحم والجلجلة وجبل الزيتون، كان المسيحيّون الأولون يجتمعون في العديد من مغاور فلسطين والجليل حيث كانوا يصلون ويقيمون ذبيحة الخبز والخمر، متذكّرين كلام يسوع: "إصنعوا هذا لذكري..." (لوقا22: 19).

إن "كنيسَة الختان" أو جماعة المسيحيّين المتهوّدين، كانت راسخة في الجليل في القرن الثاني للميلاد كما أثبتت ذلك الاكتشافات الأثرية، خاصة في المغاور والمقابر، في العقود الثلاثة الماضية. كما تبيّن أن تكريم مريم أم يسوع كان متجذّراً في الجليل، وخاصة في الناصرة، في القرن الثاني للميلاد، قبل وقت طويل من إعلانها رسمياً "أم الله"، في المجمع المسكوني العام، في أفسس عام 431. والإكتشافات الاخيرة، المدعومة بالنصوص التلموديّة حول جماعة المسيحيّين المتهوّدين، أظهرت بوضوح الطابع المسيحي للبناء الذي أقيم فوق بيت القديس بطرس في كفرناحوم علىالضفة الشمالية لبحيرة طبرية أو بحر الجليل. وقد ظهرت على الجدران القديمة رموز وكتابات وصلوات خاصة بالمسيحيّين المتهوّدين باللغات العبرانية والسريانية واليونانية.

وبالاضافة الى ما تقدم، هناك دلائل أخرى تؤكد على وجود "كنيسة الختان" أو "جماعة المسيحيّين المتهوّدين"، وهي الآثار الخاصة التي تركوها على جدران المغاور وفي داخل المقابر. إن التوابيت الحجريّة التي كانت تحوي عظام الأموات، بعد مرور فترة من الزمن على وضع هؤلاء تحت التراب، هي دون شك توابيت مسيحيّة، لأن هذه العمليَّة كانت محرّمة على اليهود. غير أن المسيحيين الذين كانوا ينتظرون عودة قريبة للمسيح، كانوا يهيئون موتاهم بهذه الطريقة كي يكونوا مستعدين تماماً عند عودته...

وبما أن شريعة موسَى كانت تحرّم عليهم وضع التماثيل ورسم الصور، كان المسيحيّون المتهوّدون يلجأون دوماً الى نقش أو رسم الأرقام والاعداد والرموز المختلفة. وبعد أن توارى هؤلاء عن مسرح الاحداث في فلسطين ظلت هذه الطريقة الرمزية في الكتابة والرسم متّبعة عند جماعة المتصوفين وبعض فئات الشعب. غير أن العديد من هذه الرموز لا تزال الى اليوم غامضة وغير مفهومة عند عامة الناس. من هذه الرموز ما له علاقة بدرجات ومراقي "السلّم الكونية": كانوا يعتقدون ان على النفس، بعد تركها جسَدها عند الموت، وكي تصل الى السماء، أن تصعد سلّماً روحياً وسَط مطبّات مختلفة تضعها الأرواح الشريرة في

طريقها. وبعد الموت تبقى النفس في فترة انتظار قرب القبر لمدة ثلاثة أيام. وفي اليوم السَابع تقودها الملائكة الى حيث ترى من بعيد مسَاكن الصالحين والأشرار، ثم تكون الدينونة. من هنا بعض التقاليد المسيحية الباقية الى اليوم، خاصة عند الكنائس الشرقية، المتعلّقة بإقامة القداديس والصلوات التذكارية لراحة نفس الميت، في اليوم "الثالث، والسَابع، والتاسع والأربعين" الخ... بعد الوفاة. وهناك رموز أخرى ظهرت داخل المغاور والمقابر تمثل "شجرة الحياة"، وهي كناية عن "صلبان كونية" تمدّ أذرعها في كل أتجاه، وهي ترمز الى فعالية المصلوب التي تملأ الكون بأكمله وتشكّل صورة معبّرة عن "المسيح الكونيّ" بحسَب يوحنا وبولس...

عاشت جماعات المسيحيّين المتهوّدين في الظل بسَبب المضايقات والاضطهادات التي أصابتهم من قبل السلطات الرومانية واليهود على السَواء. وحكم قسطنطين الكبير الذي أعطى الحرّية للمسيحيّين شهد هو أيضاً تراجعاً كبيراً لهذه الجماعات أمام تدفق لأعداد الغفيرة من مسيحيّ الامم الى فلسطين، حتى غابت تماماً عن مسرح الاحداث بين القرنين الخامس والسَادس.

ورغم أن "كنيسة الختان" أو جماعات المسيحيّين المتهوّدين كانت حقيقة واقعة طوال القرون المسيحيّة الخمسة الاولى، غير أن النسيان قد لفّها طوال قرون كثيرة. وفي أواخر القرن التاسع عشر، عندما أعلنت الاكتشافات الاركيولوجيّة الخاصة بهم، من مقابر وكتابات ونُقوش ورموز وغيرها، فإن كثيراً من العلماء والباحثين لم يصدّقوا ما شاهدت أعينهم، في بادئ الأمر، الى أن رضخوا أخيراً أمام الحقائق التاريخية والجغرافية الموضوعية والحسّية.

ورغم ذلك ظلّت بعض الكنائس في أوروبا، بين القرن الخامس والقرن التاسع، تحفظ في داخلها بعض الآثار التي تدلّ بوضوح على "كنيسَة الختان" والجماعات المسيحية المتهوّدة. وهي كناية عن فسَيفسَاء ونقوش وكتابات وتماثيل وصور. وكل هذه الآثار باقية الى يومنا هذا، خاصة في بعض كنائس رومة مثل كنائس: القديسَة مريم الكبرى، القديسَة سيسيليا، القديسَة سَابين، القديس مرقس، القديسَين قزما ودميانوس، القديس لوران خارج الأسوار الخ... وفي بعض كنائس رافينّا مثل كنائس: القديس فيتال، والقديس أبوليناريوس. وفي غيرها من المدن والكنائس. وهناك على سَبيل المثال، وبشكل واضح وبالاسماء، كنيسَة القديسة سابين في رومة التي تحوي فسَيفسَاء كبيرة ظاهرة الى اليوم، أوصى عليها البابا سَلسَتين الأول (422-432)، وهي تمثّل سيّدتين من الأشراف. وبحسَب الكتابات الظاهرة تمثل السَيّدة الاولى "كنيسَة الختان"، وتمثل الثانية "كنيسَة الامم". وتعلو الأولى صورة القديس بطرس، وتعلو الثانية صورة القديس بولس...

فهل هناك من دلائل تعبّر أكثر من ذلك عن وجود هذه الحقيقة التاريخية التي أصبحت ثابتة ومحققة في ايامنا هذه: "كنيسَة الختان"... و"كنيسَة الامم"؟!

كان من الضروري ان نقول كلمة، ولو مختصرة، في "كنيسَة الختان" أو جماعة المسيحيّين المتهوّدين، لأنهم، وهم من أصل يهودي متزمّت، حاولوا بشتّى الطرق والوسائل ان يربطوا يسوع باليهود ويبرهنوا انه مسيح اليهود ومخلّصهم المنتظر، مع ان المسيح يسوع لم يكن يهودياً، كما رأينا، وهو المسيح المخلّص للناس أجمعين وجميع الكائنات والكون الكبير بكامله... إنه "المسيح الكوني"، "الذي به كان كل شيء..."، كما يؤكد يوحنا.

بعد هذه اللمحة الخاطفة عن المسيحيّين المتهوّدين ومغاورهم ورموزهم، فلنعد الى مغارة بيت لحم التي ولد فيها يسوع المسيح. لقد رأينا أن هناك إجماعاً في التقليد المسيحيّ القديم على أن يسوع قد ولد فعلاً في "مغارة"، وهكذا آباء الكنيسَة وتلاميذ الرسل، وحتى الاناجيل المنحولة نفسَها. أمّا فيما يخصّ طبيعة هذه المغارة وشكلها وتكوينها وحجمها وما الى ذلك، فلم يترك لنا التقليد المسيحيّ القديم شيء يذكر. وهناك نظريات وآراء وأقوال عديدة ومختلفة حول طبيعة هذه المغارة، يندرج أغلبها في باب الشروحات والتفسيرات التقوية الشعبيّة المبسّطة، أو الأفكار المسبقة والمتوارثة... أمّا ما يهمّنا نحن في هذه الدراسَة فهو الاستناد الى الدلائل والبراهين والقرائن التاريخية والجغرافية ذات الطابع العلمي والموضوعي البحت. وبعد مراجعتنا العديد من المصادر والمراجع والمؤلفات التاريخية من قديمة وحديثة، تبيّن لنا، بعد المقارنة والتحليل والتمحيص، وبعيداً عن الأفكار المسبقة والتفسيرات السَطحية المتوارثة، أن يسوع ولد في مغارة خاصة تابعة للجمعيات الجليلية الروحية التي كانت منتشرة في الجليل في ذلك العهد. وكانت الجماعة الاسينيّة أهم وأبرز تلك الجماعات الروحية.

لقد رأينا في فصول سَابقة أن الجماعات الروحية في الجليل – "كالاسينيّين"، "والمكرّسين"، "والمنذورين"، و"النصارى" (غير المسيحيّين في مفهومنا اليوم...) – كان لها نوع من المستوصفات أو المستشفيات الصغيرة منتشرة في كل مناطق الجليل وفلسطين. وكانوا يستقبلون فيها خاصة المرضى من الفقراء والمعوزين والغرباء. وكان يطلق على هذه المؤسَّسات اسم "بيت صيدا". وقد أسَّسوا، بالاضافة الى ذلك، وعند مداخل المدن، مآوي يستقبلون فيها، لفترة من الزمن، كل من كان بحاجة الى مسكن أو طعام أو شراب الخ... وقد أظهرت الاكتشافات الأخيرة في أورشليم أنه كان للأسينيّين عند مدخل المدينة الى الجهة الجنوبية الغربية مستوصف ومأوى، بالاضافة الى باب من أبواب أورشليم

كان يسمّى باسمهم: "باب الاسينيّين"، بالاضافة أيضاً الى حيّ داخل أسوار أورشليم كان يسمّى باسمهم: "حيّ الاسينيّين"...!! وكان هناك، بعيداً عن المدن، بعض المستوصفات والمآوي في مغاور طبيعية سويت لأجل ذلك. في الأسَاس كان هناك مغاور طبيعيّة غير أن يد الإنسان قد عملت فيها تحسيناً وإعداداً وإكمالاً حتى أصبحت نوعاً من المنزل أو البيت. ومعروف أن هذا النوع من "المغاور – المنازل" كثير في فلسطين والبلدان المجاورة الى يومنا هذا، ممّا أدهش ويدهش الرحّالة والمسافرين والزائرين. وقد توالت، على بعض المغاور، أجيال تلو أجيال من السَاكنين. وفي الاجيال المسيحيّة الأولى مثلاً، كان المؤمنون يلجأون الى مثل هذه المغاور طلباً للأمن والصلاة، بعيداً عن المدن والحكام. وكانت بعض المغاور كبيرة واسعة تحوي ما بين عشرة وعشرين غرفة، معتدلة المناخ، بمنأى عن قسَاوة الطقس في كل الفصول...

وكانت المغاور الجليلية هذه تقع عادة في أماكن نائية يصعب الوصول إليها، وبعيداً عن طرق الجيوش والمرتزقة وقطاع الطرق. وكان عمقها يمتد من سَبعة الى عشرين متراً، وفيها أدراج نقشت في الصخر تُفضي أحياناً الى طوابق علويّة. وكان نور الشمس يضيء داخل المغاور بواسطة نوافذ صغيرة فتحت في الصخور التي تسدّ المداخل. بعض الغرف الداخلية فتحت في الصخر بيد بشرية، والبعض الآخر تعاون الانسان مع الطبيعة لإعدادها وتهيئتها. وكانت الجدران الصخرية الداخلية تطلى أحياناً بالطين والصلصال، وتحوي بعض النقوش والرسوم المعبّرة. وكانت سرج من زيت تعلق في السقف أو توضع في كوى جانبية تؤمن الاضاءة الكافية في كل الظروف، بينما هناك منافذ صغيرة أو شقوق صخريّة في السقف والجدران تؤمّن دورة كافية للهواء بين الخارج والداخل. وكانت تهيأ أمكنة خاصة للمراقد والفرش إما الى جانب الجدران الداخلية أو فوق صفوف متلاصقة من الحجارة في وسَط الغرفة أو في إحدى الزوايا. والى جانب كل مغارة كان يوجد عادة إما بئر وأما عين ماء، وفي كل غرفة من غرف المغارة جرة من الماء العذب على سَبيل الاحتياط. أرض الغرف كانت من الحجارة الصغيرة الملساء التي تشكّل نوعاً من البلاط الطبيعيّ، ما عدا بعض الغرف التي تستعمل كمستودعات، فقد بقيت أرضها على حالتها الطبيعيّة. كانت المغاور تقسم عادة الى عدة غرف متلاصقة، غرفة للنوم وأخرى للاستراحة، غرفة للطعام، غرفة للمرضى وقد تستعمل للولادة عندما تدعو الحاجة، وغرفة كبيرة خاصة يأوي اليها بعض الحيوانات الداجنة... وكانت الحاجيات واللوازم المنزلية شبيهة كل الشبه بتلك الموجودة في البيوت والمنازل العادية...

ففي مثل إحدى هذه المغاور ولد يسوع المسيح. فهذا، وهذا وحده، يوفّق بين ما جاء في التقليد المسيحي القديم عن مكان مولد المسيح، من جهة، وما جاء في الأناجيل المقدسة من جهة ثانية. فمتى يقول: "... ودخل المجوس "البيت" فرأوا فيه الطفل وأمه مريم..." (متى 2: 11). بينما لوقا يقول: "فولدت ابنها البكر، فقمّطته وأضجعته في مزود لأنه لم يكن لهما موضع في المنزل..." (أو في البيت أوالفندق أوالمضافة بحسَب الترجمات...) (لوقا 2: 6-7).

وهذا يوافق، من ناحية أخرى، ما جاء في تواريخ الجمعيات الروحية الجليلية – وأهمها الجماعة الاسينيّة – وفي مخطوطات قمران (البحر الميت) الشهيرة، من أن هذه الجماعات كان لها، خاصة في الجليل، بعض المغاور الطبيعيةالتي حولتها الى مآوي ومستوصفات يعالجون فيها الجرحى والمرضى، ويهتمّون بالنساء الحوامل...، ويستقبلون الفقراء والمعوزين والغرباء. وكانت هذه الأمور الانسانية، وخاصة الشفائية منها، من الأهداف الأسَاسية التقليدية لهذه الجماعات الروحيّة الجليلية. ونذكّر هنا، مرّة أخرى، بالاكتشافات الحديثة جداً التي جرت في مدخل أورشليم الجنوبي الغربي، والتي أظهرت، ولأول مرة، وجود مأوى ومستشفى خاص بالجماعة الأسينية، بالاضافة الى بوابة لأورشليم خاصة بهم تسَمّى "بوابة الاسينيّين"، وحيّ بكامله داخل أسوار أورشليم خاص أيضاً بالأَسّيِنِيّين يسَمّى "حيّ الأَسّنِيّين". وقد تبيّن أن "علّية صهيون" التي كانت مقرّ الجماعة المسيحية الأولى، كانت تقع في هذا الحيّ الاسينيّ بالذات!؟... كل هذه الإكتشافات الحديثة تلقي اضواءً جديدة وهامة جداً على مجتمع العهد الجديد عند نشأة المسيحيّة بشكل عام، وعلى حياة يسوع المسيح وعلاقاته الاجتماعية بشكل خاصّ... مع العلم أن مواقع هذه الاكتشافات الجديدة والحقائق التي خلفها لم تكن مروّية في التاريخ بشكل صريح ومحدّد حتى اليوم – على ما نعلم – كما لم تكن ظاهرة في الخرائط الجغرافية حتى اليوم. أما الخرائط العلميّة الجديدة، وحتى السياحية منها، فتذكر هذه المواقع المكتشفة حديثاً، بالأسماء والأرقام، وتعلّق عليها تاريخياً وجغرافيّاً...

وفي دراسَة تاريخية نقدية حديثة، يقول العالم الأثري الأب جيروم مورفي أُكّونور، المدير المعاون لمدرسة اورشليم البيبلية الآركيولوجية الفرنسية، يقول حرفياً: "إن حقل الرعاة الذي يضم مغارة الرعاة ومحيطها والكنيسَة الحديثة، بالقرب من بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم، هو محض اختلاق شعبي ولا علاقة له بالتاريخ... وهذا الإختلاق هو أمر ثابت ومؤكّد، لدرجة أن محاولة إثبات تاريخية هذا الحقل لم تعد مطروحة قط... وبالاضافة الى ذلك، فإن المغارة التي قيل فيما بعد إنها مغارة الرعاة كانت تستعمل، في القرون الاولى الثلاثة بعد المسيح،

كمدافن للأموات..."!؟ (راجع "عالم البيبليا"، المجلة العلمية المتخصصة بالكتاب المقدس، العدد الممتاز: "بيت لحم المدينة المسيحانية، آب، أيلول تشرين الأول، 1983، ص 22 والحاشية رقم 28). وقد راينا في موضع آخر من هذه الدراسَة ان مغارة المهد عينها في بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم كانت، مع بعض المغاور المجاورة، تستخدم كمدافن لأموات. فهل من المعقول والممكن والمنطقي، ان تستعمل مغارة المهد والمغاور المجاورة كمدافن للأموات في العصور المسيحية الاولى، إذا كانت حقاً هي مغارة المهد التي ولد فيها السيّد المسيح؟ أمّا كيف تحوّلت هذه المغاور – المدافن الى مغارة للمهد ومغارة للرعاة، فهو أن الملك قسطنطين الكبير، عندما حاول، مدفوعاً بإمه هيلانة، أن يكرّم المكان الذي ولد فيه السيّد المسيح، قيل له من قبل المسيحيّين المتهوّدين في أورشليم إن السيّد المسيح ولد في مغارة في بيت لحم اليهودية القريبة من أورشليم، فأرسل وشيّد سَنة 325، كنيسة فوق مغارة بيت لحم. وفيما بعد شيّدت كنيسَة في حقل الرعاة تكريماً لرعاة الميلاد. وهكذا، وبدون اثبات تاريخي دقيق، تكرّست بيت لحم اليهودية القريبة من أورشليم، والمعروفة اليوم، تكرّست منذ حوالي سَنة 325، المدينة التي ولد فيها السَيّد المسيح...! وظل هذا الاعتقاد سَائداً عند عامّة الناس حتى أيامنا هذه.

أما اليوم، فليسَ هناك من اثبات علمي أو تاريخي أو آركيولوجي واحد على أن المسيح ولد في بيت لحم اليهودية، المعروفة اليوم، والتي يحجّ اليها المسيحيّون منذ ألفي سَنة. ولا إثبات واحد! ويقول في هذا الموضوع بالذات، ميشال كسنيل الأستاذ في المعهد الكاثوليكي في باريس، بالحرف الواحد ما تعريبه: "أما أين ولد يسوع المسيح؟ فعلماء اليوم يتردّدون محتارين بين بيت لحم اليهودية وبين الجليل...!!" (مجلّة "عالم البيبليا"، عدد ممتاز عن "ماذا نعرف عن يسوع"، عدد 109، آذار – نيسان، 1998، ص6). وهكذا اذاً، يتبيّن اليوم، وعلى لسَان اصحاب الإختصاص انفسهم، انه ليسَ من الاكيد والثابت ان المسيح ولد في بيت لحم المعروفة اليوم؟ وتسعى هذه الدراسَة الى اثبات ان المسيح ولد في بيت لحم أخرى تقع في الشمال، وأنها كانت تقع، عند ولادته، في أرض فينيقية – لبنان!

يسوع المسيح لم يولد في داخل بيت لحم
بل على طريق بيت لحم، بالقرب من بيت لحم

جميع التقاليد والكتب، القديمة والحديثة، وجميع الشروحات والتفاسير، حتى يومنا هذا، تجمع كلها على أن يسوع المسيح ولد، ليسَ في داخل بيت لحم، بل على طريق بيت لحم، بالقرب من بيت لحم...

منذ البداية، منذ سفر التكوين، كان قبر راحيل، زوجة يعقوب أب الآباء، مرتبطاً ببيت لحم. فقد جاء في سفر التكوين (35: 19-20): "وماتت راحيل، ودفنت في طريق أفراته، وهي بيت لحم. ونصب يعقوب نصباً على قبرها، وهو نصب قبر راحيل الى اليوم...". وجاء أيضاً في سفر التكوين (48: 7) وعلى لسَان يعقوب نفسَه: "وأمَا أنا ففي عودتي من فدّان ماتت بقربي راحيل في أرض كنعان، في الطريق، على مسَافة من أفراته، فدفنتها هناك في طريق أفراته وهي بيت لحم...".

يظهر بوضوح تام من هذين النصين في سفر التكوين أن قبر راحيل لم يكن داخل بيت لحم، بل كان "في طريق أفراته وهي بيت لحم... في الطريق على مسَافة من أفراته... فدفنتها هناك في طريق أفراته وهي بيت لحم...". كانت "بيت لحم أفراته" في الجليل، مبنيّة اذاً، أيام يعقوب، اما بيت لحم اليهودية، المعروفة اليوم، فقد بنيت بعده بما لا يقل عن ألف ومئتي سَنة!!

وعلى قبر راحيل وموقعه بالذات تُعلّق النسخة الجديدة فتقول: "راحيل، زوجة يعقوب، أم يوسف، الذي ولد افرائيم ومنسّى، وأم بنيامين. كان قبرها في الرامة (1 صموئيل 10: 2)، وهي الرام في ايامنا، على بعد 9 كيلومتر شمالي أورشليم، بالقرب من أفراته (تكوين 35: 19) في أرض بنيامين (يشوع 18: 25). كان في بيت لحم قوم من الأفراتيّين، فلقّبت بأفراته هي أيضاً (ميخا 5: 1)، ومن هنا نشأ التقليد القائل بأن قبر راحيل هو بالقرب من بيت لحم، والذي حمل القديس متى على تطبيق نصّ ارميا 31: 15 (متى 2: 17-18) على مقتل الأطفال..." (النسخة الجديدة، سفر ارميا 31: 15، الحاشية رقم 4، ص 1698). ونص ارميا 31: 15 يقول: "هكذا قال الربّ: صوت سمع في الرامة، ندب وبكاء مرّ، راحيل تبكي على بنيها، وقد أبت أن تتعزّى عن بنيها، لأنهم زالوا عن الوجود...". فالقديس متى الانجيلي طبق نصّ ارميا هذا على مقتل الأطفال في بيت لحم... مع أن نصّ ارميا يتابع فيقول في الآيتين التاليتين 16 و17: "هكذا قال الرب: كفّي صوتك عن البكاء، وعينيك عن ذرف الدموع، فإن لعملك أجراً، يقول الربّ، وإنهم سَيرجعون

من أرض العدو (يقصد أبناءَها المنفيّين الى بابل). مستقبلكِ رجاء، يقول الربّ، وسَيرجع البنون الى أرضهم..."؟! واذا عدنا الى تحديد موقع قبر راحيل بحسَب نصّ صموئيل الأول الوارد في تعليق النسخة الجديدة، فاننا نقرأ أن صموئيل يقول لشاول: "فإذا فارقتني اليوم، تصادف رجلين عند قبر راحيل في حدود بنيامين، في صلصح..." (صموئيل الاول 10: 2). وتعلّق النسخة الجديدة على نصّ صموئيل هذا فتقول: "صلصح: لا يعرف معنى هذه الكلمة. وأمّا "الحدود"، فهي الحدود بين بنامين وافرائيم، من حيث أتى شاول. كما ورد في إرميا 31: 15، إنه التقليد القديم عن قبر راحيل الذي حدّد مكانه بالقرب من بيت لحم حيث يُرى الى هذا اليوم (راجع تعليق تكوين 35: 19) (النسخة الجديدة، 1 صموئيل 10: 2، الحاشية رقم 1، ص 538). أمّا تعليق "توراة أورشليم"، النسخة الأصلية الفرنسية، حول نصّ صموئيل هذا بالذات، فجاء أكثر تحديداً ووضوحاً. فقد جاء تعليقها على هذا الشكل:

> C’est comme Jérémie 31: 15, la tradition ancienne sur le tombeau de Rachel, qui a été ensuite placé près de Bethléem, où on le montre encore, cf. La glose de Genèse 35: 19”. (Bible de Jérusalem”, Ed. Du Cerf, Paris, 1956, 1 Samuel 10: 2, Note K, p. 287).

ويمكن تعريبه على هذا الشكل: "كما ورد في إرميا 31: 15، انه التقليد القديم عن قبر راحيل الذي حدّد مكانه فيما بعد (لاحظ عبارة: فيما بعد...) بالقرب من بيت لحم حيث يرى الى هذا اليوم (راجع تعليق تكوين 35: 19)". الواضح أن هناك غموضاً وارتباكاً في النص، وهناك كلمات "لا يعرف معناها"...، وهناك عبارات لم تترجم... "لغَايةٍ في نفس يعقوب"! الحقيقة هي ان قبر راحيل حُدِّدَ أكثر من مرّة ووُضِعَ أخيراً عند مدخل بيت لحم اليهودية...

إن لتحديد موقع قبر راحيل أهمية خاصة في دراسَتنا هذه، وذلك لعلاقته المباشرة ببيت لحم وأفراته، مع العلم أن أفراته هي بيت لحم. هناك ترابط وتلازم دائم، من الناحيتين التاريخية والجغرافية، لهذه الثلاثة: بيت لحم – أفراته – قبر راحيل. لقد دفن يعقوب زوجته راحيل على طريق أفراته التي هي بيت لحم (تكوين 35: 19 و48: 7). جاء يشوع بن نون وحدّد بالضبط موقع بيت لحم – أفراته داخل أراضي سَبط زبولون (يشوع 19: 15). وهذا أمر واضح وجليّ للغاية. ولم يأتِ على ذكر بيت لحم اليهودية – المعروفة اليوم – ولا حتى في تعداد مدن يهوذا (يشوع 15: 21-3)، وذلك لأمر بسيط جداً: لأنها لم تكن قد أنشئت بعد، فهي قد انشئت في أواخر القرن الرابع او أوائل الثالث قبل المسيح. وهكذا اذاً، وفي الأصل، يكون قبر راحيل، على طريق بيت لحم أفراته في الجليل وليسَ في

اليهودية. وبيت لحم هذه التي تسَمّى دوماً أفراته تقع في السفوح الشمالية الشرقية لجبل الكرمل. وهي نفسها التي حدّد موقعها يشوع في أرض زبولون. وأرض زبولون هي متاخمة تماماً للسفوح الشمالية الشرقية لجبل الكرمل (راجع الخرائط الجغرافية القديمة لأراضي الأسباط: جغرافية يشوع). وهي نفسَها التي تحدث عنها ميخا واسماها "بيت لحم أفراته" (5: 1)...

بعد العودة من السَبي، حاول اليهود ان يجعلوا أهم أحداث تاريخهم السَابق تدور حور المثلث القوميّ العنصريّ المعروف: يهوذا – داود – أورشليم. وقد بالغوا كثيراً في ذلك، بعيداً عن الموضوعية التاريخية والجغرافية، حتى حدود التناقضات الفاضحة، وهي كثيرة جداً... وهكذا، مثلاً، وصل بهم الأمر الى نقل قبر راحيل من قرب بيت لحم في الجليل وحدّدوا مكانه، من جديد، بالقرب من أورشليم على مسافة حوالي 10 كلم الى الشمال! وهكذا أصبح قبر راحيل على طريق بيت لحم اليهوديَّة بعد ان كان على طريق بيت لحم أفراته. والغريب حقاً انهم عادوا واطلقوا اسم أفراته، بشكل اعتباطي، على المنطقة الجغرافية شمالي أورشليم مع أنه لا يوجد هناك بيت لحم!!! كل ذلك ليكون قبر راحيل بالقرب من أفراته! ويظهر أن بيت لحم اليهودية لم تكن قد انشئت بعد في ذلك الوقت. ولكن بعد أن أنشئت في جنوب أورشليم، عادوا، من جديد، وحدّدوا مكان قبر راحيل لا في شمال أورشليم، هذه المرّة، بل في جنوبها، عند مدخل بيت لحم الشمالي حيث يُرى الى هذا اليوم! وبقيت الأمور على هذه الحال حتى العهد الجديد. إنه تزوير فاضح جداً!

في بداية العهد الجديد، كان هَمّ "كنيسَة الختان" أي كنيسة المسيحيّين المتهوّدين، كما رأينا، أن تبرهن لليهود أن يسوع هو المسيح المخلّص الذي كانوا ينتظرونه، وأنه ولد عندهم في بيت لحم اليهوديّة. وهكذا شطب متى كلمة "أفراته" من عبارة "بيت لحم أفراته"، كما فصّلنا سابقاً، واستبدلها بعبارة "أرض يهوذا"؟ (متى 2: 6 – راجع أيضاً ميخا 5: 1). ولو لم يشطب كلمة "أفراته" من النص الأصلي لكان مجبراً على الإقرار – وهذه هي الحقيقة التاريخية – أن يسوع المسيح ولد في بيت لحم أفراته أي في الجليل وليسَ في اليهودية. أما هو فكان همّه أن يثبت لليهود إخوته الذين لم يؤمنوا بيسوع بعد، أنه هو مسيحهم ومخلّصهم المنتظر وبأنه ولد بينهم أي في بيت لحم اليهودية. ولذلك شطب كلمة "أفراته" من عبارة "بيت لحم أفراته" واستبدلها بعبارة "أرض يهوذا". ومن هنا انطلق التقليد المسيحي الذي يقول ان يسوع المسيح، وهو الجليليّ بكل ما لهذه الكلمة من معان ومدلولات وأبعاد، ولد في بيت لحم يهوذا. وهكذا، استمر هذا التقليد، عند عامة الناس...، الى يومنا هذا! أما بخصوص شطب متى

كلمة "أفراته" من العبارة الأصلية "بيت لحم أفراته" واستبدالها بعبارة "أرض يهوذا"، فهناك اجماع تام حول هذا الموضوع عند كافة المؤرخين والشارحين والمفسّرِين (راجع على سبيل المثال: اللاهوتي والشارح الكاثوليكي الكبير شارل بيرّو في كتابه المارّ ذكره "أحداث طفولة يسوع" صفحة 31).

والحقائق التي نريد أن نركّز عليها هنا هي التالية:

أولاً – كان هناك، على الأرض، مدينة كنعانية – فينيقية – لبنانية تدعى "بيت لحم"، وهي الملقّبة "بأفراته". وقد بنيت قبل متى بألف ومئتي سَنة على الأقل! وهي تقع في "جليل الأمم" جليل "الغويم" أي "الوثنيّين". وقد ذكرتها "وثائق ورسائل تل العمارنة" وجميع اسفار العهد القديم. وقد حدّد موقعها هذا بالضبط يشوع بن نون في "جغرافيته" الشهيرة، جغرافية توزيع أراضي اسباط اسرائيل الإثني عشر: حدّد موقعها في أرض سَبط زبولون أي في السفوح الشمالية الشرقية لجبل الكرمل (راجع خرائط الاسباط).

ثانياً – كانت هذه المدينة الكنعانية <u>قائمة</u> في أيام المسيح ومتى، وذلك بإجماع المؤرخين ومفسّرِي الكتاب المقدس وشارحيه. وكان متى على بيّنة تامّة من وجودها قائمة في "جليل الامم".

ثالثاً – كان هناك أيضاً أيام المسيح ومتى مدينة أخرى باسم "بيت لحم"، وهي بيت لحم المعروفة اليوم، والتي تقع في أرض اليهودية، في جنوب فلسطين، على بعد حوالى 12 كلم الى الجنوب من مدينة أورشليم. وهذه المدينة اليهودية بنيت في أواخر القرن الرابع أو في أوائل القرن الثالث قبل المسيح. وهكذا يكون الفرق بين انشاء مدينتي بيت لحم لا يقل عن تسعمئة سَنة!

رابعاً – إن متى (أو نسّاخه المتأخّرين من المسيحيّين المتهوّدين...)، كي يبرهن لإخوته اليهود الذين لم يؤمنوا بعد بالمسيح، ان المسيح هو مسيحهم وانه ولد في أرضهم، <u>حذف عبارة "أفراته" التي كانت ملازمة دوماً وأبداً لبيت لحم الكنعانية</u> في "جليل الامم"، <u>واستبدلها بعبارة "أرض يهوذا أو ولايات يهوذا"</u>، حتى يظهر ان المسيح ولد في ارض اليهود وبينهم. والعجيب حقاً، أن متى تصرّف متلاعباً بنص آية ميخا النبي (5: 1) والتي تقول: "وانتِ يا بيت لحم "أفراته" إنكِ أصغر عشائر يهوذا، ولكن منكِ يخرج لي من يكون متسلّطاً على إسرائيل...". إذاً إن المسيح سوف يولد في: بيت لحم "أفراته". غير أن متى حذف عبارة "أفراته"، وتلاعب بالنص مقترفاً ثلاثة تحويرات في جملة واحدة! فجاء استشهاده بالنبيّ ميخا على هذا الشكل: "وأنتِ يا بيت لحم (حذف هنا عبارة "أفراته")، أرض يهوذا (ليسَ في نص ميخا "أرض يهوذا")، لستِ أصغر (في نص ميخا: إنكِ أصغر) ولايات يهوذا

(ليسَ في نص ميخا "ولايات يهوذا" بل "عشائر يهوذا")، فمنك يخرج الوالي الذي يرعى شعبي اسرائيل... (متى 2: 6). ثلاثة تحويرات واضحة جداً في آية واحدة! وقد يصل التحوير الى حد التناقض. أولاً حذف متى عبارة "أفراته"، وهي ضرورية للتعريف ببيت لحم الكنعانية في "جليل الأمم". ثم أضاف متى عبارة "أرض يهوذا وولايات يهوذا"، وليسَ في نص ميخا لا عبارة "أرض يهوذا" ولا عبارة "ولايات يهوذا"، بل هناك عبارة "عشائر يهوذا". وبين عبارة "إنك أصغر" عند ميخا، وعبارة "لستِ أصغر" عند متى، فرق كبير، وكبير جداً. على هكذا تحويرات تاريخية وجغرافية فاضحة، بنى متى تحديد موقع ولادة يسوع المسيح! ولقد أخذ المسيحيّون عن متى وبنوا، على هكذا تحويرات تاريخية وجغرافية فاضحة، موقع ولادة يسوع المسيح: في بيت لحم اليهودية. وهكذا منذ ألفي سَنة الى اليوم!؟

خامساً – كان متى إذاً عارفاً، مع غيره، تمام المعرفة، بوجود بيت لحم الأخرى، الكنعانية الجليلية، وبأنها تدعى بيت لحم "أفراته"، والاّ لما حذف عبارة "أفراته" الملازمة لها دوماً وأبداً. وكان يعرف تماماً أيضاً – وكان هذا هو الواقع على الأرض – أن بيت لحم اليهودية لا تُعرف أبداً ببيت لحم "أفراته"، والاّ لترك عبارة "أفراته"، واعفى هكذا نفسَه وأعفى التقليد المسيحي طوال ألفي سنة من هذه التحويرات التاريخية والجغرافية الفاضحة. وهكذا جعل متى يسوع المسيح يولد – والمسيحيّون من بعده – في بيت لحم اليهودية، في أرض يهوذا، في جنوب فلسطين، ضد كل القرائن والدلائل التاريخية والجغرافية. وقد نجح... الى حين. أما الحقيقة، كل حقيقة، فلا بد لها من ان تظهر يوماُ!

سَادساً = لو لم يحذف متى عبارة "أفراته" من النصّ الأصليّ لنبؤة ميخا، ولو لم يحوّر الآية بكاملها، ماذا كان حصل؟ كان حصل ان اليهود الذين كتب لهم متى إنجيله – ومن بعدهم المسيحيّون والعالم أجمع – كانوا قد قرأوا نصّ نبؤة ميخا كما هو، دون تحوير، وتبيّنوا، بكل بسَاطة ووضوح وتحديد، ان يسوع المسيح قد ولد فعلاً في بيت لحم "أفراته"، المدينة الكنعانية الفينيقية – اللبنانية، في جليل "الأمم"، بين "الغويم" أي بين "الوثنيين"!؟ وكيف يكون ذلك؟ هل يولد المسيح بين "الأمم"، بين "الوثنيين"؟ وهل يكون هذا المسيح "الكنعاني الأمميّ والوثنيّ" هو مخلّص اليهود، ومسيحهم المنتظر، الذي يحرّرهم وينتصر على أعدائهم ويجعلهم يستعبدون جميع الناس؟؟ لو فعل متى ذلك، لما صدّقه أحد، لا من اليهود ولا من المسيحيّين المتهوّدين. وأكثر من ذلك، لكانوا قد رجموه حتى الموت مثل اسطفانوس. ولكن متى كتب ما كتب، فحذف ما حذف، وأضاف ما أضاف، وعنه أخذ المسيحيّون حتى يومنا هذا. مع العلم، أنه كان هناك مسيحيّون كثيرون، ظلوا يجادلون اليهود والمسيحيّين المتهوّدين، طوال القرون الثلاثة الأولى

للمسيحية، حول علاقة يسوع المسيح بذرية داود، وحول مكان ولادة المسيح، هل كانت ولادته في بيت لحم اليهودية أم لا!؟...

هذه الحقائق الآنفة الذكر، أحببنا أن نركّز عليها، مكرّرين عن قصد، بعض النصوص والأقوال والشروحات، وذلك لأهميتها البالغة والمباشرة في هذا الموضوع بالذات، وبالتالي في هذه الدراسَة الجريئة. فقد ترسخت هذه التقاليد في عقول وذاكرات المسيحيّين، جماعات وأفراداً، طوال ألفي سَنة! أفليس، بالتالي، من الصعب، والصعب جداً، أن يغيّروا، بين ليلة وضحاها، ما كان قد تراكم في مفاهيمهم طوال قرون عديدة؟ وفي الحقيقة، كانت هذه هي الغاية من الإعادة والتكرار في هذه الدراسّة الجديدة. وللمرة الألف، هذه الدراسَة هي دراسَة علمية: تاريخية وجغرافية وآركيولوجية، ولا علاقة لها إطلاقاً، لا من قريب ولا من بعيد، لا بشكل مباشر، ولا بشكل غير مباشر، بالدين واللاهوت ومعتقدات وتعاليم أمنا الكنيسة الكاثوليكية، التي هي "عمود الحق وأسَاسَه" (الأولى الى طيموتاوس 3: 15).

وإذا عدنا الى المغارة التي ولد فيها يسوع المسيح فإنها لم تكن داخل بيت لحم أفراته بل على مسَافة منها، على طريقها، في مكان ناءٍ وموحش وبعيد عن السكن والمنازل، حيث كان الرعيان يرعون قطعانهم. هكذا التقاليد الشفهية القديمة، وهكذا الاناجيل القانونية نفسَها: "فولدت ابنها البكر، فقمّطته واضجعته في مزود لأنه لم يكن لهما موضع في المضافة... وكان في تلك الناحية رعاة يبيتون في البرية، يتناوبون السهر في الليل على رعيتهم... فجاؤوا مسرعين ووجدوا مريم ويوسف والطفل مضجعاً في المزود...". وهكذا الاناجيل المنحولة، وخاصة منها أناجيل الطفولة، تتحدث جميعها عن المكان المنعزل الذي كانت فيه مغارة الميلاد. فقد جاء مثلاً في إنجيل يعقوب القديم، في هذا الموضوع، ما يلي: "وعندما بلغوا نصف الطريق الى بيت لحم قالت مريم ليوسف: أنزلني عن الحمار فقد حان وقت الولادة. فانزلها يوسف وقال: الى اين يمكن أن نلجأ؟ ان المكان قفر ههنا... ووجدوا هناك مغارة فدخلوها...". (إنجيل يعقوب القديم 17-18). وفي إنجيل منحول آخر، هو إنجيل يوسف النجّار نجد ايضاً ان يسوع ولد على طريق بيت لحم وليسَ في داخل بيت لحم. والملفت حقاً ان ولادة يسوع قد تمت، بحسَب هذا الانجيل، في قبر راحيل بالذات! فيسوع نفسَه يروي لتلاميذه كيف واين ولدته أمه مريم العذراء فيقول: "وولدتني أمي على طريق بيت لحم، في قبر راحيل، امرأة يعقوب، التي هي أم يوسف وبنيامين..." (إنجيل يوسف النجّار، الفقرة 7 – راجع ف. كيريه "الاناجيل المنحولة – انجيل يوسف النجار"، ص 99 مع الحواشي والشروحات). نشير الى التوافق التام بين هذا

النص والنصوص الأصلية في سفر التكوين، فيما يخصّ موقع قبر راحيل: على طريق بيت لحم. وجدير بالذكر أن هذا الانجيل، في كلامه على أحداث الميلاد، لا يذكر كلمة "أرض يهوذا" أو "اليهودية"، لا من قريب ولا من بعيد. وعندما يورد عبارة "بيت لحم"، التي على طريقها ولد يسوع، لا يذكر بعدها لا عبارة "أرض يهوذا" ولا عبارة "اليهودية". وهكذا العديد من الأناجيل المنحولة والمؤلفات المسيحية القديمة...!

وهكذا أيضاً آباء الكنيسة الأولون وتلاميذهم، والمؤرخون المسيحيّون فيما بعد، والتقليد المسيحيّ الشامل في الشرق والغرب والمستمر الى يومنا هذا، كلهم يجمعون على ان يسوع ولد في الطريق الى بيت لحم. فالقديس والشهيد جوستين، أحد أوائل وكبار آباء الكنيسَة الاولين يقول بالحرف الواحد في كتابه "حوار مع تريفون" (155-160): "ودخل يوسف ومريم وهي حامل مغارة بالقرب من بيت لحم...". وهكذا العديد من مؤرخي العرب والمسلمين، ومنهم خاصة الطبري والمسعودي وابن خلدون وغيرهم. والقرآن الكريم نفسَه أيضاً يتحدث عن المكان البعيد عن السَكن الذي ولد فيه عيسَى بن مريم فيقول: "فحملته فانتبذت به مكاناً قصيّا. فجاءها المخاض الى جزع النخلة..." (سورة مريم 19، 21-22).

وهكذا إذاً، هناك اجماع تام على ان يسوع المسيح ولد، ليسَ في داخل بيت لحم نفسها، بل على مسافة منها، على طريقها، وبالأحرى في مكان ناءٍ موحش وبعيد عن البيوت والمنازل. فاذا كان الوضع على هذه الحال، فكيف، يا ترى، تكون مغارة الميلاد المعروفة اليوم قائمة في وسط مدينة بيت لحم اليهودية في جنوب أورشليم؟ كيف يكون ذلك؟ الكل يرى ويشاهد ويعرف ويزور مغارة الميلاد في وسَط بيت لحم. ولا حاجة الى برهان على الاطلاق. انه الواقع الحسي على الأرض، وعلى الملأ، أمام النظر والبصر. إنها حقيقة ملموسَة: مغارة الميلاد موجودة في وسَط بيت لحم بالذات، وليسَ بالقرب من بيت لحم، ولا على طريقها، ولا على مسَافة منها، بل في وسَطها تماماً. وكون مغارة الميلاد موجودة – كما هي الحال اليوم – في وسَط مدينة بيت لحم، يناقض تماماً ما جاء في التقاليد القديمة وفي جميع اسفار الكتاب المقدس، القديمة والحديثة. وكيف حصل ذلك؟ ومتى؟ ولماذا؟ ان تحديد موقع ولادة يسوع المسيح في وسَط بيت لحم يناقض تماماً الموضوعية التاريخية والجغرافية بشكل فاضح. إن جميع كتبة العهد الجديد، من كتبة الاناجيل القانونية الى كتبة الاناجيل المنحولة الى آباء الكنيسة الأولين الى مؤرخي القرون المسيحية فيما بعد، جميعهم يقولون بوضوح ان يسوع المسيح ولد، ليسَ في داخل بيت لحم كما يظنّ الناس اليوم،

بل خارج بيت لحم، على طريق بيت لحم، وعلى مسَافة منها، في مكان موحش بعيد عن البيوت والمنازل. والحال اننا نرى بأم العين اليوم أن مغارة المهد أو مغارة الميلاد موجودة في وسَط مدينة بيت لحم. وأكثر من ذلك، فإن جميع المؤرخين من قدماء وحديثين ومعاصرين، يجمعون على أن قرية ثم بلدة ثم مدينة بيت لحم قد انطلقت وامتدت وتوسعت في جميع الجهات انطلاقاً من نقطة الوسَط والمحور التي هي مغارة المهد! ويشهد على ذلك أيضاً الخرائط الجغرافية القديمة والحديثة لبيت لحم (فلتراجع هذه الخرائط من مخطوطة ومطبوعة بجميع اللغات).

وبالاضافة الى العديد من المؤرخين والشارحين والعلماء المعاصرين الذين يؤكدون ان المسيح لم يولد في داخل قرية بيت لحم، بل خارجها، بالقرب منها، على طريقها، وعلى مسَافة منها، نودّ أن ننقل قولاً مميّزاً "لادغار كايسي" أحد الرائين الروحانيّين الكبار في عصرنا. يقول معلقاً على انجيل لوقا 2: 7 "لأنه لم يكن لهما موضع في المضافة": "إن صاحب المضافة، الذي ذكره لوقا، لم يستقبل يوسف ومريم الحامل لأنه كان يريد حمايتهما والطفل من جنود الرومان وكهنة اليهود والفضوليّين من عامة الناس... وسَبب ذلك ان الاسينيّين والجماعات الروحية الجليلية كانوا قد أطلعوه عن سر حبل مريم العذراء وعلى طبيعة المولود ورسَالته الروحيّة السَامية... وقد أرسَل صاحب المضافة هذا، زيادة في السريّة والحماية والاهتمام، ابنته سَارة كي تسَاعد مريم العذراء في ولادة ابنها... وهكذا تبقى قضية الولادة العجيبة بعيدة عن عيون الفضوليّين والجواسيس والمقرّبين من السلطات الرومانية واليهودية... وقد تمّت ولادة الطفل بسريّة بعيداً عن بيوت الناس..." (البحاثة دوروتى كوكلين دى بيزمون في كتابها بالفرنسيّة: "عالم إدغار كايسي"، الجزء الاول، ص 326)!

ويتبيّن من الانجيل المقدس نفسَه ان ولادة يسوع قد تمت، ليسَ في داخل بيت لحم، بل في خارجها، بالقرب منها وعلى طريقها، في مكان أقرب الى البرّية ومراعي القطعان منه الى البيوت والمنازل...

فقد جاء في انجيل لوقا ما يلي:

"... وكان في تلك الناحية رعاة يبيتون في البرّية، يتناوبون السَهر على رعيتهم. فحضرهم ملاك الربّ وأشرق مجد الربّ حولهم، فخافوا خوفاً شديداً. فقال لهم الملاك: لا تخافوا، ها إني أبشّركم بفرح عظيم يكون فرح الشعب كلّه: ولد لكم اليوم مخلّص... واليكم هذه العلامة: سَتجدون طفلاً ومقمّطاً مضجعاً في مزود... وجاء الرعاة مسرعين فوجدوا مريم ويوسف والطفل مضجعاً في المزود... ولما رأوا ذلك جعلوا يخبرون بما قيل لهم في ذلك الطفل... ورجع الرعاة وهم يمجّدون الله

ويسبّحونه على كل ما سَمعوا ورأوا كما قيل لهم..." (إنجيل لوقا 2: 8-20).
وهكذا يظهر بوضوح من النصّ الانجيلي نفسَه ان الولادة لم تتمّ في داخل بيت لحم بل خارجها، في مكان أقرب الى البرّية والمراعي منه الى المنازل والبيوت.

منذ القدم، كان هناك الى الجنوب من مدينة "يبّوس" الكنعانية (أورشليم فيما بعد)، وعلى بعد حوالي 12 كلم منطقة تكثر فيها المغاور الصغيرة. وفيما بعد، وبسَبب الغزوات والحروب أقام الكنعانيون في تلك المنطقة حصنا عسكرياً صغيراً أسَموه "بيت لحم" (واللفظة كنعانية تعني في الأصل: مقام إله المزروعات والخبز، ثم مكان الخبز؛ لَحْمُوْ = خبز). دُمّر هذا الحصن ورمّم أكثر من مرّة. وقد ورد ذكر هذا الحصن – بيت لحم – لأول مرّة في الكتاب المقدس، في العهد القديم، في سفر صموئيل الثاني 2: 32 ثم في 19: 38-40. وكانت مغاور بيت لحم هذه، مع غيرها من مغاور برّية يهوذا، تستعمل ملجأً للخارجين على القانون. فقد جاء في صموئيل الاول (22: 1-2) ما يلي: "وانصرف داود من هناك (من نوب في شرق أورشليم) ولجأ الى مغارة عدلاّم (القريبة جداً من مغاور وحصن بيت لحم). فلمّا سَمع إخوته وكلّ بيت أبيه، نزلوا اليه الى هناك. واجتمع اليه كل صاحب ضيق وكل من كان عليه دين وكل من كان في مرارة نفس، فكان عليهم رئيساً وصار معه نحو أربع مائة رجل...". وتعلق النسخة الجديدة على هذا النص فتقول: "استعملت منذ زمن بعيد مغاور برية يهوذا ملجأ للخارجين على القانون..." (ص 562 الحاشية رقم 1 – وقد جاء ذلك تحت عنوان: داود رئيس عصابة...)! ومن جهة ثانية، يظهر من النصّ والتعليق معاً ان داود لم يكن، في الحقيقة، من مدينة بيت لحم كما يقول التقليد المتأخر والذي يستند الى زيادات وتعليقات النسّاخ المتأخرين... فلو كان من مدينة بيت لحم لما أتى اليه من الشمال إخوته وكل بيت أبيه ونزلوا اليه الى هناك الى عدلاّم. وعلى كل حال، لم يكن هناك مدينة اسمها بيت لحم في أرض يهوذا في ذلك الوقت، بل كان هناك حصن عسكري مع بعض المغاور الصغيرة. وقد احتل، فترة من الزمن، هذا الحصن وهذه المغاور، الجيش الفلسطيني في حروبه مع اليهود. (راجع صموئيل الثاني 23: 14). وبعد تنصيبه ملكاً على يهوذا، بنى داود بالقرب من حصن ومغاور بيت لحم خاناً لكمهام ابن برزلاّي صديقه ومعاونه في حروبه (راجع صموئيل الثاني 19: 38-40، وارميا 41: 17). دُكَّ الحصن بيت لحم وخربت المغاور المحيطة به، أثناء حملة الملك المصري شيشانق الأول (950-929) الى فلسطين كما هو منقوش على "نُصُب مجدّو". وقد حصلت هذه الحملة في السَنة الخامسَة لملك رحبعام، ملك يهوذا (933-916)، أي في السَنة 928 ق.م. (راجع سفر الأخبار الثاني 12: 1) وفي أعقاب حملة شيشانق هذه، رمّم الملك رحبعام الحصن أو القلعة التي تدعى بيت لحم كما جاء في سفر الأخبار الثاني

11: 5-12، وكما تؤكد النسخة الجديدة في تعليقها على هذا النص، ص 792، الحاشية رقم 1. وخرب هذا الحصن من جديد أثناء حملة نبوكد نصّر على اليهوديّة في أوائل القرن السَادس قبل الميلاد. بعد العودة من الجلاء الى بابل بدأ اليهود ببناء قرية عند حصن بيت لحم والمغاور الصغيرة المحيطة به، وكان ذلك في أواخر القرن الرابع أو بداية القرن الثالث قبل الميلاد. وظلت بيت لحم قرية صغيرة حتى أيام المسيح. وبعد خراب هيكل أورشليم سَنة 70 بعد المسيح، تشتت اليهود في بلدان حوض المتوسط، ومُنعوا لفترة طويلة من الدخول الى أورشليم والمناطق المحيطة ومنها بيت لحم اليهودية. وهكذا سَيطرت الديانة الرومانية في هذه المنطقة فترة طويلة من الزمن. وفي سَنة 135 أقام الملك أدريانوس تماثيل لآلهة الرومان في الأماكن المقدسة اليهودية والمسيحية، وغابة باسم أدونيس فوق مغاور بيت لحم، وفي وسَط الغابة تمثال كبير لهذا الإله الشاب. وبعد انتصار الملك قسطنطين الكبير، وإعطائه الحرية للديانة المسيحيّة في كلّ أرجاء أمبراطوريته، أرسَل فأزال التماثيل وكل معالم الوثنية من الأراضي المقدسة المسيحية. وفي سَنة 326 أقام كنيسة كبيرة، في بيت لحم اليهودية، فوق المغارة التي قيل له إن المسيح ولد في داخلها... وقد استند في ذلك على أقوال المسيحيّين المتهوِّدِين وبعض الحجّاج من النساء التقيات، والتفسيرات التقوية الشعبية المتسرّعة. بعد ذلك، جاءت أقوال أوسَابيوس القيصري والقديس ايرونيموس والرحالة السَيّدة إتيريا وغيرها، وهكذا تَكَوَّنَ التقليد المسيحي، الباقي الى اليوم، والقائل ان يسوع المسيح ولد في مغارة في بيت لحم اليهودية. وهذا التقليد لم يستند الى أي أسَاس أو برهان أو دليل علميّ تاريخيّ وجغرافيّ ثابت ومحقّق، على الاطلاق!؟ وفي هذا الموضوع، تقول المؤرخة وعالمة الآثار الايطالية ماريّا تيريزا بتروتزي: "من المستحيل ان نعرف اليوم، بشكل دقيق ومحدّد، اين ولد السيّد المسيح! هل ولد فعلاً في إحدى المغاور الصغيرة في بيت لحم أم في مزود في زاوايا إحدى المضافات...؟!" ("بيت لحم"، مطابع الفرنسيسكان، أورشليم، الترجمة الفرنسية 1985، طبعة جديدة ومنقّحة، ص 83). وتضيف عالمة الآثار فتقول: "إن مغاور بيت لحم – ومنها مغارة المهد – كانت تستعمل كمقابر في القرون الاولى الثلاثة بعد المسيح..." (ص 94)! فإذا كانت مغارة الميلاد في بيت لحم تستعمل كمدفن للأموات طوال هذه القرون، فهل يعقل أن يجعلوا من مهد المسيح مقبرة؟ وبقيت الأمور على هذه الحال الى زمن الملك قسطنطين الكبير. فبعد انتصاره وإعطائه الحرية للديانة المسيحية أراد ان يكرّم الأراضي المقدسة حيث عاش ومات السيّد المسيح، وخاصة مكان مولده وصلبه وقيامته، فبنى كنائس في هذه الأمكنة الثلاثة. وفيما يخصّ مكان الميلاد فكان من الطبيعي جداً ان ينفّذ تعليمات الكنيسة المسيحيّة

الرسمية المحلية التي كانت آنذاك "كنيسة الختان"، التي تحدثنا عنها، أي كنيسة المسيحيّين المتهوّدين. وهم الذين حدّدوا – دون أي أساس تاريخيّ أو جغرافيّ – مولد المسيح في بيت لحم اليهودية، وليسَ في بيت لحم الجليل، فقط ليبرهنوا لإخوتهم اليهود الذين لم يكونوا آمنوا بالمسيح بعد، بأن يسوع ولد بين اليهود، أي في بيت لحم اليهودية، وانه هو مسيح اليهود ومخلّصهم المنتظر... وهكذا، أقام الملك قسطنطين، عام 326، كنيسة كبيرة فوق المكان الذي قيل له إن المسيح ولد فيه، أي فوق "مغارة المهد" في بيت لحم اليهودية. وبهذا الشكل، تكرّس، بشكل علني وحسّيٍ، التقليد القائل بأن يسوع المسيح ولد في بيت لحم اليهودية. وما زال هذا التقليد باقياً الى اليوم. وهذا التقليد نفسَه هو الذي تحاول هذه الدراسَة، التاريخية والجغرافية، أن تنقضه وتبطله وتلاشيه، وتبرهن ان يسوع المسيح قد ولد فعلاً في بيت لحم الجليل، وبالتحديد في مغارة بالقرب منها، في إحدى المغاور التي تحدثنا عنها آنفاً والتي كانت في السفوح الشمالية الشرقية لجبل الكرمل. وكان جبل الكرمل مع جميع سفوحه ومغاوره، في ايام الميلاد، تابعاً لفينيقية – لبنان. وهكذا يكون يسوع المسيح ولد في لبنان! أجل! في لبنان. "ومن له أذنان سَامعتان فليسمع"، ثم فليذهب ويراجع الخرائط.

وإذا عدنا الى مغاور بيت لحم اليهودية نجد ان التقليد المسيحي المتهوّد القديم إياه، كرّس واحدة من هذه المغاور الملاصقة لمغارة المهد، كرّسها لأطفال بيت لحم الشهداء الذين قتلهم الملك هيرودس، بحسَب التقليد القديم إياه... وقد تأكد، بشكل قاطع، بعد حفريات وابحاث علمية قديمة وحديثة ومعاصرة، ان لا أسَاس لذلك على الاطلاق، لا من قريب ولا من بعيد. فلا الحفريات الأثرية، ولا الأبحاث التاريخيّة، ولا تواريخ ذلك العصر وعلى راسها مؤلفات المؤرّخ يوسيفوس، أظهرت، ولو بشكل غير مباشر، أي دليل أو حتى قرينة لها علاقة من قريب أو بعيد بأطفال بيت لحم اليهودية أو مقتلهم أو قبرهم أو أي اثر لهم!؟... 0وعلى سَبيل المثال راجع كتاب العالمة الإيطالية: "بيت لحم"، ص 95).

وتجدر الإشارة هنا الى أن هناك عدة مغاور صغيرة ملاصقة "لمغارة المهد" ومغارة "الأطفال الشهداء"، أطلق عليها اسم مغاور القديس إيرونيموس ابتداء من اوائل القرن الخامس. وذلك لأن القديس قد اختار هذه المغاور لتكون مدافن له ولأعضاء الجماعة الرهبانية التي أسَّسَها في بيت لحم. ("بيت لحم"، ص 94). وبعد دفن إحدى الناسكات المدعوة باولا في إحدى هذه المغاور، كتب القديس إيرونيموس في إحدى رسائله يقول: "وبعد دفنك نقشتُ بعض الكلمات عنكِ حتى يعرف كلّ امرئٍ تصل اليه كلماتي أنني مدحت سيرتك وانك دفنت في بيت لحم...".

(رسائل القديس ايرونيموس – الرسالة رقم 108، عام 404. راجع أيضاً "بيت لحم"، ص 94)! والقديس ايرونيموس دفن هو نفسَه في إحدى هذه المغاور كما كان قد أوصى قبل مماته. غير أن رفاته نقلت فيما بعد الى مدينة القسطنطينية على يد تيودوسيوس الصغير، كما يقول المؤرخ تيودوريك. كما أن أوسابيوس الكريموني تلميذ ايرونيموس دفن في مغارة ملاصقة، كما يقول المؤرخ موروزيني، الخ... (راجع كتاب: "بيت لحم"، ص 95-96). ومعروف أن القديس إيرونيموس قد أقام فترة طويلة في إحدى هذه المغاور، منقطعاً الى الصلاة والتأمل وقراءة الكتاب المقدّس... وقد كرّس حياته لدراسَة الكتب المقدسة، وترجم العهد القديم من اللغة العبرية الى اللاتينية، وهذه الترجمة معروفة الآن "بالشعبيّة" "Vulgate". وتوفي ايرونيموس سَنة 420.

وهناك مغاور أخرى في جوار بيت لحم، باقية الى اليوم، منها "مغارة الحليب" أو "مغارة سَتنا مريم". ويروي التقليد الشعبي أن مريم العذراء توقفت هنا لارضاع ابنها الطفل يسوع، وهي في طريقها الى مصر، هرباً من وجه هيرودس الملك...؟! ومنها "مغارة المحوارة"، "ومغارة الرعاة" بالقرب من قرية بيت سَاحور (قرية السَاهرين). وقد عرفت مغاور بيت لحم – وخاصة مغارة المهد – وهذه المغاور المجاورة، ترميمات وتحسينات وتوسيعات طوال قرون عديدة وعلى فترات متعاقبة. وقد كسيت بالطنافس والأقمشة الفاخرة، وأقيمت فيها المذابح وملئت أرجاؤها بالتماثيل والصور والتقدمات والنذور، حتى تغيّرت معالمها وتشوّهت صورتها الأصلية، وسَيطرت الأشكال الخارجية والمظاهر... وهكذا خاصة "مغارة الميلاد" أو "مغارة المهد" المزعومة!

والملفت حقاً، أنه رغم وجود مغاور عديدة في جوار بيت لحم، "بالقرب من بيت لحم" وعلى "طريق بيت لحم"، لم يختاروا كمغارة لميلاد يسوع المسيح الاّ واحدة <u>موجودة في وسَط بيت لحم بالذات</u>! ومعروف ان هذا الاختيار الملتبس حصل في أواسط القرن الرابع! ولكنه يتناقض تماماً مع التقاليد والأسفار في العهدين القديم والحديث. فجميع هذه تقول وتكرر ان المخلَّص – يسوع المسيح – يولد، وقد ولد فعلاً، ليسَ في داخل بيت لحم، بل "على مسَافة من بيت لحم"، "على طريق بيت لحم"، "بالقرب من بيت لحم". ومرّة أخرى نقول ونكرر: إن "مغارة المهد"، المعروفة اليوم، هي موجودة في قلب بيت لحم (اليهودية)، في وسَط بيت لحم. ومن له عينان مبصرتان فلينظر! أما الحقيقة التاريخية فهي غير ذلك، رغم الطمس المقصود والتناسي والجهل الموروث والخوف... إن يسوع المسيح لم يولد في وسَط بيت لحم اليهودية في جنوب فلسطين، بل ولد فعلاً – كما تقول جميع الكتب – "على طريق بيت لحم" الجليل، "على مسَافة من بيت

لحم"، "وعلى طريق بيت لحم"، في مغارة بيت لحم، عند السفوح الشمالية الشرقية لجبل الكرمل، هذا الجبل الذي كان هو وجميع سفوحه – في أيام الميلاد بالذات – داخل أراضي فينيقية – لبنان! أجل! إن يسوع المسيح قد ولد، في الحقيقة، في أرض لبنان.

وزيادة في التحديد الجغرافي لموقع المغارة التي ولد فيها يسوع المسيح، نوضح انه كان هناك طريق عادية قديمة العهد يسلكها الناس تسَمّى "طريق بيت لحم"... وهي تنطلق من حيفا، من شاطئ البحر المتوسط، وتتّجه صعداً، بمحازاة نهر قيشون، الى منطقة لجّون في جنوب غربي الناصرة وتمر قريباً من بيت لحم الى جهة الجنوب. كانت هذه الطريق معروفة في العهد الكنعاني، وقد سَلكها فيما بعد الرومان أيام المسيح، وهي ظاهرة في جميع الخرائط الجغرافية الى يومنا هذا... وأهمية هذه الطريق ظاهرة للعيان. فهي، من جهة، تحازي السفوح الشمالية الشرقية لجبل الكرمل بحيث تحيط بقسم كبير من الجبل، ومن جهة ثانية، تؤمن الاتصال الأقرب والأسهل بين شاطئ البحر والمناطق الداخلية لبلاد الجليل. والى الجانب الجنوبي من هذه الطريق، "طريق بيت لحم"، وفي السفوح الشمالية الشرقية لجبل الكرمل، كان هناك مغاور طبيعية – عملت فيها أو في بعضها، يد الإنسان فيما بعد – باقية الى يومنا هذا، وقد تحدثنا عنها سابقاً مع شيء من التفصيل... ففي إحدى هذه المغاور بالذات ولد يسوع المسيح! وهو ولد إذاً، ليسَ في داخل مدينة بيت لحم كما هي الحال بالنسبة الى "مغارة المهد" المعروفة اليوم، بل على مسَافة من بيت لحم، خارج بيت لحم، وعلى "طريق بيت لحم". وبالتحديد في مكان منعزل بعيد عن منازل وبيوت الناس، وفي منطقة ترعى فيها القطعان... والقطعان ترعى عادة بعيداً عن مناطق السَكن. حتى ان الانجيل نفسَه يقول عن مكان المغارة التي ولد فيها يسوع المسيح بالحرف الواحد: "... وكان في تلك الناحية رعاة يبيتون في البرية... يتناوبون السَهر في الليل على رعيتهم..." (لوقا 2: 8). وفيما يخصّ "طريق بيت لحم"، راجع: خرائط الجليل القديمة المفصّلة، بجميع اللغات، الخرائط المخطوطة والمطبوعة على السَواء...

كنيسَة "المهد" في بيت لحم المعروفة اليوم

تقع هذه الكنيسَة في قلب مدينة بيت لحم، هذه المدينة التي امتدت اطرافها انطلاقاً من كنيسة المهد. تحيط بالكنيسة جدران الأديرة الثلاثة: الفرنسيسكان والروم الأرثوذكس والأرمن الأورثوذكس. يبلغ طول الكنيسة 54 متراً بعرض 26 متراً، وتقسَم الى خمسَة أروقة. أما "مغارة المهد" فتقع تحت صحن الكنيسة، نصل اليها من خلال درجين من الحجر يؤديان إليها عن جانبي المذبح.

وكنيسة المهد هي، في الحقيقة، مجموعة كنائس تتمحور حول "مغارة المهد"، أي حول المكان الذي يظن ان يسوع المسيح ولد فيه... نصل أولاً الى باحة الكنيسَة، فنشاهد الواجهة وقد سدّت أبوابها الثلاثة في عهد الصليبيّين وفي زمن الأتراك أيضاً، وذلك بموافقة المسيحيّين، ليمنعوا دخول العسكر الى الكنيسة وهم على ظهور الخيل...

الكنيسَة الحالية هي من عهد الملك قسطنطين الكبير شيّدها عام 326. دمّرها السامريّون عام 529. وقد أعاد ترميمها الملك يوستنيانوس عام 540. نجت الكنيسَة من التهديم في زمن الاحتلال الفارسي بفضل الرسوم الجدرانيّة على واجهة الكنيسَة الداخلية، والتي تمثل مجوس الفرس، الذين اتوا ليسجدوا للطفل يسوع ويقدّموا له الهدايا.

تقوم كنيسَة المهد الحالية على أنقاض كنيسَة الملك قسطنطين اكبير. وربما تعود الأعمدة الى زمن قسطنطين أيضاً والتي أعاد يوستنيانوس استعمالها من جديد. والزخرفة الحالية هي من عمل الصليبيّين. اما الجدران الجانبية والخورس المزيّنة كلّها بالفسَيفسَاء، فلم يبقَ منها اليوم سوى القليل. الحائط الأيمن عليه رسوم تبيّن سلالة المسيح... وتنتهي برسم شجرة السلالة في الحائط المواجه. والحائط الشمالي يبرز بعض المجامع المسكونية التي تكلّمت على شخص السيّد المسيح. على الجدار الفاصل، ما بين الخورس وصحن الكنيسَة، توجد بقايا رسم الصعود ودخول المسيح الى أورشليم يوم الشعانين. وفي أرض الكنيسة في الوسط يمكننا رؤية أجزاء من بقايا فسَيفسَاء كنيسَة الملك قسطنطين الكبير...

في يومنا هذا، لا أحد يؤكّد – من العلماء والمؤرخين ومفسِّري الكتب المقدسة – بأن يسوع المسيح قد ولد فعلاً في بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم، أي الى الجنوب من أورشليم وعلى بعد حوالي 10 كلم.   غير أن لا أحد يقول – أو يجرؤ على قول – عكس ذلك!؟ جميعهم يميلون الى الاعتقاد بأن يسوع ولد في

الجليل وليسَ في اليهودية وذلك انطلاقاً من القرائن التاريخية والجغرافية وعلى ضوء النقد التاريخي الحديث. البعض منهم – على خطى رينان وبعض المؤرّخين القدماء – يقول إن المسيح ولد في الناصرة، ثم جاء التقليد الشعبي فيما بعد ونقل مكان الولادة من الناصرة الى بيت لحم اليهودية لتتوافق ولادة المسيح المخلص مع بيت لحم يهوذا مدينة داود... (راجع، على سَبيل المثال، شارل بيرّو "أحداث طفولة يسوع"، ص 51). والبعض الآخر يقول ان يسوع ولد في الجليل، دون ان يحدّد بالضبط مكان الولادة. (راجع، على سَبيل المثال، شارل غينيوبير "يسوع"، منشورات البين ميشال، باريس، 1969، الفصل الثالث، ص 87-93). ومنهم أخيراً من بدأ يلمّح، بشكل غير مباشر، بان يسوع ولد فعلاً في بيت لحم الشمال، في الجليل، قرب الناصرة. من هؤلاء المعاصرين الكاثوليكي المعروف "جاك دوكين"، فهو يقول:

“Pour lui (Matthieu) aussi, Jésus est né à Bethléem et, comme Luc, il précise “de Judée”. La précision n’est pas fortuite, et elle n’était pas destinée aux érudits de ces temps-ci qui se demandent parfois si le Bethléem de la naissance n’est pas une autre localité portant le même nom et située, elle, à une dizaine de kilomètres de Nazareth, donc en Galilée. Ce qu’il s’agit de prouver, pour Luc et matthieu… (qui, puisqu’ils ont tenu à le préciser, connaissaient l’existence de l’autre Bethléem…), c’est que la naissance de Jésus accomplissait les promesses faites par Dieu à Israël…” (Jacques Duquensne, “Jésus”, page 54).!!

هذا النص الموضوعيّ الجريء لأحد كبار واضعي حياة يسوع المعاصرين، يمكن تعريبه على الشكل التالي:

"وبحسَب متّى أيضاً ولد يسوع في بيت لحم، وعلى غرار لوقا، يوضح متى فيقول: في "بيت لحم اليهودية". وهذا التوضيح ليسَ عاديّاً، ولم يكن موجهاً الى المثقّفين والعلماء في ذلك العصر (!) الذين كان بامكانهم ان يتسَاءلوا ما إذا كانت بيت لحم الحقيقية حيث ولد فعلاً يسوع، في مكان آخر يحمل نفس الاسم، ويقع على بعد حوالي 10 كلم عن الناصرة، إذاً في الجليل. والامر الذي يحاول متى ولوقا أن يثبتاه (وبما أنهما يركّزان على تحديد مكان الولادة، فهذا يعني أنهما كانا على علم بوجود بيت لحم الاخرى...)، هو أن ولادة يسوع قد تمّت بحسَب المواعيد التي أقامها الله مع إسرائيل..."!! (جاك دوكين "يسوع"، صفحة 54).

يمكن أن نتبيّن من النصّ أموراً هامّة منها:

أولاً: يحاول متى ولوقا معاً أن يحدّدا مكان ولادة يسوع في أرض اليهوديّة أي في أرض يهوذا في جنوب فلسطين: "في بيت لحم اليهودية"، بالقرب من مدينة أورشليم...

ثانياً: هذا التحديد لمكان ولادة يسوع موجّه الى الشعب وعامة الناس، وليسَ موجهاً الى العلماء والمؤرّخين الذين بامكانهم ان يبرهنوا ان يسوع ولد فعلاً في مكان آخر يحمل نفس الاسم (بيت لحم) ويقع على بعد حوالي 10 كلم عن الناصرة في الجليل: اذاً في بيت لحم الجليل، في شمال فلسطين وليسَ في جنوبها، أي بيت لحم الأصلية الحقيقية موضوع هذه الدراسَة.

ثالثاً: هناك اذاً بالفعل، وعلى الأرض، بيت لحم ثانية، غير بيت لحم المعروفة اليوم، وهي قريبة جداً من الناصرة الى جهة الغرب.

رابعاً: كان متى ولوقا يعرفان تماماً بوجود بيت لحم هذه الجليلية، ولذلك حاولا التركيز بدقة عى ولادة يسوع في بيت لحم "اليهودية".

خامساً: إن الهمّ الأسَاسي عند متى ولوقا من تحديد مكان ولادة يسوع في ارض اليهودية، لم يكن أبداً من النوع التاريخيّ والجغرافي الموضوعي، بل كان محاولة إقناع الشعب وعامة الناس فقط...، من اليهود غير المؤمنين بالمسيح، بأن يسوع هو مسيحهم ومخلّصهم المنتظر، وبأنه ولد فيما بينهم، قرب أورشليم، في أرض اليهودية، وفي بيت لحم بالذات "مدينة داود"... الخ... خلاصة القول، اذا اعتمدنا التاريخ والجغرافية بشكل علميّ موضوعيّ ومجرّد، فإن يسوع المسيح لم يولد فعلاً في بيت لحم اليهودية، كما هو معروف اليوم، بل في مغارة بالقرب من بيت لحم الأخرى، قرب الناصرة، في الجليل – "جليل الامم"! وفي أرض لبنان بالذات. جاك دوكين يلمّح الى ذلك تلميحاً، ولا يجرؤ على أكثر من ذلك. أمّا نحن فنؤكد ذلك علناً، بالفم الملآن، وعلى سَمع العالم أجمع...!

يقول العالم الكاثوليكي، شارل بيرّو، أحد كبار مفسِّري كتب العهد الجديد، في دراسَة حديثة جداً حول بيت لحم اليهودية، المعروفة اليوم، وحول إمكانية ان يكون المسيح قد ولد فيها فعلاً أم لا، يقول ما تعريبه، بالحرف الواحد، ما يلي:

"إن كتابة أحداث طفولة يسوع في متى 1-2، ولوقا 1-2، جاءَت نتيجة دوافع مختلفة. وإذا كان الإنجيل الاول، زمنياً، أي إنجيل مرقس، يظهر بالدرجة الأولى وكأنه إقرار بالإيمان (بيسوع المسيح) في صياغة تبشير وتعليم دينيّ من النوع التاريخيّ المستخدم عهد ذاك، فإن إعادة صياغة وكتابة إنجيل متى، وبنوع خاص إنجل لوقا، تجعل منهما، في الحقيقة، "تاريخاً مقدّساً"...

"هناك نوع من الاستباق الروحيّ في سَرد حياة السيد المسيح. ألا يظهر الطفل يسوع، في الواقع، كأنه ذلك الرجل الناضج قبل الأوان؟ وذاك الذي دعته الجماعة المسيحيّة الأولى، فيما بعد، "سَيّداً ومسيحاً" (أعمال الرسل 2: 36)، ألم يظهر وكأنه "يحمل هاتين الصفتين خلال حياته، وحتى منذ مولده؟! إن أحداث الطفولة عند متى ولوقا تحاول أن تجمع في نصوصها، دفعة واحدة، كل خطوط السرّ التي تمتد الى ما بعد موت المسيح وقيامته. وهكذا، تتجمّع، في الواقع، جميع الصفات والنعوت والميزات المسيحانية، في تلك النصوص القليلة، بغية إعطاء صورة كاملة ولكن مسبقة للمسيح. فتظهر هكذا عبارات مثل "إبن داود" (متى 1: 1)، وما يماثلها عند لوقا مثل "داود أبوه" (1: 27)، وغيرها من العبارات، وكأنها تعلن مسبقاً، ودفعة واحدة، أن يسوع هو المسيح. وتسمية بيت لحم المعروفة اليوم باسم "مدينة داود" تدخل، هي أيضاً، في هذا الإطار المعتمد: إنها مدينة المسيح...!

"نحن نعلم مدى تركيز "الجماعات المسيحيّة المُتَهَوِّدَة" على الصفات المسيحانية الملوكية ليسوع، ممّا سَبّب بإحداث بلبلة في روما عامي 41 و49. فقد كتب المؤرّخ الروماني سيوتون يقول: "وكان هناك "بعض اليهود" في رومة الذين أحدثوا بلبلة في مجتمعهم بسَبب رئيسهم المدعو "المسيح – الملك"، كما جاء في إعلان الامبراطور كلوديوس (سَيّوتونْ "حياة كلوديوس 25: 4). وقد تسَبّب ذلك بطردهم من المدينة وعلى رأسهم أكيلاس وبرسقلّة (راجع أعمال الرسل 18: 2). ومن جهة ثانية نحن نعلم أيضاً كم كانت "هذه الجماعات المسيحيّة المتهوّدة" تسعى وتجهد كي تكتشف في يسوع الصفات والميزات التي للمسيح المخلص والذي تحدثت عنه الاسفار القديمة...

"هناك اختلافات قوية بين متى ولوقا في ما يخص بعض أحداث طفولة يسوع منها مثلاً أن أبوي يسوع، يوسف ومريم، قد مَرَّا، بحسَب لوقا، مروراً سريعاً في بيت لحم "(لوقا 2: 7). أمّا في متى فعلى العكس إن العائلة المقدسة قد أقامت ف بيت لحم في "بيتها" (متى 2: 11)، وهي أرادت أن تعود اليها بعد الرجوع من مصر (متى 2: 22). والواضح أن ذكر بيت لحم عند متى ولوقا يعود الى تفكير لاهوتي من "النوع المدراشي" المستعمل عند اليهود. وهكذا فان اسم بيت لحم وتفخيمها وتعظيمها الكتابيّ كان معروفاً تماماً لدى "المسيحيّين المتهوّدين"...!

"إن لوقا، يتابع شارل بيرّو، يشدّد على بيت لحم ويسَمّيها "مدينة داود" (لوقا 2: 4 و11)، مع أن تسمية "مدينة داود" كانت تطلق، لا على بيت لحم، بل دوماً وأبداً على مدينة أورشليم، وذلك في جميع اسفار الكتاب المقدس!؟ وتفخيم وتعظيم

بيت لحم اليهودية يظهران أكثر فأكثر عند متى – "والأصح عند تلاميذه – حتى يصل به الأمر الى التلاعب الواضح والتحوير الذي يصل الى حد التناقض في نبؤة ميخا الشهيرة التي تتحدث عن المسيح المخلّص المنتظر. النصّ العبري للنبي ميخا يقول بالحرف الواحد: "وأنتِ يا بيت لحم أفراتة، إنك أصغر عشائر يهوذا، ولكن منك يخرج لي من "يكون متسلّطاً على اسرائيل..." (ميخا 5: 1). غير أن متى يستشهد بنبؤة ميخا هذه، ويتصرّف بها ويحوّرها فتصبح هكذا بالحرف الواحد: "وأنتِ يا بيت لحم، أرض يهوذا، لست أصغر ولايات يهوذا، فمنك يخرج الوالي الذي يرعى شعبي اسرائيل" (متى 2: 6)!! وهكذا فجأة تصبح "القرية الحقيرة بيت لحم اليهودية من المدائن العظيمة...!

"وجاء في التلمود اليهوديّ ما يلي: "سأل عربيّ يهودياً: ما هو اسم المسيح عندكم؟ أجاب اليهوديّ: إنه يدعى "مناحيم" (أي المعزّي) – وما هو اسم أبيه؟ "حزقيّا"، أردف اليهوديّ. ومن أين يأتي؟ سأل العربي. أجاب اليهوديّ: يأتي من بيت لحم يهوذا، المدينة الملكية (التلمود اليهودي، - الأورشليميّ – بيراكوت 5: أ). يلاحظ ان اسم والد المسيح هو حزقيا! واسم المسيح مناحيم! وبيت لحم لا تلقّب "بأفراتة" كما جاء في نبؤة ميخا...؟!

"وجاء في ترجوم اليهود ما يلي: "إن أبانا يعقوب نصب خيامه خارج "برج القطيع"، بالقرب من بيت لحم، المكان الذي يأتي منه الملك المسيح في الأيام الأخيرة..." (ترجوم أورشليم حول سفر التكوين 35: 21). وهكذا فإن اثبات كون بيت لحم اليهودية، المعروفة اليوم، هي المدينة التي يأتي منها المسيح، يفتقر الى الأدلة والأسناد ويترك الباحث في حيرة كبيرة...!

"ومن جهة ثانية – والملفت حقاً – ان مرقس ويوحنا لا يذكران كلمة عن ميلاد المسيح، لا عن مكان ولادته ولا عن أحداث طفولته!؟ فالاثنان يبدآن إنجيلهما بحياته العلنية.

"بعد كلّ ما تقدّم، يتابع شارل بيرّو، هل يمكننا أن نطرح السؤال الخطير التالي: هل حقيقة ولد يسوع المسيح في بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم؟ الآراء متنوّعة ومختلفة، والوضع الحالي للمعلومات والوثائق لا يسمح بإضاءة اكثر على هذه المسألة. في إنجيلي مرقس ويوحنا لا يستدلّ أبداً ان يسوع ولد في اليهودية أو في بيت لحم اليهودية بالتحديد. بل على العكس تماماً، يظهر عند مرقس ويوحنا أن يسوع ولد في الجليل، "جليل الأمم"، والنصوص نفسَها تشهد على ذلك. فقد جاء في انجيل مرقس ما يلي:

"وانصرف من هناك وجاء الى وطنه (الناصرة) يتبعه تلاميذه. ولما أتى السَبت اخذ يعلّم في المجمع، فدهش كثير من الذين سمعوه، قالوا: من أين له هذا؟ وما هذه الحكمة التي أعطيها حتى إن المعجزات المبينة تجري عن يديه؟ أما هو النجّار ابن مريم، أخو يعقوب ويوسَى ويهوذا وسمعان؟ أوليسّت أخواته عندنا ههنا؟ وكان لهم حجر عثرة. فقال لهم يسوع: لا يزدرى نبيّ الاّ في وطنه وأقاربه وبيته..." (مرقس "6: 1-47). ويوحنا، من جهته، يقول: "فقال أناس وقد سَمعوا كلام يسوع: هذا هو النبيّ حقاً! وقال غيرهم هذا هو المسيح! ولكنّ آخرين قالوا: أفترى من الجليل يأتي المسيح؟ ألم يقل الكتاب إن المسيح هو من نسل "داود وإنه يأتي من بيت لحم القرية التي خرج منها داود؟ فوقع بين الجمع خلاف في شأنه..." (يوحنا 7: 40-43). هذه النصوص وأمثالها تظهر المسيح جليلياً بكل معنى الكلمة، ولا توحي لا من قريب ولا من بعيد بأن المسيح هو من ذرّية داود "وبأنه ولد في بيت لحم اليهودية. وأكثر من ذلك، فعندما قال فيلبّس لنتنائيل: "وجدنا الذي ذكره موسَى في الشريعة وذكره الأنبياء، وهو يسوع ابن يوسف من الناصرة"، وقال له نتنائيل: "أمن الناصرة يخرج شيء صالح؟" (يوحنا 1: 45-6)، عندما قيل هذا القول الواضح والمحدّد، لم ينبرِ الرسل والتلاميذ والشعب والرؤساء والنسّاخ... – لم ينبرِ أحد، على الاطلاق، ليصحّح ويقول: كلا! بل إن المسيح ولد في بيت لحم اليهودية! لماذا لم يقل احد إنه ولد، لا في الناصرة، بل في بيت لحم اليهودية، لماذا؟ (والتعليق هنا هو دوماً للعالم والشارح الكاثوليكي الكبير شارل بيرّو). البعض يضفي على كلام يوحنّا هنا "أمن الناصرة يخرج شيء صالح؟" طابعاً تهكّمياً موجّهاً الى اليهود الذين لا يعرفون ان المسيح ولد في بيت لحم اليهودية. غير أنه من الضروري إثبات أن هناك تهكّماً في نص يوحنا، اذ لا يجوز ابداً ان نجعل النص يقول ما لا يريد قوله! وبكلمة، إن صمت مرقس ويوحنا عن تحديد مكان ولادة المسيح :في بيت لحم اليهودية، وهما يمثّلان تقليدين قديمين ومستقلّين تماماً الواحد عن الآخر، هذا الصمت التام عند كليهما يناقض بقوة الرأي الراهن الذي يقول ان المسيح ولد في بيت لحم اليهودية! وعندما كان المسيح في الناصرة، كان "في وطنه واقاربه وبيته" (مرقس 6: 4). غير أن الرأي القائل بان يسوع المسيح ولد في بيت لحم اليهودية، المعروفة اليوم، كان سائداً عند "بعض الجماعات المسيحّية المتهوّدة التي كانت تسعى بكل الوسائل والطرق لربط "المسيح – الملك" بذرّية داود الملكية، كما رأينا سابقاً... والسؤال الذي يطرح نفسَه بالحاح هنا هو التالي: هل إن رأي هؤلاء المسيحيين المتهوّدين كان يرتكز على حقيقة تاريخية وجغرافية وعائلية موضوعية ومجرّدة، أم أنه يتأتى عن تأويل تاريخي مقدّس نابع عن "صيغة "روحية مدراشيّة"، مسيحّية – متهوّدة، للحديث عن المسيح الداوديّ؟ إن التفسير الثاني هو الأرجح!! وهكذا،

ينتج عما تقدم، أنه ليسَ هناك من برهان قاطع على ان المسيح ولد حقاً في بيت لحم اليهودية، المعروفة اليوم!! (والكلام هو دوماً لشارل بيرّو، الذي يتابع):

"وبالاضافة الى ذلك، فإن مسألة "الإحصاء الأول الذي جرى إذ كان قيرينيوس حاكماً على سوريّة (لوقا 2: 2)، في زمن الميلاد، يضعف أكثر فأكثر الرأي السائد اليوم "والقائل بأن المسيح ولد في بيت لحم اليهودية! "خاصة لأن الحلّ المترتب على هذه المسألة يصبح أسَاسياً بالنسبة الى نص لوقا هذا، لأن هذا الاحصاء بالذات، في حال حصوله في زمن الميلاد هو الذي تسَبّب بسَفر يوسف ومريم الحامل من الناصرة (؟) الى بيت لحم اليهودية، "في أيام الملك هيرودس" الكبير (متى 2: 1)، مع أن هذا الأخير كان قد مات منذ أربع سَنوات! والحاكم الذي في أيامه حصل هذا الإكتتاب بالذات – في حال حصوله في زمن لميلاد – كان أمير الربع هيرودس أنتيباس ابن الملك هيرودس الكبير الآنف الذكر! في هذه المسألة أيضاً، فإن علم التفسير الكتابيّ يجد نفسَه في طريق مسدود، اللهم الاّ إذا أُرِيْدَ من النصّ ان يقول ما لا يريد قوله...؟ إن بوبليوس سولبيسيوس قيرينيوس عيّن حاكماً على سورية في السًنة السَادسة بعد الميلاد. وبايعاز منه، جرى الإحصاء في اليهودية، لا في الجليل الذي بقي تحت حكم هيرودس أنتيباس. ويقول المؤرّخ يوسيفوس "إن قيرينيوس زار اليهودية بغية إحصاء ممتلكات سكّانها، وكي يحلّ المسَائل التي تركها أرخلاّوس عالقة فيها..." (تاريخ اليهود القديم 18: 2). وهذا الإحصاء للسكّان وممتلكاتهم في اليهودية تسبّب باندلاع ثورة قادها يهوذا الجليليّ. غير أنه، وبحسَب متى (2: 1) واعمال الرسل (5: 36)، "يظهر أن المسيح ولد قبل موت الملك هيرودس الكبير المحدّد عادة في آذار أو نيسان من السَنة الرابعة قبل الميلاد. وهكذا، تظهر النوص الإنجيلية متناقضة، من الناحية التاريخيّة والجغرافيّة، وتتراكم المسائل وتتعقد دون أن يكون هناك حلول واضحة! فمثلاً، يمكننا أن نتساءل لماذا يوسف ومريم، وهما يسكنان في الجليل، بحسَب لوقا، لماذا ذهبا الى بلد آخر، وهو اليهودية "الرومانية"، كي يكتتبا ويتمّ إحصاء ممتلكاتهما؟ الاّ اذا كان يوسف من بيت لحم اليهودية كما يظهر من نص متى (2: 11)! غير أن ذلك لا يحلّ أبداً مسألة تاريخ الإحصاء أوالاكتتاب: فالإحصاء الذي أجراه قيرينيوس، وهو "الإحصاء الاول" الذي يتحدث عنه لوقا (2: 2)، يأتي متأخراً عشر سَنوات بعد الميلاد! فهل من الممكن الحديث عن إحصاء آخر جرى في فترة سابقة، عندما أعلن الملك هيرودس الكبير، في آخر عهده، الولاء لقيصر رومه؟ غير أن هذا الولاء لا يفرض أبداً القيام بأي إحصاء، كما أنه لم يحصل في هذه الفترة بالذات أية ثورة كالتي قام بها يهوذا الجليلي. وبالاضافة الى ذلك، لم يكن قيرينيوس قد أصبح بعد حاكماً على سوريّة...

"أمام كل هذه المسَائل، وأمام هذه التواريخ غير الصحيحة في سرد الأحداث يختم شارل بيرّو مقالته، يصبح من الممكن الاعتبار بأن هناك التباساً وخلطاً في مراجع لوقا التاريخية الخاصة بالتحديد الدقيق لزمن الميلاد وظروفه التاريخية والجغرافية! كالخلط التاريخي الفاضح الذي حصل في مراجع لوقا نفسَه (أعمال الرسل 5: 36-37): "فبينما يحدّد لوقا تاريخ ثورة ثودس ثم ثورة يهوذا الجليليّ في السَنوات القليلة السَابقة على الميلاد، فإن المؤرخ يوسيفوس يحدّد ثورة ثودس في السَنة 46 ق.م.، على الأقل! لوقا يقول إن ثورة يهوذا الجليليّ حصلت "أيام الإحصاء"، إذاً أيام الميلاد، بينما "النسخة الكاثوليكية الجديدة تصحّح فتقول: "إنها نتجت عن الاحصاء مباشرة..." (النسخة الجديدة: أعمال الرسل 5: 37 والحاشية رقم 17، ص 388). وخلاصة القول، إن لوقا خلط بين كل هذه التواريخ، كي يجد، في إحصاء قيرينيوس، مبرّراً لذهاب يوسف ومريم الى بيت لحم اليهودية"...!!
(شارل بيرّو، الاستاذ في المعهد الكاثوليكي في باريس، في مقالة بعنوان "الولادة في بيت لحم"، نشرها في المجلّة الخاصّة بالكتاب المقدس "عالم البيبليا" (آركيولوجيا، فنّ، تاريخ) – عدد ممتاز خاصّ "ببيت لحم المدينة المسيحانية"، آب – أيلول – تشرين الاول، 1983، ص 36-37).

وهكذا إذاً، كان همّ "المسيحيّين المتهوّدين" – الذين هم من أصل يهوديّ – وخاصة نسّاخ متى ولوقا، كان همهم، كما رأينا بالتفصيل سَابقاً، أن يربطوا يسوع المسيح بالشعب اليهودي وبذرّية داود الملكية بنوع خاص. وقد استخدموا كلّ الوسائل والطرق... ليبرهنوا على ذلك. والغاية الأساسية كانت أن يقنعوا مواطنيهم اليهود بأن يسوع المسيح هو "المسيح – المخلص" الداوديّ الذي كان ينتظره اليهود. مع أن المسيح الذي كان ينتظره اليهود (للمرّة الألف) كان ملكاً زمنياً من هذا العالم، قائداً عسكرياً يقهر اعداءَهم ويحرّرهم من حكم الغرباء ويجعلهم يسيطرون على جميع الأمم ويستعبدونهم. لذلك وقع نسّاخ متى ولوقا في مغالطات تاريخية وجغرافية، لا يقبلها العلم والمنطق والنقد التاريخي الموضوعيّ المجرّد. فلقد تلاعبوا بالتواريخ ليجعلوا، مثلاً، يوسف ومريم يذهبان يوم الاحصاء من الناصرة الى بيت لحم اليهودية، بحجّة أن يوسف كان من بيت داود وعشيرته... فلم يكن إحصاء في ذلك الوقت، ولم يكن يوسف من بيت لحم اليهودية، والناصرة لم تكن موجودة بعد!!

أمّا إذا استندنا الى العلم والمنطق والنقد التاريخي الموضوعيّ المجرّد، فاننا نصل الى الحقائق التالية:

-الحقيقة الأولى: لم ينطلق يوسف ومريم الحبلى من الناصرة الى بيت لحم اليهودية، لأن الناصرة لم تكن موجودة في أيامهما، فهي لم تنشأ قبل القرن الثاني للميلاد، كما رأينا.

-الحقيقة الثانية: لم يحصل أي اكتتاب أو احصاء في زمن الميلاد. بل قد حصل نوع من إحصاء الأشخاص وممتلكاتهم في بلاد اليهودية التي كانت تحت الحكم الروماني مباشرة، ولم يحصل أي نوع من الاكتتاب او الإحصاء في الجليل حيث كان يوسف ومريم يقيمان. وعلى كل حال، فالإحصاء الذي حصل في اليهودية تمّ قبل الميلاد أو بعده بسَنوات... لا في زمن الميلاد.

-الحقيقة الثالثة: لم يكن يوسف ولا مريم من بيت لحم اليهودية، ولا أصلاً من ذرّية داود، ولا حتى أيضاً من اليهود... ولقد برهنا على ذلك بالتفصيل في فصول سابقة.

-الحقيقة الرابعة: بيت لحم اليهودية لم تكن مدينة داود، بل أورشليم هي التي كانت دوماً وابداً مدينة داود، كما جاء في الكتاب المقدس نفسَه أكثر من مرّة.

-الحقيقة الخامسة: إن المسافة بين الناصرة (؟) وبيت لحم اليهودية طويلة جداً، والسفر شاق ومضن للغاية، وأخطار الطريق ومطبّاتها أكثر من أن تحصى، وخاصة في تلك الظروف، وبنوع أخص بالنسبة الى امرأة حامل على وشك الولادة كمريم العذراء... فرواية هذا السفر الطويل، بحدّ ذاتها، رواية أقرب الى الروايات الشعبية منها الى الحدث التاريخي المعقول والمنطقي والواقعي.

-الحقيقة السَادسة: وعلى افتراض أنه كان هناك إحصاء في زمن الميلاد، وان يوسف كان من بيت داود وعشيرته، وانه ذهب للاكتتاب، فلا ضرورة ان ترافقه زوجته مريم، لأنه، كما هو معروف تاريخياً، يذهب الرجال وحدهم الى الاكتتاب ولا ترافقهم زوجاتهم أو أطفالهم...

-الحقيقة السَابعة: وعلى افتراض ان مسَبّبات السفر ودوافعه كانت صحيحة، وان الانطلاق كان من الناصرة (؟)، فلماذا تجشم يوسف ومريم الحامل مشقات هذا السفر الطويل، وهناك، في جوار الناصرة (؟) مدينة اسمها بيت لحم أيضاً، كانت في أيامهم، وكانت موجودة قبلهما بألف وأربعمائة سَنة على الأقل؟ وهي المدينة التي تحدثنا عنها مطولاً، لا بل التي هي المحور الأساسي لهذه الدراسَة.

-الحقيقة الثامنة: إن يسوع المسيح ولد، في الحقيقة، في بيت لحم الشمال، لا في بيت لحم اليهودية في الجنوب المعروفة اليوم؛ في بيت لحم "الأمم"، لا في بيت لحم يهوذا. وبالتحديد ولد في مغارة بالقرب منها، وعلى طريقها. وكانت

بيت لحم هذه والمغارة التي ولد فيها داخل أراضي فينيقية – لبنان. وهذا يتوافق تماماً مع جميع القرائن والدلائل والحقائق التاريخية والجغرافية والظروف المحلية في ذلك العصر، وذلك بشكل موضوعيّ مجرّد، بعيداً عن الطمس المقصود والتناسي والنسيان والجهل الموروث والخوف من اليهود...، وبعيداً أيضاً عن الروايات والتفسيرات الشعبيّة السطحيّة والمتسرّعة، وعن الزيادات والتحريفات والتزويرات القومية والعنصرية المتزمّتة، طوال ألفي سَنة على التوالي...!

-الحقيقة التاسعة: أجل! لقد ولد يسوع المسيح في لبنان. إنها حقيقة تاريخية وجغرافية ثابتة ساطعة صارخة وصاعقة.

-الحقيقة العاشرة: يجب اعلان هذه الحقيقة "اللبنانية" عالياً، وعلى الملأ، وعلى مسامع العالم أجمع، ونحن نحتفل بيوبيل السَنة الألفين لولادة المسيح في "بيت لحم"، ودخولنا الألف الثالث. وها نحن هنا والآن نعلن هذه الحقيقة، من لبنان بالذات. "ومن له أذنان سَامعتان، فليسمع"!...

ولا بدّ هنا من التذكير والتكرار، مرّة أخرى، أن كتب الأناجيل المقدّسة ليسَت كتباً تاريخيّة وجغرافيّة بحصر المعنى، وبمفهوم التاريخ والجغرافية في يومنا هذا.
كانت بالأحرى نوعاً من كتب "التاريخ الديني" المتّبع في ذلك العهد، مع أنها تحتوي بعض الحقائق التاريخية والجغرافية الثابتة والمؤكّدة. لقد كتب مؤلفوها على طريقتهم الخاصة بالكتابة التي ليسَت هي بالضرورة طريقتنا نحن اليوم.
استعملوا صيغة "المدراش" التي كان يستعملها اليهود في تأويل الأحداث والاخبار الخاصة بأسفار العهد القديم. ولم يهتموا كثيراً بالتفاصيل التاريخية والجغرافية. بل ركّزوا على الحدث الجديد الذي هو مجيء المسيح المخلّص ابن الله، وعلى بشارته وتعاليمه. وهذا الحدث الجديد حجب بأنواره القوية والساطعة كل التفاصيل الأخرى. حاولوا بكل الطرق والأساليب أن يبرهنوا لليهود بأن يسوع المسيح هو المخلّص المنتظر، فربطوه بذرّية الملك داود وسلالته الملكية، وجعلوه يولد في بيت لحم اليهودية بالقرب من العاصمة أورشليم. لقد استبعدوا، عن قصد وتصميم، بيت لحم الشمالية لأنها كانت في أرض "الأمم"، في أرض "الوثنيين"، في أرض "الغويم". فكيف يولد – برأيهم – مسيح اليهود ومخلصهم في ارض "الوثنيين"؟!

أما اليوم، فهناك دراسَات وابحاث تاريخية علمية اركيولوجية ونقدية همها الوحيد الوصول الى الحقائق العلمية الموضوعية المجرّدة، فيما يخص بيت لحم الحقيقية التي ولد فيها السيّد المسيح، وغيرها من المواقع التاريخية والأثرية...

فبعد مرور 14 سَنة على كتابة مقالته الطويلة عن بيت لحم اليهودية، وعن كونها المدينة التي ولد فيها المسيح أم لا – وقد نشرنا مقاطع منها في ما سَبق – يعود الشارح الكاثوليكي الكبير شارل بيرّو، في مقالة نقدية أخرى يختصر آراءه حول هذا الموضوع، فيخلص الى ما تعريبه:

"إن متى (1-2) ولوقا (1-2) يذكران كلاهما أن يسوع ولد في "بيت لحم". وهذا التوافق بينهما له أهمية خاصة لكونهما، من ناحية أخرى، يختلفان بشكل واضح في سردهما أحداث طفولة يسوع. فعلى سَبيل المثال: يقول لوقا (2: 7) إن أبويّ يسوع "يوسف ومريم، قد مرّا مروراً سريعاً في بيت لحم. أما في متى (2: 11)، فعلى العكس، أقامت العائلة المقدسة في بيت لحم، في "بيتها"؛ وهي أرادت أن تعود اليها بعد الرجوع من مصر متى (2 :22). ومعروف أن متى ولوقا يعكسان، بشكل عام، وفيما يخصّ أحداث طفولة يسوع بنوع خاص، تقليداً سَبقهما هو التقليد "المسيحيّ المتهوّد"، الخاصّ "بكنيسة الختان"... فهما هكذا يرويان أحداث الطفولة بصيغة "التاريخ المقدّس" أي "بصيغة كتابة المدراش" التي كان يستخدمها اليهود عهد ذاك في أسفار العهد القديم. فلوقا، مثلاً، يلحّ على كون بيت لحم هي "مدينة داود" (لوقا 2: 4، 11)، مع أن هذه اتسمية الملكية "مدينة داود" لم تطلق ابداً على بيت لحم، بل اطلقت دوماً وابداً على مدينة أورشليم، وذلك في نصوص الكتاب المقدّس نفسه – العهد القديم – أكثر من مرّة! "وهكذا يفخّم لوقا بيت لحم اليهودية ويعظّمها ويعطيها دوراً كبيراً لم يكن لها أصلاً. ومن قرية مغمورة تماماً يجعل منها مدينة عظيمة: "مدينة داود" ومدينة المسيح...! وهذا التفخيم المصطنع يظهر أكثر فأكثر عند متى الذي يبلغ به الأمر الى تغيير وتحوير بعض النبؤات المتعلّقة ببيت لحم، وخاصة نبؤة ميخا الشهيرة (5: 1)، والتي تقول: "وأنتِ يابيت لحم أفراتة، إنك أصغر عشائر يهوذا، ولكن منك يخرج لي من يكون متسَلّطاً على إسرائيل...". أمّا عند متى فقد أصبحت على الشكل التالي: "وأنتِ يا بيت لحم أرض يهوذا، لست أصغر ولايات يهوذا، فمنك يخرج الوالي الذي يرعى شعبي إسرائيل" (متى 2: 6). لقد افتعل ثلاثة تحويرات فاضحة في نبؤة تتألّف من سَطر واحد فقط، وحذف عبارة أسَاسية في النصّ العبريّ الأصليّ وهي عبارة "أفراتة"، واستبدلها بعبارة "أرض يهوذا"! وهو فعل كل ذلك ليقول ان المسيح ولد بين اليهود، في بيت لحم يهوذا القريبة من أورشليم، والمعروفة اليوم؛ ولئلا يظنّ أحد – فيما بعد – أن المسيح ولد في بيت لحم الثانية، أي "بيت لحم "الأمم"، بيت لحم "الوثنيين"... وهكذا قرأ الناس نصوص متى هذه حتى اليوم، وظنوا ان المسيح قد ولد فعلاً في بيت لحم اليهودية المعروفة في أيامنا هذه!...

"وفي الحقيقة، يختم شارل بيرّو، إن الوثائق والمراجع التاريخيّة – بالمفهوم الحصري للتاريخ – المتعلّقة ببيت لحم اليهوديّة المعروفة اليوم، قليلة وغامضة وحديثة، وتترك الباحث الموضوعيّ المجرّد في تردّد وقلق وحيرة شديدة؟ وهكذا، يفرض التساؤل نفسه فرضاً، نتيجة لكل ما تقدّم: هل حقيقة ولد يسوع المسيح في بيت لحم اليهودية، المعروفة اليوم، أم لا؟! الآراء مختلفة، والوضع الحالي للوثائق والمراجع لا يسمح بالمزيد من الإضاءة على "هذه المسألة، مع أن صمت مرقس ويوحنا يقلّل كثيراً من احتمال كون بيت لحم اليهوديّة، المعروفة اليوم، هي المدينة التي ولد فيها فعلاً يسوع المسيح..."!! (شارل بيرّو، الاستاذ في المعهد الكاثوليكي في باريس، في مقالة بعنوان "تفخيم وتعظيم بيت لحم اليهوديّة"، نشرها في المجلّة الخاصّة بالكتاب المقدّس "عالم البيبليا" (آركيولوجيا، فنّ، تاريخ)، العدد رقم 101، تشرين الثاني – كانون الاول 1996، ص 22)!

(هل كانت دراسَتنا هذه، التي كررنا فيها عن قصد بعض الأقوال والنصوص والبراهين، هل كانت غير تفصيل لأفكار واقوال وبراهين هذا الشارح الكاثوليكي الكبير؟ والحق يقال، كنا قد بدأنا دراسَتنا هذه قبل ان ينشر شارل بيرّو مقالتيه السابقتين بسَنوات طويلة... ودعماً لدراستنا هذه، احببنا ان نعرض نصوص هاتين المقالتين بالحرف الواحد).

وفي هذه الأيام بالذات، تكثر الدراسات والأبحاث وينشر الكثير من المؤلفات، وبعدة لغات، حول حياة المسيح وأقواله واعماله، منذ الحبل به الى قيامته. والملفت حقاً، أن جميع هذه الدراسات الحالية حول المسيح ونشأة المسيحية، تستخدم طرق ووسائل النقد العلمي والتاريخي والموضوعيّ المجرّد. كلّ ذلك للوصول الى الحقيقة التاريخية الصافية والخالصة. ودراستنا هذه، هي حلقة من هذه الحلقات الموضوعيّة. مع جرعة كبيرة من الجرأة...! وفي سَبيل الحقيقة، والمسيح (الذي هو الحق) ولبنان، وضعنا هذه الدراسَة "اللبنانيّة".

الفصل الثاني

ألعذراء في "الكرمل"

"هلمّي معي من لبنان أيتها العروس فتتكلّلين. هلمّي معي من لبنان. أتركي رأسَ أمانة رأسَ سنير وحرمون من مرابض الأسود من جبال النمور... رائحة ثيابك كرائحة لبنان... مرّ وعود مع أفخر الأطياب ينبوع جنّات وبئر مياه حيّة وأنهار من لبنان..."!

(نشيد الأناشيد، الفصل الرابع 8، 11، 15)

هل هناك الى جانب الانجيل والتقليد المسيحي المعروف مصادر أخرى لسيرة حياة مريم العذراء؟ هناك الاناجيل المنحولة، غير القانونية وبعض الفقرات في التواريخ العربيّة. فلقد ظهر حول أسفار العهد الجديد التي جاءَت ولا شك شديدة الإيجاز وغير كاملة، وتقريباً في الوقت نفسَه، أدب مسيحيّ شعبيّ تقويّ يهدف الى إيجاد المزيد من المعلومات. ويدور بعضه، بالافضلية، حول العذراء مريم وطفولة يسوع "كانجيل يعقوب القديم" وهو أقدم مؤلف. واسمه "القديم" يلمح الى أن هذا الكتاب يريد إفادتنا عما كان قبل الانجيل: والدا مريم يواكيم وحنّة، الحبل بمريم، ولادتها العجيبة، تقدمتها الى الهيكل، إقترانها بيوسف الخ... ونذكر بين بقية الأناجيل المنحولة التي تتحدث عن العذراء مريم، أناجيل الطفولة، وقصة يوسف النجّار وكتاب انتقال العذراء القديسة. وفي الحقيقة، إن المرء ليدهش ويتحيّر عند قراءة هذه المؤلفات. فلا يسعنا أمام بعض النوادر اللطيفة الغير المجدية والمبالغ فيها كثيراً، إلاّ أن نكون، دون تردّد البتة، على اتفاق مع القديس إيرونيموس الذي تكلّم عن الأحلام الشعبية التقوية والمخيّلات الهاذية في الاناجيل المنحولة. بعكس ذلك، تشهد بعض المقاطع الاخرى على إصالة دينية بعيدة المدى، لقيت استقبالاً حاراً عند المسيحيّين الأولين فدخلت في الليتورجيا والطقوس وهي باقية الى اليوم. وإن وقعت قيمتها التاريخية عامة تحت النقد، فإن عين الناقد المتمرّس تقدر بكل فطنة أن تميّز فيها أحياناً أطرافاً من الحقيقة. فهكذا عبر التنميقات الشعبية التقوية، نميّز آثار أحداث واعتقادات تبنّتها الكنيسَة ولا تزال تتبنّاها الى اليوم، وهي مستقاة فقط من الاناجيل المنحولة: مثل يواكيم وحنّة والدي العذراء مريم اللذين تكرّمهما الكنيسَة جمعاء وتفرد لهما عيداً خاصاً، وتقدمة العذراء الى الهيكل التي لا تتحدّث عنها الاناجيل القانونية، وانتقال العذراء مريم بنفسها وجسدها الى السماء عند موتها. وقد أصبح الانتقال مؤخراً عقيدة مسيحية رسمية، وهو ما كانت تنفرد به الأناجيل المنحولة، ولم تأتِ على ذكره الأناجيل القانونية بكلمة واحدة!... وهناك العديد من الحقائق التاريخية والجغرافية التي ترد في الاناجيل المنحولة ولم تأتِ على ذكرها الاناجيل القانونيّة...

يقول الأب "فان دِرْميرْش" في كتابه "مريم أم المسيح": "ليسَ من داع الى الحذر ممّا يعرضه علينا انجيل يعقوب القديم مع كونه مؤلفاً منحولاً فإنه من أقدم الكتب المنحولة. فحنّة ويواكيم والدا مريم العذراء كانا، حسَب معطيات هذا الكتاب، طاعنين في السن، وكانا يتحسّران على حرمانهما من الأطفال. "ولم يعد يواكيم، بسَبب حزنه الشديد، يحضر أمام امرأته، وقصد البرّية ونصب خيمته وصام أربعين يوماً وأربعين ليلة، وهو يقول في نفسه: لن أنزل آكل واشرب ما لم يفتقدني الرب إلهي، وسَتكون الصلاة طعامي وشرابي. وكانت آنذاك امرأته حنّة

تبكي، ولها لنوحها دافعان: سَأعول على ترمّلي، وسَأعول على عقمي! وفي شدة كربها، خلعت ثياب الحزن وغسَلت رأسها وارتدت ثياب عرسها. ثم نزلت نحو الساعة التاسعة تتمشّى في البستان، فرأت شجرة غار فجلست تحت أغصانها وجعلت تبتهل الى القدير: باركني يا إله آبائي، إستجب تضرّعي كما باركت سَارة في أحشائها واعطيتها ابنها إسحق. وإذ رفعت طرفها نحو السماء رأت على شجرة الغار عش دوريّ فعادت تتحسّر:

رحمةً بي! من هو مُنجبي، أيّة أحشاء ولدتني لأكون هكذا عاقراً، لأُطرد مهانة من هيكل الرب؟

رحمة بي! فماذا أشبه؟ لا ولا طيور السماء الصغيرة، لان طيور السماء تخصب أمامك، ربّي.

رحمة بي! فماذا أشبه؟ لا ولا هذه المياه ههنا، لان هذه المياه خصبة أمامك، ربّي.

رحمة بي! فماذا أشبه؟ لا ولا هذا التراب ههنا، لان هذا التراب يحمل الثمار في أوانها وهي تباركك، ربّي!...

واذا بملاك الربّ تراءى لها وقال: حنّة! حنّة! لقد سمع الربّ تنهّدك. إنك سَتحبلين وتلدين، وسَيتحدث بخلفك في كلّ الأرض. فأجابت حنّة: والرب الحيّ الشاهد على أقوالي: إذا أتيت بابن أو بإبنة، سَأقدّسه للرب الهي ليخدمه جميع أيام حياته...

عندئذ اقترب منها ملاكان يقولان: ها إن يواكيم رجلك يأتي نحوك مع قطعانه، لأن ملاك الربّ قد ذهب إليه وقال له: يواكيم! يواكيم! إن الربّ سَمع شكواك. إذهب من ههنا، فها إن امرأتك حنّة سَتحبل في أحشائها...

واذا بيواكيم يصل مع قطعانه. فرأته حنّة وهي واقفة على عتبة البيت، فركضت إليه وتعلّقت بعنقه قائلة: الآن علمت أن الرب قد غمرني ببركاته، لأني كنت كأرملة ولم أعد كذلك، وكنت عاقراً وها إن أحشائي سَتخصب. وكان المساء الاول الذي استراح فيه يواكيم في داره...

ثم تمّت أشهر حنّة، وفي الشهر التاسع ولدت. فسَألت المولّدة: لمن أعطيتُ النور؟ أجابت هذه: إنها بنت. فقالت حنّة: لقد تمجّدت في هذا اليوم نفسي! وأضجعت الولد. ولمّا تمّت الأيام المعتادة، قامت واغتسلت وأعطت الثدي للولد وسَمّتها مريم..." (إنجيل يعقوب القديم 1-5؛ راجع كتاب "مريم أم المسيح"، تأليف الأب: فان درميرش، الترجمة العربية، 1966، ص 14-19 مع الحواشي).

من الواضح أن هذه القصة ذات طابع شعبيّ تقويّ، وهي ولا شك مستوحاة من محنة أشهر جدّات اسرائيل: عقم سارة وراحيل، وخاصة عقم حنّة الاخرى ام النبي صموئيل التي استجيبت صلاتها في هيكل شيلو والتي وعدت بتكريس ولدها لله كلّ أيام حياته (صموئيل الاول، الفصل الاول)، وعقم اليصابات (لوقا 1: 5-25، 36-37). وإن وزيارة الملاك تذكّر بظهور ملاك الربّ لابراهيم وسارة عند بلوطة ممرة (تكوين 18: 1-15)، ولأم شمشون الجبّار (قضاة 13: 1-25)، وخصوصاً ببشارة زكريّا وبشارة مريم العذراء نفسَها...

(فيما يخصّ ولادة العذراء مريم راجع أيضاً: "إنجيل ولادة مريم"، انجيل "متى المنحول" وغير ذلك من الأقاصيص الشعبية المنحولة...).

يروي القرآن مولد مريم في سورة آل عمران 3، 33-36 على الشكل التالي: "ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين. ذرّية بعضها من بعض والله سَميع عليم. اذ قالت امراة عمران: ربِّ إني نذرت لك ما في بطني محرّراً فتقبّل منّي إنك انت السميع العليم. فلما وضعتها قالت: ربّي إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليسَ الذكر كالأنثى وإني سَمّيتها مريم وإني أعيذها بك وذرّيتها من الشيطان الرجيم. فتقبّلها ربّها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسَناً وكفّلها زكريّا كلّما دخل عليها زكريّا المحراب وجد عندها رزقاً قال: يا مريم أنّى لكِ هذا؟ قالت: هو من عند الله. إن الله يرزق من يشاء بغير حسَاب".

وهكذا، فإن والد مريم يدعى في القرآن – وفي الاسلام – عمران. وذلك لا شك تذكيراً بعمران أبي مريم أخت موسَى وهارون (راجع سَفر الخروج 2: 1-2 وسفر العدد 26: 59 – وجاء في هذين السفرين: عمرام بدل عمران؟) وتدعى مريم "أخت هارون" في القرآن، كما جاء في سورة مريم 19، 28: قال قومها "ياأخت هارون ما كان أبوك امرأ سوءٍ وما كانت أمّك بغيّا". وهكذا، لا اسم لامّ مريم العذراء في القرآن – وفي الاسلام. ولكن المفسّرين يعرفونه: حنّة. وهي تطلب الى الله ان يمنحها ولداً تحرّره لخدمة الهيكل... فلما وضعتها وعرفت أنها أنثى ظهر عليها الحزن إذ لا يحق للبنات خدمة الهيكل (عند اليهود). ثم سمّتها مريم ووضعتها تحت حمى الله من الشيطان الرجيم!

ويعتقد المسلمون ايضاً ان الشيطان لم يمس مريم وابنها قط. ولهذا الاعتقاد اساس في القرآن (سورة آل عمران 3، 36) حيث تعيذ أم مريم ابنتها وذرّية ابنتها بالله من الشيطان. والجدير بالملاحظة ان نذر حنّة هو التعبير الشرقي للإيمان بالحبل بلا دنس (الحبل بمريم بلا دنس). والسُنَّةُ المسلمة تضيف الحديث الشهير: "ما من مولود يولد الاّ والشيطان يمسّه حين يولد فيستهل من المسّة الاّ مريم وابنها". دون شك، لا تقصد السُنَّةُ بهذا عقيدة الحبل بلا دنس

المسيحية، لان هذه تفترض عقيدة الخطيئة الأصلية التي يجهلها الاسلام. فيبقى الواقع ان مريم وابنها حُفِظاً من كُلِّ مسّة من الشيطان... (راجع كتاب الأب عبد الجليل عن "مريم والاسلام"، طبعة باريس سَنة 1952، بالفرنسيّة).

ويتابع التقليد المسيحيّ الشعبيّ سيرة حياة مريم، فيقول إنجيل يعقوب القديم ما يلي: "... وتتالت الأشهر على البنيّة الصغيرة مريم. ولمّا بَلَغَتْ الثانية من عمرها قال والدها يواكيم: لنأخذها إلى هيكل الربّ ليتمّ الوعد الذي وعدنا! أجابت والدتها حنّة: لننتظر السَنة الثالثة لتصبح الطفلة في سنّ تعرف فيه أباها وأمّها، وردّد يواكيم: لننتظر.

ولما بلغت الصبيّة السنة الثالثة من عمرها، قال يواكيم: أدعوا الشريفات الطاهرات من بنات محيطنا، ولتأخذ كلّ واحدة منهنّ مشعلاً لا ينطفئ. فأذعنّ لطلبه وصعدن معاً إلى هيكل الرب... وتقبّل الكاهن الصبيّة مريم وأخذها بين ذراعيه فباركها وقال: لقد مجّد الربّ اسمك في كلّ الاجيال وبك سيشهر في الأيام الاخيرة الفداء الذي يمنحه لآل اسرائيل...

وأجلس الكاهن الصبيّة مريم على الدرجة الثالثة من الهيكل.. فأنزل عليها الرب الإله نعمته..." (انجيل يعقوب القديم، الفصل السابع).

"وكانت مريم عذراء مكرّسة لله في الهيكل..." (إنجيل يعقوب القديم"، 13: 1) الخ...

ومن جهته، يتابع التقليد المسلم سيرة حياة مريم، فيقول القرآن: "واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً. فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا اليها روحنا فتمثّل لها بشراً سَوِيّاً." (سورة مريم 19، 16-17)، يتبيّن بوضوح من النصّ أن الصبية مريم تركت منزل والديها، وبما أنها منذورة ومكرّسة "ومحرّرة" للرب، فقد أقامت بمعزل عن الناس في معبد أو هيكل مقدس: "فاتخذت من دونهم حجاباً...".

ويقول القرآن في مكان آخر: "فتقبّلها ربّها بقبول حسَن وأنبتها نباتاً حسَناً. وكفّلها زكريا كلّما دخل عليها زكريّا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنّى لك هذا؟ قالت: هو من عند الله. إن الله يرزق من يشاء بغير حسَاب" (سورة آل عمران 3، 37). ويظهر بحسَب هذا النص أن مريم كانت تقيم في "المحراب"، في معبد أو هيكل أو نوع من "الدير"، إذ إن رزقها كان مؤمّناً لها بشكل منتظم ودائم – كمثل متعبدة أو راهبة في دير مسيحيّ... كما هي الحال في أيامنا هذه!

وهناك في التقاليد المسيحية الشرقية وفي الاناجيل المنحولة الكثير من الأقوال والإشارات الواضحة إلى أن العذراء مريم كانت تعيش في نوع من "الدير" مع

رفيقات لها من العذارى المكرّسات... فقد جاء على سبيل المثال، لا الحصر، في إنجيل متى المنحول ما يلي: "ما من واحدة من العذارى رفيقات مريم كانت تظهر أشدّ انتباها منها في سَهرات الصلوات، أو أكثر تبحّراً في معرفة الشريعة الإلهيّة، أو أكثر لطفاً في المحبّة، أو أكثر تواضعاً، أو اكثر نقاءً في طهارتها او أكثر كمالاً في كل فضيلة. لأنها كانت ثابتة، لا تتزعزع، مثابرة، وكانت تنمو في الخير كل يوم...

لم يَرَها أحد غاضبة قط، ولم يسمعها أحد نمّامة قط. كانت كلماتها مليئة بالنعمة حتى لكنت ترى الله على شفاهها! كانت دوماً عاكفة على الصلاة وعلى التدقيق في الناموس. ولم تكن لتهمل "رفيقاتها العذارى" لئلا تميل إحداهن الى الزلل ولو بكلمة واحدة، او لئلا تفرط في ضحكها أو لهوها، أو لئلا تظهر الواحدة للأُخرى أدنى احتقار او سخرية أو غضب إلخ..." (إنجيل متى المنحول، الفصل الرابع)!!

فإذا قرأنا، بكل بساطة، هذا الكلام وهذا الوصف الدقيق لسلوك مريم وعلاقتها الروحية مع رفيقاتها العذارى في الهيكل أو المعبد... ألا نخال ذواتنا حقاً في دير شبيه جداً بأديرة المسيحيّين في أيامنا هذه؟ أليست هاتيك العذارى، رفيقات مريم، شبيهات بالمبتدئات أو الراهبات في دير مسيحيّ لراهبات اليوم؟ هكذا كانت تعيش في دير الكرمل الكبير بعض العذارى المختارات من أقدس العائلات الاسينيّة والجماعات الروحيّة الجليلية الاخرى. ومنهنّ مريم العذراء إبنة حنّة ويواكيم...

يجدر بنا أن نذكّر هنا، تكراراً، بأن اليهود لم يسمحوا للنساء، طوال تاريخهم، بأن يقمن أو يخدمن في هياكلهم ومعابدهم. فكيف يسمحون، بالاحرى، ان يكون هناك جماعات من الصبيّات العذارى يعشن سنين طويلة داخل الهياكل والمعابد؟ هذا الأمر لم يتصوّره اليهود قط في تاريخهم. فهذا الامر بالذات كان أمراً عادياً ومعروفاً جداً عند الكنعانيّين، ومن بعدهم عند الجماعات الروحية الجليلية، كالجماعة الاسينية والجماعات المماثلة... حتى أيام المسيح وبعده بقليل! أن نظرة اليهود الى المرأة، وخاصة عن علاقتها بالمقدّسات، أمر معروف جداً...

ومن الملاحظ، من جهة أخرى، أن الأناجيل القانونيّة الأربعة لا تذكر شيئاً – حتى ولا كلمة واحدة – عن الحبل بمريم، عن ولادتها، عن تقدمتها للرب، عن طفولتها وحداثتها؟! وهكذا أيضاً جميع كتب العهد الجديد القانونية. فهذه لم تتحدث عن مريم الاّ منذ بشارة الملاك جبرائيل لها في الناصرة... (راجع لوقا 1: 26-38).

غير أن الأناجيل المنحولة والتقاليد الشرقية القديمة، من مسيحيّة واسلاميّة، تتحدث بشيء من التفصيل، كما رأينا، عن والدي مريم العذراء يواكيم وحنّة، عن

الحبل بمريم، عن تكريسها للرب وهي بعد في احشاء أمّها، عن أجواء طفولتها المقدسة، عن رعايتها الخاصة، عن تقدمتها للرب في الهيكل، وعن إقامتها فيه مع بعض رفيقاتها من العذارى الطاهرات المكرّسات...

ومن الطبيعي أن يكون الهدف المباشر للأناجيل المقدسة هو البشارة الجديدة: تجسّد الكلمة وبشارة يسوع المسيح المخلص وقيام ملكوت الله على الأرض. غير أن القاء بعض الأضواء الإضافية على حياة مريم العذراء, هو أمر في غاية الاهمية بالنسبة الى موضوع هذه الدراسة بالذات...

إن التقليد المسلم يذكر بخفر واحترام مأساة يوسف عندما اطّلع على حبل مريم. فيقول المؤرخ الطبري: "لما اشمَتَلَتْ مريم على الحبل، كان معها قرابة لها يقال له يوسف النجّار. وكانا منطلقين الى المسجد، وكان ذلك المسجد من أعظم مساجدهم. وكانت مريم ويوسف يخدمان في ذلك المسجد في ذلك الزمان، وكان لخدمته فضل عظيم، فرغبا في ذلك، فكانا يليان معالجته بأنفسهما: تحبيره وكناسته وطهوره وكلّ عمل يعمل فيه. وكان لا يعمل من أهل زمانهما أحد أشدّ اجتهاداً أو عبادة منهما. وكان أول من أنكر حمل مريم صاحبها يوسف. فلما رأى الذي بها استفظعه وعظم عليه وفظع به. فلم يدرِ على ماذا يضع أمرها، فإذا أراد أن يتهمها ذكر صلاحها وبراءتها وأنها لم تغب عنه ساعة قط. وإذا أراد ان يبرئها رأى الذي ظهر عليها. فلمّا اشتدّ عليه ذلك كلّمها، فكان أول كلامه أن قال لها: إنه قد حدث في نفسي من أمرك أمر قد خشيته وقد حرصت على ان أميته وأكتمه في نفسي فغلبني ذلك فرأيت الكلام فيه أشفى لصدري. قالت: قل قولاً جميلاً. قال: ما كنت لأقول لك إلاّ ذلك فحدّثيني هل ينبت زرع بغير بذر؟ قالت: نعم. قال: فهل تنبت شجرة من غير غيث يصيبها؟ قالت: نعم. قال: فهل يكون ولد من غير ذكر؟ قالت: نعم، ألم تعلم أن الله تبارك وتعالى انبت الزرع يوم خلقه من غير بذر؟ أو لم تعلم ان الله بقدرته أنبت الشجر بغير غيث وأنه جعل بتلك القدرة الغيث حياة الشجر بعدما خلق كل واحد منهما وحده، أم أنك تقول: لم يقدر الله على ان ينبت الشجر حتى استعان عليه بالماء، ولولا ذلك لم يقدر على إنباته؟ قال لها يوسف: لا أقول هذا ولكن أعلم أن الله تبارك وتعالى بقدرته على ما يشاء، يقول لذلك كُنْ فيكون. قالت مريم: أولم تعلم أن الله تبارك وتعالى خلق آدم وامرأته حواء من غير انثى ولا ذكر؟ قال: بلى. فلما قالت له ذلك وقع في نفسه أن الذي بها شيء من الله تبارك وتعالى وأنه لا يسعه ان يسألها عنه، وذلك لما رأى من كتمانها لذلك. ثم تولّى يوسف خدمة المسجد الذي كانا يخدمان فيه. وكفاها كل عمل كانت تعمل فيه..." (الطبري "تاريخ الامم والملوك"، ص 593-600 مع الحواشي والشروحات).

يَتَبَيَّنُ من نصّ الطبري أن يوسف – المعروف بيوسف النجّار – كان، مع مريم العذراء، يخدم في "أحد أكبر مساجدهم" في الجليل. "وكانا يليان معالجته بأنفسهما: تحبيره وكناسته وطهوره وكل عمل يعمل فيه..." هذا يعني أنهما كانا يسكنان فيه أو بجانبه. فينتج بالتالي عن هذا أن المسجد الذي كانا يخدمانه طيلة الوقت لا يمكن ان يكون هيكلاً لليهود، لأن اليهود لا يسمحون للنساء بهكذا عمل في هياكلهم... بل كان يوسف ومريم، على ما يظهر، من العناصر المنتمية الى تلك الجماعات الروحية الجليلية - كالجماعة الاسينية مثلاً – التي تحدّثنا عنها مفصلاً في فصول سابقة.

والحقيقة إن هذه الجماعات كانت قد تجمعت سوية، قبل المسيح بفترة قصيرة، فبنت لها ديراً كبيراً ومعهداً بالقرب من المعبد القديم فوق جبل الكرمل. كان منهم الاسينيّون والمكرّسون والنذيريم (أي المنذورون للربّ) "والمنتظرون" أي المنتظرون مجيء المخلّص. وكانوا جميعاً ينتظرون، كل على طريقته، مجيء مسيح مخلّص روحيّ، غير زمني، يحرّر البشر جميعاً من الشرّ والخطيئة، يحق الحق وينشر العدالة بين الناس ويعيد العلاقة الروحية القديمة بين الله والبشر. إنه المسيح الشامل والمخلّص العام للبشر أجمعين... وكانوا على يقين أنه سوف يولد منهم! وكل فترة، كانوا يختارون 12 فتاتاً أو صبيّة من كبار وأقدس عائلاتهم الجليلية، علّ المخلّص المسيح المنتظر يولد من إِحْدَاهُنَّ. وكانت الفتيات يقمن في الدير الكبير فوق جبل الكرمل، ويحصلن على ثقافة روحية خاصة وإعداد معيّن. وكنّ يعشن سوية في مكان واحد، ويتّبعن نظاماً واحداً كالراهبات المسيحيّات في أيامنا هذه. هذا النوع من الفتيات العذارى المكرّسات لم يكن معقولاً عند اليهود، كما هو معروف تماماً. غير أنه كان معروفاً وسَائداً عند الجماعات الروحية الجليلية، وخاصة عند الجماعة الاسينية. من هذه الفتيات العذارى المكرّسات الاثنتي عشر في دير جبل الكرمل، كانت مريم العذراء، ابنة يواكيم وحنّة، التي كانت مكرّسة لله وهي في بطن أمّها، كما تقول التقاليد المسيحية القديمة وكبار الآباء والاناجيل المنحولة والتقاليد الاسلامية والقرآن الكريم وكبار المؤرخين والمفسّرين المسلمين القدماء وغيرهم... كان والدا مريم، دون شك، ينتميان الى تلك الجماعات الروحية التي تنتظر مجيء المسيح المخلّص قريباً. ومريم نفسها، صاحبة ذلك النشيد الرائع "تعظّم نفسي الرب وتبتهج روحي بالله مخلّصي الخ" (لوقا 1: 46-55)، من الطبيعي والمنطقي جداً أن تكون حصلت على ثقافة روحية خاصة كتلك التي كانت تحصل عليها تلك الفتيات العذارى المكرّسات الاثنتي عشرة في دير الكرمل. هناك، فوق جبل الكرمل، حصلت بشارة الملاك جبرائيل للعذراء مريم. وهناك حصل "التجسّد" (في نهاية البشارة)... أجل! حصل كل ذلك في أرض فينيقية – لبنان.

وفي يوم البشارة، كانت الفتيات جرياً على عاداتهنّ كل يوم يتوجّهن الى المعبد لكي يؤدين الصلاة اليومية ويقمن بإحراق البخور... في هذا الوقت بالذات حصلت علامات فارقة في داخل المعبد. وظهر الملاك للعذراء مريم وأمسكها بيدها وقادها الى محراب المعبد. وكانت هذه علامة فارقة لاختيارها، هي بالذات، من بين العذارى الاخريات. فتقدمت صفوف رفيقاتها وصعدت أمامهنّ درجات المعبد. وهناك بشّرها الملاك، وهناك تمّ التجسّد... (راجع الاناجيل المنحولة، وخاصة إنجيل يعقوب القديم، الفصل السابع، وإنجيل متى المنحول، الفصل الرابع – الدكتور هـ. سبنسر لويس "حياة يسوع السرّية"، ص 83-90 (بالفرنسية) – دوروتي كوكلن دي بيزمون "عالم إدغار كايسي"، الجزء الاول 321-324 – القس أسعد منصور "تاريخ الناصرة من أقدم أزمانها الى أيامنا الحاضرة"، ص 159 – ابن الأثير "تاريخ ابن الأثير"، أنظر المرجع السابق، المكان نفسه – الطبري "تاريخ الامم والملوك"، ص 593-600 مع الحواشي والشروحات).

والذي يهمنا هنا، والذي نركّز عليه كثيراً، هو أن البشارة قد حصلت فعلاً في الدير فوق جبل الكرمل، وأن هذا الدير وجبل الكرمل بالذات مع سفوحه كلّها كانت جميعها داخل أرض فينيقية – لبنان، وأن البشارة بالتالي قد حصلت فعلاً داخل أرض فينيقية – لبنان! وبما أن التجسد – تجسد ابن الله، الاقنوم الثاني – قد حصل بالفعل في نهاية البشارة، كما تعلمنا الكنيسة المقدسة – فإن هذا التجسد قد حصل داخل أراضي فينيقية – لبنان. أجل! ان التجسّد قد حصل في لبنان. وهذا ما نودّ أن نقوله بالفم الملآن، ونؤكده، وَنُعْلِنُهُ، ونركّز عليه في هذه الدراسة بالذات... كما أن الحقيقة الثانية، التي نودّ أيضاً أن نقولها بالفم الملآن، ونؤكدها، ونعلنها، ونركّز عليها، هي أن السيّد المسيح قد ولد في مغارة بالقرب من بيت لحم الجليل، في سفح جبل الكرمل الشمالي الشرقي، أي في داخل أرض فينيقية – لبنان. أجل! لقد ولد يسوع المسيح في لبنان! وفي الواقع، لقد كان جبل الكرمل وكل سفوحه، منذ فجر التاريخ الى زمن الميلاد، وحتى بعد الميلاد بسبعين سنة، كان داخل أراضي فينيقية – لبنان. (فلتراجع جميع التواريخ وجميع خرائط الجغرافية، في العالم كلّه، بجميع اللغات، المخطوطة منها والمطبوعة. و"من له عينان مبصرتان فليبصر"، ومن له "أذنان سامعتان فليسمع"!)

لقد سبق وذكرنا كل ما جاء في الأناجيل القانونية عن العذراء مريم أثناء طفولة يسوع، من بشارة الملاك جبرائيل الى دخول يسوع الى الهيكل وهو في الثانية عشرة من عمره. اما فيما يخصّ الفترة الممتدة من دخول يسوع الى الهيكل الى بداية حياته العلنية، فلا ذكر، في الاناجيل القانونية، لا عن يسوع ولا عن أمه

العذراء مريم. وحتى في حياة يسوع العلنية نفسها، قلّما تذكر هذه الاناجيل شيئاً عن مريم، وإن هي ذكرت شيئاً فبشكل عابر وسريع. وأول مرة جاء ذكرها، في هذه الفترة، كان في العرس الذي حصل في قانا الجليل في لبنان. فقد جاء في انجيل يوحنا ما يلي:

"... وفي اليوم الثالث، كان في قانا الجليل عرس وكانت أم يسوع هناك. فدعي يسوع أيضاً وتلاميذه الى العرس. وَنَفَدَتِ الخمر، فقالت ليسوع أمه: "ليس عندهم خمر". فقال لها يسوع: "ما لي وما لك، أيتها المرأة؟ لم تأتِ ساعتي بعد". فقالت أمّه للخدم: "مهما قال لكم فافعلوه". وكان هناك ستة أجران من حجر لما تقتضيه الطهارة عند اليهود، يسع كلّ واحد منها مقدار مكيالين أو ثلاثة. فقال يسوع للخدم: "إملأوا الاجران ماءً". فملأوها الى أعلاها. فقال لهم: "اغرفوا الآن وناولوا وكيل المائدة". فناولوه، فلمّا ذاق الماء الذي صار خمراَ، وكان لا يدري من أين أتت، في حين أن الخدم الذين غرفوا الماء كانوا يدرون، دعا العريس وقال له: "كلّ امرىءٍ يقدّم الخمرة الجيّدة أولاً، فإذا سَكر الناس، قدّم ما كان دونها في الجودة. أمّا أنت فحفظت الخمرة الجيّدة الى الآن". هذه أولى آيات يسوع أتى بها في قانا الجليل، فأظهر مجده فآمن به تلاميذه. ونزل بعد ذلك الى كفرناحوم هو وأمّه وإخوته وتلاميذه، فأقاموا فيها بضعة أيام" (إنجيل يوحنا 2: 1-12). نذكّر هنا، مرة أخرى، أن العذراء لم تدعَ الى العرس، بل كانت "موجودة" في بلدتها: قانا الجليل اللبنانية.

والملفت هنا أن العذراء مريم كانت مع ابنها منذ بداية حياته التبشيرية. فعرس قانا الجليل الذي ذكرهُ يوحنا وحده، حصل في بداية بشارة يسوع، بعد اعتماده واختياره تلاميذه الاولين. (راجع إنجيل يوحنا: الفصل الأول: 19-51). وخلال قيام يسوع بتأدية رسالته، كانت الأناجيل تشير الى أمه مريم، ولو بشكل عابر. فقد جاء في انجيل متى ما يلي:

"وبينما يسوع يكلّم الجموع، إذا أمه وإخوته قد وقفوا في خارج الدار يريدون أن يكلّموه، فقال له بعضهم: إن أمك وإخوتك واقفون في خارج الدار يريدون أن يكلّموك. فأجاب الذي قال له ذلك: من أمي ومن إخوتي؟ ثم أشار بيده الى تلاميذه وقال: هؤلاء هم أمي وإخوتي. لأن من يعمل بمشيئة أبي الذي في السماوات هو أخي وأختي وأمي" (متى 12: 46-50). (راجع أيضاً، في نفس الموضوع، انجيل مرقس 3: 31-35 وانجيل لوقا 8: 19-21).

لقد ظلّت مريم العذراء ترافق ابنها خلال حياته التبشيرية، عن قرب احياناً، وعن بُعد أحياناً أخرى، حتى الصليب والموت. وجاء في إنجيل يوحنا: "هناك عند صليب يسوع، وقفت أمّه، وأخت أمّه مريم امرأة قلوبا، ومريم المجدلية. فرأى

يسوع أمّه والى جانبها التلميذ الحبيب إليه. فقال لأمه: أيتها المرأة، هذا أبنك. ثم قال للتلميذ: هذه أمّك. ومنذ تلك الساعة استقبلها التلميذ في بيته" (إنجيل يوحنا 19: 25-27).

وبعد صعود المسيح الى السماء وجلوسه عن يمين الله الآب، ظلّت أمه مريم في بيت "التلميذ الحبيب" يوحنا، لفترة من الزمن، في مدينة اورشليم. غير أنها بقيت، وهي في هذه الحال، في قلب الجماعة المسيحيّة الأولى. فقدجاء في أعمال الرسل: "فرجعوا (بعد الصعود) الى أورشليم من الجبل الذي يقال له جبل الزيتون، وهو قريب من أورشليم على مسيرة سبت منها. ولمّا وصلوا اليها صعدوا الى العليّة التي كانوا يقيمون فيها، وهم بطرس ويوحنا، ويعقوب واندراوس، وفيليبّس وتوما، وبرتلماوس ومتى، ويعقوب بن حلفى وسمعان الغيور، فيهوذا بن يعقوب. وكانوا يواظبون جميعاً على الصلاة بقلب واحد، مع بعض النسوة ومريم أم يسوع ومع إخوته" (أعمال الرسل 1: 12-14).

وعند نزول الروح القدس وحلوله على التلاميذ وهم مجتمعون للصلاة في عليّة صهيون في اورشليم، كانت مريم أم يسوع هناك في وسط الجماعة المسيحيّة. فقد جاء أيضاً في أعمال الرسل: "ولما أتى اليوم الخمسون (العنصرة)، كانوا مجتمعين كلّهم في مكان واحد، فانطلق من السماء بغتة دويّ كريح عاصفة، فملأ جوانب البيت الذي كانوا فيه، وظهرت لهم السنة كأنها من نار قد انقسمت فوقف على كلّ منهم لسان، فامتلأوا جميعاً من الروح القدس، وأخذوا يتكلمون بلغات غير لغتهم، على ما وهب لهم الروح القدس ان يتكلّموا..." (أعمال الرسل 2: 1-4). والقول "كانوا مجتمعين كلّهم في مكان واحد"، يذكّر بما جاء في الفقرة السابقة (أعمال الرسل 1: 12-14)، أي الجماعة المسيحية الاولى، التي كانت تجتمع في العليّة للصلاة، والمؤلفة من الرسل الاحد عشر (وقد تم فيما بعد اختيار متيّا خلفاً ليهوذا الاسخريوطي)، ومن مريم ام يسوع، ومن إخوته وبعض النسوة... (تلميذات يسوع – أجل! كان ليسوع تلميذات).

وبعد حلول الروح القدس، لم تعد كتب العهد الجديد القانونية تذكر شيئاً عن العذراء مريم. غير أن التقاليد المسيحية المستمرة أجمعت على أن العذراء مريم بقيت في بيت يوحنا الحبيب حتى موتها، كما أوصاهما يسوع المسيح على الصليب. بقيت مع يوحنا في أورشليم لفترة من الزمن. وعندما ترك يوحنا أورشليم بقيت تسكن معه حيثما ذهب. وترجّح التقاليد ان يوحنا قضى السنوات الاخيرة من رسالته وحياته في مدينة أفسس (في تركيا اليوم)، وهناك توفيت العذراء مريم. ويوحنا كتب "سفر الرؤيا" وهو في جزيرة بطمس تجاه أفسس، وفي هذا السفر رسالة مدح ورسالة تحذير لكنيسة أفسس (رؤيا 1: 11؛ 2: 1).

وقد أصبحت المدينة فيما بعد مركزاً مهماً للمسيحية وقد التأم فيها المجمع المسكوني الثالث في سنة 431 ميلادية. وقبل المسيح، كانت أفسس عاصمة المقاطعة الرومانية آسيا الصغرى. وقد بني فيها مرفأ صناعي مما جعل أفسس ميناءً بحرياً مهماً في العصور القديمة. وكان في أفسس هيكل أرطاميس العظيم مما جعل المدينة مركزاً دينياً كبيراً ومزاراً للعديد من الحجاج والزوّار...

أمّا الأناجيل المنحولة فتتحدّث عن العذراء مريم بشيء من التفصيل أحياناً: عن الحبل بها وولادتها وتكريسها لله وعن موتها وانتقالها الى السماء بنفسها وجسدها... (راجع أناجيل الطفولة، إنجيل يعقوب القديم، إنجيل متى المنحول وكتاب انتقال العذراء القديسة – وفي هذا الاخير تفاصيل عن موتها واجتماع الرسل حولها وانتقالها الى السماء بنفسها وجسدها...!). غير أن ما جاء عن العذراء مريم في هذه الكتب، كان في مجمله نابعاً بالأحرى عن روايات وأقوال شعبية تقوية ومبالغ فيها، أكثر مما هو نابع عن أحداث تاريخية رصينة وموضوعية...

غير أن هناك، في الاناجل المنحولة نفسها، حقائق دينيّة لم تأتِ على ذكرها الاناجيل القانونية نفسها، وقد تبنّتها الكنيسة الجامعة وأصبحت من تعاليمها الرسمية وحتى من عقائدها، كما ذكرنا آنفاً. وعلى سبيل المثال لا الحصر، انتقال العذراء مريم الى السماء بنفسها وجسدها. فهذه الحقيقة المسيحية لم تذكرها الأناجيل القانونية ولا سائر كتب العهد الجديد، بل ذكرتها بوضوح وركّزت عليها الاناجيل المنحولة، وخاصة كتاب "انتقال العذراء القديسة".

وهكذا، في 30 تشرين الاول سنة 1950، أعلن البابا بيّوس الثاني عشر انتقال العذراء مريم الى السماء بنفسها وجسدها عقيدة مسيحيّة رسميَّة. وذلك لأن جسدها الذي أخذ منه الكلمة الالهي جسده لم تمسّه الخطيئة الاصلية، وبالتالي لم يطله الفساد كما يطال سائر أجساد البشر... (أصل العذراء ومولدها في الفصل التالي).

بعض المراجع الخاصة والمعبّرة عن حياة مريم العذراء.

أولاً: المراجع العربية

-الأناجيل المقدسة: إنجيل متى، إنجيل مرقس، إنجيل لوقا، إنجيل يوحنا.

-أعمال الرسل

-الأناجيل المنحولة: أناجيل الطفولة، إنجيل متى، قصة يوسف النجّار، وخاصة إنجيل يعقوب القديم وكتاب انتقال العذراء القديسة.

-القرآن الكريم: سورة آل عمران 3، 32-47

سورة مريم 19، 15-32

-الطبري "تاريخ الطبري" 1، 728-730

-المسعوديّ "مروج الذهب" 4، 78-81

--ابن خلدون "كتاب العبر" 2، 148-149

-القس أسعد منصور "تاريخ الناصرة – من أقدم أزمانها الى أيامنا الحاضرة"، مطبعة الهلال، مصر، 1924، الباب الثالث، الفصل الثاني.

بعض المراجع الخاصّة والمعبّرة عن حياة مريم العذراء (تابع)

ثانياً: المراجع الاجنبيّة

-Migne, Dictionnaire des Apocryphes", 2 Vol., paris 1856

-F. Amiot, "Evangiles Apocryphes", Fayard, Paris, 1952

-France Quéré, "Evangiles Aporcryphes", Le seuil, Points, 1983

M. ABD El-Jalil, "Marie et l'Islam", Beauchesne, Paris, 1952

-L. Chaigne, "La vie de Marie, Fayard, 1954

-Daniel – Rops, "Les Evangiles de la Vierge", Laffont, 1948

-R. Guardini, "La Mère du Seigneur", Cerf, 1961

-P. Regamey, "Les plus beaux textes sur la Vierge Marie", La Colombe, 1946

-Maria, "Etudes sur la Sainte Vierge", sous la direction d'Hubert du Manoir S.J, chez Beauchesne, Paris (à partir de 1949)

-F.M. Braun, "La Mère des Fidèles", Casterman, 1954.

-Van der Meerch, "Marie Mère du christ", Traduction arabe, Dar Al-Kalima, Beyrouth, 1966

-Dr. H. Spencer Lewis "La Vie mystrique de Jésus", Robert Laffont, Paris, 1929.

-Ernest Renan "Vie de Jésus", 1863, Tome I, Chapitre 4.

الفصل الثالث

من "عناقيد الغضب" على لبنان 11-15 نيسان 1996 الى كشف سرّ "مقام النبيّ عمران"...

-مريم العذراء ولدت في لبنان–

"من الخمرة التي عصرها اليهود
فوق الصليب...
شرب الشهداء ولم يرتَووا..."

(صلاة الفرض الماروني بالسريانيَّة،
ظهر يوم الجمعة من كل أسبوع،
اللحن الاول، وعنوانه "ويل لليهود")

الكمبيوتر الاسرائيلي هو الذي اختار اسم "عناقيد الغضب". لقّمه الجنرالات أنهم يريدون تسمية "حضارية" مناسبة لحرب يشنّها "الطيبون" العظماء عى جيرانهم الذين لم يستسيغوا هجرتهم الى ديارهم... وعاد "الكمبيوتر الذكي" الى سفر أشعيا الذي وصف غضب "الآتي" عند قوم لا يريدون قدومه فقال:

"... وبلغت سنة فدائي

وقد نظرت ولم يكن من ينصر

ودهست ولم يكن من يعضد

فأنجدني ذراعي

وغضبي هو أيَّدني...

فدست الشعوب في سخطي

وأسكرتهم في غضبي

وأَسَلْتُ في الأرض عصيرهم..."!

(أشعيا 63: 4-6)

واستوحت الكاتبة الاميركية هذا المقطع من أشعيا وغنّت حق الأرامل عقب الحرب الاميركية بين الشمال والجنوب بالحياة الكريمة (1862) وهي تقول:

"لقد رأت عيناي مجد الربّ آتياً

انه يدوس المعصرة

حيث تُختزن "عناقيد الغضب"..."

واستقرت أخيراً تسمية "عناقيد الغضب" عند رواية الاديب الاميركي المعروف "جون شتاينبك" الحاملة عنوان "عناقيد الغضب" (The Grappes of Wrath) التي تحكي أيضاً قصة العائلة الأوكلاهومية (جود) التي تهاجر الى كاليفورنيا بعد خسرانها أرضاً أجدبت فإذا كاليفورنيا تنبذها وتقاتلها.... عندها يتحول غضب العائلة "المضطّهدة" ثورة وتحريراً...

وسُرَّ الكومبيوتر الاسرائيلي فختم الاسم "المختار": "عناقيد الغضب"! وشنوا الحرب على لبنان. فدام قصف مدافع "الغضب" اليهوديّ على لبنان طوال ستة عشر يوماً (بعدد سنوات الحرب على لبنان التي دامت ستة عشر سنة!).
وطاول القصف الاسرائيليّ، من البرّ والجوّ والبحر، الجنوب والبقاع وبيروت والجبل وكل لبنان. وقد نال الجنوب الحصّة الكبرى من "الغضب"...

أسفر القصف العنيف المدمّر، بالاسلحة الحديثة "المتطوّرة"، عن أضرار هائلة في الحجر والشجر والحيوان والبشر. وقد أحصى هذه الأضرار "برنامج الامم المتحدة لدعم عودة المهجّرين" في مطلع شهر حزيران 1996، كالآتي:

"... وقد أصابت هذه العمليات العسكريّة الاسرائيلية في لبنان: 51 بلدة في الجنوب والبقاع الغربي بأضرار جزئية و30 بلدة بأضرار متوسطة و17 بلدة بأضرار كبيرة و17 بلدة أخرى بأضرار فادحة، وذلك من أصل 159 بلدة في المنطقة.

وأصيب مستشفى بتدمير جزئي ومستوصف بتدمير جزئي ومستوصف بتدمير كامل و15 مستوصفاً بتدمير متوسط. كما أصيبت مدرسة بتدمير كلّي و41 مدرسة بتدمير متوسط وأصيب مبنى إداري رسمي بتدمير كلّي و3 مبانٍ بأضرار واثنان بتدمير جزئي.

أما دور العبادة فأصيب 46 منها بأضرار و12 بتدمر جزئي واثنان بتدمير كلّي. وتضرّرت 82 محطة كهربائية منها 52 أصيبت بأضرار جزئية و7 بتدمير متوسط و23 بتدمير كامل.

وأصابت الأضرار 40 بئراً ارتوازية منها 11 باضرار محدّدة و13 بتدمير متوسط و16 بتدمير كامل. كما أصيب 14 جسراً منها 2 باضرار محدودة و2 بتدمير متوسط و10 دمّرت بالكامل. وتمّ تدمير خزّانين كبيرين للمياه يغذّيان عشرات القرى الى جانب إصابة 20 خزّاناً منها 3 أصيبت بالتدمير الكامل و60 بتدمير جزئي و11 بأضرار جسيمة.

ودمّرت الاعتداءات 57 خطاً للمياه و72 شبكة كهرباء و102 شبكة هاتف. كما دمّرت 124 طريقاً تدميراً كاملاً و227 طريقاً تدميراً جزئياً.

وفي القطاع الاقتصادي تم تدمير 99 مؤسَّسة صناعية وحرفية منها 4 دمّرت بالكامل و29 دمّرت تدميراً متوسطاً و16 تدميراً جزئياً، الى جانب إصابة 1420 محلاًّ ومستودعاً بأضرار منها 1240 بأضرار جزئية و121 دمّرت تدميراً متوسطاً و59 دمّرت بالكامل.

وكذلك تضرّرت 52 مزرعة منها 11 دمّرت بالكامل واثنتان تدميراً جسيماً و39 تدميراً جزئياً.

كما تمّ تدمير 377 سيارة وإصابة 479 سيارة أخرى بأضرار، وتمّ تدمير 15 جرّاراً زراعياً وإصابة 31 بأضرار الخ..."

وبلغت عملية "عناقيد الغضب" ذروتها في "محرقة قانا" الشهيرة التي هي بحق "هولوكوست" نهاية القرن العشرين! وقد أسفرت هذه المحرقة البربريّة النازيّة

الجديدة ضد لبنان عن "حرق" 105 من السكان المدنيين الأبرياء وسقوط 120 جريحاً، من بينهم الشيوخ والعجائز والنساء والحوامل والاطفال والرضّع. وكان كل هؤلاء يأوون الى "المركز الفيجي" التابع لقوات الطوارئ الدولية، وهو كناية عن هنغار ملاصق للبناء. أجل! لقد عُصرت عناقيد أجساد اللبنانيّين الابرياء على يد اليهود مما يذكّر – بشكل عجيب ومروع – بخمرة الاجران القديمة في عرس قانا الجليل اللبنانية. وامتزجت دماء اللبنانيين من مسيحيّين ومسلمين في أجران الشهادة والوحدة. وكان عرس جديد، من نوع آخر، ولكن في قانا الجليل نفسها. "وحفظت الخمرة الجيّدة الى الآن..." (كما جاء في نص عرس قانا الجليل: يوحنا 2: 10)

ولكن لماذا قانا الجليل اللبنانية بالذات...؟ الجواب هو: لأن هناك سراً – تاريخياً وروحياً – وراء قانا! ولماذا أهتزّ الضمير العالمي لمحرقة قانا وأخذ الاهتمام البشريّ ينصبّ ويركّز على قانا بالذات؟ الجواب هو: لأن هناك نفس السرّ التاريخي والروحي وراء قانا. وكما أن القذيفة الاسرائيلية التي ألقيت عن قصد على "مقام النبي عمران" في جوار قانا كشفت عن الكنيسة القديمة التي كانت تضم رفات وضريح عمران (يواكيم) والد مريم العذراء ورفات وضريح والدته والعائلة، هكذا فإن "محرقة قانا" الكبرى – "هولوكوست" نهاية القرن العشرين – كشفت الأبعاد العالميّة البشريّة – تاريخياً وجغرافياً وروحياً – لسرّ قانا الكبير. القذيفة الاسرائيلية كشفت سرّ الحجر، "ومحرقة قانا" كشفت سرّ البشر: القذيفة كشفت عن الكنيسة المسيحيّة القديمة التي كانت تحوي رفات وضريح يواكيم (عمران) والد مريم العذراء، ورفات وضريح والدته والعائلة، والمحرقة الكبرى كشفت عن "سرّ قانا الكبير"، سرّ أصل الدم البشري المسفوك شهادة وفداءً، سرّ دم يسوع المسيح فادي البشرية الذي أصله، كأصل أمه مريم، من قانا: من لبنان. أجل! أصْلُ مريم العذراء من لبنان، من قانا الجليل، وبالتالي أصل المسيح، طبعاً، من قانا الجليل، من لبنان.

والدليل الحسّي على ذلك، وانطلاقاً من كلّ ما تقدم، يتبيّن لنا بوضوح أولاً أن أهل العذراء مريم، أن والديها يواكيم وحنّة وأقاربها وأنسباءها هم جميعاً من قانا الجليل اللبنانية. فرفاتهم جميعاً وأضرحتهم موجودة الى اليوم في ضواحي هذه البلدة الفريدة. فمن له عينان مبصرتان فليأتِ وَيَرَ... وإذا كانت رفات وأضرحة أجداد انسان ما، مع أهله ووالديه واقاربه وأنسبائه في بلدة ما، فمن أين يكون أصل هذا الإنسان، يا ترى؟

أجل! اليهود يقذفون لبنان من فوق، من الجو، ولبنان يردّ من تحت، من الارض بكشف الحضارات المتراكمة تحت ترابه العريق! وإذا لم يبقَ أحد يتحدث عن

الأصالة في تاريخ لبنان مهد الحضارة البشرية، فتراب لبنان الآثاري كفيل بذلك، وهو يتحدث "ببلاغة لبنانية" ما بعدها بلاغة...!!

أما القول السائد، عند عامة الناس، بأن العذراء مريم هي من الناصرة، فقول لا يستند اطلاقاً الى أي أساس موضوعي ثابت، لا من الناحية التاريخية، ولا من الناحية الجغرافية، ولا من الناحية الذرّية والنسبية، ولا من أي ناحية أخرى! إنه قول شعبيّ سطحيّ متسرع وتقويّ أصبح تقليداً سائداً عند عامة الناس الى يومنا هذا! حتى ان الكتاب المقدس نفسه لا يقول أن أصل العذراء من الناصرة. فلا التقليد القديم ولا الاناجيل المنحولة، ولا الاناجيل القانونية نفسها، ولا كتب التاريخ تقول إن أصل العذراء مريم من الناصرة. هناك فقط إشارة عابرة في إنجيل لوقا (1: 26-27) تقول أن العذراء مريم، عندما بشرها الملاك، كانت "مقيمة" في الناصرة، ولم يقل إن أصلها من الناصرة. لا بل أكثر من ذلك، وحتى من حيث "إقامة" العذراء مريم في الناصرة نفسها، فهناك تناقض تاريخي وجغرافي فاضح جداً بين لوقا ومتى، كما ذكرنا سابقاً أكثر من مرّة. ففي حين يقول لوقا إن مريم العذراء كانت، عندما بشرها الملاك، "مقيمة" في الناصرة (لوقا 1: 26-27)، يقول متى بالحرف الواحد: "... فقام يوسف فأخذ الطفل وأمّه (وكانوا في مصر) ودخل أرض اسرائيل. لكنه سمع أن أرخلاّوس خلف أباه هيرودس على اليهودية، فخاف أن يذهب اليها. فأوحي اليه في الحلم، فلجأ الى ناحية الجليل. <u>وجاء مدينة يقال لها الناصرة فسَكن فيها (؟!)،</u> ليتم ما قيل على لسَان الانبياء: إنه يدعى ناصريّاً... (متى 2: 21-23).

ينتج عمّا تقدم انه لا يمكننا القول بأن العذراء مريم هي من الناصرة، وذلك لأسباب عديدة، أهمها: أولاً هناك تناقض واضح جداً في النصوص الكتابية نفسها بين متى ولوقا. ثانياً: عبارة "إنه (أي المسيح) يدعى ناصريّاً..."، لا تدلّ هنا أبداً على احد سكان الناصرة – ولو كان هذا القول يصدم عامة الناس – بل هي تعادل "الذي في الناصرة"، أو "الجليلي"، أو "النذير" أو "قدوس الله المكرّس"...! (راجع الفصل الخاص "بيسوع الناصري"، وخاصة تعليقات وشروحات النسخة الجديدة، متى 2: 23 والحاشية رقم 14، ص 40). ثالثاً: يتحدث لوقا عن إقامة مريم العذراء في الناصرة، لا عن أصلها، هذا إذا كانت أقامت فعلاً في الناصرة... فقد تبين اليوم من خلال الابحاث التاريخية والتنقيبات الأثرية العلمية ان بناء الناصرة يعود الى القرن الثاني أو الثالث بعد المسيح، لا قبل ذلك. وبالاضافة الى ذلك، لم يرد اسم الناصرة في أي كتاب من كتب العهد القديم، ولا في أي كتاب تاريخ يتحدث عن نشأة المسيحيّة. رابعاً: لو كانت العذراء مريم من الناصرة أو من فلسطين لكان بقي ولو أثر بسيط من أضرحة والديها أو أهلها أو أحد أقاربها وانسبائها. كل

هذه الأضرحة موجودة في جوار قانا الجليل اللبنانية، في مقام النبي عمران" الذي تحدثنا عنه. وهي، من أجل اقامتها لفترة من الزمن في جبل الكرمل، أقام لها رهبانه اول كنيسة مسيحيّة على اسمها وهي بعد على قيد الحياة، ولم يقيموا هذه الكنيسة في الناصرة. فلو كان أهلها وأقاربها من الناصرة أو من فلسطين، لكان بقي لهم أثر ما في تلك البلاد. خامساً: لقد تأكد لنا بالدلائل الحسّيّة والآثارية أن رفات وأضرحة والديها وأجدادها وأهلها هي في ضواحي قانا الجليل اللبنانية، في "مقام النبي عمران"، فكيف يكون أصلهم وأصلها بالتالي من الناصرة او من فلسطين؟ وهناك تقليد مسيحي – وهو غير صحيح – يقول أن قبر العذراء مريم، وبالأصح مكان موتها ودفنها، هو في مدينة أورشليم، فلو كان أهلها من الناصرة أو من أورشليم، أو من أي مكان في فلسطين، فلماذا لم يذكر أحد شيئاً البتة عن موت أهلها ورفاتهم وأضرحتهم في تلك البلدان؟ والمسيحيّون الجليليّون أنفسهم الذين بدأوا قبل غيرهم بتكريم العذراء مريم، وبنوا أول كنيسة على اسمها وهي بعد على قيد الحياة، ثم بنوا الكنائس المسيحية الاولى في الجليل (راجع أعمال الرسل 9: 31)، لم يقولوا كلمة ولم يتركوا أثراً يشير الى قبور أهلها وأقاربها، مع أنهم كانوا يكرّمونهم ويقدسونهم. وكما هو معروف، فإن الاموات كانوا يقبرون، كعادة ذلك الزمان، في بلدتهم الاصلية. لذلك فإن أهل العذراء مريم، لم يدفنوا في فلسطين بل في بلدتهم الأصلية قانا الجليل اللبنانية، في "مقام النبي عمران" بالتحديد (في جوار قانا).

ومن جهة ثانية، إذا عدنا الى تاريخ الناصرة القديم، فإن مؤرخ الناصرة المعروف الاب برنابا يقول في تاريخ الناصرة المعنون "جديد الارض المقدسة"، بالحرف الواحد ما يلي: "... لم تولد العذراء مريم في الناصرة، بل إن هذا هو "تزوير تقويّ" (كذا)! وهو يقول هذا القول بعد أن يذكر رواية القديس إيرونيموس (أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس!) والذين تبعوه في اعتقاده أن العذراء مريم ولدت في الناصرة... (راجع كتاب الناصرة المعنون: "تاريخ الناصرة – من أقدم أزمانها الى أيامنا الحاضرة" للقس أسعد منصور، الباب الثالث، الفصل الثاني، صفحة 137، والحاشية رقم 1). والقس أسعد منصور نفسه، الذي هو من الناصرة، والذي يعتبر مؤرّخ الناصرة الحديث، وبعد أن يورد قول الاب برنابا، يؤكد من جهته قائلاً: "... ولم يثبت إطلاقاً لا من التواريخ ولا من التقليدات المحلية المستمرة الى يومنا هذا ان يوسف أو مريم كان لهم بيت أو ميراث أو أهل أو اقارب في الناصرة نفسها..." (المرجع نفسه، المكان نفسه)! ويكرّر قول الأب برنابا متبنّياً إياه: "أجل! لم تولد مريم العذراء في الناصرة، بل أن هذا هو "تزوير تقويّ"...، كما يورد أقوالاً أخرى في هذا الاتجاه.

واليوم وعلى ضوء النقد التاريخيّ الموضوعي وعلم الآثار، لا يؤكد أحد من المؤرخين أو من العلماء أو من مفسري الكتاب المقدس أن مريم العذراء هي من الناصرة، كما لا يؤكد أحد أيضاً ان يسوع المسيح هو نفسه من الناصرة... ولو كان هذا القول يصدم البعض. فالكتاب المقدّس، مرة أخرى، ليس كتاباً تاريخياً بحصر المعنى، بالمفهوم العصري العلمي لكلمة "تاريخ"، ولو كان يحوي أحياناً بعض الحقائق التاريخية الثابتة. وكيف يكون يسوع وأمه من الناصرة والناصرة وجدت بعدهما بقرن على الأقل؟!

أما لماذا نزح والدا العذراء مريم وأقاربها من قانا الجليل اللبنانية في الجليل الأعلى الى منطقة بيت لحم الجليل وجبل الكرمل في الجليل الأسفل، فأمر غير معروف وغير واضح تماماً، إذ لا يوجد بين أيدينا وثائق ومدوّنات تاريخية تفسِّر أسباب هذا النزوح. هناك فقط بعض القرائن التاريخية والجغرافية والاجتماعية التي تلقي برأينا، بعض الاضواء عى هذا النزوح. القرينة الاولى جغرافية، وهي واقع محسوس على الأرض: من جهة اولى، عاش أقارب العذراء مريم في الجليل في منطقة بيت لحم وجبل الكرمل، غير أن أضرحتهم موجودة الى اليوم في ضواحي قانا الجليل اللبنانية. الأسفار والتنقلات كانت أمراً شائعاً جداً في تلك الايام لأسباب عديدة ومتنوّعة، غير أن العادة السائدة في ذلك العهد كانت، كما رأينا،أن يدفن الناس، وخاصة كبار القوم، في بلدتهم الأصلية، كما هي الحال مع أقارب العذراء مريم. القرينة الثانية اجتماعية – روحية غير معروفة تماماً حتى يومنا هذا، وهي أن والدي العذراء مريم واقاربها، وبالتالي نسيبها يوسف النجار، كانوا جميعاً، على الأرجح، إمّا من الجماعة الاسينية وأمّا من الجماعات الروحية الجليلية المماثلة، التي كانت تنتظر بلهفة المجيء القريب لمخلّص روحي شامل لجميع الناس. القرينة الثالثة، وهي مرتبطة مباشرة بالقرينة السابقة، تشير الى أن أقارب العذراء مريم ويوسف قصدوا منطقة الكرمل بالذات، لأن جبل الكرمل عهد ذاك كان، كما فصّلنا سابقاً، الموئل القديم والمحور الأساسي والمركز الناشط لكل تلك الجماعات الجليلية الروحية التي كانت تتهيأ بشكل حياتي مباشر الى قدوم المسيح – المخلص. كان أقارب العذراء من أبرز وأقدس تلك الجماعات الروحية (راجع الدكتور هـ. سبنسر لويس "حياة يسوع السرّية"، الفصل الثالث ص 62 والفصل الخامس ص 83-94).   وكان والدها يواكيم من كبار كهنة تلك الجماعات الروحية، يخدم في هيكلهم الكبير (غير هيكل أورشليم) المكرّس للإله "إيل" والموجود عند المدخل الأساسي لأحد أبواب مدينة أورشليم الجنوبية الغربية (راجع خريطة اورشليم بعد الاكتشافات الأثرية الحديثة جداً...). وكان هذا الهيكل الكبير يسمّى "هيكل إيل – خارج – الاسوار"، خارج اسوار أورشليم... (راجع الدكتور هـ. سبنسر لويس "حياة يسوع السريّة"، الفصل

الخامس، ص 84-85). وهكذا، عندما كان رهبان الكرمل وشيوخهم يختارون، من بين أقدس العائلات الروحيّة الجليليّة، 12 فتاة من العذارى المكرّسات عَلَّ المخلّص المنتظر يتجسّد في إحداهن – وقد حصل ذلك الاختيار أكثر من مرة – كان كبار الكهنة والشيوخ ينذرون بناتهم – وهنّ في البطن – لتكون مكرّسات للرب داخل هيكلهم في جبل الكرمل. وهذا ما فعله والدا مريم العذراء، يواكيم وحنّة، كما ذكرنا سابقاً. ومن بين الفتيات العذارى المكرّسات في جبل الكرمل قبيل الميلاد علّ المسيح المخلّص يتجسّد في احداهن، كانت مريم العذراء ابنة يواكيم وحنّة. القرينة الرابعة، وهي ذات طابع "نبوّي مشيحاني"، تشير الى أن أقارب مريم، وهم من المنتظرين بلهفة مجيء المخلّص، تركوا قانا الجليل اللبنانية، وأقاموا في الجليل الأسفل لكي يكونوا على مقربة من جبل الكرمل وبيت لحم حيث سيولد المسيح بحسب النبؤات... وقريباً من أورشليم حيث سيموت. ولقد كان كلّ ذلك بتدبير من العناية الإلهية التي مهدت الطريق، من خلال الظروف البشرية الطبيعية، الى ولادة السيّد المسيح...!

وإذا كانت مريم بعد موت زوجها يوسف قد عادت، كما يقول رينان، "الى قانا الجليل لأنها كانت من هناك، وأن يسوع نفسه أمضى، على الأقل، فترة من صباه وحداثته في قانا الجليل نفسها"، وإذا علمنا من جهة ثانية أن البلدة المدعوة "ناصرة" لم تكن موجودة في القرن الأوّل للميلاد، كما يؤكد علم الآثار اليوم، فإننا نستنتج من كل ذلك أن مريم ويوسف قد أقاما بعد زواجهما، ولو لفترة من الزمن، في بلدتهما الاصلية قانا الجليل، إذ كيف يمكن ليسوع أن يقضي فترة من حداثته وصباه بعيداً عن والديه؟ وبعد موت يوسف، عادت مريم الى قانا وبدأ يسوع حياته العلنية بعد اعتماده في الأردن على يد يوحنا بالقرب من بحيرة طبريا في الجليل. هذا ما يفسّر قول الإنجيل في نصّ عرس قانا الجليل: "وكانت مريم هناك..." (في قانا الجليل)... ودعي يسوع هو وتلاميذه الى العرس...". لم تدع مريم الى عرس قانا الجليل لأنها كانت "مقيمة" هناك، بل دعي يسوع وتلاميذه الى العرس. وبعد العرس واجتراح يسوع آيَتَهُ الاولى عاد، كما يقول الإنجيل، "الى كفرناحوم ومعه أمّه وإخوته وتلاميذه، فأقاموا فيها بضعة أيام..." ومنذ ذلك الوقت، بدأت مريم ترافق ابنها في حياته التبشيرية، أحياناً عن قرب واحياناً أخرى عن بعد، بحسب الظروف والمناسبات، وذلك حتى موته على الصليب.

والسبب في عودة مريم الى قانا الجليل، بعد موت زوجها، هو لأنها كانت من هناك، وايضاً لأن قبور والديها واهلها وأقاربها كانت هناك. ويظهر أنه بعد إقامة أول كنيسة مسيحية للعذراء مريم، فوق جبل الكرمل، وهي بعد على قيد الحياة،

أقام المسيحيون الاولون، في ضواحي قانا الجليل، كنيسة صغيرة ضمت رفات والدي مريم يواكيم وحنّة وأجدادها وأقاربها. وفي الربع الثاني من القرن الرابع بعد الميلاد، في عهد هيلانة وقسطنطين الكبير اللذين اهتما بتشييد الكنائس المسيحيّة في المشرق، أقيمت كنيسة كبيرة على الطراز البيزنطي مكان الكنيسة الصغيرة القديمة. وهذه الكنيسة البيزنطية هي التي كشفت عنها فوهة القذيفة الاسرائيلية التي القيت على مقام "النبي عمران" (يواكيم)، أثناء عملية "عناقيد اغضب" الاسرائيلية والتي كانت ذروتها "محرقة قانا الكبرى". وقد تكون هذه الكنيسة دمّرت ورمّمت أكثر من مرة بسبب الغزوات والحروب. غير أنها كانت خربة ومندثرة قبيل الفتح العربي في أواسط القرن السابع للميلاد. وعند وصول المسلمين الى منطقة قانا الجليل في جنوب لبنان، تعرّفوا على هذه الكنيسة التي كانت تحوي رفات وضريح والد العذراء مريم (عمران عندهم) وعائلته. وبما أن القرآن كان يكرّم آل عمران "إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين" (سورة آل عمران الآية 33)، ويكرم بنوع خاصّ عمران وزوجته "يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً (سورة مريم الآية 28)، لكل تلك الأسباب، سعى مسلموا منطقة قانا الجليل الى إقامة مقام، بحسب تقاليدهم، يضم رفات وضريح "النبي عمران" وعائلته. والملفت أن بلدة قانا الجليل كانت منذ العهد الكنعاني القديم بلدة مميّزة من الناحية الروحية والدينية. كانت مرتبطة منذ البدء بمقام الإله الكنعاني إيل" – "قانا الجليل" – وبقيت هكذا طوال قرون عديدة حتى يومنا هذا. ومنذ فجر المسيحية كانت الملجأ الاول، على ما يظهر، للمسيحيّين المضطهدين والمشتّتين خارج فلسطين. فقد جاء في أعمال الرسل: "... وأمّا الذين شتّتهم الضيق الذي وقع بسبب إسطفانوس (اول شهيد مسيحي قتله اليهود) <u>فإنهم انتقلوا الى فينيقية</u>..." (أعمال الرسل 11: 19). والمغاور المسيحيّة القديمة في قانا الجليل تشهد على ذلك. وفي القرون المسيحية الاولى كانت قانا الجليل بمثابة عاصمة روحية لتلك المنطقة. كان فيها قبر والدي العذراء مريم وعائلتهما، وكان يحيط بها من كل جانب بلدات مسيحية وعددها سبعة تبدأ جميعها بلفظة "دير" – هكذا تقول التقليدات المستمرة الى اليوم – والدليل على ذلك، أنه لا يزال الى يومنا هذا بعض هذه البلدات تحمل اسمها القديم: دير قانون النهر، دير كيفا ودير عامص... (ومقام "النبي عمران" نفسه، بجوار قانا، كان يدعى قديماً "دير" النبي عمران)

كان قبر يواكيم وعائلته قائماً على تلة بجوار قانا الجليل، ثم بنيت فوقه كنيسة مسيحية،كما ورد سابقاً. وفي بداية الفتح العربي كانت الكنيسة مندثرة فأقام فوقها المسلمون مقاماً "للنبي عمران" (يواكيم نفسه). ويظهر أن هذا المقام

ترمّم أكثر من مرّة. أما البناء الحالي فيعود الى العهد العثماني. وفي نهاية القرن الماضي أصبح هناك مزرعة تحيط "بمقام النبي عمران" تسمّى "مزرعة عمران"...، وكانت مزرعة قائمة بذاتها. الاّ أنه في هذه الأثناء قدم الى تلك المنطقة آل أبو خليل من كسروان وبنوا مزرعة "القليلة" على شاطئ البحر بالقرب من "مزرعة النبي عمران"، لجهة الغرب. كانت "مزرعة عمران" مأهولة قبل الحرب العالميّة الأولى. غير أنها قد خربت واندثرت خلال الحرب وبقي المقام وحده قائماً بين الأطلال. وفي الفترة الممتدة بين 1914 و1980 كانت "مزرعة عمران" خراباً وغير مأهولة، عرف المقام خلالها بعض الإهمال. وفي الفترة الأخيرة، عادت الحياة الى تلك المنطقة وتوسّعت بلدة القليلة فشيّدت فيها الابنية الجديدة وامتدت صعداً الى جهة الشرق فاصبحت متصلة بمزرعة "النبي عمران القديمة"، وتحولت هذه الى حيّ من أحياء القليلة. وأصبح المقام يعتبر داخل بلدة القليلة. هذا هو الوضع القائم في يومنا هذا.

هذه باختصار قصة مقام "النبي عمران"، الذي كان منذ بداية الفتح العربي ولا يزال في منطقة اسلامية شيعيَّة. غير أن هذه القصة التاريخية الغريبة بقيت محصورة جداً في منطقة صغيرة محدودة يَتناقلها التقليد المحلي المحدود مع شيء من التصحيف الشعبيّ. وبقي النبي عمران مغموراً ومنسيّاً في ظلمة قبره من الجميع، وخاصة من المسيحيّين انفسهم حتى في لبنان!؟ فلا التاريخ المسيحيّ ولا مفسّرِو الكتاب المقدس ولا علماء الآثار ولا أحد من المسيحيّين، على ما نعلم، أتى على ذكره بكلمة واحدة تقول أنه مقام يواكيم والد العذراء مريم. أما أسباب هذا النسيان الغريب والطويل فهي عديدة ومتنوعة. السبب الاول لأن المقام <u>بعيد عن أورشليم والناصرة وبت لحم اليهودية</u>. وقد رأينا ان المسيحيّين المتهوّدين، في القرون المسيحيّة الثلاثة الأولى – ومن بعدهم التاريخ المسيحي وخاصة في الغرب – قد ركزوا اهتمامهم على أورشليم والناصرة وبيت لحم اليهودية والمناطق المحيطة بهذه المحاور الروحية الثلاثة، وسعوا بكلّ الوسائل الى حصر كل التاريخ المسيحي بهذه المناطق فقط لا غير. السبب الثاني هو أن الرحّالة الافرنج الذين حجّوا الى الأراضي المقدّسة، منذ أواسط القرن الربع، لم يذكروا شيئاً عن ضريح يواكيم وحنّة وعائلتهما، هذا بالإضافة الى جهلهم جغرافية المنطقة ولغاتها... السبب الثالث هو أن الكنيسة المسيحية التي كانت تحوي رفات وضريح يواكيم وعائلته <u>ما عتمت ان خربت واندثرت وظلت هكذا طوال قرون عديدة، بسبب الغزوات والحروب، ولأنها كانت بعيدة عن العواصم والمناطق المسيحيّة</u>. فمنذ نهاية العهد البيزنطي <u>لم تعرف منطقة "النبي" عمران تواجداً مسيحياً يذكر</u>. السبب الرابع، وهو بنظرنا الأهم، هو أن هذه المنطقة، ومنذ بداية الفتح العربي، في أواسط القرن السابع للميلاد،

أصبحت منطقة اسلامية شبه مغلقة. وتغيّر اسم صاحب الرفات والضريح، أي اسم يواكيم، وأخذ اسمه المسلم "عمران" المذكور في القرآن. وأصبح المقام، في الفترة الاخيرة، يسمّى "مقام النبي عمران". والظاهر ان التسمية "عمران" والطابع الاسلامي الظاهري للمقام قد حجب حقيقة الامر عن أعين المسيحيّين من مؤرخين ومفسّري الانجيل وعلماء آثار غربيين وغيرهم... ناهيك عن الغزوات والحروب والصراعات، من دينية ومذهبية وغيرها، التي حلت بكل هذه البلاد، طوال قرون عديدة... السبب الخامس هو أن التنقيبات الأثرية التي جرت في لبنان منذ الاستقلال قد ركّزت بنوع خاص على المدن الكبيرة على شاطئ البحر وعلى منطقة جبل لبنان القريبة من العاصمة بيروت، فأُهملت آثار مناطق اطراف البلاد وخاصة البعيدة عن السكن، كما هو ظاهر حتى يومنا هذا! وهكذا طال الإهمال الرسميّ العديد من الآثار اللبنانية – ولبنان مليء فعلاً بآثار الحضارات المتراكمة تحت ترابه – ومن هذه الآثار المهملة "مقام النبي عمران"...

غير أن الحقيقة مهما كانت مطموسة ومنسيّة ومجهولة فلا بد لها أن تظهر وتشعّ في يوم من الأيام. وإن غابت يوماً عن ذاكرة البشر فإنها تبقى مجسّمة ومتجسّدة في ذاكرة الحجر: في الآثار المحسوسة والملموسة. هذه ليست بحاجة الى دليل وحجة وبرهان، فهي نفسها الدليل والحجة والبرهان. إنها تحتاج فقط الى كشف ينزع عنها ستار وغبار الطمس والنسيان والجهل. وقد يكون الكشف مقصوداً ، وقد يكون غير مقصود... وهذا الأخير هو الذي حصل بالنسبة الى "مقام النبي عمران"، كما فصّلنا سابقاً. قذيفة اسرائيلية واحدة كانت كافية للكشف، غير المقصود طبعاً، عن حقائق بالغة الاهمية بالنسبة الى تاريخ المسيحيّة ولبنان... هذه الحقائق التي كانت غائبة عن ذاكرة البشر حفظها الحجر تحت تراب لبنان الحضاري العريق. وها هي اليوم قد أصبحت ظاهرة للعيان: حقائق مجسّمة ومجسّدة، محسومة وملموسة. وهي تنتظر "أحفاد توما" كي يضعوا فيها "أصابعهم العشر"، علّهم يؤمنون...!

وبما أن سرّ مقام النبيّ عمران ظلّ مكتوماً الى يومنا هذا، وبما أن له علاقة مباشرة، وبالغة الاهمية، بدراستنا هذه، فضّلنا أن نسلّط عليه أضواء كاشفة. لأن هذا السرّ يحوي حقائق بالغة الخطورة...

جاء في كتاب البحّاثة أنيس فريحة "معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية" (في باب كلمة عمران، ص 118) ما يلي: "عمران" اسم علم مشهور. أمّا بالسريانية فهو بالميم: عمرام. وهي قرية في جنوب لبنان، في قضاء صور". وهذه القرية تعرف باسم "مزرعة عمران". تحدّها من الغرب بلدة "القلَيْلة" ومن الجنوب منطقة العزيّة ومن الشرق بلدة الشعيتيّة ومن الشمال المعليّة. تبعد عن مدينة

صور زهاء عشرة كيلومترات جنوباً، وهي قريبة من قانا الجليل اللبنانية وتعتبر من القرى المحيطة بها. أراضيها اليوم مزروعة بأشجار الزيتون والخرنوب والحمضيات والتبغ. وقد اشتهرت قديماً في خرنوبها. مناخها جيّد ناعم وترتفع عن سطح البحر 85 متراً".

كانت "مزرعة عمران" مأهولة قبل الحرب العالمية الأولى، الاّ أن أهاليها انتقلوا الى قرية "القلَيْلة" المجاورة لها بعدما بنى هذه البلدة، التي تمرّ بها الطريق العام على شاطئ البحر، عيسى خليل أبو خليل، الذي جاء الى هذه المنطقة من ميروبا في كسروان زهاء العام 1720. وفي الفترة الممتدة بين 1914 و1980 كانت "مزرعة عمران" خراباً وغير مأهولة. وعادت الحياة بعد ذلك الى المنطقة فشيّدت فيها البيوت، واصبحت "مزرعة عمران" متّصلة بقرية "القلَيْلة" بطريق معبّدة، وأنيرت بالكهرباء وأمّنت لها مياه الشفة وتم حفر عدد من الآبار الارتوازيّة لريّ أراضيها. وهكذا أصبحت منطقة عامرة مزدهرة تدبّ فيها الحياة من جديد لتصبح المكان الذي تشرق منه الشمس على بلدة القليلة.

ذكرها المؤرخون القدماء هكذا: "عمران: بوزن فِعْلان قرية في ساحل صور معروفة بجودة الخرنوب..." (خطط جبل عامل، ص 268). "وعمران تابعة مركز محافظة صور – 12 شيعة" (قاموس لبنان). "وعمران: اسم علم مشهور. أمّا بالسريانية فهو بالميم: عمرام" (أنيس فريحة "معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية"، ص 118). وورد اسم منطقة عمران في الاتفاقية التي عقدت بين ملكة صور آرام أراريت او أوغاريت وبين حاكم مصر آنذاك عام 1263. وورد اسمها باسم: "دير عمران"، ممّا يدل على أنها كانت في القديم تحوي ديراً مسيحياً معروفاً. وفي "أزهار الخمائل" للشيخ حسين سليمان العاملي ورد ما يلي: "عمران مزرعة خراب قديمة... انتقل سكّانها الى قرية "القليلة"، وكانت قبل الحرب العامة (العالمية الاولى) مأهولة بمقدار 64 نسمة. ولم يزل قيدهم باسمها، وتطلب باسم قرية، وفيها مقام اسمه "عمران". وحولها آثار قديمة وهي تابعة لقرية "القليلة" من املاك آل أبي خليل الوجهاء... (الدكتور وجيه أبو خليل "مزرعة النبي عمران في صور"، مقالة هامة مع مراجع وصور، نشرت في "نهار الشباب"، الثلاثاء في 24 ايلول سنة 1996). والتقليد القديم والمستمر الى يومنا هذا يقول إن مزرعة النبي عمران كانت مملوكة لأهالي عمشيت من بلاد جبيل، ثم اشتراها أهالي جبشيت في قضاء صور، ثم اشتراها آل حكيمة من بلدة قانا الجليل اللبنانية المشهورة جنوبي صور، ثم اشتراها منهم آل ابو خليل الذين جاؤوا من ميروبا في كسروان زهاء العام 1720. وتجدر الإشارة هنا الى أن مزرعة النبي عمران هذه قريبة جداً من قانا الجليل اللبنانية، وان عدداً من العائلات ما

زالت منقسمة بين البلدتين الى يومنا هذا. وفي الأصل كانت مزرعة النبي عمران تابعة لقانا.

وفي مزرعة النبيّ عمران الى اليوم آثار مقبرة قديمة جداً وآثار مراع للماشية وعدد من الآبار القديمة التي تستخدم لجمع المياه. وقد أظهرت الحفريات الجارية حالياً وجود عدد من البيوت وآثار كنيسة مسيحيّة قديمة العهد وأعمدة عليها كتابات باليونانية وصلبان وبعض الحجارة وقطع الزجاج الملوّن المبعثرة...

كان لا بد من هذه المقدمة، ولو بشكل سريع، للتعرف الى منطقة عمران التي تمتد جذورها بعيداً في التاريخ. لكن ما يعنينا هنا بشكل خاصّ هو من أين جاءَت هذه التسمية: "عمران". ومن يكون عمران هذا الذي أقيم له مقام يؤمّه الناس ويزورونه ويتباركون به صغاراً وكباراً رجالاً ونساءً أصحّاء ومرضى...؟ والتقليد المحلّي يتحدث باستمرار، حتى يومنا هذا، عن شفاءات حصلت وآيات تمت في هذا المقام. (وقد رأينا شخصياً في البلدة بعض الأشخاص الذين حصلت معهم شفاءات وآيات، عندما زرنا البلدة والمقام أكثر من مرة...). من هو عمران هذا؟ هل هو نبي أم قديس أم وليّ أم رجل صالح؟ والملفت حقاً هو أن جميع الذين كتبوا عن عمران هذا، في هذا المقام، أو ذكروا اسمه ويذكرونه حتى اليوم، ذكروه عرضاً ولم يتوسّعوا للتعريف به والتعرّف اليه!؟

من هو عمران هذا الذي بُني على اسمه هذا المقام: مقام النبي عمران؟ لا يُشكّ إطلاقاً في تسمية منطقة عمران بنسبتها الى صاحب المقام الموجود عمران، فهي سمّيت باسمه. وللتعريف به نقول إن التاريخ لم يذكر لنا، على ما نعلم، الاّ رجلين معروفين بهذا الاسم هما: عمران والد النبيّ موسى، وعمران والد مريم العذراء (في التقليد الاسلامي – أمّا في التقليد المسيحي "فيواكيم" هو اسم والد العذراء مريم، وحنّة هو اسم والدتها. ونذكّر هنا أيضاً بأن الأناجيل المنحولة وحدها هي التي ذكرت اسمَي يواكيم وحنّة، والدي العذراء مريم. وهكذا التقليد المسيحي المستمر الى اليوم. أمّا الاناجيل القانونية مع سائر كتب العهد الجديد فلم تذكر شيئاً عنهما ولا حتى اسمهما...؟!).

ورد اسم عمران أكثر من مرة في القرآن. وآل عمران قوم مصطفون بنظره. "إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين. ذرّية بعضها من بعض والله سميع عليم. إذ قالت امرأة عمران ربِّ إني نذرت لك ما في بطني محرّراً فتقبّل منّي إنك أنت السميع العليم" (سورة آل عمران، الآيات 33-35).

وفي نظرة الى المقام الموجود حالياً في مزرعة النبي عمران، والى مجموع الدلائل الموجودة والتي اكتشفت حديثاً وتظهر فيها آثار مسيحية (كنيسة وصلبان

وكتابات وقبور)، لا يرقى الى الشك ان هذا المقام هو مقام عمران (يواكيم) والد مريم العذراء.

وقد توافرت فيه صفات تؤهله لأن يقام له مقام كالذي نعرفه اليوم. فبالإضافة الى كونه والد العذراء مريم، فإن الكنيسة المسيحية تكرمه وتعتبره قديساً وتعيّد له، مع حنّة زوجته، في التاسع من شهر أيلول من كل سنة، بعد اليوم الثامن من شهر أيلول الذي هو عيد مولد ابنته مريم العذراء. والاسلام يكرمه أيضاً للأسباب عينها. وقد ورد ذكره مكرّماً في القرآن على لسان قوم مريم "وما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمّك بغيا" (سورة مريم، الآية 28).

والمؤرخ الطبري، من جهته، يقول: "تزوّج عمران حنّة بنت فاقود بن قبيل فولدت له مريم العذراء..." (تاريخ الامم والملوك، الجزء الأول، ص 418). وذكر المسعودي "أن حنّة زوجة عمران ولدت له مريم وأشباع. وتزوجت أشباع زكريا وولدت له يحيى (يوحنا المعمدان). فيكون بذلك يحيى ابن خالة السيد المسيح" (مروج الذهب، الجزء الأول، ص 62). الاّ أن الطبري يذكر أن أشباع هي أخت حنّة زوجة عمران وليست ابنته (تاريخ الامم والملوك، الجزء الأول، ص 418). وكان يحيى (يوحنا المعمدان) يكبر السيّد المسيح بستة أشهر (المسعودي "مروج الذهب"، الجزء الأول، ص 63). وهذا يوافق ما جاء في انجيل لوقا (1: 26-7) "وفي الشهر السادس (لحبل اليصابات بيوحنا المعمدان)، ارسل الله الملاك جبرائيل الى مدينة في الجليل اسمها الناصرة، الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف، واسم العذراء مريم..."

وهكذا فإن عمران (يواكيم) مكرّم ومقدّس في المسيحية والاسلام، ولدى طوائفهما كلّها، بدليل وجود مقامه في جبل عامل جنوبي لبنان الذي تعاقبت عليه أقوام ومذاهب كثيرة، ولم يزل الى يومنا هذا موضع احترام واهتمام وتكريم. والمعروف ان مقام النبي عمران موجود في يومنا هذا في منطقة اسلامية شيعية، تكرّمه كثيراً.

ولكن في جميع الكتب التي استطعنا أن نطّلع عليها لم نجد أحداً يذكره باسم "النبي" عمران. وأظن أن لقب "النبي" أطلق عليه في فترة حديثة. غير أن جميع المؤرخين لم يختلفوا على تسميته ولا على نسبته ولا على موقعه، بدليل عدم وجود مكان آخر يدل على وجود قبر فيه. والتقليد المحلّي المستمر لا يزال يؤكد على ذلك. وتكريماً له وتبرّكاً به بُني له مقام خاصّ يضم ضريحه، ما زال موجوداً الى يومنا هذا.

وبناء المقام الموجود حالياً يعود الى الحقبة العثمانية ويتضمن بقايا معمارية تعود دون شك الى فترات أقدم، إذ كان يُرمّم من فترة الى أخرى. والمقام يتكوّن من قسمين: قسم قديم يتألف من غرفتين مجاورتين، وقسم حديث ويضم غرفتين للصلاة ومشارب وأمكنة للوضوء وحمامات. القسم القديم، وهو مستقل، عبارة عن غرفتين متلاصقتين: الغرفة الاولى كبيرة وفي داخلها قبر النبي عمران، طولها ثمانية أمتار وعرضها سبعة أمتار، يتكوّن سقفها من أربعة عقود يختلف عرض الواحد عن الآخر، وفي الجهة الغربية يوجد رفّ عريض توضع عليه الفوانيس والشموع والسبحات، وفي الجهة الجنوبية يوجد محراب للصلاة. وعلى هذه العقود الأربعة بنيت قبة على الطراز العثماني بارتفاع ثلاثة أمتار. وللغرفة شباك صغير من الجهة الغربية، ولها باب واحد من الجهة الشمالية وهو المدخل الوحيد وعلوّه زهاء متر ونصف. أمّا الضريح الذي يقع في الجهة الجنوبيّة خلف المحراب فعبارة عن هيكل خشبي في داخله قبر من الرخام، ويحوطهما سور من الحديد المشبّك. وأمّا الغرفة الثانية المجاورة فصغيرة الحجم، في حائطها الجنوبي محراب صغير يسمّى "غرفة أم النبي" (عمران). ورفات أم النبي ما زال موجوداً في مدفن خاص في حائط هذه الغرفة من الداخل!

على مدخل المقام تاجان من حجر الرخام، وهذا دليل واضح على أنه كان في هذا المكان هياكل من الحجم الكبير. وعلى المدخل فوق الباب الرئيسي حجران كبيران مستطيلان من الرخام لا يوجد مثلهما عادة الا على مدخل الكنائس المسيحية الكبيرة، وتحتهما حجر كبير مستطيل كانت فيه لوحة تبين تاريخ هذا المقام، وقد سرقت هذه اللوحة أيام الانتداب الفرنسي... ويقول المعمّرون في البلدة أن هذه اللوحة موجودة في المتحف الايطالي...؟

لقد تعاقبت على هذه المنطقة شعوب وحضارات كثيرة بدليل وجود آثار ظاهرة للعيان تدل على ذلك. فقد وجد عمود كبير من الرخام عليه كتابة يونانيّة، وعمود آخر يستعمل بوابة لمدخل معبد، وقاعدتان رخاميتان لعمودين عليهما كتابة ورموز رومانيّة. وهناك أجران ضخمة لِعَصْرِ الخرنوب والزيتون والعنب، وقطع من الحجارة والزجاج مبعثرة هنا وهناك تدل على حقبات تاريخية متعاقبة... ونشير الى أنه كان يوجد في أعلى قبّة المقام تمثال من الرخام لثلاث حمامات سرق منذ فترة، إضافة الى بعض الاعمدة الرخامية التي كانت مطروحة على جانبي الطريق المؤدية الى المقام... وتجدر الاشارة الى أن أهالي البلدة قد شيّدوا مأذنه عالية على الطراز الحديث بجانب المقام – انطلاقاً من الارض – عند المدخل، الى الجانب الجنوبي الغربي منه، كتب في أعلاها: "مقام النبي عمران".

وعندما تعرضت المنطقة للقصف الاسرائيلي العنيف الذي سمّي "عناقيد الغضب" (11-25 نيسان 1996) والذي تسبّب "بمحرقة قانا الشهيرة" (105 من المدنيين الأبرياء...)، في 18 نيسان، طال القصف الاسرائيلي يومها مقام النبي عمران. فوقعت قذيفة كبيرة على بعد أربعة أمتار من المقام الى الجنوب الشرقي منه، فطالت بعض شظاياها السور الخارجي وجدار المقام وقبّته. وآثار الشظايا باقية وظاهرة للعيان الى يومنا هذا. ولكن، من غرائب الامور، أحدثت القذيفة الاسرائيلية إياها فوهة كبيرة في الأرض، فكشفت (!!) عن وجود نفق كبير تحت الأرض طوله زهاء 15 متراً وعرضه عشرة أمتار وهو مبنيّ بحجارة رمليّة كبيرة، وأظهرت أعمدة من الرخام وآثار بناء قديم. ويستدل من كل ذلك، على ما يظهر، أنه بناء كنيسة مسيحيّة قديمة، والدليل وجود قطع من الفسيفساء الملوّنة فيها صلبان ورسوم ورموز مسيحيّة... ويستنتج من كل ذلك أن هذه الكنيسة المسيحيّة التي يغمرها التراب الآن، والتي ظهرت للعيان "بفضل" القذيفةالاسرائيلية، كانت، على ما يظهر تحوي قديماً – في العصور المسيحيّة – ضريح يواكيم (عمران عند المسلمين) وضريح والدته والعائلة... ويظهر أنه، بعد تقلّبات الزمان ومرور الشعوب والحضارات في تلك المنطقة، وعند وصول الفتح العربي الى تلك الديار، علم الاهالي باكراً بوجود رفات وضريح عمران والد السيّدة العذراء وزوجته حنّة تحت انقاض تلك الكنيسة فنقلوا رفاتهما وشيدوا لهما مقاماً، بحسب التقاليد الاسلامية، وذلك تكريماً لهما وتبريكاً بهما، لكون عمران وحنّة هما مكرّمان في الاسلام وفي القرآن بنوع خاص، كما ذكرنا سابقاً. وهذا ما أفادنا به شيوخ البلدة عندما زرنا شخصياً المقام على أثر مجزرة عناقيد الغضب (يومها اتصلنا بكبار المسؤولين في مديرية الآثار اللبنانية، وكانوا على علم بذلك، وطلبنا اليهم المزيد من الاهتمام بتلك الآثار... لأنها بالغة الأهمية في تاريخ المسيحية ولبنان). وقد أكد لنا شخصياً شيوخ البلدة والمنطقة، الذين زرناهم وتحدثنا اليهم طويلاً أكثر من مرّة، أنهم يتابعون نقل تلك التقاليد القديمة والمستمرة التي تقول وتؤكد بان مريم العذراء ولدت في هذه المنطقة. فقد ولدت فيها ونشأت في ربوعها ثم انتقلت فيما بعد الى بلاد الجليل. وإذا كان أصل العذراء مريم من هذه المنطقة، من لبنان، فابنها يسوع المسيح، هو أيضاً أصله من لبنان. والدليل أنها من هذه المنطقة وجود قبر والدها يواكيم (عمران) وقبر جدتها لوالدها وبقية العائلة. وبديهيّ جداً ان يولد الانسان في بيت والديه وأن ينشأ ويترعرع فيه... ويقول التقليد المحلي أيضاً أن بلدة "الحناوية" وجبل سعين (سمعان) القريبين من قانا الجليل والقليلة يذكّران بحنّة النبيّة وسمعان الشيخ اللذين كانا في الهيكل عندما قدّم يسوع والداه للرب في الهيكل، وكانا من تلك المنطقة بالذات!...

تقول عالمة الآثار الفرنسيّة "دنيز له لاسّور"، في بعثة آركيولوجيّة الى صور"، 1921، ما تعريبه:

"... والى الجنوب من رأس العين، بالقرب من طريق "دير قانون"، هناك موقع آخر حريّ بالتنقيب يسمّى "الطيّبة"، حيث نشاهد مقلعاً للحجارة مهمولاً تماماً يحوي أعمدة محطّمة من الرخام وحجارة ضخمة مقصّبة تجدر دراستها عن كثب.
وهناك، في جدار أحد المنازل في قرية مجاورة، وجد الاب كرم خادم رعية قانا، كما أكّد لنا، "عرش عشتروت"، الموجود حالياً في متحف اللوفر في باريس!...
وكان هذا العرش مخبأ في أحد جدران البيت ومطلياً بالاسمنت... ثم أكملنا سيرنا باتجاه الجنوب، فوصلنا، بعد زهاء ساعة من الزمن، الى "القلَيْلَة"، وهي قرية يسكنها "المتاولة" (وهي تعني: الاسلام الشيعة)، حيث قصدنا لتوّنا "النبي عمران"، وهو مقام معروف في المنطقة، مشيد فوق تلة عالية شرقي البلدة، وهو يبعد زهاء نصف ساعة، مشياً على الأقدام، عن قرية "القليلة"... وبوصولنا الى المقام أرشدنا المرافقون من القرية الى قاعدتي عمود كبيرتين من "الطراز الكورنثي" القديم، وقاعدة عمود جميلة جداً من "الطراز البيزنطي" تمثل نسوراً أربعة يجثم الواحد بجانب الآخر وأجنحتها مطويّة. والقاعدة الأخيرة تعلو قبّة المقام. صعدنا الى سطح المقام لنتأمل عن كثب هذه القاعدة الجميلة.
والسيّد لورى الذي رافقنا من صور وكان عضواً في بعثتنا إهتم بتصوير القاعدة ونسورها الأربعة. أمّا النقيب "دى لا باسّتيار" فأخذ يفاوض أهالي بلدة القليلة للحصول على هذه القاعدة ويهديها الى المتحف الوطني اللبناني في بيروت.
بعد ذلك أرشدنا المرافقون الى مقبرة حفرت في الصخر تبعد مسافة 25 متراً الى الشرق من المقام، تحوي في داخلها كتابات باللغة اليونانية نقشت على بلاطات من الرخام. وقد أهدانا بعض المرافقين من الاهالي قطعاً من هذه البلاطات كانت لا تزال في حوزتهم. وعلى هذه القطع كتابات من العهد البيزنطي وصلبان ورموز مسيحية، ممّا يدلّ على أنها كانت في جدران المقبرة المحفورة في الصخر.
وهناك قطع أخرى مشابهة استقرت أخيراً، حسب ما قيل لنا، في بيوت بعض الزعماء المحليّين...

وفي الحقول التي تحيط بمقام النبي عمران وجدنا كمية كبيرة من قطع الفسيفساء الزجاجية ذات الألوان الأصفر والأزرق والأخضر، بالإضافة الى أجزاء من الفخّار الملوّن. وقيل لنا أيضاً إن هناك بئراً كبيرة غطاها التراب تقع بالقرب من المقام الى الجانب الشرقي الجنوبي. (نشير هنا بالمناسبة الى ان هذه البئر بالذات هي التي كشفتها فوهة القذيفة الاسرائيلية، التي تحدثنا عنها والتي سقطت بالقرب من المقام. وقد رأيناها بأم العين في المكان الذي حدّدته

العالمة الفرنسية). كما قيل لنا إن الأهالي نقلوا الى البلدة من داخل تلك البئر، قبل ان تغطّى بالتراب، قاعدة عمود كبير من حجر الرخام عليها صلبان ورسوم ونقوش. ويظهر أن غالبية هذه الآثار هي من العصر البيزنطي. غير أننا وجدنا في حقل يبعد عن المقام، الى الجانب الشرقي، زهاء 50 متراً، معصرة قديمة جداً من الحجر الصلب، علوها متران وعرضها متر تعلوها بلاطة صخرية كبيرة. وأظن أن طراز هذه المعصرة القديمة شبيه بطراز المعاصر التي وجدناها في "جلّ العمود" (وهي تقصد المعاصر من العهد الفينيقي التي اكتشفها، قبلها بعدة سنوات، إرنست رينان أثناء رحلته الشهيرة الى لبنان. وهي تقول صراحة إنها تمشي على خطى رينان في بعثتها الآركيولوجيّة الى لبنان. أمّا "جلّ العمود" فيقع في منطقة "البرج الشمالي" شرقي مدينة صور...".) (راجع: مجلّة "سيريا" (مجلة الفن الشرقي والآركيولوجيا)، المجلّد الثالث، باريس 1922، "بعثة آريولوجية الى صور"، نيسان – أيار 1921 بقلم عالمة الآثار الفرنسية "دنيز له لاسّور"، المقالة الثانية، 4، اكتشافات متنوعة في منطقة صور، ص: 116-130، بالفرنسية).

إن هذه المقالة هي، على ما نعلم، المقالة أو البحث الآركيولوجي الاول والوحيد، حتى اليوم، عن "مقام النبي عمران"! وقد أرسلت هذه العالمة من قبل الحكومة الفرنسية، عام 1921، لمتابعة واكمال التنقيبات الاثرية في جنوب لبنان التي قام بها العالمان الأثريان الكبيران إرنست رينان في السنتين 1860 – 1861، وت. مَقْرِيدِي بك حافظ متحف القسطنطينية. وقد جمعت دراستها الآركيولوجية هذه تحت عنوان: "بعثة آركيولوجية الى صور" ونشرتها في السنة التالية، 1922، في مجلة "سيريا" المتخصّصة بالفنون والآثار الشرقية، في مقالتين علميتين طويلتين معزّزتين بالأرقام والرسوم البيانية والصور الحيّة والمراجع...

يقول رينان العالم الفرنسي الشهير الذي زار لبنان ونقّب عن آثاره وكتب عنها كتابه الضخم "رحلة الى فينيقية"، يقول في كتابه "حياة يسوع": "... ومات يوسف قبل أن يبدأ ابنه يسوع حياته العلنية. وهكذا بقيت مريم على رأس العائلة، ممّا يفسِّر لماذا كان الناس يدعونه "ابن مريم" عندما كانوا يحاولون ان يميّزونه عن سائر الذين يحملون نفس الاسم. وهكذا أصبحت مريم غريبة في الناصرة بعد موت زوجها، <u>فعادت الى قانا الجليل لأن أصلها من هناك (بالحرف الواحد!!)... ويسوع نفسه أقام فترة من الزمن في قانا الجليل. فهناك أمضى فترة من شبابه، وهناك حصلت أولى آياته وعجائبه</u>..." (إرنست رينان "حياة يسوع"، الجزء الأول، الفصل الرابع، الصفحة 50)!!

وهكذا، وبكل بساطة ووضوح، وبكل جرأة...، يقول رينان إن أصل مريم العذراء من قانا الجليل، وإنها عادت إليها واستقرّت فيها بعد موت زوجها يوسف، لأنها كانت غريبة في الناصرة... وإن ابنها يسوع هو أيضاً بالطبع كان أصله من قانا الجليل... وانه أقام فيها فترة من شبابه... وفيها حصلت أولى آياته... وهذا القول الاخير يقودنا مباشرة الى ما جاء في انجيل يوحنا، في عرس قانا الجليل (4: 11): "هذه أولى آيات يسوع أتى بها في قانا الجليل، فأظهر مجده فآمن به تلاميذه..."! (فيما يخص عرس قانا الجليل راجع: انجيل يوحنا 2: 1-12). وهناك أيضاً في نص عرس قانا الجليل نفسه إشارة أخرى – غير مباشرة ظاهرياً ولكنها واضحة بالنسبة الينا – تدلّ علىأن مريم العذراء كانت "مقيمة" في قانا الجليل: "وكانت أم يسوع هناك (في قانا الجليل)". فقد جاء في انجيل يوحنا: "وفي اليوم الثالث، كان في قانا الجليل عرس وكانت أم يسوع هناك. فدعي يسوع وتلاميذه الى العرس الخ..." (يوحنا 2: 1-2). النص الانجيلي في يوحنا واضح كل الوضوح، فهو يقول: "وكانت أم يسوع هناك...". كيف ولماذا كانت مريم أم يسوع هناك؟ ولماذا وكيف كانت "هناك" لوحدها؟ لم تكن ترافق ابنها في ذلك الوقت. كان يسوع بعيداً عن قانا الجليل، قريباً من بحيرة طبريّا حيث كان يوحنا يعمّد في مياه الاردن. كان قد اعتمد على يد يوحنا وبدأ باختيار تلاميذه الأولين: إندراوس ثم سمعان بطرس أخيه ثم نتنائيل... ويبدأ نص عرس قانا الجليل هكذا: "وفي اليوم الثالث...، كان عرس في قانا الجليل وكانت أم يسوع هناك..." ويجمع المفسّرون على أن عبارة "وفي اليوم الثالث..." تعني: في اليوم الثالث للقاء يسوع نتنائيل قرب بحيرة طبريّا. وكان عرس في قانا الجليل، وكانت مريم "هناك". لم تُدْعَ مريم الى العرس، لأنها كانت هناك، "مقيمة". غير أن يسوع وتلاميذه هم الذين دُعوا الى العرس، لا مريم. ذلك "لأن مريم، بعد موت زوجها يوسف أصبحت غريبة في الناصرة، فعادت الى قانا الجليل لأن أصلها من هناك...". وعرس قانا الجليل حصل في بداية حياة يسوع العلنية. وهناك إجماع على ان يوسف مات قبل بداية حياة ابنه العلنية، فأصبحت مريم على رأس العائلة. ومن جهة ثانية تجمع التقاليد المسيحية على أن مريم العذراء، التي كانت نسيبة لزوجها يوسف، حضرت في قانا الجليل عرس أحد أقاربهما. ويقول المؤرخ أوتيميس إن يوسف نفسه كان من قانا الجليل وإن العريس كان ابن حلفى أخيه. غير أن يوسف لم يذكر في العرس لأنه كان قد توفي قبل ذلك (راجع الاب يعقوب تيريني "تحفة الجيل في تفسير الاناجيل"، الترجمة العربية، الفصل الخامس ص 716-717).

وإذا عدنا الى نص عرس قانا الجليل، نجد أن يوحنا الانجيلي يختم قائلاً: "وانحدر يسوع بعد ذلك الى كفرناحوم ومعه أمّه وإخوته وتلاميذه، فأقاموا فيها بضعة أيام". (وفيما يخصّ قانا الجليل هذه، وفي كونها هي هي المدينة اللبنانية،

جنوبي صور، والتي اصبحت مشهورة جداً في العالم كلّه على أثر "مجزرة عناقيد الغضب" "ومحرقة قانا"، راجع كتاب المؤلف "قانا الجليل في لبنان"، ص 41-52).

وبالإضافة الى ما قيل وكُتب حول قانا الجليل، فإننا نحيل الجميع، وخاصة المشكّكين والمتردّدين، الى نص واضح وصريح ومحدّد حول تحديد موقع قانا هذه جغرافياً. وقد جاء هذا النص في الكتاب المقدس نفسه، في العهد القديم، في سَفر يشوع، في الفصل التاسع عشر، الاعداد 24-31، وخاصة 28-29. يقول يشوع في "جغرافية أراضي الاسباط" الاثني عشر، محدّداً أراضي سبط أشير: "وخرجت القرعة الخامسة لسبط بني أشير بحسب عشائرهم. فكان في حدودهم: حلقة وحلي وباطن وأكشاف والمالك وعمعاد ومشآل، وتتصل غرباً الى كرمل وشيحو لِبنات، وتنعطف شرقاً الى بيت داجون، ثم تتّصل الى زبولون والى وادي يفتحئيل، على شمال بيت العامق وتعيئيل، وتنفذ (الحدود) الى كابول شمالاً والى عبدون ورحوب وحمّون وقانا الى صيدون الكبرى. وتعطف الحدود الى الرامة والى المدينة المحصّنة صور، ثم تعطف الى حوصة، وتنفذ عند البحر الى محاليب وأكزيب وعكّو وأفيق ورحوب. فهناك اثنتان وعشرون مدينة بقراها. هذا ميراث سبط بني أشير بحسب عشائرهم".

والذي لا يعرفه الكثيرون هو أن سبط أشير هذا، وانطلاقاً من جغرافية يشوع المفصّلة أعلاه، كان نوعاً من المستطيل الجغرافي على شاطئ البحر المتوسط، تحده من الجنوب مدينة دور الكنعانية العريقة، عند سفوح جبل الكرمل الجنوبية، ومن الشمال نهر الليطاني المعروف (مع مناطق ضفته الشمالية)، ومن الشرق اسباط نفتالي وزبولون ومنسّى، ومن الغرب البحر المتوسط. (راجع خرائط الاسباط الشمالية). أمّا ما نريد أن نركّز عليه هنا، هو أن نصّ الكتاب المقدّس نفسه يحدّد بشكل جغرافي دقيق موقع قانا الجليل: بين صور وصيدا والرامة: "وتنفذ الحدود الى ... والى حمون وقانا الى صيدون الكبرى. وتعطف الحدود الى الرامة والى المدينة المحصّنة صور، ثم تعطف الخ..." مدينتنا صور وصيدا معروفتان تماماً. أمّا الرامة المذكورة هنا في نص يشوع عن سبط أشير فتقع الى الجنوب من مدينة صور. يقول "قاموس الكتاب المقدس": "الرامة: مدينة على حدود سبط أشير (يشوع 19: 29). ومكانها اليوم الرامة على مسافة 13 ميلاً جنوب صور" (ص 392، عمود 2، الرقم 3). الرامة هذه، المذكورة في نصّ يشوع عن سبط أشير تقع إذاً في يومنا هذ1 بالقرب من حدود لبنان الجنوبية. ومعروف ان قانا الجليل تقع على مسافة 12 كلم جنوب صور أيضاً. ينتج عما تقدم، وبشكل جغرافي محدّد ودقيق، أن قانا الذي يقول النص فيها "وقانا الى صيدون الكبرى..."، والتي تقع بين صيدا وصور والرامة، تقع بكل تأكيد في الأراضي

اللبنانية. وهذا ما دعا أوسابيوس القيصري مؤرّخ الكنيسة الأول (القرن الرابع) ومن بعده بقليل القديس إيرونيموس، الشارح الكبير للكتاب المقدس، الى القول بأن قانا الانجيل – قانا العرس هي في لبنان، وذلك انطلاقاً من قرينتين واضحتين: الأولى عبارة: "قانا الى صيدون الكبرى"، والثانية: "قانا الجليل" كما جاء في انجيل يوحنا (2: 1، 11). ومعروف ان "قانا الجليل" مدينة كنعانية – فينيقية قديمة، ظلّت تسمى هكذا "قانا الجليل"، طوال قرون عديدة، أكثر من ألف ومائتي سنة: من أيام يشوع الى أيام يسوع. وكانت الوحيدة التي يطلق عليها هذا الاسم: "قانا الجليل". وذلك لسببين تاريخيين وجغرافيين متلازمين: الأول لأنها قديمة جداً، كما ذكرنا، وبالتالي فان "خربة قانا" وكفركنّا (؟) الواقعتين شمال الناصرة والذي ظنّ البعض أن إحداهما هي قانا العرس في الانجيل، هما قريتان حديثتا العهد جداً بالنسبة الى قانا الجليل اللبنانية: "فكفركنّا" من القرن الرابع، "وخربة قانا" من القرن السابع بعد الميلاد. والثاني لفظة "الجليل" كانت تطلق في الأصل على المنطقة الجبلية من جنوب لبنان ثم امتدت التسمية الى الجنوب، أي الى شمال فلسطين. يقول "قاموس الكتاب المقدس": "الجليل: كانت في الأصل في القطر الجبلي لنفتالي (أي في جنوب لبنان – راجع خريطة سبط نفتالي)... وفي هذا القسم كان يقيم كثيرون من الكنعانيّين (قضاة 1: 30-33؛ 4: 2). وأمّا عبارة "جليل الامم" فتفيد ان هذا القسم كانت تقطنه غالبية من الأمم، وخاصة من الكنعانيين (متى 4: 15). وامتد فيما بعد اسم الجليل الى الجنوب فشمل كل منطقة يزرعئيل (بين جبل الكرمل وبحيرة طبريّا)... وفي الحروب اليهودية عام 70 للميلاد كان الجليل مقسّماً الى قسمين وهما: الجليل الأعلى والجليل الأسفل: الأعلى ويحدّه من الشمال مدينة صور ومن الجنوب السامرة ومن الغرب فينيقية ومن الشرق نهر الأردن، والأسفل يقع جنوب الأعلى ويمتد من بحيرة طبريّا الى مدينة عكّا على البحر المتوسط..." (قاموس الكتاب المقدس، لفظة الجليل، ص 265، العمود الثاني). وإذا عدنا الى أوسابيس وايرونيموس اللذين حدّدا موقع قانا في لبنان، فالاثنان قالا: قانا الى صيدون الكبرى وقانا الجليل. غير أنهما، كَعَادَةِ كُتَّابِ تلك الأزمنة، لم يحيلا القارئ الى فصل كذا... وعدد كذا... من الكتاب المقدس، كما نذكر نحن اليوم... مع ان نصّ الكتاب المقدس الذي نحن بصدده (يشوع 19: 28-29) واضح جداً: "وتنفذ الحدود الى حمّون وقانا الى صيدون الكبرى، وتعطف الحدود الى الرامة والى المدينة المحصّنة صور...". ومن جهة اخرى، بقي نص اوسابيوس، باللغة اليونانية، ونصّ إيرونيموس باللغة اللاتينية، نصّين غير مترجمين، على الأقل الى اللغة العربية. وهكذا ظلّ هذان النصّان التاريخيان البالغا الأهمية غير معروفين تماماً، وظلت قانا الجليل اللبنانية، أي قانا الانجيل الحقيقية طي الاهمال والتناسي والنسيان

والجهل والخوف... الى يومنا هذا. وها هي تقوم الآن من سباتها التاريخي الطويل!... أجل! إن قانا الجليل الحقيقية هي في لبنان!

وخلاصة القول، ان العذراء مريم، "أم الله"، ولدت في لبنان! وكذلك زوجها يوسف. والمسيح يسوع أصله من لبنان. والدليل على ذلك، ان رفات وقبور وأضرحة جميع آبائهم واجدادهم وأقاربهم وأنسبائهم موجودة حتى اليوم، على الأرض، وظاهرة للعيان، في جوار قانا الجليل اللبنانية، في أعالي قرية القليلة، وبالتحديد في "مقام النبي عمران". ومريم العذراء بعد ولادتها بسنوات قليلة، نزحت مع والديها يواكيم وحنّة والأقارب الى جبل الكرمل حيث تكرّست لله في ديره، وحيث خدمت هيكله مع خطيبها يوسف سنوات عديدة. وهناك بشرها الملاك، وحبلت بيسوع وعقدت قرانها على يوسف. وبعد ان مات زوجها، وأصبحت وحيدة هناك، عادت الى قانا الجليل في لبنان حيث رفات وأضرحة والديها وأهلها وأقاربها. ويسوع نفسه أقام فترة من شبابه في قانا الجليل اللبنانية موطن والديه وآبائه وأجداده، وهناك صنع أولى آياته في عرس قانا الجليل في لبنان. أجل! ان العذراء مريم ولدت حقاً في لبنان!

ونحن من هنا، من قلب لبنان، ندعو بكل احترام، قداسة البابا وجميع المسيحيّين، بمناسبة يوبيل السَنة الألفين للتجسّد الإلهي، أن يحتفلوا بالميلاد، في بيت لحم الحقيقية "اللبنانية"، لا في بيت لحم اليهودية المزعومة، وان يأتوا بعد ذلك لزيارة رفات وأضرحة آباء وأجداد المسيح في جوار قانا الجليل اللبنانية، في موطن المسيح الأصليّ: لبنان!

مصادر ومراجع الفصل

1ً-المصادر والمراجع العربيّة

-المسعودي "مروج الذهب"، الجزء الأول، ص 62-63

-الطبري "تاريخ الأمم والملوك"، الجزء الاول، ص 62، 418

-أنيس فريحة "معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية"، ص 118

-"قاموس لبنان". (مخطوط قديم)

-"خطط جبل عامل"، ص 268

-"بلدات جبل عامل"، ص 310

-الدكتور وجيه أبو خليل – مقالة تاريخية مع مراجع وصور نشرت في "نهار الشباب" في 24 أيلول 1996

-الأب يوسف يمّين "قانا الجليل في لبنان"، منشورات إيل – 2، 1994، إهدن، لبنان.

-القرآن سورة آل عمران، الآيات 33-35

سورة مريم، الآية 28

-القس أسعد منصور "تاريخ الناصرة – من أقدم أزمانها الى أيامنا الحاضرة"، مطبعة الهلال، مصر، 1924، ص 137، والحاشية رقم (1).

-جريدة "السفير"، تاريخ 25 كانون الاول 1993

-جريدة "النهار"، تاريخ 15 تموز 1996

وملحق "النهار": "نهار الشباب"، تاريخ

24 أيلول 1996

-ملف النهار: "من عناقيد الغضب الى سقوط بيريس"، إعداد د. جان كرم، حزيران 1996، مع الصور الحيّة...

ً2-المراجع والمصادر الأجنبيّة

*Syria (revue d'art oriental et d'archéologie), Tome III, Paris, 1992, "Mission archéologique à Tyr. Avril – Mai 1921, par Mme Denyse le Lasseur, (Deuxième article), IV Antiquités diverses relevées à Tyr, pp. 116-130, avec Notes et Figures.

ملحق الفصل الثالث
كلمة في "القْلَيْلَةْ"

فما يخصّ تاريخ "القليلة" القديم والحديث والمعاصر، راجع الدكتور وجيه أبو خليل (مؤرّخ القليلة) في كتابه الحديث جداً "القليلة" ممرّ الانبياء ومقرّ الاولياء"، دار عون، الطبعة الاولى (لبنان)، 1998 – فيه صور وخرائط ووثائق ومستندات – 400 صفحة، حجم وسط. وقد جاء الكتاب شاملاً النواحي التاريخية والجغرافية والآثارية والزراعية والاجتماعية، منذ تأسيس القرية حتى اليوم.

في الحقيقة، وبكلّ بساطة، صدر هذا الكتاب بعد أن أنهينا مراجعة مسودّة هذه الدراسة، وبدأنا بالإعداد لطبعها. ومع أن انتشار كتاب تاريخ "القليلة" ظلّ محصوراً ضمن بلدة "القليلة" نفسها، فقد سعينا الى الحصول عليه بأسرع وقت ممكن. وبعد أن قرأنا الكتاب مرّة ومرّتين، تنفّسنا الصعداء، لأنه جاء مطابقاً، تمام المطابقة، لما ذهبنا اليه وأثبتناه بالدلائال والبراهين والحجج، بخصوص "مقام النبيّ عمران" وبكونه يحوي رفاة وأضرحة والد العذراء مريم (عمران: عند المسلمين، يواكيم: عند المسيحيّين) ووالدتها حنّة، وأجداد يسوع المسيح وآبائه... وهو يتحدث عن كل ذلك بالتفصيل، وبكل بساطة وثقة، ناقلاً ومثبتاً التقاليد المحلية القديمة والحديثة المستمرة حتى يومنا هذا! ونظراً للأهمّية البالغة لهذه الامور، فقد أفرد المؤلف فصلاً خاصاً لها. (راجع: "القليلة ممرّ الانبياء ومقرّ الأولياء"، للدكتور وجيه أبو خليل، ابن القليلة ومؤرّخها، ص 187-189).

ماذا تعني كلمة "القلَيْلَة"

يقول أنيس فريحة في تفسير كلمة القليلة: "ربما تكون تحريفاً لعبارة سريانية "قَليلا" (بصيغة الجمع): خفاف، سريعون أو قلائل. أو الثنائي "قل" يفيد القلة، والسرعة والخفة... (مُعْجَمْ اسماء المدن والقرى اللبنانية، باب كلمة "قليلة"، ص 141). أما الاستاذ عبّاس حكيم فيقول في كتابه "قاموس اللغة الفينيقية وقصة الابجديّة"، في باب كلمة "القليلة"، ما يلي: "إسم "قليلة": مثلها مثل باقي المدن والقرى الجنوبية الواقعة في تخوم مملكة صور عبر العصور الماضية والعصور الحاضرة، لم تنل "قليلة" الاّ القليل من العناية التأهيلية. فهي كأخواتها في الحقل: قرية عصامية قامت على سواعد أهلها. ولكن لقرية "قليلة" تاريخ قديم ما زالت شواهده مطمورة تحت الدروب، تحت البيوت، وفي "الحواكير" وفي التلال. ولذلك نحن نجهل اسمها القديم أيام كانت مملكة صور عاصمة بلاد كنعان، ولا أيام البيزنطيين ولا الرومان. فهل اسمها يا ترى: القليلة ام قليلة أم ثليلة (بضم أو كسر ثـ)؟ وهكذا يكون عندنا ثلاثة الفاظ لاسم واحد الى أصل لغويّ واحد وهو بالتالي يعود بنا الى الاسم الفينيقيّ الأصليّ للبلدة. الجذر الفينيقيّ هو ل ل (لآلْ) وهو اسم الإله الفينيقي الذي عُبِدَ في فترة قديمة من تاريخ صور (لعله إله العاصفة، وهو لقب للبعل: "ملحمة البعل وعناة": 8: 4: 14). يبقى علينا الاجتهاد في تفسير الجزء الاول من الاسم. فإذا كان مصدر (ق) في قليلة هو حرف "أ" في الفينيقية يصبح الاسم أ ل ل أي أنه قسَم وحلفان بالإله لآلْ، أو الساجد له. وإذا كان الحرف الاول (ق) مصدره حرف (ك) في الفينيقية اصبح الاسم ك ل ل بمعنى أنهى العمل أو كلّل. أمّا إذا كان الاسم هو اسم مركب ثم تعرّض الى الاختصار فهذا يعيدنا الى اللغة الفينيقية ثانية. فربما كان الاسم عبارة عن ك ل ي ل ل ومعناها خرائب الإله "لال"، أو ك أ ل ل ومعناها: أمام تمثال الإله "لآلْ". أو ربما يعود جذر الاسم الى "إيل" وهو كبير عائلة الآلهة الكنعانيين – الفينقيين. و"إيل" يعني: أبو الآلهة..." (عباس حكيم في كتابه: "قاموس اللغة الفينيقية وقصة الابجدية"، أورده، بالحرف الواحد، الدكتور وجيه أبو خليل في كتابه "القليلة ممرّ الأنبياء ومقرّ الاولياء"، ص 22-23).

بلدة "القليلة" اليوم

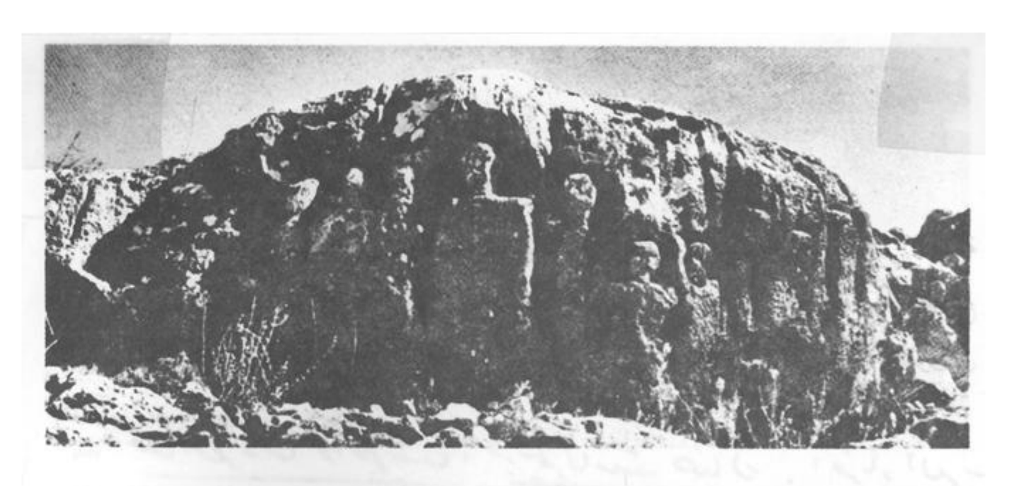
"القليلة" قرية من قرى جبل عامل، تقع الى الجنوب من مدينة صور على بُعْدِ ثمانية كيلومترات. يحدّها من الغرب البحر الأبيض المتوسط، ومن الجنوب بلدة الحنيّة ومزرعة العزّية ومن الجنوب الشرقي تلة البقّ على حدود بلدة شيحين والصالحاني ومن الشرق بيادر زبقين وجبال البطم والشعيتيّة ومن الشمال المعليّة. تبلغ مساحة أراضي القليلة 11795180 م2. عدد سكانها 3800 نسمة. هاجر قسم من أهاليها الى بعض الدول الاميركية والافريقية.

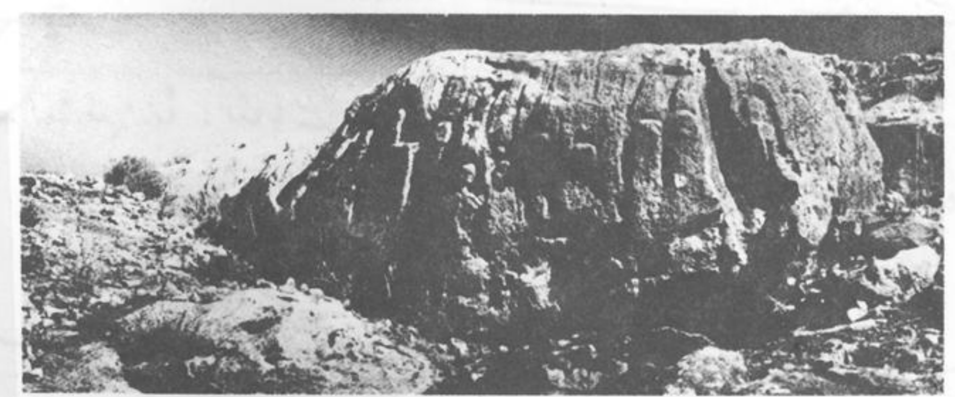
الملفت حقاً، والذي يهمنا في هذه الدراسة، أن بلدة القليلة التي تحوي في أعاليها الشرقية "مقام النبي عمران" حيث رُفَاتُ وقبور أجداد يسوع المسيح وآبائه، أن هذه البلدة هي في جوار بلدة قانا الجليل اللبنانية، الموطن الاصليّ ليوسف ومريم ويسوع. وفي الواقع كانت منطقة "مقام النبي عمران" تابعة عقارياً لقانا الجليل اللبنانية فترة طويلة من الزمن! (راجع "القليلة ممرّ الانبياء ومقرّ الاولياء"، للدكتور وجيه أبو خليل ص 24)

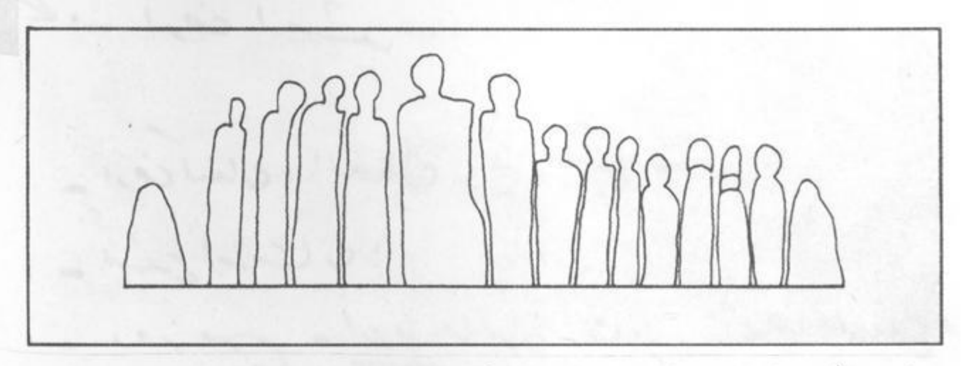
وتتربع "القليلة" على هضبة ترتفع عن سطح البحر 50 م، وإن تكن أطرافها قد امتدت حالياً الى وادي المعليّة شمالاً والى منطقة مقام النبي عمران شرقاً حيث ترتفع هناك 85 م عن سطح البحر، والى عزيّة الفوقا جنوباً وحتى الطريق الدولية عى شاطئ البحر غرباً. عدد منازلها 520 منزلاً مختلفة الحجم والمساحة. اتسعت أراضيها في السنوات الاخيرة وهي مغروسَة موزاً وليموناً، وتنبت في تلالها ومنحنياتها أشجار الزيتون والخرّوب. واليوم تعرف القليلة نموّاً عمرانياً مع مظاهر المدنية الحديثة...

وبالنسبة لموقع القليلة الجغرافي، فهي تقع على خطّ أثري قديم يمتد من فلسطين والجليل باتجاه الناقورة حيث موقع "أم العمد" الشهير بمعابده التي تعود الى الحقبة الفينيقية، ثم يمتد هذا الخط الى بلدة القليلة مروراً بمحلة العواميد وقبور الرصاص الواقعة غربي البلدة حالياً، مروراً بمنطقة "مقام النبي عمران" وصولاً الى حناويّة وقانا الجليل اللبنانية. وفي جميع هذه المواقع ظهرت معالم أثرية هامة جداً. وهذه الطريق الأثرية عبارة عن ممرّ القوافل عبر التاريخ. ومن أهم هذه الآثار النقوش الشهيرة على صخور قانا الجليل، و"مقام النبي عمران" حيث رفاة وقبور أجداد يسوع المسيح وآبائه... (فيما يخصّ "مقام النبيّ عمران" وما يحويه هذا المقام، راجع مؤرّخ بلدة القليلة الدكتور وجيه أبو خليل،

في كتابه الحديث جداً: "القليلة ممرّ الانبياء ومقرً الاولياء"، حيث يُفْرِدُ المؤلّف فصلاً خاصاً في هذا الموضوع الخطير، ص 187-189)!





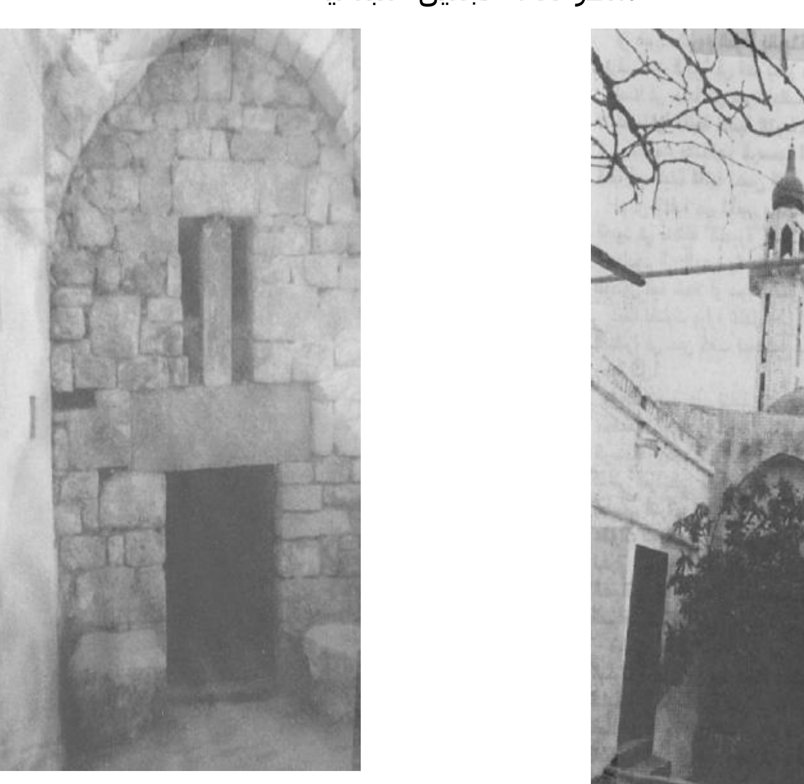


تماثيل حُفرت في الصخر في وادي قانا لبنان تمثل على ما يبدو المسيح ورسله الاثني عشر. وهي حسب العلامة الاب رونزفال اليسوعي من القرن الاول الميلادي. هي اذا اول رسم في التاريخ ظهر الى الآن يمثل المسيح ورسله. والرسم متخذ من مجلة متحف بيروت (١).

(١) Brahim Kaoukabani, *les Monuments de Wadi Cana, Bulletin du Musée de Beyrouth*, t. XXIV, Beyrouth, 1971. PL. V.



منظر لقانا الجليل اللبنانيّة

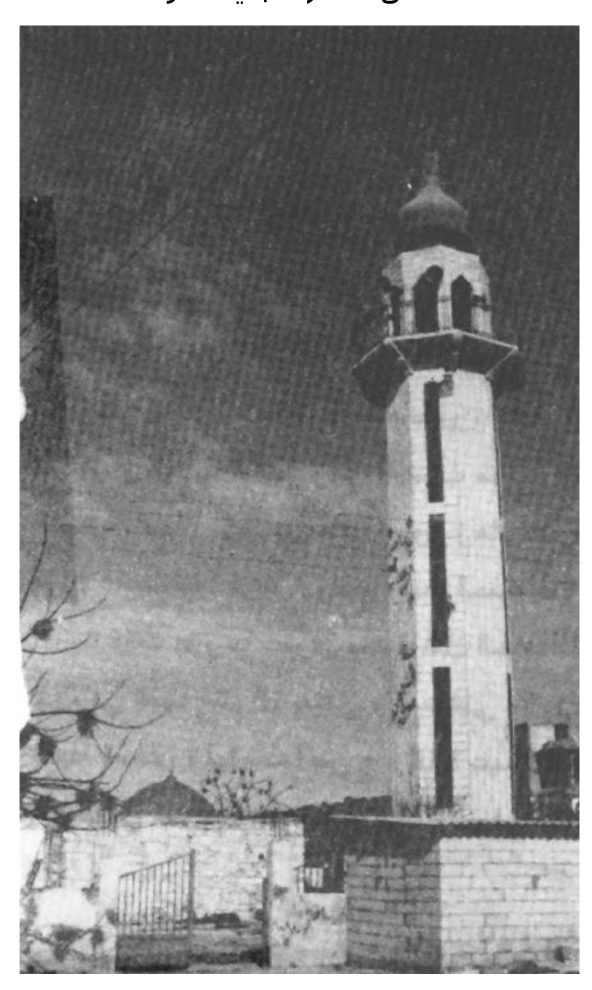


مقام "النبي عمران". صورة مأخوذة من جهة المدخل. لاحظ القبة العثمانية الشكل والمئذنة الحديثة البناء. المقام في الطرف الشمالي الشرقي لقرية "القلَيْلَة"، على تلة، في جوار "قانا الجليل اللبنانية".

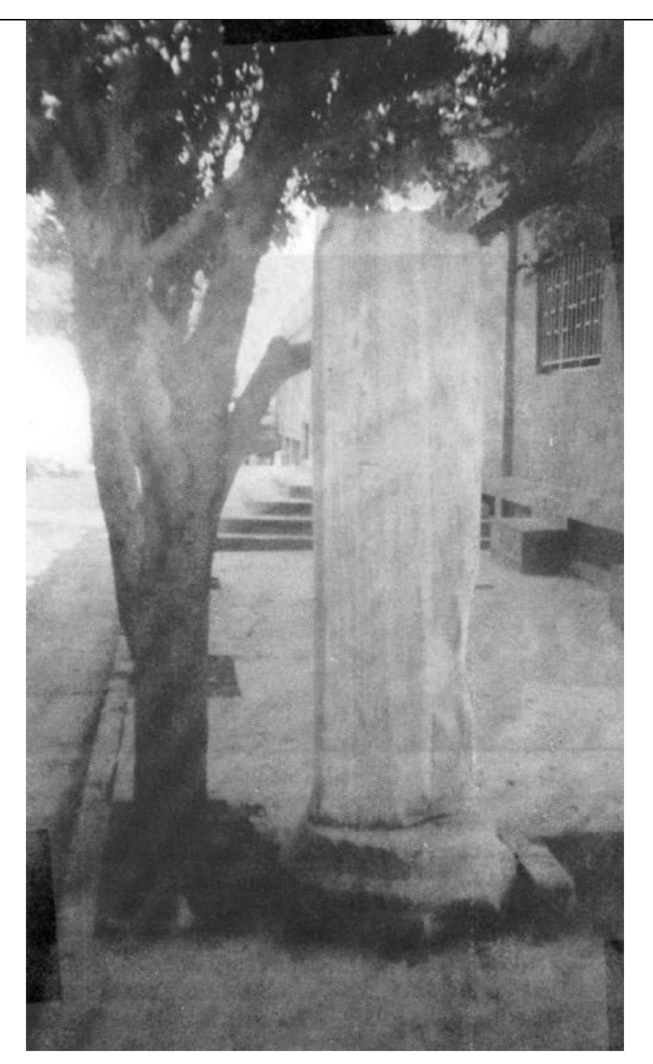
مدخل مقام "النبيّ عمران". لاحظ القاعدتين الكبيرتين عند جانبي المدخل والعتبات فوق الباب، وهي من بقايا الكنيسة البيزنطية الكبيرة التي كانت قائمة، اسم والدي العذراء مريم، في القرون المسيحية الاولى...



مدخل مقام النبي عمران

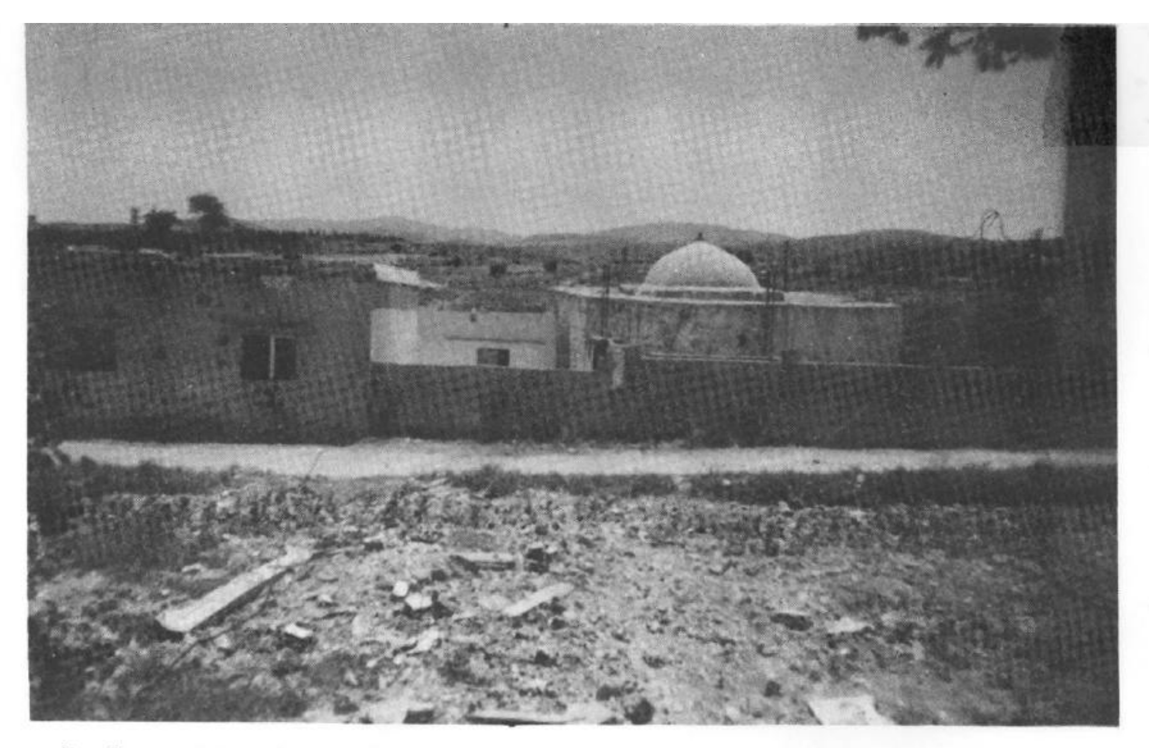


مقام النبي عمران وتبدو المئذنة التي شيدت حديثاً سنة 1995

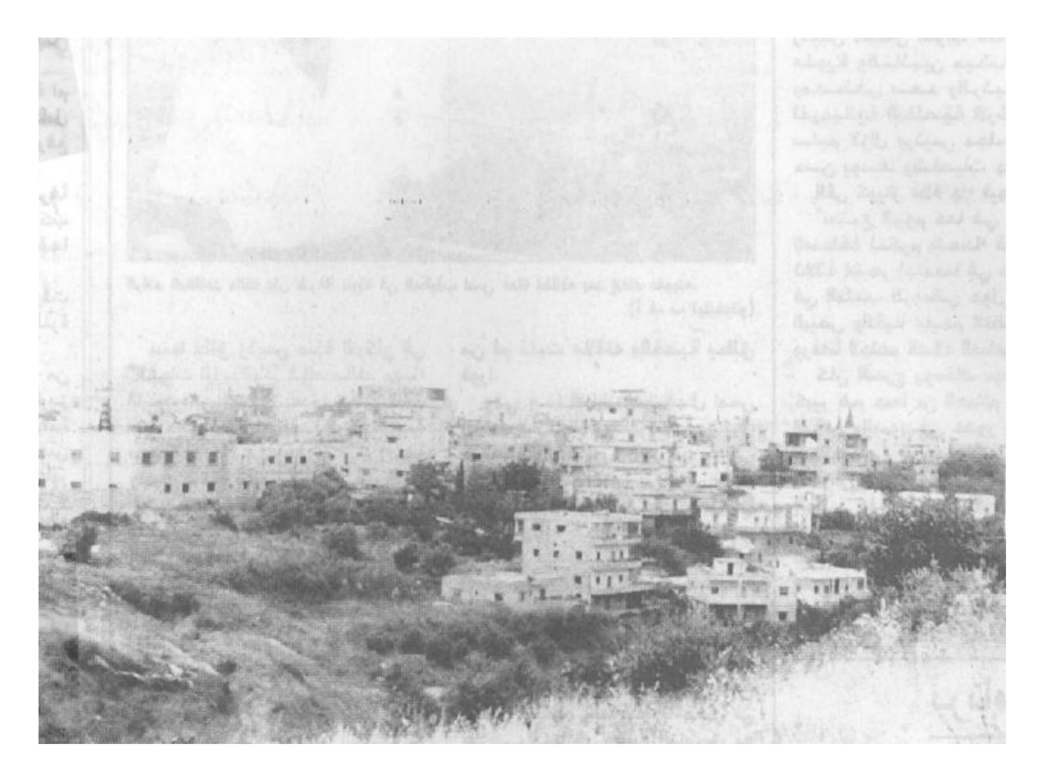
<table>
<tr>
<td></td>
<td>العمود والقاعدة، قرب مدخل مقام "النبيّ عمران". من بقايا الكنيسة البيزنطية التي كانت قائمة الى جانب المقام في القرون المسيحية الاولى. العمود من حجر الرخام الأبيض الجميل.</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>عمود آخر من حجر الرخام ملقى على الأرض... بالقرب من مقام "النبيّ عمران". لاحظ ضخامة العمود والكتابة اليونانية عليه. من بقايا الكنيسة المسيحية الكبيرة التي كانت قائمة، في العهد البيزنطي، بالقرب من مقام "النبيّ عمران". وهناك أيضاً بقايا آثار قديمة، من حجارة عليها نقوش ورموز مسيحية وصلبان، وقطع من الزجاج الملوّن، وألواح حجرية عليها كتابات يونانية وارقام، وكلّها مبعثرة قرب المقام وفي الاطراف الشمالية الشرقية للقرية...</td>
</tr>
</table>



الحفريات الأثرية التي باشرت بها مديرية الآثار ويبدو المهندس جعفر فضل الله (الخبير الأثري) مع أحد العمال سنة ١٩٩٦



منظر عام لمقام النبي عمران بعد اعتداء نيسان ١٩٩٦ التي قامت به القوات الإسرائيلية (عناقيد الغضب)



منظر لقرية "القليلة" الوادعة، الواقعة الى الجنوب من صور، والقريبة من شاطئ البحر، وعلى مسافة قريبة من "قانا الجليل اللبنانية". وفي أعالي القرية، الى الجهة الشمالية الشرقية، يرتفع "مقام النبيّ عمران"، الذي هو مزار شعبيّ في كلّ تلك المنطقة...

الملحق الأخير (1)

في الحقيقة، وبكلّ بساطة وصراحة، إن قصة تأليف هذا الكتاب، بحدّ ذاتها، قصة طريفة غريبة تتطلّب وضع كتاب آخر. فمنذ البداية، منذ أن لمعت الفكرة في رأسنا، حتى الى ما بعد إرسال المخطوطة الى الطبع، مروراً بوضع التصميم وتجميع المصادر والمراجع، ثم البدء بالكتابة وتعاقب الفصول والاجزاء والأقسام الخ...، كلّ ذلك حصل في ظروف وأوضاع وحالات، أقل ما يقال فيها، إنها كانت غير عاديّة لا بل غريبة، وذلك من جميع النواحي. كان كل شيء، تقريباً، يساهم في وضع هذا الكتاب. أكتفي بهذا التلميح. "ومن له أذنان سامعتان فليسمع"...!

وفي الواقع، وبعد إرسال مخطوطة الكتاب الى الطبع بسبعة أيام، وصلني من صديق مقيم في فرنسا ملفّ صغير، غاية في الأهمية، عن بيت لحم الجليل، موضوع هذه الدراسة. وكان هذا الصديق قد استحصل على الملفّ من عالم آركيولوجيّ فرنسيّ. وقد تبيّن لنا، بشكل واضح، أن هذا العالم يؤيد ويؤكد، بشكل أكثر مما كنّا ننتظر ونحلم، أن يسوع المسيح ولد في بيت لحم الجليل، وأنها كانت عند ولادته تدعى بيت لحم "الصوريّة" – من صور – وكانت داخل أراضي فينيقية – لبنان! وجاءَت نصوص الملفّ المتعدّدة اللّغات، مع مصادره ومراجعه وصوره، ترتكز بنوع خاص، وبشكل علميّ مفصّل، على الحفريّات الآركيولوجيّة التي حصلت، بالطرق العصريّة، في بيت لحم الجليل في أيامنا هذه.

الملفّ يتألف من أربعة نصوص تاريخيّة – علميّة عن بيت لحم الجليل، مع مصادرها ومراجعها. النص الاول إفرنسيّ، والثاني إنكليزيّ، والثالث ألمانيّ، والرابع عبرانيّ. بالإضافة الى أربع صور فوتوغرافية عن بيت لحم الجليل نفسها. الصورة الاولى لمذبح كنيسة مسيحيّة من القرن السادس عشر، والثانية لقطعة كبيرة من الفسيفساء في أرض نفس الكنيسة، والثالثة لجانب من القرية مع بعض الآثار المطمورة، والرابعة لجانب آخر من الآثار مطمور هو أيضاً وتمر فوقه طريق واسعة مفروشة بالاسفلت! وصورتا المذبح وقطعة الفسيفساء أخذتا، طبعاً، قبل أن تطمر الآثار... أمّا لماذا طُمِرَتْ آثار بيت لحم الجليل هذه، بعد ظهورها اليوم من جديد؟ فالجواب جاء مفصّلاً ومكرراً في هذه الدراسة.

ومن جهة ثانية، يظهر بوضوح من خلال النصوص ومراجعها وصورها، أنه كان هناك في مدينة بيت لحم الجليل، ثلاث كنائس مسيحيّة، على الأقل. واحدة، وهي الاحدث، شيّدت في القرن السادس عشر، والثانية شيّدت بين القرنين الخامس

والسادس، والثالثة، وهي الاقدم، هدمت واحرقت سنة 100 بعد الميلاد، وفي مكانها شيدت الكنيسة الثانية (بين القرنين الخامس والسادس). إنها أمور ملفتة حقاّ...

- **النصّ الإفرنسيّ** – هو كناية عن نصّ صغير مختصر في "قاموس الجليل" الجزء الاول، ص 277، وهو يستند الى المراجع التالية: ك. شوماخر "الهياكل القديمة"، "الموسوعة اليهودية"، "قاموس الآثار اليهوديّة في الكتاب المقدس"، "قاموس الآثار الرومانية في فلسطين". وقد جاء في النصّ:

"بيت لحم (الثانية): تقع في أرض زبولون (سفر يشوع 19: 15، وسفر القضاة 12: 8)، وذلك بعكس ما يقوله الربّانيّون اليهود (!). "ولكي يميّزها عن بيت لحم اليهودية في الجنوب، قرب مدينة أورشليم، يسمّيها المؤرخ أ. ميجيل بيت لحم الكنعانية "الصورية" – بالنسبة الى صور – لأنها تقع داخل أراضي فينيقية – لبنان، وذلك في كتابه "آثار الأراضي المقدسة"، الجزء الأول، ص 350 وما يتبع؛ وهو يُفنّد مزاعم المؤرخ نوبار الذي لا يعترف بذلك. وبعد خراب هيكل أورشليم في سنة 70 بعد الميلاد، وتشتت اليهود خارج اليهودية، سكن عدد كبير من اليهود في الجليل حيث تعاظم أمرهم. وسكنت عائلة ملكيّا الكهنوتية مدينة بيت لحم الجليل، وبنت فيها مجمعاً لليهود. والمدينة عريقة جداً، فيها آثار قديمة العهد، بالإضافة الى آثار هلّلنستية وبيزنطية وغيرها..." ("قاموس الجليل" الجزء الأول، ص 277؛ شوماخر "الهياكل القديمة"، 1909، ص 9، 29؛ "قاموس الآثار اليهوديّة في الكتاب المقدس" 1922-1923، ص 32؛ "الموسوعة اليهوديّة"، الجزء الرابع، ص 438)."

من هذا النصّ الغنيّ بالمصادر والمراجع التاريخية والآركيولوجيّة، تظهر بوضوح تام الحقائق التالية:

-أولاً- هناك بيت لحم ثانية، وهي تقع في أرض زبولون، أي في الجليل، عند السفوح الشرقية لجبل الكرمل (راجع خرائط الاسباط والجليل). والنصّ يؤكد على ذلك "بعكس ما يقوله الربانيّون اليهود..."!

-ثانياً- يؤكد النصّ أن بيت لحم هذه، هي مدينة كنعانية "صوريّة" – بالنسبة الى مدينة صور، أي تابعة لها – وذلك لأنها تقع ضمن أراضي صور، وبالتالي داخل أراضي فينيقيا – لبنان.

-ثالثاً- يركّز النص على كونها مدينة قديمة تحوي آثاراً عديدة، "منها القديمة العهد، ومنها الهيلّلينستية والبيزنطية وغيرها...".

-رابعاً- يقول النصّ إنه بعد خراب هيكل أورشليم، وخروج اليهود من اليهوديّة، صعد قسم منهم الى الجليل، وسكنت عائلة ملكيّا الكهنوتية في بيت لحم الجليل، وبنت فيها مجمعاً لليهود. وهذا يعني أنه لم يكن فيها مجمع لليهود قبل ذلك التاريخ. وكيف يكون فيها مجمع لليهود وهي مدينة كنعانية – فينيقية "صوريّة" منذ قرون عديدة، ومعروف تماماً أن الكنعانيّين والفينيقيّين كانوا من اتباع ديانة "إيل" ويكرمون البعل وأدونيس وعشتروت، وكانوا بالتالي على عداوة شديدة مع اليهود، لأن هؤلاء كانوا يعتبرونهم من "الأمم" أي من "الوثنيين"... وكان الجليل يدعى "جليل الأمم". ومن جهة ثانية، فإن إقامة اليهود في بيت لحم الجليل، وتشييدهم مجمعاً لهم فيها، يثبت ما قلناه وكرّرناه سابقاً من أن اليهود بعد خراب هيكل أورشليم وطردهم من اليهودية، سكن قسم منهم في الجليل ما يقارب الثلاثة قرون. وقد سعوا بكل جهدهم الى استئصال كل ما له علاقة بالمسيحية في الجليل بالذات، لأن أصول وجذور المسيحية كانت في الجليل!... وهكذا، يؤكد هذا النص بدوره، ما جئنا به في هذه الدراسة...

-**النص الإنكليزي**- لعالم الآثار رينايت روزنتال في كتابه "آثار الجليل – بيت لحم في الجليل". وهذه ترجمة النصّ الى العربيَّة، بالحرف الواحد. يقول روزنتال:

"خلال شهر آب 1975، قام "قسم الآثار والمتاحف" في اسرائيل بحفريات في بيت لحم الجليل (المدينة الكنعانية – "اللبنانية"، "موضوع دراستنا هذه). وقد حصلت هذه الحفريات الأثرية على الشكل التالي:

-المنطقة أ: في منطقة تبلغ مساحتها 200 م^2، جرت خمس حفريّات استطلاعية دلّت على أن هذه المنطقة كانت تشكّل ضاحية لهذه المدينة القديمة. وعقب هذه الاستطلاعات تم الوصول الى الصخر الاساسيّ على عمق 80-100 سم تحت سطح الأرض الحالي. الحفرية الأولى أظهرت إهرائين للقمح منحوتين في الصخر ومجموعة من التمديدات والغرف الصغيرة. ويبدو أنها كانت منشآت زراعية. وعلى كل مستويات الحفر عُثر على حطام فخاريّات قديمة ترجع الى القرون الوسطى وفترة الحكم العثماني. وفي الحفريات الثانية والثالثة وجزء من الأولى، تمّ الوصول الى أرضية مكوّنة من قطع من الحجارة المنحوتة (لا يزيد قطر الواحد منها عن 10 سنتم)، علىعمق 40-60 سنتم، مرصوفة فوق الصخر الأساسيّ. وعلى الرغم من عدم تحديد طبيعة هذه الأرضية الحجريّة، إلاّ أنها تبدو وكأنها طريق تربط المنطقة الزراعية – الصناعية بالمنطقة السكنيّة..."

"المنطقة – ب – كشفت الحفريّات الأوليّة عن فخاريّات يعود تاريخها الى ما بين القرن الأول والقرن السابع قبل الميلاد! كما كشفت أيضاً "عن صهريج للمياه جيّد البناء. وتركّز العمل في المربّع رقم – 1 – حيث ظهرت بقايا مبنى سكنيّ كبير مشيّد من حجارة منحوتة. وفيما بدا أن قسماً كبيراً من هذا البناء قد تهدّم من جرّاء شقّ طريق عصريّة عبر القرية (!!؟) فقد تمّ الكشف عن القسم الجنوبيّ من البناء، وهو يتضمّن مدخلاً كبيراً. وتفيد الدراسات أن هذا البناء، الذي شيّد في العصر الروماني، ضمّ في القرن السابع الى مبانٍ سكنية أخرى قديمة مؤلفة من غرف صغيرة ومطابخ. وقد تمّ إقفال المدخل وشيّد طابق ثانٍ من الحجارة المنحوتة.

وفيما تدلّ النقود المعدنية والقطع الخزفية المكتشفة، عن إعادة استعمالها في القرن السابع، يبدو من المتعذّر تحديد ما إذا كانت تعود الى الفتح الفارسيّ أو الى الفتح العربيّ...". (عالم الآثار رينايت روزنتال "آثار الجليل – بيت لحم في الجليل"، 1975، ص 175-176).

يُظهر هذا النص العلميّ – الآركيولوجيّة الواضح، المبنيّ على الحقائق الجغرافية والتاريخية الحسّية، يظهر الحقائق الواقعية القاطعة التالية:

-أولاً- هناك في الواقع، وعلى الأرض، مدينة اسمها بيت لحم، تقع في الجليل، وتسمى "بيت لحم الجليل"، في شمال فلسطين، وليس في جنوب فلسطين، أي في اليهودية حيث توجد بيت لحم المعروفة اليوم...

-ثانياً- بيت لحم الجليل هذه، موضوع الحفريات الآركيولوجية، مدينة قديمة العهد. وقد كشفت فيها آثار تعود، على الأقل، بحسب الحفريات حتى اليوم، الى بداية القرن السابع قبل الميلاد. علماً أن جغرافية يشوع تذكرها كمدينة كنعانية يعود تاريخها الى أكثر من ألف ومئتي سنة (ق.م.) هذه المدينة بالذات هي مدينة بيت لحم الكنعانية القديمة موضوع دراستنا هذه. وقد تحدثنا عنها مطولاً في الفصول الأولى من الدراسة. نذكّر، مرة أخرى، بأن بيت لحم المعروفة اليوم، يعود تاريخها الى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد...

-ثالثاً- ان مدينة بيت لحم الكنعانية هذه، بحسب تفاصيل النصّ الآركيولوجي هذا، هي مدينة زراعية – صناعية. من هنا تأتي اهميتها بالنسبة الى الجوار والقرى المحيطة بها. وقد ذكرها الكتاب المقدس نفسه – في جغرافية يشوع – "بيت لحم وقراها". وهي تقع في أرض الكرمل، لا في جنوبي فلسطين حيث توجد بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم.

-رابعاً- لقد اجريت في أيامنا هذه حفريات علمية آركيولوجية أظهرت بوضوح آثار بيت لحم هذه، المدينة الكنعانية القديمة. وقد دوّنت بالتفصيل نتائج هذه الحفريات، وطبعت ونشرت مع صورها! ولكن هذه اللآثار ما عتمت أن طُمرت – أو على الاقل القسم الأكبر منها – وشقت طريق واسعة للسيارات فوقها!!؟ وبقي منها قسم قليل طمر أيضاً بالتراب بغية إخفائه نهائياً... _راجع صور هذا الملفّ).

ويعود السؤال الخطير إياه، يطرح نفسه من جديد، وبإلحاح: لماذا كلّ هذا الطمس المقصود والمتعمّد، طوال قرون عديدة، لمدينة بيت لحم الجليل، في الشمال، هذه المدينة الكنعانية الشهيرة؟ لماذا؟ وعندما ظهرت من جديد آثارها خلال حفريات حديثة، عادت وطُمست مرّة اخرى...! لماذا كل هذا الطمس المجرم الحقود؟ لماذا؟ أين علماء الآثار اليوم الذين يدّعون كشف الحقائق التاريخية والجغرافية، ويجاهرون بالموضوعية العلميّة والنقد التاريخيّ؟ أين العالم المسيحيّ اليوم من المجاهرة بالحقائق التاريخية والجغرافية والحسيّة على الأرض؟ ماذا يخافُ العلماء والمؤرخون المسيحيّون اليوم؟ أو بالأحرى ممن يخافون...؟ أمّا نحن فنعرف تماماً ممن يخافون... إنهم يخافون من اليهود – ويا للأسف العميق! أجل! يخافون من اليهود. ونحن نقولها هنا اليوم – من قلب لبنان – عالياً وعلى الملأ، وأمام العالم كلّه. وبوجه العالم المسيحيّ بنوع خاصّ.

وهكذا، يأتي هذا النص العلميّ الآركيولوجي الجديد ويثبت ويؤكد بشكل قاطع ما جئنا به في دراستنا هذه، من أن هناك على الأرض في شمال فلسطين، في "جليل الامم"، مدينة باسم بيت لحم، وهي مدينة كنعانية فينيقية قديمة تشكّل مركزاً زراعياً وصناعياً، ومحوراً لجوارها والقرى المحيطة، وهي للمرة الألف، غير بيت لحم الحديثة، اليهودية، المعروفة اليوم في جوار مدينة أورشليم، الى الجنوب. ولقد طمست بيت لحم الشمال لأنها كانت خارج أراضي اليهودية، لأنها كانت في لبنان وتابعة لمدينة صور، ولأن المسيح وُلد فيها، في الحقيقة. لم يفهم اليهود ولا المسيحيون المتهوّدون كيف يمكن للمسيح ان يولد خارج اليهودية بين "الأمم" الوثنيّة!...

-**النصّ الألماني**- لعالم الآثار الالماني ك. شوماخر في كتابه "الهياكل القديمة". وهذه ترجمة النص الى العربية، بالحرف الواحد. يقول شوماخر:

"إن بيت لحم الجليل تحوي آثاراً عديدة ومتنوّعة. وهي التي ذكرها الكتاب المقدس – العهد القديم – في سفر يشوع (19: 15)، كما ذكرها "التلمود اليهودي أيضاً! وكانت معروفة في العصر البيزنطيّ. وهي تسمّى "بيت لحم

الجليل" للتمييز بينها وبين "بيت لحم اليهوديّة"، جنوبي أورشليم. وأول عمل قمنا به، عندما وصلنا إليها بحثاً عن آثارها، هو أننا قمنا بقياسها: فكان طولها، من الشرق الى الغرب 600 متر، وعرضها من الجنوب الى الشمال 400 متر. وهناك سور من الحجارة الضخمة المنحوتة يحيط بالمدينة من كل جانب. وفي الناحية الشرقية من المدينة، قرب الشارع الرئيسي، وجدنا آثار كنيسة مسيحيّة قديمة، مع أعمدتها وتيجان أعمدتها من حجر البزلت، مبعثرة على الأرض. وفي أطراف المدينة، وجدنا آثار أبنية كبيرة من حجارة منحوتة، وصهاريج للمياه ومعاصر للزيتون والعنب. وفي أحد أطراف الميدنة توجد نواويس حفرت في الصخر، وهي، على ما يظهر، تشكّل مدافن المدينة أو مدافن أعيانها. والى جانب المدينة، وعلى تلّة صغيرة علوّها ستة أمتار، هناك خربة قديمة تسمّى "الخربة الخضرا"، نسبة الى عين ماء هناك تسمّى "العين الخضرا". في الناحية الجنوبية الشرقية للمدينة، "وجدنا بقايا حصن قديم، بجانبه نبع ماء غزيرة.   ويظهر أن هذا الحصن شيّد في هذا المكان لحماية المدينة والنبع معاً، كما كانت العادة عهد ذاك في بلاد فلسطين. والنبع نفسه كان محاطاً بسور من الحجارة المنحوتة، والى جانب السور صخرتان من الحجر الصلب. كما أن التلة الصغيرة التي تحوي الحصن والنبع، مليئة بالحجارة المنحوتة المبعثرة. أمّا النبع، ومياهه فائضة طوال السنة، فيسير في وادٍ صغير، ويُكَوِّنُ جدولاً صغيراً متّجهاً اى الناحية الجنوبية للمدينة، ثم ينحرف نحو الغرب ويلتقي مجموعة من عيون الماء تسمّى "عيون الحلوة". (هذه الجداول الصغيرة تشكّل بعض الروافد لنهر "قيشون" المعروف والذي يسير بين بيت لحم الجليل وبين جبل الكرمل "ويصب في البحر المتوسط في خليج حيفا، كما ذكرنا سابقاً). وفي أسفل تلة صغيرة أخرى، شمال شرقي المدينة، وجدنا حجر رحى كبيراً ملقى عى الأرض، يذكّر بطاحونة للقمح لم يعد لها أثر ظاهر.

وفي الضواحي الشرقية للمدينة، وعلى مرتفع صخريّ صغير، وجدنا خربة قديمة تسمى "خربة الحوّارة"، لم يبقَ منها سوى بعض الحجارة المبعثرة، والى جانبها مقلعاً للحجارة وبعض المغاور الصغيرة. والمرتفع مكسوّ بأشجار السنديان. وفي المقلب الثاني من المرتفع، وقرب نبع صغير يسمّى أيضاً "نبع الحوّارة"، وجدنا خربة كبيرة لها ملامح قصر صغير، تبعد عن النبع حوالي 180 متراً.

وفي الضواحي الجنوبية الغربية للمدينة، وجدنا آثاراً أخرى، حجارتها مبعثرة، قرب نبع صغير يسمّى "نبع العبد". "غير أن هذه الآثار تغطيها المياه طوال أيام السنة. وفي منحدر صخريّ، عند الحدود الشمالية الغربية للمدينة، وجدنا صليباً كبيراً منقوشاً على حجر في وسط حائط مشيّد من حجارة منحوتة. وبقرب الحائط فجوة كبيرة محفورة في الصخر، وفي أطراف الفجوة ثقوب متجاورة كانت

تحوي، كما قيل لنا، كميات من المياه والزيت، بشكل تقدمات وقرابين مقدسة، طلباً للتبرك والحماية...

وبعد أن أنهينا جولتنا، وسجلنا بالتتابع كل ما شاهدنا ووجدنا من آثار في المدينة، بحثنا عن الموضع الذي يشكل نقطة الحدود عند مدخل المدينة فلم نجده. وفجأة وصل فلاّح مسنّ وانضمّ الينا. فسألناه عن نقطة الحدود. وإذا به يقودنا الى شجرة قريبة ويضرب برجله تحتها قائلاً: هنا نقطة الحدود، إحفروا الأرض تجدوها. حفرنا في الحال مقدار 30 سنتم فوجدناها، وهي كناية عن صخرة صلبة مطمورة في الأرض.

بعد ذلك، أخذ الفلاّح المسنّ يحدثنا بالتفاصيل والأرقام عن مزروعات المدينة ومواسمها وغلاتها، عن مياهها وأشجارها، عن زيتها وخمرتها، وعن منطقتها والجوار. ثم أعطانا أخيراً أرقاماً محدّدة عن محصول مواسم وغلال هذه السنة، سنة 1908. فشكرناه وقفلنا راجعين الى حيفا...

"أمّا بالنسبة الى موقع مدينة بيت لحم، فيجدر بنا أن نشير الى أنها تقع عند الطرف الجنوبي "لسهل النطوف" الكثير الخصوبة والمعروف تاريخياً بعراقة قراه التي تعود الى الأزمنة الأولى لسكن الإنسان في تلك النواحي. ويعتبر "سهل النطوف" بمثابة القلب الذي يغذّي منطقة الجليل. ويروي هذا السهل الجداول التي تصب في "وادي الملك"، هذه الوادي التي تبدأ من طرف مدينة بيت لحم الجليل تماماً. والجدير بالذكر، أن بيت لحم هذه، التي تدعى بيت لحم الجليل، "جليل الأمم" – وهي غير بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم – كانت تدعى أيضاً ودائماً "بيت لحم الصوريّة" – من صور – لأنها كانت دوماً تابعة لمدينة صور العظيمة، أي داخل أراضي فينيقية – لبنان. والحديث عن صور يطول كثيراً الخ...".

"كتب في مدينة حيفا، في الثلاثين (ك. شوماخر "الهياكل القديمة"، 1909، ص 9، 29، 86-87).

وهكذا، نتبيّن من خلال هذا النصّ الآركيولوجي المفصّل والواضح جداً، الحقائق التاريخية والجغرافية والحسّية التالية:

-أولاً- هناك، تاريخياً وجغرافياً على الأرض، مدينة تدعى بيت لحم الجليل، وتدعى هكذا تمييزاً لها عن بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم والتي تقع جنوب فلسطين في جوار أورشليم.

-ثانياً- بيت لحم هذه كانت مدينة زراعية – صناعية في منطقة الجليل، والدليل أنها تحوي آثاراً عديدة ومتنوعة كانت ظاهرة للعيان حتى سنة 1908،

تاريخ كتابة هذا النصّ الالماني. ومن آثارها: السور الذي يحيط بها، وبقايا الأبنية الكبيرة، والحجارة المبعثرة والكنيسة القديمة، وصهاريج المياه، ومعاصر الزيتون والعنب، والمغاور والنواويس والمدافن المحفورة في الصخر، والينابيع المسوّرة، والقصر والحصن وغير ذلك... والملفت أن كلّ هذه الآثار نظراً لأهميتها وقيمتها التاريخية، دُوّنت وصُوّرت ونُشرت - وذلك بأكثر من لغة.

-ثالثاً- ومن أهم هذه الآثار في بيت لحم الجليل، بالنسبة الينا على الأقل، هي الكنيسة المسيحيّة التي كانت، على ما يظهر، كنيسة كبيرة فخمة ومتقنة البناء، لأن النصّ يوضح: "ووجدنا كنيسة مسيحية قديمة مع أعمدتها وتيجان أعمدتها من حجر البزلت مبعثرة على الأرض...". بالإضافة الى صلبان منقوشة على الصخور والحجارة في أطراف المدينة، ممّا يدلّ على وجود مسيحيّ هام ومجذّر في تلك الناحية...

-رابعاً- النص يقول، بكل وضوح ودقة، وبالحرف الواحد: "والجدير بالذكر، أن بيت لحم هذه، التي تدعى بيت لحم الجليل، "جليل الأمم" – وهي غير بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم – كانت تدعى أيضاً ودائماً "بيت لحم الصوريّة" – بالنسبة الى مدينة صور – لأنها كانت دوماً تابعة لمدينة صور العظيمة، أي داخل أراضي فينيقية – لبنان!!! والحديث عن صور يطول كثيراً الخ...". ان هذا النصّ التاريخيّ والجغرافيّ والآركيولوجيّ، البالغ الدقة والوضوح، هو نصّ أساسي رئيسي وفي غاية الاهمية بالنسبة الينا في هذه الدراسة، التي هي، مرّة أخرى، دراسة تاريخية جغرافية آثارية وعلمية. إنه يدعم ويثبت ويؤكد، بشكل علميّ قاطع، ما قلناه وكرّرناه وركّزنا عليه في هذه الدراسة من أن هناك، غير بيت لحم المعروفة اليوم، بيت لحم أخرى أعرق وأقدم تقع في "جليل الأمم" – أي "الوثنيين" – في اللحف الشمالي الشرقي لجبل الكرمل، وأن هذه المدينة كانت دوماً مدينة كنعانية – فينيقية – لبنانية، تقع بالتحديد الجغرافي، هي وجبل الكرمل مع سفوحه ومغاوره، تقع داخل أراضي فينيقية – لبنان، وذلك منذ فجر التاريخ حتى سنة 70 بعد الميلاد، على الأقل. وهكذا، يتّضح، بشكل قاطع، أن يسوع المسيح، عندما ولد في "بيت لحم" جليل الأمم، وهو الجليليّ، فان هذه المدينة كانت تابعة لمدينة صور، ومدينة صور، كما هو معروف تماماً، كانت دوماً وأبداً مدينة لبنانية صرفة تقع داخل أراضي لبنان. وبالتالي يكون المسيح قد ولد في لبنان، أجل! في لبنان، لا في اليهودية: كما جاء في عنوان هذا الكتاب: "المسيح ولد في لبنان لا في اليهودية". وحتى إذا بالغنا في الدقة الجغرافية، وقلنا إن المسيح لم يولد في داخل مدينة بيت حم، بل في مغارة بالقرب من بيت لحم – كما تقول جميع التقاليد المسيحية – فان هذه المغارة، مع غيرها من

المغاور المجاورة، تقع جميعها بين بيت لحم والسفوح الشمالية الشرقية لجبل الكرمل، أي، دائماً وأبداً، تقع داخل أراضي فينيقية – لبنان. وهكذا، وفي جميع الاحتمالات الممكنة، أولد المسيح في بيت لحم أو في مغارة بالقرب منها، يكون المسيح قد ولد، فعلاً وحقيقة، في لبنان. أجل! في لبنان بالذات.

-**النصّ العبرانيّ**- وضعته "مصلحة الآثار الاسرائيلية"، ونشرته في جريدة "يديعوت أحرونوت" بعنوان: "بيت لحم الجليل". وهذه ترجمة النص الى العربية، بالحرف الواحد:

"بيت لحم الجليل"

"في أثناء شقّ طريق في بيت لحم الجليل، إنكشفت صدفة أرض مرصوفة بفسيفساء متنوّعة الألوان ومزخّرفة بنماذج هندسية متنوعة الأشكال والاحجام. وفي خلال شهر شباط من عام 1965، أجْرى العالم أشر عوبديا، من قسم الآثار، حفريات في ذلك المكان لمدة عشرة أيام. وقد اشترك في الحفريات عشرة عمال من "مجدل هَعِمِق".

وفي سبيل فحص الأرض المرصوفة بالفسيفساء حفرت مساحة 5×10 م تقريباً، وبعمق 0.60 م.

إن اتجاه البناء الى الشرق، وبقايا عواميد، وبقايا قواعد وتيجان عواميد، وحاجز مشبّك مصنوع من رخام، وبقايا مذبح، كل ذلك يدل على أن البناء كان لكنيسة مسيحيّة.

في الحفريات انكشفت الجهة الجنوبية من البناء، لكن قائمة الوسط والجهة الشمالية وسائر النواحي فإنها قد هدمت. جهة واحدة في إحدى الزوايا مرصوفة بفسيفساء، بقي منها قطعة بطول 7 م وبعرض 1-1.85 م. وبالاستناد الى البقايا يمكن الافتراض ان عرض هذه الجهة بلغ 20.5 م تقريباً.

"الأرض المرصوفة بالفسيفساء مزخرفة بنماذج هندسية. ومن الناحية الزخرفية تقسم الى قسمين. في القسم الجنوبيّ يتشابك مضلّع ذو ثمانية أضلاع مع معيَّن من أربعة أضلاع، وحولهما مثلث من ثلاثة أضلاع، وأنصاف حلقات بصورة متقطّعة. في وسط أنصاف الحلقات توجد نماذج مختلفة بينها رقعة شطرنج بثلاثة ألوان، وزهور ومراوح، وحيوانات وطيور وبقايا أشكال غير واضحة...

وفي القسم الشمالي، هناك نماذج مربّعات موضوعة في وسط أهداب من خطوط سوداء. وبين هذين القسمين تفصل رقعة من الفسيفساء بيضاء اللّون بعرض 25 سم.

ألوان الفسيفساء هي: أبيض، أسود، وأحمر. حجم المكعّبات هو سنتمتر مربع (سم^2) تقريباً. وبعض المكعّبات الحمراء مصنوعة من الفخّار.

غربيّ الأرض المرصوفة بالفسيفساء، وعلى بعد 6 م منها، إنشكف حائط من حجرة منحوتة، طوله 3 م. ومن الواضح أن هذا الحائط كان قسماً من بناء الكنيسة. واتجاه الحائط من الشرق الى الغرب، يدلّ على أنه كان له رابطة مع الجهة الجنوبية. وعلى المسافة الكائنة بين قِسْمَيْ الفسيفساء، شيّد في عصر لاحق مبنى مستطيل الشكل مصنوع من حجارة معدودة.

يقدّر أن قياسات الكنيسة كانت 20×10 م تقريباً. وبقايا الرماد التي انكشفت على الارض المرصوفة بالفسيفساء تشهد على أن دمار الكنيسة قد حصل بالحريق. وفي زوايا البناء وحوله، وجدت قطع كثيرة من الرخام والقرميد والزجاج. اجل لقد وجد عدد كبير من شظايا رخام العواميد صغيرة، وشظايا زجاجيّة، ومجموعة مسامير وغيرها... واستناداً الى الموجودات في الجدران، من الداخل والخارج، يمكن تحديد بناء هذه الكنيسة في القرنين الخامس – السادس من التاريخ الميلاديّ. غير أنه وجدت في داخل البناء قطع وشظايا من الحجارة عليها كتابة بالأحرف اليونانية، وهي تفيد، بعد أن جُمعت بعضها الى بعض، أن هذه الكنيسة قد شُيّدت على انقاض كنيسة قديمة، كانت قد دمّرت وأحرقت سنة 100 بعد الميلاد.!!

وفي ضواحي بيت لحم الجليل، توجد عشرات من النواويس المحفورة في الصخر استعملت كمدافن، ومن بينها نواويس فيها لوحات حجرية لتأريخ القبور. وهناك أيضاً خرائب أبنية، وحجارة مبعثرة، ومعاصر للعنب والزيتون، وصهاريج للمياه، وصلبان محفورة على حجارة قديمة، وعلى قطع حديثة مربعة من الرخام. كما أن هناك بعض الآثار نقلها الأهالي الى داخل البلدة، منها بقايا أساسات بناء كبير، وأساسات أعمدة وتيجانها، وطاحون قمح سقفه من حجر بركاني، وبعض الحجارة القديمة... ثم هناك تمثال رخام أبيض – أسود للبؤة جاثمة بطول 70 سم في حالة مصانة جيداً وجميلة جداً، إنما رأسها ناقص. وهذا التمثال وجد، منذ بضعة سنوات، مطموراً في حقول القرية التعاونيّة." (مصلحة الآثار الاسرائيلية "بيت لحم الجليل" في "يديعوت أحرونوت"، 27 كانون الثاني سنة 1993).

يُظهر هذا النص الآركيولوجي العبريّ الحقائق العلميّة التالية:

-أولاً: هناك تاريخياً وجغرافياً على الأرض، مرّة أخرى، مدينة في الجليل تسمّى "بيت لحم الجليل". وتدعى هكذا تمييزاً لها عن بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم والتي تقع في جنوب فلسطين بالقرب من مدينة أورشليم.

-ثانياً: بيت لحم الجليل هذه – كما يؤكّد النصّ – هي مدينة قديمة العهد. والدليل ان فيها آثاراً تعود الى قرون سالفة. ومنها النواويس المحفورة في الصخر، وصهاريج المياه والمعاصر والكنائس التي تعود اى القرون الاولى للمسيحيّة...

-ثالثاً: يركّز النصّ على الكنيسة البيزنطية التي يعود تاريخ بنائها الى ما بين القرنين الخامس والسادس، والى بقايا قطع الفسيفساء المتنوعة الاشكال والأحجام، والغنية برموزها وصورها. وهذا يدل، دون شك، على المكانة الهامة لهذه المدينة التي حضنت مثل هذه الكنيسة الملفتة بهندستها ومحتوياتها، في هذه المنطقة الجغرافية بالذات، البعيدة جداً عن أورشليم وبيت لحم اليهودية، والموجودة بين "الأمم – الوثنيّين"...

-رابعاً: إن ما يهمنا في هذا النص العبرانيّ، بنوع خاص، هو قضية الكنيسة المسيحيّة القديمة، التي شيّدت فوقها كنيسة القرن الخامس – السادس، والتي، كما يقول النص نفسه، دمّرت وأحرقت سنة 100 بعد الميلاد!

-أ- الملفت حقاً هو تاريخ بناء هذه الكنيسة المسيحية في بيت لحم الجليل. في أية سنة بنيت؟ لا جواب دقيق على هذا السؤال، ولا هناك، على ما نعلم، مصدر أو مرجع حول هذا الموضوع. كل ما نعرفه هو أن رهبان الكرمل – هذه الجماعة الاسينية الأصيلة والحقيقية والتي كانت تنتظر بحق مخلّص العالم أجمع – شيّدوا على قمة جبلهم، غداة سماعهم عظة بطرس يوم العنصرة، كنيسة على اسم العذراء مريم، وهي بعد على قيد الحياة! وكانت هذه الكنيسة، دون أدنى شك، اول كنيسة مسيحية في الأرض، وكانت داخل أراضي فينيقية – لبنان، كما اثبتنا وكرّرنا سابقاً. والملفت أيضاً أن جبل الكرمل قريب جداً من بيت لحم الجليل التي تقع، مع مغاورها، الى الجهة الشمالية الشرقية من سفوحه. فكنيسة بيت لحم هذه التي أُحرقت وهدمت سنة 100 بعد الميلاد، كانت هي والمدينة التي تحتضنها، تابعة لصور وداخل أراضي فينيقية – لبنان. فليس من المستبعد أن يكون هؤلاء الرهبان او تلاميذهم هم الذين شيّدوا كنيسة بيت لحم الجليل الأولى، التي أحرقت وهدمت في السنة 100 بعد

الميلاد، علماً أن جميع مغاورهم في جبل الكرمل قد تحوّلت فيما بعد الى كنائس صغيرة ومعابد ومزارات...

-ب- أما من أحرق هذه الكنيسة، هذه التحفة التاريخية البالغة الاهمية في التاريخ المسيحي؟ إنهم، دون أدنى شك، اليهود، الذين بعد خراب هيكل أورشليم سنة 70 بعد الميلاد، سكنوا الجليل واستأصلوا كل أثر للمسيحية في تلك امنطقة، لأن أصل وجذور المسيحية، مرة أخرى، هي جليليّة. وقد أضيف الى ذلك، أن عائلة ملكيّا الكهنوتية اليهوديّة بالتحديد، هي التي سكنت بيت لحم الجليل وشيّدت مجمعاً لليهود فيها. (راجع النص الإفرنسي في هذا الملفّ).

-ج- أمّا لماذا بنيت هذه الكنيسة – الاولى في التاريخ المسيحي بعد كنيسة جبل الكرمل – في بيت لحم الجليل بالذات؟ ولم تبنَ مثلاً في بيت لحم اليهوديّة المعروفة اليوم، أو في الناصرة القريبة من الكرمل، أو في مكان آخر من اليهودية والجليل وغيرها؟ الجواب على هذه الأسئلة بسيط وواضح للغاية: لم تبنَ في بيت لحم اليهودية، لأن اليهود والمسيحيّين المتهوّدين كانوا على خلاف قويّ دام ثلاثة قرون مع سائر المسيحيّين، حول ولادة المسيح في بيت لحم اليهودية وحول علاقته بذرّية داود! المتهوّدون يقولون إنه من ذرية داود وإنه ولد في بيت لحم اليهودية. والمسيحيّون، من جهتهم، يقولون إنه لا علاقة له بذرّية داود، ولم يولد في بيت لحم اليهودية. هذا من جهة، ومن جهة ثانية لم تبنَ هذه الكنيسة في بيت لحم اليهوديّة لأن مغاور هذه المدينة، ومن ضمنها المغارة التي أصبحت "مغارة المهد"، كانت تستعمل كقبور ومدافن لعامّة الناس، وبنوع خاص لبعض الراهبات والرهبان القديسن (كإيرونيموس مثلاً...). وهل من المنطقي والممكن والمعقول، لو ثبت فعلاً ان السيد المسيح ود في مغارة في بت لحم اليهودية، أن تستعمل هذه المغارة بالذات، مع غيرها من المغاور المجاورة، كقبور ومدافن لعامة الناس؟!

أما لماذا لم تبن هذه الكنيسة التي نحن بصددها والتي أحرقت ودمرت سنة 100 بعد الميلاد، لماذا لم تبنَ في الناصرة؟ فبكل بساطة، لأن الناصرة لم تكن موجودة في ذلك الوقت، أي في القرن الأول. بالإضافة الى ذلك، فالكنيسة المسيحية الاولى التي بناها الرهبان فوق جبل الكرمل، تكريماً للعذراء مريم وهي بعد على قيد الحياة، كان من المفروض أن تبنى في الناصرة مدينة العذراء كما يقال... بنيت الكنيسة فوق جبل الكرمل، لأن الناصرة لم تكن موجودة في ذلك الوقت. وقد ذكرنا وكرّرنا سابقاً أن الأبحاث الآركيولوجية قد اثبتت ان مدينة الناصرة لم تبنَ الاّ بعد القرن الاول... أضف الى ذلك أن العذراء مريم قد سكنت

سنوات عديدة في دير جبل الكرمل، كما فصّلنا ذلك في فقرات طويلة في هذه ادراسة، بالإضافة الى سكنها هي ويوسف، بعد الميلاد، في بيت لحم الجليل.

-د- إن كنيسة بيت لحم الجليل "الصوريّة"، اللبنانية، شيّدت خلال القرن الاول للميلاد، وأحرقت وهدمت في السنة 100 للميلاد. أمّا أول كنيسة بنيت في بيت لحم اليهوديّة المعروفة اليوم، والتي اهتم بتشييدها الملك قسطنطين الكبير وأمه هيلانة، فقد بنيت حوالي سنة 330 بعد الميلاد! أي بعد دمار كنيسة بيت لحم الجليل بمائتين وثلاثين سنة!! أليس الفرق كبيراً، وكبيراً جداً؟ أليس في الأمر غرابة؟ وما سرّ هذه الغرابة؟ كنيسة مسيحية تشيّد في خلال القرن الاول للميلاد في بيت لحم بالذات، في منطقة صور داخل أراضي فينيقية – لبنان، وبعد حوالي ثلاثة قرون – نعم ثلاثة قرون!!! – يشيدون كنيسة في بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم؟ فلو كان من الثابت أن السيد المسيح قد ولد في بيت لحم اليهوديّة، لماذا انتظر المسيحيّون ثلاثة قرون لبناء أول كنيسة لهم فيها؟ ولماذا سبقهم مسيحيّو بيت لحم الجليل بثلاثة قرون؟ ومن سخرية القدر الغاشم أن الذين شيّدوا أول كنيسة في بيت لحم المعروفة اليوم، شيّدوها فوق مغارة قيل لهم إنّها "مغارة المهد". وتتجلى هذه السخرية بأمور وحقائق كثيرة، لا داعي لتكرارها من جديد. نكتفي هنا ببعض كلمات فقط. أولاً: "مغارة المهد هذه" – في بيت لحم المعروفة اليوم – كانت تستخدم مع المغاور المجاورة، كمدافن لعامّة الناس طوال ثلاثة قرون. ثانياً: بيت لحم اليهوديّة، المعروفة اليوم، امتد يناؤها انطلاقاً من نقطة وسط مركزيّة هي كنيسة المهد. غير أن التقاليد المسيحيّة جميعها تقول: كان هناك مدينة مبنية اسمها بيت لحم، والمسيح ولد في مغارة بقربها أو على طريقها، في منطقة بعيدة عن السكن، قريبة من المراعي. ثالثاً: مَنْ جزم بأن السيّد امسيح ولد في مغارة المهد هذه"؟ وما هي الحجج والبراهين والأدلة على ذلك؟ فاليوم، وبعد مضي ألفي سنة على الميلاد، ليس هناك عالم واحد بإمكانه ان يثبت، بشكل موضوعي وعلمي وآركيولوجي، ان السيد المسيح ولد في بيت لحم المعروفة. ونحن واثقون، تمام الثقة، بما نقول. من جهة ثانية، لا يكفي أن يكون هناك بيت لحم وأن يكون هناك مغارة، حتى يولد المسيح فيها. هناك في الجليل مدينة تسمّى أيضاً بيت لحم، وبقربها أكثر من مغارة. وقد ذكرنا بالتفصيل سابقاً، أن الذي قرّر أن تُشَيَّدَ كنيسة قسطنطين فوق "مغارة المهد هذه"، في بيت لحم اليهوديّة، هم المسيحيّون المتهوّدون الذين كانوا يشكّلون "كنيسة الختان" في أورشليم. وكانت هذه الكنيسة، التي دامت حتى آخر القرن الرابع، هي الناطقة الرسمية الوحيدة باسم المسيحيّين، في اورشليم وجوارها، في ذلك الوقت. هؤلاء المتهوّدون كانوا، هم أيضاً مثل اليهود، يركّزون على المثلّث اليهودي المعروف: داود، سبط

يهوذا، أورشليم. وكانوا يعتقدون أن المسيح من سبط يهوذا ومن ذرّية داود. أليس هم الذين سألوه ذات مرّة، قبيل صعوده ولكن قبل حلول الروح القدس: "يا ربّ، أفي هذا الزمن تعيد الملك الى اسرائيل؟" _أعمال الرسل 1: 6). فكان من الطبيعي، والحالة هذه، أن يجعلوا المسيح يولد من سبط يهوذا، ومن ذرّية داود وفي بيت لحم اليهودية مدينة داود، وقرب العاصمة أورشليم... وذلك لأسباب دينية لاهوتية قومية عنصرية لا علاقة لها لا بالتاريخ ولا بالجغرافية ولا بالحقيقة المنطقية والموضوعية. أما بيت لحم الاخرى، وكانوا على علم تام بها، فهي هناك، بعيدة، في جليل "الامم" – الوثنيّين، وهل يعقل أن يولد المسيح، برأيهم، بين الأمم الوثنيّة؟! هل يُعقل أن يولد في لبنان؟ وهكذا استمر الاعتقاد الى اليوم، بأن المسيح ولد في بيت لحم اليهودية، المعروفة في أيامنا هذه.

في الحقيقة، لقد تمّ الكتاب: "وأما المسيح فلا يُعرف حين يأتي من أين هو" (يوحنا 7: 27)!

الحكاية، كل الحكاية، ان المسيح ولد فعلاً في بيت لحم، في لبنان. ولأنه ولد في لبنان، وفي لبنان بالذات، طمس اليهود، ومن بعدهم المسيحيّون المتهوّدون، هذه الحقيقة التاريخية، منذ القرون الأولى للمسيحية. وجعلوه يولد في بيت لحم الخاصة بهم، في اليهودية قرب أورشليم. لقد شوّهوا التاريخ، مرّة أخرى، وكتبوا، فقرأناهم وصدقنا... حتى يومنا هذا!

وتجدر الإشارة، في نهاية هذا الملفّ الاخير، الى أن أول تدوين تاريخيّ علميّ حديث لآثار بيت لحم الجليل حصل سنة 1908، على يد المؤرخ الرحّالة الالماني ك. شوماخر (راجع النصّ الالماني في هذا الملفّ). بعد ذلك، يظهر أن مصلحة الآثار في اسرائيل قامت بحفريّات آركيولوجيّة عصريّة في بيت لحم الجليل على دفعتين: الأولى حصلت في شهر شباط سنة 1965 (راجع النص العبرانيّ)، غير أنه لم ينشر تقرير عن ذلك الاّ في 27 كانون الثاني سنة 1993، في "يديعوت أحونوت"، بعنوان: "بيت لحم الجليل". والدفعة الثانية حصلت في شهر آب سنة 1975 (راجع النصّ الإنكليزيّ).

واليوم، فإن بيت لحم الجليل – وقد حافظت على اسمها – هي قرية وادعة في اللّحف الشمالي الشرقي لجبل الكرمل، بين عكا والناصرة. وهي تحاول نفض التراب – تراب الطمس والنسيان والجهل – عن جسمها العريق، بعد أن قامت مؤخراً من نومها السرّي الطويل. إنها كطائر الفينيق الذي يبعث حيّاً من رماده. وعلى غرار "ابنها البارّ" يسوع المسيح الذي قام من قبره "وقهر الموت بالموت وأعطى الحياة للذين في القبور..."، وهو القائل: "أنا القيامة والحياة، من

آمن بي، وان مات فسيحيا، وكل من يحيا ويؤمن بي لن يموت للأبد..." 0يوحنا 11: 25-26).

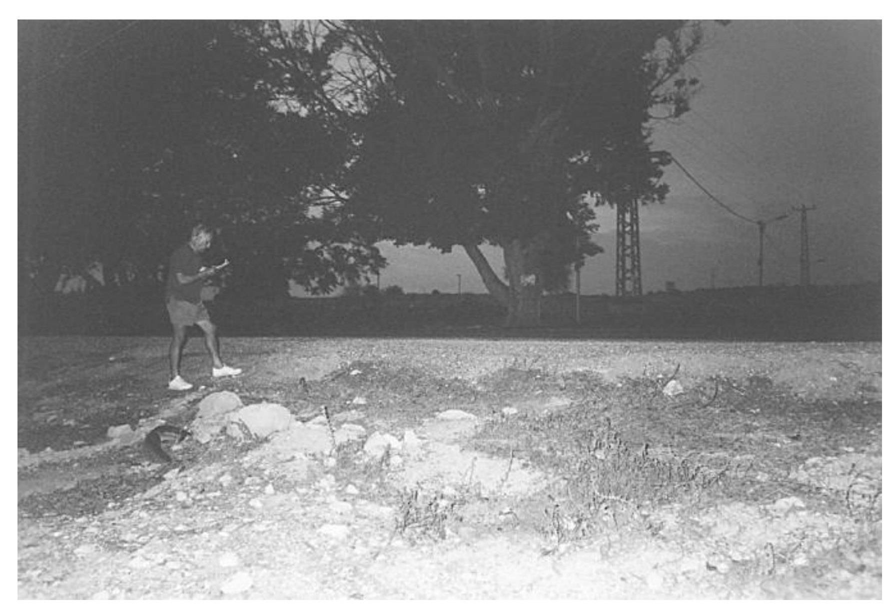
وبيت لحم الجليل، في أيامنا هذه، تظهر في جميع الخرائط الجديدة، وفي جميع اللغات. وهي بمثابة قرية تعاونية – زراعية، سكّانها كلّهم من اليهود، من أصل الماني، ويبلغ تعدادهم حوالي 300 نسمة. والملفت أخيراً، أن "بيت لحم"، وكما يدلّ عليها اسمها الكنعاني – الآرامي "بيت لحمو" = بيت الزرع والغذاء والخبز، (أو – في الأصل – إله الزرع والغذاء والخبز)، عادت، كما كانت منذ آلاف السنين، قرية زراعية بالذات، قرية الزرع والغذاء والخبز، (قرية إله الزرع والغذاء والخبز...!). أليست القرية نفسها التي ولد فيها يسوع المسيح، ابن الله المتجسد، والقائل:

"أنا خبز الحياة. من يقبل اليَّ فلن يجوع، ومن يؤمن بي فلن يعطش أبداً... أنا خبز الحياة. آباؤكم أكلوا المنَّ في البرّية ثم ماتوا. إن الخبز النازل من السماء هو الذي يأكل منه الإنسان ولا يموت. أنا الخبز الحيّ الذي نزل من السماء. من يأكل من هذا الخبز يحيَ للأبد. والخبز الذي ساعطيه أنا، هو جسدي أبذله ليحيا العالم"! (يوحنا 6: 35، 48-51).

صُور عن بيت لحم الجليل



منظر لقرية بيت لحم "اللبنانية". في أعلى الصورة تظهر البيوت البلاستيكيّة الزراعية التابعة لـ"كيبوتز" بيت لحم. في وسط الصورة يظهر قسم من الآثار القديمة (المطمورة). وفي اسفل الصورة قسم من الطريق العام المفروشة بالاسفلت وهي تغطي القسم الاكبر من الآثار ومنها الكنيسة المسيحيّة القديمة!!!

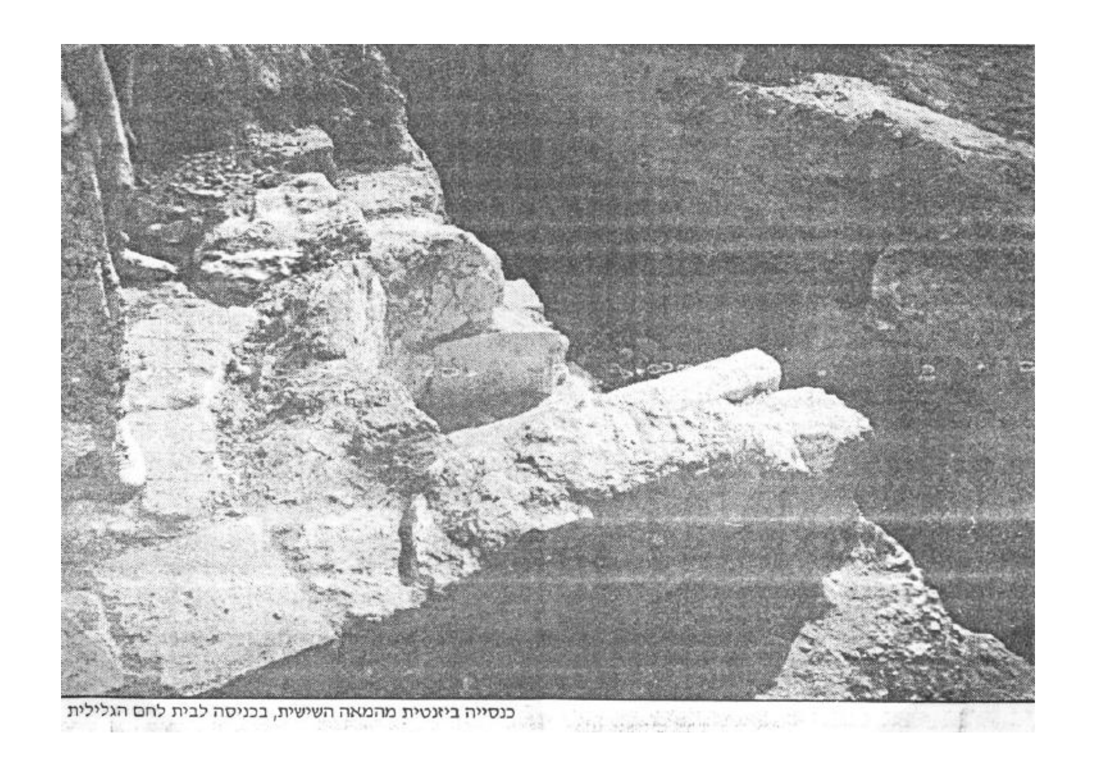


منظر آخر لقرية بيت لحم "اللبنانية". ويظهر فيها الدليل التاريخي – الآثاري وهو يقرأ ويشرح لزائرين تاريخ وطبيعة الآثار القديمة الظاهرة بوضوح في الصورة! (الصورتان مأخوذتان في شهر كانون الثاني سنة 1999...!)

الكنيسة البيزنطية – القرن السادس عشر

في بيت لحم الجليل

(مذبح الكنيسة في وسط الصورة)



כנסייה ביזנטית מהמאה השישית, בכניסה לבית לחם הגלילית

-ترجمة الكتابة العبرانية التي تحت الصورة:

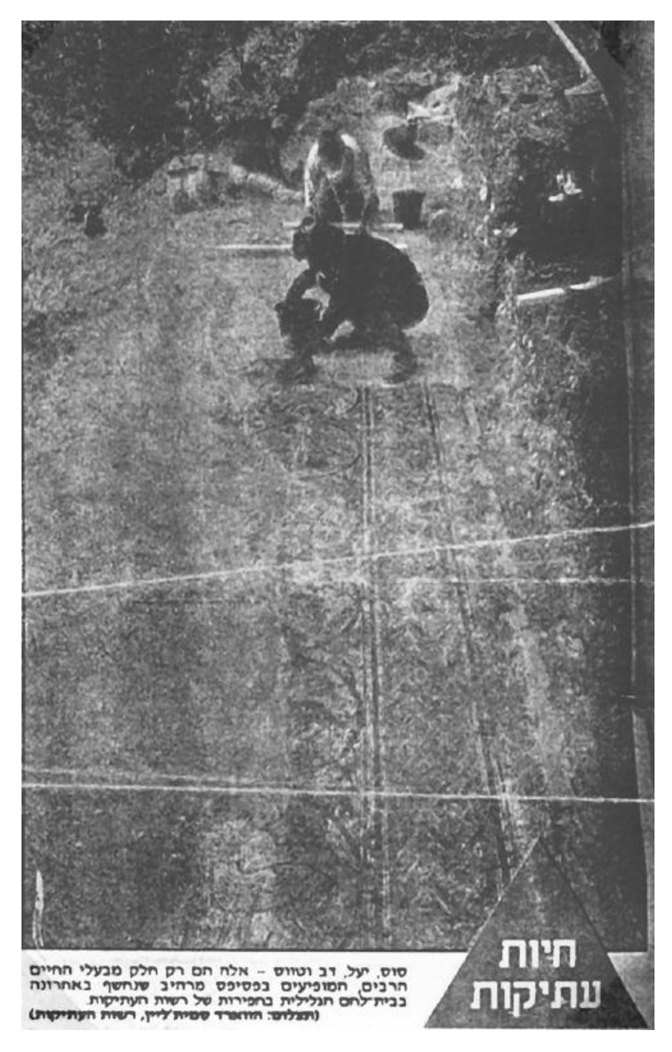
"كنيسة بيزنطية من القرن السادس عشر عند مدخل بيت لحم الجليل". (تصوير هارد سميتلين، مصلحة الآثار.

نشرت الصورة مصلحة الآثار الاسرائيلية في جريدة "يديعوت أحرونوت"، بتاريخ 27 كانون الثاني سنة 1993).

الكنيسة البيزنطية – القرن السادس عشر

في بيت لحم الجليل

(الفسيفساء)



ترجمة الكتابة العبرانية التي تحت الصورة:

-داخل المثلث الاسود في أسفل الصورة الى اليمين، بالأحرف الكبيرة: "حيوانات قديمة".

- في اسفل الصورة، بالاحرف الصغيرة: "حصان، وعل، دبّ، طاووس. هذه هي فقط بعض الحيوانات الكثيرة التي تظهر على الفسيفساء الواسعة التي اكتشفت مؤخراً في بيت لحم الجليل، خلال حفريات مصلحة الآثار الاسرائيلية". تصوير هارد سميتلين، مصلحة الآثار.

- نشرت الصورة مصلحة الآثار في جريدة "يديعوت أحرونوت" بتاريخ 27 كانون الثاني سنة 1993).

مصاد ومراجع الملحق الأخير (1)

-رينات روزنتال "آثار الجليل – بيت لحم الجليل (بالإنكليزية) 1975، ص 176-175

-ك. شوماخر "الهياكل القديمة" (بالألمانية)، 1909، ص 9، 29، 86-87.

-"قاموس الجليل"، الجزء الأول، ص 277 (بالإفرنسيّة).

-"قاموس الآثار اليهودية في الكتاب المقدّس" (بالافرنسيّة)، 1922-1923، ص 33 وما يتبع.

-"قاموس الآثار الرومانية في فلسطين"، ص 32 (بالافرنسيّة).

-"الموسوعة اليهوديّة" الجزء الرابع، ص 438 (بالافرنسية).

-جريدة "يديعوت أحرونوت" الإسرائيلية: مقالة مصوّرة عن الحفريات الآركيولوجية في بيت لحم بعنوان "بيت لحم الجليل"، في عدد 27 كانون الثاني 1993، (بالعبرانيّة).

الملحق الأخير (2)

...وبعد براهين الأرض،
براهين السماء (الفلك)!
البراهين الفلكية العلميّة الحديثة الدامغة

"إن قصة الميلاد"، في بداية تقويمنا الحالي، تخفي الى اليوم أصولها التاريخية والجغرافيّة..."

عالم الفلك السوفياتي

ألكسندر أ. رزنيكوف

("تاريخ ومكان الميلاد" المقدّمة ص 3)

العالم الفلكي رزنيكوف "والمذنّب هالي"
وبيت لحم "الأخرى"!!

من المعروف أن "المذنّب هالي" قد مرّ قريباً من الأرض في 19 آذار عام 1986. وقد شاهده بالعين المجرّدة العديد من الناس، وذلك بشكل واضح تماماً. وكان موضوعاً لدراسات فلكية وعلمية عديدة من قبل كثير من علماء الفلك والفيزياء والكيمياء. ووضعت مؤلفات بلغات عدة، في طبيعة هذا المذنّب، وتكوينه وتركيب عناصره، بالاضافة الى حركاته ومساره في الفضاء. وقد أعطت هذه الدراسات الحديثة معلومات جديدة، غاية في الأهمية، حول طبيعة المذنّبات وتكوينها، وحول البدايات الأولى للنظام الشمسي والكواكب الشمسية ومنها الارض. ومن أبرز علماء الفلك الذين اهتموا بدراسة "المذنّب هالي" العالم السوفياتي الشهير الكسندر أ. رزنيكوف. والذي يهمنا، بنوع خاص، في دراسة هذا الفلكي، هو رَبْطُهُ "المذنّب هالي" ببيت لحم الحقيقية-الشمالية، اللبنانية- موضوع دراستنا هذه. وقد وضع دراسات ثلاث في هذا الموضوع (راجع المصادر والمراجع بعد هذا الكلام)، مستنداً الى ابحاث فلكية وتاريخية وجغرافيّة. ولقد توصّل رزنيكوف الى الحقائق الهامة التالية:

أولاً- يؤكّد رزنيكوف أن "المذنّب هالي" هو هو نفسه "نجم" الميلاد، أي "النجم الذي رآه المجوس في المشرق يتقدّمهم حتى بلغ المكان الذي فيه الطفل فوقف فوقه..." (متى 2: 9). ويقدّم رزنيكوف على ذلك الدلائل والبراهين الفلكية العلمية، مدعومة بالتطابق التاريخي والجغرافي. واليوم، هناك الكثير من علماء الفلك الذين يدعمون هذه الحقائق التي توصل اليها رزنيكوف.

ثانياً- يؤكد العالم السوفياتي، من النواحي الفلكية والجغرافية، أن "مذنّب هالي" لم يمرّ أبداً فوق بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم– ويسمّيها بالاسم حرفياً– لأنها تقع في جنوب فلسطين، "والمذنّب هالي" قد مرّ، بحسب دراساته الفلكية والجغرافية، فوق شمال فلسطين، فوق منطقة الجليل.

ثالثاً- من الثابت اذاً، والمحقّق علمياً وفلكياً وجغرافيّاً، ان "المذنّب هالي"، نجم المجوس والميلاد، قد مرّ في الحقيقة فوق بيت لحم الجليل في شمال فلسطين، أي بيت لحم الكنعانية اللبنانية. ويسمّيها رزنيكوف بالاسم حرفياً. (راجع مؤلفات الكسندر أ. رزنيكوف المثبتة في المصادر والمراجع بعد هذا الكلام، وخاصة كتابه "تاريخ ومكان الميلاد"، ص 3، 9، 19-20، 23، 27، 37، 41-44).

والملفت حقاً ان "الموسوعة اليهودية" باللغة الانكليزية، التي يستند اليها العالم الفلكي الكسندر أ. رزنيكوف (مع غيرها من المراجع) تقول، هي نفسها، بالحرف الواحد: "إن بيت لحم الجليل في الشمال تقع داخل أراضي مدينة صور وبالتالي داخل اراضي لبنان" (المجلّد الرابع ص 750)!!

بالاضافة الى هذه الحقائق العلمية الثابتة التي تدعم دراستنا هذه بشكل مباشر، يلقي العالم السوفياتي أضواء كاشفة جديدة على بعض القضايا التي ترتبط بالميلاد وبدراستنا معاً.

القضية الاولى: قضية زيارة مريم العذراء نسيبتها اليصابات، بعد بشارة الملاك جبرائيل لها بالحبل بيسوع، وذلك في الشهر السادس بعدما حبلت اليصابات بيوحنا (لوقا 1: 26-56). من المعروف، وتبعاً لتقاليد شعبيّة موروثة، كانت اليصابات مقيمة في عين كارم، على بعد بضعة كيلومترات الى الجنوب الغربي من اورشليم، عندما قصدتها مريم المقيمة في الناصرة، في الجليل في شمال فلسطين. أما رزنيكوف فيقول ان اليصابات كانت ساكنة بالقرب من الناصرة، الى الشمال الشرقي، وعلى بعد حوالي 15 كلم عنها، في بلدة تسمّى "كْفَرْعُزّة"، حيث كانت تقيم عائلة أبيّا الكهنوتية. فالانجيل نفسه يقول إن زكريًّا زوج اليصابات كان من فرقة أبيّا الكهنوتية (لوقا 1: 5). وهكذا، لم تقم العذراء مريم، وهي حامل، بذلك السَفر الطويل- 160 كلم – من الناصرة الى عين كارم في ظروف محليّة ومناخية صعبة للغاية، بل قصدت نسيبتها اليصابات الى قرية قريبة من الناصرة (مع العلم ان الناصرة لم تكن موجودة بَعْدُ في أيام مريم واليصابات..). (راجع "تاريخ ومكان الميلاد"، ص 26-27). ونحن بدورنا، سبق وقلنا في هذه الدراسة ان مريم واليصابات كانتا تسكنان في الجليل في مكانين مجاورين في السفوح الشمالية الشرقية لجبل الكرمل...

القضية الثانية: قضية سَفر يوسف ومريم وهي حامل، قبيل الميلاد، من الناصرة في الجليل الى بيت لحم في اليهودية. في الحقيقة، يقول العالم رزنيكوف، هذا السَفر الطويل والشاق لم يحصل اصلاً لأنه لم يكن هناك من داع لهذا السَفر، فلم يكن في زمن الميلاد لا إحصاء ولا اكتتاب، بل جرى اكتتاب معيّن قبل الميلاد بسنوات أو بعده بسنوات. كل هذا لا يمنع حصول انتقال قصير ليوسف ومريم ضمن أرض الجليل، إما بسبب الميلاد نفسه أو لأسباب عائلية بحتة... فالمسيح برأيه جليليّ بكل ما في الكلمة من معنى. وهو يستشهد لذلك بإنجيل يوحنا نفسه حين يقول: "فقال أناس من الجمع وقد سمعوا ذلك الكلام: هذا هو النبيّ حقاً! وقال غيرهم: هذا هو المسيح! ولكنّ آخرين قالوا" أفترى من الجليل يأتي المسيح؟ ألم يقل الكتاب ان المسيح هو من نسل داود وإنه يأتي من بيت لحم،

القرية التي منها خرج داود؟ فوقع بين الجمع خلاف في شأنه.." (يوحنا 7: 40-43). (راجع رزنيكوف "تاريخ ومكان الميلاد"، ص 20، 23).

ونحن بدورنا قلنا وكرّرنا اكثر من مرة، وبشكل مفصَّل لماذا وكيف ان هذا السَفر الطويل الشاق من الناصرة الى بيت لحم اليهودية، لم يحصل اطلاقاً من الناحية التاريخية (مع العلم، مرة أُخرى ان الناصرة لم تكن موجودة بَعْدُ، ليقيم فيها أو ينطلق منها يوسف ومريم).

القضية الثالثة: قضية ذهاب المجوس الى الجليل لا الى اليهودية. يقول رزنيكوف ان هيرودس قرّر الذهاب الى روما لأسباب سياسية وادراية (وهو يستند الى المؤرخ يوسيفوس وغيره من المؤرخين في قضية هذا السفر). وفي طريقه الى روما عرّج على مدينة قيصريّة فلسطين، على شاطئ المتوسط، حيث أشرف على تدشين مرفئِها الجديد. ثم أبحر الى مدينة عكا في الجليل لينطلق منها في الغد الى روما. وقضى ليلته في مدينة صفّوريَس القريبة من عكا حيث كان هناك قصر ملكيّ. وهناك سمع بولادة ملك لليهود وبمجيئ مجوس يسألون عن هذه الولادة. وكان في صفّوريس نفسها مجمع وسنهدرين لليهود وبعض العائلات الكهنوتية. فمع هؤلاء- لا في اورشليم – اجتمع هيرودس وسألهم عن ولادة ملكهم الجديد، بعد سماعه أقوال المجوس. وهكذا، فان المجوس قد ذهبوا الى الجليل، لا الى اليهودية (راجع: "تاريخ ومكان الميلاد"، ص 9، 19-20).

وما يهمّنا من أقوال رزنيكوف هنا، هو أن المجوس قد قدموا فعلاً الى الجليل، ولم يذهبوا ابداً الى اليهودية. وقد تحدثنا عن ذلك بالتفصيل في هذه الدراسة. واذا كان المجوس قد اتوا فقط الى الجليل فهذا يعني أن ولادة المسيح قد حصلت في الجليل – في بيت لحم الجليل، لا في بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم.

ونذكر هنا قولاً معبّراً من أقوال العالم السوفياتي الكسندر أ. رزنيكوف، في ختام أحد فصول الكتاب، قال: "آه! لقد عرفنا الآن انها بيت لحم الأخرى!" (المصدر السابق نفسه ص 20). وهو يقصد طبعاً ان ولادة المسيح قد حصلت في بيت لحم الأخرى، بيت لحم الجليل لا في بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم.

مصادر ومراجع العالم الفلكي السوفياتي الكسندر رزنيكوف حول المذنّب هالي وتحديد الموقع الحقيقي "للميلاد"

-A.I. Reznikov "La comète de Halley: une démystification de la légende du Noël? Recherche d'astronomie historique, "Nauka", Moscou, 18, 65, 1986 (en russe).

-"La comète de Halley est-elle l'étoile de Bethléem?", Science et Religion, "Znanije", Moscou 10, 14, 1986 (en russe).

-"Date et Endroit de la Nalivité – Les possibilités d'une enquête 2000 ans après les évènements", traduction française, ronéotypie p.p. 3, 9, 19-20, 23, 26-32, 36-44.

-D.W. Hugues "The Star of Bethlehem", Walker, New-York, 1979.

-F.R. Stephenson et K.C. Yau "Far eastern observations of Halley' comet: 240 B.C. to A.D. 1368". J B I S : journal of the british interplanetary society, 38, 195, 1985.

-Dio Cassius "Roman history", Loeb, London, 1917.

-C. Tischendorf "Evangelia Apocrypha", Leipzig, 1876.

-Josephus "Jewish Antiquities", Loeb, London, 1943-1969.

-"The Jewish War", Loeb, London, 1927.

-A.A. Barett Observations of comets in Greek and Roman sources before A.D.410. J.Roy. Astr. Canada, 72, 81, 1978.

-M. Grant, "Herod", London, 1971.

-H.W. Hoehner, "Herod Antipas", Cambridge, 1972.

-Lee I. Levine, "Caesarea under Roman rule", (Studies in Judaïsme in Late Antiquity, 7), Leiden, 1975.

-S. Klein, "Beitrage Zur Geographie und Geschichte Galilaas", Leipzig, 1909.

-F.-M. Abel, “Géographie de la Palestine”, Tome1, Géographie physique et historique, Paris, 1933.

-Encyclopedia Judaïca, Jerusalem, Vol. 4, 1972, Keter publishing house Jerusalem Ltd, Printed in israël, by Keter Press Enterprises Jerusalem, p. 750. + conf. Aussi la Revue “Pour la Science” (Edition française de Scientific American), dossier hors série, avril 1999, “Les Terres Célestes – Les représentations des Comètes pp. 118-126 avec cartes figures et photos.

ومزيد، بعد مزيد، من التأكيد...

نشرت العالمة الأميركية روبيرتا أولسَون مقالة تاريخية علمية حول الميلاد والمذنّب هالي في المجلة العلميّة العالمية "من أجل العلم" (النسخة الفرنسية "للمجلة العلمية الأميركية")، عدد ممتاز – ملفّ خاص، شهر نيسان 1999، (ص 118-126). في هذه المقالة العلمية التي نشرت في مجلة عالمية محض علمية، تؤكد العالمة الاميركية على صحة نظرية العالم السوفياتي الكسندر أ. رزنيكوف حول كون المذنب الشهير هالي هو هو نفسه "النجم الذي رآه المجوس في المشرق – وقت الميلاد – والذي كان يتقدّمهم حتى بلغ المكان الذي فيه الطفل فوقف فوقه..." (متى 2: 9)؛ وبالتالي حول كون هذا المذنّب قد مرّ فعلاً، لا فوق بيت لحم اليهودية المعروفة اليوم، بل فوق بيت لحم "اللبنانية" في "جليل الأمم"؛ وأن المسيح، في الحقيقة، ولد في لبنان لا في اليهودية. نذكّر بأن العالم الفلكيّ السوفياتي رزنيكوف كان قد نشر هذه النظرية في كتابه عام1986، مقدماً البراهين والأدلة التاريخية والفلكية الوافية على صحتها. وفيما يلي بعض المقاطع من مقالة مجلة "من أجل العلم"، وهي المقاطع التي لها علاقة مباشرة بدراستنا هذه:

"في نهاية عام 1301، عبر أجواء الأرض ليلاً مذنّب قريب لفت اليه جميع الانظار. كان مكوّناً من نواة مركزيّة تحيط بها ضُفَيْرَةٌ مشعّة تترك وراءها خطاً مضيئاً طويلاً. هذا المذنّب الذي لُقِّبَ فيما بعد "مذنّب هالي" يظهر في أجواء الأرض بشكل دوري، كل 77 سنة تقريباً...

"والملفت حقاً، أن أول من رسم هذا المذنّب، هو الفَنَّان العالمي "جْيُوتّو دي بوندوني" (1267-1337). وقد رسمه عام 1304 في لوحة جداريّة "داخل كنيسة باودا بإيطاليا على أنه "النجم الذي رآه المجوس – وقت الميلاد – والذي كان يتقدّمهم حتى بلغ المكان الذي فيه الطفل فوقف فوقه..." (متى 2: 9). والغريب ان "جيوتّو" خرج، في رسم هذا المذنب الذي رآه شخصياً، عن النمط المألوف والراهن لصورة النجم عهد ذاك: نقطة مركزية صغيرة تحيط بها خطوط مسنّنة دقيقة؛ فرسمه كما رآه وكما وَصَفْنَاهُ اعلاه.

"ونحن نؤكد هنا، ان تطابق التواريخ، والشكل الواقعي البسيط للرسم، والشبه بينه وبين الصور العلمية المعاصرة، كل ذلك يؤكد ان المذنّب الذي رسمه "جيوتّو" في كنيسة بادوا هو هو نفسه "مذنّب هالي"، مذنّب المجوس والميلاد.. وقد مرّ فوق شمال فلسطين، فوق الجليل...

"قبل الفنّان "جيوتّو"ن كان الأقدمون يربطون بين ظهور المذنّبات وبين أحداث بارزة تحصل على الارض. ومنهم رجال كبار امثال الفيلسوف الكبير ارسطو، وفيرجيل، وسيناك ولوكين وغيرهم كثيرين. وقد يكون مرور المذنّبات نذير شؤم أو فأل خير.. وهناك مؤلفات عديدة وضعت في هذا المضمار. وكانوا يعتقدون أن المذنّبات التي يتزامن مرورها مع أحداث سارّة كبيرة هي نوع من الاشارات والعلامات السماوية التي تبشّر بخير عميم. هذه المعتقدات كان قد جمعها عام 1264 كاتب معاصر للفنان "جيوتّو" يدعى إيجيديوسَ في كتاب ضخم أسماه: "في طبيعة المذنّبات وحركاتها ومدلولات ظهورها". وكان أوريجانوس أحد كبار آباء الكنيسة (185-254) يستفيض في الحديث عن معاني ومدلولات ظهور المذنبات. وله أقوال مأثورة في ذلك، منها: "اذا كان في بداية كل عهد وكل أسرة مالكة أو سلالة حاكمة يظهر مذنّب في السماء... فلماذا العجب لظهور مذنّب في السماء، عند ولادة السيد المسيح الذي معه بدأت البشرية والأرض بعهد جديد..؟!".

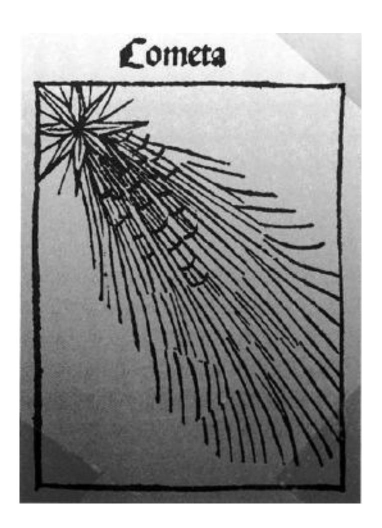
"من الناحية العلمية الصرف، نحن نعلم اليوم، بفضل تقدّم العلوم الفلكية، ان التي نسمّيها مذنبات، ومنها "مذنّب هالي"، هي "تجمعات من الغبار الكونيّ تنطلق ممّا يسمّيه العلماء "غيمة أورت" التي توجد خلف الكواكب الشمسيّة البعيدة، فوق مسار جوبيتير والتي تبعد عن الشمس بين 5، 0 وسنتين ضوئيتين. والمذنّبات تتبع مسارات إهليجية كبيرة حول الشمس وتصبح مرئية عندما تدخل في اجواء الارض. وآخر مرة ظهر فيها "مذنّب هالي" كانت سنة 1986. والمسبار الفلكي الذي راقبه وتتبّعه محلّلاً كان يسمّى ايضاً "جيوتّو" باسم الفنان الفلورنتيني الشهير الذي رسمه، كما هو، لأول مرة، والذي تحدثنا عنه سابقاً. والملفت ان الأبحاث التي أجراها علماء الفلك على تكوين وتركيب العناصر التي يتألف منها "مذنب هالي" تعطينا أفكاراً واضحة عن بدايات النظام الشمسي والأرض...". (مجلة "من اجل العلم"، عدد نيسان 1999، ص 118-126).

ونحبّ ان نذكّر هنا مرة أخرى، في نهاية هذا الكلام، أن "الموسوعة اليهودية" نفسها تقرّ صراحة أن بيت لحم الجليل كانت تقع داخل اراضي مدينة صور– وبالتالي داخل أراضي لبنان. فهي تقول بالحرف الواحد:

"إن بيت لحم الجليلية، التي تقع في غرب الجليل، القريبة من قرية تيفون في سَبط زبولون (راجع يشوع 19: 15، والقضاة 12: 8)، كانت تقع داخل اراضي صور...، هذا ما كشفت عنه الدراسات الحديثة... وفي سنة 1948 سكنتها جالية المانيّة تابعة "لجمعية الهيكل"... وفي سنة 1968، كان عدد سكانها 270 نسمة..." – راجع:

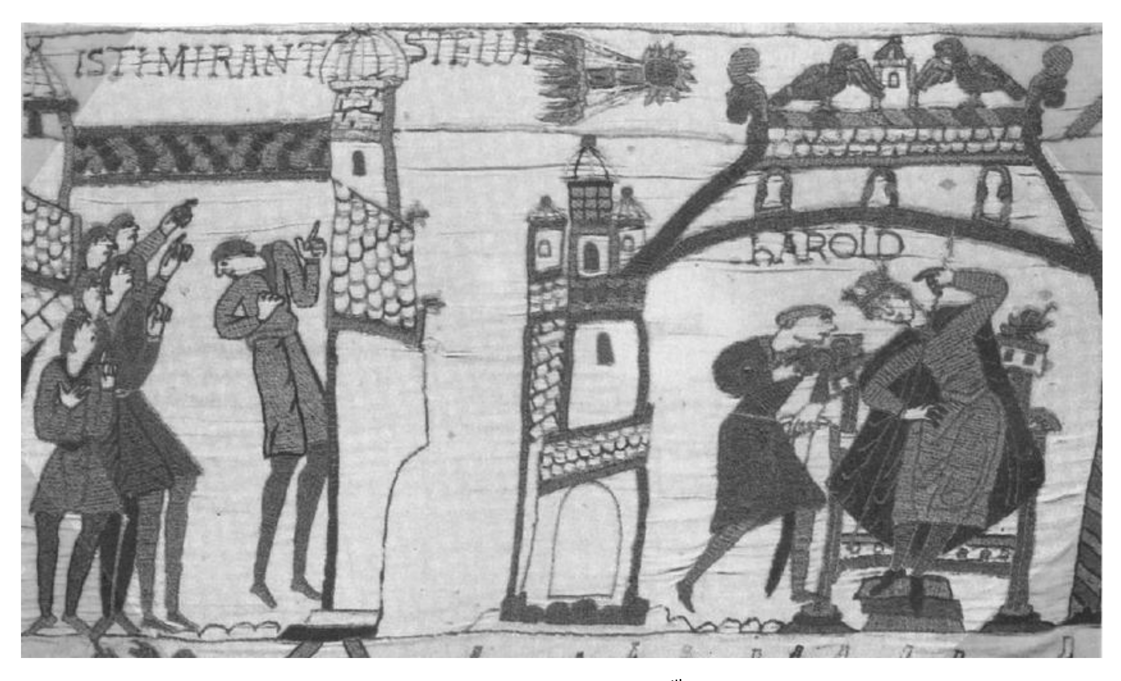
(-Encyclopédia Judaïca" – Jérusalem, Volume 4, 1972. By Keter Publishing House Jerusalem Ltd, Printed in Israël, by Keter Press Entreprises, jérusalem, page 750).

وهكذا، يأتي المزيد، بعد المزيد، من التأكيد- العلمي والتاريخي والجغرافي والآثاري والفلكي- على صحة نظريتنا في هذه الدراسة. وهكذا، بعد براهين الارض...، ها هي براهين "السماء" (الفلك – الدراسات الفلكية) تنزل مع انوار "المذنّب هالي" لتؤكد على صحة هذه النظرية: المسيح ولد في بيت لحم الجليل التي كانت داخل اراضي صور، أي داخل الاراضي اللبنانية، ولم يولد في بيت لحم اليهودية، المعروفة اليوم، والتي يحج اليها المسيحيون منذ الفي سنة. أجل! المسيح ولد في لبنان لا في اليهودية. كما جاء في عنوان هذا الكتاب– هذه الدراسة العلمية الصرف، هذه الدراسة "اللبنانية" الروح والجسد. اجل! المسيح ولد في لبنان. أجل! يسوع ومريم ويوسف هم حقاً لبنانيون، من "قانا الجليل اللبنانية"!!!

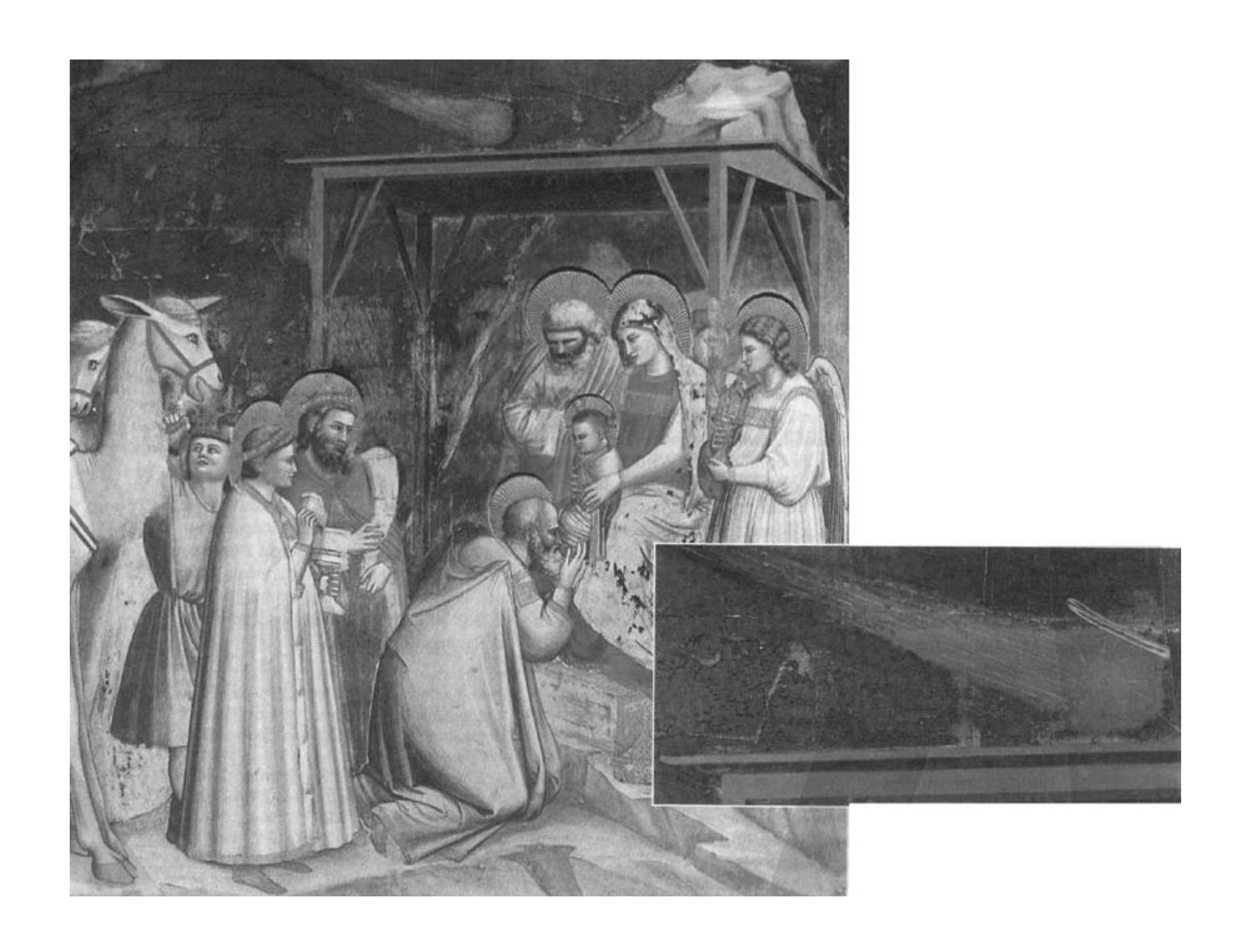


رسم قديم "للمذنّب هالي"، من "اليوميات التاريخية" لمدينة نورنبيرغ الألمانية. تاريخ الرسم 1493، وهو يمثل ذكرى مرور المذنّب لسنة 684! لاحظ دقة وواقعية الرسم.

(الصورة: مكتبة نيويورك العامة – مجلة "من أجل العلم")



رسم على "سجادة بايو" الشهيرة يخلّد مرور "المذنّب هالي" سنة 1066 الى اليسار بعض الأشخاص يدلّون على المذنّب الذي يظهر في اعلى الصورة عند الوسط. الى اليمين ملك انلكترا هارولد يرى في الحلم، بمناسبة مرور المذنّب، الغزاة النورمان قادمين اليه (في اسفل الصورة) (الصورة: جوسّ – مجلة "من اجل العلم").



اول رسم في التاريخ "للمذنب هالي"

"سجود المجوس" للطفل يسوع للفنان العالمي "جيوتّو" على جدران كنيسة بادوا بايطاليا. ويظهر المذنب في اعلى الصورة في الوسط، والى اليمين مكبّراً بعض الشيء. يُلاحظ الشكل الواقعي للرسم الذي وضع سنة 1304!

(الصورة: سَكولا إديتوريال – مجلّة "من اجل العلم").



صورة فوتوغرافية علمية حديثة "للمذنب هالي" عند مروره في اجواء الارض عام 1986 (19 آذار). وتظهر النواة المركزية المشعة الى الأمام وهي محاطة بضُفَيْرةٍ مضيئة مكوّنة من غاز وغبار كونيّ ووراء النواة ذيل طويل منحنٍ مكوّن من عناصر هيولية مائعة. لاحظ الشكل الفريد للمذنّب الذي يسبح في الأسود الكوني السحيق الذي تتخلّله نقاط بيضاء هي نجوم مجرتنا: "درب اللبانة".

(الصورة: الجمعية الملكية الفرنسية – مجلة "من أجل العلم").

الخاتمة: "الحقائق الصاعقة"... وسرّ لبنان

الحقائق الساطعة والصارخة والصاعقة...

إن الحقائق التاريخية والجغرافية والآركيولوجيّة، المبنيّة على قرائن ودلائل وبراهين وحجج علمية موضوعية مجرّدة، والتي تنتج، بشكل مباشر أو غير مباشر، عن دراستنا هذه، هي الحقائق التالية، نعلنها أمام العالم اجمع، وخاصة امام المسيحيّين، وذلك بمناسَبة الاحتفال بيوبيل السنة الألفين، وبداية الألف الثالث لميلاد السيد المسيح:

-الحقيقة الأولى: إن يواكيم (عمران عند المسلمين)، والد مريم العذراء، وحنّة والدتها، وآباءهما وأجدادهما هم جميعاً، في الحقيقة، من قانا الجليل: من لبنان. لقد عاشوا وماتوا ودفنوا فيه. ومقام "النبي عمران"، الموجود اليوم في جوار قانا الجليل، يضمّ رفاتهم وأضرحتهم، كما هو ظاهر اليوم للعيان، وكما تؤكّد باستمرار التقاليد المحليّة القديمة والحديثة والحالية. "ومن له أذنان سامعتان، فليسمع!" ومن له عينان مبصرتان فلينظر! ومن له يدان تشعران فليأت ويلمس ويضع أصابعه العشر على أضرحة مقام "النبيّ عمران"!

-الحقيقة الثانية: إن العذراء مريم، بالتالي، هي من قانا الجليل: من لبنان. ولدت في قانا، وعاشت طفولتها فيها. ويوم تكريسها عذراء ملازمة للهيكل، أرسلها والدها الى جبل الكرمل، الى الدير الكبير الذي كان يضمّ الجماعات الروحيّة المنتظرة مجيء المسيح – المخلّص. وكان جبل الكرمل، منذ فجر التاريخ حتى إقامة العذراء فيه وبعد ميلاد ابنها يسوع بزمن طويل، كان داخل أراضي فينيقية – لبنان، كما تؤكد جميع الجغرافيات والخرائط على انواعها. ومنذ تكريسها وإقامتها في دير جبل الكرمل لقّبت العذراء مريم "بحمامة إيل"...

-الحقيقة الثالثة: إن إقامة العذراء في الهيكل كانت في هيكل دير جبل الكرمل هذا، ولم تكن، على الإطلاق في هيكل أورشليم عند اليهود. وقد خدمت هذا الهيكل مع نسيبها يوسف عدة سنوات، قبل زواجها منه. وعاشت هناك، كما تعيش، نوعاً ما، الراهبات المحصّنات في أيامنا هذه. وهكذا كانت العذراء مريم أول راهبة من لبنان وفي لبنان في العهد الجديد.

-الحقيقة الرابعة: في داخل هيكل جبل الكرمل، حصلت "البشارة": بشارة الملاك جبرائيل للعذراء مريم بولادة ابنها يسوع، "إن الروح القدس سينزل عليك وقدرة "العليّ" تظلّلك، لذلك يكون المولود قدّوساً وابن الله يرعى" (لوقا 1: 35). ولم تحصل "البشارة"، لا في الناصرة لأنها لم تكن موجودة بعد، ولا في أي

مكان آخر من اليهودية، لأن العذراء كانت في هيكل جبل الكرمل، عندما بشرها الملاك. اذاً البشارة حصلت في أرض لبنان.

-الحقيقة الخامسة: اذا كانت البشارة قد حصلت في لبنان فإن التجسّد – تجسد الابن الأزلي الاقنوم الثاني من الثالوث الأقدس – قد حصل هو أيضاً في لبنان، لأن أمّنا الكنيسة المقدسة تعلّمنا دوماً أن بداية التجسّد قد حصلت في نهاية "البشارة"، عندما قالت مريم للملاك: "ها أنا ذا أمة للربّ، فليكن لي بحسب قولك". (لوقا 1: 38). أجل! لقد حصل التجسّد الإلهيّ في لبنان، لأن حبل مريم بيسوع حصل في جبل الكرمل: في لبنان.

-الحقيقة السادسة: إن زواج مريم العذراء الحبلى من الروح القدس، من نسيبها يوسف المقيم هو أيضاً في دير جبل الكرمل، قد حصل في هذا الدير بالذات وعلى يد كبار كهنته، كما هو ظاهر حتى اليوم في الرسوم القديمة في كنائس أديرة جبل الكرمل. في لبنان، حصل هذا الزواج المقدس وتأسّست أول عائلة مسيحيّة!

-الحقيقة السابعة: هناك إجماع تام في التقاليد والكتابات المسيحية القديمة والحديثة على أمرين اثنين فيما يخصّ يوسف، الأول: على ان يوسف هو نسيب مريم، والثاني على أن عريس قانا الجليل هو نسيب يوسف ومريم، ومنهم من يقول انه ابن حلفى شقيق يوسف. فانطلاقاً من كل ذلك، واذا كانت العذراء مريم من قانا الجليل اللبنانية، فان يوسف نسيبها وزوجها هو أيضاً من هذه البلدة. فلا هو يهوديّ أو من ذرية داود، كما يظنّ، ولا مريم كذلك. فالاثنان نزحا مع أهلهما وأقاربهما من قانا الى جبل الكرمل عندما قدّم مريم والدها لتتكرّس عذراء في دير الكرمل. أجل إن يوسف من قانا الجليل: من لبنان.

الحقيقة الثامنة: عاشت العذراء مريم بعد زواجها، في جبل الكرمل، حتى ولادة ابنها يسوع. وقد ولدته في مغارة، في سفح جبل الكرمل الشمالي الشرقي، على طريق بيت لحم الشمالية وبالقرب منها. وبعد الولادة أقامت مع يوسف في هذه المدينة بالذات. وبعد موت يوسف، عادت مريم، كما رأينا سابقاً، الى مدينة قانا الجليل لأنها كانت من هناك. وبعد عرس قانا الجليل، نزلت مريم من الجليل الأعلى الى الجليل الأسفل، مع يسوع والأقارب والتلاميذ، كما يقول يوحنا: "وانحدر يسوع بعد ذلك (بعد عرس قانا الجليل) الى كفرناحوم (على ضفاف بحيرة طبريّا) ومعه أمّه وإخوته وتلاميذه، فأقاموا فيها بضعة أيام..." (يوحنا 2: 12). وظلّت ترافق ابنها اثناء بشارته، في الجليل وفينيقيا واليهودية، حتى موته على الصليب. وبعد ذلك، "ومنذ تلك الساعة أخذها التلميذ (يوحنا الحبيب) الى بيته" (يوحنا 19: 27). وبقيت مع يوحنا الى يوم موتها وارتفاعها بالنفس

والجسد الى السماء. وهكذا، فقد صحّ في مريم العذراء قول الكتاب المقدّس، حيث يخاطبها الروح القدس، قائلاً: "تعالي معي من لبنان، أيتها العروس فتتكلّلين. تعالي معي من لبنان. أتركي رأس أمانة، رأس سنير وحرمون، من مرابض الاسود، من جبال النمور... رائحة ثيابك كرائحة لبنان... أختي العروس جنّة مقفلة وينبوع مختوم... ينبوع جنّات وبئر مياه حيّة وأنهار من لبنان..." (نشيد الاناشيد 4: 8-15)

-الحقيقة التاسعة: إذا كان أبوا يسوع، يوسف ومريم، من قانا الجليل اللبنانية، وإذا كانت رفات وأضرحة جدّه يواكيم (عمران)، ورفات وأضرحة الاهل والآباء والاجداد في نفس المدينة، في "مقام النبي عمران"، الظاهر للعيان في يومنا هذا، فمن أين يا ترى، يكون يسوع المسيح؟ إن يسوع المسيح هو من قانا الجليل: من لبنان!انه من مدينة أمه وأبيه، من مدينة آبائه وأجداده. وقد تكون هذه الحقيقة صاعقة تصدم الكثيرين... ولكن ما العمل؟ وما همّ؟ انها الحقيقة. "والحقيقة تجرح". ولكنها حقيقة علمية موضوعية مجردة تستند الى القرائن والأدلة والبراهين والحجج التاريخية والجغرافية والآركيولوجية والفلكيَّة وغيرها...، والتي عرضناها بالتفصيل والدقة في سياق هذه الدراسة. أجل! إن يسوع المسيح هو من لبنان. "ومن له أذنان سامعتان، فليسمع...". ومن يؤمن بالعلم وله معرفة موضوعية وحكم مجرّد، ولا يخاف من أحد، الاّ من الله، فلينظر ويحكم ويقرّر!

-الحقيقة العاشرة: يسوع المسيح لم يكن، على الإطلاق، يهودياً، ولا بالتالي من ذرية داود وسلالته الملكية... كما يُظن؛ وهو القائل: "ليست مملكتي من هذا العالم. ولو كانت مملكتي من هذا العالم، لدافع عنّي حرسي لكي لا أسلم الى اليهود (!). ولكنّ مملكتي ليست من ههنا..." (إنجيل يوحنا 18: 36). أما قصة نسبته الى اليهود، والى ذريّة داود وسلالته الملكية بنوع خاص، فقد صاغها المسيحيّون المتهوّدون ليبرهنوا لبني جنسهم اليهود أن يسوع المسيح هو "المسيح – المخلّص" الذي كان ينتظره اليهود... ولقد تبيّن اليوم، بما يشبه الاجماع، وعلى ضوء النقد العلمي التاريخي والجغرافي والسلالي، الموضوعي والمجرّد، أن قضية ربط يوسف ومريم ويسوع بداود وذريته وسلالته، قضية لا ترتكز الى أي أساس تاريخي حقيقي وثابت. ولقد سبق وبيّنا بالتفصيل والبراهين القاطعة أن جداول نسب يسوع وربطه بذريّة داود مليئة بالمغالطات والتناقضات التاريخية والجغرافية الفادحة... وكيف يكون المسيح يهودياً وهو القائل لليهود أنفسهم: "إن أباكم هو إبليس"؟! وهو القائل أيضاً: "إني أتيت الى الخراف الضالة من آل اسرائيل". فهل هو منهم؟! حاشا وكلاّ!

-الحقيقة الحادية عشرة: إن يسوع المسيح قد ولد، في الحقيقة، "في بيت لحم الأمم". وبالتحديد في مغارة بالقرب منها، على طريقها. وعند الميلاد كانت بيت لحم هذه ومنطقتها ومغارتها، مع بقية المغاور المجاورة، كانت داخل أرض فينيقية – لبنان، كما تظهر ذلك بوضوح جميع الخرائط الجغرافية القديمة والحديثة، المطبوعة والمخطوطة بجميع لغات العالم. وهذا يتوافق تماماً مع جميع القرائن والدلائل والحقائق التاريخية والجغرافية والظروف المحلية في ذلك العصر، وذلك بشكل علمي موضوعي مجرّد، بعيداً عن الطمس والتحوير والروايات الشعبية المتوارثة... ومغاور بيت لحم الشمال باقية الى اليوم في السفوح الشمالية الشرقية لجبل الكرمل. وفي إحدى هذه المغاور ولد يسوع المسيح... وكانت هذه المنطقة مقدسة لدى الجميع على مرّ العصور...

الحقيقة الثانية عشرة: لم يولد يسوع المسيح في بيت لحم المعروفة اليوم، أي بيت لحم اليهوديّة في الجنوب، بالقرب من أورشليم. فهذه، في الحقيقة قصة متعمدة صاغها فيما بعد المسيحيّون المتهوّدون "كنيسة الختان"، لكي يبرهنوا لبني جنسهم اليهود، كما قلنا مراراً، أن يسوع هو "المسيح المخلّص" الذي كان اليهود ينتظرونه، ولكي يقولوا لهم إنه ولد في ما بينهم في أرض اليهودية، ومن ذرّية داود ومن بيت لحم مدينته... والحقيقة ان هذه قصة ناتجة عن التحوير التاريخي والجغرافي والتحريفات القومية والعنصرية المتزمّتة، ثم استمرت هكذا بفضل النسيان والتناسي والجهل الموروث ومراعاة اليهود والخوف منهم... الى يومنا هذا! إن بيت لحم المعروفة اليوم حديثة العهد نسبياً، فلا تصحّ فيها إطلاقاً نبؤات الانبياء الاقدمين الخاصة بمجيء المسيح – المخلّص.

-الحقيقة الثالثة عشرة: إن المنطقة التي ولد فيها يسوع المسيح، بأرضها ومعابدها ومغاورها، كانت منطقة مميّزة ومقدّسة لدى جميع الديانات الشرقية – وخاصة الديانة الكنعانية – منذ فجر التاريخ وطوال قرون عديدة حتى المسيح. وقد أقيمت فيها معابد وهياكل لكبار آلهة الشرق والغرب، للإلاهة الأم، وخاصة للإله الكنعاني الفينيقي البعل وأدونيس. وفي مغاورها سكنت جماعات تلو الجماعات من النسّاك والمتوحدين والرهبان. وقد اشتهرت بكونها موئلاً ومركزاً اساسياً للجماعة الاسينية القديمة والجماعات الجليليّة الروحيّة المماثلة...، وبكونها منطقة يسهل فيها "التركيز الروحي" والاتصال بالعالم الآخر، حتى أصبحت نوعاً من "البوتقة الروحية"، يتم فيها الانصهار بين التيارات والمذاهب والديانات المختلفة... في هذه المنطقة بالذات ولد السيّد المسيح "فاعطت الارض ثمرتها..."، كما يقول الكتاب.

كانت منطقة الكرمل هذه، التي ولد فيها السيد المسيح، منطقة مقدسة عند الكنعانيين (إيل ثم ابنه البعل)، عند الفينيقيين أحفادهم (أدونيس وعشتروت)، عند المصريّين (أم الآلهة)، عند أشّور وبابل (صرفند رفيقة الإله الأكبر مار دوخ)، عند اليونان والرومان (زوس)، عند اليهود (جماعة الانبياء، النبي إيليّا والنبيّ اليشاع)، عند الاسلام (الخضر). ثم جاء المسيح، خلاصة الكون والارض والانسانية، وهو القائل: "ما أتيت لأنقض بل لأكمّل...". في هذه المنطقة عاشت مريم وولد المسيح وتم التجسد الإلهي وبدأت المسيحيّة...

هذه المنطقة هي قسم من أرض كنعان، تلك الأرض المباركة التي سعت منذ البدء الى تلاقي الشعوب والحضارات والديانات، وتفاعلها وتلاقحها وتناضجها وتكاملها، وصهرها في بوتقة واحدة للبلوغ الى الانسان العالمي أو "عالمية الانسان". اليست هي، في الجوهر والوجود، دعوة "لبنان الرسالة"؟!

الحقيقة الرابعة عشرة:قضى يسوع سنوات حداثته وصباه وقسماً من شبابه على الأقل، يدرس ويتعلّم بشكل منتظم في الدير الكبير في جبل الكرمل التابع للجماعات الجليليّة الروحيّة – ومنها الجماعة الاسينيّة القديمة (وهي غير جماعة قمران عند البحر الميت...). وكان هذا الدير بمثابة مدرسة كبيرة تدرّس بشكل منتظم الديانات واللغات وثقافات العصر. هذه الحقيقة طمسها التاريخ ولم تسلّط عليها الاضواء حتى اليوم. وذلك لأن هذه المدرسة كانت تقع داخل أرض فينيقية – لبنان، وهذا الامر لا يناسب اليهود ولا المسيحيّين المتهوّدين...
والبرهان على كونه درس بشكل منتظم، الاجتماع الذي حصل بينه، وهو في الثانية عشرة، وبين العلماء في الهيكل... "فوجده أبواه بعد ثلاثة أيام في الهيكل، جالساً بين العلماء، يستمع اليهم ويسألهم... وكان جميع سامعيه معجبين أشدّ الاعجاب بذكائه وجواباته..." (لوقا 2: 46-47). وقد درس يسوع، دون أدنى شك، ديانات عصره وثقافاته وأفكاره، وكان يتقن، على الأقل، ثلاث لغات هي الآرامية (اللغة المحكية في محيطه)، والعبرانية (لغة الكتاب والانبياء)، واليونانية (لغة الثقافة والمثقّفين في بيئته). وهل من المنطقي والمعقول والمقبول ان يكون يسوع، وهو المسيح مخلص العالم، بحاجة دائمة الى شخص آخر يترجم له أحاديثه وحواراته التي جرت بينه وبين الغرباء في أرضه وبيئته، أمثال اليونان والرومان المحتلين بمن فيهم الرؤساء والحكام...، وغيرهم من الشعوب؟ وهل من المنطقي والمعقول والمقبول ان يكون يسوع المسيح جاهلاً ديانات عصره وأفكاره وثقافاته وعلومه؟! (وهناك آراء وأقوال تتحدث بالتفصيل عن سفر يسوع المسيح الى كبريات الحاضرات الثقافية والروحية في الشرق...؟!)
ومهما كانت الأمور، فنحن نركّز هنا على دراسة يسوع وثقافته التي بلغت، بكل

تأكيد، أعلى درجات الثقافة في عصره. وذلك للاسباب التالية: أولاً إن الاناجيل المقدسة ليست كتباً تاريخية بحصر المعنى، كما كرّرنا أكثر من مرّة. ثانياً لأن بين أيدينا مراجع وكتباً تاريخية، قديمة وحديثة، تتحدث بالتفصيل عن دراسة يسوع وثقافته الفكرية والروحية العالية، هذه الثقافة التي أدهشت الجميع وأربكتهم... فقد جاء في انجيل يوحنا: "وصعد يسوع الى الهيكل وكان العيد قد بلغ الى أوسطه فأخذ يعلّم... فتعجب اليهود وقالوا: كيف يعرف هذا الكتب ولم يتعلّم...؟" (يوحنا 7: 14-15). ولم يقتصر التعجب والارتباك على اليهود وحدهم، بل قد وصلا حتى الى مواطنيه في الجليل انفسهم. فقد جاء في إنجيل متى: "ولما أتمّ يسوع هذه الأمثال ذهب من هناك وعاد الى وطنه، وجعل يعلّم في مجمعهم، حتى دهشوا وقالوا: من أين له هذه الحكمة وتلك المعجزات؟ أما هو ابن النجّار؟ اليست أمّه تدعى مريم، وإخوته يعقوب ويوسف وسمعان ويهوذا؟ أو ليس جميع أخواته عندنا؟ فمن أين له كلّ هذا؟ وأخذتهم الحيرة فيه". إنجيل مرقس (6: 1-3).

ان يسوع المسيح هو انسان تام مثل سائر البشر، بالإضافة الى كونه إلهاً. وهو مثلنا في كل شيء، ما عدا الشر والخطيئة طبعاً. وكونه إلهاً لا يعني أبداً أن قواه العقلية والفكريّة، كقواه الجسدية والعاطفية، لم تتنامَ وتتطوّر وتنضج، على عكس ما ظنه العامة من المسيحيّين أنفسهم!؟ ألم يقل الانجيل نفسه حرفياً: "وكان يسوع ينمو ويتسامى في القامة والحكمة والحظوة عند الله والناس..." (لوقا 2: 52). وقوله "بالحكمة" يعني: بالفكر والمعرفة والعلم...

الحقيقة الخامسة عشرة: في بداية حياته التبشيريّة، دعي يسوع، هو وتلاميذه، الى عرس في قانا الجليل. ولم تدع أمه مريم الى العرس لأنها كانت هناك، مقيمة في بلدتها، بعد موت زوجها ونسيبها يوسف، وكان العريس نسيبهما. وقد أثبتنا، مع غيرنا، بالدلائل والبراهين العلمية أن قانا الجليل هذه، هي في لبنان، في لبنان الجنوبي، على مسافة قليلة من مدينة صور، الى الجنوب الشرقي (راجع كتابنا "قانا الجليل في لبنان"، منشورات "إيل" – 2، إهدن، لبنان، 1994). وهكذا، كرّس المسيح في أرض لبنان بالذات، ولأوّل مرّة، العرس والزواج والحب البشريّ، والعائلة البشرية، وخصوبة الحياة، وأعاد كل هذه الحقائق والمؤسسات البشرية الى أصالتها الأولى، رافعاً إياها الى أعلى المستويات، مستوى "السرّ" الذي أراده الله الخالق...

-الحقيقة السادسة عشرة: وينتج عن الحقيقة السابقة أن يسوع المسيح أعلن ألوهيته، لأول مرّة، في لبنان: فانجيل يوحنا عندما يقول: "فأظهر يسوع مجده وآمن به تلاميذه..."، يعني أن يسوع أظهر الوهيته، كما يجمع

المفسّرون. فيسوع هو "عمانوئيل" كما يقول الانجيل نفسه، أي "إيل معنا"، أو "الله معنا"، والمقصود: إيل – الله – تجسّد وأصبح انساناً مثلنا. وكما أن "إيل"، الإله الكنعاني – الفينيقيّ الكونيّ الأول، انطلق من لبنان ثم انتشرت عبادته في كل أصقاع الارض، هكذا فإنَّ "عمّانوئيل" – أي يسوع المسيح – أعلن ألوهيته أولاً في لبنان، ثم انتشرت عبادته، انطلاقاً من لبنان، وعمت الأرض والكون...!

-الحقيقة السابعة عشرة: في لبنان، بدأ "العهد الجديد"... فالإنجيل المقدّس، عندما يقول "فآمن به تلاميذه..."، وذلك بعد الآية الاولى التي أتى بها يسوع في عرس قانا الجليل اللبنانية، إنما يعني صراحة وبوضوح أن الإيمان بالمسيح قد بدأ في لبنان، ومنه انطلق الى العالم أجمع. ومع التلاميذ في قانا الجليل، وهم أول المؤمنين بالمسيح، تكوّنت الجماعة المسيحيّة الاولى. وهكذا، في لبنان تأسست الكنيسة المسيحية وبدأت رسالتها السامية انطلاقاً من الأرض، من أرض لبنان بالذات. وجوهر رسالتها هو العمل على "تأليه" الانسان. أجل! إن الله صار إنساناً، كي يصير الانسان "إلهاً"...، في لبنان، وانطلاقاً من لبنان...!

مراجع القسم الرابع

-أولاً- المراجع العربيّة:

أ-الكتاب المقدس – العهد القديم

-سفر التكوين الفصول 35، 48-49، مع الحواشي والشروحات

-سفر العدد الفصل 24

-سفر يشوع الفصول 15، 18-19

-سفر راعوت الفصول 1، 3-4

-سفر صموئيل الاول الفصول 10، 16-17، 27

-سفر صموئيل الثاني الفصول 3، 7، 19

-سفر الاخبار الأول الفصول 2-4

-سفر الاخبار الثاني الفصول 11، 30

-سفر تثنية الاشتراع الفصل 33

-سفر المزامير المزامير 89، 110، 132

-سفر أشعيا الفصول 6-12 (كتاب العمانوئيل)، 27، 32-33، 59

-سفر إرميا الفصول 23، 31، 40-41

-سفر دانيال الفصل 7

-سفر حزقيال الفصل 8

-سفر ميخا الفصل 5

-سفر هوشع الفصل 1

-سفر نحميا الفصول 7، 11

-سفر عزرا الفصل 2

-سفر عزرا الثالث (منحول – غير قانوني)

-سفر نشيد الأناشيد الفصل 4 مع الحواشي والشروحات.

-ب- العهد الجديد:

إنجيل متى 1، 2 مع الشروحات والحواشي 4: 15، 9: 33، 12: 23، 13: 53-58 والحاشية رقم 3، 16: 14، 21: 10-11.

إنجيل لوقا 1، 2، مع الشروحات والحواشي، 3: 23-38، 4: 14-30 مع الشروحات والحواشي، 9: 51-55.

إنجيل مرقس 6: 1-6 والحاشية رقم 4، 14-20 مع الشروحات والحواشي، 14: 12-17 والحاشية رقم 13.

إنجيل يوحنا 1: 26-31، 45-46، 4: 43-46، وخاصة الشروحات والحواشي رقم 15-17، 28، 31. 7: 14-16، 25-32 والحاشية رقم 5، 40-52 مع الشروحات والحواشي وخاصة الحاشيتان رقم 28 ورقم 31. 9: 28-29.

أعمال الرسل 9: 31 والحاشية رقم 22.

ج-المؤلفات المدنية:

-فان در ميرش، "مريم أم المسيح"، دائرة المعارف المسيحيّة، دار الكلمة، بيروت، لبنان، 1966، ص 9-10، 17-18، 22-26، 61-62، 72، 131-133.

-الاب يوسف يمين "قانا الجليل في لنان"، منشورات "إيل"، اهدن، لبنان، الطبعة الاولى 1994، ص 13-30 مع الحاشية رقم 39

-غسّان خلف، "لبنان في الكتاب المقدّس" – دراسة لاهوتية وتاريخيّة – دار منهل الحياة، 1985، لبنان، ص 174 مع الحاشية رقم 1

-يوسف الحوراني، "ملحق النهار الاسبوعي"، بيروت، لبنان، 25 كانون الأول 1993، ص 4-5

-يعقوب تيريني اليسوعي، "تحفة الجيل في تفسير الاناجيل" – بشارة يوحنا – الاصحاح الثاني، الفصل الخامس ص: 716-717 (وفيه كثير من أقوال آباء الكنيسة الأولين).

-ياقوت الحمويّ "معجم البلدان"، بيروت، لبنان، 1957، المجلّد 1، ص 521-522، مجلّد 3، ص: 76-77، 412

-"بابيروي إجرتون"، الفقرة الأولى (عن مولد يسوع...)

-إبن الأثير، "تاريخ ابن الأثير"، ورد كلامه في: تاريخ الناصرة، لأسعد منصور، ص 159

-فرج الله صالح ديب، "التوراة العربية وأورشليم اليمنيّة"، دار نوفل، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1994، ص 27

-يوسيفوس المؤرّخ، "الآثار اليهودية"، 20: 1

-ول ديورانت "قصة الحضارة" ترجمة محمد بدران، الطبعة الثالثة، القاهرة، مصر، 1965، الجزء الثاني من المجلّد الاول، الشرق الادنى، ص 136، 168، 176، 178، 187، 195، 323، 332.

-دانيال روبس، "يسوع في زمانه"، تعريب حبيب باشا البولسي، المنشورات العربية، الطبعة البولسية، جونية، لبنان، 1969، ص 31

-فراس السواح، "الحدث التوراتي والشرق الادنى القديم"، الطبعة الاولى، 1989، دار المنارة، الجمهورية العربية السوريّة، دمشق، الباب الأول –1- سجلاّت مصر الفرعونة، ص 57-59، مع الحاشيتين رقم 30 و31

-أنيس فريحة، "ملاحم أوغاريت – راس شمرا"، نشر الجامعة الاميركية، بيروت، لبنان، 1966، ص 439، 656 (ملحمة "البعل وعناة"، 7: 5: 32-33) راجع أيضاً كلمة "زبولون" في قاموس الادب الاوغاريتي في آخر الكتاب. "في القصص العبريّ القديم"، ص 93 والحاشية رقم 43

-"التوراة الكنعانية"، تأليف هـ. أ. ديل ميدكو، ترجمة جهاد هوّاش وعبد الهادي عبّاس، دار دمشق للطباعة والنشر، ص 316

-القس اسعد منصور "تاريخ الناصرة – من أقدم أزمانها الى أيامنا الحاضرة"، مطبعة الهلال، مصر، 1924، ص: 28-33 مع الحاشيتين رقم 37 و44؛ 37 والحاشية رقم 1؛ 137 والحاشية رقم 1؛ 159، 189-192، 262-263 (والمؤلف ينقل نصوصاً من الاب برنابا مؤرّخ الناصرة القديم في كتابه "جديد الارض المقدسة"...).

-حنا عبد الله حبقمان "جولة في تاريخ بيت لحم – من أقدم الأزمنة حتى اليوم"، مطبعة بطريركية الروم الارثوذوكس، القدي، 1984، الفصل الاول – بيت لحم قبل الميلاد ص 8-9.

-كمال الصليبي "التوراة جاءت من الجزيرة العربية"،مؤسسة الابحاث العربيّة، الطبعة الرابعة، 1991، يضم هذا الكتاب الترجمة الكاملة عن الاصل الانكليزي الذي نشر أصلاً بالالمانية، ص 171-172 مع الحاشيتين رقم 4 و5؛ 174 والحاشية رقم 7؛ 232

-"حروب داود"

– الأجزاء الملحميّة من سفر صموئيل الثاني – مترجمة عن الأصل العبريّ، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، الطبعة العربية الاولى، 1990، ص 12-13، 138، 161

-الطبري "تاريخ الطبري": "تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري"، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف القاهرة، الطبعة الأولى 1960، الجزء الاول، ص 191، 593-600. الطبعة الثانية دار سويدان، بيروت، لبنان، 1967، ص 593-594، 598-600

-ظفر الاسلام خان "تاريخ فلسطين القديم"، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1981، ص 27 مع الحاشيتين رقم 2 ورقم 3

-نقولا زيادة "في سبيل البحث عن الله"، مقالة تاريخية طويلة، "ملحق النهار الاسبوعي"، 10 أيلول 1994، ص 6

-الاب مرتين اليسوعيّ، "تاريخ لبنان"، ترجمة رشيد الخوري الشرتوني، مطبعة الآباء اليسوعيين 1989، المقدمة – 17 (اقسام لبنان)، ص 28-62، مع الحواشي والشروحات.

-"رسائل تلّ العمارنة" (القرن الرابع عشر قبل الميلاد)، النص: 190 N° E A – - راجع قاموس لاروس الانسيكلوبيدي، الجزء الاول، ص 189، العمود الثاني.

-القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية 34؛ سورة مريم، الآيات 15، 22-26

-الدكتور وجيه أبو خليل "القليلة ممرّ الانبياء ومقرّ الاولياء"، دار عون، الطبعة الأولى، لبنان 1988، مع صور وخرائط ومستندات، ص 11، 18، 22-25، 83-86، 170، 187-198.

-قاموس لاروس الأنسيكلوبيدي، الجزء الأول، ص 189، العمود الثاني.

-قاموس الكتاب المقدّس، مجمع الكنائس في الشرق الادنى، الطبعة الثانية، بيروت لبنان، 1971، ص 205، العمود الثاني، ص 206 العمود الاول – كلمة "الرامة" ص 392-393، 934-935، 1079 العمود الاول – راجع أيضاً الخرائط القديمة لفلسطين واليهودية والجليل وفينيقية...، المنشورة في هذا القاموس.

-"فهرس الكتاب المقدس"، الدكتور جورج بوست، مكتبة المشعل الانجيلية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة 1958، "حرف الكاف" – كنعان ص 85-86.

ثانياً – المراجع الاجنبيّة

-W.F. Albright, “Akkadian Letters", in J. Pritchard's Ancient Near Eastern Texts, Princeton, 1969, p. 439, 489.

-Maria Teresa Petrozzi, "Bethléem”, Edition revue et corrigée, 1985, Franciscan Printing Press. Jerusalem, traduit de l'italien par Albert Storme, pp. 17-36, 140-152, avec Notes et Cartes.

-Ernest Renan. Vie de Jésus”, 1863 Tome 1, chapitre 4, p. 50

-P. Grelot, “L’espérance Juive à l'heure de Jésus”, Desclée, Paris, 2e éd. 1994

-A. Pinéro, “Vie de Jésus selon les Evangiles Apocryhes”, Seuil, Paris, 1996

G. A. Smith, “Atlas of the Historical Geography of the Holy Land, p. 11

-Daniel Rops, "Jésus en son temps", Collection Foi Vivante, Desclée de Brouwer, 1971, pp. 48-52, 92-94, 100, 112-114, 108-109, 120-123

-Jean – Claude Barreau, “Biographie de Jésus”, pp. 7-8, 10-12, 25, 29-30, 152

-A. Reville, “Jésus de Nazareth", chapitre I, p. 403

-Von Soden, Apud E.B. "Chronology", col. 807

-G. Stanton "Parole d'Evangile – Un éclairage nouveau sur Jésus et les Evangiles”, Ed. Du Cerf et Novalis, Paris et Montréal, 1997.

-D. Marguerat, E. Norelli, J. – Posset, "Jésus de Nazareth, nouvelles approches d'une énigme”, éd. Labor et Fides, collec. “Le monde de la Bible", Genève, 1998

-Charles Perrot – "Jésus et l'Histoire", Desclée de Brouwer, 1979, p. 76

-"Les récits de l'enfance de Jésus –Mathieu 1-2; Luc 1-2", Cahier Evangile, N° 18, pp. 4-5, 9-10, 11-16, 31-34, 51, 57, 60-61, 65, 72.

-Charles Virolleaud, "Legendes de Babylone t de Canaan", p. 102 et Note N°1, 113 et Note N° 6

-Kamal Salibi, "The Bible come from Arabia", London, 1985, p. 13 (carte de la Palestine dans l'Ancient Testament – 48), 134.

-Clément d'Alexandrie, "Stromates", I, chapitre 12.

-H.P. Blavatsky, "La Doctrine Secrète", Ed. Adyar, 9eme éd. 1987 vol. 5, pp. 55 avec les Notes: 56 et 58

-Jacques Duquesne "Jésus", Desclée de Brouwer, Flammarion, 1994, pp. 28-31, 33, 45, 54-59, 61-63, 323-324 avec les Notes N° 10 et 22

-P. Benoit et M – E. Boismard< "Synopse des quatre Evangiles", Les Editions du Cerf, 3eme edition, Paris, 1972, Tome 1er pp. 6-7, 10, avec les Notes. (Il cite les parallèles des Apocryphes et des premiers pères de l'Eglise Chrétienne…), 11 et la Note N° 17. Tom 2, pp. 62 et Note N° 5, 63 et Note N° 9, 64 et Note N° 11, 66 et Notes N° 16 et 17, 214 et Note N° 144, II, 2.

-Origène, "Homélies", 7 (Le Lévitique).

-Yohanan Aharoni, "The Land of the Bible – a Historical Geography", London, 1996, pp. 50-59, 80-98.

-J. Newsner, "Le Judaïsme à l'aube du christianisme"< éd. Du Cerf, Paris 1986

-Dulap, "Sod", p. 176.

-Huet, "Origineniani", p. 16

-J. Ralston Skinner, "Source of Measures", pp. 306-307

-Meyer, "Quabbalah", p. 202

-S. Reinach, "Cultes, Mythes et Religions", III, 18 et suiv.

-Dr. H. Spencer Lewis, "La vie mystique de Jésus", chap. 5, pp. 83-94; chap. 6, pp. 95-97, 99, 100, 105, 126, 127

-Charles Guignebert "Jésus", Collec. L'Evolution de l'Humanité, Edit. Albin Michel, 1969, chap. 2, pp. 73-86; chap. 3, pp. 87-93 -"La vie cachée de Jésus", pp 67 et suiv.

-Flavius Josèphe, "Wars of the Jews", Books III, chap. 3 paragraphe 1.

-Dorothée Kœchlin de Bizemont "L'Univers d'Edgar Cayce", Les Enigmes de l'Univers, Robert Laffont, Paris, 1992, Tome 1er, pp. 254-255, 289-299, 320-326, 338-343, 460-461; Tome 3, pp. 83-84 avec les Notes.

-Gérald Messadie, "L'Homme qui devint Dieu", Tome 2< (Les Sources), Robert Laffont, Paris, 1989. Pp. 29, 88-89, 94-95, 108-109, 250-251 (N° 66).

-J. Simons, "The Geographical and Topographical texts of the Old Testament", Leiden 1959, pp. 49, 101-115

-D. Marguerat, "Lhomme qui venait de Nazareth", éd. Du Moulin, Aubonne, 3e éd. 1995, pp. 20-29.

-André Paul, "L'Evangile de l'Enfance selon Mathieu", Lectures Bibliques, 1984, pp. 133-137

-Justin, "Dialogues", 70, 2; 78, 4-6

-Condor, "Pent Wark in Palestine", p. 301

-"Petit Guide du Mon Carmel", 1ere Edition, Jérusalem, 1946, The Commercial Press, pp. 1-15, 18, 20-21, 27-31 (avec cartes et photos).

-P. Jean Sleiman OCD, "Le Liban Carmel deviendra: Implantation des Carmes au Liban", (1643-1653), in Revue: "La Splendeur du Carmel", N° 5, Beyrouth, Liban, 1994, p. 22 et Note N° 29.

Fr. Camilo Maccise, "Les racines bibliques de la spiritualité carmélitaine’, in la Revue: La splendeur de Carmel, N° 5, Beyrouth, Liban, 1994, pp. 1-9

-Anne – Cathérine Emmerich, “Visions”, Ed. Téqui, p. 151.

-Cyril Scott, "Vision du Nazaréen”, coll. “L’initié”, p. 49.

-A.D. Grad, “Les Clefs secrètes d'Israël”, p. 207 (citant le livre de "zohar"…).

-Papyrus "Bodner” (Nativité), 2-3.

-Evangiles Apocryphes (prés, par France – Quéré); Edit. Du Seuil, Paris, 1983:

-“Le Protévangile de Jacques", 1, 2, 3; 4-1, 17-1, 2, 3; 18-1, 2, 3; 19-1; 20-4; 21-1, 2, 3, 4; 22-1, 2, 3; 23-1. Pages 69-70, 73, 79-80, 82-85

-“Histoire de Joseph Chapentier", 7, pp. 97, 99 et Notes.

-“Evangile de Nicodème” ou Actes de Pilate", (14-1; 16-5) pp. 142, 149.

-Evangiles Apocryphes (Près. Par F. Amiot), L. Arthème Fayard, 1952 –"Le Protévangile de Jacques", pp. 60-64

-“Ecrits Apocryphes Chrétiens”, sous la direction de F. Bovon et Geoltrain, Bible de la pléiade, Gallimard, Paris, 1997.

-R. Bultman, “L’histoire dans la tradition synoptique”, Edit. Du seuil, Paris, 1973

-R.E. Brown, “The Birth of the Messiah”, New York, 1977.

-R. Laurentin< “Les Evangiles de l'enfance du Christ”, Paris, 1982.

-P. Benoit, Article 'Quirines", dans SDB – 9, 1997, col. 693-720.

-Jacques Duquensne, "Le Dieu de Jésus”, Grasset, Desclée de Brouwer, 1997, Paris, pp. 19, 65, 221 et Note N° 1, 226 et Note N° 4

-Philippe Rivault "Maisons de Béthléem", Maison neuve et Larose, Institut du Monde Arabe, 1997, pp. 7-13

+Bibles:

-"Bible de Jérusalem", Ecole Biblique de Jérusalem, édit. Du Cerf, 1956: Genèse 35 et Notes pp. 43-44; 1 Samuel 10: 1-2 et la Note k, p. 287; 1 chron 2: 19 et la Note F, p. 408; Isaïe 7: 13-25 et les Notes e, f, g, h, p. 996

-"La Bible (TOB)", Traduction œcuménique, édition intégrale, 1988, Edit. Du Cerf, Société Biblique Française, p. 1870 et la Note l; 2 Chron. 11: 5-12. (Avec les cartes à la fin de la Bible)

+Dictionnaires:

-"Dictionnaire de la Bible", Edit. Robert Laffont, Paris 1989, pp. 161-162, col. 89-90 avec la carte.

-Supplément, Tome 6, col. 331-332

-Dictionnaire Encyclopédique, Larousse, 1er volume, p. 189, col. 2

+Revues:

-"Maison Dieu", 1976, pp. 24-40

-"Bible et Terre Sainte", N° 110, Avril, 1969

-"La Splendeur du Carmel", N° 5, Beyrouth, Liban, 1994, pp. 1-31

-"Revue Biblique", N° 1, Janvier, 1997.

-"Le monde de la bIble", (Archéologie – Art – Histoire), Aout, Septembre, Octobre, 1983, Numéro Spécial: Béthléem Cité Messianique, pp. 36-37.

-N° 101, Novembre – Décembre, 1996, p. 22

-N° 107, Novembre – Décembre, 1997,

Numéro spécial: Qumrân 50 ans après (Avec documents, photos, images, dessins et cartes).

-N° 109, “Que sait-on de Jésus?” Mars – Avril, 1998

جداول ومراجع عن كنعان

أولاً: في الكتاب المقدّس – العهد القديم:

1ً-كنعان:

سفر التكوين 9: 18-27؛ 10: 6 و15؛ 11: 31؛ 12: 5؛ 13: 12؛ 16: 3؛ 17: 8؛23: 2 و19؛ 28: 1 و6-8؛ 31: 18؛ 33: 18؛ 35: 6؛ 36: 2 و5-6؛ 37: 1؛ 42: 13 و32؛ 44: 8؛ 45: 17 و25؛ 46: 6 و12 و31؛ 47: 1 و4 و13-15؛ 48: 3 و7؛ 49: 30؛ 50: 5.

سفر الخروج 6: 4؛ 15: 15؛ 16: 35؛ 18: 3؛ 25: 38

سفر العدد 13: 2 و17؛ 26: 19؛ 32: 30-32؛ 33: 40؛ 34: 2 و29؛ 35: 14

سفر يشوع 5: 12؛ 14: 1؛ 21: 2؛ 22: 10 و11 و32

سفر القضاة 3: 1؛ 4: 2 و23-24؛ 5: 19؛ 21: 12

سفر أخبار الأيام الأول 1:8 و13؛ 16: 18

سفر المزامير 105: 11؛ 106: 38؛ 135: 11

سفر أشعيا 19: 18؛ 23: 11

سفر حزقيال 16: 3 و29؛ 17: 4

سفر صفنيا 1: 11؛ 2: 5

2ً-كنعانيّ:

سفر التكوين 10: 18-19؛ 38: 2

سفر العدد 21: 1؛ 33: 40

سفر تثنية الاشتراع 1: 7

سفر الملوك الاول 31: 24

سفر هوشع 12: 7

سفر زكريّا 14: 21

ً3-كنعانيّة:

سفر التكوين 46: 10

سفر الخروج 6: 15

سفر أخبار الايام الأول 2: 3

ً4-كنعانيّون:

سفر التكوين 12: 6؛ 13: 7؛ 15: 21؛ 24: 3 و37؛ 50: 11

سفر الخروج 3: 8 و17؛ 13: 5 و11؛ 23: 23 و28؛ 33: 2؛ 34: 11

سفر العدد 13: 29؛ 14: 25 و43-45؛ 21: 3

سفر تثنية الاشتراع 7: 1؛ 11: 30؛ 20: 17

سفر يشوع 3: 10؛ 5: 1؛ 7: 9؛ 9: 1؛ 11: 3؛ 12: 8؛ 13: 3-4؛ 16: 10؛ 17: 12-18؛ 24: 11

سفر القضاة 1: 1-35 (الفصل الاول بكامله...)

سفر صموئيل الثاني 24: 7

سفر الملوك الاول 9: 16

سفر عزرا 9: 1

سفر ناحوم 9: 8 و24

ثانياً: في العهد الجديد:

-كنعان:

سفر أعمال الرسل 7: 11؛ 13: 19

-كنعانيّة:

إنجيل متّى 15: 22

جداول ومراجع عن لبنان في الكتاب المقدّس

في العهد القديم:

تثنيه الاشتراع 1: 7؛ 3: 25، 11: 24

يشوع 1: 4، 9: 1، 11: 17، 13: 5-6

قضاة 3: 3، 9: 15

الملوك الاول 5: 6 و9 و14 مرتين، 7: 2، 9: 19

الملوك الثاني 14: 9 ثلاث مرّات، 19: 23

الأيام الثاني 2: 7 مرتين 16، 8: 6، 25: 18 ثلاث مرّات

عزرا 3: 7

المزامير 29: 5-6، 92: 12، 104: 16

نشيد الاناشيد 4: 8 مرتين و11 و15، 5: 15

أشعيا 2: 13، 10: 34، 14: 8، 29: 17، 33: 9، 35: 2، 37: 24، 40: 16، 60: 33

إرميا 22: 6 و20 و23

حزقيال 27: 5

حبقوق 2: 17

جداول ومراجع عن الجليل في الكتاب المقدّس

أولاً: في العهد القديم

يشوع 20: 7، 21: 32

الملوك الاول 9: 11

الملوك الثاني 15: 29

الأيام الأول 6: 76

أشعيا 9: 1

ثانياً: في العهد الجديد

متى 2: 22، 3: 13، 4: 12 و15 و18 و25، 25: 29، 21: 11، 26: 32، 27: 55، 28: 7

مرقس 1: 14 و 16 و28 و39، 3: 7، 6: 21، 7: 31، 9: 30، 14: 28، 15: 41، 16: 7

لوقا 1: 26، 2: 4 و39، 3: 1، 4: 14 و31 و44، 5: 17، 8: 26، 17: 11، 33: 5 و6، 49: 55، 24: 6

يوحنا 2: 1 و11، 4: 3 و43 و45 و54، 7: 1 و9 و41 و52 مَرَّتَيْن، 12: 21، 21: 2

أعمال الرسل 9: 31، 10: 37، 13: 31

جداول ومراجع عن "يزرعئيل" في العهد القديم

ًً1-يزرعئيل

*سفر يشوع 15: 55-59

17: 16

19: 17-18

*سفر صموئيل الاول 25: 43

29: 11

*سفر صموئيل الثاني 2: 8-9

4:4

*سفر الملوك الاول 4: 7-8 و12

18: 45-46

21: 1 و23

سفر الملوك الثاني 8: 29

9: 10 و15-17 و30 و36-37

10: 1 و6-7 و11

*سفر أخبار الايام الاول 4: 3

*سفر أخبار الايام الثاني 22: 6

*سفر هوشع 1: 3-5

2: 2 و23-24

ًً2-يزرعيلي

*سفر الملوك الأوّل 21: 1 و4 و6 و7 و15 و16

*سفر الملوك الثاني 9: 21 و25

3ً-يزرعيلية

*سفر صموئيل الأوّل 27: 3

30: 5

*سفر صموئيل الثاني 2: 2

3: 2

*سفر أخبار الأيام الاوّل 3: 1

جداول ومراجع عن جبل الكرمل

في الكتاب المقدّس – العهد القديم:

1ً-جبل الكرمل

سفر يشوع 15: 55؛ 19: 26

سفر صموئيل الاوّل 15: 12؛ 25: 2 و5 و7

سفر الملوك الأوّل 18: 19 و20 و42

سفر الملوك الثاني 2: 25؛ 4: 25؛ 19: 23

سفر أخبار الايام الثاني 26: 10

سفر نشيد الاناشيد 7: 5

سفر أشعيا 33: 9؛ 35: 2

سفر إرميا 46: 18؛ 50: 19

سفر عاموس 9: 3

سفر ميخا 7: 14

سفر ناحوم 1: 4

2ً-كرمليّ:

سفر صموئيل الاول 30: 5

سفر صموئيل الثاني 2: 2؛ 3: 3؛ 23: 35

سفر أخبار الأيام الاول 11: 37

3ً-كرمليّة:

سفر صموئيل الاول 27: 3

سفر أخبار الايام الاول 3: 1

جداول ومراجع عن زبولون
في الكتاب المقدّس:

-أولاً- في العهد القديم:

سفر التكوين 30: 20؛ 35: 23؛ 46: 14؛ 49: 13

سفر الخروج 1: 3

سفر العدد 1: 9 و30-31؛ 2: 7؛ 7: 24

10: 16؛ 13: 10؛ 26: 26؛ 34: 25

سفر تثنية الاشتراع 27: 13؛ 33: 18

سفر يشوع 19: 10 و16 و27 و34؛ 21: 7 و34

سفر القضاة 1: 30؛ 4: 6 و10؛ 5: 14 و18

6: 35؛ 12: 12

سفر أخبار الايام الاول 2: 1؛ 6: 63 و77؛ 12: 23 و40؛ 27: 19

سفر اخبار الايام الثاني 30: 10 و11 و18

سفر المزامير 68: 27

سفر أشعيا 9: 1

سفر حزقيال 48: 26 و27 و33

-ثانياً- في العهد الجديد:

إنجيل متّى 4: 13-15

سفر الرؤيا 7: 8

جداول ومراجع عن أشير

***في الكتاب المقدّس:**

-أولاً- في العهد القديم:

سفر التكوين 30: 12-13؛ 35: 26؛ 46: 17؛ 49: 20

سفر الخروج 1: 4

سفر العدد 1: 13، 40-41؛ 2: 27؛ 7: 72؛ 10: 26؛ 13: 13؛ 26: 44-47؛ 34: 27

سفر تثنية الاشتراع 27: 13؛ 33: 24

سفر يشوع 17: 7-11؛ 19: 24 و31 و34؛ 21: 6 و30

سفر القضاة 1: 31؛ 5: 17؛ 6: 35؛ 7: 23

سفر الملوك الاول 4: 16

سفر أخبار الأيام الأول 2: 2؛ 6: 62 و74؛ 8: 30 و40؛ 12: 36

سفر أخبار الأيام الثاني 3: 11

سفر حزقيال 48: 2-3 و34

-ثانياً- في العهد الجديد:

إنجيل لوقا 2: 36

سفر الرؤيا 7: 6

جداول ومراجع عن أفراتة في العهد القديم

1ً-أفراتة

سفر التكوين 35: 16-20؛ 48: 7

سفر راعوت 4: 11

سفر أخبار الايام الاول 2: 19، 24، 50؛ 4: 4

سفر المزامير 132: 6

سفر ميخا 5: 1

2ً-أفراتيّ

سفر صموئيل الاول 17: 12

3ً-أفراتيّون

سفر راعوت 1: 2

جداول ومراجع عن "بيت لحم" في الكتاب المقدّس

أولاً: في العهد القديم

سفر التكوين 35: 16-20

48: 7

سفر القضاة 12: 7-10

17: 4-9

19: 1-2 و16-18

سفر راعوت 1: 1-2 و19 و22

2: 3-4 و4: 11

سفر صموئيل الاول 16: 1 و4-5 و18

17: 12 و15 و20: 6 و28

سفر صموئيل الثاني 2: 32 و43: 14-16 و24

سفر أخبار الايام الاول 2: 51 و54 و4: 4

11: 16-18 و26

سفر أخبار الايام الثاني 11: 5-6

جداول ومراجع عن بيت لحم اليهوديّة
في الكتاب المقدّس – العهد القديم

سفر عزرا 2: 1-2 و21
سفر نحميا 7: 6-7 و26
سفر إرميا 41: 16-17
سفر ميخا 5: 1-3

بيتلحمي
سفر صموئيل الأول 16: 1 و18
17: 58
سفر صموئيل الثاني 21: 19

ثانياً: في العهد الجديد
إنجيل متّى 2: 1-12 و16-18
إنجيل لوقا 2: 1-20
إنجيل يوحنا 7: 40-52

جداول عن بيت لحم (زبولون) الجليل

في الكتاب المقدّس – العهد القديم

سفر يشوع 19: 14-16

سفر القضاة 12: 7-10

جداول ومراجع عن يفتحئيل

في العهد القديم

سفر يشوع 19: 13-16 و27

جداول ومراجع عن "عمّانوئيل"

في الكتاب المقدّس – العهد القديم

سفر أشعيا 7: 10-17

8: 5-10

جداول ومراجع عن "عمّانوئيل"

في الكتاب المقدّس – العهد الجديد

إنجيل متّى 1: 18-25

إنجيل لوقا 1: 26-38

جداول ومراجع عن ألقاب المسيح – في العهد الجديد

يسوع ابن الله:

ابن الله: متى 3: 17، 4: 3، 8: 29، 14: 33، 16: 16، 17: 5، 26: 63-64، 27: 54 لوقا 1: 35 يوحنا 1: 49، 5: 25، 11: 4 و27، 19: 7، 1 يوحنا 4: 15 **الابن الواحد:** يوحنا 1: 14، 3: 16-18، 1 يوحنا 4: 9 **واحد مع الآب:** يوحنا 5: 18-19، 10: 30، 17: 11 و21 **"أبي":** متى 7: 21، 10: 33، 11: 27، 18: 35، 26: 39-42 يوحنا 2: 16، 5: 17، 20: 17 **في الآب:** يوحنا 14: 9-11 و20 **أزلي:** يوحنا 8: 58، قولوسِّي 1: 15 رؤيا 3: 14 **قدير:** متى 11: 27، 28: 18 يوحنا 3: 35، 5: 20، 13: 3، 17: 2، 1 قورنتس 15: 27 أفسس 1: 20-22 فيليبي 2: 9-11، 3: 21، عبرانيين 1: 3-13 رؤيا 3: 21، 12: 10 **دون الآب:** يوحنا 14: 28

يسوع إله:

يوحنا 1: 1 و18، 5: 18، 8: 24 و28 و58، 13: 19 رومة 9: 5 فيليبي 2: 6 قولوسِّي 1: 15 و19، 2: 9 طيطس 2: 13 عبرانيين 1: 3، 1 يوحنا 5: 20 رؤيا 19: 13

يسوع ابن الانسان:

إنسان حقيقي: مولود من امرأة: متى 1: 1-16 و25 لوقا 2: 6-7، 3: 23-38 يوحنا 1: 14 رؤيا 5: 5 غلاطية 4: 4 **في حال الخاطئ:** رومه 8: 3، 2 قورنتس 5: 21 غلاطية 3: 13 فيليبي 2: 7-8 عبرانيين 2: 6-18، 4: 15، 5: 7 **فقير:** متى 8: 20 مرقس 6: 3 لوقا 2: 7-12، 2 قورنتس 8: 9 **بجميع الحدود البشرية:** متى 4: 2، 9: 36، 17: 17، 20: 34، 26: 37-42، 27: 46 مرقس 1: 41-43، 3: 5، 4: 38، 5: 9، 6: 38، 8: 5، 13: 32 لوقا 2: 40 و52، 9: 52، 19: 41، 22: 15 يوحنا 4: 6، 6: 5-6، 11: 33 و35 و38، 12: 27 عبرانيين 5: 7-8 **ما عدا الخطيئة:** عبرانيين 4: 15 **مطيع:** متى 17: 24-27 لوقا 2: 51 فيليبي 2: 8 **قاوموه:** لوقا 2: 34-35 رومة 15: 3 عبرانيين 12: 3 **ومع ذلك متسام:** متى 9: 6، 12: 8 و41-42، 13: 41، 16: 13-19 و26-27، 17: 5، 19: 28، 24: 30، 25: 31-46، 26: 64 مرقس 8: 38 يوحنا 1: 51، 3: 13، 5: 27، 6: 62

يسوع: المسيح:

متى: 11: 2-6، 16: 16 و20 مرقس 1: 34، 14: 61-62 لوقا 2: 11 و26، 4: 41، 9: 20، 24: 26 يوحنا 1: 41، 4: 25-26، 10: 24-25، 20: 31 أعمال الرسل 2: 36، 4: 27، 10: 38، 17: 2-3، 18: 5 و28

يسوع: المخلّص: مرقس 3: 4، 5: 23 و28 و34، 6: 56، 10: 52، 15: 31 لوقا 2: 11 يوحنا 4: 42 أعمال الرسل 5: 31، 13: 23 أفسس 5: 23 فيليبي 3: 20، 2 طيموتاوس 1: 10 طيطس 1: 4، 2: 13، 3: 6، 2 بطرس 1: 1 و11، 2: 20، 3: 18، 1 يوحنا 4: 14

يسوع ربّ ومعلّم:

متى 23: 8، 26: 18 لوقا 2: 11 يوحنا 3: 2، 13: 13-14 أعمال الرسل 2: 36 رومة 10: 9، 14: 9 فيليبي 2: 10-11، 1 طيموتاوس 6: 14، 2 بطرس 2: 1، يهوذا 4، رؤيا 17: 14، 19: 16.

محتويات الكتاب